



# الرسالة

الجزء الثاني

رسالة إبراهيم وموسى وعيسى  
عليهم السلام

الشيخ علاء السالم

إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٤٣

# الرسالة

الجزء الثاني

رسالة إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم

علاء السالم

## الفهرست الإجمالي

|                                           |            |
|-------------------------------------------|------------|
| تمهيد: .....                              | ٥          |
| <b>(١) رسالة إبراهيم الخليل .....</b>     | <b>١٣</b>  |
| إبراهيم (ع)؛ الولادة والنشأة: .....       | ١٥         |
| دعوة إبراهيم (ع) في العراق: .....         | ٥٠         |
| دعوة إبراهيم (ع) خارج العراق: .....       | ١٠١        |
| إمامة إبراهيم (ع) ووفاته: .....           | ١٥٠        |
| نبوة يعقوب ويوسف (ع): .....               | ١٩٥        |
| أنبياء بعد إبراهيم (ع): .....             | ٢٥٦        |
| <b>(٢) رسالة موسى الكليم .....</b>        | <b>٢٧٣</b> |
| موسى (ع) وليداً ونبياً ورسولاً: .....     | ٢٧٤        |
| بعث موسى (ع) وإرساله: .....               | ٣٠٨        |
| موسى (ع) وبنو إسرائيل: .....              | ٣٧٠        |
| دين موسى ومعرفته بالرسول محمد وآله: ..... | ٤٤٠        |
| وفاة موسى (ع) وبعثة الأنبياء بعده: .....  | ٤٧٨        |
| <b>(٣) رسالة عيسى كلمة الله .....</b>     | <b>٥٠٥</b> |
| ولادة عيسى (ع) وشيء من سيرته: .....       | ٥٠٥        |
| بعثة عيسى (ع): .....                      | ٥٣٩        |
| رفع عيسى (ع) وما جرى بعده: .....          | ٥٧٧        |
| المصادر .....                             | ٦١٥        |
| الفهرست .....                             | ٦٣١        |



## بسم الله الرحمن الرحيم

### تمهيد:

كتاب "الرسالة" مخصّص بالأصل لعرض رسالة وسيرة سيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله؛ لأنه قوام الرسالة وعمادها وهدفها الحقيقي المراد بلوغه، لكن لما كان كل من سبقه من الرسل مهّدوا له، فإنصافاً لتضحياتهم وتقديراً لجهودهم نعرض رسالات أولي العزم منهم وبعض الأنبياء المتصلين بهم كحد أدنى، لذا سيغطي الجزء الثاني من سلسلة "الرسالة" رسالات أولي العزم، وهم: إبراهيم، موسى، عيسى "صلوات الله عليهم، وما رافقها من أحداث مهمة.

### بعثة رسل أولي العزم الثلاث (إبراهيم، موسى، عيسى):

انتهينا في الجزء الأول من "الرسالة" إلى أنّ تاريخ بدء المشروع الرسالي على الأرض يعود إلى ٢٠ - ٣٠ ألف سنة مضت، واستعرضنا هناك - بالدرجة الأساس - البحوث المهمة الخاصة ببعثة أول رسل الله على الأرض وهو آدم عليه السلام، وأيضاً: بعثة أول رسل أولي العزم وهو نوح عليه السلام، بينما سيبدأ هذا الجزء بحوثه بعرض رسالة إبراهيم صلوات الله عليه المبعوث بحدود سنة ٢٠٠٠ ق.م تقريباً. وهذا يعني: أنّ بحوث الجزء الأول غطّت ما يقرب من ١٨ ألف سنة (على أقل تقدير) من تاريخ المشروع الرسالي الإلهي على الأرض، بينما سيتكفل الجزء الثاني من "الرسالة" تغطية فترة ٢٠٠٠ سنة تقريباً وقعت ضمنها بعثات إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم.

الملفت، إنّ وقت بعثة إبراهيم شهد انحرافاً بشرياً خطيراً مسّ أهم ما في رسالات الرسل أعني "توحيد الله"، فالشرك كان قد ضرب بأطنابه إلى حد انتشرت فيه عبادة الأصنام بشكل كبير، ولا كائن هناك آلاف من السنين مضت على تاريخ بدء رسالة الله وبث التوحيد ومعارفه على الأرض! فكانت الحاجة ملحة لبعث رسول إلهي يحمل فأس "التوحيد" بإخلاص شديد وقوة لا تلين ليحطم الأحجار التي تعبد من دون الله ويصحح

للناس العقيدة، فكان إبراهيم أهلاً لهذه المهمة وأهلاً لأن يوصف لوحده "أمة"؛ أصابت أمواج حركته الشرك بالصميم بعد أن اهتزت لثورته أرجاء بلاد ما بين النهرين!

وليس الأبحار وحدها عُبدت من دون الله، بل أحياناً يتمثل الشرك بعبادة رجل متكبر ظالم كما حصل من فرعون مصر حيث تسلط على العباد (بني إسرائيل بالخصوص واستعبدهم) بسبب سوءهم وانحر افهم، ولكن رحمة الله بهم وبغيرهم دعت إلى بعثة رسول إلهي قوي وثائر ينقذ بني إسرائيل من يد الطاغية فرعون، فكان موسى الكليم المبشّر به من قبل يوسف الصديق وغيره من رسل الله السابقين.

كذا كانت بعثة عيسى عليه السلام الذي أراد الله من بعثته إنقاذ عباده من ظلم ملوك الرومان من جهة، ومن ظلم وضلال كهنة اليهود الذين ملأوا بيت المقدس ضلالاً وانحرفاً وفساداً من جهة أخرى، وكانت غالبية الناس تتبعهم بحجة أنهم الامتداد الشرعي لخط الرسل، في حين أنّ الله اعتبر فعلهم وطاعتهم لهم شركاً به كما أكد أوصياء الرسول محمد صلوات الله عليهم ذلك؛ إذ كانوا يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال فأطاعوهم!

وهكذا تتضح لنا حقيقة أنّ بعثات الرسل كلها كانت تتمحور حول إبراز توحيد الله وطاعته من حيث يريد هو سبحانه لا من حيث يرى العالم الضال أو السلطان الجائر ولا من حيث يرغب الناس!

الأمر المهم الآخر في بعثات هؤلاء الرسل الإلهيين هو التمهيد لبعثة ورسالة محمد صلى الله عليه وآله، ولما نذكر "رسالة محمد" فهي تشمل أوصياءه صلوات الله عليهم؛ باعتبار أنّ كل واحد منهم هو جزء من رسالته كما سيتوضح في بحوث الكتاب.

### البعثة وأم القرى في زمانها:

أم القرى هنا: أقصد بها المنطقة (بلد، مدينة، إقليم، ... إلخ) التي يُبعث فيها الرسول الإلهي، فالملحوظ في تاريخ بعثات الرسل الثلاثة أنّ منطقة البعثة (أم القرى في زمان البعثة) تتغير من رسول لآخر، فما سرُّ هذا التغير والتبدل في أماكن البعثة؟



لا شك أنّ الأمر مرتبط بوجود القابل أي: المكلف المستعد أو المرجو منه أن يقبل رسالة الله؛ سواء قبلها فعلاً أو رفضها بسبب ترجيحه دو افع وأسباب الضلال على أسباب الحق والهدى، وأسباب الضلال كثيرة كما هو معلوم؛ منها: التكبر والعناد، ومنها: اتباع علماء الضلال المنحرفين، وغير ذلك.

ولهذا، نجد أنّ البعثة دائماً ما تكون في منطقة تسكنها الأقوام التي بثّ فيها رسل الله السابقون بشارات واخبارات بمجيء وبعثة رسول إلهي مستقبلي وموعد، ففي حالة إبراهيم عليه السلام يمكننا اعتباره رسولاً منتظراً بعد أن بشر به الرسل السابقون عليه في بلاد ما بين النهرين التي وطأها نوح وأبناءؤه والمؤمنين به بعد غرق الوادي الخصيب بمياه الطوفان واستقروا فيها ثم تعاقب عليها الرسل من بعده وصولاً إلى بعثة إبراهيم.

إذن، "أم القرى" في زمان بعثة إبراهيم بالتأكيد لا تخرج عن إطار بلاد سومر (مدينة "أور" وما جاورها في بلاد ما بين النهرين)؛ باعتبار أنّ السومريين هم أقوام رسل الله الأوائل، وبالتالي فالمتوقع أن يكون إبراهيم منهم ويُبعث بينهم، وهذا ما حصل بالفعل (وسيتضح ضمن بحوث الكتاب). لكن لما طرد إبراهيم عليه السلام من بلاد سومر وهجرها إلى الشام (أرض كنعان، بيت المقدس تحديداً) انتقل معه وصف "أم القرى" إلى حيث موضع استقرار خليل الله؛ ذلك أنّ إبراهيم بحركته لا يمثل حركة فرد إنساني عادي، وإنما يمكننا أن ننظر إلى هجرته بوصفها حركة كتلة وأمة ومشروع رسالي كامل بإرثه وماضيه وحاضره ومستقبله، فإبراهيم لم يكن يمثل نفسه وحسب ولكنه يمثل المشروع الرسالي الإلهي على الأرض، فهو الوريث الشرعي لخط الرسالة الذي ابتدأ قبل آلاف السنين بآدم ويراد له (وفق المخطط الإلهي) أن يستمر آلافاً أخرى من السنين.

بالتأكيد، إبراهيم الذي يمثل حلقة الوصل في الخط الرسالي كان ينظر لرسالة الله (بوحى من الله) كحبل ممدود؛ يقف أبوه آدم على أحد طرفيه بينما طرفه الآخر ينتهي بآخر أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله وهو المهدي الثاني عشر بحسب وصية الرسول المقدسة ليلة وفاته. وأبداً لم تغب هذه اللوحة الرسالية المتكاملة عن قلب وفكر إبراهيم وهو يسير برسالة الله إلى حيث ما أمره الله!

بعد إبراهيم (كما سنعرف ذلك بالتفصيل) انشعب الخط الرسالي إلى شعبتين وخطين؛ خط إسماعيل بن إبراهيم، وخط إسحاق بن إبراهيم الذي انحدر منه يعقوب ثم يوسف الصديق ثم الأسباط وصولاً إلى موسى الذي ينحدر من سبط لاوي ثم عيسى، وأم القرى بالنسبة لهذا الخط الرسالي هو بيت المقدس (أرض كنعان) في زمن إسحاق ويعقوب، لكن بعد انتقال يوسف الصديق إلى مصر ثم لحوق أبيه وإخوته به أصبحت مصر أرض البعثة القادمة بعد أن بُثَّت فيها البشارات بموسى بين بني إسرائيل جيلاً بعد جيل، وبهذا يمكننا اعتبار "مصر" أمّاً للقرى خلال هذه الفترة إلى وقت بعثة موسى عليه السلام وخروجه منها ببني إسرائيل والعودة بهم باتجاه الشرق مرة أخرى، وكان دخول الأرض المقدسة (بيت المقدس) على يد وصيه يوشع بن نون بمثابة الخطوة الأولى باتجاه عودة الإبراهيمية إلى الشرق حيث موطنها الأصلي في بلاد ما بين النهرين!

تمكّن يوشع الوصي من دخول الأرض المقدسة بعد وفاة موسى وبجيل جديد من الإسرائيليين بعد موت الجيل السابق الذي ملأ قلب موسى ألماً ورفض طاعته والجهاد معه فهلكوا في "التيه" كما سنعرف! وبهذا كانت أم القرى في زمن عيسى هي "بيت المقدس" التي بُعث في أهلها رسل الله الذين بشّروا ببعثته ومجيئه منها.

أما "أم القرى" في الخط الرسالي الآخر (خط إسماعيل وأوصيائه عليهم السلام) فهي "مكة" من أرض الحجاز على الدوام وصولاً إلى بعثة سيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله مروراً بجده عبد المطلب وعمّه أبي طالب عليهما السلام اللذين ورد بحقهما أنهما حجتان لله، بل ورد بحق أبي طالب أنه "مستودع الوصايا".

**تنبيه:** ارتباط مكان البعث الرسالي بوجود "القابل" هو الذي يدفعنا اليوم للقول بأنّ الشرق "العراق" هو أرض انطلاق رسالة المهدي عليه السلام وبداية أمره عند بعثته؛ باعتباره عاصمة دولته من جهة، وباعتبار وجود القاعدة التي بث فيها الرسل السابقون البشارات الخاصة بالمهدي وتوارثوها جيلاً بعد جيل، من جهة أخرى. وهذا ما تؤكده النصوص الدينية أيضاً.



### الرسول محمد (ص) مجمع وصايا الخطين:

ببعث سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله التقى خطا الرسالة الإلهية به، وكان هو الوريث لوصايا رسل الله من كلا الخطين (خط إسحاق بن إبراهيم، وخط إسماعيل بن إبراهيم) كما أكدته النصوص الدينية:

هذا مثال لوصول الوصية للرسول محمد من جهة خط إسحاق:

عن الإمام الصادق عن جده الرسول محمد صلى الله عليه وآله في حديث: (.....) (وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بئراء، وأوصى بئراء إلى شعيب عليه السلام، ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران عليه السلام، وأوصى موسى بن عمران عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى داود عليه السلام، وأوصى داود عليه السلام إلى سليمان عليه السلام، وأوصى سليمان عليه السلام إلى أصف بن برخيا، وأوصى أصف بن برخيا إلى زكريا عليه السلام، ودفعها زكريا عليه السلام إلى عيسى بن مريم عليه السلام، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا (يوحنا اللاهوتي)، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إليّ بردة، وأنا أدفعها إليك يا علي، وأنت تدفعها إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحدا بعد واحد، حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك .....)<sup>(١)</sup>.

وهذا مثال لوصول الوصية للرسول محمد من جهة خط إسماعيل عليه السلام:

(عن درست بن أبي منصور، أنه سأل أبا الحسن الأول (الإمام الكاظم): أكان رسول الله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال عليه السلام: لا ولكن كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه صلى الله عليه وآله، قال: قلت: فدفع إليها الوصايا على أنه محجوج به؟ فقال: لو كان

محجوجاً به ما دفع إليه الوصية، قال: فقلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقر بالنبي وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه<sup>(١)</sup>.

### محاور الجزء الثاني من الرسالة:

يتضمن الجزء الثاني بحث المحاور الرئيسية التالية:

١- رسالة إبراهيم الخليل.

٢- رسالة موسى الكليم.

٣- رسالة عيسى كلمة الله.

وبالتأكيد، توجد مباحث فرعية كثيرة تنتشعب من هذه المحاور الرئيسية.

**ملاحظة هامة:** لفظ "رسل، رسول" في كل الكتاب لا يقصد به بالضرورة معناه الاصطلاحي الذي يعني المقام الخاص الأرقى من النبوة، وإنما يقصد به مطلق الخليفة والحجة الإلهي المبعوث؛ سواء كان نبياً أو رسولاً أو إماماً.

**هذا الجزء** من سلسلة "الرسالة" حظيت بحوثه بإشراف ومراجعة السيد أحمد الحسن، كما تضمّن حوارات عديدة معه واحتوى الكثير من أجوبته على العديد من المسائل الغامضة التي تتعلق برسالات إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم، وما يناسبها من أحداث وبحوث تخص المعرفة الدينية عموماً (الجنبه العقائدية منها بالخصوص)، فجزاه الله عن رسل الله وعنّا خير جزاء المحسنين.

أسأل الله أن يكتبنا في سجل شيعة رسل الله، وأن يتفضل علينا برضاه، ويختم لنا بخير، والحمد لله أولاً وآخراً.

علاء السالم

وادي السلام – النجف الأشرف

٢٥ / ٢ / ٢٠٢٦ م

## بين يدي "الرسالة / ج ٢":

يقول السيد أحمد الحسن: (من المهم جداً معرفة كيف أنّ الرسائل الإلهية السابقة هيأت لمحمد صلى الله عليه وآله ولسالته:

فمثلاً: إبراهيم عليه السلام هيأ لرسالة محمد:

- نقل إسماعيل وهاجر إلى مكة وأسكنهم بجوار بيت الله الذي أقام بناءه مع ولده إسماعيل بأمر الله تمهيداً لبعثة محمد صلى الله عليه وآله.
- حادثة ذبح إسماعيل، هيأت لقضية ذبح عبد الله "والد الرسول"، وكلاهما (إسماعيل وعبد الله) هيئتا للحسين، والحسين جزء من رسالة محمد صلى الله عليه وآله.
- نار الطاغية التي أوقدها لقتل إبراهيم عليه السلام عرّفت الناس بنيران كفار قريش التي أوقدوها لقتل محمد؛ مرة على فراشه، ومرة بملاحقته في هجرته، ومرات بحروب شنت لاستئصاله ودعوته المباركة.
- يوسف من ضمن رسالة إبراهيم ورسالته وما حدث معه هيأت للمهدي، فقسوة الدنيا والناس مع يوسف منذ كان طفلاً ثم انتصار دعوته بعد عناء شديد كلها هيأت للمهدي، والمهدي جزء من رسالة محمد صلى الله عليه وآله.

موسى كذلك هيأ لرسالة محمد:

- هارون وموضعه في رسالة موسى هيأ لعلي عليه السلام، وعليّ جزء من رسالة محمد صلى الله عليه وآله.
- خروج موسى خائفاً يترقب وغيابه، نجاته من مكر فرعون، وغرق فرعون وهو يلاحقه، رحلته مع العبد الصالح وغيرها، كلها هيأت للمهدي، والمهدي جزء من رسالة محمد صلى الله عليه وآله.

عيسى أيضاً هيأ لرسالة محمد:

تمهيد يحيى لعيسى هياً للتمهيد للمهدي، مسيرة عيسى، الرفع، الصلب، كلها هيات للمهدي. وكذا عيسى بعد رفعه أرسل الرسل، ومسألة الإرسال التي قام بها هيات لرسالة الرسول محمد وللإسلام؛ باعتبار أن محمداً هو الإنسان الكامل والمرسل - بكسر السين - للرسل بإذن الله بعد بعثه، وقد بينت سابقاً كيف أن عيسى هياً لمحمد عند بيان "طلعتك في ساعير وظهورك في فاران"، والفرق بينهما، وكيف أن الطلعة (عيسى) هياً للظهور (محمد).

وهكذا بوسعنا أن نعرف أن كل الأنبياء هياؤا للدعوة والرسالة المحمدية؛ بعملهم، بالأحداث التي رافقتهم، بأدعيتهم، وهكذا) انتهى<sup>(١)</sup>.

(١)

## رسالة إبراهيم الخليل

- أرض البعثة: بلاد ما بين النهرين، الشام، الحجاز "مكة".
- زمان البعثة: بحدود سنة ٢٠٠٠ ق.م.

قال تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَامِهِ  
اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ  
\* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل: ١٢٠ - ١٢٣.

لم يكن توحيد الله ومعرفته مجهولاً قبل بعثة خليل الله إبراهيم؛ باعتبار مضي ما يزيد على ١٨ ألف عام على بدء الرسالة الإلهية وبعثة أول أنبياء الله آدم عليه السلام ومن تلاه من الرسل الأوائل، لكن ما حصل أن بعثة إبراهيم شكّلت انعطافة في تاريخ الرسالات؛ إذ أن المهام والكتاب والشرعية والمنهاج الذي بُعث به جعل كل من يأتي بعده من رسل الله (حتى قيام الساعة) ينسب إليه؛ شرعة ونسباً أيضاً، فكل الرسل بعد إبراهيم هم من ذريته سواء من ولد إسحاق (أنبياء بني إسرائيل)، أو من ولد إسماعيل الذين بهم تختتم رسالة الله على هذه الأرض أعني الرسول محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم، ولم تخرج الرسالة عن ذرية إبراهيم إطلاقاً، ولهذا وصف بـ "أبي الأنبياء"؛ لقول الله تعالى بحقه:

- "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" العنكبوت: ٢٧.

"جعلنا في ذريته النبوة والكتاب": واضح أنّ الرسائل والكتب الإلهية التي نزلت بعد إبراهيم (التوراة، الإنجيل، القرآن) كلها أنزلت على أولاده (١).

- "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" الحج: ٧٨.

(عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عز وجل: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس" قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عز وجل: "ملة أبيكم إبراهيم" قال: إيانا عنى خاصة "هو سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ" في الكتب التي مضت "وفي هذا" القرآن "ليكون الرسول عليكم شهيداً" فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل ونحن الشهداء على الناس فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة) (٢).

**ملاحظة:** وصف إبراهيم بـ "أبي الأنبياء" ورد عند المسلمين السنة أيضاً (٣)، وأما نصوص أهل الكتاب ففي العهد القديم ورد وصف: "أباً لجمهور من الأمم"، وفي العهد الجديد: "أب لجميعنا" أي: جميع المؤمنين، أو "أبيننا" (٤).

١- روى الطبري بسنده: (عن ابن عباس ... وقوله: وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب بمعنى الجمع، يراد به الكتب) جامع البيان: ٢٠ / ١٧٥.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ١٩٠.

٣- فمثلاً: قال ابن تيمية: (... يَبْتَغِي اللَّهُ الْحَرَامَ الَّذِي بَنَاهُ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامُ الْحُنَفَاءِ) مجموع الفتاوى: ٢٨ / ٦١٣. وأيضاً: قال السمرقندي: (واختار آل إبراهيم عليه السلام بخمسة أشياء أولها أنه جعله أباً الأنبياء) تفسير السمرقندي: ١ / ٢٣٢.

٤- في (سفر التكوين - إصحاح ١٧): "ه" "فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ ابْنِكَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لْجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ". وفي (رسالة بولس لأهل رومية - إصحاح ٤): "١٦" "لِهَذَا هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ

## إبراهيم<sup>(٤)</sup>؛ الولادة والنشأة:

### ولادة إبراهيم:

ولد إبراهيم بحالة من الخفاء، والسبب يعود إلى وجود الطاغية "نمرود" الذي علم (بإعلام المنجمين له) بولادة طفل تكون نهاية ملكه على يديه، فعزم على تفريق النساء عن الرجال؛ منعاً للإنجاب، لكن الله سبحانه شاء أن يولد ومشيئته نافذة<sup>(١)</sup>.

الْبَعْمَةُ، لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطَيْدًا لِيَجْمَعَ النَّسْلُ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ التَّامُوسِ فَقَطُّ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبُّ لِيَجْمِعِنَا". وفي (إنجيل لوقا - إصحاح ١): "٧٣ الْقَسَمَ الَّذِي خَلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيْنَا".

١- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: أن أزرأبا إبراهيم عليه السلام كان منجماً لنمرود ولم يكن يصدر إلا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود: لقد رأيت عجباً، قال: وما هو؟ قال: رأيت مولوداً يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به، قال: فتعجب من ذلك وقال: هل حملت به النساء؟ قال: لا، قال: فحجب النساء عن الرجال فلم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة لا يخلص إليها ووقع أزرأهله فعلمت بإبراهيم صلى الله عليه وآله فظن أنه صاحبه فأرسل إلى نساء من القوابل في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شئ إلا علمن به فنظرن فألزم الله عز وجل ما في الرحم [إلى] الظهر فقلن: ما نرى في بطنها شيئاً وكان فيما أوتي من العلم أنه سيحرق بالنار ولم يؤث علم أن الله تعالى سينجيه، قال: فلما وضعت أم إبراهيم أزرأه يذهب به إلى نمرود ليقتله، فقالت له امرأته: لا تذهب بابنك إلى نمرود فيقتله دعني أذهب به إلى بعض الغيران أجعله فيه حتى يأتي عليه أجله ولا تكون أنت الذي تقتل ابنك، فقال لها: فامضي به، قال: فذهبت به إلى غار ثم أرضعته، ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه، قال: فجعل الله عز وجل رزقه في إبهامه فجعل يمصها فيشخب لبنها وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث. ثم إن أمه قالت لأبيه: لو أذنت لي حتى أذهب إلى ذلك الصبي فعلت، قال: فافعلي، فذهبت فإذا هي بإبراهيم عليه السلام وإذا عيناه تزهزان كأنها سراجان قال: فأخذته فضمته إلى صدرها وأرضعته ثم انصرفت عنه، فسألها أزرعنه، فقالت: قد واريته في التراب فمكثت تفعل فتخرج في الحاجة وتذهب إلى إبراهيم عليه السلام فتضمه إليها وترضعه، ثم تنصرف فلما تحرك أخته كما كانت تأتيه فصنعت به كما كانت تصنع فلما أرادت الانصراف أخذ بثوبها فقالت له: ما لك؟ فقال لها: اذهبي بي معك، فقالت له: حتى استأمر أباك، قال: فأتت أم إبراهيم عليه السلام أزرعنه القصة، فقال لها: إيتيني به فأقعديه على الطريق فإذا مر به إخوته دخل معهم ولا يعرف، قال: وكان إخوة إبراهيم عليه السلام يعملون الأصنام ويذهبون بها إلى الأسواق وبييعونها، قال: فذهبت إليه فجاءت به حتى أقعدته على الطريق ومراخوته فدخل معهم فلما رآه أبوه وقعت عليه المحبة منه فمكث ما شاء الله قال: فبينما إخوته يعملون يوماً من الأيام الأصنام إذا أخذ إبراهيم عليه السلام القدوم (آلة للنحت) وأخذ خشبة فنجر منها صنماً لم يروا قط مثله، فقال أزرعنه: إني لأرجو أن نصيب خيراً ببركة ابنك هذا، قال: فبينما هم كذلك إذا أخذ إبراهيم القدوم فكسر الصنم الذي عمله ففزع أبوه من ذلك فزعاً شديداً،



خفاء ولادة إبراهيم عليه السلام لم يقتصر ذكرها على روايات المسلمين الشيعة، بل وردت في روايات المسلمين "السنة"<sup>(١)</sup>. وأما نصوص العهد القديم (سفر التكوين تحديداً) فقد اكتفى بذكر ولادة إبراهيم في "أور" الكلدانيين وركز على نسب إبراهيم وهجرته ولم يتعرض لمسألة خفاء الحمل والولادة<sup>(٢)</sup>.

وبحسب نصوص المسلمين: وصف آزر بـ "أب إبراهيم"، والأب ليس بالضرورة هو الوالد فقد يكون الأب والداً وقد لا يكون لكن يطلق عليه "أب" بوصفه "المربي"، وفي حالة إبراهيم لم يكن آزر والداً لإبراهيم كما سيتضح.

وأيضاً: مسألة إخفاء حمل إبراهيم لم تكن حالة فريدة، وإنما تكررت كثيراً في التاريخ الرسالي، فمثلاً: حدث ما يشبهها مع أم موسى في زمن فرعون كما سيتضح، وأيضاً تكررت مع أم الإمام المهدي صلوات الله عليه (السيدة نرجس) أثناء حملها به وولادته سنة ٢٥٥ هـ في زمن الطاغية العباسي المعتمد بن المتوكل<sup>(٣)</sup>.

---

فقال له : أي شيء عملت؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: وما تصنعون به؟ فقال آزر: نعبد، فقال له إبراهيم عليه السلام: "أتعبدون ما تحتون؟" فقال آزر [لأمه]: هذا الذي يكون ذهاب ملكنا على يديه) الكافي، الكليني، ٨ / ٣٦٦ - ٣٦٨.

١- انظر على سبيل المثال: جامع البيان، الطبري: ٧ / ٣٢٣ - ٣٢٤؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

٢- في (سفر التكوين - إصحاح ١١): "٢٦ وَعَاشَ تَارَحُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. ٢٧ وَهَذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوُلِدَ هَارَانُ لُوطًا. ٢٨ وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلَادِهِ فِي أَوْرُ الْكَلْدَانِيِّينَ".

٣- روى الصدوق بسنده عن: (محمد بن عبد الله الطهوي قال: قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبو محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها فقال لي: اجلس فجلست، ثم قالت: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامئة، ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلاً للحسن والحسين وتزهيماً لهما أن يكون في الأرض عدليهما إلا أن الله تبارك وتعالى خص ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن عليهما السلام كما خص ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجة على هارون، والفضل لولده إلى يوم القيامة، ولابد للأمة من حيرة يرتاب فيها المبتطلون ويخلص فيها المحقون، كيلا يكون للخلق على الله حجة، وإن الحيرة لابد واقعة بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام، فقلت: يا مولاتي هل كان للحسن عليه السلام ولد؟ فتبسمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجة من بعده وقد أخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، فقلت: يا

وبخصوص نمرود (الطاغية في وقت إبراهيم)، فقد روي لدى المسلمين (شيعه وسنة) أنَّ منزله كان بكوثر ربي، أي: في بلاد ما بين النهرين أو بابل؛ أرض بعثة إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup>.

سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام قالت: نعم كانت لي جارية يقال لها: نرجس فزارني ابن أخي فأقبل يحدق النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال لها: لا يا عمة ولكني أتعجب منها فقلت: وما أعجبك [منها]؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي عليه السلام قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام: فسلمت وجلست فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعتي نرجس إلى ابني أبي محمد قالت: فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك على أن أستاذك في ذلك، فقال لي: يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك الاجرو يجعل لك في الخير نصيباً، قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى والده عليهما السلام ووجهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد عليه السلام مكان والده وكنت أزوره كما كنت أزور والده فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفي، فقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا أدفع إليك خفي لتخلعيه ولا لتخدميني بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله يا عمة خيراً، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف فقال عليه السلام: لا يا عمتا بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيى الله عز وجل به الأرض بعد موتها، فقلت: ممن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهرها لبطن فلم أرها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت فتبسم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأن مثلاً مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبال في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام. ....) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٦ - ٤٣٠.

١- وكمثال للروايات: ما رواه القمي بسنده: (عن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن أزراً يا إبراهيم كان منجماً لنمرود بن كنعان فقال له: إني أرى في حساب النجوم أن هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدين ويدعو إلى دين آخر، فقال له نمرود: في أي بلاد يكون؟ قال: في هذه البلاد، وكان منزل نمرود بكوثر ربي، فقال له نمرود: قد خرج إلى الدنيا؟ قال أزر: لا، قال: فينبغي أن يفرق بين الرجال والنساء، ففرق بين الرجال والنساء، وحملت أم إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولم يبين حملها، فلما حانت ولادتها قالت: يا أزر، إني قد اعتلت وأريد أن أعتزل عنك ...، فخرجت واعتزلت في غار ووضعت بإبراهيم عليه السلام وهيأته وقمطته ورجعت إلى منزلها وسدت باب الغار بالحجارة، فأجرى الله لإبراهيم عليه السلام لبناً من إبهامه وكانت تأتية أمه ووكل نمرود بكل امرأة حامل، فكان يذبح كل ولد ذكر، فهربت أم إبراهيم بإبراهيم من الذبح، وكان يشب إبراهيم عليه السلام في الغار يوماً كما يشب غيره في الشهر حتى أتى له في الغار ثلاث عشرة سنة، فلما كان بعد ذلك زارته أمه فلما أرادت أن تفارقه تشبث بها فقال: يا أمي أخرجيني، فقالت له: يا بني إن الملك إن علم أنك ولدت في هذا الزمان قتلك، فلما

ثم إن خفاء ولادة إبراهيم استمر ولم يعلم به أحد إلى الوقت المحدد الذي أمر الله سبحانه رسوله إبراهيم بأن يظهر نفسه ويعرّف بشخصه ويباشر بدعوته، وبحسب النص الديني: فإن الفترة التي سبقت الإظهار كانت بمثابة "الغيبة" (١).

خرجت أمه خرج من الغار وقد غابت الشمس نظر إلى الزهرة في السماء فقال: "هذا ربي" فلما غابت الزهرة فقال: لو كان هذا ربي ما تحرك ولا برح، ثم قال: "لا أحب الأفلين" والأقل: الغائب. فلما نظر إلى المشرق رأى وقد طلع القمر قال: "هذا ربي" هذا أكبر وأحسن فلما تحرك وزال قال: "لئن لم يهديني ربي لأكون من القوم الضالين" فلما أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الشمس الدنيا لطلوعها قال: "هذا ربي هذا أكبر" وأحسن فلما تحركت وزالت كسب الله عن السماوات حتى رأى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض، فعند ذلك قال: "يا قوم إني برئ مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين" فجاء إلى أمه وأدخلته دارها وجعلته بين أولادها. .... فلما أدخلت أم إبراهيم دارها نظر إليه أزرق فقال: من هذا الذي قد بقي في سلطان الملك والمملك يقتل أولاد الناس؟ قالت: هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا حين اعتزلت، فقال: ويحك إن علم الملك هذا زالت منزلتنا عنده، وكان أزرق صاحب أمر نمروود ووزيره، وكان يتخذ الأصنام له وللناس ويدفعها إلى ولده فيبيعونها وكان على دار الأصنام، فقالت أم إبراهيم لأزرق: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ولدنا وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه، وكان أزرق كلما نظر إلى إبراهيم أحبه حباً شديداً وكان يدفع إليه الأصنام لبييعها كما يبيع إخوته، فكان يعلق في أعناقها الخيوط ويجرها على الأرض ويقول: من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه؟! ويغرقها في الماء والحماة ويقول لها: اشربي وتكلمي، فذكرنا إخوته ذلك لأبيه فنهاه فلم ينته فحبسه في منزله ولم يدعه يخرج. ....) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١/ ٢٠٦ - ٢٠٨.

**تتبيه:** أثناء التعامل مع بعض الروايات المنقولة في "تفسير القمي" ينبغي الالتفات إلى أن علي بن إبراهيم رحمه الله أحياناً يدخل كلامه عند نقل الرواية عن الإمام المعصوم ولا ينقلها بصورة خالصة.

وأيضاً: روى الطبري في تاريخه: (عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمروود فذهب بضوء الشمس والقمر ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عنه فقالوا يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاك وهلاك ملكك وكان مسكنه ببابل الكوفة ....) تاريخ الطبري: ١/ ١٦٥. وأيضاً: ما رواه بسنده عن محمد بن إسحاق، انظر: جامع البيان: ٣٢٣/ ٧ - ٣٢٤.

١- (عن عبد الحميد ابن أبي الديلم قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: يا عبد الحميد إن الله رسلاً مستعلنين ورسلاً مستخفين فإذا سألته بحق المستعلنين فسله بحق المستخفين، وتصديق ذلك من الكتاب قوله تعالى: "ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً" فكانت حجج الله تعالى كذلك من وقت وفاة آدم عليه السلام إلى وقت ظهور إبراهيم عليه السلام أوصياء مستعلنين ومستخفين، فلما كان وقت كون إبراهيم عليه السلام ستر الله شخصه وأخفى ولادته، لأن الإمكان في ظهور الحجة كان متعذراً في زمانه، وكان إبراهيم عليه السلام في سلطان نمروود مستتراً لأمره وكان غير مظهر نفسه، ونمرود يقتل أولاد رعيته وأهل مملكته في طلبه إلى أن دلّهم إبراهيم عليه السلام على نفسه، وأظهر لهم أمره بعد أن بلغت الغيبة أمدّها ووجب إظهار ما أظهره للذي أراد الله في إثبات حجته وإكمال دينه، فلما كان وقت وفاة إبراهيم عليه السلام كان

وأيضاً: في سيرة إبراهيم عليه السلام ما وصف بـ "الغيبة الثانية" حينما نفاه الطاغية عن بلده ومصره<sup>(١)</sup>.

وروي: أن ولادته كانت في أواخر شهر ذي القعدة أو مطلع شهر ذي الحجة<sup>(٢)</sup>.

### مكان ولادته:

بحسب بعض النصوص الدينية، فإن إبراهيم عليه السلام ولد بمنطقة تسمى "كوثي ربا"، وهي مدينة تابعة لأور (في جنوب العراق):

عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثي ربي وكان أبوه من أهلها، ...) (٣).

له أوصياء حججاً لله عز وجل في أرضه يتوارثون الوصية كذلك مستعلنين ومستخفين إلى وقت كون موسى عليه السلام فكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل في طلب موسى عليه السلام الذي قد شاع من ذكره وخبر كونه، فستر الله ولادته، ثم قذفت به أمه في اليم كما أخبر الله عز وجل في كتابه "فالتقطه آل فرعون" ..... كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢١ - ٢٢.

١- قال عليه السلام في وصف الغيبتين: (..... فلم يزل إبراهيم عليه السلام في الغيبة مخفياً لشخصه، كاتماً لأمره، حتى ظهر فصده بأمير الله تعالى ذكره وأظهر الله قدرته فيه. ثم غاب عليه السلام الغيبة الثانية، وذلك حين نفاه الطاغوت عن مصره فقال: "وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوري عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً" قال الله عز وجل: "فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً\* وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً") كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٣٨ - ١٣٩.

٢- (عن أبي الحسن الأول (الإمام الكاظم) عليه السلام قال: في أول يوم من ذي الحجة ولد إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام) الكافي، الكليني: ٤ / ١٤٩.

(عن الحسن بن علي الوشاء قال: كنت مع أبي وأنا غلام فتعشينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال له: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهراً) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٠ / ٤٤٩.

٣- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٧٠.

وروى الطبري بسنده عن: (محمد بن إسحاق، قال: أزر: أبو إبراهيم. وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلاً من أهل كوثر، من قرية بالسواد، سواد الكوفة) (١).

يقول السيد أحمد الحسن عن رواية الإمام الصادق: (أور الكلدانيين أو أوريمكن أن يطلق على بلاد ما بين النهرين في وسط وجنوب العراق الحالي، وبالتالي فلا مانع من تخصيص حدوث الولادة في مدينة كودا أو كوثر؛ باعتبارها جزءاً من أور) انتهى (٢).

وأيضاً: لا شك أن الطاغية نمرود – الذي واجهه إبراهيم عليه السلام – هو أحد حكام بابل أو بلاد ما بين النهرين، وهذا يعني أن أرض هذا البلد (العراق بحسب التسمية المتأخرة) هي التي احتضنت ولادة وبعث خليل الله إبراهيم وإرساله من قبل الله.

السيد أحمد الحسن أكد بعثة إبراهيم في سومر وبلاد ما بين النهرين ضمن حديثه عن اعتقاد السومريين بالتنصيب الإلهي، قال:

(ويؤكد هذا الأمر ما وصلنا مكرراً في الألواح الطينية من أن الملوك هم من سلالة الآلهة وأن الآلهة تعينهم، وهناك قصة نقلها القرآن تمثل منازعة حدثت في سومر أو بلاد ما بين النهرين بين أحد الملوك المدعين الملك مع إبراهيم الخليل عليه السلام الملك المنصب من الله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" البقرة: ٢٥٨....) انتهى (٣).

---

١- جامع البيان، الطبري: ٣١٦/٧.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- وهم الإلحاد، أحمد الحسن: ٣٩٦ – ٣٩٧.

ولد إبراهيم في جنوب العراق في مدينة "أور" السومرية، وولادته في "أور" أمر تؤكدُه نصوص العهد القديم "التوراة" <sup>(١)</sup>، وأيضاً: هو أمر ثابت عند كبار علماء الآثار والسومريات تحديداً <sup>(٢)</sup>.

كذلك هو أمر ذكرته نصوص المسلمين، وهذا مثال لها:

(عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثر ربي وكان أبوه من أهلها، وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة - وفي نسخة رقية - أختين وهما ابنتان للراح، وكان لراح نبياً منذراً ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام في شببته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباها، وإنه تزوج سارة ابنة لراح وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثر ربي رجل أحسن حالاً منه، ..... ) <sup>(٣)</sup>.

"كوثر ربي": أرض تقع في بلاد ما بين النهرين <sup>(٤)</sup>، وهي جزء من مدينة "أور" بحسب ما تقدم في كلام السيد أحمد الحسن.

١- سفر التكوين، إصحاح ١١: ٣١ وَأَخَذَ تَارُحُ ابْنُ أَمْرَامُ ابْنَهُ، وَلُوطًا بَنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَةَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أَوْرُ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَنْذَهُبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ.

٢- يقول د. كريم: (إن أغلب الباحثين يتفقون على أنه بينما تحتوي قصة إبراهيم كما وردت في التوراة على الكثير مما هو أسطوري وخيالي، فإنها تحتوي أيضاً على بذرة مهمة من الحقيقة بما في ذلك ولادة إبراهيم في مدينة "أور" الكلدانية، التي ربما كانت حوالي ١٧٠٠ ق.م، وأخبار حياته مع عائلته هناك. وكانت "أور" إحدى أهم المدن السومرية القديمة. بل كانت في الواقع عاصمة بلاد سومر في ثلاثة عهود مختلفة في تاريخ بلاد سومر. ... ومن الجائز جداً أن يكون لإبراهيم وأبائه صلة ما مع الإنتاج الأدبي السومري الذي كان يستنسخ أو يبتدع في مدرسة مدينتهم. وليس من المستحيل أبداً أن يكون هو وأفراد عائلته قد جلبوا معهم بعضاً من التقاليد والمعرفة السومرية إلى فلسطين) السومريون، كريم: ٤١٩.

٣- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٧٠.

٤- قال المجلسي: (ايضاح: كوثر ربي كان قرية من قرى الكوفة كما ذكره المؤرخون، والذي ذكره اللغويون هو كوثر، قال الجزري: كوثر العراق هي سرة السواد ومها ولد إبراهيم الخليل عليه السلام انتهى) بحار الأنوار: ١٢ / ٤٧.

ومسألة وجود "كوثي" بالعراق أمر معروف لدى شعراء العرب الكبار وعلماء اللغة، فمثلاً: يقول حسان بن ثابت:

لعن الله منزلاً بطن كوثي ورماه بالفقر والامعار  
ليس كوثي العراق أعني ولكن كوثة الدار دار عبد الدار

قال الزمخشري: (يريد بكوثي العراق قرية ولد بها إبراهيم صلوات الله عليه) (١).

وقال أيضاً في بيان قول الإمام علي صلوات الله عليه: "نحن قوم من كوثي": (أراد كوثي العراق، وهي سرّة السواد، وبها ولد إبراهيم عليه السلام) (٢).

وأما تاريخ تواجد إبراهيم صلوات الله عليه فيعود للفترة بين ٢٠٠٠ - ١٧٠٠ ق.م بحسب البحوث الأثرية والأحافير، وهي الفترة التي شهدت نزاعاً سياسياً وتنافساً بين قبائل الشرق (العيلاميين) وقبائل الغرب (العموريين) لإسقاط بابل، وكذلك شهدت اضطراباً وتشويشاً دينياً تمثل بكثرة العقائد التي سمحت بعبادة الآلهة المتعددة سواء كانت كواكب كالشمس والقمر والنجوم وكذلك عبادة الأصنام والتماثيل، وأيضاً عبادة الملوك كنمرود الذي ادعى الربوبية!

في ظل هذه الأجواء ولد إبراهيم في مدينة "أور" السومرية وبُعث في بلاد ما بين النهرين.

## من هو أزر؟

رأينا في بعض النصوص المتقدمة ذكر "أزر" بوصفه أباً لإبراهيم عليه السلام، وهو أمر مذكور في القرآن الكريم أيضاً في أكثر من آية (٣).

١- الفائق في غريب الحدث، الزمخشري: ١/ ١١٣.

٢- الفائق في غريب الحدث، الزمخشري: ٣/ ١٧٥.

٣- قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَأْتَنِي أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" الأنعام: ٧٤. "وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا" مريم:

من جهة أخرى: ذكرت بعض النصوص الدينية والتاريخية لدى المسلمين أنّ اسم والد إبراهيم هو "تارح" <sup>(١)</sup>. من هنا، اختلف موقف المسلمين (السنة) حيال تحديد هوية "آزر" والربط بينه وبين "تارح":

- منهم من قال إنّ آزر هو تارح نفسه، لكن اسمه تارح ولقبه آزر <sup>(٢)</sup>.
- ومنهم من قال إنهما اسمان لشخص واحد، كما في يعقوب وإسرائيل <sup>(٣)</sup>.
- ومنهم من قال إنّ "تارح" هو اسم أبي إبراهيم، وأما "آزر" فهو اسم صنم <sup>(٤)</sup>.

وبشكل عام، لا مشكلة عند المسلمين السنة - بحسب عقيدتهم - أن يكون والد المعصوم (نبي، رسول، إمام) كافراً ويموت على الكفر، وسيأتي مناقشة هذا الاعتقاد الباطل في محله إن شاء الله.

بينما استقر رأي المسلمين (الشيعة) تقريباً على التريديد بين أن يكون "آزر" جد إبراهيم لأُمّه أو عمّه:

---

٤١- ٤٢. "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ" الأنبياء: ٥١-٥٢. "وَائْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ" الشعراء: ٦٩-٧٠. "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ" الصافات: ٨٥. "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ" الزخرف: ٢٦. "إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ" الممتحنة: ٤.

١- انظر على سبيل المثال: كنز العمال، المتقي الهندي: ١٢ / ٤٤٢، رواية عن ابن عباس؛ وكذا: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٢ / ٢٣١؛ تاريخ الطبري: ٢ / ٣١؛ تاريخ يعقوبي: ٢ / ١١٨؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ٢ / ٢٦٦؛ المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفدا)، أبي الفدا: ١ / ١٣، وغيرها.

٢- انظر مثلاً: فتح الباري، ابن حجر: ٦ / ٢٧٥؛ عمدة القاري، العيني: ١ / ١١٤؛ الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ٢ / ٣٧٤.

٣- انظر مثلاً: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري: ٧ / ٣١٧، تفسير البيضاوي: ٢ / ٤٢٢؛ معاني القرآن، النحاس: ٢ / ٤٤٨.

٤- انظر مثلاً: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري: ٧ / ٣١٦؛ تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: ٤ / ١٣٢٤.



- (إنَّ أزرَكَانَ جدَّه لأُمُّه أو كان عمُّه، لأنَّ أباه كان مؤمناً من حيث ثبت عندهم (أي الشيعة) أنَّ آباء النبي صلى الله عليه وآله إلى آدم كلهم كانوا موحدين لم يكن فيهم كافر، ... ولا خلاف بينهم في هذه المسألة) (١).
- (ولا خلاف بين النساين أن اسم أبي إبراهيم تارح، قال أصحابنا: إنَّ أزرَكَانَ اسم جد إبراهيم لأُمِّه، وروي أيضاً أنه كان عمُّه) (٢).

وما ذكره علماء الشيعة: أشار له السيد أحمد الحسن لما سُئل عن أزرهل كان والداً لإبراهيم؟ وما هي الموعدة في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" التوبة: ١١٤؟ فقال:

(اسم والد إبراهيم عليه السلام هو تارح وليس أزر، وتسمية العم أو الجد للأم بالأب أمر طبيعي؛ "قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِيَّ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا" مريم: ٤٦ - ٤٧، وعده إبراهيم عليه السلام أن يستغفر له، ووفي إبراهيم عليه السلام بوعده وأستغفر لأزر، ولكن لما مات على ضلالة علم أنه عدو الله ولم يستغفر له بعد موته: "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" (٣) انتهى.

ولتأكيد مسألة أنَّ أزر لم يكن والداً لإبراهيم عليه السلام، يمكننا ملاحظة أنَّ لفظ "الأب" لا يعني "الوالد" دائماً، فقد يطلق ويراد به الوالد وقد يطلق ويراد به المربي:

يقول السيد أحمد الحسن في توضيح هذا الأمر قرآنيًا:

١- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤ / ١٧٥.

٢- جوامع الجامع، الطبرسي: ١ / ٥٨٤. والرواية التي أشارت إلى أنه عمُّه هذه: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أزرعم إبراهيم عليه السلام منجماً لنمرود، وكان لا يصدر إلا عن رأيه، فقال: لقد رأيت في ليلتي عجباً، فقال: ما هو؟ قال: إن مولوداً يولد في أرضنا هذه يكون هلاكنا على يديه، فحجبت الرجال عن النساء وكان تارح وقع على أم إبراهيم فحملت. وساق الحديث إلى آخره) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ٤٢. لكن الصحيح أنه جدُّه لأُمِّه؛ تقديماً لرواية الجد على العم الموافقة لأقوال المخالفين لآل محمد صلوات الله عليهم وقد ثبت أنَّ أحد موازين الترجيح هي قاعدة "الرشد في خلافهم".

٣- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال رقم ٦٥٤.

(قال تعالى: "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا \* قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا \* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا \* فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا" مريم: ٤١ - ٥٠.

لاحظ قول إبراهيم: "قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا!"

إبراهيم وعده بالاستغفار، لكن هل استمر بالاستغفار لهذا الأب المذكور "أزر"؟!

واضح أنه لم يستمر: "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" التوبة: ١١٤.

لاحظ: "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ"، فهو يؤكد أن إبراهيم لم يستمر بالاستغفار لأزرو تبرأ منه.

لكن في سورة إبراهيم التي تحكي حال إبراهيم في آخر حياته نجد أن إبراهيم يستغفر لوالديه بوضوح تام:

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ \* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ \* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ \* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" إبراهيم: ٣٥ - ٤١.

والآن: كيف تبرأ إبراهيم من أبيه في بداية حياته بعد أن علم أنه عدو لله ثم يستغفر له في نهاية حياته؟!

التعليل المنطقي الوحيد هو أن الأول ليس والده.

في الآيات الأولى استعمل "أب" وفي الأخيرة "والد"، وهذا يؤكد أن آزر ليس والد إبراهيم، وأما إطلاق "أب" عليه؛ باعتبار أنه احتضنه ورباه) انتهى<sup>(١)</sup>.

أما بخصوص تحديد هوية "آزر" ومعرفة صلته النسبية بإبراهيم، يقول السيد أحمد الحسن:

(إبراهيم بن تارح بن ناحور.

ناحور لديه ولدان: تارح وهاران آزر، أي: هارون الوزير، سمي بذلك؛ لأنهم كانوا يبشرون بقائم آل إبراهيم ووصيه أي: موسى وأخوه هارون وزيره ووصيه. وهارون الوزير (آزر) هو الذي ذكره القرآن الكريم، ولديه بنت اسمها سارة تزوجها إبراهيم عليه السلام وأنجبت إسحاق.

من جهة أخرى: تارح "والد إبراهيم" لديه - إضافة لإبراهيم - ولد آخر اسمه هاران "هارون" أيضاً، وهاران هذا لديه ولد اسمه لوط، وبهذا يكون لوط ابن أخ إبراهيم.

هذا هو الواقع، أما النصوص التي يظهر منها غير ذلك من قبيل أن سارة ابنة خاله أو خالته، أو أن لوطاً أخوها وغير ذلك<sup>(٢)</sup>، فهو كلام بعيد وغير صحيح) انتهى<sup>(٣)</sup>.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- فمثلاً: روي أن لوطاً ابن خالة إبراهيم عليه السلام وأن سارة أخت لوط، انظر: علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٤٩: الكافي، الكليني: ٨ / ٣٧٠. وأيضاً: روي أن سارة بنت خاله، انظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٣٢.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

### تنبيهات:

١- أزr: باللغة الأكديّة (وهي من أقدم اللغات السامية كما هو معروف) تعني الوزير والمساعد، وهو لفظ احتفظ بدلالته في اللغات السامية الأحدث كالعبرية والعربية مثلاً، فيقال: أزره أي أعانه وساعده.

٢- اتضاح العلاقة النسبية بين إبراهيم وزوجته سارة (بنت عمّه)، وكذا بين إبراهيم وابن أخيه "لوط"، تجعلنا في غيٍّ عن التّأويلات التي ذكرها بعض العلماء؛ حيث إنهم اضطروا إليها بسبب بعض النصوص غير الصحيحة التي أوضحت العلاقة النسبية بين الثلاثة (إبراهيم، سارة، لوط) بغير ما ذكرناه، ولعل أحد أسباب الارتباك الذي حدث هو عدم تمييزهم بين هاران أو هارون "عم إبراهيم" وهاران أو هارون "أخو إبراهيم" كما توضّح لنا.

٣- لم تذكر نصوص العهد القديم هاران "هارون" عم إبراهيم الخليل، واكتفت بذكر هاران "هارون" أخيه؛ والد النبي لوط<sup>(١)</sup>.

### أخلاقه وبعض كمالاته:

قال تعالى في وصف جانب من أخلاقه:

- "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" التوبة: ١١٤.
- "إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الصافات: ٨٤.

القلب كثير التقلب، وهو أحد الوجوه في تسميته، لكن ما يلفت حقيقة هو عظمة مجاهدة نبي الله إبراهيم لنفسه إلى درجة أنه أوقف حالة "تقلب القلب" بين حواضن

---

١- (سفر التكوين - إصحاح ١١): "٢٦ وَعَاشَ تَارَحُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ أَبْرَامُ وَنَاخُورُ وَهَارَانُ. ٢٧ وَهَذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَوُلِدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاخُورَ وَهَارَانُ. وَوُلِدَ هَارَانُ لُوطًا. ٢٨ وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِلَادِهِ فِي أَوْرُ الْكَلْدَانِيِّينَ."

الخواطر ومتاهات الظنون وكدورة الأفكار الفاسدة حتى استحق أن يوصف بأنه صاحب "قلب سليم"! ومن قبل من؟ من قبل الله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية (١).

كان إبراهيم صلوات الله عليه رحيماً (٢)، بل سعة وشدة رحمته تظهر في دعائه لذريته (المؤمنين المذنبين) إلى يوم القيامة (٣).

١- (قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام: يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم الخلف، فقال له: يا عبد الله فإذا أنت كإبراهيم الخليل عليه السلام الذي قال الله: "وإن من شيعته لإبراهيم \* إذ جاء ربه بقلب سليم" فإن كان قلبك كقلبه فأنت من شيعتنا، وإن لم يكن قلبك كقلبه وهو ظاهر من الغش والغفل، فأنت من محبينا وإلا فإنك إن عرفت أنك بقولك كاذب فيه، إنك لمبتلى بفالج (شلل) لا يفارقك إلى الموت أو جذام ليكون كفارة لكذبك هذا) بحار الأنوار، المجلسي: ١٥٦/٦٥.

٢- من مظاهر رحمته: (عن إسماعيل ابن سهل وإسماعيل بن عباد، جميعاً يرفعانه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً ولا كافر إلا غنياً حتى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا" فصير الله في هؤلاء أموالاً وحاجة وفي هؤلاء أموالاً وحاجة) الكافي، الكليني، ٢/٢٦٢.

٣- (عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام خرج ذات يوم يسير ببغداد فمر بفلاة من الأرض فإذا هو برجل قائم يصلي قد قطع الأرض إلى السماء طوله ولباسه شعر، قال: فوقف عليه إبراهيم عليه السلام وعجب منه وجلس ينتظر فراغه، فلما طال عليه حركه بيده فقال له: إن لي حاجة فخفف، قال: فخفف الرجل وجلس إبراهيم عليه السلام، فقال له إبراهيم عليه السلام: لمن تصلي؟ فقال: لإله إبراهيم، فقال له: ومن إله إبراهيم، فقال: الذي خلقت وخلقني، فقال له إبراهيم عليه السلام: قد أعجبتني نحوك وأنا أحب أن أؤخيك في الله، أين منزلك إذا أردت زيارتك ولقاءك؟ فقال له الرجل: منزلي خلف هذه النطفة - وأشار بيده إلى البحر - وأما مصلاي فهذا الموضع تصبيني فيه إذا أردتني إن شاء الله. قال: ثم قال الرجل لإبراهيم عليه السلام: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: نعم، فقال له: وما هي؟ قال: تدعو الله وأؤمن على دعائك وأدعو أنا فتؤمن على دعائي، فقال الرجل: فبم ندعو الله؟ فقال إبراهيم عليه السلام: للمذنبين من المؤمنين، فقال الرجل لا، فقال إبراهيم عليه السلام: ولم؟ فقال: لأنني قد دعوت الله عز وجل منذ ثلاث سنين بدعوة لم أراجبها حتى الساعة وأنا أستحي من الله تعالى أن أدعوه حتى أعلم أنه قد أجابني، فقال إبراهيم عليه السلام: فبم دعوتك؟ فقال له الرجل: إني في مصلاي هذا ذات يوم إذ مر بي غلام أروع، النور يطلع من جبهته، له ذؤابة من خلفه ومعه بقري سوقها كأنما دهنت دهناً وغنم يسوقها كأنما دخست دخساً (سمينة) فأعجبتني ما رأيت منه فقلت له: يا غلام لمن هذا البقر والغنم؟ فقال لي: لإبراهيم عليه السلام، فقلت: ومن أنت؟ فقال: أنا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن فدعوت الله عز وجل وسألته أن يريني خليله فقال له إبراهيم عليه السلام: فأنا إبراهيم خليل الرحمن وذلك الغلام ابني فقال له الرجل عند ذلك: الحمد لله الذي أجاب دعوتي، ثم قبل الرجل صفحتي إبراهيم عليه السلام وعانقه، ثم قال: أما الآن فقم فادع حتى أؤمن على دعائك، فدعا إبراهيم عليه السلام للمؤمنين والمؤمنات والمذنبين من يومه ذلك بالمغفرة والرضا عنهم، قال: وأمن الرجل على دعائه. قال أبو جعفر عليه السلام: فدعوة إبراهيم عليه السلام باللغة للمؤمنين المذنبين من شيعتنا إلى يوم القيامة) الكافي، الكليني، ٨/٣٩٢ - ٣٩٤.

ولولا ما اتصف به من كمال ما اتخذ الله خليلاً، قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" النساء: ١٢٥.

اتخذ الله سبحانه عبده إبراهيم خليلاً؛ لأخلاقه وما يتصف به من كمال وتسليم لله سبحانه، فمعروف عن نبي الله إبراهيم شدة غيظه<sup>(١)</sup>. ومعروف عنه أيضاً شدة كرمه وأنه رجل مضياف، ولم يقل "لا" لسائل قط:

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إن إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف وإنه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟ قال: دخلتها بإذن ربها يردد ذلك ثلاث مرات فعرف إبراهيم عليه السلام أنه جبرئيل، فحمد الله، ثم قال: أرسلني ربك إلى عبد من عبيده يتخذ خليلاً، قال إبراهيم عليه السلام: فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت؟ قال: فأنت هو، قال: ومم ذلك؟ قال: لأنك لم تسأل أحداً شيئاً قط ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا)<sup>(٢)</sup>.

النص أكد أن سبب اتخاذ الله لعبده إبراهيم خليلاً له يتمثل بثلاثة أمور:

- ١- شدة ثقته بالله ورضاه بقدره وما اختاره له؛ لعلمه بأن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه؛ الأمر الذي دعاه إلى أن لا يسأل أحداً شيئاً.
- ٢- شدة كرمه الذي شهد به جبرئيل بقوله: "ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا!"

١- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه، وجدع الله أنف من لا يغار من المؤمنين والمسلمين) الكافي، الكليني: ٥ / ٥٣٦.

وعن (محمد بن علي بن الحسين: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب) المغني، ابن قدامة: ٨ / ١٣٧.

٢- الكافي، الكليني: ٤ / ٤٠.

وقال الألوسي: (في بعض الآثار أنه عليه السلام كان لا يتعدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخرج غداً فإذا هو بفوج من الملائكة عليهم السلام في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخلعوا أن بهم جذاماً فقال: الآن وجبت مؤاكلةكم شكرًا لله تعالى على أنه عافاني مما ابتلاكم به) تفسير الألوسي: ١٤ / ٢٥٠. وانظر أيضاً: تفسير الرازي: ٢٠ / ١٣٥.

٣- شدة تواضعه بين يدي الله وعدم تفضيل نفسه على أحد.

والأمر الأخير يكاد يكون خلقاً عاماً اتصف به جميع رسل الله، فسيرتهم قائمة على أنهم لا يفضلون أنفسهم على الآخرين، بل لا يظنون بأنفسهم أنّ لديهم من الأفعال ما يستحقون بها منزلة أو مدحاً وثناءً من الله، لذلك لما أخبر جبرئيل نبي الله إبراهيم بأنّ الله اتخذ له خليلاً من عباده لم يخطر بباله أنه المقصود، وإنما ذهب فكره مباشرة إلى رجل آخر؛ طلب من جبرئيل أن يدلّه عليه ليقوم بالتشرف بخدمته! وأيضاً: تساؤله عن سبب اتخاذه خليلاً "ومم ذلك" يؤكد شدة تواضعه وعدم ظنه بنفسه خيراً، والملفت أنّ نفس هذا التواضع كان سبباً أساسياً في الخلّة والاصطفاء<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: من مظاهر كرم إبراهيم أنه أول من نوع الطعام للضيف<sup>(٢)</sup>.

### ورعه وعبادته:

كان إبراهيم صلوات الله عليه كثير الدعاء (دعاء) والتضرّع إلى الله في صلاته وفي خلواته وفي كل حال<sup>(٣)</sup>، بل روي أنّ تأوّهه كان يُسمع من مسافة بعيدة، وكان في صلاته

١- روي: (أنّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنك لما سلّمت مالك للضيفان، وولدت للقربان، ونفسك للنيران، وقلبك للرحمن اتخذناك خليلاً) أمل الأمل، الحر العاملي: ١ / ١٤٦.

وقال الزمخشري: (قيل لإبراهيم الخليل عليه السلام: بم اتخذ الله خليلاً قال: بثلاث: ما خبرت بين شينين إلا اخترت الذي لله على غيره، وما اهتممت بما تكفل الله لي به، وما تغديت ولا تعشيت إلا مع ضيف) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري: ٣ / ٢٢٤.

٢- (عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: أول من لَوّن إبراهيم عليه السلام، وأول من هشم الثريد هاشم) الكافي، الكليني: ٦ / ٤٠٣١٧. "أول من لَوّن": أي نوع في الطعام.

٣- من النصوص التي تؤكد ذلك:

- (عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل يقول: "إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء، قلت: إنّ "إبراهيم لأواه حليم"؟ قال: الأواه هو الدعاء) الكافي، الكليني: ٢ / ٤٦٦.

- (عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأواه: المتضرع إلى الله في صلاته، وإذا خلا في قفرة في الأرض، وفي الخلوات) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ٥ / ١٦٣.

يُسمع له أزين كآزيز المرجل (أي: صوت غليان القدر)، ومثل ذلك روي عن حال الرسول محمد صلى الله عليه وآله وحال آله الطاهرين<sup>(١)</sup>.

كان إبراهيم عبداً شكوراً<sup>(٢)</sup>، كثير الحمد لله معتصماً بالله عن جميع محارمه<sup>(٣)</sup>.

وروي: (أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه، قال: أي يارب ما جزاء من يبذل الدمع وجهه من خشيتك؟ قال: صلواتي ورضواني، قال: فما جزاء من يصبر الحزين ابتغاء وجهك؟ قال: أكسوه ثياباً من الإيمان يتبوأ بها في الجنة ويتقي بها النار، قال: فما جزاء من سدد الأرملة (أو اهما) ابتغاء وجهك؟ قال: أقيمه في ظلي وأدخله جنتي، قال: فما جزاء من يتبع الجنابة ابتغاء وجهك؟ قال: تصلي ملائكتي على جسده وتشيع روحه)<sup>(٤)</sup>.

**ملاحظة:** نصوص العهد القديم (سفر التكوين - إصحاح ١٨) أشارت إلى كمال شخصية إبراهيم و اتصافه بالرحمة والتواضع والكرم وأنه رجل مضياف بصورة مثالية.

- (عن زرقال: سئل بن مسعود عن الأواه قال: هو الدعاء) المعجم الكبير، الطبراني: ٩ / ٢٠٦.

١- روى المجلسي، قال: (... وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك. وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله تعالى وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى، وكان الحسن إذا فرغ من وضوئه تتغير لونه، فقليل له في ذلك فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن تتغير لونه، ويروى مثل هذا عن زين العابدين عليه السلام) بحار الأنوار: ٦٧ / ٣٩٩ - ٤٠٠.

وروى أحمد بن حنبل بسنده: (عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صدره أزين كآزيز المرجل من البكاء) مسند أحمد: ٤ / ٢٥.

٢- (عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "وإبراهيم الذي وفى" قال: إنه كان يقول إذا أصبح وأمسى: "أصبحت وربى محمود، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو مع الله إلهاً آخر، ولا أتخذ من دونه ولياً" فسمي بذلك عبداً شكوراً) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٧.

٣- عن الإمام الباقر صلوات الله عليه، قال: (أصبح إبراهيم عليه السلام فرأى في لحيته شعرة بيضاء فقال: الحمد لله رب العالمين الذي بلغني هذا المبلغ ولم أعص الله طرفة عين) الكافي، الكليني: ٨ / ٣٩١ - ٣٩٢؛ مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٦٨.

٤- مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ١٠٧؛ الدعاء، الطبراني: ٣٧٠.



وفي إصحاحات أخرى وصفته بالإيمان والبر والاستقامة والكمال ونحوها من الخصال الراقية<sup>(١)</sup>.

### أعراق الثرى:

يُلقَّب إبراهيم بـ "عرق الثرى" أو "أعراق الثرى". وهو لقب ذكره الإمام الصادق عليه السلام لما عمد العباسيون إلى إحراق بيته في المدينة<sup>(٢)</sup>.

عرق أو أعراق الثرى: أي أصلها وصاحبها الحقيقي.

يقول السيد أحمد الحسن في شرح قول الإمام الصادق عليه السلام:

(أعراق الثرى: أي الممتدون في الأرض وعليها، بمعنى: أنا ابن أصحاب الأرض الحقيقيين وهم خلفاء الله "محمد وعلي والأئمة والأنبياء صلوات الله عليهم" فهم الذين في عين الله، والدنيا والأرض خلقت لهم وباقي الخلق لأجلهم، وذكر بعد ذلك أحدهم وهو جدّه إبراهيم عليه السلام الذي تعرّض لنفس موقفه الذي هو فيه.

القصد، الإمام يقول ما معناه: تستكثرون عليّ وجودي بينكم وإنما الدنيا والأرض خلقت لأجل آبائي ولأجلي وأنا الوارث الحقيقي، أفلا يكفيكم اغتصاب حقي حتى وصل الأمر إلى محاولة قتلي) انتهى<sup>(٣)</sup>.

١- ورد في (سفر التكوين - إصحاح ١٥): "فَأَمَّنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بَرًّا". وفي (التكوين - إصحاح ١٧): "..... ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا". وإصحاحات أخرى ذكرت شجاعته ومروءته وشدة تسليمه لله من خلال طاعته لربه في ذبح ولده كما سيتضح في البحوث القادمة.

٢- (عن المفضل بن عمر قال وجه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمد داره، فألقى النار في دار أبي عبد الله فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام) الكافي: ١ / ٤٧٣.

٣- يوم الحسين، د. علاء السالم: ٤ / ١٩٣ - ١٩٤.

## إبراهيم في نصوص أهل الكتاب الدينية والتاريخية:

من المهم أن نتعرف على نظرة أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) لسيرة إبراهيم الدعوية وطريقة تفاعلهم مع رسالته الإلهية، ليتمكن القارئ من تشخيص مواطن الخلل فيها عند اطلاعه على الحقيقة التي نطق بها رسل الله التالين.

فعلى مستوى النصوص الدينية، أفاض سفر التكوين (إصحاح ١١ - إصحاح ٢٥) في بيان سيرة إبراهيم "إبرام" عليه السلام، وأكد مولده في جنوب العراق في مدينة "أور"، وبخصوص نسبه: فقد أشارت نصوص السفر إلى أنه ابن تارح ثم رفعت نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام.

وهذه بعض الإشارات الإجمالية لمحتوى الإصحاحات المشار لها:

- "الإصحاح ١١": ذكر هجرة تارح من "أور" برفقة ابنه إبراهيم، وابن ابنه الأخرلوط، وكذلك اصطحب سارة (زوجة ابنه إبراهيم)، فتوجهوا إلى حاران وفيها مات "تارح".

- "الإصحاح ١٢": أشار إلى هجرة إبراهيم من حاران إلى أرض كنعان، واستقراره مع الكنعانيين فترة حيث نصب خيمته في بيت إيل (قرب القدس)، وكان يرتحل منها إلى الجنوب مراراً (لم يحدد الموضع بالضبط)، ثم حدثت مجاعة اضطرت إبراهيم للذهاب إلى مصر برفقة زوجته سارة، وبحسب النص التوراتي فإن إبراهيم اتفق معها على أن تقول لحرس الحدود إنها أخته؛ لشدة غيبتها عليها، وبعد أن أكرمه الملك طمع بالزواج من سارة، لكن الله حال بينه وبينها فرأى آيات صرفته عن مراده، ثم أطلق إبراهيم وزوجته.

- "الإصحاح ١٣": ذكر عودة إبراهيم وزوجته من مصر إلى بيت إيل، وقيامه بقسمة الأرض بينه وبين لوط، فسكن هو في أرض كنعان واختار لوط أرض الأردن (سدوم وعمورة قبل خرابهما).

- "الإصحاح ١٤": تعرّض للأحداث والحروب التي حصلت بين الملك "أمر افل" وبين ملوك آخرين في مناطق تقع بالقرب من مسكن إبراهيم، وفيه تظهر شجاعة إبراهيم عليه

السلام؛ إذ لما بلغه وقوع أخيه في الأسر ذهب ومعه بعض أنصاره لتحريره من قوات "أمرافل"، وفعلاً تمكن من ذلك وكان ملكي صادق من ضمن المستقبلين له بعد عودته.

- "الإصحاح ١٥": فيه بيان وعد الله لإبراهيم بأن يكثر نسله ويعطيهم الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات، فطلب إبراهيم برهاناً على ذلك فأمره أن يأخذ أربعة من الحيوانات ... إلخ.

- "الإصحاح ١٦": تحدّث عن زواج إبراهيم بهاجر وولادة إسماعيل، وكان إبراهيم بعمر ٨٦ عاماً بحسب النص<sup>(١)</sup>.

- "الإصحاح ١٧": تحدّث عن ولادة إسحاق، وإبراهيم كان بعمر ٩٩ عاماً بحسب النص<sup>(٢)</sup>.

١- "وَأَمَّا سَارَائِي امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، ٢ فَقَالَتْ سَارَائِي لِأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوَلَادَةِ. ادْخُلْ عَلَيَّ جَارِيَتِي لَعَلِّي أُزْزِقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَائِي. ٣ فَأَخَذَتْ سَارَائِي امْرَأَةَ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشْرِ سِنِينَ لِإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَأَعْطَتْهَا لِأَبْرَامَ رَجُلَهَا زَوْجَةً لَهُ. ٤ فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ. وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ مَوْلَاتُهَا فِي عَيْنَيْهَا. ... ٦ فَقَالَ أَبْرَامُ لِسَارَائِي: «هُوَذَا جَارِيَتُكَ فِي يَدِكَ. افْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ». فَأَذَلَّتْهَا سَارَائِي، فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهٍهَا. ٧ فَوَجَدَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. .... ١٥ فَوَلَدَتْ هَاجَرَ لِأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرَ «إِسْمَاعِيلَ». ١٦ كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ سَبْتٍ وَتَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ لِأَبْرَامَ".

٢- "وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا، ٢ فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأَكْثِرُكَ كَثِيرًا جَدًّا». .... ٥ فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لْجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ. ٦ وَأَثْمِرُكَ كَثِيرًا جَدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكُكَ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. ٧ وَأَقِيمَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لَأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. .... ١٥ وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «سَارَائِي امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو اسْمَهَا سَارَائِي، بَلْ اسْمُهَا سَارَةُ. ١٦ وَأَبَارِكْهَا وَأَعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أَبَارِكْهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ». ١٧ فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى وَجْهِهِ وَضَجَّكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لَابْنٍ مِثْلَ سَنَةِ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟» ١٨ وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ لِلَّهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشَ أَمَامَكَ!» ١٩ فَقَالَ اللَّهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمَ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. ٢٠ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتَ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَثْمِرُهُ وَأَكْثِرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِثْنِي عَشَرَ رَتِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَةً كَبِيرَةً. ٢١ وَلَكِنْ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ».

- "الإصحاحان ١٨، ١٩": تعرّض أولاهما لبيان التمهيد لنزول العذاب على قوم لوط في سدوم وعمورة وحوار إبراهيم مع ملائكة العذاب لتخليص لوط ومن آمن به، بينما تكفل الثاني بيان العذاب النازل على المذنبين.

- "الإصحاح ٢٠": عاد لذكر انتقال إبراهيم إلى أرض الجنوب ولقائه بملك جرار "أبيمالك" الذي أراد الاقتراب من زوجته سارة فقال الله بينه وبين مراده لما رأى آيات أصابته وأهل بيته، ثم ارتفعت عنه بدعاء إبراهيم فأكرم إبراهيم وزوجته.

- "الإصحاح ٢١": ذكر مجدداً ولادة إسماعيل من هاجر وولادة إسحاق من سارة، وبالنسبة لموضع نشأة إسماعيل فقد أشار النص إلى أنه "برية فاران" (١).

- "الإصحاح ٢٢": ذكر امتحان إبراهيم بذبح ولده وشدة تسليمه لأمر الله، وبحسب النص فإنّ الذبيح هو إسحاق: "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق ....."، وأخيراً تم فداؤه بكبش بري (٢).

١- ..... ٩ ورأت سارة ابن هاجر المصريّة الذي ولدته لإبراهيم يمزح، ١٠ فقالت لإبراهيم: «اطرُد هذه الجارية وابنيها، لأنّ ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق». ١١ ففجّح الكلام جدّاً في عيني إبراهيم لسبب ابنه. ١٢ فقال الله لإبراهيم: «لا يقبُح في عينيّك من أجل الغلام ومن أجل جاريّتك. في كلّ ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنّه بإسحاق يُدعى لك نسل». ١٣ وابن الجارية أيضاً سأجعله أمةً لأنّه نسلك». ١٤ فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقيرّة ماءً وأعطاهما لهماجر، واضعاً إياهما على كتفيها، والولد، وصرفهما. فمضت وتاهت في برية بئر سبع. ١٥ ولما فرغ الماء من القيرّة طرخت الولد تحت إحدى الأشجار. ١٦ ومضت وجلست مقابلته بعيداً نحو رميّة قوسي، لأنّها قالت: «لا أنظر موت الولد». فجلست مقابلته ورفعت صوتها وبكت. ١٧ فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملائكة الله هاجر من السماء وقال لها: «ما لك يا هاجر؟ لا تخافي، لأنّ الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو». ١٨ فومي احمل الغلام وشدي يدك به، لأنّي سأجعله أمةً عظيمة». ١٩ وفتح الله عينها فأبصرت بئراً، فذهبت وملأت القيرّة ماءً وسقت الغلام. ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينموزمي قوسي. ٢١ وسكن في برية فاران، وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر".

٢- "١ وحَدَّث بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُور أَنَّ اللَّهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!» فَقَالَ: «هَآنَذَا». ٢ فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمَرْيَا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». ٣ فَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحاً وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطْبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ. .... ٧ وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!» فَقَالَ: «هَآنَذَا يَا ابْنِي». فَقَالَ: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطْبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْخُرُوفُ لِمُحْرَقَةٍ؟» ٨ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ لِمُحْرَقَةٍ يَا ابْنِي».

- "الإصحاح ٢٣": ذكر وفاة "سارة" وقيام إبراهيم بدفنها في مقبرة حبرون التي اشترى أرضها من أحد الكنعانيين، وفي السفر يعترف إبراهيم بأنه غريب بينهم ونزيل عندهم<sup>(١)</sup>.

- "الإصحاح ٢٤": أشار إلى إرسال إبراهيم أحد مواليه إلى عشيرته وقومه ليخطب منهم زوجة لابنه إسحاق؛ إذ لم يرغب بتزويجه من نساء الكنعانيين.

- "الإصحاح ٢٥": ذكر وفاة إبراهيم صلوات الله عليه<sup>(٢)</sup>.

وأما على مستوى النص التاريخي، فاكثفي بنصين لمؤرخين:

**الأول:** مؤرخ يهودي قديم اسمه "يوسفوس"، يظهر من كلامه أنه مستقى من نصوص سفر التكوين التي تقدمت؛ حيث ذكر أنّ إبراهيم هو العاشر من ولد نوح، ترك بلاد الكلدانيين وذهب إلى كنعان بأمر الله، وبعد مدة من إقامته فيها أصاب كنعان قحط هاجر إبراهيم إلى مصر برفقة زوجته سارة، وخاف على زوجته من شدة جمالها، وأراد الملك أن يأخذها لكن الله منعه بآية، فقرّبه الملك وازدادت شهرته بمصر ونشر دعوته وعلمه فيها، ثم عاد إلى أرض كنعان وقسم الأرض بينه وبين ابن أخيه لوط.

فَدَهَبَا كِلَاهُمَا مَعًا. ٩ فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ١٠ ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السَّكِينِ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. ١١ فَتَنَادَاهُ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!» فَقَالَ: «هَآنَذَا» ١٢ فَقَالَ: «لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْعُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفُ اللهِ، فَلَمْ تُمَسِّكْ ابْنَكَ وَجِيدَكَ عَنِّي». ١٣ فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبِشٌ وَرَاءَهُ مُمَسَّكًا فِي الْعَاقِبَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَدَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبِشَ وَأَصْبَعَهُ مُحْرِقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ. ... ١٥ وَتَنَادَى مَلَائِكَةُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ ١٦ وَقَالَ: «بِذَايَ أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَمْ تُمَسِّكْ ابْنَكَ وَجِيدَكَ، ١٧ أَتَبَارَكُ مُبَارَكَةً، وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ تَكْثِيرًا كُنْجُومَ السَّمَاءِ وَكَالزَّمَلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ نَسْلَكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، ١٨ وَتَبْتَارِكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعِ أُمَمِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي».

١- "... ٢ وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرَبَعِ، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَاتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِي عَلَيْهَا. ٣ وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَمَامِ مَيِّتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حَيْثَ قَائِلًا: ٤ «أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرِ مَعَكُمْ لِأَذْفِنَ مَيِّتِي مِنْ أَمَامِي». ..... ١٤ فَأَجَابَ عِفْرُونُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلًا لَهُ: ١٥ «يَا سَيِّدِي، اسْمَعْنِي. أَرْضُ يَارَبِّعِ مِئَةَ شَاقِلِ فَضَّةٍ، مَا هِيَ بِنَيْي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيِّتَكَ». ..... ١٩ وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ أَمْرًا أَنَّهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ».

٢- "... ٨ وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبْعَانًا أَيَّامًا، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. ....».

أيضاً: روى يوسفوس ولادة إسماعيل ثم إسحاق، وإصرار سارة على إبعاد هاجر وابنها فخرجا إلى البرية وكاد الغلام أن يموت عطشاً تحت شجرة لولا أن ملكاً من الرب هدى هاجر أمه إلى ينبوع ماء قريب، ولما بلغ الصبي مبلغ الرجال زوّجته أمه من امرأة مصرية فولدت له اثنا عشر ولداً استولوا على الأرض من العراق إلى البحر الأحمر وسمّوا بالنبطيين. وأنهى يوسفوس روايته عن إبراهيم بخبر وفاته وقيام إسماعيل وإسحاق بدفنه إلى جنب زوجته سارة في مقبرة حبرون في الموضع الذي اشتراه إبراهيم<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** مؤرخ مسيحي غريغوريوس الملطي "ابن العبري"، يقول: (إبراهيم بن ترح: ولد له اسحق وعمره مائة سنة. وجميع أيامه مائة وخمس وسبعون سنة. ولما أتت عليه خمس عشرة سنة استجاب له الله تعالى في العقاق التي كانت تفسد في أرض الكلدانيين وتمحق زروعهم. وأحرق إبراهيم هيكل الأصنام بقرية الكلدانيين ودخل هاران أخوه ليطفئ النار فاحترق ولذلك فر إبراهيم وعمره ستون سنة مع أبيه ترح وناحور أخيه ولوط بن هاران أخيه المحترق إلى مدينة حرّان وسكنها أربع عشرة سنة. ثم خاطبه الله قائلاً: انتقل عن هذه الديار التي هي ديار آبائك إلى حيث أمرك. فأخذ سارا امرأته ولوط ابن أخيه وصعد إلى أرض كنعان وحارب ملوك كدر لعمر وقهرهم. وفي عودته من المحاربة اجتمع بملكي زدق الكاهن الأعظم وخرّ على وجهه بين يديه وأعطاه عشرة من السلب وباركه ملكي زدق. وفي سنة خمس وثمانين من عمره وعده الله أن يجعل نسله كعدد الكواكب التي في السماء وذريته كرمل البحار فوثق إبراهيم بالله حق الثقة.

وفي هذه السنة دخل إلى مصر ووشي بحسن سارا امرأته إلى فرعون فسأل إبراهيم عنها. فقال: هي أختي من أبي لا من أمي. ولم يكذب بقوله هذا لأنها كانت ابنة عمه فأقام جدهما مكان أبيهما. فاخترها فرعون إلى نفسه مختلياً حتى حقق أنها زوجته فردّها إليه مع هدايا جزيلة من جملتها هاجر المصرية أمة سارا وتقدم إليه بالانتزاع من بلده خوفاً من أن يهيج في صدره هاجس سوء ثانياً. ولأنه لم يكن لإبراهيم ولد من امرأته سارا سمحت بجارتها هاجر فوطئها إبراهيم وولدت له إسماعيل. واستهانت هاجر بسارا مولاتها شامخة عليها بسبب ولدها فأزاحتها سارا من عندها إلى القفر بغيظة منها فتراءى ملك الرب لهاجر

١- تاريخ يوسفوس، نقلاً عنه: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد: ص ٩١ - ٩٧.

قائلاً: لا تيأسي من رحمة ربك فان الله قد بارك على الصبي حين خاطب أباه إبراهيم. وكان خاتمة البركة باللغة السريانية هكذا: وأكبرته طب وطب وأعظمته جداً جداً.....

وبعد مائة سنة مضت من عمر إبراهيم ولد له اسحق من سارا. ولما حصل لإسحاق تسع عشرة سنة أصعبه إبراهيم لجبل نابو ليضحي به ضحية لله تعالى ففداه الله بحمل مأخوذ من الشجرة وأنقذه. والحمل مثال لسيدنا يسوع المسيح له المجد الذي فدى العالم بنفسه ولذلك قال في إنجيله المقدس: ان إبراهيم كان يرجو ان يشاهد يومي فشاهد وسرّ. وقيل في تلك السنة تم ملكي زدق بناء أورشليم. وفي ثماني وثلثين سنة من عمر اسحق درجت سارا أمّه وعمرها مائة وسبع وعشرون سنة. وتزوج إبراهيم قنطورا ابنة ملك الترك. ولما بلغ اسحق أربعين سنة نزل ايليعازر وليد بيت إبراهيم إلى حرّان وجاء برفقا زوجة اسحق ولما توفي إبراهيم دفن إلى جانب قبر سارا زوجته في المغارة المضاعفة التي ابتاعها من عفرون الحيثاني<sup>(١)</sup>.

### تعقيب وملاحظات عشر:

١- سيأتي لاحقاً (ضمن رسالة موسى عليه السلام) بحث كيفية جمع التوراة وتدوينها بعد وفاته، وباختصار الآن أقول: إنّ التوراة لم تجمع في عهد موسى ولا حتى بعد وفاته بفترة قليلة، وإنما احتاج الأمر إلى مئات السنين، إذ سيتضح أنها جمعت من عدة نسخ أهمها: نسخة "ألوهيم" ونسخة "يهوا" ونسخة الكهنة الذين جمعوا كتب الشريعة، وبعض هذه النسخ تمت كتابتها في عهد مملكة بني إسرائيل، ومنها ما كتب في المنفى ببلاذ ما بين النهرين، ومنها ما كتب قبل الميلاد بثلاثة قرون تقريباً، وجميع هذه الفترات متأخرة عن عصر إبراهيم عليه السلام بوقت طويل جداً، بل متأخرة عن زمن موسى عليه السلام وعصر النص التوراتي نفسه.

١- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي (ابن العبري): ١٣ - ١٤.

بحسب كونراد شميد<sup>(١)</sup> في بحثه عن التاريخ الأدبي للأسفار الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية) التي تشكل التوراة أو العهد القديم، وإعادة بناء عمليات التحرير التي أدت إلى صياغتها النهائية، يرجح "شميد" أن القرن ٩ - ٨ ق.م شهد كتابة أولى نصوص التوراة لدى إسرائيل القديمة، بينما لم يحصل اكتمال كتابتها إلا في الفترة التي تزامنت مع سقوط الإمبراطورية الفارسية في القرن الثالث قبل الميلاد<sup>(٢)</sup>.

وبكل الأحوال، فإنّ الفاصل بين تاريخ بداية تدوين نصوص التوراة وبين بعثة إبراهيم يقرب من الألف عام، وهي فترة طويلة جداً بلا شك، وتكون احتمالية تحريف النص أو حتى إغفال ذكر بعض الحوادث المهمة منه كبيرة؛ خصوصاً إذا ما صاحبها دواعي شخصية لها مساس بموقف ديني أو طائفي أو قومي وعرقي معين!

وعموماً، لم يكن العهد القديم المرجع الوحيد لليهود في عرض سيرة إبراهيم عليه السلام وإنما لديهم كتب أخرى أضافت وفصلت في سيرته، أهمها:

"المشنا"<sup>(٣)</sup>: أهم المراجع عندهم بعد التوراة هو كتاب المشنا القديمة، والفرق بينه وبين التوراة: أنّ التوراة نص مقروء ومكتوب، وأما المشنا فهو المحفوظ شفاهة ثم دُون بعد ذلك (في القرن الثاني الميلادي)، ومن المشنا: التلمود بنشأته الأولى التي تعود إلى أيام

١- أستاذ اليهودية القديمة بجامعة زيورخ. شغل منصب أستاذ للكتاب المقدس العبري بجامعة هايدلبرغ (١٩٩٩-٢٠٠٢). وفي الفترة ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ م كان عضواً مُقيماً في مركز البحث اللاهوتي بجامعة برينستون. وفي الفترة ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م شارك في إدارة مجموعة بحثية حول نشأة الأسفار الخمسة في معهد إسرائيل للدراسات المتقدمة بالجامعة العبرية في القدس. وفي الفصل الدراسي لعام ٢٠١٧، أصبح عضواً في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون.

٢- بحث: من كتب التوراة؟ الركائز النصية والتاريخية والاجتماعية والأيدولوجية لتشكيل الأسفار الخمسة، كونراد شميد، نشر عام ٢٠١٨ م، متاح على الرابط التالي:

<https://www.ias.edu/ideas/٢٠١٨/schmid-torah>

٣- بحسب اللغة العبرية، المشنا لغة: يعني التعلم والتكرار، واصطلاحاً: يعني مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهة، انظر: ترجمة متن التلمود (المشنا)، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور: ٧ - ٨، مقدمة المترجم.



النفي في بابل. ولديهم أيضاً: "المدرّاش" أو الدراسات والكتب التعليمية التي تتضمن أقوال فقهاءهم (الحاخامات) وحواشيهم على النصوص والمحفوظات. وأهمها: كتاب "اليوبيل".

٢- بعض الأحداث الخاصة بسيرة إبراهيم، التي لم يرد ذكرها في نصوص العهد القديم "التوراة"، ذكرت ضمن كتب المشنا أو المدرّاش، منها:

- خفاء ولادة إبراهيم، ذكرها كتاب "اليوبيل" الذي أكد أنّ مولده كان مرصوداً في الكواكب فاطلع عليه النمرود واستشار الملاء فأشاروا عليه بقتل كل طفل ذكر واستحياء البنات وإغداق العطايا على أهلن ليفرحوا بمولد البنات. ولما أحس تارح بحمل امرأته لم يظهر عليها الحمل وهربت حين جاءها المخاض فأوت إلى كهف ولدت فيه فبقي ثلاث عشرة سنة لا يرى الشمس وأرسل الله جبرئيل يرعاه فكبر قبل أوانه، فخرج من الكهف بعد ثلاث سنين فرأى الكواكب الثلاث فلما أفلتت جميعاً قال: "ما هذه بأرباب إنما الرب هو الذي يديرها ويسيرها ويبيدها ويخفيها"<sup>(١)</sup>.

- حوار مع قومه ومع أبيه ومع النمرود، وقصة تحطيمه للأصنام التي تسببت بسجنه ومنع الماء والطعام عنه، ثم عزم نمرود على قتله بالسيف وصولاً إلى أمره بحرقه من خلال رميه بالمنجنيق وسط النار وكاد أن يقضي عليه لولا أنّ الله نجاه من المحرقة!

قصة الحرق وما سبقها من أحداث لم يرد ذكرها أيضاً في نصوص التوراة لكن "المدرّاش - سفر التكوين ربا" تطرق لها. ومع هذا يشكك الرأي الرسمي اليهودي بحصولها بحجة عدم ورودها ضمن نصوص التوراة، وبحسبهم: فإنّ الحادثة لم تكن معروفة قبل "يوناثان بن عزيريل" في بابل حيث كان يجهل اللغة البابلية فالتبس عليه معنى "أور" - التي تعني بالكلدانية نار وبالعبرية نور - فظن أنّ نجاة إبراهيم من أور الكلدانيين يعني نجاته من نار أججوها بينما المقصود نجاته من نار الوثنية<sup>(٢)؟</sup>!

١- انظر: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد: ٣٧.

٢- انظر: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد: ٣٩. و انظر أيضاً ورود الحادثة في "مدرّاش ربا" وردود بعضهم عليها:

أما المسيحيون، فلا تكاد تختلف سيرة إبراهيم عليه السلام عندهم عن اليهود؛ لاعتقادهم بنصوص العهد القديم. نعم، لديهم إضافات بخصوص بعض المسائل التي تناولها "الإنجيل" أو شراحه بأفق أوسع؛ منها مثلاً: عدم صحة أن يكون المقصود بذرية إبراهيم في النصوص المتقدمة مجموعة محددة ترتبط به نسباً كما هو المعتقد اليهودي، وإنما المقصود بهم: "السائرون على نهجه"<sup>(١)</sup>.

٣- بعض فقهاء اللاهوت حاول أن يربط بين الملك "امرافل" الذي حاربه إبراهيم بحسب نصوص سفر التكوين وبين شخصية "حمورابي" الذي حكم بابل في الفترة بين ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م<sup>(٢)</sup>، واعترض آخرون بأن فترة ظهور إبراهيم عليه السلام سبقت ذلك وأنه يعود إلى حدود ٢٠٠٠ ق.م أو أكثر أو أقل بقليل، وسعى آخرون لدفع الاعتراض وإيجاد المبررات بوجه من الوجوه<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن، فإنّ المسألة المذكورة برمتها غير مهمة بالنسبة لنا؛ فما يعنينا هو البحث في رسالة إبراهيم صلوات الله عليه ومسايرة حركتها، والأهم: تسليط الضوء على الأحداث ذات الصلة بالدين الإلهي والتخطيط المستقبلي لمسيرة حركة رسل الله، ومعلوم أنّ إبراهيم أبعد من بلاد ما بين النهرين وتركها متوجهاً غرباً إلى بلاد الشام ومصر والحجاز في زمن الطاغية "نمرود" ولم يثبت أنه عاد إلى العراق في حياته.

٤- بخصوص الأصل القريب الذي ينحدر منه إبراهيم عليه السلام، أكدت تعليقات "أبنجدون Abingdon" التي اشترك في تأليفها سبعون عالماً من علماء التاريخ الديني

١- ورد في إنجيل متى، الإصحاح ٨: ١٠. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلَا فِي إِسْرَائِيلَ إِيْمَانًا بِمَقْدَارِ هَذَا! ١١ وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَكَنُّونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، ١٢ وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ. ٣٩ أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!"

٢- التحديد مأخوذ من مسألة حمورابي القانونية الشهيرة التي يعود تاريخها إلى عام ١٧٥٤ ق.م وغيرها من الألواح والرقم الطينية المكتشفة، و أيضاً: بحسب موسوعة ويستمنستر Westminster.

٣- للاطلاع على ذلك، يمكن ملاحظة:

والتوراتي: أنّ تاريخ العبريين الرسمي يبتدئ بقبيلة من القبائل الآرامية التي سكنت إلى جوار مدينة أور في جنوب العراق وعند نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد هاجر فريق منهم إلى الشمال برئاسة تارح، كما جاء في الإصحاح ١١ من سفر التكوين. وربما كان من أسباب هذه الهجرة اضطراب سياسي في جنوب العراق أصابت جرائره معيشة أهل أور فلم تستقر عليه أحوال المعيشة والتجارة عندهم. وهذا الفرض يرجع بالحركة إلى ما بين سنة ٢٣٠٠ وسنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد. وكيفما كان الأمر، فإنّ الهجرة حصلت ونزل القوم فترة بجوار حاران إلى شمال الهلال الخصيب، وظلت طوائف من القبائل تترحل غرباً وجنوباً حيث صادف بعضها أرض المرعى والزرع قرب وادي الفرات والأقاليم الجبلية المخصصة فاستقروا في مدن أشهرها دمشق، ومضت طائفة أخرى بقيادة ابرام بن تارح إلى أن استقر بها السير البطيء في مجراها تارة إلى غرب الأردن وتارة إلى شرقه وحيناً قرب دمشق وحيناً قرب حدود مصر، وخلال ذلك تمر بنا قصة هؤلاء البدو مع المصريين وأخبار عن العلاقات بين الآباء العبريين وسكان كنعان المستقرين<sup>(١)</sup>.

**أقول:** بالنسبة لنا فإنّ معرفتنا بأصول إبراهيم القريبة (وكذا البعيدة) تتضح من خلال معرفتنا ببحوث الجزء الأول من كتاب "الرسالة" التي عرضنا فيها بعثة آدم ونوح عليهما السلام، حيث تبين لنا هناك من خلال عرض الأدلة العلمية والدينية أنّ رسالة الله انطلقت بين المجموعة المهاجرة من أفريقيا التي استوطنت حوض الخليج "الوادي الخصيب"، وأنّ آدم عليه السلام بُعث فيهم في الـ ٢٠ - ٣٠ ألف سنة الأخيرة، ثم تلاه بعثة الرسل الأوائل لنفس الأقوام والقرى المنتشرة في الوادي وهؤلاء هم (السومريين الأوائل)؛ وصولاً إلى بعثة نوح عليه السلام بينهم أيضاً، وبعد حدوث الطوفان وغمر الوادي بمياه البحر نزح نوح بسفينته التي حملت المؤمنين به (ومنهم ولده) إلى حيث مرساها في بلاد ما بين النهرين، ومنذ تلك اللحظة احتضنت بلاد ما بين النهرين رسالة الله بشكل صريح فاستمر نوح فيها إلى أن توفي ودفن في "الغري" من أرض النجف (ظهر الكوفة) إلى جنب أبيه آدم الذي حمل رفاقته معه كما عرفنا، ثم استمرت بعثات رسل الله في بلاد ما بين النهرين بعد نوح ابتداء بولده سام ومن تلاه مروراً بأنبياء الله هود وصالح اللذين بعثا وعاشا في بلاد ما بين النهرين إلى حين وفاتهما ودفنهما بجوار أبويهما آدم ونوح

١- انظر: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد: ٥٨.

عليهما السلام، وصولاً إلى بعثة خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي تنحدر أصوله من سام بن نوح عليهما السلام كما هو المتفق عليه لدى أتباع الأديان.

وهذا يعني أنّ السومريين والأكاديين الذين ولد إبراهيم بينهم في "أور" هم أحفاد السومريين الأوائل الذين تحدثوا عنهم في ألواحهم ورقمهم الطينية وأرخوا ملوكهم في "تبت الملوك" ومنهم آدم وإدريس ونوح كما عرفنا سابقاً، فإبراهيم - والحال هذه - رجل تعود أصوله القربة إلى عائلة سومرية سامية تسكن جنوب العراق، أما أصوله البعيدة فتعود إلى السومريين الأوائل وتحديداً إلى سام بن نوح كما تبين. مع الالتفات إلى أنّ كلامنا لا ينحصر بجهة الرسل والمؤمنين بهم، وإنما يشمل الآخرين أيضاً؛ باعتبار أنّ الجميع ينتهي إلى آدم ومن كان معه، وبخصوص نوح عليه السلام فقد كان له أولاد ثلاثة: سام وحام ويافت، وعرضنا سابقاً النصوص التي أكدت أنّ "الرسل" ينحدرون من نسل سام بعد أن كانوا ينحدرون قبله من نسل هبة الله "شيث"، وأما أعداء الرسل فغالباً ما ينحدرون من نسل حام بعد أن كانوا ينحدرون قبله من قابيل، ولهذا ذكر بعض المؤرخين أنّ نمرود بن كنعان هو من ذرية حام<sup>(١)</sup>، وليس الأمر غريباً وإنما هو شبيه بسيرة أبناء قابيل الذين توارثوا محاربة وعداء الرسل (أبناء هبة الله بن آدم) مع أنهم أبناء عمومتهم، وكذا الحال في محاربة نسل حام للرسل (أبناء سام بن نوح) مع أنهم أبناء عمومتهم أيضاً!

وأيضاً: عرفنا سابقاً أنّ البشر (غالبيتهم الساحقة) من الناحية الجينية (كما هو الثابت علمياً) يعودون بأصولهم إلى المجموعة التي استوطنت حوض الخليج وجنوب العراق لاحقاً، ثم هاجروا منهما شرقاً وغرباً، وبالتالي فكل التسميات اللاحقة للقبائل والشعوب التي استوطنت الهلال الخصيب أو خارجه، وسواء الخاضعة منها تحت مظلة "الساميين" أو تحت مسميات أخرى (متفرعة عن السامية أو عن غيرها)، كلهم يعودون

١- انظر على سبيل المثال: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٣٣٧ / ١٧؛ تاريخ الطبري: ١ / ١٣٩؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١ / ١٧١؛ حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ١ / ٨٦؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي: ١ / ٢١٨؛ معارج نهج البلاغة، علي بن زيد البيهقي: ٣٠٣.

في أصولهم إلى السومريين الأوائل <sup>(١)</sup>، ومنهم بالتأكيد من أطلق عليهم لاحقاً اسم "العبرانيين": أهل إبراهيم وذريته.

يقول السيد أحمد الحسن: (السومريون أو الأكاديون قوم لديهم أقدم حضارة وثقافة ذات قيمة حقيقية مسجلة حتى الآن ولديهم أقدم ديانة منظمة ومعروفة حتى الآن، وإذا نظرنا للدين على أنه تاريخ ثقافي فقط فستكون الديانات الإلهية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام مجرد ناقلة للديانة السومرية الأكادية ومجترعة لها لا أكثر، فقصة الخلق والطوفان ونوح والقصص والأمثال والقيم الأخلاقية العليا والسلوك المتسامي لبعض الأفراد والعبادات والدعاء والتضرع إلى الإله هذه كلها أمور موجودة في الديانة السومرية. إضافة إلى أن الديانات الإبراهيمية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ترجع كلها بالأصل إلى إبراهيم عليه السلام الذي جاء من سومر) انتهى <sup>(٢)</sup>.

٥- واضح أن نصوص سفر التكوين أغفلت ذكر أي دور قام به إبراهيم عليه السلام قبل خروجه من بلاد ما بين النهرين، وكأن بعثته ورسالته بدأت بعد وصوله إلى أرض كنعان في بلاد الشام! هذا، مع أن الواقع يقول بخلاف ذلك، فرسالة إبراهيم بدأت في بلاد ما بين النهرين، ومضى على بعثته فيها فترة من الزمن دعا إبراهيم خلالها قومه وقرى السواد إلى

---

١- (الهلال الخصيب هي منطقة جغرافية تنظم نطاق من الأراضي الخصبة على شكل هلال، يمتد من خليج العقبة غرباً حتى الخليج العربي شرقاً، وتنظم كل من بلاد الرافدين وسورية والساحل الفينيقي، وقد أطلق المصطلح لأول مرة من طرف العالم الأثري الأمريكي "جيمس هنري برستد"، حيث يقول: "أنه لا يوجد اسم جغرافي أو سياسي يطلق على المنطقة التي تتجمع في نصف دائرة، فنحن مضطرون عند الحديث على هذا الجزء من الناحية التاريخية كوحدة أن نجد اسماً له، ولهذا نطلق عليه ... اسم الهلال الخصيب، وبالإنجليزية "The Fertile Crexent" وأصبح هذا الاسم منذ ذلك العهد شائع الاستعمال". وقد غلب على الهلال الخصيب الشعوب السامية ... التي عمرت وتعايشت في الهلال الخصيب حتى نهاية الألف الأول ق.م هم: السومريون، الأكاديون، البابليون، الآشوريون، والكلدانيون، الآراميون، الفينيقيون، العبرانيون) دفاثر البحوث العلمية: المجلد ٥، العدد ٢، الصفحة: ٢٧٨ - ٣٠٣، بتاريخ: ١٠/١٢/٢٠١٧، الكاتب: مالية بصال، بعنوان: قراءة في طيوغرافية وديمغرافية الهلال الخصيب إلى غاية الألف الأول قبل الميلاد، متاح على:

عبادة الله وترك عبادة غيره، بل دعوته إلى التوحيد بدأت منذ طفولته كما لاحظناه في روايات أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله التي ذكرت ولادته.

بالتأكيد، هذا الإغفال تبعه إغفال أمور أخرى مهمة حدثت في رسالته، منها: احتجاجاته الكثيرة ونقاشاته الدينية التي أجراها مع أبيه (عمّه) ومع قومه، بل مع النمرود نفسه. وأيضاً: ما فعله بأصنامهم وتمثيلهم التي حطّمها بفأسه، وكذلك: إغفال مجمل نشاطه وحركته الرسالية الضخمة التي هزت عرش الجبار المتكبر "نمرود". علماً، أنّ شخصية إبراهيم (بحسب النصوص القرآنية والروائية التي بين أيدينا) واضح أنّها شخصية فذة تتصف بالقوة والشجاعة والبسالة ورباطة الجأش في بيان الحق والدفاع عنه بحجة بالغة وبرهان دامغ.

والأغرب من هذا كله: إنّ هجرة إبراهيم مع أبيه "تارح" وتركه لأرض "أور" - بحسب النص التوراتي وشرّاحه والمعلقين عليه - بدت وكأنّها سفرة عادية طرأت على حياتهم لأسباب سياسية أو اقتصادية كما لاحظنا كلامهم، فالسبب شبيه بما يفعله كثير من الناس في أزمنتنا (وما سبقها أيضاً) من أنهم يعمدون إلى تغيير أوطانهم بحثاً عن وسائل عيش أفضل وأكثر رفاهية! مع أنّ الحقيقة التي حصلت مع إبراهيم أبعد ما تكون عن مثل هذا التصور الساذج.

الحق، إنّنا إذا ما أردنا أن نضع توصيفاً دقيقاً لحركة إبراهيم الرسالية الداعية إلى "التوحيد" في بلاد ما بين النهرين فإنّها أليق ما تكون بالـ "ثورة" بكل ما تعنيه الكلمة من معنى وإن كان صاحبها رجل واحد (لكنه أمة على حد التوصيف القرآني)، وأنّ قوة حركته الدعوية التي قام ببث حججها وبراهينها وحكمتها في أور وبابل ومدن أخرى تقع ضمن سلطان نمرود هزّت عرش "نمرود" في عاصمة حكمه ومدنه المهمة مثل "أور"، وحطّمت غروره وكبرياهه<sup>(١)</sup>؛ خصوصاً وأنه كان يطرح نفسه بوصفه الرب الأعلى للبابليين! ولم تكن

١- بعض المؤرخين وشرّاح الأحاديث ذكروا أنّ ابن نمرود كان من المؤمنين بإبراهيم صلوات الله عليه، قال العظيم آبادي: "... دمشق": بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسميت بذلك لأنّ دمشق بن نمرود بن كنعان هو الذي بناها فسميت باسمه وكان آمن بإبراهيم عليه والسلام وسار معه وكان أبوه نمرود دفعه إليه لما رأى له من الآيات عون المعبود: ١١ / ٢٧٣ - ٢٧٤.

عزيمة إبراهيم تهديدات نمروود، ولم يعبأ بكثرة قواته، ولم يرف له جفن لعديدهم وعدتهم وشدة سطوتهم وبطشهم، ولا في ما لاقى خليل الله من أذى وسجون في سبيل نشر توحيد الله ودينه وإنفاذ مراده إلى أن بلغ بنمرود ومستشاريه أن اتخذوا قراراً بالانتقام من "إبراهيم" وقتله بطريقة بشعة تجسدت بعمل محرقة عظيمة (لا زال شيء من آثارها شاخص في بابل) استوجبت الاستعانة بمنجنيق لرمي إبراهيم في وسطها لشدة نارها وقوة لهيبها، ومع هذا كان إبراهيم مطمئناً واثقاً بالله ولم يوجس في نفسه خيفة إطلاقاً، فأجابه الله سبحانه منها كما سيتضح، ثم اتخذ نمروود وسلطته الظالمة قراراً بإبعاد إبراهيم قسراً عن البلاد!

إبراهيم عليه السلام لم يخرج من أوروبابل وبلاد ما بين النهرين برغبته، وإنما خرج مطروداً ومبعداً قسراً، إبراهيم لم يخرج بتهمة أو يترك موطنه طلباً للراحة والدعة أو بقصد تغيير معاش أو حال للأفضل كما ألمح له النص التوراتي وشرّاحه، إنما خرج لله سبحانه وفي سبيله، وحتى بعد وصوله إلى أرض الشام لم يهدأ له بال، كان دائم الخروج إلى الجنوب (جنوب أرض كنعان وبلاد الشام)، وحاله أشبه بالمهندس الذي يمسح أرضاً معينة بقصد إقامة منشأة هندسية عليها، وسيتضح السبب في تكرار ذهابه إلى "الجنوب"، وقصده أرض الحجاز (مكة بالذات)، ولماذا نقل زوجته هاجر وابنه الصغير إسماعيل إلى هناك، وستتجلى حكمة ما صنعه وهو يمهّد لرسالة أشرف ولده وأظهرهم بل سيد الخلق طراً، محمد الرسول الأمي التهامي (المكي، المدني)؛ الذي ما بارح فكر إبراهيم في مجمل رسالته التي عاشها بتفاصيلها وآلامها إلى حين وفاته ورجوعه إلى الله!

٦- اكتفت نصوص التوراة بذكر "برية فاران" – أو "البرية، القفر" بحسب مؤرخي أهل الكتاب – كمنشأ لإسماعيل بعد إبعاده مع أمّه هاجر بأمر الله عن بيت سارة، ولم تذكر ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى مكة وبنائه للكعبة وتوطين زوجته هاجر وولده إسماعيل بجوار بيت الله الحرام؛ لأسباب دينية بالطبع تتعلق برسالة أولاد إسماعيل عليهم السلام الآتين الذين يختم الله بهم مشروعه الرسالي على الأرض، مع أنّ أهم عمل قام به إبراهيم بعد إبعاده من العراق هو التمهيد لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله الذي يولد في مكة ويُبعث فيها، وسيأتي مزيد من الإيضاح لهذا الأمر لاحقاً.

وبالنسبة إلى تحديد موقع برية "فاران"، فبحسب المصادر اليهودية وشروحات التلمود لنصوص العهد القديم "التوراة": فإنّ موضعها في شبه جزيرة سيناء على اختلاف بينهم في وقوعها شمال سيناء أو جنوبها <sup>(١)</sup>، بينما تشير المصادر الإسلامية إلى أنّ جبال فاران هي جبال مكة <sup>(٢)</sup>.

وكون "فارن" هي "مكة" أمر ورد ذكره في أدعية آل محمد الأوصياء عليهم السلام؛ منها: الدعاء المعروف بـ "دعاء السمات" المروي عن الإمامين الباقرين صلوات الله عليهما.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان هذه الحقيقة:

(محمد <sup>(ص)</sup> ظهور الله في فاران:

وردت هذه العبارة في دعاء السمات الوارد عن الأئمة عليهم السلام: "... وأسألك اللهم ..، وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء، فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام، وبطلعتك في ساعير، وظهرت في فاران ... " <sup>(٣)</sup>.

وظلعة الله في ساعير يعيسى عليه السلام، وظهور الله في فاران بمحمد صلى الله عليه وآله. ولابد من الالتفات إلى أنّ عبارات الدعاء مرتبة تصاعدياً، فمن نبي "كلمه الله" وهو موسى عليه السلام، إلى نبي مثّل "طلعة الله" وهو عيسى عليه السلام، إلى نبي مثّل "ظهور الله" وهو محمد صلى الله عليه وآله. ....) انتهى <sup>(٤)</sup>.

١- انظر مثلاً المكتبة اليهودية، متاح على الرابط التالي:

<https://www.jewishvirtuallibrary.org/paran>

٢- انظر على سبيل المثال: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٤٠٦ / ٣.

٣- مصباح المتعبد، الطوسي: ٤١٦؛ المصباح، الكفعمي: ٤٢٤.

٤- النبوة الخاتمة، السيد أحمد الحسن: بحث "محمد <sup>(ص)</sup> ظهور الله في فاران".



بالنسبة لمعاني فقرات الدعاء سيأتي توضيحها في بحوث "الرسالة" القادمة، وما يهمننا الآن هو معرفة أنّ برّة "فاران" المذكورة في نصوص التوراة كجهة تم نقل إسماعيل وأمه هاجر لها هي "مكة" في أرض الحجاز الواقعة إلى الجنوب من بلاد الشام.

**تنبيه:** إبعاد إبراهيم لهاجر وولدها إسماعيل إلى الجنوب (مكة بالتحديد) لم يكن السبب الرئيس فيه هو رغبة سارة وإن كانت رغبة الإبعاد موجودة لديها بالفعل، لكن منطقياً: لا يعقل أنّ إبراهيم (الذي اعتبره الله سبحانه أمة لوحده) يمثل لأمر زوجته أو ينصاع لها إلى درجة أنه يبعد المتزلين عن بعضهما إلى كل هذه المسافة! الحق، إنّ الإبعاد وتعيين الوجهة بالتحديد كان بأمر الله كما سنرى.

٧- أيضاً: مسألة صرف إسماعيل عن أن يكون هو الذبيح ونسبة الأمر لإسحاق (على مستوى النص التوراتي وكذا نصوص بعض المؤرخين اليهود كما لاحظنا) يخضع لنفس السبب المتقدم، ولولا العصبية المقيتة (التي تعمي صاحبها عن الحق في كثير من الأحيان) لعلم المنصف أنّ نفس النص التوراتي (في الإصحاح ٢٢) الذي حدّد إسحاق كذبيح يأبى الانطباق عليه ولا يقبل الانطباق إلا على إسماعيل كما سيتضح بيانه.

٨- تحديد قبر إبراهيم بمقبرة حبرون على مقربة من أورشليم كما ذكر المؤرخ اليهودي "يوسفوس" والمسيحي "ابن العبري" ليس أمراً قطعياً، فمثلاً: رجّح د. كامبيل أنّ إبراهيم عليه السلام لم يدفن في مغارة مكفيل بحبرون<sup>(١)</sup>.

٩- اعتبار لوط ابن أخ إبراهيم واعتبار سارة ابنة عمّه أمر صحيح وهو الواقع الفعلي الذي أكده السيد أحمد الحسن بكلامه السابق، وأكدته - أيضاً - بعض نصوص المسلمين ومصادرهم<sup>(٢)</sup>.

١- انظر: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد: ١٢٢.

٢- كمثال للروايات: (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولوط النبي صلى الله عليه وآله كان ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام. هذا اسناد صحيح) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٥٦١.

١٠- أولى الناس بإبراهيم هم المتبعون له حقيقة، وهم أُمَّته الحقيقية، وليست المسألة كما صوّرها اليهود من أنهم الأمة المختارة أو شعبه المختار، وكأنّ دين الله دين قومي، فواضح أنّ معتقدتهم يطعن بعدالة الله وحكمته: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

قال تعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ" آل عمران: ٦٥ - ٦٨.

بقية تفاصيل النقاش لسيرة إبراهيم (الجانب الدعوي منها بالخصوص) وفق رؤية أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) ستتضح بجلاء أكبر عندما نقوم بعرضها وفق نصوص الإسلام المحمدي الأصيل؛ أعني: آيات القرآن الكريم وما أخبر به الرسول محمد وآله صلوات الله عليهم، وسنرى أنّ بعضاً منها له شاهد في التوراة أو المشنا، وبعضاً آخر انفردت به؛ سواء ما يتصل بأحداث الدعوة في بلاد ما بين النهرين "العراق" أو التي حصلت بعد إخراجه منه، كما سنرى الآن.

## دعوة إبراهيم (ع) في العراق:

ابتدأت دعوة إبراهيم صلوات الله عليه في بلاد ما بين النهرين في أور وبابل، وقد اتسمت بالقوة والشدة في مواجهة عبدة الأصنام، ثم لما لم يجد الطاغية نمرود حيلة في مواجهة الحق قام بإبعاد إبراهيم عن الأرض الواقعة تحت سلطته، فخرج إلى بلاد الشام ثم أخيراً منها إلى الحجاز ومكة (١).

في هذا البحث نستعرض أهم أحداث الدعوة الإبراهيمية في بلاد ما بين النهرين "العراق"، قبل إخراجه منه قهراً، لكن بعد التعرف على صدق دعوته الإلهية وانطباق قانون معرفة الرسل عليه.

## دليل صدق إبراهيم في رسالته وبعثه:

تقدم ضمن بحوث الجزء الأول من كتاب "الرسالة" بيان القانون المعروف بالرسول، وأنه قانون "جامع مانع"؛ جامع: أي أنه ينطبق على جميع الرسل من آدم وحتى آخر رسول إلهي على الأرض، ومانع: أي لا يتمكن غير رسل الله من الاتصاف والاحتجاج به. والقانون – باختصار – مؤلف من ثلاث فقرات هي: النص، العلم، الدعوة إلى حاكمية الله.

---

١- يقول عباس العقاد: (إذا كانت دعوات النبوة متصلة بمدن القوافل فليس أولى من بلاد النهرين في العصر القديم أن تبدأ منها الدعوة الأولى ثم تتلوها المدن الأخرى على حسب مكانتها ومكانها من حيث النظر إلى الطرق العالمية ومظاهر الحضارات المختلفة. فالدول القديمة بين النهرين لم يكن لها نظام غير النظام الذي اشتهر في علم السياسة باسم نظام "حكومات المدائن": لأنه يقوم على مدن أربع أو خمس من العواصم العظيمة تحيط بها البادية التي تزرع مرعاها أو ترعى ماشيتها في المزارع الطبيعية وتسافر بالقوافل على حسب مراحلها، ..... وترتيبها على حسب مكانتها ومكانها في وادي النهرين وفي العالم كله يبدأ من مدينة أور في الجنوب وينتهي إلى مدينة آشور شمالاً ثم يتجه غرباً وجنوباً إلى فلسطين ومدن خليج العقبة فالحجاز حيث تلتقي قوافل الشمال وقوافل الجنوب. فمدينة أور أهم هذه المدائن لأنها تتلقى التجارة من البحر ومن البر وتنقلها من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق كما تنقلها بين الجنوب والشمال. .... وفي مدينة أور بدأت دعوة إبراهيم وإلى مدينة آشور انتقلت ولم يطل بها القرار في هذه النقلة العاجلة. .... فمن آشور إلى حبرون أو بيت المقدس إلى مدن خليج العقبة إلى مدينة الحجاز المقدسة وعندها نهاية المطاف) إبراهيم أبو الأنبياء: ١٤١.

وبخصوص نبي الله إبراهيم، فإن فقرات القانون الإلهي الثلاث متوفرة فيه:

**أما النص:** فقد نص الأنبياء والرسل الذين سبقوا إبراهيم عليه وبشّروا به <sup>(١)</sup>.

**وأما العلم:** فقد ذكر القرآن الكريم أن الله أتى إبراهيم العلم الذي يهدي به الناس إلى الحق والصراط السوي: "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ..... "مریم: ٤١ - ٤٣.

ومما يؤكد علمه صلوات الله عليه وجود الصحف المنصوص عليها: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" الأعلى: ١٨ - ١٩.

صحف إبراهيم: عبارة عن أمثال كما وصفها الرسول محمد صلى الله عليه وآله <sup>(٢)</sup>.

١- (عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ..... وقال تبارك وتعالى: "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب" وقوله: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا" لنجعلها في أهل بيته "ونوحاً هدينا من قبل" لنجعلها في أهل بيته وأمر العقب من ذرية الأنبياء عليهم السلام من كان قبل إبراهيم لإبراهيم عليه السلام وكان بين إبراهيم وهود من الأنبياء صلوات الله عليهم وهو قول الله عز وجل: "وما قوم لوط منك مبعد" وقوله عز ذكره: "فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي" وقوله: عز وجل "وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم [إن كنتم تعلمون]" فجرى بين كل نبين عشرة أنبياء وتسعة وثمانية أنبياء كلهم أنبياء وجرى لكل نبي ما جرى لنوح صلى الله عليه وكما جرى لأدم وهود وصالح وشعيب وإبراهيم صلوات الله عليهم حتى انتهت إلى يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ثم صارت من بعد يوسف في أسباط إخوته حتى انتهت إلى موسى عليه السلام .....) الكافي، الكليني: ١١٣ / ٨ - ١٢٠.

٢- (قال أبو ذر رحمه الله: ودخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في المسجد جالس وحده، فاغتنمت وحدته فقال: يا أبا ذر، إن للمسجد تحية. قلت: وما تحيته يا رسول الله؟ قال: ركعتان تركعهما. ثم التفت إليهِ فقلت: يا رسول الله، أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل، ومن شاء أكثر..... قلت يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال: كانت أمثالاً أكلها وكان فيها: أيها الملك المسلط المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدّم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرممة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإن من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلها،

وأما الدعوة إلى الله وحاكميته "لا مطاع إلا الله ومن أمر الله بطاعته"، فكانت هي نهج إبراهيم صلوات الله عليه منذ بعثه وإرساله إلى حين وفاته ووصيته لولده الأوصياء من بعده بأمر من الله، وقد قصَّ القرآن الكريم بعض أقواله لأبيه وقومه:

- "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ \* قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" الأنبياء: ٥١ - ٥٦.
- "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ \* أَفِ لَكُمْ لِمًا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" الأنبياء: ٦٦ - ٦٧.
- "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ \* أَتِفْكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" الصافات: ٨٥ - ٨٧.
- "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" البقرة: ١٣١ - ١٣٢.

وبانطباق الفقرات الثلاث (النص، العلم، الدعوة إلى الله) على دعوة إبراهيم يثبت صدقه وإرساله من الله. علماً، أن بعض النصوص الدينية أكدت أن إبراهيم تيقظ لمعرفة الله وأحاط به الإيمان في مقتبل عمره<sup>(١)</sup>، بل بحسب النصوص التي تقدمت في ولادته أنه رفض عبادة الأصنام مذ كان صغيراً وقام بتكسيدها وإهانتها<sup>(٢)</sup>.

وفيهما: عجب لمن أيقن بالنار ثم ضحك، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أبصر الدنيا وتقلبها بأهلها حالاً بعد حال ثم هو يطمئن إليها، عجب لمن أيقن بالحساب ثم لم يعمل! (.....) الأمالي، الطوسي: ٥٣٩ - ٥٤٠. وانظر أيضاً: كنز العمال، المتقي الهندي: ١٦ / ١٣٢ - ١٣٣.

١- (عن موسى بن جعفر عليه السلام في خبر اليهودي الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: تيقظ إبراهيم بالاعتبار على معرفة الله وأحاطت دلائله بعلم الإيمان به وهو ابن خمسة عشر سنة) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ٢ - ٣.

٢- عن الإمام الصادق عليه السلام: (.....) فبينما إخوته يعملون يوماً من الأيام الأصنام إذا أخذ إبراهيم عليه السلام القدوم (آلة للنحت) وأخذ خشبة فنجس منها صنماً لم يروا قط مثله، فقال أزلامه: إني لأرجو أن نصيب

**تنبيه:** صدق إبراهيم في رسالته ثبتت بقانون معرفة الرسل بفقراته الثلاث كما لاحظنا، ولم نلاحظ أثراً لوجود المعجزة المادية بينها. نعم، معجزة نجاته من نار نمرود حصلت في فترة متأخرة من دعوته ومضي سنين على انطلاق رسالته كما سنعرف، وهذا يكشف عن أنّ المعجزة المادية ليست شرطاً أساسياً دائم التحقق عند بعثة الرسل لإثبات صدق دعواتهم في بدايتها. علماً، أننا لسنا بصدد نفي إمكانية تحقق الآيات والمعاجز المادية في مسيرة رسل الله بدليل أنها حصلت مع بعضهم وفق حكمة شاءها الله، لكن ما نريد تأكيده الآن هو أنها ليست أمراً واجباً عند بعث أنبياء الله ورسله وإنما هي أمر جائز قد يقع وقد لا يقع، وعدم وقوعه لا يضر بحجية وصدق النبي أو الرسول:

- "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ" الأنعام: ١٠٩.
- "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ" الإسراء: ٥٩.
- "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" العنكبوت: ٥٠.

---

خيراً بركة ابنك هذا، قال: فبينما هم كذلك إذا أخذ إبراهيم القدوم فكسر الصنم الذي عمله ففزع أبوه من ذلك فزعاً شديداً، فقال له: أي شيء عملت؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: وما تصنعون به؟ فقال آزر: نعبد، فقال له إبراهيم عليه السلام: "أتعبدون ما تنحتون؟" فقال آزر [لأمه]: هذا الذي يكون ذهاب ملكنا على يديه) الكافي، الكليني، ٨ / ٣٦٦ - ٣٦٨.

وأيضاً: روي عنه عليه السلام: (.....) وكان آزر كلما نظر إلى إبراهيم أحبه حباً شديداً وكان يدفع إليه الأصنام ليبيعها كما يبيع إخوته، فكان يعلق في أعناقها الخيوط ويجرها على الأرض ويقول: من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه؟! ويغرقها في الماء والحماة ويقول لها: اشربي وتكلمي، فذكرنا إخوته ذلك لأبيه فنهاه فلم ينته فحبسه في منزله ولم يدعه يخرج. ....) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٢٠٨.

وأيضاً: ما رواه الطبري عن ابن مسعود، انظر: تاريخ الطبري: ١ / ١٦٦.

## دين إبراهيم وشريعته:

دين إبراهيم عليه السلام هو دين الله الذي بعث به رسله السابقين؛ آدم ونوح والرسل الأوائل، وهو الإسلام أو الحنيفية بحسب الوصف القرآني<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" آل عمران: ٦٧.

الحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الله الحق المستقيم الخالص "الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

إبراهيم أحد أنبياء أولي العزم، وكان صاحب شريعة إلهية<sup>(٣)</sup>، ومن شريعته الغراء ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (كان شريعة إبراهيم عليه السلام التوحيد

١- قال تعالى: "وَمَنْ يَزْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" البقرة: ١٣٠-١٣٢. "قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" آل عمران: ٩٥. "قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الانعام: ١٦١. "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل: ١٢٠-١٢٣.

٢- (عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام في قول الله عز وجل: "حنيفاً مسلماً" قال: خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان) الكافي، الكليني: ١٥ / ٢.

(عن ابن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أصبحنا على فطرة الاسلام وعلى كلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ملة أينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين) مسند أحمد: ٤٠٦ / ٣.

٣- (عن سماعة ابن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: "فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل" فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف وكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن

والإخلاص ..... وزاده في الحنيفية الختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وحلق العانة، وأمره ببناء البيت، والحج، والمناسك، فهذه كلها شريعته <sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً في قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" قال: (إنه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده إسماعيل فأتمها إبراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلما عزم قال الله تعالى له ثواباً له إلى أن قال: "إني جاعلك للناس إماماً" ثم أنزل عليه الحنيفية وهي عشرة أشياء: خمسة منها في الرأس، وخمسة منها في البدن، فأما التي في الرأس فأخذ الشارب، وإعفاء اللحي، وطم الشعر، والسواك، والخلال، وأما التي في البدن فحلق الشعر من البدن. والختان، وتقليم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطهور بالماء، فهذه الحنيفية الظاهرة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة، وهو قوله: "و اتبع ملة إبراهيم حنيفاً" <sup>(٢)</sup>.

وشبيه بذلك ما ذكر في مصادر أهل السنة <sup>(٣)</sup>.

أما من يراجع نصوص العهد القديم (التوراة – سفر التكوين بالخصوص)، فإن أبرز ما يلوح من معالم الدين الإبراهيمي هو الإيمان بالله وتوحيده، وعلى المستوى التشريعي تبرز مسألة الختان بشكل واضح <sup>(٤)</sup>.

---

وبشريعته ومناهجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام) الكافي، الكليني: ١٧ / ٢ – ١٨.

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١١٥ / ٢.

٢- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١١٧ / ٢ – ١١٨.

٣- انظر على سبيل المثال: الموطأ، مالك بن أنس: ٢ / ٩٢١ – ٩٢٢. وروى البيهقي بسنده: (عن ابن عباس في قوله عز وجل وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلاه الله عز وجل بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل مكان الغائط والبول بالماء) السنن الكبرى: ١ / ١٤٩.

٤- ورد في (سفر التكوين – إصحاح ١٧): "١٠ هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخَنُّ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، ١١ فَتُخَنَّتُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ١٢ إِنْ تَمَائِيَةِ أَيَّامٍ يُخَنُّ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ؛ وَلَيْدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنٍ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. ١٣ يُخَنُّ خِتَانًا وَلَيْدُ بَيْتِكَ



وعموماً، دين إبراهيم عليه السلام هو دين محمد وآل محمد صلوات الله عليهم كما أوضح الإمام الباقر عليه السلام، قال: (ما أحد من هذه الأمة يدين بدين إبراهيم عليه السلام إلا نحن وشيعتنا ولا هدي من هدي هذه الأمة إلا بنا ولا ضل من ضل من هذه الأمة إلا بنا) <sup>(١)</sup>.

الحقيقة، إن دين إبراهيم صلوات الله عليه وما بلغه من مرتبة ومنزلة عظيمة توجت بنيله مقام الإمامة في آخر حياته يقوم بالأساس على معرفته التامة بالرسول محمد وآل محمد صلوات الله عليهم والإقرار لهم بالحق والفضل، وهذا ما سيتوضح لنا بالتفصيل في البحوث القادمة.

### حادثة الكواكب وطلب إحياء الموتى:

#### هل عبد إبراهيم (ع) الكواكب؟

قال تعالى: "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ \* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِدْيٍ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الأنعام: ٧٥ - ٧٩.

خلاصة ما انتهى إليه المفسرون في هذه الحادثة، هي:

- جانب الشيعة: نقل بعضهم أربعة وجوه لتفسير ما صدر من إبراهيم، أحدها: إن الحادثة كانت قبل بلوغه وكمال عقله وتكليفه، وهو قول الجبائي. وثانها: إن ما قاله

---

وَالْمُبْتَغِ بِفَضْلِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. ١٤ وَأَمَّا الذِّكْرُ الْأَغْلَفُ الَّذِي لَا يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي".

إبراهيم كان في زمان مهلة النظر والبحث والتأمل (وهي مدة أكثر من ساعة بحسبهم)، وهو قول البلخي. وثالثها: إنه قال ذلك على سبيل الإنكار لقومه والتنبيه لهم ولم يقله على سبيل الشك والبحث، ورابعها: إنه قال ذلك على سبيل المحاجة لقومه<sup>(١)</sup>.

واكتفى آخرون بذكر الوجهين الأولين، أعني قولي الجبائي والبلخي<sup>(٢)</sup>. بينما انتهى بعض المتأخرين منهم إلى أنّ حال إبراهيم في قوله عن النجم والقمر والشمس "هذا ربي" يحكي حال الإنسان الأولي الفطري الذي يرى الأشياء لأول مرة باعتبار أنه ولد وعاش في سرب أو مغارة فلما رآها أخذ يتساءل باحثاً عن الحقيقة<sup>(٣)</sup>!

▪ جانب السنة: بعضهم لم يكتفِ بذكر قولي الجبائي والبلخي، وإنما أضاف روايات تؤكد عبادة إبراهيم (وحاشاه) لكوكب الزهرة فعلاً إلى أن غابت فترك عبادتها، ثم فعل نفس الشيء مع القمر، ثم عبد الشمس أخيراً فلما غابت ترك عبادتها وقال: "يا قوم إني بريء مما تشركون"<sup>(٤)</sup>. وبعضهم أضاف وجوهاً شبيهة بالوجهين (الثالث والرابع) من الوجوه الأربعة المتقدمة لدى الشيعة<sup>(٥)</sup>.

من جهتنا، فإننا يمكننا النظر لما قصّه القرآن عن إبراهيم من جهتين:

**الأولى:** إنه قال ذلك على سبيل الإنكار والاستفهام ولم يقله على سبيل الإخبار والإقرار، وهذا المعنى أشار له الإمام الرضا صلوات الله عليه في جوابه للمأمون العباسي الذي سأله عن نفس الآيات<sup>(٦)</sup>.

١- انظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤ / ١٨٢ - ١٨٦.

٢- انظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٤ / ٩٣ - ٩٤.

٣- انظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٧ / ١٥٥ - ١٥٧.

٤- انظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري: ٧ / ٣٢٢.

٥- انظر: تفسير الرازي، فخر الدين الرازي: ١٣ / ٤٩.

٦- (عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده علي بن موسى الرضا عليهما السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون، قال: بلى، قال: فسأله عن آيات من القرآن، فكان فيما سأله أن قال له: فأخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم "فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا

(عن عبد الله بن مسكان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين" قال: كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك) <sup>(١)</sup>.

**١- بصائر الدرجات، الصفار: ١٢٧.** وأيضاً: (عن أبي محمد الحسن العسكري عليهما السلام أنه قال: قلت لأبي علي بن محمد عليه السلام هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: بلى مرارا كثيرة..... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا جهل أما علمت قصة إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين" قوي الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين. فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلك ففهم بالدعاء عليهما فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإني أنا الغفور الرحيم الجبار الحليم لا يضرنني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنما أنت عبد نذير لا شريك في الملك ولا مهيمن علي ولا عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث: إما تابوا إلى فتنت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم، وإما كففت عنهم عذابى لعلنى بأنه سيخرج من أصلاهم

يقول السيد أحمد الحسن: (متوهم من يظن أنّ هذا الكلام حصل من إبراهيم عليه السلام في عالم الشهادة، أي في هذه الحياة الدنيا وإن كان إبراهيم عليه السلام ربما أعاده في هذه الحياة الدنيا؛ للتبكي بقومه الذين يعبدون هذه الكواكب، أو الأرواح المحركة لها. ....)

ثم إنّ السياق القرآني دال على أنّ رؤية إبراهيم عليه السلام للكوكب والقمر والشمس هي رؤية ملكوتية، فقد جاء الكلام عنها بعد الكلام عن إراءة إبراهيم عليه السلام للملكوت السماوات.

في تفسير القمي: قال سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم هذا ربي أشرك في قوله هذا ربي قال عليه السلام: "من قال هذا اليوم فهو مشرك ولم يكن إبراهيم مشرك وإنما كان في طلب ربه وهو من غيره شرك" (١).

ورواه العياشي: وزاد عن أحدهما عليهما السلام: "إنما كان طالباً لربه ولم يبلغ كفراً، وأنه من فكر من الناس في مثل ذلك فإنه بمنزلته" (٢).

فلو كان قوله: "هذا ربي" في عالم الشهادة، أي في هذه الحياة الدنيا، وهو بحث عن الرب فهو قطعاً شرك، ولا فرق في صدوره عن إبراهيم عليه السلام أو غيره. بلى، إنه من إبراهيم عليه السلام ليس شركاً؛ لأنه بحث ملكوتي روعي بعد أن كشف لإبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض. أما من غير إبراهيم عليه السلام فهو شرك؛ لأنه بحث في عالم الشهادة في هذه الحياة الدنيا والأجسام الموجودة فيها.

---

ذريات مؤمنون فارق بالآباء الكافرين وأتأني بالأمهات الكافرات وارفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلاهم فإذا تزايلا حل بهم عذابي وحق بهم بلاني، وإن لم يكن هذا ولا هذا فإن الذي أعدته لهم من عذابي أعظم مما تريد بهم، فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي، يا إبراهيم خل بيني وبين عبادي فأنا أرحم بهم منك، وخل بيني وبين عبادي فإنني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم أدبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي وقدرتي الاحتجاج، الطبرسي: ١ / ٣٦.

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٢٠٦.

٢- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ٣٦٤.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام بيَّن أنَّ الذي يبحث عن ربه في الملكوت فليس بمشرك، بل هو بمنزلة إبراهيم عليه السلام) انتهى (١).

لا شك أنَّ رموز ومسميات عالم الملكوت تختلف في إسقاطاتها وتشخيص مصاديقها عن عالم الشهادة، فالبقرة - مثلاً - في عالمنا حيوان معروف لكنها في عالم الملكوت تشير إلى "سنة" كما صنع نبي الله يوسف عليه السلام في تأويل رؤيا ملك مصر (٢). وبخصوص رمزية الأجرام السماوية (الكوكب والقمر والشمس) لا يمكننا التكهن بمعانيها الملكوتية ما لم تكن بأيدينا نصوص قطعية. والمتابع للنصوص يجد أنَّ "الأجرام السماوية" عموماً تشير إلى "الهداة" أي شخصيات لها دور في هداية الناس، وهذا أمر ثابت في القرآن الكريم، قال تعالى عن رؤيا يوسف الملكوتية: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" يوسف: ٤، والتي أولت لاحقاً بسجود أبيه يعقوب "الشمس" وأمه "القمر" وأخوته الأسباط "أحد عشر كوكباً" (٣)، والحال نفسه على مستوى نصوص العهد القديم أيضاً (٤).

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٧.

٢- قال تعالى: "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ" \* قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ" يوسف: ٤٦- ٤٧. ونفس الشيء في سفر التكوين إصحاح ٤١: "٢٥ فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حَلِّمْ فِرْعَوْنَ وَاحِدًا. قَدْ أَخْبَرَهُ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ. ٢٦ الْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعَ سِنِينَ، وَالسَّنَابِلُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعَ سِنِينَ. هُوَ حَلِّمْ وَاحِدًا".

٣- قال تعالى: "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ" \* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رِبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" يوسف: ٩٩ - ١٠٠. (عن أبي جعفر عليه السلام قال: تأويل هذه الرؤيا إنه سيملك مصر ويدخل عليه أبواه وإخوته، أما الشمس فأم يوسف راحيل، والقمر يعقوب، وأما أحد عشر كوكباً فإخوته، فلما دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه وكان ذلك السجود لله) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٤٠.

٤- ورد في سفر التكوين، الإصحاح ٣٧: "٩ ثُمَّ حَلَّمَ أَيُّضًا حُلُمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ؟ حُلُمًا أَيُّضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَاحِدٌ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةً لِي». ١٠ وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَبَهَ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هَذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الْأَرْضِ؟».

واضح أنّ نبي الله يعقوب أوّل رؤيا ابنه يوسف بسجوده هو وزوجته وأبنائه الأحد عشر ليوسف، ولا شك أنّ رموز رؤياه تكشف عن معنى الأجرام السماوية في عالم الملكوت وهو نفسه العالم الذي رأى فيه جدهم إبراهيم الأجرام بحسب بحثنا.

إذن، على مستوى نصوص الكتب المقدسة (القرآن، التوراة) فإنّ الأجرام السماوية ترمز إلى الهداة الربّانيين، والحال نفسه على المستوى الروائي:

فبحسب التراث السني وردت روايات يصف فيها الرسول محمد صلى الله عليه وآله أهل بيته وأصحابه والعلماء بالسفينة والنجوم؛ من جهة الهداية والدلالة<sup>(١)</sup>.

وأما على مستوى روايات أوصياء الرسول محمد صلوات الله عليه وعليهم، فالأمر واضح جداً وبشكل تفصيلي يرفع الإيهام عن مسألتنا أعني بيان المعاني الملكوتية للكوكب والقمر والشمس التي رآها إبراهيم في رحلته وبحثه "الملكوتي"، والأمر فيها له علاقة بسادة رسل الله أعني محمداً وآله صلوات الله عليهم<sup>(٢)</sup>.

١- قال أبو ذر: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٣٤٣. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشئ منها اهتدى" مسند الشهاب، القضاي: ٢ / ٢٧٥. وقال: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" فتح الباري، ابن حجر: ٤ / ٤٩؛ عمدة القاري، العيني: ١٠ / ٢٠٢. وعن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن يضل الهداة" أمثال الحديث المروية عن النبي، الحسن الرامهرمزي: ٨٧.

**تنبيه:** ليس الغرض من ذكر حديث "أصحابي كالنجوم" أو "مثل النجوم" هو الاعتقاد بصحة مضمونه المعهود عند أهل السنة أي القول بعدالة جميع الصحابة ورضا الله عنهم جميعاً، وإنما الغرض من ذكره هنا هو "التشبيه" بحد ذاته، وأيضاً: من الناحية المنطقية فإنّ القضية المذكورة في الحديث ليست كلية ولا جزئية وإنما هي مهمة (بحسب المصطلح المنطقي)، والقضية المهمة في قوة الجزئية كما هو المعروف، ولا إشكال في أن يكون بعض أصحاب الرسول كالنجوم وأنهم أهل للاقتداء بهم كأبي ذر وسلمان والمقداد وعمار بن ياسر وأمثالهم.

نعم، وصف آل محمد الأوصياء بالنجوم أمر صحيح على إطلاقه: لأنهم هداة وأدلاء ربّانيين: (عن جابر أبي موسى الأشعري وابن عباس، قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) الأمالي، الطوسي: ٣٧٩.

٢- بخصوص بيان معنى الشمس والقمر في الملكوت، فهذا نموذج للنصوص:

يقول السيد أحمد الحسن: (... والحقيقة أنّ محمداً وآل محمد حيّرت أنوارهم القدسية أصحاب العقول التامة من الأنبياء العظام والملائكة الكرام، حتى ظنوا أنهم الملك العلام سبحانه. فإبراهيم عليه السلام لما كُشف له ملكوت السماوات ورأى نور القائم عليه السلام قال: "هذا ربي"، فلما رأى نور علي عليه السلام قال: "هذا ربي"، فلما رأى نور محمد صلى الله عليه وآله قال: "هذا ربي"، ولم يستطع إبراهيم عليه السلام تمييز أنهم عباد إلا بعد أن كشف له عن حقائقهم، وتبيّن أفولهم وغيبتهم عن الذات الإلهية، وعودتهم إلى الأنا في آتات. وعندها فقط توجه إلى الذي فطر السماوات، ..... انتبهى<sup>(١)</sup>.

الرحلة – كما رأينا – ملكوتية ورموزها تناسب عالم الملكوت، ولذلك لم تكن شركاً، ولو كانت في هذا العالم لكانت شركاً حتماً كما يبين الإمام الصادق صلوات الله عليه. نعم، لا مانع من أن إبراهيم عليه السلام أعاد بحثه الملكوتي في هذا العالم (عالم الشهادة) من

---

(عن محمد، عن أبيه [عن أبي محمد]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: "والشمس وضحاها" قال: الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله به أوضح الله عز وجل للناس دينهم، قال: قلت: "القمر إذا تليها"؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ونفثه بالعلم نفثاً، قال: قلت: "والليل إذا يغشيها"؟ قال: ذاك أئمة الجور الذين استبدوا بالأمر دون آل الرسول صلى الله عليه وآله وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم فغشوا دين الله بالظلم والجور فحكي الله فعلهم فقال: "والليل إذا يغشيها". قال: قلت: "والنهار إذا جليها"؟ قال: ذلك الإمام من ذرية فاطمة عليها السلام يسأل عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله فيجليه لمن سألته فحكي الله عز وجل قوله فقال: "والنهار إذا جليها") الكافي، الكليني: ٨ / ٥٠.

وأما الكوكب: فهو في عالم الملكوت يرمز إلى الإمام المهدي صلوات الله عليه:

(عن الفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربي جل جلاله فقال: يا محمد إني أطلعت على الأرض إطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا الم محمود وأنت محمد، ثم أطلعت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقربين، يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشئ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم فما أسكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشي، يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب فقال عز وجل: ارفع رأسك فرفعت رأسي وإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين، وعلي بن الحسين ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي وعلي بن محمد؟ والحسن بن علي، و"م ح م د" بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري. ....) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٥٢ – ٢٥٣.

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٧.

خلال محاجة قومه بطريقة استدلال واضحة وسهلة الإدراك تبكّهم وتثبت عدم صحة عبادتهم لهذه الأجرام والكواكب كما أوضح السيد أحمد الحسن في كلامه المتقدم.

يبقى أنّ اختصاص أنوار الرسول والإمام علي والإمام المهدي صلوات الله عليهم بالرؤية في الملكوت دون سواها أكيد له سبب، وقد أوضحه السيد أحمد الحسن في كتابه "المتشابهات"<sup>(١)</sup>. علماً، أنّنا عرفنا سابقاً أنّ رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله هي المحور والهدف الذي يراد الوصول إليه وأنّ جميع الرسل السابقين بعثوا بالإقرار به وبأوصيائه والإيمان بولايتهم، وقد عرضنا في مباحث "بعثة آدم" نصوصاً كثيرة أكدت هذه الحقيقة<sup>(٢)</sup>.

وبخصوص إبراهيم صلوات الله عليه، فسيأتي مزيد من التوضيح الذي يؤكد معرفته العميقة بالرسول محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، بل وأنّ كثيراً من أفعال إبراهيم التي قام بها بأمر الله (كحادثة ذبح ولده مثلاً) كانت تمهّد لرسالة محمد وأوصيائه الذين يمثلون جزءاً من رسالته الكبرى، كما سيتضح.

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٢.

٢- هذه بعضها للفائدة والتذكر:

- (عن معمر بن راشد، عن الصادق عليه السلام - في حديث - قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكي أقول: إنّ آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها له، .....) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٠٠ / ٧.

- (عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أكل آدم عليه السلام من الشجرة رفع رأسه إلى السماء، فقال: أسألك بحق محمد إلا رحمتي، فأوحى الله إليه ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله إليه: يا آدم إنه لآخر النبيين من ذريتك، فلولا محمد ما خلقتك) قصص الأنبياء، الراوندي: ٥٤ - ٥٥.

- (عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما تكاملت النبوة لني في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم) بصائر الدرجات، الصفار: ٩٣.

- الإمام الصادق عليه السلام: (ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها). (ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا) نفس المصدر.



**ملاحظة:** بحث إبراهيم الملقوت لم يرد له ذكر في نصوص العهد القديم، وقد تقدمت الإشارة إلى إصحاحات سفر التكوين التي تطرقت لسيرة إبراهيم ورأينا أنها اكتفت بذكر ولادته وهجرته من "أور" ولم تتطرق لأي دور بحثي أو رسالي قام به في بلاد ما بين النهرين "العراق". نعم، القصة ورد ذكرها بتفصيل جيد في "المدرّاش" وتحديدًا "مدرّاش رياه" (١).

### طلب إحياء الموتى:

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمْتُ تُمَنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" البقرة: ٢٦٠.

وشبيهه بذلك ما ورد في نصوص العهد القديم مع اختلاف في السبب وبعض التفاصيل طبعاً (٢).

بحسب النص التوراتي: إبراهيم عليه السلام طلب زيادة يقين في مسألة توريثه الأرض من النيل إلى الفرات، لكن الأمر بنظر أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله يختلف، وقد حصل بعد بحث إبراهيم الملقوتي المتقدم الذي أصبح به من الموقعين وأصبح مستجاب الدعوة، فطلب إحياء الموتى – بحسب صلوات الله عليهم – مرتبط بذلك وأنه حصل عند اتخاذه خليلاً (٣).

١- ذكرنا سابقاً أنّ المدرّاش يعني كتب التراث التي تحوي شروحات وتفسير وقصصاً دينية.

٢- ورد في سفر التكوين، الإصحاح ١٥: "وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَوْرُكَلْدَانِيَيْنَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ الْأَرْضَ لَتَرْتَهَا». ٨ فَقَالَ: «أَمِنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرْتَهَا؟» ٩ فَقَالَ لَهُ: «خُذْ لِي عِجْلَةً ثَلَاثِيَّةً، وَعِزَّةً ثَلَاثِيَّةً، وَكَبْشًا ثَلَاثِيًّا، وَبَمَامَةً وَحَمَامَةً»."

٣- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال لما رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى الله عز ذكره إليه يا إبراهيم إنّ دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي فإنني لو شئت لم أخلقهم، إني خلقت خلقي على ثلاثة أصناف: عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه وعبداً يعبد غيري فلن يفوتي وعبداً عبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني، ثم التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر تجمّع سباع البحر فتاكل ما في الماء، ثم ترجع فيشده بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً وتجمّع سباع البر فتاكل منها فيشده بعضها على بعض

وفي أحد النصوص أكد الإمام الصادق صلوات الله عليه أن ذبح الطيور الأربعة إنما هو ظاهر الحادثة في دلالتها على زيادة إيمان إبراهيم بقضية إحياء الموتى المؤمن بها أصلاً، لكن هناك فهماً وتفسيراً آخر "باطن" له علاقة بهداية الخلق، وهذا يعني أن إحياء الموتى في الآية يعني إحياء القلوب الضالة "الميتة" بالهدى الإلهي الذي يبثه رسل الله عليهم السلام في النفوس<sup>(١)</sup>. والحق، إن ما ذكره الإمام الصادق يعد من روائع الخطاب القرآني ولغته التي لا يعرف مقاصدها وحقيقتها غير أهلها الحقيقيين.

فيأكل بعضها بعضاً فعند ذلك تعجب إبراهيم عليه السلام مما رأى وقال: "رب أرني كيف تحيي الموتى" قال: كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً؟ "قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" عني حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها "قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً" فقطعنن واخلطنن كما اختلطت هذه الجيفة في السباع التي أكل بعضها بعضاً، فخلط "ثم [١] جعل على كل جبل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعيّاً" فلما دعاهن أجبنه وكانت الجبال عشرة) الكافي، الكليني: ٣٠٥ / ٨.

(عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده علي بن موسى الرضا عليهما السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون، قال: بلى، ..... فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: "رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"، قال الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: أي متخذ من عبادي خليلاً إن سألتني إحياء الموتى أجبتك فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل فقال: "رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" على الخلة قال: "فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعيّاً واعلم أن الله عزيز حكيم" فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وطاووساً وديكاً فقطعنن واخلطنن ثم جعل على كل جبل من الجبل التي حوله وكانت عشرة منهن جزء وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حياً وماء فتطارت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتى انضم رقبتة ورأسه فخلى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن ....) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١٧٤ / ١ - ١٧٦.

١- (عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً" الآية، قال: أخذ الهدد والبرد والطاووس والغراب فذبحهن وعزل رؤوسهن ثم نحر أبدانهن في المنحاز بريشهن ولحومهن وعظامهن حتى اختلطت، ثم جزأهن عشرة أجزاء على عشرة أجبل، ثم وضع عنده حياً وماء ثم جعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم قال: آيتين سعيّاً بإذن الله عز وجل، فتطاربعضها إلى بعض اللحوم والريش والعظام حتى استوت الأبدان كما كانت، وجاء كل بدن حتى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فوقعن وشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحب، ثم قلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسير الظاهر. قال عليه السلام: وتفسيره في الباطن:

وأما بالنسبة إلى مصادر المسلمين (السنة)، فقد رويوا روايات تؤكد - أيضاً - ربط طلب إحياء الموتى بالخلة التي بشر الله بها إبراهيم، وكذلك باستجابة الدعوة (١).

وبكل الأحوال، فإن إبراهيم صلوات الله عليه كان مؤمناً بإحياء الموتى وطلبه من ربه إنما كان زيادة في الإيمان وليس شكاً منه، وحاشاه (٢).

يقول السيد أحمد الحسن ضمن بيانه لدرجات الإيمان بالغيب والعوالم:

(..... ومن هنا فالإيمان بهذه العوالم (أي: الملكوت والعقل والذات والحقيقة) هو الإيمان بالغيب، وهذا الإيمان على درجات أوضحها باختصار بهذا المثال: افرض أن حريقاً شب على بعد خمسة كيلو مترات عن مكان تواجدك فأنت تُحاط به علماً بإحدى الطرق التالية:

- ١- ينقل لك ثقات صادقون خبر الحريق.
- ٢- تذهب وترى الحريق بعينك.
- ٣- تذهب وترى وتضع يدك في النار وتحترق يدك.
- ٤- تقع في النار وتحترق حتى تصبح ناراً فتكون أنت من النار.

خذ أربعة ممن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك، ثم ابعثهم في أطراف الأرضين حججاً لك على الناس، وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتوك سعيّاً بإذن الله عز وجل) الخصال، الصدوق: ٢٦٤ - ٢٦٥.

١- قال ابن حجر عن طلب إبراهيم من ربه إحياء الموتى: (وذهب آخرون إلى تأويل ذلك فروى الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً استأذنه ملك الموت أن يبشره فأذن له فذكر قصة معه في كيفية قبض روح الكافروالمؤمن قال فقام إبراهيم يدعوره رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم أنني خليلك. وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي العوام عن أبي سعيد قال ليظمن قلبي بالخلة، ومن طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قال ليظمن قلبي أنني خليلك، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس لأعلم أنك أجبت دعائي) فتح الباري: ٦ / ٢٩٤.

٢- روى الكليني بسنده: (عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح (الإمام الكاظم) عليه السلام أخبره أنني شاك وقد قال إبراهيم عليه السلام: "رب أرني كيف تحيي الموتى" وإني أحب أن تربني شيئاً، فكتب عليه السلام إلي: أن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً وأنت شاك والشاك لا خير فيه) الكافي: ٢ / ٣٩٩.

وربما يتسرع إنسان ويقول: إنَّ العلم الحاصل من شهادة خمسين شخصاً ثقات لا يكذبون هو نفسه العلم الحاصل من رؤية النار بالعين، وهو نفسه العلم الحاصل من رؤية النار واحتراق اليد. وهذا اشتباه؛ لأنَّ العلم الأول يمكن أن ينقض إذا شهد لك خمسون من الثقة بأنه لا يوجد حريق، والثاني يمكن أن ينقض إذا شككت أنَّ هذا الحريق هو سحر عظيم كسحر سحرة فرعون الذين استرهبوا الناس وسحروا أعينهم. أما الثالث فهو ثابت لا ينقض لوجود أثر النار في يدك، والقلب يكون مطمئناً؛ قال تعالى: "أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِنْ لِيُطْمَئِنَّ قُلُوبِي" البقرة: ٢٦٠، فإبراهيم عليه السلام طلب هذه الدرجة من الإيمان، ولذلك قال تعالى بعدها: "وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" الأنعام: ٧٥.

أما الرابع الذي عبّرت عنه بأنه يحترق في النار حتى يصبح هوناراً، فهذا لم يتحقق إلا لمحمد صلى الله عليه وآله الإنسان. وهو فقط من كشف له الحجاب فكان قاب قوسين أو أدنى، وأصبح هو صلوات الله عليه وعلى آله حجاب الذات، ومن كشف له الغيب العظيم، أو بعبارة أخرى الذات أو قل: الكمالات الإلهية المشار إليها بكلمة الله) انتهى<sup>(١)</sup>.

طلب إحياء الموتى من قبل إبراهيم يكشف الفرق الكبير بين مقامه وبين مقام الرسول محمد صلى الله عليه وآله عليه وآله صاحب اليقين الأتم، وكذا مقام أوصيائه حيث يقول أولهم (الإمام علي صلوات الله عليه): "لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً"<sup>(٢)</sup>.

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٤٥.

٢- المناقب، ابن شهر آشوب: ١/ ٣١٧.

## دعوة قومه ومواجهة نمرود:

### إبراهيم أمة وحده!

كان إبراهيم صلوات الله عليه يعبد الله وحده ولو كان معه غيره لذكره الله، ولهذا وصفه القرآن بأنه "أمة"، قال تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل: ١٢٠. وهو أمر أشارت له الروايات أيضاً<sup>(١)</sup>.

(عن سماعة بن مهران قال: قال لي عبد صالح (الإمام الكاظم) صلوات الله عليه: يا سماعة أمنوا على فرشهم وأخافوني أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لأضافه الله عز وجل إليه حيث يقول: "إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين" فغير بذلك ما شاء الله، ثم إن الله أنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة، أما والله إن المؤمن لقليل وإن أهل الكفر لكثير أتدري لم ذاك؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك فقال: صيروا أنساً للمؤمنين، يبتئون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلى ذلك ويسكنون إليه)<sup>(٢)</sup>.

لا شك، أن تخصيص الإمام الكاظم عليه السلام للثلاثة بالذكر لا ينفي وجود مؤمنين غيرهم مثل نبي الله لوط عليه السلام:

يقول السيد أحمد الحسن عندما سألته: (لا يوجد حصر للإيمان بإبراهيم وبنيه، فلو ط و سارة وغيرهم كانوا مؤمنين. نعم، بداية كل رسالة إلهية تكون بالرسول ثم يأتي المؤمنون تبعاً، ومن هذا يمكن فهم أن البداية كانت بإبراهيم ثم سارة ولوط ثم يمكن أن

١- (عن سماعة بن مهران قال: سمعت العبد الصالح يقول: لقد كانت الدنيا وما كان فيها إلا واحد يعبد الله، ولو كان معه غيره إذا أضافه إليه حيث يقول: "إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين" فصر بذلك ما شاء الله، ثم إن الله تبارك وتعالى أنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة) تفسير العياشي: ٢ / ٢٧٤.

٢- الكافي، الكليني: ٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤.

ينعزل إبراهيم فينحصر الإيمان به في تلك البقعة وهكذا، أما انحصار الإيمان به ابتداءً ودواماً فغير صحيح<sup>(١)</sup>.

وعموماً، قلة الناصر تكاد تكون سنّة دائمة ومستمرة منذ أول زمان الرسالة وحتى ختامها، والله في خلقه شؤون<sup>(٢)</sup>!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- للفائدة، هذه بعض الروايات التي تؤكد قلة الناصر لأوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله في زمانهم، رواها الكليني في باب: "في قلة عدد المؤمنين" من كتاب "الكافي":

(١) ... عن قتيبة الأعشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟ .....

٣- ... عن ابن رناب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي بصير: أما والله لو أني أجِد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتهم حديثاً.

٤- عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمر المؤمنين عليه السلام ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا قال: فسكت عني ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع قلت: نعم فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت فركبت الحمار، فقال: يا سدير أترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل قال: الحمار أرفق بي فتزلت فركب الحمار وركبت البغل فمضينا فحانت الصلاة، فقال: يا سدير انزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سيخة لا تجوز الصلاة فيها فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددها فإذا هي سبعة عشر. ....

٦- ... عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنينناها؟ فقال: ألا أحدهك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا - وأشار بيده - ثلاثة، قال حمran: فقلت: جعلت فداك ما حال عمار؟ قال: رحم الله عماراً أبا اليقظان بايع وقتل شهيداً، فقلت: في نفسي ما شئ أفضل من الشهادة فنظر إلي فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة أمهات أمهات. ....

٧- ... عن علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً ولكن جعلوا أنساً للمؤمنين (الكافي: ٢/ ٢٤٢ - ٢٤٤).

## دعوة إبراهيم لقومه ونمرود ومحتاجتهم بحسب النصوص:

نصوص القرآن الكريم والروايات أوضحت دعوة إبراهيم لقومه ونمرود، وواضح فيها شدة المواجهة التي لا هوادة فيها.

القرآن الكريم أشار في أكثر من آية إلى محاججات إبراهيم لقومه ودعوتهم إلى الله ونبذ عبادة الأصنام، ومنهم عمه أزر، وهذه جملة من الآيات:

"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا \* قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِيَّ يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا \* وَأَعِزَّنَاكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا \* فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا" مريم: ٤١ - ٥٦.

"وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ \* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ \* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ \* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ \* قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ \* قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ \* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ \* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ \* أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ

كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ \* وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ " الأنبياء: ٥١ - ٧٢.

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* ..... وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ \* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ \* وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ " الأنعام: ٧٤ - ٨٣.

"وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ \* أَفِئْكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ \* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ \* فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ \* فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ \* مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ \* فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ \* قَالَ أَعْبُدُونِ مَا تَنْجُتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ \* قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ \* فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ \* وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمْعِدِينَ " الصافات: ٨٣ - ٩٨.

و أيضاً: قام صلوات الله عليه بمحاجة نمرود:

قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " البقرة: ٢٥٨.

وأما الروايات فسأكتفي بذكر ثلاثة منها؛ للاختصار:

في تفسير القمي: ("ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك" الآية، فإنه لما ألقى نمرود إبراهيم في النار وجعلها الله عليه برداً وسلاماً قال نمرود: يا إبراهيم من ربك؟ قال: "ربي الذي يحيي ويميت" قال له نمرود: "أنا أحيي وأميت" فقال له إبراهيم: كيف يحيي ويميت؟ قال: أعمد إلى رجلين ممن قد وجب عليهما القتل فأطلق عن واحد، وأقتل واحداً، فأكون قد أمت وأحييت، فقال إبراهيم: إن كنت صادقاً فأحي الذي قتلته، ثم قال



إبراهيم: دع هذا فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فكان كما قال الله: "فبهت الذي كفر" أي انقطع وذلك أنه علم أن الشمس أقدم منه (١).

وفي الكافي: (عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعاب آلهتهم حتى أدخل على نمrod فخاصمه، فقال إبراهيم عليه السلام: "ربي الذي يحيي ويميت قال: "أنا أحيي وأميت" قال إبراهيم: "فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين". وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهتهم "فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم" قال أبو جعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، فلما تولوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم بقدوم فكسرها إلا كبيراً لهم ووضع القدم في عنقه فرجعوا إلى آلهتهم فنظروا إلى ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجتراً عليها ولا كسرها إلا الفتى الذي كان يعيها ويرأ منها، فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار، فجمع له الحطب واستجاده حتى إذا كان اليوم الذي يحرق فيه برزله نمrod وجنوده وقد بنى له بناءً لينظر إليه كيف تأخذه النار ووضع إبراهيم عليه السلام في منجنيق، وقالت الأرض: يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره يحرق بالنار؟ قال الرب: إن دعائي كفيته. فذكر أبان، عن محمد بن مروان، عن روه عن أبي جعفر عليه السلام أن دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ كان: "يا أحد [يا أحد، يا صمد] يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد" ثم قال: "توكلت على الله" فقال الرب تبارك وتعالى: كفيت، فقال للنار: "كوني برداً" قال: فاضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد حتى قال الله عز وجل: "وسلاماً" على إبراهيم. وانحط جبرئيل عليه السلام وإذا هو جالس مع إبراهيم عليه السلام يحدثه في النار، قال نمrod: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم، قال: فقال عظيم من عظمائهم: إني عزمت على النار أن لا تحرقه، [قال:] فأخذ عنق من النار نحوه حتى أحرقه، قال: فأمن له لوط وخرج مهاجراً إلى الشام هو وسارة ولوط (٢).

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٨٦.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٦٨ - ٣٧٠.

وفي تفسير القمي أيضاً: ("ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل" إلى قوله: "بعد أن تولوا مدبرين" قال: فلما نهام إبراهيم عليه السلام واحتج عليهم في عبادتهم الأصنام فلم ينتهوا حضر عيد لهم وخرج نمرود وجميع أهل مملكته إلى عيد لهم، وكره أن يخرج إبراهيم معه، فوكله ببيت الأصنام، فلما ذهبوا عمد إبراهيم إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم، فكان يدنو من صنم صنم فيقول له: كل وتكلم، فإذا لم يجبه أخذ القدوم فكسريده ورجله حتى فعل ذلك بجميع الأصنام، ثم علق القدوم في عنق الكبير منهم الذي كان في الصدر، فلما رجع الملك ومن معه من العيد نظروا إلى الأصنام مكسرة، فقالوا: "من فعل هذا بالهتتنا إنه لمن الظالمين" فقالوا: ههنا "فتى يذكركم يقال له إبراهيم" وهو ابن أزر فجأؤوا به إلى نمرود فقال نمرود لأزر: خنتني وكتمت هذا الولد عني، فقال: أيها الملك هذا عمل أمه وذكرت أنها تقوم بحجته، فدعا نمرود أم إبراهيم فقال لها: ما حملك على أن كتمتني أمر هذا الغلام حتى فعل بالهتتنا ما فعل؟ فقالت: أيها الملك نظرا مني لرعييتك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: رأيته تقتل أولاد رعييتك فكان يذهب النسل فقلت: إن كان هذا الذي يطلبه دفعته إليه ليقضه ويكف عن قتل أولاد الناس، وإن لم يكن ذلك فبقي لنا ولدنا، وقد ظفرت به فشأنك، فكف عن أولاد الناس فصوب رأيا، ثم قال لإبراهيم: "من فعل هذا بالهتتنا يا إبراهيم" قال إبراهيم: "فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون" فقال الصادق عليه السلام: والله ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم، فقيل: فكيف ذلك؟ فقال: إنما قال: فعله كبيرهم هذا إن نطق، وإن لم ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئا، فاستشار نمرود قومه في إبراهيم فقالوا له: "حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين" فقال الصادق عليه السلام: كان فرعون إبراهيم وأصحابه لغير رشدة، فإنهم قالوا لنمرود: "حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين" وكان فرعون موسى وأصحابه لرشدة فإنه لما استشار أصحابه في موسى قالوا: "أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين \* يأتوك بكل سحار عليهم" فحبس إبراهيم وجمع له الحطب حتى إذا كان اليوم الذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار برز نمرود وجنوده، وقد كان بني لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم كيف تأخذه النار، فجاء إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يقدر أحد أن يتقارب من النار، وكان الطائر إذا مر في الهواء يحترق، فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وجاء أبوه فلطمه لطمه وقال له: ارجع عما أنت عليه، وأنزل الرب إلى السماء الدنيا، ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربه، وقالت الأرض: يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق، وقالت الملائكة: يا رب خليلك إبراهيم يحرق، فقال الله عز وجل: أما إنه إن دعاني كفيته، وقال جبرئيل: يا

رب خليلك إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره، سلّطت عليه عدوه يحرقه بالنار، فقال: اسكت إنما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت، هو عبدي آخذه إذا شئت، فإن دعاني أجبتة، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الاخلاص: "يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجني من النار برحمتك" قال: فالتقى معه جبرئيل في الهواء وقد وضع في المنجنيق فقال: يا إبراهيم هل لك إلي من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم، فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب: "لا إله إلا الله محمد رسول الله ألجأت ظهري إلى الله وأسندت أمري إلى الله وفوضت أمري إلى الله" فأوحى الله إلى النار: "كوني برداً" فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال: "وسلاماً على إبراهيم" وانحط جبرئيل وجلس معه يحدثه في النار ونظر إليه نمرود فقال: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظماء أصحاب نمرود: إني عزمت على النار أن لا تحرقه، فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقه، ونظر نمرود إلى إبراهيم في روضة خضراء في النار مع شيخ يحدثه، فقال لأزر: يا أزرما أكرم ابنك على ربه! قال: وكان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم وكان الضفدع يذهب بالماء ليطفئ به النار، قال: ولما قال الله تبارك وتعالى للنار: "كوني برداً وسلاماً" لم تعمل النار في الدنيا ثلاثة أيام "ونجيناه ولوط إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين" إلى الشام وسواد الكوفة (١).

المصادر السنية أيضاً ذكرت تفاصيل كثيرة تتعلق بدعوة إبراهيم قبل إبعاده عن العراق وردت في كتب الحديث والتفسير والموسوعات التاريخية.

### قراءة في نصوص الأحداث:

من خلال مطالعة النصوص التي أوضحت جوانب مهمة من دعوة إبراهيم، يمكننا أن نجمل الموضوع بأهم الملاحظات:

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٧١ - ٧٣.

## ١ - المواجهة بقوة وشدة:

واضح أنّ دعوة إبراهيم قائمة على المواجهة بقوة وشدة لا لين فيها ولا مطاولة، على العكس من دعوة نوح صلوات الله عليه حيث امتازت بالرفق والصبر والمطاولة.

يقول السيد أحمد الحسن: (إضاءات من دعوة إبراهيم عليه السلام:

١- المواجهة بشدة وقسوة لا لين فيها، فإبراهيم يواجه قومه فيقول: "... مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ... وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ" الأنبياء: ٥٢ - ٥٧، هنا المواجهة تنتقل بسرعة عجيبة من الجدل والمواجهة اللسانية إلى الإنكار باليد واستخدام السلاح الفتاك في حينها - الفأس:- "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ" الأنبياء: ٥٨، وجاءوا بإبراهيم المؤمن الوحيد بين جموع علماء ضلالة ومقلدين عميان وعبيد طاغوت، ولم يستسلم إبراهيم ولم يتخذ جانب اللين، بل واجههم بقسوة وشدة، سألوهم: "قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ" الأنبياء: ٦٢ فأجابهم بسخرية وتهكم: "قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ" الأنبياء: ٦٣. اسألوهم يا عميان، يا من لو تبت فطرتكم التي فطركم الله عليها، اسألوهم يا من صبغتم أنفسكم بصبغة غير صبغة الله، اسألوهم يا من حجبتم أنفسكم بعلوم مليئة بالجدل والسفسطة الشيطانية، وادعيتم أنها تمثل الدين، اسألوهم يا منكوسون؟! فلم يجدوا جواباً له إلا: "لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ" الأنبياء: ٦٥. فأجاب هذا النبي العظيم هذه الجماعة الملعونة المنكوسة بغلظة: "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ \* أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" الأنبياء: ٦٦ - ٦٧. "قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ" الشعراء: ٧٥ - ٧٧.

وفي النهاية لم يجدوا جواباً لإبراهيم عليه السلام، إلا النار التي استعرت في أجوافهم: "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ" الأنبياء: ٦٨، وهنا تمتد يد الرحمة الإلهية لتغشى هذا المؤمن الذي غضب الله: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ \* وَنَجَّيْنَاهُ ... وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا" الأنبياء: ٦٩ - ٧٣.

٢- لا مطاولة في دعوة إبراهيم عليه السلام، بل هي مواجهة سريعة تتوالى فيها الأحداث بسرعة مذهلة.

٣- تحديد الهدف والضربة التي تقصم ظهر الباطل، والاصطدام مع الباطل بقسوة وسرعة دون حساب للقياسات المادية، وما لأهل الباطل من سلطة دنيوية ودينية تمكنهم من استخفاف الناس. عندما يكون العبد على يقين أن لا قوة إلا بالله يواجه الملايين وحيداً دونما اكتراث لعددهم وعدتهم؛ لأن عدده وعدته الواحد القهار سبحانه وتعالى.

الخلاصة: أهم ما في دعوة إبراهيم عليه السلام، هي الشدة والمواجهة العلنية السريعة، وطبعاً هذه المواجهة كانت مسبقة بمواجهة سرية، كان من نتائجها إيمان لوط عليه السلام بدعوة إبراهيم) انتهى (١).

## ٢- قول إبراهيم: "فعله كبيرهم!"

لاحظنا ضمن أحداث المواجهة الإبراهيمية مع عبدة الأصنام أن إبراهيم صلوات الله عليه قام بتكسيروها جميعاً بفأسه وبعد الانتهاء منها علّق الفأس برقبة الصنم الكبير، ولما علم قومه بالموضوع سألوه عن الأمر: "قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ!"

بالتأكيد، الصنم الأكبر لم يقم بالتكسير، ولهذا تجرأ البعض - للأسف - ليصف قول إبراهيم بالكذب كما هو المروي في مصادر سنّية (٢)!

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول.

٢- روى البخاري بسنده: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عزوجل قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سألتني عنك فأخبرته انك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته فقال إنكم

والحق، إن إبراهيم (وحاشاه) لم يكذب، ويمكننا أن نفهم قوله:

**أولاً:** إبراهيم لم يكن بصدد الإخبار عن الفاعل حقيقة (ليصار إلى مطابقة إخباره للواقع من عدمه) بقدر ما كان بصدد التصعيد في مواجهة الباطل، إبراهيم صعد المواجهة مع الكفرة وعبدة الأصنام إلى حد الاستهزاء بالهتهم والسخرية منها بأسلوب تهكمي يهدف إلى النيل منها، وكان يرجو من إرجاع قومه لها أن يثير فيهم دوافع الفطرة والتأمل بعد كونها حجارة صماء لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولا دفعاً ولا نطقاً ... إلخ، إبراهيم عليه السلام كان يركز على هذا عندما قال لهم: "بل فعله كبيرهم!"، وهو صادق بفعله وقوله دون أدنى شك، وهذا المعنى رأيناه في كلام السيد أحمد الحسن المتقدم.

**ثانياً:** قول إبراهيم: "قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ" احتوى جملة شرطية، الشرط فيها هو "نطق الصنم" والجزء هو "فعل الصنم" فيكون المعنى: الصنم الكبير هو الفاعل إن نطق، وحيث إنه لم ينطق إذن لم يكن هو الفاعل، وبالتالي فلم يجانب إبراهيم الصدق، وأيضاً: واضح أنه أسلوب يقصد به تبكيت قومه وتقريعهم

---

لم تأتوني بانسان إنما اتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهباً قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره واخدم هاجر قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء) صحيح البخاري: ١١٢ / ٤.

وروى أحمد بن حنبل بسنده: (عن أبي نضرة قال خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبي الا له دعوة قد تنجزها في الدنيا واني قد اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وانا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وانا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ويدي لواء الحمد ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر ويطول يوم القيامة على الناس فيقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فليشفع لنا إلى ربنا عز وجل فليقبض بيننا فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته واسجد لك ملائكته اشفع لنا إلى ربنا فليقبض بيننا فيقول اني لست هنا كم اني قد أخرجت من الجنة بخطيئتي وانه لا يهمني اليوم الان نفسي ولكن انتوا نوحاً رأس النبيين فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح اشفع لنا إلى ربنا فليقبض بيننا فيقول اني لست هنا كم اني دعوت بدعوة أغرقت أهل الأرض وانه لا يهمني اليوم الان نفسي ولكن انتوا إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون يا إبراهيم اشفع لنا إلى ربنا فليقبض بيننا فيقول اني لست هنا كم اني كذبت في الاسلام ثلاث كذبات والله ان حاول بهن الا عن دين الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وقوله لامراته حين أتى على الملك أختي .....) مسند أحمد: ١ / ٢٨١.

**ملاحظة:** سيتضح صدق إبراهيم في مسألي "فعله كبيرهم" و"اني سقيم"، وأما مسألة وصفه زوجته بالأخت التي وردت في بعض الروايات، فعلى تقدير صحته، يمكن حمله على الأخوة الإيمانية لا النسبية، وبالتالي يكون إبراهيم عليه السلام صادقاً في وصفه أيضاً.

والتعريض ببطلان عبادتهم للأصنام. وهذا المعنى أشار له الإمام الصادق صلوات الله عليه في جوابه عن سؤال يتعلق بآية: "بل فعله كبيرهم" <sup>(١)</sup>.

### ٣- قوله: "إني سقيم":

شبيهه بالمسألة المتقدمة قول إبراهيم لقومه إنه سقيم: "فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ \* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ" لما دعوه للخروج معهم في عيد لهم. والسقم: يعني المرض، وإبراهيم لم يكن حينها مريضاً بدنياً، وهذا أيضاً اعتبرته بعض الروايات السنّة كذباً، كما لاحظنا!

لكن الصحيح أن إبراهيم كان صادقاً في قوله <sup>(٢)</sup>، وقد روى أوصياء الرسول محمد أنه يقصد بالسقم شيئاً آخر غير المرض البدني، فهو يقصد أنه مغموم (سقيم نفسياً) بسبب ضلال قومه وإصرارهم على عبادة الأصنام والكفر بالله سبحانه <sup>(٣)</sup>، أو بسبب ما

١- قال عليه السلام: (ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم عليه السلام. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: إنما قال إبراهيم: فاسألوهم إن كانوا ينطقون. فإن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم عليه السلام) معاني الأخبار، الصدوق: ٢٠٩ - ٢١٠، الاحتجاج، الطبرسي: ١٠٤ / ٢.

٢- قال المازندراني: ("ولقد قال إبراهيم عليه السلام إني سقيم وما كان سقيماً وما كذب": اعتذر عليه السلام حين دعوه للخروج معهم لعيدهم فقال إني سقيم وما كان معه سقم معروف عند الناس وما كذب لأنه ورى بهذا القول وأراد خلاف ما فهموا منه ليتخلف منهم ويخلو بأصنامهم ويكسرهما كما فعل. وفي تقدير توريته وجوه فقيل: يعني أنه سقيم بحسب القابلية والاستعداد لأن الإنسان معرض للسقم، فوزى بهذا اللفظ هذا المعنى المحتمل، وقيل: سقيم لما قدر له من الموت وما يتبعه من مشاهدة أحوال الأخيرة، وقيل: سقيم القلب بما شاهد من كفرهم وترك عبادة الخالق والاشتغال بعبادة الأصنام، وقيل: كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم، فلما رآه اعتذر بعبادته وهو معنى قوله تعالى "فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم"، وقيل: عرض بسقم حجة عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها ويعتقدون أنها تضر وتنفع، ولهذا كرر نظره في ذلك، ويحتمل أن يُراد به سقم قلبه خوفاً من أن لا تؤثر حجته في قلوبهم كما قال سبحانه "فأوجس في نفسه خيفة موسى" وأن يُراد به ما طرأ عليه بإرادة كسر آلهتهم من الخوف في مال أمره. والأصوب أن يُراد به سوء حاله وانكسار قلبه لما رأى من ملاحظة النجوم ما يرد على الحسين عليه السلام من المصائب والبلايا ..... شرح أصول الكافي: ١٢ / ٢٥.

٣- (عن صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام: ..... فقلت: قوله: "إني سقيم" قال: ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب، إنما عني سقيماً في دينه مرتداً) معاني الأخبار، الصدوق: ٢٠٩ - ٢١٠.

أطلع الله عليه من مصيبة عظيمة تحل على سبط سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله أي الإمام الحسين صلوات الله عليه <sup>(١)</sup>.

والخلاصة: العقيدة الحقة قائمة على الاعتقاد بعصمة الأنبياء وتنزههم عن المعاصي، والكذب - كما لا يخفى - ليس مجرد معصية فحسب وإنما من الكبائر!

(عن أبي بصير قال: قيل لأبي جعفر عليه السلام وأنا عنده: إنَّ سالم بن أبي حفصة وأصحابه يروون عنك أنَّك تكلم على سبعين وجهاً لك منها المخرج؟ فقال: ما يريد سالم متى أريد أن أحيي بالملائكة! والله ما جاءت بهذا النبيون ولقد قال إبراهيم عليه السلام: "إني سقيم" وما كان سقيماً وما كذب، ولقد قال إبراهيم عليه السلام: "بل فعله كبيرهم هذا" وما فعله وما كذب، ولقد قال يوسف عليه السلام: "أيتها العير إنكم لسارقون" والله ما كانوا سارقين وما كذب) <sup>(٢)</sup>.

### نجاة إبراهيم <sup>(٤)</sup> من المحرقة:

النصوص المتقدمة أشارت إلى المحرقة التي أعدها نمرود لإبراهيم عليه السلام كعقوبة على دعوته الناس إلى الله وترك عبادة الأصنام التي قام بتكسيها أخيراً، وقد قصَّ القرآن حادثة الحرق ونجاة إبراهيم منها بقوله: "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِبَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" الأنبياء: ٦٦ - ٧٠. "قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ \* فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ" الصافات: ٩٥ - ٩٨.

وأيضاً: أشارت لها الروايات كما رأينا.

١- عن الإمام الصادق عليه السلام: (في قوله تعالى: "فنظر نظرة في النجوم" فقال إنِّي سقيم"، قال: حسب فرأى ما يحلُّ بالحسين عليه السلام فقال: إنِّي سقيم لما يحلُّ بالحسين عليه السلام) الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٥.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٥.



الروايات أكدت أنّ نمرود أعد المحرقة بمشورة من أصحابه (مستشاريه)، والإمام الصادق صلوات الله عليه أرجع سبب إقدامهم على هكذا عقوبة أنهم كانوا لـ "غير رشدة"، أي لم يكونوا طاهري المولد أي كانوا أبناء حرام، بخلاف العقوبة التي أعدّها فرعون لموسى بمشورة أصحابه إذ قالوا له: "أرجه وأخاه..." أي أجلهم إلى أمد وانظر في أمرهم:

(..... فاستشار نمرود قومه في إبراهيم فقالوا له: "حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين" فقال الصادق عليه السلام: كان فرعون إبراهيم وأصحابه لغير رشدة، فإنهم قالوا لنمرود: "حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين" وكان فرعون موسى وأصحابه لرشدة فإنه لما استشار أصحابه في موسى قالوا: "أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين \* يأتوك بكل سحار عليم" فحبس إبراهيم وجمع له الحطب حتى إذا كان اليوم الذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار برز نمرود وجنوده، وقد كان بني لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم كيف تأخذه النار، فجاء إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يقدر أحد أن يتقارب من النار عن غلوة سهم وكان الطائر من مسيرة فرسخ يرجع عنها أن يتقارب من النار وكان الطائر إذا مر في الهواء يحترق فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وجاء أبوه فلطمه لطمه وقال له أرجع عما أنت عليه.

وأنزل الرب ملائكته إلى السماء الدنيا ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربه وقالت الأرض يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق وقالت الملائكة يا رب خليلك إبراهيم يحرق، فقال الله عز وجل: أما إنه إن دعاني كفيتة؟ وقال جبرئيل: يا رب خليلك إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره سلّطت عليه عدوه يحرقه بالنار فقال: اسكت إنما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت هو عبدي أخذه إذا شئت فإن دعاني أجبتة فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الإخلاص: "يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجني من النار برحمتك" فالتقى معه جبرئيل في الهواء وقد وضع في المنجنيق، فقال: يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ألجأت ظهري إلى الله أسندت أمري إلى الله وفوضت أمري إلى الله، فأوحى الله إلى النار كوني برداً فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال وسلاماً على إبراهيم وانحط جبرئيل وجلس معه يحدثه في النار ونظر إليه نمرود، فقال: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظماء

أصحاب نمرود: اني عزمت على النار أن لا تحرقه، فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقته فأمن له لوط وخرج مهاجراً إلى الشام. ونظر نمرود إلى إبراهيم في روضة خضراء في الناء ومعه شيخ يحدثه فقال لأزر: ما أكرم ابنك على ربه، قال: وكان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم وكان الضفدع يذهب بالماء ليطفئ به النار، قال: ولما قال الله للنار كوني برداً وسلاماً لم تعمل النار في الدنيا ثلاثة أيام<sup>(١)</sup>.

درس توحيد عظيم يمكننا استقاءه من أبي الأنبياء إبراهيم الذي رفض أن يعرض حاله وحاجته لأحد غير الله بما فيهم أمين وحي الله (جبرئيل)، لما سألته: "يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم"<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً: عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعادى آلهتهم حتى أدخل على نمرود فخاصمه، فقال إبراهيم: "ربي الذي يحيي ويميت" الآية، وكان في عيد لهم دخل على آلهتهم، قالوا: ما اجتراً عليها إلا الفتى الذي يعيها ويبرئ منها، فلم يجدوا له مثلة أعظم من النار، فأخبروا نمرود فجمع له الحطب وأوقد عليه ثم وضعه في المنجنيق ليرمي به في النار، وإن إبليس دل على عمل المنجنيق لإبراهيم عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

وعموماً، لا يقدم على قتل رسل الله إلا الخبيثاء من أولاد الحرام والسفاح<sup>(٤)</sup>.

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٧٢ - ٧٣.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: (لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار تلقاه جبرئيل عليه السلام في الهواء وهو يهوي، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٦.

٣- قصص الأنبياء، الراوندي: ١٠٨.

٤- (يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: إن موسى وهارون عليهما السلام لما دخلا على فرعون لم يكن في الذين حضروا واستشارهم يومئذ فهم من هو لغير رشدة، ولو كانوا كذلك أمره بقتلهما ولما قالوا: "أرجه وأخاه" وأشاروه بالتأني والنظر. قال: ثم وضع أبو عبد الله يده على صدره، قال: وكذلك والله نحن لا ينزع إلينا (يسرع) - يعني بالمكروه - إلا كل خبيث الولادة) شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٩.

وبالنسبة إلى فكرة استعمال المنجنيق، فقد رأينا النصوص التي أوضحت أنها كانت بوحى من إبليس عدو الله، وروى أنه أول منجنيق يعمل<sup>(١)</sup>.

النصوص – أيضاً – أكدت غضب بعض الملائكة وتوجيههم إلى الله بالدعاء لسلامة خليل الله من المحرقة؛ حيث ورد في النص المتقدم: "وأنزل الرب ملائكته إلى السماء الدنيا ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربه وقالت الأرض يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق وقالت الملائكة يا رب خليلك إبراهيم يحرق، فقال الله عز وجل: أما إنه إن دعاني كفيته!" وكان من دعاء إبراهيم أن توجه إلى الله بسورة الإخلاص<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً: بعث الله سبحانه أمينه جبرئيل بخاتم فيه ستة أحرف ليوصله إلى إبراهيم ويتختم به، كان فيه كلمات تضمنت اسمه سبحانه واسم رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله<sup>(٣)</sup>.

---

١- (عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: "قلنا يا ناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم" قال: إن أول منجنيق عمل في الدنيا منجنيق عمل لإبراهيم بسور الكوفة في نهر يقال لها كوثر، وفي قرية يقال لها قنطانا، قال: عمل إبليس المنجنيق وأجلس فيه إبراهيم عليه السلام وأرادوا أن يرموا به في نارها أتاه جبرئيل عليه السلام قال: السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته، ألك حاجة؟ قال: ما لي إليك حاجة، بعدها قال الله تعالى: "قلنا يا ناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم") تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم: ٢٦٣ – ٢٦٤.

وروى ابن عساكر بسنده: (قال مقاتل وسعيد إن أول من اتخذ المنجنيق نمروذ وذلك أن إبليس جاءهم لما لم يستطيعوا أن يدنوا من النار قال أنا أدلكم فاخذ لهم المنجنيق وحيء بإبراهيم فخلعوا ثيابه وشدوا قمطاه فوضع في المنجنيق فبكت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والعرش والكرسي والسحاب والريح والملائكة كل يقول يا رب إبراهيم عبدك بالنار يحرق فأذن لنا في نصرته .....) تاريخ مدينة دمشق: ٦ / ١٨٢.

٢- (عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أخبرني أبي عن جدي، عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل قال: لما أخذ نمروذ إبراهيم ليلقيه في النار قلت: يا رب عبدك وخليك ليس في أرضك أحد يعبدك غيره، قال الله تعالى: هو عبدي أخذه إذا شئت. ولما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار تلقاه جبرئيل عليه السلام في الهواء وهويهم إلى النار. فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وقال: "يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجني من النار برحمتك" فأوحى الله تعالى إلى النار: كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) الأمالي، الصدوق: ٥٤٢.

٣- عن الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (.....) إن إبراهيم عليه السلام لما وضع في كفة المنجنيق غضب جبرئيل عليه السلام، فأوحى الله عز وجل: ما يغضبك يا جبرئيل؟ قال: يا رب خليلك ليس من

والحقيقة، إنّ حق محمد وآل محمد صلوات الله عليهم جداً ورسّل الله عليهم السلام يعرفون ذلك تماماً، ولذلك كانوا يدعون الله بحقهم للدفع عنهم في المواضع العظام<sup>(١)</sup>.

وبخصوص إبراهيم: فهو لم يوجس خيفة لما وضع في المنجنيق وقذف به في النار بخلاف موسى الذي أوجس في نفسه خيفة لما رأى حبال السحرة وعصيمهم، والسبب يكمن في أنّ إبراهيم كان يحمل محمداً وآله في صلبه بخلاف موسى<sup>(٢)</sup>!

هذا، ولم تشر المصادر السنية إلى هذه الحقيقة التي أكدها أوصياء الرسول محمد صلوات الله عليهم، واكتفى بعضهم بالإشارة إلى أنّ خوف موسى كان من فشل مهمته الدعوية بينما كان إبراهيم في موضع اختبار مع ربه<sup>(٣)</sup>! وواضح أنه تعليل لا ينقطع به السؤال، أي أن السؤال لا زال قائماً: لماذا أوجس موسى خيفة ولم يوجسها إبراهيم؟

---

يعبدك على وجه الأرض غيره، سلّطت عليه عدوك وعدوه، فأوحى الله عزوجل إليه: اسكت إنما يعجل العبد الذي يخاف الفوت مثلك، فأما أنا فإنه عبدي أخذه إذا شئت، قال: قطابت نفس جبرئيل عليه السلام فالتفت إلى إبراهيم عليه السلام فقال: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فأهبط الله عزوجل عندها خاتماً فيه ستة أحرف: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فوّضت أمري إلى الله، أَسَدَت ظَهْرِي إِلَى اللَّهِ، حَسْبِيَ اللَّهُ" فأوحى الله جل جلاله إليه: أن تختتم بهذا الخاتم فإني أجعل النار عليك برداً وسلاماً<sup>(٤)</sup> الأمالي، الصدوق: ٥٤٢.

روى البخاري بسنده: (عن ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) صحيح البخاري: ٥ / ١٧٢.

١- عن الإمام الرضا صلوات الله عليه، قال: (لما أشرف نوح صلوات الله عليه على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رمى إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل النار عليه برداً وسلاماً، وأنّ موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وأنّ عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا نجى من القتل فرفعه إليه) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٠٩ - ١١٠.

٢- (عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن موسى بن عمران عليه السلام لما رأى حبالهم وعصيمهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق وقذف به في النار؟ فقال عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله عزوجل، ولم يكن موسى عليه السلام كذلك، فلماذا أوجس في نفسه خيفة، ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام) الأمالي، الصدوق: ٧٥٢ - ٧٥٣.

٣- قال ابن القيم

وأيضاً: في قضية نجاة إبراهيم من نارنمرود، عادة ما يذكر القميص الذي هبط به جبرئيل من الجنة فحال بينه وبين النار<sup>(١)</sup>، وبالتأكيد لم يكن قميصاً مادياً؛ باعتبار أن الجنة ليست مادية ولا جسمانية، وسيأتي بيان المعنى الصحيح له وللروايات التي ذكرته.

وروي أن نجاة إبراهيم من نارنمرود كانت في يوم الغدير (١٨ من شهر ذي الحجة)؛ وهو تاريخ توافق لاحقاً مع أحداث إلهية كبرى تخص خط الرسائل، أهمها: توافقه مع اليوم الذي نصّب فيه الرسول محمد صلى الله عليه وآله (بأمر الله) أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وصياً وخليفة شرعياً له<sup>(٢)</sup>.

١- (عن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام؟ قال: قلت: لا، قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار أتاه جبرئيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنة فألبسه إياه، فلم يضره معه حر ولا برد، فلما حضر إبراهيم الموت جعله في تيممة وعلّقه على إسحاق، وعلقه إسحاق على يعقوب، فلما ولد يوسف عليه السلام علقه عليه، فكان في عضده حتى كان من أمره ما كان، فلما أخرجه يوسف بمصر من التيممة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: "إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون" فهو ذلك القميص الذي أنزله الله من الجنة، قلت: جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص؟ قال: إلى أهله، ثم قال: كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى آل محمد صلى الله عليه وآله الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٢.

وروي السيوطي: (عن الحسن رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله اذهبوا بقميصي هذا أن نمروذ لما ألقى إبراهيم في النار نزل إليه جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يتحدث فأوحى الله إلى الناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم ولولا أنه قال وسلاماً لأذاه البرد ولقنته البرد) الدر المنثور: ٤ / ٣٤، ورواه ابن عساكر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله، انظر: تاريخ مدينة دمشق: ٦ / ١٨٨.

٢- عن المفضل بن عمر قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام ثم ذكر حديثاً في فضل يوم الغدير - إلى أن قال المفضل - سيدي، تأمّرني بصيامه؟ قال: إي والي، إي والله، إي والله، إنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام فصام شكراً لله تعالى ذلك اليوم، وإنه اليوم الذي نجي الله تعالى فيه إبراهيم عليه السلام من النار فصام شكر الله تعالى على ذلك، وإنه اليوم الذي أقام موسى هارون عليه السلام علماً فصام شكراً لله تعالى ذلك اليوم، وإنه اليوم الذي أظهر عيسى وصيه شمعون الصفا فصام شكراً لله عز وجل ذلك اليوم، وإنه اليوم الذي أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علماً عليه السلام للناس علماً وأبان فيه فضله ووصيه فصام شكراً لله عز وجل ذلك اليوم، وإنه ليوم صيام وقيام وإطعام وصلة الاخوان، وفيه مرضاة الرحمن، ومرغمة الشيطان) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٠٠ / ٤٤٥ - ٤٤٦.

## اتخاذ الله إبراهيم خليلاً:

قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" النساء: ١٢٥.

الخلّة: هي درجة خاصة من الحب والقرب الشديد<sup>(١)</sup>.

نصوص العهد القديم أشارت لهذا الوصف أيضاً:

- "٨" وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِسْرَائِيلُ عَبْدِي، يَا يَعْقُوبُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي " سفر إشعيا - إصحاح ٤١.
- "٧" أَلَسْتُ أَنْتَ إِلَهَنَا الَّذِي طَرَدْتَ سُكَّانَ هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَيْتَهَا لِنَسْلِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ إِلَى الْأَبَدِ؟" سفر أخبار الأيام الثاني - إصحاح ٢٠.

الخلّة: مقام إلهي فوق الرسالة؛ باعتبار وجود رسل كثيرين لكنهم لم يوصفوا بالخلّة، كما أنّ الرسالة مقام إلهي فوق النبوة، وفوق الخلّة مقام الإمامة الذي ناله إبراهيم في أواخر حياته بعد أن رزق الذرية، كما سيتضح:

(عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذهُ نبياً، واتخذهُ نبياً قبل أن يتخذهُ رسولاً، واتخذهُ رسولاً قبل أن يتخذهُ خليلاً، واتخذهُ خليلاً قبل أن يتخذهُ إماماً، فلما جمع له هذه الأشياء - وقبض يده - قال

---

١- عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (لما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلاً أتاه بشراه بالخلّة فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً فدخل إبراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابَه وأخذ مفتاحه معه ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون من الرجال فأخذه بيده وقال: يا عبد الله من أدخلك داري فقال: ربهما أدخلنيها فقال: ربهما أحق بهما مني فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت ففزع إبراهيم عليه السلام فقال: جنتي لتسليبي روحي؟ قال: لا ولكن اتخذ الله عبداً خليلاً فجئت لبشارته قال: فمن هو لعلّي أخدمه حتى أموت؟ قال: أنت هو، فدخل على سارة عليها السلام فقال لها: إنّ الله تبارك وتعالى اتخذني خليلاً) الكافي، الكليني: ٨ / ٣٩٢.

له: يا إبراهيم إني جاعلك للناس إماماً، فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: يا رب ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين<sup>(١)</sup>.

فبحسب الإمام الباقر عليه السلام يكون التسلسل للمقامات الإلهية التي نالها إبراهيم عليه السلام بالنحو التالي: نبوة، رسالة، خلة، إمامة.

وبالرغم من وضوح هذه المسألة ودلالة النصوص القطعية عليها، لكن بعض علماء السنة يرى أنّ الخلة مقام أرفع من الإمامة؛ بتوهم أنّ الخلة لا تقبل المشاركة بخلاف الإمامة فإنها تقبلها<sup>(٢)</sup>! ولا شك أنّه خطأ عقائدي ناشئ من عدم الفهم الصحيح لمعنى الإمامة التي نالها خاصة حجج الله ورسوله ومنهم إبراهيم الخليل، وسيأتي تفصيل الكلام فيها لاحقاً.

أما سبب الخلة، فهو بحسب النصوص:

- ١- تواضعه، إذ لما بشّره الملك بأنّ الله اتخذ عبداً خليلاً قال مباشرة: "فمن هولعليّ أخدمه حتى أموت" كما رأيناه في النصوص.
- ٢- كثرة سجوده على الأرض<sup>(٣)</sup>.
- ٣- لم يرد سائلاً ولم يسأل أحداً غير الله<sup>(٤)</sup>.

١- الكافي، الكليني: ١/ ١٧٥.

٢- منهم: ابن القيم، قال: (ولما اتخذ ربه خليلاً، والخلة: هي كمال المحبة، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة) جلاء الأفهام: ٣٩٧. وربما يشعر به - أيضاً - ما ذكره الرازي حيث قال: (قيل: لما طلع الله إبراهيم عليه السلام على الملكوت الأعلى والأسفل ودعا القوم مرة بعد أخرى إلى توحيد الله، ومنعهم عن عبادة النجم والقمر والشمس، ومنعهم عن عبادة الأوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيّافان جعله الله إماماً للخلق ورسولاً إليهم، وبشّره بأن الملك والنبوة في ذريته، فلهذه الاختصاصات سماه خليلاً) تفسير الرازي: ١١ / ٥٨.

٣- (عن ابن أبي عمير، عن ذكره قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم اتخذ الله عزوجل إبراهيم خليلاً؟ قال: لكثرة سجوده على الأرض) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٤.

٤- (عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يحدث عن أبيه عليه السلام أنه قال: اتخذ الله عزوجل إبراهيم خليلاً لأنه لم يرد أحداً ولم يسأل أحداً غير الله عزوجل) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٤.

٤- كثرة صلواته على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم <sup>(١)</sup>.

٥- إطعام الطعام وصلواته بالليل <sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر: أنَّ بعض هذه الأسباب كانت هي سبب الخلّة بحسب روايات وأقوال المسلمين السنة <sup>(٣)</sup>.

وعموماً، كل هذه الأمور يجمعها أمر واحد، هو: شدة طاعة إبراهيم عليه السلام وتسليمه لله سبحانه وتخلّقه بمكارم الأخلاق التي دعاه ربه للتخلّق بها.

ومن المهم أن نعرف أنَّ دين إبراهيم صلوات الله عليه وخلّته كانت قائمة على معرفته بسيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله ومعرفة آله الطاهرين صلوات الله عليهم والإقرار لهم بالفضل، إذ بحسب النص المتقدم أنه كان كثير الصلاة عليهم، وسيأتي بيان أوسع لهذه الحقيقة.

١- (عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: إنما اتخذ الله عزوجل إبراهيم خليلاً. لكثرة صلواته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٤.

٢- (عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام، وصلواته بالليل والناس نيام) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٥.

٣- قال العيني: (وسبب تسميته خليلاً ما ذكره ابن جرير في "تفسيره": عن بعضهم أنه إنما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحية جذب، فأرسل إلى خليل له من أهل الموصل، وقيل: من أهل مصر، ليمتار طعاماً لأهله من قبله، فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مرمفازة ذات رمال فقال: لو ملأت غرائي من هذا الرمل لثلا أغم أهلي بروجعي إلهم بغير ميرة، وليظنوا إني أتيتهم بما يحبون، ففعل ذلك، فتحول ما في غرائه من الرمل دقيقاً، فلما صار إلى منزله نام وقام أهله ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقاً نقياً، فعجنوا منه وخبزوه، فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذي خبزوا منه، فقالوا: من الدقيق الذي جئتنا به من عند خليلك، فقال: نعم هو من خليلي الله، فسماه الله تعالى بذلك خليلاً. وقيل: إنما سمي خليلاً لشدة محبة ربه عزوجل لما قام له من الطاعة التي يحيا ويرضاها، ..... وقال ابن أبي حاتم، بإسناده إلى عبد الله بن عمير، قال: كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يضيف الناس، فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً، فقال: يا عبد الله! ما أدخلك داري بغير إذني؟ فقال: دخلتها بإذن ربها، قال: ومن أنت، قال: ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذ خليلاً، قال: من هو؟ فوالله إن أخبرتي به، ثم كان بأقصى البلاد لأتيته ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت، قال: ذلك العبد أنت قال: نعم! قال: فيم اتخذني ربي خليلاً؟ قال: إنك تعطي الناس ولا تسألهم) عمدة القاري: ١٥ / ٢٤٠.



## الإبعاد إلى الشام:

كشأن جميع الطغاة في كل العصور، لما لم يتمكن نمروود وحاشيته من مواجهة حجة إبراهيم صلوات الله عليه، وبعد فشل جميع الإجراءات التي اتخذوها لمنعه عن نشر دعوته والتي تمثلت أخيراً بفشل مخططهم الخبيث (المحرقة) في القضاء عليه، وأكد أن نجاة إبراهيم ستكون محور حديث الناس في بابل وما جاورها باعتبارها حدثاً مهماً سيتم تناقله وربما يؤدي إلى كسب تعاطف أو تأييد كثير من الناس له، لذلك قرر نمروود وزبانيته طرد إبراهيم من البلاد<sup>(١)</sup> ومصادرة أمواله:

(عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ..... إن إبراهيم عليه السلام لما كسر أصنام نمروود وأمر به نمروود فأوثق وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار ثم قذف إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقه، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمروود خبره فأمرهم أن ينفوا إبراهيم من بلاده، وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا علي ما ذهب من عمري في بلادكم، واختصموا إلى قاضي نمروود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمروود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم، وأخبر بذلك نمروود فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله وأن يخرجوه، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم: "إني ذاهب إلى ربي سيهدين" يعني إلى بيت المقدس، .....)<sup>(٢)</sup>

١- (عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان لنمرود مجلس يشرف منه على النار، فلما كان بعد ثلاثة أشرف على النار هو وأزر، وإذا إبراهيم عليه السلام مع شيخ يحدثه في روضة خضراء. قال: فالتفت نمروود إلى أزر، فقال: يا أزر، ما أكرم ابنك على ربه! قال: ثم قال نمروود لإبراهيم: اخرج عني ولا تساكني) الأماي، الطوسي: ٦٥٩.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٧٠ - ٣٧١.

### نزول إبراهيم<sup>(ع)</sup> في الشام:

يكمل الإمام الصادق كلامه في رواية إبراهيم الكرخي: يقول: (.....) فخرج إبراهيم معه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم: "إني ذاهب إلى ربي سيهدين" يعني إلى بيت المقدس، فتحمل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها الأغلاق غيرة منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وسار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمر بعاشر<sup>(١)</sup> له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: افتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عشره ولا نفتحه، قال: فأبى العاشر إلا فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم: هي حرمتي وابنة خالتي، فقال له العاشر: فما دعائك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك، قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا ليذهبوا به، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى يفارق روعي جسدي، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن يحملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى ادخل على الملك، فقال له الملك: افتح التابوت، فقال له إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إنَّ فيه حرمتي وبنيت خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي، قال: فغضب الملك إبراهيم على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام وجهه عنها وعنه غيرة منه وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه، فقال له الملك: إنَّ إلهك هو الذي فعل بي هذا؟ فقال له: نعم إنَّ إلهي غيور يكره الحرام، وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام، فقال له الملك: فادع إلهك يرد علي يدي فإن أجابك فلم أعرض لها، فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي رد إليه يده ليكف عن حرمتي، قال: فرد الله عز وجل إليه يده فأقبل الملك نحوها ببصره ثم عاد بيده نحوها، فأعرض إبراهيم عنه بوجهه غيرة منه وقال: اللهم احبس يده

١- العاشر: هو الذي يأخذ عشر قيمة البضائع، فهو بمثابة موظف الجمارك الذي يعمل في المنافذ الحدودية.

عنها، قال: فيبست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: إنّ إلهك لغيور وإنك لغيور فادع إلهك يرد علي يدي فإنه إن فعل لم أعد، فقال إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال له الملك: نعم، فقال إبراهيم: اللهم إن كان صادقاً فرد يده عليه فرجعت إليه يده، فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده عظم إبراهيم وهابه وأكرمه وأتقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشيء مما معك فانطلق حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة، فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهيم فدعا بها فوهبها لسارة وهي هاجر أم إسماعيل، فسار إبراهيم بجميع ما معه، وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم إعظماً لإبراهيم عليه السلام وهيبة له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم: أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشي وهو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فإنه مسلط، ولا بد من إمرة في الأرض برة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: امض فإن إلهي أوحى إلي الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامي وأمشي خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم: نعم، فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حلیم كريم، وأنك ترغبني في دينك، قال: وودعه الملك فسار إبراهيم حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف لوطاً عليه السلام في أدنى الشامات، ثم إنّ إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعيتني هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً: فابتاع إبراهيم هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل عليه السلام<sup>(١)</sup>.

إخراج إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام ورد في مصادر سنية أيضاً<sup>(٢)</sup>.

١- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٧١ - ٣٧٣.

٢- منها: (عن السدي، قال: أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج، يعني من مدينته، قال: فلقى لوطاً على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فأمن به، وقال: إني مهاجر إلى ربي) جامع البيان، الطبري: ١٤ / ١٢٩. وأيضاً: روى الحاكم بسنده إلى الواقدي، قال: (..... فأخرجوه من أرض بابل إلى الأرض المقدسة حتى ورد حران فأخرجوه منها حتى دفعوا إلى الأردن وفيها جبار من الجبارين حتى قصمه الله ثم إن إبراهيم رجع إلى الشام ومعه لوط فنبأ الله لوطاً وبعثه إلى المؤتفكات رسولاً وداعياً إلى الله وهي خمسة مدائن أعظمها سدوم) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٥٦٢.

### هلاك نمرود:

المشروع الإلهي الرسالي كما يسطر بأحرف من نور جهاد وتضحيات رسل الله، تسطر أحرفه – أيضاً – مواقف أعداء الله الذين وقفوا بالضد من دعوات الرسل، ومنهم نمرود في شدة عدائه لإبراهيم صلوات الله عليه <sup>(١)</sup>.

وقد شاء الله سبحانه أن يذل جبروت نمرود المتكبر على يد أضعف مخلوقاته "بعوضة"، وتكون سبباً في هلاكه <sup>(٢)</sup>. وروي: أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ <sup>(٣)</sup>.

١- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعَةٌ نَفَرٌ: أَوْلَهُمْ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ، وَنَمْرُودُ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وَاثْنَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَوْدًا قَوْمَهُمْ وَنَصْرَاهُمْ، وَفِرْعَوْنُ الَّذِي قَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى، وَاثْنَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ) الخصال، الصدوق: ٣٤٦.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام في حكمة خلق الأشياء: (..... فَأَمَّا الْبَعُوضُ وَالْبَقِ فَبِعُضِّ سَبَبِهِ أَنَّهُ جَعَلَ أَرْزَاقَ الطَّيْرِ، وَأَهَانَ بِهَا جَبَّاراً تَمَرَّدَ عَلَى اللَّهِ وَتَجَبَّرَ، وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْضَعْفَ خَلْفِهِ لِيَرِيهِ قُدْرَتَهُ وَعَظَمَتَهُ وَهِيَ الْبَعُوضُ فَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى دِمَاغِهِ فَقَتَلَتْهُ) الاحتجاج، الطبرسي: ٨٦ / ٢.

ومثل ذلك ورد في مصادر سنية، انظر مثلاً: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٢١ / ١.

٣- عن الإمام الرضا عن أبيه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم في جواب أسئلة الشامي، قال: (كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين اني أسألك عن أشياء، فقال: سل تفقها ولا تسأل تعنتاً، فأحرق الناس بأبصارهم، ..... فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه وثقله، وأي أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق وفيه قتل قابيل هابيل أخاه، ويوم الأربعاء القى إبراهيم من النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق، ويوم الأربعاء غرق الله تعالى فرعون، ويوم الأربعاء جعل الله عالمها سافلها، ويوم الأربعاء أرسل الله تعالى الريح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سلَّطَ الله على نمرود البقرة، ويوم الأربعاء طلب فروع موسى ليقته، ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الأربعاء خرب بيت المقدس، ويوم الأربعاء أحرق مسجد سليمان بن داود بالصخر من كورة فارس، ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا، ويوم الأربعاء أظلم قوم فرعون أول العذاب، ويوم الأربعاء خسف الله بقارون، ويوم الأربعاء ابتلى أيوب بذهاب ماله وولده، ويوم الأربعاء ادخل يوسف السجن، ويوم الأربعاء قال الله تعالى "انا دمرناهم وقومهم أجمعين"، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة، ويوم الأربعاء عقرت الناقة، ويوم الأربعاء مطر عليهم حجارة من سجيل، ويوم الأربعاء شج وجه النبي صلى الله عليه وآله وكسرت ربايعيته، ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت، ... علل الشرائع، الصدوق: ٥٩٣ / ٢ - ٥٩٧ - ٥٩٨.

وأيضاً: (عن زرين حبش: "فِي يَوْمِ نَحْسِ مُسْتَمِرٍّ" قال: يوم الأربعاء) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: ١٠ / ٣٣٢.

## إبراهيم (ع) في مسجدي الكوفة والسهلة:

قبل إبعاده إلى الشام، وأثناء حركته في بابل وبلاد ما بين النهرين، كان إبراهيم عليه السلام يأتي الكوفة لزيارة مسجدها وكذا زيارة مسجد السهلة الواقع بالقرب منه (١).

وروي أنه مرّ بظهر الكوفة (النجف) واشترى منطقة "الغري" من أهلها (٢).

١- هذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

- (عن سفيان بن السمط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا دخلت من الباب الثاني في ميمنة المسجد فعد خمس أساطين ثنتين منها في الظلال وثلاثة في الصحن فعند الثالثة مصلى إبراهيم عليه السلام وهي الخامسة من الحائط، قال: فلما كان أيام أبي العباس دخل أبو عبد الله عليه السلام من باب القيل فتيسر حين دخل من الباب فصلى عند الأسطوانة الرابعة وهي بحذاء الخامسة، فقلت أفتلك أسطوانة إبراهيم عليه السلام؟ فقال لي: نعم) الكافي، الكليني: ٤٩٣/٣.

- (عن ابن أسباط رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأسطوانة السابعة مما يلي أبواب كندة في الصحن مقام إبراهيم عليه السلام والخامسة مقام جبرئيل عليه السلام) نفس المصدر.

- (عن حماد بن زيد الحارثي، قال: كنت عند جعفر بن محمد عليهما السلام والبيت غاص من الكوفيين، فسأله رجل منهم: يا بن رسول الله، إني ناء عن المسجد، وليس لي نية الصلاة فيه، فقال: "أنته، فلو يعلم الناس ما فيه لاتوه ولو حبواً"، قال: إني اشتغل، قال: "فأته ولا تدعه ما أمكنك، وعليك بميامنه مما يلي أبواب كندة، فإنه مقام إبراهيم عليه السلام، وعند الخامسة مقام جبرئيل، والذي نفسي بيده لو يعلم الناس من فضله ما أعلم لأزحموا عليه" مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ٤٠٩/٣.

- (عن عبد الله ابن أبان، قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فسألنا أفيكم أحد عنده علم عني زيد بن علي؟ فقال: رجل من القوم: أنا عندي علم من علم عمك كنا عنده ذات ليلة في دار معاوية بن إسحاق الأنصاري إذ قال: انطلقوا بنا نصلي في مسجد السهلة فقال أبو عبد الله عليه السلام: وفعل؟ فقال: لا، جاء أمر فشغله عن الذهاب، فقال: أما والله لو أعاد الله به حولاً لأعاده أما علمت أنه موضع بيت إدريس النبي عليه السلام والذي كان يخيظ فيه، ومنه سار إبراهيم عليه السلام إلى اليمن بالعمالة، ومنه سار داود إلى جالوت، وإن فيه لصخرة خضراء فيها مثال كل نبي ومن تحت تلك الصخرة أخذت طينة كل نبي وإنه لمناخ الراكب، قيل: ومن الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام) الكافي، الكليني: ٤٩٤/٣.

٢- (عن أبي الجارود رفعه فيما يروى إلى علي صلوات الله عليه قال: إن إبراهيم صلى الله عليه مريباقيا فكان يزلزل بها قبات بها فأصبح القوم ولم يزلزل بهم، فقالوا: ما هذا وليس حدث، قالوا: نزل هاهنا شيخ ومعه غلام له قال: فأتوه، فقالوا له: يا هذا انه كان يزلزل بنا كل ليلة ولم يزلزل بنا هذه الليلة فبت عندنا، قبات فلم يزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نجري عليك ما أحببت قال: لا، ولكن تبيعوني هذا الظهر، ولا يزلزل بكم، فقالوا: فهو لك، قال: لا أخذه إلا بالشراء فقالوا: فخذ ما شئت فاشتره بسبع نعاج وأربعة أحمره فلذلك سعي بانقيا لأن

وأيضاً: روي أنه يوجد في النخيلة (على مقربة من الكوفة وبابل) مسجد لإبراهيم يصلي فيه القائم عند ظهوره<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: كان إبراهيم صلوات الله عليه يمر بكربلاء، وعند مروره فيها في إحدى المرات أعلمه الله بما يجري على سبط الرسول محمد؛ الحسين بن علي صلوات الله عليهم<sup>(٢)</sup>، ولذلك رأينا فيما سبق تأويل قوله "إني سقيم" بأنه مغموم لما يجري على الحسين من مصيبة، بل سيتضح أنّ رؤيا إبراهيم بذبح ولده إسماعيل وامتناله وتسليمه لله له علاقة بقضية الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه وما يجري عليه في كربلاء، وهو مقطع أساسي في رسالة إبراهيم يقع ضمن مسار التمهيد لرسالة محمد؛ باعتبار أنّ الحسين يمثل جزءاً أساسياً من رسالة محمد صلى الله عليه وآله.

### معرفة إبراهيم<sup>(٤)</sup> بالرسول محمد وآله<sup>(٥)</sup>:

معرفة خليل الله إبراهيم بسيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله وكذا معرفته بآله وأوصيائه لم تتجلّ في وقت نجاته من المحرقة التي أُعدّت له وأنه دعا الله بحقهم فنجّاه الله منها كما لاحظنا في النصوص التي تقدمت، بل القضية أسبق من ذلك، فبحسب

النعاج بالنبطية نقيا قال: فقال له غلامه: يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر ليس فيه زرع ولا ضرع فقال له اسكت فإن الله تعالى يحشر من هذا الظهر سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب يشفع الرجل منهم لكذا وكذا) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٨٥.

١- (قال أبو جعفر عليه السلام: لكانني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كأن قلوبهم زبر الحديد جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، يسير الرعب امامه شهراً وخلفه شهراً، أمده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حتى إذا صعد النجف، قال لأصحابه: تعبدوا ليلتكم هذه فيبيتون بين راعع وساجد يتضرعون إلى الله حتى إذا أصبح، قال: خذوا بنا طريق النخيلة وعلى الكوفة جند مجند قلت: جند مجند؟ قال: أي والله حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنخيلة، فيصلّي فيه ركعتين فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفيناني، فيقول لأصحابه: استطردوا لهم ثم يقول كروا عليهم) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ٥٩.

٢- (روي أنّ إبراهيم مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي، أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك مو افقة لدمه ...) بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٢٤٣.

النصوص التي عرضناها أكثر من مرة: ما من نبي يُبعث إلا بمعرفتهم والإقرار بفضلهم وولايتهم، وإبراهيم صلوات الله عليه غير مستثنى من هذه القاعدة الإلهية والرسالية.

وأيضاً: عرف إبراهيم حق محمد وآل محمد صلوات الله عليهم في رؤيته الملكوتية التي عرضناها سابقاً، وكان من نتائجها أنه أصبح من الموقنين.

وأيضاً: رأينا (في بحث الخِلة) أنّ واحداً من أسباب اتخاذ إبراهيم خليلاً هو كثرة صلاته على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم. ولهذا، كان ذكر محمد وآل محمد ملازماً لإبراهيم في أيام دعوته في العراق، وكذا بعد إخراجه منه.

وأيضاً: المقامات التي ارتقى لها إبراهيم عليه السلام من النبوة ثم الخِلة وصولاً إلى مقام الإمامة لها علاقة بمعرفته بهم بدون أدنى شك، وقد عرفنا عند استعراض دعوة آدم ونوح عليهما السلام أنّ السبب في عد نوح وإبراهيم وموسى وعيسى من أولي العزم دون سواهم من الأنبياء له علاقة بالمعرفة والإقرار بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وبالمهدي من آل محمد بالخصوص، وهي حقيقة أكدتها نصوص أوصياء الرسول محمد صلوات الله عليهم بوضوح تام<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: سيتضح أنّ واحدة من أهم مهام إبراهيم عليه السلام بعد خروجه من العراق هي التهيئة والتمهيد لرسالة ولده محمد صلى الله عليه وآله من خلال:

- نقل زوجته هاجر وولده إسماعيل من أعلى الشام إلى الجنوب وإسكانهم في مكة بجوار بيت الله الذي كُلف (في المقطع الأخير من حياته) ببنائه بمعونة ولده إسماعيل ثم دعوة الناس لحجّه.

---

١- منها: عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً" قال: (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سمي أولوا العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك والاقرباء) الكافي، الكليني: ١/ ٤١٦. وللمزيد راجع بحث "آدم والرسول محمد" ضمن "بعثة آدم" في الجزء الأول من "الرسالة".

- وأيضاً: حادثة ذبح ولده إسماعيل، فقد هيأت - كما عرفنا <sup>(١)</sup> - لقضية ذبح عبد الله "والد الرسول"، وكلاهما (إسماعيل وعبد الله) هيئتا للحسين، والحسين جزء من رسالة محمد.
- وأيضاً: بعث يوسف من ضمن رسالة إبراهيم، ورسالة يوسف وما حدث معه هيأت للمهدي من آل محمد، والمهدي جزء أساسي من رسالة محمد.

وغير ذلك من سبل التمهيد الإبراهيمي للرسالة المحمدية العظمى.

والخلاصة: كما كان آدم ونوح والرسل الأوائل عليهم السلام يعرفون حق وفضل محمد وآل محمد صلوات الله عليهم فأبراهيم عليه السلام كذلك، بل بدرجة أتم <sup>(٢)</sup>.

١- انظر كلام السيد أحمد الحسن في مطلع الكتاب.

٢- هذه نماذج من النصوص التي تؤكد ذلك:

- (عبد الله بن أبي أوفى، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: لما خلق الله إبراهيم الخليل، كشف له عن بصره، فنظر إلى جنب العرش نوراً، فقال: إلهي من هذا النور؟ فقال: هذا محمد صفوتي. فقال: إلهي وسيدي إني أرى بجانبه نوراً آخر؟ فقال: يا إبراهيم هذا علي ناصر ديني. فقال: إلهي وسيدي ومولاي إني أرى بجانبه نوراً آخر ثالثاً؟ فقال: يا إبراهيم، هذه فاطمة تلي أباهما وبعلها، فطمت محبتها عن النار. فقال: إلهي وسيدي إني أرى نورين يليان الثلاثة الأنوار؟ قال: يا إبراهيم، هذان الحسن والحسين، نوراهما يليان أباهما وأمهما وجدهما. قال: إلهي وسيدي إني أرى تسعة أنوار، فقد أحدقوا بالخمسة الأنوار؟ قال: يا إبراهيم، هذه الأئمة من ولدهم، قال: يا رب، بمن يعرفون؟ قال: أولهم علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، محمد بن الحسن القائم المنتظر المهدي عليهم السلام. قال: إلهي وسيدي وأرى عندهم أنواراً حولهم لا يحصي عدتهم إلا أنت، قال: يا إبراهيم، هؤلاء شيعتهم ومحبوهم قال إلهي وسيدي وبما يعرف شيعتهم ومحبوهم؟ قال: يا إبراهيم، بصلاتهم الإحدى والخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، وسجدة الشكر، والتختم باليمين. قال إبراهيم: رب اجعلني من شيعتهم ومحبيهم، قال: قد جعلتك منهم، وأنزل الله فيه: "وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم". قال المفضل بن عمر: لما إن إبراهيم أحس بالموت، روى هذا الخبر وسجد فقبض في سجدته عليه السلام) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ابن شاذان: ١٨٦ - ١٨٧.

- (عن جابر الجعفي أنه سأل جعفر بن محمد عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: "وإن من شيعته لإبراهيم" فقال عليه السلام: إن الله سبحانه لما خلق إبراهيم كشف له بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش، فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال: هذا نور محمد صفوتي من خلقي، ورأى نوراً من جنبه فقال إلهي ما هذا النور؟ فقال: نور علي بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني، ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال: إلهي ما هذه الأنوار؟ فقليل له: هذا نور فاطمة فطمت محبتها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين، قال: إلهي وأرى تسعة أنوار قد أحدقوا بهم، قيل:



من جهة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فقد روي عنه أنه كان يشبهه أبيه إبراهيم صلوات الله عليه (١). علماً أنّ القرب والنسب بين الرسول محمد وأبيه إبراهيم صلوات الله عليهما يتعدى إلى الجانب الديني بالتأكيد (٢).

محمد وآل محمد صلوات الله عليهم هم الكلمات التي ابتلى الله عبده إبراهيم بها:

(عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل: "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" ما هذه الكلمات؟ قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه. وهو أنه قال: "يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي" فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عزوجل بقوله: "فأتمن"؟ قال: يعني فأتمنهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام) (٣).

يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولد علي وفاطمة، فقال إبراهيم: إلهي بحق هؤلاء الخمسة إلا عرفتني من التسعة؟ قيل: يا إبراهيم أولهم علي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر وابنه موسى وابنه علي وابنه محمد وابنه علي وابنه الحسن والحجة القائم ابنه، فقال إبراهيم: إلهي وسيدي أرى أنواراً قد أحرقوا بهم لا يحصي عددهم إلا أنت، فقيل: يا إبراهيم شيعتهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟ قال: بصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختم في اليمين، فعند ذلك قال إبراهيم: اللهم اجعلي من شيعة أمير المؤمنين قال: فأخبر الله تعالى في كتابه فقال: "وإن من شيعته لإبراهيم" (البرهان في تفسير القرين، هاشم البحراني: ٤ / ٦٠٠. وروى المجلسي مثله عن أبي بصير عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، انظر: بحار الأنوار: ٨٢ / ٨٠ - ٨١).

١- (عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فأما موسى فرجل طوال سبط يشبه رجال الزط ورجال أهل شتوة، وأما عيسى فرجل أحمر جعد ربعة، قال: ثم سكنت، فقيل له: يا رسول الله فأبراهيم؟ قال: انظروا إلى صاحبكم. يعني نفسه صلى الله عليه وآله) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٥٧؛ بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ١٠. ورواه أحمد بن حنبل عن ابن عباس: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فإنه جسيم قالوا له فأبراهيم قال انظروا إلى صاحبكم) مسند أحمد: ١ / ٢٩٦.

٢- (عن عبيد الله الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً" لا يهودياً يصلي إلى المغرب، ولا نصرانياً يصلي إلى المشرق "ولكن كان حنيفاً مسلماً" يقول: كان حنيفاً مسلماً على دين محمد صلى الله عليه وآله) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ١١.

٣- الخصال، الصدوق: ٣٠٥.

ومسألة وصف بعض رسل الله بـ"الكلمة، الكلمات" أمر أكدته نصوص العهد القديم أيضاً، وكمثال: وصف المخلص بأنه "كلمة الله": "١٩ فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ فِي ضَيْقِهِمْ، فَخَلَّصَهُمْ مِنْ شِدَائِدِهِمْ. ٢٠ أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ، وَنَجَّاهُمْ مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ" سفر المزمير - إصحاح ١٠٧.

وأيضاً: الصلاة على محمد وآل محمد عند ذكر اسم الله كانت من ضمن التعاليم التي احتوتها صحف إبراهيم: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" الأعلى: ١٤ - ١٩.

(عن أبي ذررحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنزل الله على إبراهيم عشرين صحيفة، قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها، وكان فيها: أيها الملك المبتلى المغرور إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه عزوجل وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيما صنع الله عزوجل إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات، واستجمام للقلوب وتوزيع لها، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه فإن من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مreme لمعاش، أو تزود لمعاد، أو تلذذ في غير محرم، قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلها، وفيها: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ ولمن أيقن بالنار لم يضحك؟ ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها لم يطمئن إليها؟ ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب؟ ولمن أيقن بالحساب لم لا يعمل؟ قلت: يا رسول الله هل في أيدينا مما أنزل الله عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا أبا ذر أقرأ: "قد أفلح من تزكى \* وذكر اسم ربه فصلى \* بل تؤثرن الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى \* إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى" (١).

وهذا يعني أنّ قوله: "ذكر اسم ربه فصلّى" من ضمن التعاليم التي وردت في صحف إبراهيم. والآن، لو طلب منا بيان معنى الآية لكان قول أغلبنا ربما: إنّ المراد بالصلاة هي القيام والركوع والسجود المعروف <sup>(١)</sup>، ولكن هل هذا هو المراد فعلاً؟ أي: هل المراد بالآية أنّ الإنسان كلما ذكر اسم الله (وقال "يا الله" مثلاً) قام فصلّى؟! وإذا كان هذا هو المراد فهذا يعني أنه سينشغل بالصلاة طيلة حياته ووقته؛ خصوصاً إذا كان معروفاً بدوام ذكره لله! هل هكذا تكليف وأمر مقدور بالنسبة للإنسان؟! أكيد لا. ولهذا، اعتبر الإمام الرضا صلوات الله عليه هذا الفهم تكليفاً شططاً أي: فيه مجاوزة للحد والوسع أي: تكليف بما لا يطاق، وفي مقابل ذلك قدّم بياناً ووجهاً صحيحاً للآية:

(عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معنى قوله: "وذكر اسم ربه فصلّى" قلت: كلما ذكر اسم ربه قام فصلّى، فقال لي: لقد كلّف الله عز وجل هذا شططاً، فقلت: جعلت فداك فكيف هو؟ فقال: كلما ذكر اسم ربه صلّى على محمد وآله) <sup>(٢)</sup>.

ما يهمنّا الآن هو معرفة أنّ صحف إبراهيم تضمّنت في تعاليمها أنه كلما ذكر اسم الله صلّى على الرسول محمد وآله، فالأمران مقترنان تماماً كاقتران الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله) في كثير من تعاليم الإسلام وأحكامه، فكان إبراهيم صلوات الله عليه كثير الصلاة عليهم؛ لأنه كان يذكرهم كلما ذكر اسم الله حتى أصبحت كثرة صلاته عليهم سبباً في اتخاذه خليلاً كما عرفنا <sup>(٣)</sup>، وهذا يعني عظم وعمق المعرفة التي كانت لدى إبراهيم والمؤمنين به بحق وفضل الرسول محمد وآله صلوات الله عليهم إذ كان ذكرهم مقروناً بذكر اسم الله سبحانه <sup>(٤)</sup>.

١- ذكر المفسرون في قوله تعالى: "وذكر اسم ربه فصلّى" تفسيرين؛ أحدهما: ذكر الله في الصلوات الخمس، انظر: مجمع البيان، الطبرسي: ١٠ / ٣٣١. وثانيهما: زكاة الفطرة وصلاة العيد، انظر: جامع البيان، الطبري: ٣٠ / ١٩٥.

٢- الكافي، الكليني: ٢ / ٤٩٥.

٣- (عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: إنما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلاً، لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٤.

٤- في تفسري القمي: ("... فلما اعتزلهم" يعني إبراهيم عليه السلام "وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ووهبنا لهم ...") يعني لإبراهيم وإسحاق ويعقوب "من رحمتنا" [يعني] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومزيد من معرفة إبراهيم عليه السلام بحق محمد وآل محمد صلوات الله عليهم ستوضح أكثر عند التعرض لبنائه بيت الله في مكة وإسكان ابنه إسماعيل وأمه هاجر بجواره تمهيداً لبعثة ولده محمد صلى الله عليه وآله فيها.

### العراق؛ بين إبراهيم الخليل ومهدي آل محمد:

محورية العراق كأرض احتضنت رسالة الله التي تعاقب عليها الرسل أمر واضح لنا تماماً في بحوث الجزء الأول من كتاب "الرسالة"، فمنذ بعثة آدم ثم من تلاه من رسل الله الأوائل في الحوض الخصيب (الواقع إلى جنوب بلاد ما بين النهرين بل هو امتداد لها يصب فيه نهرا "دجلة والفرات") وهم - أي رسل الله - ما برحوا يزورون الكوفة الواقعة إلى جهة أعلى الوادي شمالاً للتعبد والانقطاع إلى الله سبحانه؛ وصولاً إلى رسوسفينة نوح في الكوفة بعد الطوفان وامتلاء حوض الوادي بالمياه، لتبدأ مرحلة البعث الرسالي في العراق بشكل مباشر وواضح، وهكذا وصولاً إلى بعثة أبي الأنبياء إبراهيم التي انطلقت من مدينة "أور - الناصرية الآن" في جنوب العراق.

إبراهيم الذي انطلقت دعوته وثورته التوحيدية الأولى من العراق وجوهت بالقسوة والظلم من قبل حكامه الظلمة الذين أرادوا قتله حرقاً، ثم طرده من أرض العراق أخيراً، سيتكرر الحال نفسه مع ولده المهدي عند ابتدائه برسالته وثورته الإلهية الكبرى. كما أنّ أرض الشام ومصر التي احتضنت إبراهيم وذريته (بني إسرائيل) وأوتهم سيكون لها أيضاً موقف مع دعوة المهدي الإلهية وثورته الكبرى.

يقول السيد أحمد الحسن: (إنّ الحركة الإبراهيمية الأولى التي بدأت بإبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام في العراق وختمت أيضاً بالعراق بعلي عليه السلام وولده الأئمة عليهم السلام، كانت - في جانب - تماماً كالمنح الذي يسبق الإنشاء حيث وضعت العلامات

---

عليه وآله "وجعلنا لهم لسان صدق علياً" يعني أمير المؤمنين عليه السلام، حدثني بذلك أبي عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٥١ / ٢.

والمحددات بجهود ودماء الأنبياء عليهم السلام لهذا الطريق المقدس ليتم إنشاؤه بالحركة الإبراهيمية الثانية (الثورة المهدوية الكبرى).

ومع أنني لا أريد التفصيل، ولكنني أقول: إن ما حصل عند المسح ووضع الخطط والخرائط لابد أن يتكرر عند التنفيذ، فالعراق الذي طرد أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام ودعوة إبراهيم عليه السلام ومن آمن بإبراهيم (سارة عليها السلام ولوط عليه السلام) وفي بداية دعوته وحركته لابد أن يكرر ذلك مع المهدي، ومصر وشمال إفريقيا التي احتضنت بني إسرائيل والدعوة الإبراهيمية لابد أن يكون لها موقف مماثل مع المهدي ودعوته وثورته العالمية، والشام أيضاً سيتكرر منها ومعها ما كان في أول الزمان. ولهذا ورد عنهم عليهم السلام التركيز على أنَّ صفوة الأنصار هم أ خيار العراق ونجباء مصر وأبدال الشام <sup>(١)</sup>. ..... انتهى <sup>(٢)</sup>.

لم تكن صورة حركة الرسالة الإلهية بهذا الوضوح عند مهدي آل محمد المبعوث بعد أبيه إبراهيم بآلاف السنين فحسب، ولكنها كانت بنفس الوضوح عند إبراهيم أيضاً، أي: إنّ حركة قائدي كلتا الثورتين الإلهيتين (في أول الزمان الرسالي وآخره) حركة واعية ومفهومة لكل منهما تماماً بإعلام من الله لكلٍ من هذين القائدين الإلهيين الهمامين.

وبخصوص إبراهيم، فإنّ ما يؤكد ذلك هو حركة الأوصياء من بعده وسعيهم لعودة الإبراهيمية إلى الشرق (العراق) الذي طردت منه، ولهذا خرج موسى الكليم من مصر وسعى لدخول الأرض المقدسة ورفع "لا إله الا الله" في ربوعها كخطوة أولى باتجاه عودة الإبراهيمية و اقترابها من الشرق <sup>(٣)</sup>، وهو وإن لم يتمكن من فعل ذلك خلال حياته بسبب

---

١- (عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر فيهم النجباء من أهل مصر والأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم) الغيبة، الطوسي: ٤٧٧.

٢- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن: شخصيات الرحلة.

٣- فمثلاً: ورد في (سفر يشوع - إصحاح ١): "وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً: ٢ «مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمْ اغْبِزْ هَذَا الْأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ». الْأَمْرُ لِيُوشَعَ وَهُوَ فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ أَنْ يَعْبُرَ "الْأَرْضَ" أَي أَنْ يَتَجَهَّزَ إِلَى الشَّرْقِ، وَمَا بَعْدَ الْأَرْضِ شَرْقاً هُوَ الْعِرَاقُ بِلَا شَكِّ.

خذلان بني إسرائيل له لكن تمكن وصيه يوشع بن نون من دخولها بالقوة كما سيتضح، وهكذا استمر السعي لإعادة الإبراهيمية إلى العراق حتى تمكن وصي الرسول محمد "الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه" ثم الأئمة من ولده عليهم السلام من الرجوع إلى العراق ونشر التوحيد الإبراهيمي المحمدي فيه.

وما يفعله مهدي آل محمد هو تكرار لما فعله جده إبراهيم؛ إذ ينطلق بثورته من العراق، وهو إن كان في بداية دعوته يُطرد منه <sup>(١)</sup> كما طرد جده إبراهيم لكنه في النهاية سيمكّنه الله من العودة وسيكون العراق عاصمة لدولته الإلهية كما مكّن أباه علياً من العودة والحكم فيه، وللابن من سيرة أبيه نصيب <sup>(٢)</sup>!

## دعوة إبراهيم <sup>(٤)</sup> خارج العراق:

بحسب النصوص الدينية والتاريخية، فإن إبراهيم بعد خروجه من العراق سكن في بلاد الشام في أرض الكنعانيين، وكانت معه زوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام، ثم لما أصابت أرضهم مجاعة ارتحل عنهم إلى مصر وعاد لهم بعد فترة، وكان قد بعث لوطاً إلى أدنى الشامات (الأردن حالياً) وبقي هو مقيماً في أعلاها منفتحاً منها على الجنوب <sup>(٣)</sup>.

١- وصفته الروايات بالشريد الطريد، منها: عن أمير المؤمنين عليه السلام: "صاحب هذا الأمر الشريد، الطريد، الوحيد" دلائل الإمامة، الطبري: ٥٣١.

٢- (عن حماد بن عثمان قال: حضرت أبا عبد الله وقال له رجل: أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجديد، فقال له: إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر [عليه] ولو لبس مثل ذلك اليوم شربه، فخير لباس كل زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب علي عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام) الكافي، الكليني: ١ / ٤١١.

٣- يقول العقاد: (... فكان وطن إبراهيم عند سيناء وشمال الحجاز وكان الجنوب مفتوحاً له وأيسر له من الشمال حيث تجول القبائل التي بلغ من قوتها أن تغير إحداها على بابل وتغير الأخرى على مصر، فأيسر من إجلائها عن أرضها أن يبقى حيث هو أو يمعن في الجنوب ويستقبل الحجاز) إبراهيم أبوالأنبياء: ١٢٤.

بقي إبراهيم عليه السلام مقيماً في الشام إلى حين وفاته ولم يثبت عودته إلى العراق، وقد شهدت الفترة التي توسّطت بين خروجه ووفاته عدة أحداث سنعرض أهمها بحسب تسلسلها الزمني الوارد في النصوص.

### زواج إبراهيم (ع) من هاجر:

كان إبراهيم صلوات الله عليه يناجي ربه ويدعوه أن يرزقه ولداً يتكفل أمر العيال؛ لشدة غيخته كما عرفنا في سيرته <sup>(١)</sup>، وقد شاء الله سبحانه أن يستجيب دعاء خليله ويرزقه ذرية، وكانت البداية بزواجه من هاجر (أمة، أهديت لسارة من قبل ملك قبطي). وبحسب رواية إبراهيم بن أبي زياد الكرخي عن الإمام الصادق (وقد تقدمت) فإن إبراهيم تزوج بالسيدة هاجر بعد أن اشتراها من سارة.

سفر التكوين (إصحاح ١٦) أكد زواج إبراهيم من هاجر، لكن الزواج - بحسب النص - حصل بعد عشرة سنين من إقامتهم في أرض كنعان؛ وتحديدًا بعد عودتهم من مصر، كما أنّ النص أشار إلى أنّ سارة وهبت هاجر لإبراهيم وطلبت منه الزواج منها، لكنها ساءت علاقتها بها وغارت منها بعد ولادة إسماعيل عليه السلام <sup>(٢)</sup>! علماً، أنّ سارة كانت تحثّه على أن يدعوربه أن يرزقه غلاماً؛ خصوصاً وأنه مستجاب الدعوة بعد أن اتخذته الله خليلاً كما هو واضح في النص التوراتي.

وأيضاً: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سارة قالت لإبراهيم: يا إبراهيم قد كبرت فلو دعوت الله عز وجل أن يرزقك ولد تقر أعيننا به فإنّ الله قد اتخذك خليلاً وهو مجيب لدعوتك إن شاء، قال: فسأل إبراهيم ربه أن يرزقه غلاماً عليمًا، فأوحى الله عز

١- (عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه، قال: ان إبراهيم ناجى ربه فقال: يا رب كيف ذا العيال من قبل ان يجعل له من ولده خلفاً يقوم بعده في عياله؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أوترد لها خلفاً منك يقوم مقامك من بعدك خيراً مني؟ قال إبراهيم: اللهم لا، الان طابت نفسي) قصص الأنبياء، الراوندي: ١١٦.

٢- سفر التكوين، إصحاح ١٦: ١ "وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، ٢ فَقَالَتْ سَارَايُ لِأَبْرَامَ: «هُذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَني عَنِ الْوِلَادَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أَرْزُقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ. ٣ فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشْرَ سِنِينَ لِإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لِأَبْرَامَ رَجُلًا زَوْجَةً لَهُ. ٤ فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ. وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ مَوْلَاتُهَا فِي عَيْنَيْهَا. ....".

وجل إليه: أني واهب لك غلاماً عليمًا. ثم أبلوك بالطاعة لي، قال أبو عبد الله عليه السلام فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين ثم جاءته البشارة من الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

الغلام العليم: هو إسماعيل كما ذكر الإمام الباقر صلوات الله عليه<sup>(٢)</sup>. ومثله روي في مصادر المسلمين السنة<sup>(٣)</sup>.

وأيّاً يكن الأمر، فإنّ ما هو قطعي في الموضوع هو أنّ الزواج بهاجر حصل بعد خروج إبراهيم صلوات الله عليه من العراق، وأنّ إسماعيل كان أول مولود له.

### البشرى بإسماعيل وإسحاق وهلاك قوم لوط:

بحسب نصوص سفر التكوين (وتحديداً إصحاح ١٤) فإنّ حرباً جرت بالقرب من موضع سكن إبراهيم أدت إلى أسر أخيه من قبل قوات الملك "أمر اقل" فذهب لتخليصه وتمكن من ذلك فعلاً!

وفي النصوص الواردة عن آل محمد صلوات الله عليهم أنّ الذي وقع في الأسر هو ابن أخيه النبي لوط عليه السلام حيث قامت قوات من الروم بأسره، فذهب إليه إبراهيم وقاتلهم وخلصه من أيديهم<sup>(٤)</sup>.

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٨ - ٣٩.

٢- روى الشيخ الصدوق بسنده في تفسير قوله تعالى: ("قالوا سلام قال سلام إنا منكم وجلون قالوا لا توجل إنا رسل ربك نبشرك بغلام عليم"، قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم هو إسماعيل بن هاجر) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٤٩.

٣- كمثال: ما رواه الطبري عن مجاهد، انظر: جامع البيان، الطبري: ٢٦ / ٢٧٠.

٤- (عن السكوني عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: أول من قاتل إبراهيم عليه السلام حيث أسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر إبراهيم عليه السلام حتى استنقذه من أيديهم، ..... وأول من اتخذ الرايات إبراهيم عليه السلام لا إله إلا الله) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ١٧٠.



أقام لوط في قرية تقع في المسير إلى الشام ومصر (بحسب نصوص التوراة اسمها سدوم) سنين عديدة يدعو أهلها إلى الله وترك المعاصي التي كانوا يعملونها، لكنهم بقوا مصرين على ارتكاب الفواحش التي أدت بهم في النهاية إلى نزول العذاب وخراب قريتهم.

روى القمي قصة خروج إبراهيم بعياله من أرض نمرود إلى بادية الشام واصطحبهم لهاجر معهم وقد أهديت لسارة، يقول: (..... فحمل إبراهيم سارة وهاجر فنزلوا البادية على مر طريق اليمن والشام وجميع الدنيا فكان يمر به الناس فيدعوهم إلى الإسلام وقد كان شاع خبره في الدنيا أَنَّ الملك ألقاه في النار فلم يحترق وكانوا يقولون له لا تخالف دين الملك فإنه يقتل من خالفه، وكان إبراهيم كل من يمر به يضيفه وكان على سبعة فراسخ منه بلاد عامرة كثيرة الشجر والنبات والخير وكان الطريق عليهم، فكان كل من يمر بتلك البلاد يتناول من ثمارهم وزروعهم فجزعوا من ذلك فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال لهم أدلكم على ما إن فعلتموه لم يمر بكم أحد، فقالوا ما هو؟ قال: من مربكم فأنكحوه في دبره فاسلبوه ثيابه، ثم تصور لهم إبليس في صورة أمرد حسن الوجه جميل الثياب فجاءهم فوثبوا عليه ففجروا به كما أمرهم فاستطابوه فكانوا يفعلونه بالرجال فاستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فشكى الناس ذلك إلى إبراهيم عليه السلام فبعث الله إليهم لوطاً يحذرهم وينذرهم فلما نظروا إلى لوط قالوا: من أنت؟ قال: أنا ابن خال إبراهيم الذي ألقاه الملك في النار فلم يحترق وجعلها الله برداً وسلاماً وهو بالقرب منكم فاتقوا الله ولا تفعلوا هذا فإن الله يهلككم فلم يجسروا عليه وخافوه وكفوا عنه، وكان لوط كلما مر به رجل يريدونه بسوء خلصه من أيديهم وتزوج لوط فيهم وولد له بنات، فلما طال ذلك على لوط ولم يقبلوا منه قالوا له: "لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين" إلى لنرجمك ولنخرجنك، فدعا عليهم لوط .....<sup>(١)</sup>.

ولما أراد الله سبحانه إنزال العذاب على قوم لوط أرسل ملائكته إلى إبراهيم يخبرونه بأمرهم ويعزونه بإنزال العذاب عليهم، وتسلياً له بشروه بقرب ولادة إسماعيل:

قال تعالى: "وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ \* قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ \* قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤.

تُبَشِّرُونَ \* قَالُوا بِشْرَتَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ \* قَالَ وَمَنْ يَفْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ \* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ \* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ \* إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ \* فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ \* قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \* قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ \* وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ \* وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ " الحجر: ٥١ - ٦٦.

ثم بعد أسبوع، عند حلول العذاب على قوم لوط، نزلوا عليه مرة أخرى ليخبروه بذلك، وهذه المرة بشروه بولادة إسحاق<sup>(١)</sup> تسلياً له أيضاً:

قال تعالى: "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ \* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ \* وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ \* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ \* فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ \* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ \* يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ " هود: ٦٩ - ٧٦.

أوضح الإمام الباقر صلوات الله عليه دعوة لوط عليه السلام و أفعال قومه التي تسببت بنزول ملائكة العذاب ولقائهم بإبراهيم عليه السلام، وتبشيرهم له بولده إسماعيل "الغلام العليم" تعويضاً له من عذابهم، وكذلك تبشيره بولده إسحاق<sup>(٢)</sup>.

١- تبشير الملائكة لإبراهيم عليه السلام بولادة إسحاق لا يعني ولادته مباشرة، وإنما يعني ولادته مستقبلاً، فيحسب النصوص كان تسلسل الأحداث هكذا: هلاك قوم لوط، ثم ولادة إسماعيل عليه السلام، ثم بعد سنين ولد إسحاق عليه السلام، ولهذا قال الإمام الصادق عليه السلام: (كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٩١.

٢- (عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ من البخل، فقال: نعم يا أبا محمد في كل صباح ومساء ونحن نتعوذ بالله من البخل يقول الله "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" وسأخبرك عن عاقبة البخل: إن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام فأعقبهم البخل داء لا

دواء له في فروجهم، فقلت: وما أعقهم؟ فقال: إن قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة إلى الشام ومصر، فكانت السيارة تنزل بهم فيضيّفونهم، فلما كثّر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعاً وبخلاً ولؤماً فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرية وحذرهم النازلة، فأورثهم البخل بلاء لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة لهم إلى ذلك، حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل، ثم قال: فأى داء أدأى من البخل ولا أضّر عاقبة ولا أفحش عند الله تعالى.

قال أبو بصير: فقلت له جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلهم هكذا يعملون؟ فقال: نعم، إلا أهل بيت منهم من المسلمين، أما تسمع لقوله تعالى: "فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين"، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله تعالى ويحذرهم عذابه، وكانوا قوملاً لا ينتظفون من الغائط، ولا يتطهرون من الجنابة، وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة أخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيين مرسلين منذرين، وكان لوط رجلاً سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به ويحذرهم قومه، قال: فلما رأى قوم لوط ذلك منه قالوا له: إنا نهابك عن العالمين لا تقري ضيفاً يتزل بك، إن فعلت فضحنا ضيفك الذي يتزل بك وأخزيناك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضح قومه وذلك أنه لم يكن للوط عشيرة، قال: ولم يزل لوط وإبراهيم يتوقعان نزول العذاب على قومهم، فكانت لإبراهيم وللوط منزلة من الله تعالى شريفة وإن الله تعالى إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط فيرأقهم فيؤخر عذابهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما اشتد أسف الله على قوم لوط وقدر عذابهم وقضى أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسماعيل فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف أن يكونوا سرّاً، فلما رآته الرسل فزعاً مذعوراً قالوا سلاماً قال سلام إنا منكم وجلون قالوا لا توجل إنا رسل ربك نبشرك بغلام عليم"، قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم هو إسماعيل بن هاجر، فقال إبراهيم للرسل أبشروني على أن مسني الكبر، فبم تبشرون؟ قالوا: بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين، فقال إبراهيم: فما خطبكم بعد البشارة؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، قوم لوط إنهم كانوا قوماً فاسقين لننذرهم عذاب رب العالمين.

قال أبو جعفر عليه السلام: فقال إبراهيم للرسل إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله أجمعين إلا أمر أنه قدرنا أنها لمن الغابرين، قال: فلما جاء آل لوط المرسلون، قال: إنكم قوم منكرون، قالوا: بل جئناك بما كانوا فيه قومك من عذاب الله يمترون وأتيناك بالحق لتنذر قومك العذاب وإنا لصادقون فأسر بأهلك يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيام ولياليها بقطع من الليل إذا مضى نصف الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمر أنك إنه مصيبها ما أصابهم وأمضوا من تلك الليلة حيث تؤمرون.

قال أبو جعفر عليه السلام: ففضضوا ذلك الأمر إلى لوط أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، قال: أبو جعفر عليه السلام: فلما كان يوم الثامن مع طلوع الفجر قدم الله تعالى رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسحاق ويعزونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله: "ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ" يعني ذكياً مشوياً نصجاً، فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وأمر أنه قائمة، فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، يعني فتعجبت من قولهم قالت

روايات المصادر السنّية أوضحت ذلك أيضاً<sup>(١)</sup>.

وروي أنّ رسل الله "الملائكة" الأربعة سألوا إبراهيم عن ثمن إطعامهم: "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ"، فذكر لهم أنّ الثمن هو الابتداء باسم الله وإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله، فقال جبرئيل وكان أحد الرسل: "حق لله أن يتخذ هذا خليلاً"<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أنّ مسألة الخلّة سبقت نزول العذاب على قوم لوط.

قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ \* وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ \* قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ \* قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ \* قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

يا ويلي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا تعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد. قال أبو جعفر عليه السلام: فلما جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق وذهب عنه الروح أقبل يناجي ربه في قوم لوط ويسأله كشف البلاء عنهم، فقال الله تعالى: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه جاء أمر بك وإنهم آتاهم عذابي بعد طلوع الشمس من يوم محتوم غير مردود) علل الشرائع، الصدوق: ٥٤٨ / ٢ - ٥٥٠.

١- انظر مثلاً: فتح الباري، ابن حجر: ٢٩٧ / ٦. وروى الطبري بسنده: (عن سعيد، قال: فضمت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، فلما أتوا لوطاً، وكان من أمرهم ما ذكر الله، قال جبرئيل للوط: يا لوط إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين فقال لهم لوط: أهلكوهم الساعة فقال له جبرئيل عليه السلام: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فأنزلت على لوط: أليس الصبح بقريب قال: فأمره أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولا يلتفت منهم أحد إلا أمرته. قال: فسار، فلما كانت الساعة التي أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل، قال: وسمعت امرأة لوط الهدهدة، فقالت: واقوماه فأدركها حجر فقتلها) جامع البيان، الطبري: ١٢ / ١١٧.

٢- (عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما جاء المرسلون إلى إبراهيم عليه السلام جاءهم بالعجل، فقال كلوا فقالوا لا نأكل حتى نخبرنا ما ثمنه، فقال: إذا أكلتم فقولوا بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا الحمد لله، قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة وجبرئيل ورئيسهم، فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلاً) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٥ - ٣٦. وقريب منه رواه السيوطي بسنده: (عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال: لما تضيفت الملائكة عليهم السلام إبراهيم عليه السلام قدم لهم العجل فقالوا لا نأكله إلا بثمن قال فكلوا وأدوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال تسمون الله إذا أكلتم وتحمّدونه إذا فرغتم قال فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا لهذا أتخذك الله خليلاً) الدر المنثور: ٣ / ٣٤٠.

أَمَرَ أَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ \* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ \* مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ" هود: ٧٧ - ٨٣.

"قالوا يا لوط إنا رسل ربك": هم أربعة من الملائكة (جبرئيل، ميكائيل، إسرافيل، كروبيل) أنزلهم الله لإهلاك قوم لوط، ومروا بإبراهيم وأخبروه بما هم فاعلمون، ولشدة رحمته تحدث معهم حول ذلك وعن نجاة لوط عليه السلام<sup>(١)</sup>.

١- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل فمروا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمون فسلموا عليه فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلا أنا بنفسي، وكان صاحب ضيافة فشوى لهم عجلًا سمينًا حتى أنضجته ثم قربه إليهم فلما وضعه بين أيديهم "رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة" فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم فقال أنت هو؟ قال: نعم، ومرت سارة امرأته فبشرها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فقالت: ما قال الله عز وجل؟ فأجابوها بما في الكتاب، فقال لهم إبراهيم، لماذا جنتم؟ قالوا: في إهلاك قوم لوط، فقال لهم: إن كان فيهم مائة من المؤمنين أهلكتهم؟ فقال: جبرئيل: لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا، قال: فإن "فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا أمر أنه كانت من الغابرين". قال الحسن بن علي قال: لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم وهو قول الله عز وجل: "يجادلنا في قوم لوط"، فأتوا لوطاً وهو في زراعة قرب القرية فسلموا عليه وهم معتمون فلما رأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض فقال لهم: المنزل؟ فقالوا: نعم، فتقدمهم ومشوا خلفه فندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أي شئ صنعت أتى بهم قومي وأنا أعرفهم فالتفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، قال: فقال جبرئيل: لا نعجل عليهم حتى يشهد عليهم - ثلاث مرات - فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثم مشى ساعة ثم التفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال: جبرئيل هذه ثنتان، ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرئيل عليه السلام: هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما رأهم أمر أنه رأته هيئة حسنة فصعدت فوق السطح وصفقت فلم يسمعوا فدخلت فلما رأوا الدخان أقبلوا إلى الباب يهرعون حتى جاؤوا إلى الباب فنزلت إليهم فقالت: عنده قوم ما رأيت قوماً قط أحسن هيئة منهم فجاءوا إلى الباب ليدخلوا، فلما رأهم لوط قام إليهم فقال لهم يا قوم: "اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد" وقال: "هؤلاء بناتي هن أظهر لكم" فدعاهم إلى الحلال، فقالوا: "ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد" فقال لهم: "لو أن لي بكم قوة أو أوي إلى ركن شديد" فقال جبرئيل: لو يعلم أي قوة له، قال: فكاثروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل فقال: يا لوط دعم يدخلوا، فلما دخلوا أهوى جبرئيل عليه السلام بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قول الله عز وجل: "فطمسنا على أعينهم" ثم ناداه جبرئيل فقال له: "إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل" وقال له جبرئيل: إنا بعثنا في إهلاكهم، فقال: يا جبرئيل عجل فقال: "إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب" فأمره فيحمل هو ومن معه إلا أمر أنه، ثم اقتلعا - يعني المدينة

الله سبحانه رحيم، لكن ما فعله قوم لوط ليس مجرد معاصي وحسب، إنما كان انحداراً أخلاقياً لم ينفع معه نصيح لوط عليه السلام ووعظه على مدى سنين طويلة، بل كلما وعظهم تmadوا أكثر حتى آذوه أذى شديداً؛ إذ وصل بهم الحال أن دخلوا عليه داره وضربوه، ما دفعه إلى أن يسأل الله بتعجيل هلاكهم والخلص منهم<sup>(١)</sup>.

- جبرئيل بجناحيه من سبعة أرضين ثم رفعها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك ثم قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجيل) الكافي، الكليني: ٥ / ٥٤٦ - ٥٤٨.

١- سؤال نبي الله لوط ربه التعجيل بهلاكهم ورد في مصادر المسلمين (سنة وشيعة)، هذا منها:

- (عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله فطلبهم إبليس الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرتهم أنهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم فلم يزل إبليس يعتادهم فكانوا إذا رجعوا خرب إبليس ما يعملون فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الذي يخرب متاعنا فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذي تخرب متاعنا مرة بعد مرة، فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه فبيتوه عند رجل، فلما كان الليل صاح فقال له: ما لك؟ فقال: كان أبي ينومي على بطنه، فقال له: تعال فتم على بطني، قال: فلم يزل يدلك الرجل حتى علمه أنه يفعل بنفسه، فأولاه علمه إبليس والثانية علمه هو ثم انسل ففر منهم وأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه وهم لا يعرفونه فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بالرجال بعضهم ببعض، ثم جعلوا يرصدون مارة الطريق فيفعلون بهم حتى تنكب مدينتهم الناس ثم تركوا نساءهم وأقبلوا على الغلمان، فلما رأى أنه قد أحكم أمره في الرجال جاء إلى النساء فصبر نفسه امرأة، فقال: إن رجالكن يفعل بعضهم ببعض؟ قالوا: نعم قد رأينا ذلك وكل ذلك يعظمهم لوط ويوصيهم وإبليس يغويهم حتى استغنى النساء بالنساء فلما كملت عليهم الحجة بعث الله جبرئيل وميكائيل وإسرأفيل عليهما السلام في زي غلمان عليهم أقبية، فمروا بلوط وهو يحترق، فقال: أين تريدون ما رأيت أجمل منكم قط؟ قالوا: إنا أرسلنا سيدنا إلى رب هذه المدينة، قال: أو لم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه المدينة يا بني إنهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتى يخرج الدم، فقالوا: أمرنا سيدنا أن نمر وسطها، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما هي قال: تصبرون ههنا إلى اختلاط الظلام قال: فجلسوا قال: فبعث ابنته فقال: جيئي لهم بخبز وجيئي لهم بماء في القرعة وجيئي لهم عباء يتغطون بها من البرد فلما أن ذهبت الابنة أقبل المطر والوادي، فقال لوط: الساعة يذهب بالصبيان الوادي قوموا حتى نمضي وجعل لوط يمشي في أصل الحائط وجعل جبرئيل وميكائيل وإسرأفيل يمشون وسط الطريق، فقال: يا بني امشوا ههنا فقالوا: أمرنا سيدنا أن نمر في وسطها وكان لوط يستغتم الظلام وممر إبليس فأخذ من حجر امرأة صبية فطرحه في البئر فتصايح أهل المدينة كلهم على باب لوط فلما أن نظروا إلى الغلمان في منزل لوط قالوا: يا لوط قد دخلت في عملنا، فقال: هؤلاء ضيفي فلا تقضحون في ضيفي، قالوا: هم ثلاثة خذ واحداً وأعطنا اثنين قال: فأدخلهم الحجرة وقال: لو أن لي أهل بيت يمنعونني منكم، قال: وتدافعوا على الباب وكسروا باب لوط وطرحوا لوطاً فقال له جبرئيل: "إنا رسل ربك لن يصلوا إليك" فأخذ كفاً من بطحاء فضرب بها وجوههم وقال: شأنت الوجوه فعلى أهل المدينة كلهم وقال لهم لوط: يا رسل ربي فما أمركم ربي فيهم؟ قالوا: أمرنا أن نأخذهم بالسحر، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما حاجتك قال: تأخذونهم الساعة فإني أخاف

وعن الإمام الصادق صلوات الله عليه في قول لوط: "لو أن لي بكم قوة"، قال: (القوة القائم عليه السلام، والركن الشديد ثلاث مائة وثلاثة عشر) (١).

ندب نبي الله لوط - في وقت شدته - للقائم (وهو جزء من رسالة محمد) وتمثي وجوده يؤكد أمرين مهمين؛ الأول: شدة معرفة أنبياء الله ورسله بالرسول محمد وآله صلوات الله عليهم، والثاني: أن جميع الرسالات تمهد وتبيّن لرسالة محمد العظمى.

ما حصل مع لوط عليه السلام من استخفاف قومه به لم يحصل مع نبي غيره، لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: (ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه) (٢).

جدير بالذكر: إننا لاحظنا موقف زوجة لوط، حيث كان لها دور سلبي كبير في الأذى الذي نزل به من قومه (٣). موقف زوجة لوط وخيانتها له (وكذا موقف وخيانة زوجة نوح) يكشف عن أن العلائق السببية (وكذا النسبية) ليست عاصمة للإنسان، وليست هي الميزان في التقويم، قال تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ" التحريم: ١٠.

---

أن يبدو لربي فيهم، فقالوا: يا لوط "إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب" لمن يريد أن يأخذ، فخذ أنت بناتك وامض ودع امرأتك.

فقال أبو جعفر عليه السلام رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنه منصور حيث يقول: "لو أن لي بكم قوة أو أوي إلى ركن شديد" أي ركن أشد من جبرئيل معه في الحجرة، فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله: "وما هي من الظالمين ببعيد" من ظالمي أمتك إن عملوا ما عمل قوم لوط، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ألح في وطى الرجال لم يمت حتى يدعو الرجال إلى نفسه) الكافي، الكليني: ٥ / ٥٤٤ - ٥٤٦.

- وقد تقدم ما رواه الطبري في تفسيره، وقول لوط عليه السلام للملائكة: "أهلكوهم الساعة"، انظر: جامع البيان: ١٢ / ١١٧.

١- بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ١٥٨.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ١٥٧.

٣- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: كيف كان يعلم قوم لوط أنه قد جاء لوطاً رجال؟ قال: كانت امرأته تخرج فتصفر، فإذا سمعوا التصفير جاؤوا، فلذلك كره التصفير) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٦٣ - ٥٦٤.

وأيضاً: كان للرسول محمد صلى الله وآله حوار بينه وبين جبرئيل عليه السلام؛ إذ وضح له كيف أنزل العذاب على قوم لوط (١).

### نقل هاجر وإسماعيل إلى مكة وبناء البيت:

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ \* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى

١- (عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟ فقال: إن قوم لوط كانوا أهل قرية لا ينتظفون من الغائط ولا يتطهرون من الجنابة بخلاء أشحاء على الطعام وإن لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة وإنما كان نازلاً عليهم ولم يكن منهم ولا عشيرة له ولا قوم وانه دعاهم إلى الله تعالى وإلى الإيمان به واتباعه ونهاهم عن الفواحش، وحثهم على طاعة الله فلم يجيبوه، ولم يطيعوه وإن الله تعالى لما أراد عذابهم بعث إليهم رسلاً منذرين عذراً نذراً فلما عتوا عن أمره بعث إليهم ملائكة ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين، فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فأخرجهم منها، وقالوا: للواط أسرباًهلك من هذه القرية الليلة بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد وأمضوا حيث تؤمرون، فلما انتصف الليل سار لوط ببنتاته، وتولت امرأته مديرة فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أن لوطاً قد سار ببنتاته، وإني نوديت من تلقاء العرض لما طلع الفجر: يا جبرئيل حق القول من الله يحتم عذاب قوم لوط، فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت فاقبلها من تحت سبع أرضين، ثم أخرج بها إلى السماء، فأوقفها حتى يأتيك أمر الجبار في قلبها ودع منها آية بينة من منزل لوط عبدة للسيارة، فهبطت على أهل القرية الظالمين فضربت بجناحي على الأيمن على ما حوى عليه شرقها وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربها فاقتلعتها يا محمد من تحت سبع أرضين إلا منزل لوط آية للسيارة، ثم عرجت بها في خوافي جناحي حتى أوقفها حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها ونباح كلابها، فلما طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش يا جبرئيل اقلب القرية على القوم، فقلبتهم عليهم حتى صار أسفلها أعلاها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل مسومة عند ربك وما هي يا محمد من الظالمين من أمتك ببعيد. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل وأين كانت قريتهم من البلاد؟ فقال جبرئيل: كان موضع قريتهم في موضع بحيرة طبرية اليوم وهي في نواحي الشام قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيتك حين قلبتها عليهم في أي موضع من الأرضين وقعت القرية وأهلها؟ فقال: يا محمد وقعت فيما بين بحر الشام إلى مصر فصارت تلولاً في البحر) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٥٠ - ٥٥١.



الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ \* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ \* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" إبراهيم: ٣٥ - ٤١.

### مكان الانتقال:

بحسب عقيدة اليهود، فإن إبراهيم عليه السلام نقل هاجر وابنها إسماعيل من الموضع الذي كان يقيم فيه في أرض كنعان<sup>(١)</sup> (أي: بلاد الشام، وهي بحسب الوضع اليوم تشمل كلاً من فلسطين والجزء الجنوبي من لبنان والغربي من سوريا والأردن). وبحسبهم أيضاً: فإن أبرز المدن التي أقام فيها إبراهيم عليه السلام هي: شكيم (مدينة نابلس حالياً) وهي أول محطات إقامته، وبيت إيل (القدس وما حولها) التي انتقل إليها ونصب فيها خيمته، وحبرون (مدينة الخليل) التي استقر فيها أخيراً. هذا ما ذكرته نصوص سفر التكوين:

(سفر التكوين - إصحاح ١٢): "٦ وَاجْتَاَزَ أَبْرَامُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانٍ شَكِيمَ إِلَى بَلُوطَةَ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينئِذٍ فِي الْأَرْضِ. ٧ وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَهُ. ٨ ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتٌ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَائِي مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ٩ ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالًا مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ".

(سفر التكوين - إصحاح ١٣): "١٨ فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَآتَى وَ أَقَامَ عِنْدَ بَلُوطَاتٍ مَمْرًا الَّتِي فِي حَبْرُونَ، وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ".

وهذا يعني - أولاً - أن فلسطين هي مركز الشام (أرض كنعان) في ذلك الوقت وحتى لاحقاً، وأهم مدينة فيها هي مدينة القدس التي شيد عليها الهيكل فيما بعد، وشهدت بعثة

١ - سميت أرض كنعان: نسبة إلى كنعان بن حام بنو نوح عليه السلام، حيث ذكر كثير من المؤرخين أن حاماً استوطن بلاد الشام بعد أبيه نوح عليه السلام، انظر:

الكثير من أنبياء الله من ذرية إبراهيم وضمت مدافن العديد منهم، ولهذا كان مسجد قبة الصخرة قبلة المسلمين الأولى.

وثانياً: إنّ إبراهيم عليه السلام بدأ يتردد إلى أرض الجنوب منذ إقامته في القدس وقبل انتقاله إلى حبرون "الخليل". بالتالي، فإذا ما أردنا أن نحدد الموضع الذي نقل إبراهيم زوجته هاجرو ابنها إسماعيل إليه فلا بد أن يكون موضعاً ومدينة أخرى غير المدن المذكورة التي أقام فيها إبراهيم، وأيضاً: لا بد أن تقع إلى الجنوب منها.

أما الموضع المنتقل إليه فقد وصف في النص التوراتي بأنه بركة:

(سفر التكوين - إصحاح ٢١): "١٤ فَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْرًا وَقِرْبَةً مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لَهَا جَرَّ، وَأَضْعَا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفَيْهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بئرِ سَعِيعٍ. ١٥ وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتْ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ، ١٦ وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَرُمِيَّةِ قَوْسٍ، لِأَنَّهَا قَالَتْ: «لَا أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. ١٧ فَسَمِعَ اللَّهُ صَوْتَ الْغُلَامِ، وَنَادَى مَلَأَكُ اللَّهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكَ يَا هَاجِرُ؟ لَا تَخَافِي، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ لَصَوْتِ الْغُلَامِ حَيْثُ هُوَ. ١٨ قُومِي احْمِلِي الْغُلَامَ وَشِدِّي يَدَكَ بِهِ، لِأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». ١٩ وَفَتَحَ اللَّهُ عَيْنَهَا فَأَبْصَرَتْ بِئرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلَأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلَامَ. ٢٠ وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الْغُلَامِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُورَامِي قَوْسٍ. ٢١ وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ".

النص حدد الموضع المنتقل إليه بالبرية (برية بئر سبع، بركة فاران)، وبالنسبة لفاران فقد وصفت في نص آخر بالجبل: "٢ فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيعٍ، وَتَلَّأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ" سفر التثنية - إصحاح ٣٣.

وواضح أنّ البريتين - جغر افياً - لا تشيران إلى موضع واحد، فبرية بئر سبع هي بوابة حدود بلاد الشام والمناطق المأهولة من جهة الجنوب، وهي مركز أو جزء من صحراء النقب. أما بركة فاران فتقع - بحسب المعتقد اليهودي - جنوب النقب وشمال سيناء.

المهم بالنسبة لنا الآن هو معرفة أنّ الموضع الذي أقام فيه إسماعيل وأمه هاجر خرج عن حدود بلاد الشام التي تنتهي عند شمال النقب، ولهذا - تاريخياً - كانت بئر السبع تعد

برزخاً يفصل بين نهاية حدود الشام الجنوبية وبداية حدود الإقليم العربي البدوي الصخري لمصر والحجاز<sup>(١)</sup>.

وعموماً، طالما أنّ بركة فاران خرجت عن حدود الشام ينفتح الباب أمام صحة ما نعتقده نحن كمسلمين من أنّ فاران (الجبل والبرية) هي "مكة" في أرض الحجاز، حيث عاش فيها إسماعيل وتزوج وأنجب ثم توفي ودفن فيها قرب بيت الله، ثم تكاثرت وانتشرت ذريته في تلك المنطقة، ولا موجب يدعو لتشبث اليهود بتحديد موضع "فاران" في صحراء سيناء المصرية سوى التعنت والإصرار على تحريف الحقائق لا أكثر؛ لا سيما وأنّ الحقائق التاريخية الحاصلة على الأرض تؤيد ما نعتقد به؛ باعتبار أنهم (اليهود) في قضية انتظارهم للرسول الموعود والمبشر به في نصوصهم لما اضطروا إلى ترك القدس والشام والنزوح منها لم يذهبوا ليستوطنوا في صحراء سيناء حيث موضع استيطان إسماعيل وأمه هاجر بحسب زعمهم، بالرغم من أنّه الموضع الذي يفترض (بحسب عقيدتهم) أنّ ذرية إسماعيل (أبناء عمومهم) تكاثروا وانتشروا فيه، لكنهم أبداً لم يفعلوا ذلك وإنما نزحوا إلى الحجاز (المدينة = يثرب تحديداً)؛ لعلمهم بأنها مهاجر النبي الموعود، ومسألة انتشارهم في أرض الحجاز وتهامة واقع تاريخي قطعي لا ينكره أحد، فيهود بني قريظة والنضير وقينقاع أقاموا في المدينة وكذا يهود خيبر الذين أقاموا على مسافة منها ... إلخ، وكل هذه المناطق كانوا

١- يقول جورج آدم سميث: ("كانت بئر السبع حد الحياة المستقرة وبوابة الصحراء الكبرى. وجنوبها، تنتمي الأرض للبدو الرحل في بلاد العرب وشبه جزيرة سيناء"، مقطع مترجم من كتابه: *Historical Geography of the Holy Land* = الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة: الفصل ١٥، منطقة النقب، ص ٢٨٠.

وهو ما أكدّه الجغرافي الشهير بطليموس؛ حيث اعتبر بئر السبع الثغر الجنوبي لفلسطين وبلاد الشام، وما بعدها جنوباً هو بداية إقليم "العربية الصخرية" Arabia Petraea الذي يُعتبر الممر والجسر الواصل إلى عمق الجزيرة العربية، وقد أثار رأيه هذا على رسم الخرائط المعتمدة في العصور الوسطى. انظر: الجغرافيا، الكتاب الخامس، الفصل ١٥ - ١٦.

وأيضاً: من الجغرافيين القدامى الذين أكدوا ذلك: شمس الدين المقدسي (ت: ٣٨٠ هـ) في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ص: ١٥٤، ١٩٢ حيث أكد أنّ الشام ينتهي عند "إيلة = العقبة" وما بعدها يبدأ إقليم الحجاز. ونفس الشيء فعل إبراهيم الاصطخري (ت: ٣٤٦ هـ) في كتابه "المسالك والممالك" ص: ١٢، ٢٨. وكذلك فعل ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان" ١ / ٢٩٢ حيث ذكر أنّ الحجاز سمي بذلك؛ لأنه حجز بين نجد وتهامة أو حجز بين الشام وتهامة.

يعلمون أنها تقع ضمن مسار بعثة ورسالة النبي الموعود، وسيوضح هذا الأمر أكثر في فصل "البشارات" ضمن مباحث الجزء الثالث إن شاء الله.

وعموماً، ما فعلوه بحركتهم باتجاه الحجاز يعني - عملياً - أنهم قصدوا المنطقة التي قصدها إبراهيم عليه السلام وأسكن فيها ابنه إسماعيل فعلاً، ولم يقصدوا المنطقة التي بناها كهنتهم وحاخاماتهم في المخيلة والأوهام حرفاً للحقيقة.

### سبب الانتقال:

نصوص العهد القديم (سفر التكوين) وكذا غيرها - كنصوص بعض المحدثين والمؤرخين المسلمين<sup>(١)</sup> - أكدت أن السبب الرئيس الذي دعا إبراهيم لنقل زوجته هاجر وابنها إسماعيل إلى الجنوب "مكة" هو الضغط الذي مارسته زوجته سارة عليه!

نحن من جهتنا نعتبر حصر علة الانتقال بالسبب المذكور فيه انتقاص واضح من مقام رسول إلهي عظيم، إذ كيف يُعقل لخليل الله (إبراهيم) أن ينصاع لرغبة سارة إلى درجة أنه يقوم بإبعاد هاجر وابنها الصغير إلى مسافة تبعد عن أرض كنعان بحدود ١٣٠٠ كيلو متر؟! ألا يكفي - لحل الخلاف الأسري المذكور - أن يبعدهم عنها لمسافة أقل من ذلك بكثير بحيث يكون محل استيطانهم قريباً نسبياً عن محل سكناه ليسهل عليه زيارتهم والتردد عليهم مثلاً؟! خصوصاً وأن إبراهيم يعلم جيداً (بإعلام الله) عظم منزلة ولده إسماعيل وفضله عند الله سبحانه بعد أن بشرته به الملائكة قبل ولادته: "إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" الحجر: ٥٣، وبالتالي كيف يجازف (وحاشاه) بحياة ولده وزوجته في أرض قفر لا ماء فيها ولا زرع ولا أنيس ويعرض حياتهما للخطر في ظل البيئة القاسية آنذاك!!

١- انظر على سبيل المثال: المختصر في تاريخ البشر (تاريخ أبي الفداء): ١ / ١٣: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي: ١ / ٣٦. يقول أبو الفدا: (وكانت سارة لا تلد فوهبت إبراهيم هاجر ووقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل - ومعنى إسماعيل بالعبراني مطيع الله - وكانت ولادة إسماعيل لمضي ست وثمانين سنة من عمر إبراهيم فحزنت سارة لذلك فوهبها الله إسحاق وولده سارة ولها تسعون سنة ثم غارت سارة من هاجر وابنها إسماعيل وقالت: ابن الأمة لا يرث مع ابني. وطلبت من إبراهيم أن يخرجهما عنها فأخذ إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل وسار بهما إلى الحجاز وتركهما بمكة وبقي إسماعيل بها وتزوج من جرهم امرأة).

الحق، إنّ إبراهيم رسول معصوم لا يورد ولا يصدر إلا عن الله سبحانه، وأنّ ما فعله كان بأمر الله سبحانه أولاً وآخرأ، بل وربما كان على خلاف رغبته وفيه سحق لعواطفه لدرجة كبيرة يتجلّى معها التسليم التام لله والإنفاذ الدقيق لمأاده بشكل يصعب علينا تصوّره (نحن الغافلون المنشغلون بالدنيا وعلائقها). وبطبيعة الحال، فإنّ هذا الانصهار والذوبان الإبراهيمي في الإرادة الإلهية أهله بالنتيجة لنيل مقام "الإمامة" كما سنعرف.

نعم، هذا لا يمنع من أن تكون سارة مزعجة من قريهم منها وكانت رغبة بإبعادهم عنها، بل وربما عرضت رغبته هذه على إبراهيم عليه السلام، بل هذا هو الصحيح والثابت بحسب النصوص الدينية والتاريخية، لكن أن يكون هو السبب الرئيس للإبعاد فهذا ما لا نقبل به، وكما قلت: لو كان هذا هو السبب الفعلي والحصري فلماذا نقلهم إلى مكة بالتحديد مع بعدها وقفّرها؟! فطالما يمكن أن يتحقق الغرض بنقلهم إلى مكان أقرب بحيث يكونون قريبين منه وخاضعين لإشرافه ومتابعته الدورية والمتكررة، لماذا ترك إبراهيم هذا الخيار المتاح (بحسب الفرض) واختار الخيار الأصعب على نفسه كما يظهر من كلامه ودعائه ومناجاته مع ربه عندما وضعهم هناك: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"؟!

الجواب المنطقي للسؤال المطروح هو ما ذكرناه من أنّ إبراهيم فعل ذلك بأمر الله سبحانه الذي يهون في سبيل إنجاز مأاده كل عزيز على قلب إبراهيم النقي!

النصوص الدينية الواردة عن أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله أكدت الحقيقة التي أشرنا لها، وهذا مثال لها: (عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام فلما ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد، كانت تؤذي إبراهيم في هاجر وتغمّه فشكى إبراهيم ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع العوجا إن تركتها استمتعها وإن أقمته كسرتها، ثم أمره أن يخرج إسماعيل وأمه، فقال: يارب إلى أي مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني وأول بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة فأنزل الله عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلا قال: "يا جبرئيل إلى ههنا إلى ههنا" فيقول: "لا، امض امض" حتى أتى مكة فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتى يرجع إليها، فلما

نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجرة فألقت هاجر على ذلك الشجر كساءً وكان معها فاستظلوا تحته فلما سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الانصراف منهم إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم لم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم: الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان حاضر عليكم، ثم انصرف عنهم فلما بلغ كداء وهو جبل بذى طوى التفت إليهم إبراهيم فقال: "رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون"، ثم مضى وبقيت هاجر، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في مضجع المسعى ونادت: هل في الوادي من أنيس؟ فغاب عنها إسماعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت أنه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا فهبطت إلى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجله فعادت حتى جمعت حوله رملاً فإنه كان سائلاً فزمت به جعلته حوله فلذلك سميت "زمزم". وكانت جرهم نازلة بذى المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة وقد ظهر الماء لهما فقالوا لهاجر: من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ فقالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا ههنا، فقالوا لها: أيها المباركة أفتأذني لنا أن نكون بالقرب منكما؟ فقالت: حتى يأتي إبراهيم، فلما زارهم إبراهيم عليه السلام يوم الثالث فقالت هاجر: يا خليل الله إن ههنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم، فأذنت فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم فأنست هاجر وإسماعيل بهم. فلما زارهم إبراهيم في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرهم سروراً شديداً، فلما ترعرع إسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين فكانت هاجر وإسماعيل يعيشان بها. .... (١).

لاحظ قوله عليه السلام:

- "ثم أمره أن يخرج إسماعيل وأمه، فقال: يا رب إلى أي مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني وأول بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة...".
- "فلما سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الانصراف منهم إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم لم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم: الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان حاضر عليكم".

فهو يؤكد ما قلناه من أنّ ما أقدم عليه إبراهيم عليه السلام من نقل هاجرو ابنها إلى مكة كان بأمر الله، وهو سبحانه كافٍ عباده الذين يثقون بتأييده ويتوكلون عليه<sup>(١)</sup>.

١- وهذه بعض النصوص التي بيّنت نقل إبراهيم لهاجرو ابنها بأمر الله إلى مكة، منها:

- (عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبي فكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا فقالت: هل بالبوادي من أنيس فلم يجبها أحد، فمضت حتى انتهت إلى المروة فقالت: هل بالبوادي من أنيس فلم تجب، ثم رجعت إلى الصفا وقالت ذلك حتى صنعت ذلك سبعا فأجرى الله ذلك سنة وأتاها جبرئيل فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا أم ولد إبراهيم، قال لها: إلى من ترككم؟ فقالت: أما لئن قلت ذلك لقد قلت له حيث أراد الذهاب: يا إبراهيم إلى من تركتنا؟ فقال: إلى الله عز وجل، فقال جبرئيل عليه السلام: لقد وكلكم إلى كافٍ، قال: وكان الناس يجتنبون الممر إلى مكة لمكان الماء ففحص الصبي برجله فنبعت زمزم، قال: فرجعت من المروة إلى الصبي وقد نبع الماء فأقبلت تجمع التراب حوله مخافة أن يسبح الماء ولو تركته لكان سيحاً، قال: فلما رأت الطير الماء حلقت عليه فمرركب من اليمن يريد السفر فلما رأوا الطير قالوا: ما حلقت الطير إلا على ماء فأتوهم فسقوهم من الماء فأطعموهم الركب من الطعام وأجرى الله عز وجل لهم بذلك رزقاً وكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام ويسقونهم من الماء) الكافي، الكليني: ٢٠٢ / ٤.

- (عن حارثة ابن مضرب، عن علي عليه السلام قال: شبَّ إسماعيل وإسحاق فتسابقا، فسبق إسماعيل، فأخذه إبراهيم فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جنبه، فغضبت سارة وقالت: أما إنك قد جعلت أن لا تسوي بينهما فاعزلها عني، فانطلق إبراهيم بإسماعيل وبأمه هاجر حتى أنزلهما مكة فنقد طعامهم، فأراد إبراهيم أن ينطلق فيلتمس لهم طعاماً فقالت هاجر: إلى من تكلنا؟ فقال: أكلكم إلى الله تعالى، وأصابعهما جوع شديد فنزل جبرئيل وقال لهاجر: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله، قال: لقد وكلكما إلى كافٍ، ووضع جبرئيل يده في زمزم ثم طواها فإذا الماء قد نبع، فأخذت هاجر قربة مخافة أن يذهب، فقال جبرئيل: إنها تبقى، فادعي ابنك فأقبل فشربوا وعاشوا حتى أتاهم إبراهيم فأخبرته الخبر فقال: هو جبرئيل عليه السلام) قصص الأنبياء، الراوندي: ١١٣ - ١١٤.

- (عن الفضل بن موسى الكاتب، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لما أسكن إسماعيل وهاجر مكة وودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم: ما يبكيكما فقد خلفتكما في أحب

إبراهيم صلوات الله عليه - بالرغم من رقته على ولده إسماعيل وأمه هاجر - كان واثقاً بحفظ الله لهما تماماً كوثوقه بتحقيق ثمرة ونتيجة هذا التخطيط الإلهي الذي يهدف للتمهيد لبعثة ولده محمد - صلى الله عليه وآله - المستقبلية، وقد أنبأ بأنه من نسل ولده إسماعيل الذي وعد الله بأن يباركه ويجعله "أمة عظيمة" بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم كما سيتضح.

وهكذا بمرور الوقت من إقامة هاجر وولدها إسماعيل في "مكة" وتردد إبراهيم عليهم بين الحين والآخر، شبَّ إسماعيل عليه السلام وحينها أمر الله خليله إبراهيم ببناء بيته الحرام بمعونة ولده بعد أن علمهما الله مناسك الحج.

## الحج الإبراهيمي:

### تعليم إبراهيم وإسماعيل الحج وبناء الكعبة:

قال تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمِنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ\* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

الأرض إلى الله وفي حرم الله؟ فقالت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أن نبياً مثلك يفعل ما فعلت، قال: وما فعلت؟ فقالت: إنك خلفت امرأة ضعيفة وغلماً ضعيفاً لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر ولا زرع قد بلغ ولا ضرع يحلب، قال: فرق إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى انتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضاداتي الكعبة ثم قال: اللهم إني أسكنت من ذرتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا (تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ٢٣٢).

- (عن سعيد بن جبير قال ابن عباس أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له الله الذي أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ..... صحيح البخاري: ٤ / ١١٣ - ١١٤.



الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" البقرة: ١٢٥ - ١٢٩.

لم تكن مكة (موضع الحرم) في وقت قيام إبراهيم صلوات الله عليه بنقل هاجروا ابنها إسماعيل إليها مسكونة، لكن حج بيت الله الحرام كان موجوداً منذ آدم عليه السلام والرسول الأوائل، إذ عرفنا سابقاً أنّ الحج إليه كان من ضمن دين الله الذي بعث به جميع رسله، فكيف يمكن تعقل أنّ مكة لم تكن مستوطنة من قبل الناس؟

الجواب: لما نقول بوجود شعيرة الحج ضمن دين الرسل الأوائل، فهذا لا يعني بالضرورة أن يكون "البيت" مبنياً كالبناء الذي أقامه إبراهيم وولده إسماعيل بأمر الله، فالحج يعني "القصد"، وبالتالي فالرسل الأوائل وأقوامهم كانوا يقصدون تلك البقعة الطاهرة التي أقام عليها إبراهيم وابنه بيت الله لاحقاً، وأيضاً: كان الناس في تلك العصور عددهم قليل، إضافة إلى ما كان يفعله الطواغيت من ظلم وجور بحق رسل الله والمؤمنين بهم؛ الأمر الذي أدى - بطبيعة الحال - إلى استتار كثير من الرسل كما أكدت ذلك النصوص الدينية التي عرضناها في رسالة نوح عليه السلام ومن تلاه من رسل الله. وعموماً، كل هذه الأمور جعلت "مكة" غير مستوطنة ولا مسكونة بشكل واضح عندما قام إبراهيم بنقل إسماعيل وأمه هاجر إليها. لكن بعد انتقال إسماعيل وأمه إلى مكة وإسكانهم في تلك البقعة الطاهرة كتب لمكة عهد جديد، وفي إحدى زيارات إبراهيم صلوات الله عليه لمكة لتفقد عياله أمر الله جبرئيل عليه السلام أن يعلم إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حج بيت الله قبل بنائه، وبعد أن تعلم إبراهيم الحج أمره الله ببناء بيته الحرام (وكان مجاوراً لبيته الذي أسكن فيه إسماعيل وأمه هاجر) تمهيداً لدعوة الناس لحجّه.

### حديث تعليم المناسك:

(عن كلثوم بن عبد المؤمن الحراني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يحج ويحج إسماعيل معه ويسكنه الحرم، فحجّاً على جمل

أحمر وما معهما إلا جبرئيل عليه السلام فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل: يا إبراهيم أنزلا فاغتسلا قبل أن تدخلوا الحرم فنزلا فاغتسلا وأراهما كيف يتهيئان للإحرام ففعلا، ثم أمرهما فأهلاً بالحج (أي رفع صوتهما بالتلبية) وأمرهما بالتلبيات الأربع التي لبي بها المرسلون، ثم صار بهما إلى الصفا فنزلا وقام جبرئيل بينهما واستقبل البيت فكبر الله وكبراً وهلل الله وهللاً وحمد الله وحمداً ومجّد الله ومجّداً وأثنى عليه وفعل ما مثل ذلك وتقدم جبرئيل وتقدما يثنيان على الله عز وجل ويمجدانه حتى انتهى بهما إلى موضع الحجر فاستلم جبرئيل [الحجر] وأمرهما أن يستلما وطاف بهما أسبوعاً ثم قام بهما في موضع مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين وصليا ثم أراهما المناسك وما يعملان به فلما قضيا مناسكهما أمر الله إبراهيم عليه السلام بالانصراف وأقام إسماعيل وحده ما معه أحد غير أمه، فلما كان من قابل أذن الله لإبراهيم عليه السلام في الحج وبناء الكعبة وكانت العرب تحج إليه وإنما كان ردماً (أي مهدوماً) إلا أنّ قواعده معروفة فلما صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها في جوف الكعبة فما أذن الله له في البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بني قد أمرنا الله ببناء الكعبة وكشفها عنها فإذا هو حجراً واحداً أحمر فأوحى الله عز وجل إليه ضع بناءها عليه وأنزل الله عز وجل أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتى تمت اثني عشر ذراعاً وهيئاً له بابين: باباً يدخل منه وباباً يخرج منه ووضعاً عليه عتباً وشرجاً (شيء شبيه بالباب) من حديد على أبوابه وكانت الكعبة عريانة فصدر إبراهيم وقد سوى البيت وأقام إسماعيل فلما ورد عليه الناس نظر إلى امرأة من حمير أعجبه جمالها فسأل الله عز وجل أن يزوجه إياه وكان لها بعل فقضى الله على بعلها بالموت وأقامت بمكة حزناً على بعلها فأسلى الله ذلك عنها وزوجه إسماعيل، وقدم إبراهيم الحج وكانت امرأة موفقة وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً فنظرت إلى شيخ شعث فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال، فسألها عنه خاصة فأخبرته بحسن الدين وسألها ممن أنت؟ فقالت: امرأة من حمير فسار إبراهيم ولم يلق إسماعيل وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: ادفعي هذا إلى بعلك إذا أتى إن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل فدفعت إليه الكتاب فقراه فقال: أتدريين من هذا الشيخ؟ فقالت: لقد رأيته جميلاً فيه مشابة منك، قال: ذاك إبراهيم فقالت: وا سوء تاه منه فقال: ولم؟ نظر إلى شيء من محاسنك؟ فقالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصرت وقالت له المرأة وكانت عاقلة: فهلا تعلق على هذين البابين سترين ستراً من ههنا وسترأ من ههنا؟ فقال لها: نعم فعملاً لهما سترين طولهما اثني عشر

ذراعاً فعلقاهما على البابين فأعجبهما ذلك، فقالت: فهلا أحوك للكعبة ثياباً فتسترها كلها فإن هذه الحجارة سمجة فقال لها إسماعيل: بلى فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزلهم. قال أبو عبد الله عليه السلام: وإنما وقع استغزال النساء من ذلك بعضهن لبعض لذلك، قال: فأسرعت واستعانت في ذلك فكلما فرغت من شقة علقته فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة فقالت لإسماعيل: كيف نصنع بهذا الوجه الذي لم تدركه الكسوة فكسوه خصفاً فجاء الموسم وجاءته العرب على حال ما كانت تأتية فنظروا إلى أمر أعجبهم، فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يهدي إليه فمن ثم وقع الهدى فأتى كل فخذ من العرب بشئ يحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك حتى اجتمع شيء كثير فنزعوا ذلك الخصف وأتموا كسوة البيت وعلّقوا عليها بابين وكانت الكعبة ليست بمسقفة فوضع إسماعيل فيها أعمدة مثل هذه الأعمدة التي ترون من خشب وسقفها إسماعيل بالجرائد وسواها بالطين فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يزداد فلما كان من قابل جاءه الهدى فلم يدر إسماعيل كيف يصنع فأوحى الله عز وجل إليه أن انحره وأطعمه الحاج. قال: وشكا إسماعيل إلى إبراهيم قلة الماء فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن احتفر بئراً يكون منها شراب الحاج فنزل جبرئيل عليه السلام فاحتفر قليهم يعني زمزم حتى ظهر ماؤها ثم قال جبرئيل عليه السلام: أنزل يا إبراهيم فنزل بعد جبرئيل فقال: يا إبراهيم اضرب في أربع زوايا البئر وقل: بسم الله، قال: فضرب إبراهيم عليه السلام في الزاوية التي تلي البيت وقال: بسم الله فانفجرت عين ثم ضرب في الزاوية الثانية وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب في الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب في الرابعة وقال: بسم الله انفجرت عين، وقال له جبرئيل: اشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة وخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: افض عليك يا إبراهيم وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل فسار إبراهيم وشيعته إسماعيل حتى خرج من الحرم فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم<sup>(١)</sup>.

نصوص دينية كثيرة أشارت إلى تفاصيل بناء الكعبة وتحديد حدود المسجد الحرام، يظهر منها الجهد الذي قام به خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل في التأسيس لشعيرة الحج

الإبراهيمي العظيم، وهي شعيرة تهدف - بلا شك - لجعل مكة التي حوت "بيت الله" أمماً للقرى؛ تمهيداً لبعثة ولداهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله، محمد النبي الأمي التهامي الذي ختم جداه (إبراهيم وإسماعيل) بناء البيت وحجّه بالدعاء له كما لاحظناه في خاتمة الآيات المتقدمة من سورة البقرة: "وَبَنَّا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".

الرسول الذي يدعوه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله بعد أن أعلمهما الله ببعثته في مكة وهو من نسل إسماعيل، وخليل الله وولده إسماعيل الآن يسعيان بكل ما أوتيا من وسع للتمهيد لرسالته وبعثته والدعاء له بأن ينجز الله له وعده!

وعموماً، بنى إبراهيم وابنه إسماعيل بيت الله وحدًا حدود المسجد الحرام<sup>(١)</sup>، ثم وضع الحجر في ركنه قرب باب الكعبة الشرقي، ومقام إبراهيم إلى يسار الحجر في هذه

#### ١- أكدت الروايات هذا الأمر، منها:

- (عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ..... فلما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت فقال: يا رب في أي بقعة؟ قال: في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم فلم تزل القبة التي أنزلها الله على آدم قائمة حتى كان أيام الطوفان أيام نوح عليه السلام فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا إلا موضع البيت فسميت البيت العتيق؛ لأنه أعتق من الغرق، فلما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت ولم يدري في أي مكان يبنيه فبعث الله جبرئيل عليه السلام فخط له موضع البيت فأنزل الله عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي أنزل الله على آدم أشد بياضاً من الثلج فلما لمسته أيدي الكفار اسود، فبنى إبراهيم البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه إلى السماء تسعة أذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم عليه السلام ووضع في موضعه الذي هو فيه الأول وجعل له باين باب إلى المشرق وباب إلى المغرب والباب الذي إلى المغرب يسمى المستجار ثم ألقى عليه الشجر والإذخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها وكانوا يكتنون تحته) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٦١ - ٦٢.

- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كانت الكعبة على عهد إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع وكان لها بابان فبناها عبد الله بن الزبير فرفعها ثمانية عشر ذراعاً فهدمها الحجاج فبناها سبعة وعشرين ذراعاً) الكافي، الكليني: ٢٠٧ / ٤.

- (عن عقبة بن بشير، عن أحدهما عليهما السلام قال: إن الله عز وجل أمر إبراهيم ببناء الكعبة وأن يرفع قواعدها ويرى الناس مناسكهم فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت كل يوم سافراً حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود. قال: أبو

الحالة، وقد أوضح الإمام الصادق صلوات الله عليه علة ذلك واتصالها بمقام إبراهيم عليه السلام ومنزلته قياساً بمقام ومنزلة ولده محمد صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حدًا حدود المسجد الحرام بين الصفا والمروة، أو ما بين الحزورة (موضع قديم، يقع حالياً ضمن التوسعة التي حصلت للحرم المكي وتقع عليه أوقربه إحدى منائر الحرم) والمسعى<sup>(٢)</sup>، ثم كسبا البيت بعد أن أتما بنائه، إذ روي أن أول من كسا البيت هو إبراهيم عليه السلام<sup>(٣)</sup>. ولا مانع من أن يكون إسماعيل وزوجته هما من قاما بكسوته (كما لاحظناه في حديث تعليم المناسك المتقدم)؛ باعتبار أنهما يعملان بإمرة إبراهيم، وبالتالي يصح نسبة الفعل إليه. وهكذا، أصبحت "مكة" حرم إبراهيم صلوات الله عليه<sup>(٤)</sup>.

جعفر عليه السلام فنأدى أبو قبيس إبراهيم عليه السلام: إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر فوضعه موضعه، (... الكافي، الكليني: ٢٠٥ / ٤ - ٢٠٦.

١- (عن بريد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين؟ فقال: قد سألتني عن ذلك عباد بن صهيب البصري فقلت له: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله استلم هذين ولم يستلم هذين فإنما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله، وسأخبرك بغير ما أخبرت به عباداً: إن الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه، قلت: فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره؟ فقال لأن إبراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة ولمحمد صلى الله عليه وآله مقاماً فمقام محمد عن يمين عرش ربنا عز وجل، ومقام إبراهيم عن شمال عرشه، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة، وعرش ربنا مقبل غير مدبر) علل الشرائع: ٢ / ٤٢٨.

٢- (عن الحسن بن نعمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما زادوا في المسجد الحرام، فقال: إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حدًا المسجد الحرام بين الصفا والمروة) الكافي، الكليني: ٢٠٩ / ٤.

(عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان حق إبراهيم عليه السلام بمكة ما بين الحزورة إلى المسعى فذلك الذي كان خطه إبراهيم عليه السلام يعني المسجد) الكافي، الكليني: ٥٢٧ / ٤.

٣- انظر: من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢ / ٢٣٢.

٤- (عن عاصم بن عبد الواحد المدائني، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مكة حرم إبراهيم عليه السلام، والمدينة حرم محمد صلى الله عليه وآله، والكوفة حرم علي بن أبي طالب عليه السلام، إن علياً عليه السلام حرم من الكوفة ما حرم إبراهيم من مكة وما حرم محمد صلى الله عليه وآله من المدينة) الأماشي، الطوسي: ٦٧٢. وروى أحمد بن حنبل في مسنده: (عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم عليه السلام حرم مكة وإنني أحرم ما بين لابتيها يريد) مسند أحمد: ٤ / ١٤١.

واضح أنّ بناء البيت كان تمهيداً لدعوة الناس لحجّه في مكة التي ستكون على موعد مع الرفعة وعلو الشأن بمرور الوقت حتى تصبح أمّاً للقرى وما حولها بعد أن يقصدها الناس من كل حذب وصوب، وصولاً إلى وقت بعثة محمد صلى الله عليه وآله فيها: الرسول الذي ينحدر في نسبه من إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما كما هو معلوم.

### إبراهيم <sup>(٤)</sup> يؤذن في الناس بالحج:

قال تعالى: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرِّمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" الحج: ٢٦ - ٢٩.

عرفنا أنّ الله سبحانه علّم إبراهيم مناسك الحج قبل بناء الكعبة، ثم أمره ببنائها والحج لها، فحجّ هو وأهله وولده قبل الناس، ثم دعا الناس لحج بيت الله <sup>(١)</sup>. وأيضاً: النصوص أكدت أنّ دعوة إبراهيم الناس لحج بيت الله مستمرة إلى يوم القيامة ولم تقتصر على أهل زمانه فقط <sup>(٢)</sup>.

١- عن الإمام الباقر صلوات الله عليه: (....) ثم إنّ إبراهيم عليه السلام أذن في الناس بالحج فقال: أمّا الناس إني إبراهيم خليل الله إنّ الله يأمركم أن تحجّوا هذا البيت فحجّوه فأجابه من يحج إلى يوم القيامة وكان أول من أجابه من أهل اليمن، قال: وحج إبراهيم عليه السلام هو وأهله وولده فمن زعم أنّ الذبيح هو إسحاق فمن ههنا كان ذبحه) الكافي، الكليني: ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال رب قد فرغت فقال اذن في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلى البلاغ قال رب كيف أقول قال قل يا أمّا الناس كتب عليكم الحج حج البيت العتيق فسمعه من بين السماء والأرض الا ترى انهم يجيئون من اقصى الأرض يلبون هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٣٨٩.

٢- هذه نماذج من النصوص:

- (في الحديث أنّ إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاء جبرئيل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا رب وما عسى أن يبلغ صوتي فقال تعالى: أذن وعليّ البلاغ، فعلى إبراهيم المقام فارتفع حتى صار كأعلى طود يكون من الجبال، و أقبل بوجهه يمينا وشمالاً وشرقاً وغرباً ونادى: "أمّا الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت

## علة أفعال الحج:

لا شك أنّ الحج كشعيرة إلهية أذن بها خليل الله إبراهيم له حكم وغايات، وهذا واضح من نفس الآيات السابقة من سورة الحج: "لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَوَّلِيَّ الْفَقِيرِ\* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ". والمؤمن الذي يقتدي برسول الله إن وفقه الله للحج فليس من الصحيح أن يحج دون أن يعرف تلك "المنافع" والغايات الكامنة وراء تشريع الحج، وإلا فإنّ عبادته وحجّه سيكون ناقصاً بكل تأكيد.

الإمام الصادق و آبائهم و أبناءه صلوات الله عليهم بيّنوا الحقائق التي ترمز لها أفعال الحج بتفصيل وتوضيح كافٍ لطالب الحقيقة<sup>(١)</sup>.

العتيق، فأجيبوا"، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء، لبيك اللهم لبيك) عوالي اللثالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤ / ٣٥ - ٣٦.

- (عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أمر الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنيان البيت وتم بناؤه أمره أن يصعد ركناً ثم ينادي في الناس: ألا هلم الحج. فلو نادى هلموا إلى الحج لم يحج إلا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً، ولكن نادى هلم الحج، فلبى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله لبيك داعي الله، فمن لبى عشراً حج عشراً، ومن لبى خمساً حج خمساً، ومن لبى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبى واحداً حج واحداً، ومن لم يلبى لم يحج) الكافي، الكليني: ٤ / ٢٠٦ - ٢٠٧.

١- هذا مثال لبيانهم صلوات الله عليهم: (لما رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحج استقبله الشبلي، فقال عليه السلام له: حججت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام: أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟ قال: نعم، قال: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا، قال: فحين تجردت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا، قال: فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال: فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت.

ثم قال: تنظفت، وأحرمت، وعقدت بالحج؟ قال: نعم، قال: فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا، قال: فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرّم حرمه الله عز وجل؟ قال: لا، قال: فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟ قال: لا، قال له عليه السلام: ما تنظفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحج.

قال له: أدخلت الميقات وصلبت ركعتي الاحرام ولبيت؟ قال: نعم، قال: فحين دخلت الميقات، نويت أنك بنية الزيارة؟ قال: لا، قال: فحين صليت الركعتين، نويت أنك تقربت إلى الله بخير الاعمال من الصلاة، وأكبر حسنات

العباد؟ قال: لا، قال: فحين لبيت، نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟ قال: لا، قال له عليه السلام: ما دخلت الميقات ولا صليت، ولا لبيت.

ثم قال له: أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟ قال: نعم. قال: فحين دخلت الحرم، نويت أنك حرمت على نفسك كل غيبة تستغيها المسلمين من أهل ملة الاسلام؟ قال: لا. قال: فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنك قصدت الله؟ قال: لا. قال عليه السلام: فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت.

ثم قال: طفت بالبيت، ومسست الأركان، وسعيت؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، وعرف منك ذلك علام الغيوب؟ قال: لا. قال: فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعيت.

ثم قال له: صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم عليه السلام، وصليت به ركعتين؟ قال: نعم، فصاح عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا ثم قال: آه آه - ثم قال عليه السلام: من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى، فانظر يا مسكين لا تضيع أجرا عظم حرمة، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام نظير أهل الأثام.

ثم قال عليه السلام: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام أنك وقفت على كل طاعة، وتخلفت عن كل معصية؟ قال: لا. قال: فحين صليت فيه ركعتين، نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟ قال: لا. قال له: فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه ركعتين.

ثم قال عليه السلام له: أشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها؟ قال: نعم. قال: نويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضبضت طرفك عن المعصية؟ قال: لا. قال عليه السلام: فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها.

ثم قال له عليه السلام: أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وترددت بينهما؟ قال: نعم. قال له: نويت أنك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا. قال: فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة.

ثم قال: أخرجت إلى منى؟ قال: نعم. قال: نويت أنك أمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟ قال: لا. قال: فما خرجت إلى منى. (ثم) قال له: أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟ قال: نعم. قال: هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض الله على صحيفتك وإطلاعه على سريرتك وقلبك؟ قال: لا. قال: نويت بطلوعك جبل الرحمة، ان الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة، ويتولى كل مسلم ومسلمة؟ قال: لا. قال: فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تزجر؟ قال: لا. قال: فعندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر السماوات؟ قال: لا. قال: فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات.

ثم قال: مررت بين العلمين، وصليت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟ قال: نعم. قال: فحين صليت ركعتين، نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كل عسر، وتيسر كل يسر؟ قال: لا. قال: فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يمينا وشمالا، نويت أن لا تعدل عن دين الحق يمينا وشمالا لا بقلبك، ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟ قال: لا، قال: فعندما مشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل، وثبت كل علم وعمل؟ قال: لا. قال: فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل؟ قال: لا. قال: فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام.



فمثلاً: قواعد البيت الحرام وأركانه أقيمت بأمر الله وبشكل يكون فيه صورة تحكي البيت المعمور، والغاية منه نفس غاية إقامة البيت المعمور في السماء<sup>(١)</sup>، ثم أقامه إبراهيم وابنه إسماعيل صلوات الله عليهما بأمر الله على نفس تلك القواعد.

ثم قال له: وصلت منى ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك، وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطفت طواف الإفاضة؟ قال: نعم. قال فنويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك، وقد قضى ربك لك كل حاجتك؟ قال: لا. قال: فعندما رميت الجمار، نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبتك بتمام حجك النفيس؟ قال: لا. قال: فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعه بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟ قال: لا. قال: فعندما صليت في مسجد الخيف، نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟ قال: لا. قال: فعندما ذبحت هديك، نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وأنتك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه، وحاجه سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟ قال: لا. قال: فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوجهه، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى؟ قال: لا. قال له زين العابدين عليه السلام: فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا أديت نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت فإنك لم تحج.

فطلق الشيلي يبكي على ما فرطه في حجه، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين، انتهى) مستدرك الوسائل، النوري: ١٠ / ١٦٦ - ١٧٢.

١- (عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرئيل عليه السلام أنا الله الرحمن الرحيم وأني قد رحمت آدم وحواء لما شكيا إلي ما شكيا فأهبط عليهما بخيمة من خيم الجنة وعزهما عني بفراق الجنة وأجمع بينهما في الخيمة فإني قد رحمتكما لبيككما ووحشتكما في وحدتهما وأنصب الخيمة على التربة التي بين جبال مكة، قال: والترعة مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة قبل آدم فهبط جبرئيل عليه السلام على آدم بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها، قال: وأنزل جبرئيل آدم من الصفا وأنزل حواء من المروة وجمع بينهما في الخيمة قال: وكان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر فأضاء نوره وضوؤه جبال مكة وما حولها قال: وامتد ضوء العمود قال: فهو مواضع الحرم اليوم من كل ناحية من حيث بلغ ضوء العمود قال: فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنهما من الجنة قال: ولذلك جعل الله عز وجل الحسنات في الحرم مضاعفة والسيئات مضاعفة، قال: ومدت أطنايب الخيمة حولها فمتمت أوتادها ما حول المسجد الحرام، قال: وكانت أوتادها من عقيان الجنة وأطنايبها من ضفائر الأرجوان، قال: وأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أهبط على الخيمة [ب] سبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الشياطين ويؤنسون آدم ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة، قال: فهبط بالملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشياطين العتاة ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كل يوم وليلة كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور الذي في السماء، ثم قال: إن الله عز وجل أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك أن اهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن مواضع قواعد بيبي وارفع قواعد بيبي لملائكتي، ثم ولد آدم فهبط جبرئيل على آدم وحواء فأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن ترعة البيت ونحى الخيمة عن موضع التربة، قال: ووضع آدم على

والغاية الأساسية من الحج هي ولاية رسل الله والتوبة من الاعتراض عليهم تماماً كما فعلت الملائكة بتوبتها من اعتراضها على تنصيب آدم عليه السلام<sup>(١)</sup>، فالملائكة طافت بالبيت المعمور والضراح تكفيراً لذنب الاعتراض على تنصيب آدم، وطاف به آدم تكفيراً عن الأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها، والمفروض بالخلق في زمان كل إمام ورسول إلهي أن يكون هدف الحج عندهم هو الطواف بالبيت ثم إتيان إمام زمانهم (الرسول) ليعرضوا عليه ولايتهم له وإيمانهم به وأخذ دين الله المرضي منه، وبهذا يكونون قد اقتدوا بالملائكة وبني الله آدم وطهرت قلوبهم ونفوسهم (قضوا تفهيم بحسب النص القرآني)، وإلا فالطواف بلا تحقق هذه الغاية هو مجرد دوران حول أحجار<sup>(٢)</sup>!

الصفاء وحواء على المروة فقال آدم: يا جبرئيل أبسخط من الله عزوجل حولتنا وفرقت بيننا أم برضى وتقدير علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك بسخط من الله عليكما ولكن الله لا يسأل عما يفعل، يا آدم إن السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك يطوفوا حول أركان البيت [المعمور] والخيمة سألوا الله أن يبني لهم مكان الخيمة بيتا على موضع التربة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور فأوحى الله عزوجل إلى أن أنحكك وأرفع الخيمة، فقال آدم قد رضينا بتقدير الله ونافذ أمره فينا، فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفاء وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكوفة وأوحى الله عزوجل إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله عزوجل من مواضعهن بجناحه فوضعهما حيث أمر الله عزوجل في أركان البيت على قواعد التي قدرها الجبار ونصف أعلامها، ثم أوحى الله عزوجل إلى جبرئيل عليه السلام أن ابنه وأتمه بحجارة من أبي قبيس واجعل له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا، قال: فأتمه جبرئيل عليه السلام فما أن فرغ طافت حوله الملائكة فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان) الكافي، الكليني: ٤/ ١٩٥ - ١٩٧.

١- (٧) ... عن محمد ابن سنان: ان الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله: علة الطواف بالبيت ان الله تبارك وتعالى قال للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا انهم أذنبا فندموا فلاذوا بالعرش فاستغفروا فأحب الله تعالى أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتاً يحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى البيت المعمور يحذاء الضراح ثم وضع هذا البيت يحذاء البيت المعمور ثم أمر آدم فطاف به فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة.

٨- ... عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو جالس على الباب الذي إلى المسجد وهو ينظر إلى الناس يطوفون فقال: يا أبا حمزة بما أمروا هؤلاء؟ قال: فلم أدر ما أرد عليه، قال: إنما أمروا أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم) علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٤٠٦.

٢- (عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال قلت: لم صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا أتجعل فيها من يفسد

من جهتها، ذكرت روايات المسلمين "السنة" بداية بناء البيت "الكعبة" وأنها بنيت حيال البيت المعمور بحيث إنه لو سقط لسقط عليها، وأنّ الملائكة أخبرت آدم عليه السلام أنها طافت به قبله <sup>(١)</sup>. وأيضاً: بعض رواياتهم ذكرت أنّ الطهارة من الذنوب هي إحدى علل الحج <sup>(٢)</sup>.

الحقيقة، إنّ كل أفعال الحج تصب في الاتجاه الذي استهدفه آدم والملائكة وتدفع إلى تحقيق الغاية التي حققها آدم والملائكة عليهم السلام <sup>(٣)</sup>.

ثم إنّ ما فعله إبراهيم صلوات الله عليه أصبح سنّة في أفعال الحج <sup>(٤)</sup>.

---

فيها ويسفك الدماء قال الله اني اعلم ما تعملون وكان لا يحجهم عن نوره فحجهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة وجعله مثابة ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٤٠٦ - ٤٠٧.

١- انظر مثلاً: البداية والنهاية، ابن كثير: ١ / ١٨٨.

٢- (سيار أبو الحكم قال سمعت أبا حازم قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) صحيح البخاري: ٢ / ١٤١.

٣- (عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية: "واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم") الكافي، الكليني: ١ / ٣٩٢.

(عن سدير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج وأخذ بيدي، ثم استقبل البيت فقال: يا سدير إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: "وإني لغفار لمن تاب وأمن وعمل صالحاً ثم اهتدى" - ثم أومأ بيده إلى صدره - إلى ولايتنا) الكافي، الكليني: ١ / ٣٩٢ - ٣٩٣.

٤- ورد ضمن مسائل علي بن جعفر للإمام الكاظم صلوات الله عليه:

(٩٣٢- وسألته عن السعي بين الصفا والمروة، فقال: "جعل لسعي إبراهيم عليه السلام".

٩٣٣- وسألته عن التلبية لم جعلت؟ قال: "لأن إبراهيم عليه السلام حيث قال الله تبارك وتعالى: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً" نادى فأسمع، فاقبل إلى الناس من كل وجه يلبّون، فلذلك جعلت التلبية".

٩٣٤- سألته عن رمي الجمار لم جعل؟ قال: "لأن إبليس كان يتراءى لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار، فرجمه إبراهيم عليه السلام فجرت به السنّة" قرب الإسناد، الحميري: ٢٣٧ - ٢٣٨.

## تحديد هوية الذبيح ورمزية ذبح الهدى:

### من هو الذبيح؟

الذبيح بنظر اليهود (وتبعيةهم المسيحيون بالطبع) هو إسحاق، بينما الصحيح هو إسماعيل كما سيتضح الآن.

بحسب نصوص سفر التكوين (كما استعرضناها سابقاً)، فإنَّ إسماعيل هو الولد الأول لإبراهيم بينما ولد إسحاق بعده بعدة سنين، وهذا تذكير بالنصوص:

"الإصحاح ١٦" تحدث عن زواج إبراهيم بهاجر وولادة إسماعيل، وكان إبراهيم بعمر ٨٦ عاماً بحسب النص<sup>(١)</sup>، بينما "الإصحاح ١٧" تحدّث عن ولادة إسحاق وإبراهيم كان بعمر ٩٩ عاماً بحسب النص<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أنَّ إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاثة عشر عاماً بحسب نصوص التوراة، ومع هذا فهم يستندون – في تحديد الذبيح – إلى النص المذكور في "الإصحاح ٢٢" الذي يقول: "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق ..... إلخ"<sup>(٣)</sup>.

١- "وَأَمَّا سَارَائُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، ٢ فَقَالَتْ سَارَائُ لِأَبْرَامَ: «هُؤَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَ عَنِّي مِنَ الْوِلَادَةِ. ادْخُلْ عَلَيَّ جَارِيَتِي لَعَلِّي أُزْزِقُ مِنْهَا بَنِينَ». ..... وَأَعْطَيْتُهَا لِأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ. ٤ فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ. وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ مَوْلَاتُهَا فِي عَيْنَيْهَا. .... ١٥ فَقُلِدَتْ هَاجَرُ لِأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرَ «إِسْمَاعِيلَ». ١٦ كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ سِتِّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ لِأَبْرَامَ."

٢- "١ وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا، ٢ فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأَكْثِرَكَ كَثِيرًا جِدًّا». ..... ١٥ وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «سَارَائُ امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُوا اسْمَهَا سَارَائُ، بَلْ اسْمُهَا سَارَةُ. ١٦ وَأُبَارِكُهَا وَأَعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمًّا، وَمَلُوكٌ شُعُوبٌ مِنْهَا يَكُونُونَ». ١٧ فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَصَحَّكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لَابْنٍ مِثْلَ سَارَةَ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِلْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟» ١٨ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَهُ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!» ١٩ فَقَالَ اللَّهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمَ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. ٢٠ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتَ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُكْثِرُهُ أَكْثَرًا جِدًّا. إِنِّي عَشْرَ رُؤَسَاءَ يَدٍ، وَأَجْعَلُهُ أُمًّا كَثِيرَةً. ٢١ وَلَكِنْ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ»."

٣- "١ وَحَدَّثَ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّ اللَّهَ أَمْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!» فَقَالَ: «هَآنَذَا». ٢ فَقَالَ: «خُذْ ابْنَكَ وَحَبِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرْتَا، ..... ٩ فَلَمَّا أَتَيْتَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ، بَقِيَ هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبُوحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَّطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبُوحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ١٠ ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ

لكن السؤال: كيف يكون إسحاق وحيد إبراهيم والحال أنّ ولده الأكبر "إسماعيل" مولود قبل ١٣ عاماً بحسب نصوص التوراة نفسها؟! والحق، إنّ افتراض أن يكون الذبيح هو "وحيد إبراهيم" يعني أن لا يوجد عنده ولد غيره، وهذا يؤكد - بالضرورة - أنّ الذبيح هو إسماعيل؛ باعتبار أنّ وصف "الوحيد" لا يصدق إلا عليه.

أما افتراض أنّ وصف "الوحيد" يصدق على إسحاق؛ لأنه ولده الذي يعيش معه بعد إبعاد إسماعيل إلى بركة فاران كما يزعمه شراح العهد القديم، فنحن غير معنيين به وهو تكلف والتفاف واضح على النص، فمثلاً: لا يقال لمن لديه ولد يعيش بعيداً عنه أنه بلا ولد! وهذا أمر بديهي ويدركه كل من لديه شيء من الإنصاف!

أما المسلمون "السنة"، فبالرغم من أنّ بعضهم نقل روايات إسرائيلية - رواها كعب الأحبار أو وهب بن منبه مثلاً - تشير إلى أنّ الذبيح هو إسحاق تماشياً مع الفكر اليهودي، إلا أنّ رأي الأكثرية يميل إلى أنّ الذبيح هو إسماعيل<sup>(١)</sup>.

السَّكِينِ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. ١١ فَتَنَادَاهُ مَلَأَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!» فَقَالَ: «هَآنَذَا» ١٢ فَقَالَ: «لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ لِلَّهِ، فَلَمْ تُمَسِّكْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». ١٣ فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمَسَّكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرِقَةً عَوْضًا عَنِ ابْنِهِ. ....».

١- قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه بعدما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال "إني ذاهب إلى ربي سميدين\* رب هب لي من الصالحين" يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم قال الله تعالى "فبشرناه بغلام حليم" وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشره إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيداً وفي نسخة أخرى بكره فاقحموا ههنا كذبا وبهتاناً إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره وأيضاً فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار. وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر

أما المسلمون "الشيعة" فإجماعهم قائم على أنّ الذبيح هو إسماعيل <sup>(١)</sup>، والأصل في ذلك الروايات الواردة عن آل محمد الأوصياء صلوات الله عليهم <sup>(٢)</sup>.

أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك "وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين" ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا "إننا نبشرك بغلام عليم". وقال تعالى "فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب" أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً وإسماعيل وصف ههنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ١٦.

وقال الألوسي: (أنهم اختلفوا في الذبيح فقال - على ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته القول الفصيح في تعيين الذبيح - علي، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو الطفيل، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، ويوسف بن مهران، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد بن المسيب، وأبو جعفر الباقر، وأبو صالح، والربيع بن أنس، والكلبي، وأبو عمرو بن العلاء، وأحمد بن حنبل وغيرهم أنه إسماعيل عليه السلام لا إسحاق عليه السلام وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ورجحه جماعة خصوصاً غالب المحدثين وقال أبو حاتم: هو الصحيح، وفي الهدى أنه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ..... وهو المشهور عند العرب قبل البعثة أيضاً كما يشعر به أبيات نقلها الثعالبي في تفسير عن أمية بن أبي الصلت واستدل به بأنه الذي وهب لإبراهيم عليه السلام أثر الهجرة وبأن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام، والظاهر التغاير في تعيين كونه إسماعيل) روح المعاني (تفسير الألوسي): ٢٣ / ١٣٣ - ١٣٤.

١- (قال أبو المفضل: اختلف الناس في الذبيح وقول النبي صلى الله عليه وآله: "أنا ابن الذبيحين" يعني إسماعيل وعبد الله أباه عليهما السلام، والعرب مجمعة أنّ الذبيح هو إسماعيل وأنا أقول: اختلفت روايات العامة والخاصة في الذبيح من هو، والصحيح أنه إسماعيل لمكان الخبر ولإجماع علماء أهل البيت على أنه إسماعيل) الأمالي، الطوسي: ٤٥٧.

٢- منها: (عن داود ابن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما كان أكبر إسماعيل أو إسحاق؟ وأيهما كان الذبيح؟ فقال: كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل، وكانت مكة منزل إسماعيل، وإنما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيام الموسم بمكة. قال: وكان بين بشارة الله لإبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق خمس سنين، أما تسمع لقول إبراهيم حيث يقول: "رب هب لي من الصالحين" إنما سأل الله عز وجل أن يرزقه غلاماً من الصالحين، وقال في سورة الصافات: "فبشرناه بغلام حليم" يعني إسماعيل من هاجر، قال: ففدي إسماعيل بكبش عظيم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ثم قال: "وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين \* وباركنا عليه وعلى إسحاق" يعني بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق، فمن زعم أنّ إسحاق أكبر من إسماعيل وأنّ الذبيح إسحاق فقد كذب بما أنزل الله عز وجل في القرآن من نبأهما) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٩١.

ومنها: (عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: "أنا ابن الذبيحين"، قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم "فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر" ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت "ستجدني إن شاء الله من الصابرين"،

ثم إنَّ قول البعض بأنَّ الذبيح هو إسحاق سببه - بحسب بعض الروايات - هو أنَّ إبراهيم أتى بعياله (سارة وإسحاق) من الشام لحج بيت الله بعد أن بناه هو وإسماعيل وبعد أن أمره الله بحج البيت، فمن هنا وقع للبعض أنَّ الذبيح هو إسحاق<sup>(١)</sup>.

فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أمّتي، وإنما قال الله عز وجل له: كن فكان. ليفتدي به إسماعيل، فكلما يذبح بمئى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة. فهذا أحد الذبيحين. وأما الآخر فإنّ عبد المطلب كان تعلّق بحلقه باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشرة [أولاد] قال: قد وفى الله لي فلافين لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه اعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك، قال: فكيف أعذرياً بنية فإنك مباركة، قالت: اعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى. فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل فكثر قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة، فقال عبد المطلب: لا، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجله فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة ولا يمنع أحد منها وكانت مائة، وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله عز وجل في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، وسنّ الدية في القتل مائة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كثرأ فأخرج منه الخمس، وسعى زمزم لما حفرها سقاية الحاج، ولولا أنّ عبد المطلب كان حجة وأنّ عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبّيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي صلى الله عليه وآله وأله بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله عليه السلام: "أنا ابن الذبيحين". والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبيح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبيح عن عبد الله وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في صلبهما فبركة النبي والأئمة رفع الله الذبيح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم، وكل ما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة) الخصال، الصدوق: ٥٥ - ٥٧.

١- (عن عقبه بن بشير، عن أحدهما عليهما السلام قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ وَأَنْ يَرْفَعَ قَوَاعِدَهَا وَيُرِيَ النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْبَيْتَ كُلُّ يَوْمٍ سَاقِياً حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ. قَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَى أَبُو قَبِيْسٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ لَكَ عِنْدِي وَدِيعَةً فَاعْطَاهُ الْحَجَرُ فَوَضَعَهُ مَوْضِعَهُ، ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَحْجُوا هَذَا الْبَيْتَ فَحُجُّوهُ فَأَجَابَهُ مِنْ يَحْجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَجَابَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ: وَحُجَّ

### شعيرة ذبح الهدي ورمزيتها:

واحدة من شعائر الحج ضمن أعمال "منى" هو ذبح الأضحية يوم العاشر من ذي الحجة، وهي من الشعائر التي علّمها جبرئيل لأدم بأمر الله كما يَبَيّن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: "... فأفاض آدم من جُمع (مزدلفة) إلى منى فبلغ منى ضحى فأمره أن يصلي ركعتين في مسجد منى ثم أمره أن يقرب إلى الله تعالى قرباناً ليتقبل الله منه ويعلم أنّ الله قد تاب عليه ويكون سنة في ولده القربان فقرب آدم عليه السلام قرباناً فقبل الله منه قربانه"<sup>(١)</sup>.

الحجيج بمنسكهم هذا، لا شك أنهم - أيضاً - يتمثلون ما فعله إبراهيم صلوات الله عليه لما أراد ذبح ولده إسماعيل ثم فداه الله بكبش "وعل بري"، وأيضاً: القصة تكررت في مكة في زمن عبد المطلب جد الرسول محمد صلى الله عليه وآله لما أراد ذبح ولده عبد الله ثم فدي بمائة من الإبل. وعموماً، شعيرة الذبح والفداء تحكي قصة الخلق وظلمته، فوجود عوالم الخلق (عرش الله) تقتضي الظلمة حتماً بعد أن كان الخلق (كل الخلق) نتاجاً للتركيب بين النور والظلمة؛ إذ لا يوجد مخلوق يتصف بأنه نور لا ظلمة فيه، فهذا الوصف مختص بالله سبحانه وحده ولا غير، والفداء "الذبيح" - والحال هذه - إنما كان نتيجة الوجود الحتمي لتراكم هذه الظلمة في عوالم الخلق، وبالتالي يكون الذبيح فداء حتمياً، بمعنى أنّ عرش الله (الخلق ككل) حتى يوجد فضريته القطعية تقديم الفداء الإلهي "الذبيح العظيم"، وبدون ذلك لا وجود للخلق!

لهذا، فإنّ مسألة القربان والذبيح أمر لا بد من تحقيقه في خط الرسائل الإلهي، وهو الأمر الذي تحكيه شعيرة ذبح الهدي في الحج، والذبح إن كان قد دُفع عن إسماعيل وعبد الله (والد الرسول محمد صلى الله عليه وآله) فهو أمر لا يمكن دفعه نهائياً بعد كونه ضريبة حتمية لظلمة الخلق (عرش الله) كما عرفنا، أي: لابد من وجود ذبيح عظيم يفدي عرش الله (عالم الخلق) لا يدفع عنه الذبيح! علماً، أنّ الذبيح هو نفسه الذي ناح عليه

إبراهيم عليه السلام هو وأهله وولده فمن زعم أن الذبيح هو إسحاق فمن ههنا كان ذبحه) الكافي، الكليني: ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

١- انظر: علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٤٠٠ - ٤٠١.



السومريون في بلاد ما بين النهرين وتداول قصته ومصيبته الرسل الأوائل؛ آدم عليه السلام فمن تلاه من الرسل وصولاً إلى نوح ومن تلاه، وشاع ذكره في النصوص السومرية، وسبق لنا أن بحثنا الأمر وخصصنا الملحق الأول من "كتاب الرسالة / الجزء الأول" لبحث المسألة وتبين لنا هناك أنّ ذبيح خط الرسائل الإلهي هو سبط الرسول محمد وابن ابنته فاطمة؛ الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه، فهو المصداق الحقيقي والأمثل والأعلى؛ لـ "الذبيح العظيم" الذي ذكره الله سبحانه في كتابه: "وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ" الصافات: ١٠٧.

يقول السيد أحمد الحسن: (في ذي الحجة سنة ٦٠ هـ، وفي أيام الحج وتقديم القربان ترك الحسين الناس يقدّمون قرابينهم حول "بيت الله" الذي هو صورة رمزية في الأرض لعرش الله وذهب إلى كربلاء ليقدم نفسه قرباناً لله ولعرش الله سبحانه<sup>(١)</sup>).

هم بتقديم قربانهم يتمثلون صورة للحقيقة، بينما الحسين هو الحقيقة نفسها!

أمر الله سبحانه إبراهيم أن يأخذ زوجته هاجر وابنه إسماعيل وهو رضيع إلى مكة وتركهما في ذلك الوادي الصخري المقفر.

ورغم أنّ في محيطه شجيرات وحياة، ولكن الله أمره أن يتركهما في ذلك الوادي المقفر بالذات؛ لتعطش هاجر ويجوع الرضيع إسماعيل، وتبدأ هاجر رحلتها للبحث عن الماء بين الصفا والمروة ذهاباً ومجيئاً وهي مدهوشة لما حلّ برضيعها من عطش وجوع؛ مهرولة في بعض أشواطها حتى انتهت من سبعة أشواط، فانبثقت عين الماء "زمزم" لتبدأ الحياة في ذلك المكان وتستقر فيه بعض القبائل.

لما كبر إسماعيل وأصبح فتى يفرح به قلب أبيه الذي رزق به على كبر، شاء الله أن يرى إبراهيم في المنام أنه يذبحه، كان هذا في السابع من ذي الحجة ثم تكررت رؤياه في التاسع من ذي الحجة، فأخذه إبراهيم ليقدمه قرباناً؛ ظناً منه أنه ذلك القربان "الذبيح العظيم" الذي وُعد به أبناء سومر وأكاد منذ أن كانوا يسكنون في الوادي الخصيب "الخليج الحالي" ثم أخذ يتردد عليهم ذكره مع كل نبي يُبعث؛ نوح ومن تلاه، ذلك الذبيح الذي مثّل فداء

---

١- عرش الله: عالم الخلق ككل كما تبين.

عرش الله "عوالم الخلق" ويترقبه كل قوم، وكان أشد من يترقبه في ذلك الزمان إبراهيم؛ خصوصاً وهو يعلم أنه من ذريته.

لكن، لما وقف (إبراهيم وابنه إسماعيل) في العاشر من ذي الحجة مسلّمين لأمر الله جاء "وعل" ووقف بين يديهما وكأنه مأمور وخوطف إبراهيم أن يذبح الوعل.

وأكيد من الجهل الاعتقاد أنّ الله يسمّي وعلاً أو كبشاً بـ "الذبح العظيم"!

على الأقل تفكّروا بأنه لم يقل: "فديناه بكبش عظيم" أو "وعل عظيم"، وحاشا أن يعظّم الله وعلاً أمام نبي كإسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهم!

ذبح إبراهيم "الوعل" وعرف أنّ الذبيح من ذرية إسماعيل وليس إسماعيل نفسه.

ثم بنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة التي مثلت آية إلهية تشير إلى "عرش الله" أو "عالم الخلق" أو كما اعتاد الناس تسميتها "بيت الله"، وبالتالي فهي أيضاً آية تعريف بالقرابان الإلهي العظيم؛ فداء العرش الإلهي.

فالكعبة تشير للعرش، والقرابين التي تذبح حولها تشير إلى "الذبح العظيم" فداء العرش.

تكرّرت قصة إبراهيم وإسماعيل مع عبد الله والد الرسول محمد صلى الله عليه وآله ووالده عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتبقى هاتان القصتان والآيتان إشارة عظمت وكبرى في طريق السالكين إلى الله: ليعلموا أنّ انتظار الذبيح "الذبح العظيم" كان دين القرون الأولى وهو دين الله سبحانه، وهو علامة فارقة وكبرى في مسيرة الدين الإلهي. ولهذا ذكر رسول الله وأكد أنه: "ابن الذبيحين: عبد الله وإسماعيل".

وهكذا كانت أعمال الحج تمثلاً لفعل إبراهيم وإسماعيل اللذين تمثّلا حالة ذبيح العرش:

≡ عرفة: هو اليوم الذي عرف وتيقن به إبراهيم واتخذ قرار التنفيذ بعد أن رأى رؤياه.

≡ مزدلفة: تمثل السير من المعرفة إلى التنفيذ.

≡ ورمي الشيطان: براءة من وسوسة الشيطان.

≡ وذبح الهدي: تتبّع لفعل إبراهيم في تمثيل حالة "الذبح العظيم" فداءً للعرش. وكذا الأضحية.

(العرش: هو عالم الخلق من أوله إلى آخره، وهو متضمن لمحمد وعلي وفاطمة أرفع وأرقى المخلوقات).

≡ السعي بين الصفا والمروة: هو تمثّل لسعي هاجر والهرولة فيه حيث هرولت، وكانت في سعيها وهرولتها تتوسل بالذبيح ووالديه!

≡ أما البيت والطواف حوله: فالبيت يشير للعرش، والعرش هو عالم الخلق وأهم ما في عالم الخلق محمد وآله فالطواف حول البيت هو طواف حولهم.

≡ وملابس الإحرام والإحرام: يشير إلى التجرد من الدنيا والهوى والأنا.

≡ اتخاذ البيت قبلة والسجود تجاهه: هو إشارة للتسليم لخلفاء الله؛ محمد وآله والمرسلين.

وصلت النوبة أخيراً للذبيح الحقيقي "الذبح العظيم" الحسين بن علي ابن بنت رسول الله محمد "صلى الله عليه وآله" فاطمة.

شاء الله لما حان الوقت أن يكون في مكة، وبذل أن يكمل الحج - والحج عرفة<sup>(١)</sup> - ترك الحج خلف ظهره في يوم الثامن أي قبل ساعات فقط من الحج، لماذا؟!

شاء الله أن يجعل هذا الأمر آية منه سبحانه:

- فالحسين: ابن صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وآله.

١- قال النبي صلى الله عليه وآله: "الحج عرفة" عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٩٣ / ٢.

- الحسين: العابد الذي كان يحج كل سنة وماشياً في بعضها.
  - الحسين: الذي يجلس في يوم عرفة يدعو بدعائه المعروف حتى يبكي كل من حوله.
  - الحسين الإمام الذي نص رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامته وأنه سيد شباب أهل الجنة.
- الحسين بالذات يترك الحج قبل ساعات فقط من بدء مراسم الحج؛ وقوف عرفة وذبح القرбан! لماذا؟! و"لماذا" كبيرة جداً...

لا يمكن أن يفسرها تعليل بسيط كما يتداوله بعضهم<sup>(١)</sup>!

- ماذا أراد الله الذي أمر الحسين بترك الحج والتوجه للعراق أن يقول لنا؟
- لماذا التوجه إلى أرض القرى السومرية الأكادية الأولى بعد طوفان جده نوح؟!

في الحقيقة، هذه الأسئلة مجابة بقدر ما ضمناً فيما قلت.

فرحلة البحث عن الذبيح وصلت إلى نهايتها، ولابد له من الذبح حيث وعد الأنبياء أقوامهم في سومر وآكاد وبابل الذين ناحوا على ذبيح عرش الله أو ذبيح بيت الله آلاف السنين (فصلت هذا في "وهم الإلحاد")<sup>(٢)</sup>، ولهذا جاء سائراً من بيت الله الذي يشير إلى عرش الله إلى مذبحه الموعود؛ ليقدم نفسه قرباناً بين يدي الله: (ذبح عظيم فداء للعرش الإلهي)، والعرش متضمن لمحمد وعلي وفاطمة، إبراهيم وإسماعيل وجميع خلفاء الله، فهم جزء من عوالم الخلق.

إذن - والحال هذه - فالإسلام ودين الله والخلق كله مدين لدم الحسين وجوداً وبقاءً.

١- كالتعليل بالجانب الأمني، انظر: مباحث الجزء الأول من "يوم الحسين".

٢- انظر: كتاب وهم الإلحاد، السيد أحمد الحسن: مباحث الفصل الخامس.

الآن، ربما اتضح لك جوابه سبحانه في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" البقرة: ٣٠.

"إني أعلم ما لا تعلمون": أهم ما فيها هو هذا "القربان" الذي قدّمه محمد وعلي وفاطمة بين يدي الله. ثم الحسين لما سلّم لأمرهم ومراد الله وذهب إلى مذبحة، فالحسين فداء لعدم استحقاق بني آدم الوجود بسبب إعراضهم عنه سبحانه، وبالتالي تبعاً لذلك عدم استحقاق إيجاد الوجود ككل، ولهذا كان اعتراض الملائكة بالأصل: وبالعرض طبعاً لما رأوه من أشباه الناس.

وتركه للحج إشارة إلى أنه القبلة الحقيقية المعرفة بالله سبحانه، ومن تاه عنها فلن يكون حجّه سوى مكاء وتصديّة: "وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً" الأنفال: ٣٥ لا أكثر ولا أقل. وإذا تهت عن معرفة ذبيح الله "الذبح العظيم" الذي بنيت الكعبة للإشارة له ولعرش الله فما نفع أعمالك وحجّك؟!

بدأت رحلة الذبيح من العراق؛ بدأها إبراهيم صلوات الله عليه ثم ختمت بالعراق؛ ختمها الذبيح بنفسه صلوات الله عليه.

وما حركة إبراهيم من العراق إلى الشام وبيت المقدس والحجاز ومكة والكعبة "بيت الله" إلا محطات وآيات في طريق الوصول إلى الذبح العظيم: "فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ \* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" الصافات: ١٠٣ - ١١١.

فالأصل في الأمر: هنالك فداء للعرش (عالم الخلق المتضمن محمد وعلي وفاطمة وخلفاء الله). وما حصل مع إبراهيم وإسماعيل هو امتحان ورفع مقام لهما؛ ليكونا أهلاً أن يكون الذبيح من ذريتهما. وذبح الوعل تمثّل لحالة الذبيح والعرش، والوعل أو الكبش مثّل الفداء لإسماعيل أيضاً، ولكن بالأصل السبب الذي منع الذبيح عن إسماعيل وعن عبد الله هو وجود الحسين الذبيح المستحق لهذا المقام.

قال الشيخ الصدوق: (حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار بنيسابور في شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة قال: حدثنا محمد بن علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ فقال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إلي من حبيبك محمد (ص) فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم أفهو أحب إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحب إلي من نفسي قال: فولده أحب إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده قال: فذبح ولده ظملاً على أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي قال: يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمه محمد (ص) ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظملاً وعدواناً كما يذبح الكبش فيستوجبون بذلك سخطي فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه واقبل يبكي فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فذلك قول الله عز وجل: "وفديناه بذبح عظيم" ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup> انتهى<sup>(٢)</sup>.

وقد تقدم (ضمن كلام السيد أحمد الحسن) معرفتنا بأنّ حادثة ذبح إسماعيل تعتبر تهيئة وتمهيداً لحادثة ذبح عبد الله "والد الرسول محمد"، وكلا الحادثتين هما تهيئة وتمهيد لحادثة الذبيح الحقيقي في الرسالة المحمدية العظمى؛ أعني الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه. وبالتالي، فما فعله إبراهيم يعدُّ تهيئة وتمهيداً لرسالة محمد التي يمثل الحسين الذبيح جزءاً أساسياً منها.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٨٧ - ١٨٨.

٢- مدخل ليوم الحسين، علاء السالم: ٤٣ - ٤٩.

## ذبح إسماعيل المفدى والذبيح الحقيقي:

قال تعالى: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ \* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" الصافات: ١٠٠ - ١١١.

"قد صدقت الرؤيا": الرؤيا لها منزلة عظيمة في الدين الإلهي، ولهذا رأينا أن تصديقها أوجب لإبراهيم مدحاً وثناء من الله، وكثير من إعلام الله مراده لإبراهيم - كما سائر رسل الله - كان يتم عن طريق الرؤيا<sup>(١)</sup>.

ثم إن رؤيا إبراهيم صلوات الله عليه بذبح ولده رآها قبل نيل مقام الإمامة، وهو أمر واضح، ولهذا عد كثيرون حادثة الذبح من بين الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن ابتلاء إبراهيم برؤيا صادقة يؤمّر فيها بأن يقرب لله قرباناً يتمثل بذبح ولده البكر الذي جاءه بعد سنين من الوحدة، لهو ابتلاء وامتحان عظيم لا يطيق تحمّله سوى أصحاب القلوب الكبيرة كقلب خليل الله إبراهيم وابنه السميع المسلم إسماعيل وأمه الصابرة السيدة هاجر صلوات الله عليهم، ولهذا استحق ثناء الله عليه بكل العظمة التي حكها الآيات الكريمة.

١- (عن زارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأنبياء على خمسة أنواع: منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به، ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف وإبراهيم عليهما السلام، ومنهم من يعاين، ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أذنه) بصائر الدرجات، الصفار: ٣٨٩ - ٣٩٠.

٢- انظر مثلاً: تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٥٩؛ تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهراني: ١ / ٢٩٩؛ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ١ / ١٩٥؛ أحكام القرآن، الجصاص: ١ / ٧٩؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٣٩، وغيرهم.

## قصة الذبيح مؤلمة بالرغم من أنها لم تكتمل، لكنها كشفت عن نفوس ومعادن طاهرة خُلد تسليمها لربها<sup>(١)</sup>.

١- (عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام: إن إبراهيم أتاه جبرئيل عليه السلام عند زوال الشمس من يوم التروية، فقال: يا إبراهيم ارتو من الماء لك ولأهلك، ولم يكن بين مكة وعرفات ماء فسميت التروية لذلك، فذهب به حتى انتهى به إلى منى فصلى به الظهر والعصر والعشائين والفجر حتى إذا بزغت الشمس خرج إلى عرفات فنزل بمنمة وهي بطن عرنة، فلما زالت الشمس خرج وقد اغتسل فصلى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وصلى في موضع المسجد الذي بعرفات وقد كانت ثم أحجار بيض فأدخلت في المسجد الذي بنى، ثم مضى به إلى الموقف فقال: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك؛ ولذلك سميت عرفة، وأقام به حتى غربت الشمس، ثم أفاض به فقال: يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام فسميت المزدلفة، وأتى به المشعر الحرام فصلى به المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثم بات بها حتى إذا صلى بها صلاة الصبح أراه الموقف، ثم أفاض به إلى منى فأمره فرمى جمرة العقبة، وعندها ظهر له إبليس، ثم أمره بالذبيح وإن إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام وهو قرح فرأى في النوم أن يذبح ابنه، وقد كان حج بوالدته فلما انتهى إلى منى رمى الجمرة هو وأهله، وأمر سارة أن زوري البيت، واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشار ابنه وقال كما حكي الله: "يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى" فقال الغلام كما ذكر الله: امض لما أمرك الله به "يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين" وسلم لأمر الله وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله تذبغ غلاماً لم يعص الله طرفة عين، فقال إبراهيم: إن الله أمرني بذلك، فقال: ربك ينهاك عن ذلك، وإنما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: ويحك إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به والكلام الذي وقع في أذني فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان، فقال إبراهيم: لا والله لا أكلمك، ثم عزم على الذبيح فقال: يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك، وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم، فلم يكلمه وأقبل على الغلام واستشاره في الذبيح فلما أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: يا أبتاه خمر وجبي، وشد وثاقي، فقال إبراهيم: يا بني الوثاق مع الذبيح؟ لا والله لا أجمعهما عليك اليوم، فرمى له بقرطان الحمار، ثم أضجعه عليه، وأخذ المديّة فوضعه على حلقه ورفع رأسه إلى السماء، ثم انتحى عليه المديّة وقلب جبرئيل المديّة على قفاها، واجتر الكباش من قبل ثبير وأثار الغلام من تحته، ووضع الكباش مكان الغلام، ونودي من ميسرة مسجد الخيف: "أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين\* إن هذا لهو البلاء المبين" قال: ولحق إبليس بأمر الغلام حين نظرت إلى الكعبة في وسط الوادي بحذاء البيت فقال لها: ما شيخ رأيته؟ قالت: ذاك بعلي، قال: فوصيف رأيته معه؟ قالت: ذاك ابني، قال: فإني رأيته وقد أضجعه وأخذ المديّة ليذبحه، فقالت: كذبت إن إبراهيم أرحم الناس كيف يذبح ابنه؟! قال: فورب السماء والأرض ورب هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المديّة، فقالت: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت: فحق له أن يطيع ربه، فوقع في نفسها أنه قد أمر في ابنها بأمر، فلما قضت نسكها أسرع في الوادي راجعة إلى منى وهي واضعة يدها على رأسها تقول: يا رب لا تؤاخذني بما عملت بأمر إسماعيل. قلت: فأين أراد أن يذبحه؟ قال: عند الجمرة الوسطى. قال: ونزل الكباش على الجبل الذي عن يمين مسجد منى نزل من السماء وكان يأكل في سواد، ويمشي في سواد، أقرن. قلت: ما كان لونه؟ قال: كان أملح أغبر (تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢/ ٢٢٤ - ٢٢٦).



لا شك، أنّ إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام عاشوا لحظات صعبة وأليمة في ذلك اليوم، ربما لامسوا فيه وجع فقد العزيز وفلذة الكبد، واستشعرت قلوبهم مرارة موته، وشبحت أبصارهم نحوه بنظرات الأيسين منه، مع أنّ الذبح دُفع عنه بالنهاية والحادثة انقضت بظرف زمني قصير استرجعوا بعدها أنفاسهم، لكن: ماذا بوسعنا أن نقول بحق أهل الذبيح الحقيقي أعني الرسول محمداً وعلياً وفاطمة صلوات الله عليهم الذين كانوا يعلمون بأنّ ولدهم الحسين مقتول ذبحاً وعطشاً ولا مجال للدفع عنه كما حصل مع إسماعيل! هم يعلمون ذلك حتى قبل ولادته:

عن الإمام الصادق عليه السلام: (أتى جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: السلام عليك يا محمد الا أبشرك بغلام تقتله أمتك من بعدك، فقال: لا حاجة لي فيه، قال: فانقض إلى السماء ثم عاد إليه الثانية فقال له مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فانعرج إلى السماء ثم انقض إليه الثالثة فقال مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: إنّ ربك جاعل الوصية في عقبه، فقال: نعم، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل على فاطمة عليهما السلام فقال لها: إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني فبشرني بغلام تقتله أمتي من بعدي، فقالت: لا حاجة لي فيه، فقال لها: ان ربي جاعل الوصية في عقبه، فقالت: نعم اذن. قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: "حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً"، لموضع إعلام جبرئيل إياها بقتله، فحملته كرهاً بأنه مقتول، ووضعته كرهاً لأنه مقتول<sup>(١)</sup>.

بحسب الرواية: العطاء لله والتضحية في سبيله هو خير عظيم يتفضّل به الله على صاحبه، وصاحبه يُبشّره وإن كان ثمن العطاء فاجعة تدمي القلوب وتهزّلها الجبال الرواسي. وأيضاً: إذا عظم الله في قلب العبد هان كل شيء سواه، فالرسول وابنته فاطمة صلوات الله عليهما بمجرد أن علما بأنّ المولود الموعود ليس كأي ولد ينتظره الأبوان عادة، وإنما هو ولد له علاقة بدين الله وحاكميته وخلافته في أرضه قبلاً على الفور بالرغم من أنّ القتل هو المصير المحتوم الذي ينتظر ولدهم الذبيح "المبشر به"، وواضح أنّ قتله له علاقة بدين الله واستمرار الإمامة والخلافة الإلهية: "جاعل الوصية في عقبه".

---

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٢٣.

وعند ولادته: الجميع يعرف أنّ كل مولود يضيف لأهله ومن يتقبون مولده فرحاً ويملاً دارهم بالسُرور إلا الحسين! إذ كان جده الرسول في استقباله وانتظاره، لكنه لم يتمكن من أن يُفرد سروره وبهجته بمولده دون أن يمزجه بالدموع! باشرت صفية بنت عبد المطلب (عمّة الرسول) توليد فاطمة صلوات الله عليها بولدها الحسين، وهي من أحضرته لرسول الله الذي كان يقف قرب حجرة ابنته مترقباً، ينتظر ولادة سبطه وولده وريحانته وذبيحه<sup>(١)</sup>.

هذا من جهة أهل الذبيح، أما الذبيح نفسه أعني الحسين فقد عاش حياته في ظل جده وأبويه وهو يعلم أنه الذبيح الموعود، وبعد رحيلهم عاش كذلك أيضاً؛ لأنه يعلم أنّ وعد الله حق، ثم لما قرب الوعد ورفض بيعة يزيد الفاجر الفاسق لعنه الله في شهر رجب عام ٦٠ هـ فهو منذ ذلك الوقت يعلم أنه مقتول مذبح مع أنّه قتل في يوم العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ، وهذا يعني أنه طيلة الأشهر السبعة كان يعلم أنه مقتول، بل كان يتذوق طعم الموت ويراه في كل يوم بل في كل ساعة وفي كل لحظة، وكم كان يرى أو يسمع هاتفاً يهتف به وبركبه: "القوم يسيرون والمنايا تسير بهم"، وكم كان يرى جده الرسول وهو يخبره بأنه مقتول وقادم إليه عن قريب! هذه كلها كانت نذر الموت ومقدماته، ومقدمات الموت جزء من الموت بالتأكيد. وأيضاً: الحسين أكيد لديه عيال وأطفال، بل شهدت هذه الفترة ولادة طفله الرضيع الذي قتل معه يوم عاشوراء بعمر ستة أشهر، لكن الملفت حقاً أنّ نفس الحسين الكبيرة والكريمة لم تتأثر بأي قيد من قيود الدنيا ولم ينخفض مؤشر إقدامها وعطاؤها الإلهي إطلاقاً؟ ولم يسجل لنا التاريخ (بكل ما فيه من غث، وبكل ما فيه من أقلام مأجورة) موقفاً واحداً يظهر تراجع الحسين عن مبادئه (وحاشاه) أو تدمره من الوضع الذي مرّ فيه، أو ضعفه أمام رغبة عاطفية معينة!... هيئات!

١- (عن ابن عباس قال: لما كان مولد الحسين بن علي صلوات الله عليهما وكانت قابله صفية بنت عبد المطلب فدخل عليها النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا عمّة ناوليني ولدي. قالت: فذاك الآباء والأمهات كيف أناولكه ولم أطره بعد! قال: والذي نفس محمد بيده لقد طهره [الله] من علا عرشه، فمدّ بيده وكفّيه فناولته إياه فطاطاً عليه برأسه يقبل مقلتيه وخديّه ويمج (يمص) لسانه كأنما يمج عسلاً أو لبناً، ثم بكى طويلاً صلى الله عليه وآله، فلما أفاق قال: قتل الله قوماً يقتلوك! [قالت صفية:] فقلت: حبيبي محمد، من يقتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: يا عمّة تقتله الفئة الباغية من بني أمية) مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي: ٢٣٤ / ٢.

ليس سهلاً أبداً أن يعيش الإنسان سبعة أشهر متواصلة يعلم فيها أنه مقتول ويعيش مقدمات الموت المحتم بدون أن تشهد ساحته أي تراجع ولو بمقدار ذرة في كل المستويات بما في ذلك المستوى الإيماني والعاطفي. فالثابت القطعي أنّ الحسين بقي هو الحسين دائماً في ثقته بالله ورضاه بقضائه وتسليمه لأمره وتوكله عليه وقوته في إنفاذ مراد ربه وتصديقه بوعده إلى آخر لحظات حياته. علماً، أنّ أعداءه كانوا يطمعون باستسلامه تجنباً لقتله الذي يعلمون أنه يجزّ عليهم ويلات لا تنتهي، لكن الحسين أبى إلا أن يؤثر الذبح على مهادنة الظالمين والرضوخ لهم فقرّر أن يمضي بنفسه إلى مذبحة الموعود به ويقدم نفسه قرباناً لعرش الله ودينه وحاكميته بنفس الروح والنفس المطمئنة التي لم يعكر صفوها شيء من عوالم الدنيا ولو كان الذي ينتظرها أمور جسام لا تطيق الجبال حملها وتأبى القلوب تجرّ شيء من غصصها ومرارتها، أمور تتمثل بذبحه وسلبه وسي عياله وأسره من بعده، فكل هذه الأمور كان الحسين يعلم بحصولها علم اليقين ومع ذلك لم تتأثر نفسه المطمئنة بها بقدر رأس شعرة!

أي نفس مطمئنة كانت بين جوانحك يا أبا عبد الله!

ولهذا، يمكننا النظر لنفس الحسين – كما عرفت من السيد أحمد الحسن (١) – بأنها المصداق الأمثل للنفس المطمئنة التي وصفها الله سبحانه بقوله: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّاتِي" الفجر: ٢٧ – ٣٠.

(عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ" الآية يعني الحسين بن علي عليهما السلام) (٢).

حقّ لإبراهيم الخليل أن يجزع على مصيبة الحسين ويتوجع قلبه لما أعلمه الله سبحانه بما يجري عليه، كما رأيناه في كلام الإمام الرضا المتقدم (٣).

١- في حوار خاص معه بهذا الخصوص، وأعاد ذكره في مدينة الرسول أيضاً.

٢- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٤٢٢.

٣- قال عليه السلام: (..... فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنتك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله وأوجب

## إبراهيم وإسماعيل يؤسسان للتواصل بين مكة والشام:

قال تعالى: "إِلِيلَافٍ قُرَيْشٍ \* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَتَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ" قريش: ١ - ٤.

يتفق المفسرون على أن رحلة الصيف في الآية (كحد أدنى) التي يقوم بها القرشيون كانت إلى الشام، ويجعلون سببها تجارياً لا أكثر<sup>(١)</sup>. وأيضاً: بعض المؤرخين ذكر أن أول من سنَّ رحلتي الشتاء والصيف لقريش هو هاشم (والد عبد المطلب، جد الرسول محمد صلى الله عليه وآله)<sup>(٢)</sup>.

لكن ما ذكره غير دقيق، والحقيقة أوسع وأعمق من ذلك كما سنرى الآن.

لما نقل إبراهيم صلوات الله عليه هاجر وابنها إسماعيل إلى مكة كان يتردد عليهم ويتقدمهم باستمرار، والفترة التي فصلت بين نقلهم وبين وفاة إبراهيم كانت سنين طويلة، اعتاد فيها إبراهيم على السفر من الشام إلى مكة والإقامة فيها لبعض الوقت ثم الرجوع إلى الشام وهكذا، وهذا أمر طبيعي ليس فقط لأنهم أسرته المكلف برعايتهم، بل لأن إسماعيل وصيه وولده الأكبر والأفضل عند الله، والوصي يحتاج إلى إعداد وتهينة ليتمكن من حمل أعباء الرسالة بعده، والإعداد - بلا شك - مسؤولية ثقيلة تقع على عاتق الموصي بل هي من أهم الواجبات المكلف بها بكل تأكيد. ثم بعد بناء البيت الحرام وتشريع الحج إليه كان حضور إبراهيم في كل موسم حج أمر أكيد؛ باعتباره إمام الناس، وهكذا نعرف أن تردد إبراهيم بين الشام ومكة أمر دائم ومستمر حتى وفاته.

---

لك ارفع درجات أهل الثواب على المصائب فذلك قول الله عز وجل: "وفديناه بذبح عظيم" ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١٨٨ / ٢.

١- انظر مثلاً: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠ / ٤١٣؛ مجمع البيان، الطبرسي: ١٠ / ٤٥١؛ زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ٧ / ٥٢٣؛ تفسير الميزان، الطباطبائي: ٢٠ / ٣٦٦؛ جامع البيان، الطبري: ٣٠ / ٣٩٦؛ تفسير السمرقندي: ٣ / ٥٩٨؛ تفسير الثعلبي: ١٠ / ٣٠٢، وغيرهم.

٢- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٢ / ١٢، قال: (وذكر أن هاشماً هو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف).

وأما من جهة إسماعيل، فهو بعد أن شبَّ وكبر كان دائم الذهاب لأبيه في الشام والتردد عليه والتعلم منه؛ خصوصاً ما يتعلق بجانب الوحي والرسالة، وهو أمر يتطلب أن يقيم عند أبيه بعض الوقت ثم يعود لمكة، وهكذا. هذه كانت سنة إسماعيل وعادته التي لم تنقطع حتى بعد وفاة أبيه إبراهيم؛ باعتبار وجود أخيه إسحاق (وصي إبراهيم أيضاً)، إذ سنتعرف في البحوث القادمة على أنّ الخط الرسالي بعد وفاة إبراهيم عليه السلام انشعب إلى خطين واتجاهين رساليين هما: اتجاه إسحاق واتجاه إسماعيل، وضرورة التواصل بين الاتجاهين لا تفرضه العلاقة النسبية وحسب، ولكن تفرضه أيضاً الضرورة الدينية والرسالية وهو الأهم. ثم استمر هذا التواصل حتى بعد وفاة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في ذرية إسماعيل وتوارثوه جيلاً فجيل.

بالطبع، بعد تباعد الوقت ومرور السنين قد يبدو تواصل المكيين (ذرية إسماعيل) بالشام منحصراً بالسبب الاقتصادي والتجاري، لكن الحقيقة - كما قلت - هي أنّ التواصل والإقامة هناك بعض الوقت سببه ديني نسي أيضاً، يعود لما كان يفعله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ثم استمر في ذرية إسماعيل الذين كانوا يتواصلون مع أبناء عمومتهم في الشام. وهذه العادة استمرت في ولد إسماعيل حتى أيام الرسول محمد صلى الله عليه وآله حيث سافر إلى الشام (بيت المقدس وما حولها) أكثر من مرة وكان إحداها بمعبة عمّه أبي طالب عليه السلام، بل بحسب الثابت تاريخياً فإن هاشم (والد عبد المطلب؛ جد الرسول محمد صلى الله عليه وآله) توفي بالشام بعد سفره إليها ومريضه فيها، وقبره في مدينة "غزة"؛ إحدى مدن الشام<sup>(١)</sup>.

والملفت: أنّ الكثير من رحلات المكيين إلى الشام المنقولة تاريخياً كانوا يلتقون فيها برجال دين (يهود ونصارى) ويتخللها طرح مسائل دينية، وسنعرض قسماً منها لاحقاً.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٢/ ١٤؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١/ ٧٥؛ المعارف، ابن قتيبة: ٧١؛ تاريخ اليعقوبي: ١/

والخلاصة: إنَّ أصل رحلات القرشيين (أبناء إسماعيل عليه السلام) إلى الشام، ولا أقل مرة أو مرتين سنوياً، هي سنّة ورثوها من أبيهم إسماعيل المؤسس لها؛ تماماً كما ورثوا منه عمارة البيت وولاية شؤونه وخدمة الحجج<sup>(١)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان التواصل الدائم بين إبراهيم وإسماعيل وتأسيس إسماعيل للتواصل والحركة الاقتصادية بين مكة والشام:

(لم تكن قصة نقل إبراهيم لولده إسماعيل وأمه هاجر من الشام إلى مكة في آخر حياة إبراهيم، وإنما عاش بعدها سنين طويلة كان فيها إبراهيم دائم التردد عليهم وزيارتهم في مكة، والمسألة لا تنحصر بمجيئه لهم في موسم الحج من كل عام كما قد يتوهم بعضهم.

بالتأكيد، إبراهيم كان يأتي مكة في موسم الحج، لكن هل كان يأتي في أوقات أخرى؟ طبعاً يأتي. والعمرة ممكن تسميتها حج، وهي حج بلا إشكال. وبالتالي، فقد أتى حاجاً في غير موسم الحج.

ثانياً: هل إسماعيل لم يذهب لزيارة أبيه بالشام؟ وهل هاجر لم تقم بزيارة إبراهيم بالشام؟

من يعتقد ذلك فهو مخطئ، والصحيح أنهما كانا يذهبان للشام لزيارته. والدليل التاريخي على ذلك موجود، فإسماعيل هو من أسس لذريته زيارة الشام، وأسس لهم عملية الحركة القرشية التجارية من مكة إلى الشام، وكان أولاده دائماً يقودون هذه الحركة حتى لا ينقطع التواصل بينهم وبين أبناء عمومتهم الأنبياء، وقد ذكرت هذه الحركة في القرآن الكريم، وقد ذكرت لكونها بنفسها مرتبطة بدين الله سبحانه: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ \*

١- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ إسماعيل عليه السلام توفي وهو ابن مائة وثلثين سنة، ودفن بالحجر مع أمّه، فلم يزل بنو إسماعيل ولاة الأمر يقيمون للناس حجّهم وأمر دينهم يتوارثونها كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد.....) الكافي، الكليني: ٢١٠ / ٤ - ٢١١. وعدنان بن أدد: أحد الرجال الواقعيين في سلسلة أجداد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وإليه ينسب "العرب المستعربة" كما يصطلح عليهم.

إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ".

تلاحظ - مثلاً - هاشم بن عبد مناف مات في بلاد الشام في غزاة هذه الحركة التي كان جزء منها التجارة، وأيضاً: عبد المطلب وأبو طالب كانا لهما تجارة مع الشام، وكذا رسول الله صلى الله عليه وآله مارس التجارة وذهب إلى الشام.

الحق، إنّ سبب استمرارهم هم بالذات (آل إبراهيم) بهذه الحركة هو أنّ جدّهم إبراهيم هناك، وأيضاً: بيت المقدس وقبة الصخرة والمنطقة المحيطة بها التي بني فيها الهيكل وكانت تحوي ألواح موسى، فهي منطقة الأنبياء ومدافنهم، ومعلوم أنّ بيت المقدس هو أولى القبلتين.

والخلاصة: إنّ إبراهيم نبي واسماعيل وصيه، وغير صحيح تصور أنه لم يكن يراه ويلتقيه باستمرار، فأكيد يوحى لهم، وأكيد توجد توجيهات، وهذا يقتضي ضرورة اللقاء بينهما باستمرار، وهو أمر أكدّه التاريخ والقرآن واستمر الأمر بعدهما في ذرية إسماعيل بن إبراهيم) انتهى<sup>(١)</sup>.

## إمامة إبراهيم (ع) ووفاته:

قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" البقرة: ١٢٤.

منح الله سبحانه خليفه إبراهيم مقام "الإمامة" في أواخر حياته بعد أن رزقه ذرية وابتلاه بذبح ولده إسماعيل ونجح في الامتحان، وإبراهيم حينذاك كان نبياً ورسولاً وخليلاً لكنه لم يكن إماماً بعد:

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

(عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإنّ الله اتخذته نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإنّ الله اتخذته رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإنّ الله اتخذته خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: "إني جاعلك للناس إماماً" قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: "ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين" قال: لا يكون السفية إمام التقي)<sup>(١)</sup>.

ونحن لما نتحدث عن الإمامة، ينبغي أن نعرف أنّ الإمامة مرة ينظر لها كقيادة عامة في الدين والدنيا في هذا العالم، وأخرى ينظر لها كمقام إلهي عظيم لم ينله إلا أشخاص محدودين جداً ورد النص الديني على إمامتهم دون غيرهم من بين حجج الله، والإمامة بهذا المعنى توجب لمن ينالها هيمنة على كل ما هو دون مقام الإمام في العوالم العلوية، كما أنّ القيادة في هذا العالم تصبح جزءاً بسيطاً جداً من معنى الإمامة بمعناها الثاني كما هو واضح.

### النبوة والرسالة والإمامة:

كل حجج الله وخلفائه في أرضه ينطبق عليهم عنوان "خليفة الله، حجة الله"، لكن بعض الحجج يقفون (بحسب إخلاصهم طبعاً) عند مقام النبوة فيكونون أنبياء، وبعضهم يرتقون ويكونون رسلاً (لهم مقام الرسالة)، وبعضهم يرتقون أكثر ويكونون أئمة (لهم مقام الإمامة)، وكل مقام من هذه المقامات الثلاث له مراتب ودرجات.

النبوة والرسالة والإمامة هي مقامات إلهية اقتضتها طبيعة التكليف المناط بخليفة الله وحجّته على خلقه:

يقول السيد أحمد الحسن: (وباعتبار صفات الخليفة وحيثيات عمله أو تكليفه من المستخلف يمكن أن نصفه وما يحمله ونصف مستخلفه، فنقول باعتبار أنه يتلقّى أنباء الغيب فهو نبي يحمل أنباءً وينبئه من يوحى إليه بالأصل، وباعتبار أنه حامل رسالة فهو رسول يحمل رسالة من مرسل، فأصل الدين وهو الاستخلاف يتضمّن أصولاً ثلاثة هي:



المستخلف والخليفة والعلم، أو مُنَيَّ ونبي وأنباء، أو مرسل ورسول ورسالة. ويمكن أن نصف الخليفة بأنه إمام إذا كان له مقام الإمامة (١).

إذن، لدينا ثلاث مقامات إلهية: نبوة بلا رسالة، ورسالة بلا إمامة، وإمامة (تتضمن النبوة والرسالة وزيادة بالتأكيد).

- النبي: يحمل أنباء الغيب من المنبي.
- الرسول: إضافة للأنباء، يحمل رسالة وشرعية من المرسل.
- الإمام: يحمل علماً ضخماً وقرباً إلهياً يهيمن به على كل ما هو دونه في عوالم الخلق، فهو يحمل أنباء وشرعية وزيادة.

المقامات الثلاث مترتبة طولياً، بمعنى أنّ المقام الأعلى يتضمن ما دونه وزيادة، فالرسول له مقام النبوة وزيادة، والإمام له مقام النبوة والرسالة وزيادة (٢). واتضح أنّ الفرق بين المقامات سببه طبيعة تكليف الحجة الإلهي، وليس الفرق يكمن في مسألة الوحي كما توهم البعض؛ حيث حصر الوحي بالنبي دون الإمام، فهو - أي الإمام - لا يُوحى له بحسبهم؟!

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث "أصل الدين".

٢- قال السيد أحمد الحسن في رد من قال: "إنّ العبد الصالح أعلم من موسى عليه السلام بخصوص أمور الباطن دون الشريعة": (... فالعلم من الله سبحانه وتعالى في طرق السماوات والشرائع، والغيب يحدده مقام الإنسان فلا يمكن أن الله سبحانه وتعالى يفيض على عبد في مقام أدنى علماً أعظم من علم يفاض على عبد في مقام أعلى، ليس لأنه سبحانه غير قادر بل لأن الأمر واحد في حقيقته أي إفاضة العلم والمقام، فلا يمكن القول إنّ موسى أعلم في أشياء والعبد الصالح أعلم في أخرى. فالأعلم هنا أعلم في الأمور جميعاً، فلنستكمل عن كتابي فيزياء وكيمياء بل نتكلم عن ملكوت السماوات والشرعية، نتكلم عن دين الله سبحانه الذي جاء به الأنبياء، ونسبة أمور الدين للنبي والوصي المرسل واحدة وليست متعددة أو متفاوتة، فمن يعلم منهم بنسبة ما في ملكوت السماوات يعلم بنفس النسبة في الشريعة، فإذا كان العبد الصالح أعلم بالأمور الغيبية وطرق السماوات من موسى فهو حتماً أعلم من موسى في الشريعة أيضاً. وإذا كان موسى أعلم من العبد الصالح في الشريعة فهو حتماً أعلم منه في الأمور الغيبية وطرق السماوات) انتهى، رحلة موسى إلى مجمع البحرين: ٣٧ - ٣٨.

وإذا عرفنا هذا نعرف أنّ مقام الإمامة لما كان أعظم وأرق من مقامي الرسالة والنبوة فهذا يعني أنّ الإمام لديه كل ما لدى الأنبياء والرسول، وعلى رأس ذلك شدة قربه من الله وعظمته علمه الذي يتلقاه بوحى من الله إليه.

الاعتقاد بأنّ "الإمام" لا يوحى له غير صحيح قطعاً، وإلاّ فيها نحن نتحدث عن إمامة إبراهيم صلوات الله عليه بعد نبوته ورسالته وخلّته، فهل القائل بأنّ الإمام لا يوحى له يقول بانقطاع الوحي عن إبراهيم بعد أن رّفاه الله وجعله إماماً؟! وهل الترقية تكون بزيادة ودقة وحي الله التي هي من لوازم القرب أم بانقطاع الوحي عنه وإيكاله لنفسه؟! ثم ماذا يبقى لحجة الله إن قطع عنه وحي الله؟! وكيف يهدي الناس ويعلمهم مراد ربهم؟! كيف يجيب على مستجدات الأمور والمسائل التي تحصل في زمانه ويحدد مراد الله فيها؟! كيف يحدد للناس القول الفصل فيما يختلفون فيه من مسائل خلافية ... إلخ؟! خصوصاً وأنّ عصمته ليست ذاتية وإنما هي متقوّمة بمذكّر خارجي (أي بالله سبحانه) <sup>(١)</sup>، وخصوصاً – أيضاً – أنّ العلم الواجب أن يتصف به خليفة الله هو العلم الديني الذي يحصل بالوحي الدائم والمستمر!

يقول السيد أحمد الحسن: (العلم الواجب توفره في خليفة الله في أرضه؛ هو معرفة ما فيه نجاة الناس في الآخرة من عقائد وتشريع، فلا بد أن يوحى إليه ليكون عنده فصل الخطاب، وبين الاعتقاد الحق والشرعية الحقّة وما يستجد من تشريع، فالعلم ليس ما كان بل ما يكون، فمعرفة خليفة الله مثلاً بكتاب الخليفة السابق أو حفظه له أو حفظه للتشريع السابق ليس هو العلم الأهم والواجب توفره في خليفة الله في أرضه؛ لأنّ هذه أمور متوفرة بين أيدي الناس ويمكن أن يحصلها أي إنسان آخر، فلا يكون له فضل بها بل

---

١- المعصوم – كما يقول آل محمد الأوصياء عليهم السلام – هو المعتصم بالله عن جميع محارم الله، فهو ليس معصوماً بذاته وإنما معصوماً بالله سبحانه، المعصوم أخلص لله سبحانه إلى درجة استحق أن يُقَابَلَ بنزول توفيق الله وتسديده عليه بقدر إخلاصه الصاعد إلى ربه، هذه هي معادلة العصمة باختصار. أما القول بالعصمة الذاتية فهي تطعن بعدالة الله؛ إذ العصمة الذاتية تعني أنّ ذات المعصوم عاصمة له أي أنّ ذاته مخلوقة بطريقة تعصمه، فذاته – والحال هذه – تختلف عن ذوات بقية الناس، وهذا يعني أنّ الناس لم يدخلوا ساحة الامتحان (الدنيا) بنفس المؤهلات، وهناك تفضيل لبعض الخلق (المعصومين) على غيرهم، وواضح أنّ هذا الفهم يطعن بعدالة الله. وأيضاً: هذا الفهم فيه ظلم للمعصومين عليهم السلام؛ لأنه يسلب عنهم كل فضل وجهد بذلوه (كمقدمة) للعصمة (كنتيجة)؛ إذ بحسب هذا الفهم: فإن العصمة تصبح كسائر شؤونهم الذاتية التي خلقوا بها بلا جهد منهم. هذا، مع أنّ القرآن يصرح بأنّ الله جعلهم أئمة معصومين لما صبروا وكانوا موقنين! وللمزيد في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب: عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث "سهو ونسيان المعصوم". وعموماً، القول بأنّ الإمام لا يوحى له يعني انقطاع الصلة بين المعصوم وبين جهة اعتصامه وتذكيره وتعليمه، وهل هناك سبيل آخر للتواصل بين المعصوم وبين ربه غير الوحي!

الفضل أن يعلم ما لا يعلم الناس، ولا يكون هذا إلا بالوحي في آناء الليل والنهار. فالكل يحتاجونه لينجوا بينما هو لا يحتاج أحداً من الناس في زمانه، تماماً كحال آدم والملائكة فعلم آدم كانت تجهله الملائكة مع حاجتهم له (أسمائهم)، وبهذا كان له الفضل عليهم ووجب عليهم التعلّم منه وطاعته) انتهى<sup>(١)</sup>.

أضف إلى ذلك: أن من لا يُوحى له فهو غافل، فهل يلتزم القائل بأن الإمام لا يوحى له بهذا اللازم الباطل؟!

يقول السيد أحمد الحسن: ("نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ".

أي: قبل الوحي كنت في عداد الغافلين.

من لا يوحى له فهو غافل. من لا يسمع ولا يرى كلمات الله فهو غافل. حجبته الدنيا، الهوى، الجهل، الأنا.

هو دائم الكلام، يخاطب المخلوق في كل آن. نحن الذين نرتع في غفلة حجبتنا عن سماع كلمات الله. إذا لم تكن ممن يسمع ويرى كلمات الله في كل يوم وليلة ودائماً فأنت غافل وفي عداد الغافلين. اعرف عيبك واخرج من غفلتك وادخل حرم الله واستمع كلماته.

"وَإِذْ ذُررْتِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ".

اجعل حياتك تدور حول ذكره سبحانه عسى أن تفتح لك أبواب الملكوت والمعرفة فتكن في عداد العارفين لا الغافلين) انتهى<sup>(٢)</sup>.

---

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: علم خليفة الله في أرضه.

٢- بريد الصفحة، السيد أحمد الحسن: ٢ / ٤٠٠.

وبخصوص حالة الأئمة (آل محمد الأوصياء) عليهم السلام: فإن رحيل الرسول محمد صلى الله عليه وآله لا يعني انقطاع الوحي الإلهي تماماً، وإنما بقي الوحي ينزل وكذلك استمرت الملائكة تنزل بجميع الأمور المدبّرة للخلق في هذا العالم على من يقوم مقام الرسول وهم آل محمد (الاثنا عشر إماماً والاثنا عشر مهدياً)، ويكفي أن نقرأ سورة القدر المباركة لنتعرف على هذه الحقيقة التي أكدها القرآن والروايات المتواترة<sup>(١)</sup>.

١- توجد نصوص دينية تفيد أنّ طريقاً من طرق الوحي الإلهي بقي مفتوحاً بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله، وسيبقى كذلك، وهذا الطريق هو جزء من أجزاء النبوة بنص الروايات لدى الفريقين، وهذه نماذج منها:

- روى الشيخ الصدوق بسنده: (... عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ..... ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأي في منامه فقد رأي لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة واحدة من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢ / ٥٨٥.

- وروى البخاري بسنده: (... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب) صحيح البخاري: ٨ / ٧٧.

- وروى مسلم بسنده: (... قال النبي صلى الله عليه وسلم: رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) صحيح مسلم: ٧ / ٥٢، كتاب الرؤيا.

وروايات أهل السنة في هذا المجال كثيرة. وبالنسبة للشيعة بالخصوص، فإنّ هناك أبواباً كاملة في أهم المصادر الروائية عندهم أكدت على أنّ آل محمد عليهم السلام يتلقاهم روح القدس بالأخبار، وأنه معهم لا يفارقهم، وأنّ الملائكة والروح تنزل عليهم. وهذه نماذج منها:

روى الكليني بسنده: (... عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخي عليه ستره، فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به) الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٢.

الرواية واضحة في أنّ ما حمل به النبي صلى الله عليه وآله النبوة، أي روح القدس، انتقل إلى الإمام من بعده. وروى الكليني أيضاً في باب "الروح التي يسدّد الله بها الأئمة عليهم السلام":

(١- ... عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان" قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده.

٢- ... عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت - وأنا حاضر - عن قول الله عز وجل: "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" فقال: منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وأنه لفينا.

٣- ... عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي" قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت. .... الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٣.

وقد عنون الشيخ الصقار باباً في الأئمة عليهم السلام و"أن روح القدس يتلقاهم إذ احتاجوا إليه"، ذكر فيه (١٣) رواية، منها:

(١- ... عن محمد بن عمران عن بعض أصحابه، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك تسألون عن الشيء فلا يكون عندكم علمه، فقال: ربما كان ذلك، قال: قلت كيف تصنعون؟ قال: تتلقانا به روح القدس.

٢- ... عن جعید الهمداني، قال: سألت علي بن الحسين بأي حكم تحكمون؟ قال: نحكم بحكم آل داود فإن عينا شيئاً تلقانا به روح القدس.

٣- ... عن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): بما تحكمون إذا حكمتم؟ فقال: بحكم الله وحكم داود فإذا ورد علينا شيء ليس عندنا تلقانا به روح القدس.

٤- ... عن أسباط عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت: تسألون عن الشيء فلا يكون عندكم علمه؟ قال: ربما كان ذلك قلت كيف تصنعون قال تلقانا به روح القدس. .... بصائر الدرجات، الصقار: ٤٧١.

و أيضاً: هناك روایات كثيرة تؤكد استمرار تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر على أوصياء محمد صلى الله عليه وآله بعد رحيله من الدنيا، وقد رواها الشيخ الكليني وغيره، هذا مثال منها:

روى الكليني بسنده: (... عن أبي جعفر الثاني عليه السلام: ..... فإن قالوا لك فإن علم رسول الله صلى الله عليه وآله كان من القرآن، فقل: "حم والكتاب المبين، إنا أنزلناه في ليلة مباركة [إنا كنا مننرين فيها] - إلى قوله -: إنا كنا مرسلين"، فإن قالوا لك: لا يرسل الله عز وجل إلا إلى نبي، فقل: هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من سماء إلى سماء، أو من سماء إلى أرض؟ فإن قالوا: من سماء إلى سماء، فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سماء إلى أرض - وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك - فقل: فهل لهم بد من سيد يتحكمون إليه؟ فإن قالوا: فإن الخليفة هو حكمهم، فقل: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - إلى قوله -: خالدون"، لعمري ما في الأرض ولا في السماء ولي لله عز ذكره إلا وهو مؤيد، ومن أيد لم يخط، وما في الأرض عدو لله عز ذكره إلا وهو مخدول، ومن خذل لم يصب، كما أن الأمر لا بد من تنزله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بد من والٍ، فإن قالوا: لا نعرف هذا فقل: [لهم] قولوا ما أحببتكم، أبي الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وآله أن يترك العباد ولا حجة عليهم) الكافي، الكليني: ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦.

والآن، ماذا تعني كل هذه الروايات التي تحدّث بها أوصياء محمد صلى الله عليه وآله؟ وهل تنسجم مع انتهاء الوحي وانقطاعه كما فهمه علماء المسلمين، أم مع بقائه مفتوحاً؟

أما "ختم النبوة" الذي خاض فيه علماء المسلمين فهو لا يعني انقطاع الوحي والإرسال الإلهي، وإنما يعني أنّ النبوة الرسالية (البعث من الله) قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وآله، وفتح بعده باب الإرسال منه فيكون إرساله إرسال الله؛ لأنه (أي محمد) خليفة الله الحقيقي والأكمل والأتم، ولذا ورد عن الإمام الصادق في وصف جده الرسول أنه: "الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله"<sup>(١)</sup>، وورد في وصف وصيه أمير المؤمنين أنه: "رسول رسول الله" كما ذكر ولده الصادق عليه السلام أيضاً<sup>(٢)</sup>. وهذا المعنى للختم أشار له السيد أحمد الحسن في كتابه "النبوة الخاتمة" فمن أراد المزيد فليراجع الكتاب المذكور.

وعوداً على إمامة إبراهيم الخليل فإنه لما نال الإمامة في آخر المطاف بعد النبوة والرسالة والخلة، فهذا يعني أنّ مقام الإمامة أرفع المقامات الإلهية قدراً عند الله سبحانه، ودرجة الوحي فيها سيكون أدق وأعلى وأكثر تركيزاً واستيعاباً بالتأكيد، فنحن لا نتكلم عن أساتذة في علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات مثلاً حتى نقول إنّ هذه الجهة من مختصات عالم الفيزياء دون غيره، وإنما نتكلم عن مقامات إلهية والتفاوت بينها – كما هو معلوم – مردّه إلى عصمة الخلفاء والحجج أنفسهم ومعرفتهم التي تتناسب طردياً مع شدة إخلاصهم لله، فعلم الرسول أعلى من علم النبي كما أنّ علم الإمام أعلى من علم من لديه مقام الرسالة والنبوة، وبهذا تكون الإمامة أرفع قدراً من النبوة والرسالة. المقامات الإلهية – والحال هذه – أشبه ما تكون بالشهادات التي تمنحها الجامعات، فمن لديه شهادة "ماجستير" أكيد لديه ما لدى صاحب شهادة "بكالوريوس" وزيادة، والحال نفسه لمن لديه شهادة "دكتوراه" فهو لديه ما لدى صاحب شهادة ماجستير وبكالوريوس وزيادة. وهذا الفهم هو ما يقرّه علماء المسلمين على مستوى الرسول والنبي، إذ يقولون: إنّ الرسول لديه ما لدى النبي وزيادة، فالمفروض أن يقرّوا – أيضاً – بأنّ الإمام لديه ما لدى النبي والرسول وزيادة، حتى يصح بعد هذا قولهم بأنّ الإمام أعلى مقاماً منهما بدلالة ما حصل مع خليل الله ورسوله إبراهيم عليه السلام.

١- انظر: الكافي، الكليني: ٤ / ٥٧٢.

٢- انظر: الكافي، الكليني: ٨ / ٨٥.

(عن عبد الحميد بن نصر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ينكرون الإمام المفروض الطاعة ويجحدونه، والله ما في الأرض منزلة أعظم عند الله من منزلة إمام مفترض الطاعة، لقد كان إبراهيم عليه السلام دهرًا ينزل عليه الوحي والأمر من الله وما كان مفترض الطاعة حتى بدا لله أن يكرمه ويعظمه فقال: "إني جاعلك للناس إماماً" فعرف إبراهيم عليه السلام ما فيها من الفضل فقال: "ومن ذريتي" أي واجعل ذلك في ذريتي فقال الله عز وجل: "لا ينال عهدي الظالمين"، قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما هو في ذريتك لا يكون في غيرهم<sup>(١)</sup>).

### توضيح في معنى الإمامة:

الإمامة تطلق ويراد بها معنيان: **الأول:** القيادة الدينية، وهو المعنى اللغوي لمفردة "إمام"، وإليه تشير كلمات جمهور علماء المسلمين عند إطلاق لفظ "إمام".

وبحسب هذا المعنى فإنّ كثيراً من الرسل (بل وحتى بعض الأنبياء) هم أئمة (أي قادة)؛ لأنهم قادوا أقوامهم والمؤمنين بهم. وبكلمة ثانية: هذا المعنى للإمامة أعم من معنى الإمامة كمقام إلهي أرقى من النبوة والرسالة؛ لأنه يشمل رسلاً وأنبياء لم ينالوا مقام الإمامة بمعناها الديني.

**الثاني:** الهيمنة على عوالم الخلق، وهذا هو المعنى الديني للإمامة كمقام إلهي أرفع من مقامي النبوة والرسالة، وبه وُصف إبراهيم، ووُصف به محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين. علماً أنّ الإمامة بهذا المعنى مقام مشكك أي فيه مراتب وليس مرتبة واحدة، فإمامة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله أرقى من إمامة آل محمد صلوات الله عليهم، وإمامة آل محمد أرقى من إمامة إبراهيم صلوات الله عليه؛ بدلالة النصوص التي أكدت أنّ إمامته إنما كانت في أواخر حياته بعد اجتياز الامتحان بالكلمات: "وَإِذِ ابْتَلَى

١- مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي: ٦٠ - ٦١.

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" البقرة: ١٢٤، والكلمات هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم <sup>(١)</sup>، وسيتضح هذا الأمر بصورة أكبر لاحقاً.

ولتقريب فكرة "الهيمنة" <sup>(٢)</sup> المأخوذة في معنى الإمامة الديني يمكننا التمثيل لها بالعوالم ذات المستويات والأبعاد المختلفة، فمثلاً: لنفرض لدينا عالم ثنائي الأبعاد (طول + عرض) وعالم ثلاثي الأبعاد (طول + عرض + ارتفاع)، ولنفرض أيضاً أننا لدينا حقانق ثلاثية الأبعاد نريد إظهارها في العالم الثنائي، فأكيد أنها ستظهر ثنائية الأبعاد بالرغم من أنّ حقيقتها ثلاثية، تماماً كظل أي شيء مادي نراه أمامنا في عالمنا هذا كالكرسي مثلاً، فبالرغم من أنّه ثلاثي الأبعاد لكن ظله يظهر لنا بشكل ثنائي (طول + عرض)، وهذا يعني أنّ العالم الثنائي متضمّن في العالم الثلاثي، وأنّ العالم الثلاثي مقوم للعالم الثنائي ومهيمن عليه، والحال نفسه يبقى إن كان لدينا عالم رباعي الأبعاد فإنه سيكون مقوماً للعالم الثلاثي ومهيماً عليه، وهكذا. وبشكل عام، فإنّ كل عالم أرقى يكون مقوماً للعالم الأدون منه ومدبراً له ومهيماً عليه، وأنّ العالم الأدون هو – بالحقيقة – ظل للعالم الأرقى منه، وهذا الظل قد ظهر وتشكل بحسب قوانين العالم الأدون.

إذا اتضح هذا: فقولنا إنّ الإمامة تعني الهيمنة على عوالم الخلق يعني أنّ العوالم ظلال وصور لحقيقة "الإمام" العلوية؛ كل صورة وظل (عالم) يظهر في عالمه بحسب قوانين ذلك العالم، وبهذا يكون الإمام هو المصوّر والمدبّر لعوالم الخلق بإذن الله سبحانه، وكل العوالم متضمنة في وجوده وحقيقته العلوية فيكون هو المقوم والمدبّر لها والمهيمن عليها بإذن ربه.

١- (عن المفضل ابن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبّت علي. فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله "فأتمهن"؟ قال: يعني فأتمهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين. قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: "وجعلها كلمة باقية في عقبه"؟ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة) الخصال، الصدوق: ٣٠٤ - ٣٠٥.

٢- بحسب ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص معه.



ولما كان الرسول محمد وأوصياؤه أصحاب أعلى المقامات الإلهية (الإمامة بأعلى درجاتها) ورد بحقهم أن الله أول ما خلق أنوارهم وأرواحهم ومنهم خلق كل خير<sup>(١)</sup>.

ولأن الرسول محمد صلى الله عليه وآله أفضل من نالوا مرتبة الإمامة قال: "أول ما خلق الله نوري"<sup>(٢)</sup>.

الأسبقية في الخلق والوجود ونيل مرتبة الإمامة (أرقى مقام إلهي) حقيقتان متلازمتان، فكلما كان المخلوق أرقى مقاماً كلما كشف ذلك عن أن وجوده أسبق بحيث إن كل ما هودونه يكون متقوماً به ومتوقفاً في وجوده عليه، لهذا وصف الإمام الهادي الأئمة صلوات الله عليهم فقال: (بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث، وبكم يمस्क السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينفس الهم ويكشف الضر ..... ذكركم في الذاكرين،

١- روى الصدوق بسنده: (حدثنا عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال: علي عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا. يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولائتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة إنا خلق مخلوقون، وأنه مزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا، لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وإنا عبيد ولسنا بألهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجب لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون، ..... علل الشرائع: ١ / ٥ - ٦.

٢- عوالي اللئالي، الأحسائي: ٩٩ / ٤.

وأسماءكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وأثاركُم في الآثار، وقبوركم في القبور<sup>(١)</sup>.

- "بكم فتح الله": أي بكم ابتداء خلقه سبحانه.
- "بكم يختم": باعتبار أن محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم هم آخر خلفاء الله بعثاً بالرغم من أنهم أفضلهم مقاماً ومنزلة، وهذا أمر طبيعي فإن خلاصة وعصارة الشيء (كالرسالة الإلهية بحسب حالتنا) دائماً ما تكون في الخاتمة، وأن كل ما سبق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله من بعث وإرسال أنبياء الله ورسله يمثل تمهيداً لرسالته ورسالة أوصيائه من بعده.
- "بكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء ... ذكركم في الذاكرين، وأسماءكم في الأسماء ... إلخ": يعني أن كل شيء متقوم في وجوده بهم، فوجودهم (حقائقهم العلوية) – والحال هذه – كان سبباً في وجودنا ووجود عالمنا الذي نحن فيه، ولا شك أن السبب يسري في تشعبات وتفاصيل وجود المسبب؛ باعتبار أنه علته التي لولها لما وجد!

هذا باختصار معنى الهيمنة على عوالم الخلق التي خُصَّ بها خليفة الله الذي نال مرتبة الإمامة دون غيره، وقد ورد النص بإمامة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وآل محمد (الأئمة الاثنا عشر والمهديون الاثنا عشر)، وكذا إبراهيم الخليل صلوات الله عليه كما عرفنا، علماً أن إمامة إبراهيم عليه السلام هي بمرتبة أدنى من مرتبة إمامة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم؛ بدليل أن إمامته كانت بسبب اجتيازه الامتحان بهم كما أشرنا وسيتضح أكثر.

**تنبيه:** قولنا بأن من ورد النص بإمامتهم هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم وكذا إبراهيم عليه السلام، لا يعني أن حججاً آخرين (أولي العزم من الرسل بالخصوص: نوح وموسى وعيسى صلوات الله عليهم) لم ينالوا الإمامة، بل الصحيح أنهم نالوها ولكن بمرتبة أدنى من المرتبة التي نالها إبراهيم، ومعنى "إمام بمرتبة أدنى": إنه إمام ومهيمن على من هو دونه، أما عندما يواجه إماماً بمرتبة أعلى وأرقى وأعظم فإمامته تندرس؛ تماماً كما

١- مقطع من الزيارة الجامعة للإمام الهادي صلوات الله عليه، انظر: تهذيب الأحكام، الطوسي: ٩٩/٦ - ١٠٠.

حصل لموسى عليه السلام عند لقائه بالعبد الصالح، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في قادم البحوث.

### الإمامة كما بينها الإمام الرضا (ع):

استقدم المأمون العباسي الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه من المدينة إلى خراسان، وبعد أيام قليلة من وصوله دخل عليه أحد أصحابه اسمه عبد العزيز بن مسلم وذكر له اختلاف الناس في أمر "الإمامة" باعتباره الموضوع العقائدي الذي يشغل بال الناس دائماً، فكان للإمام الرضا كلمة قيّمة يّين فيها معنى الإمامة ومنزلتها وقدرها وموضعها في دين الله وأهم ما يحيط بها من تفاصيل، وقد نقل لنا كلامه في رواية حق لها أن تعد جوهرة رضوية ثمينة، وهذا نصّها بتمامها للفائدة:

(عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمروفاً اجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً، فقال عز وجل: "ما فرطنا في الكتاب من شيء" وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً" وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك [لهم] شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟ إنّ الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلاماً مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: "إني

جاعلك للناس إماماً" فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: "ومن ذريتي" قال الله تبارك وتعالى: "لا ينال عهدي الظالمين". فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين \* وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين". فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جل وتعالى: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين" فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان، بقوله تعالى: "قال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبئتم في كتاب الله إلى يوم البعث" فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجاهل.

إنَّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام. إنَّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين. إنَّ الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفياء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى، وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار. الإمام الماء العذب على الظماء، والدال على الهدى، والمنجي من الردى. الإمام النار على اليفاع (الأرض المترفعة)، الحار لمن اصطلى به، والدليل في الممالك، من فارقه فهالك. الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة. الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشفيق، والام البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد (العظيمة). الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم

الله. الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره، هيات هيات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاشرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بـكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنى؟ وهو بحث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله كذبهم والله أنفسهم، ومنّهم الأباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً، [قاتلهم الله أنى يؤفكون] ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصّدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديه: "وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون"، وقال عز وجل: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" الآية، وقال: "ما لكم كيف تحكمون \* أم لكم كتاب فيه تدرسون \* إن لكم فيه لما تخيرون \* أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون \* سلّمهم أيهم بذلك زعيم \* أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين"، وقال عز وجل: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" أم "طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون" أم "قالوا سمعنا وهم لا يسمعون \* إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون \* ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون" أم "قالوا سمعنا وعصينا"، بل هو فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة،

مخصوص بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله، ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعتره من الرسول صلى الله عليه وآله والرضا من الله عز وجل، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقههم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتاه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون"، وقوله تبارك وتعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً"، وقوله في طالوت: "إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم"، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: "أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً"، وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً\* فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً". وإنّ العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمر عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد آمن من الخطايا والزلل والعتار، يخصّه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه؟! تعدوا – وبيت الله – الحق، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتبعوا أهواءهم، فذمهم الله ومقتهم وأتعتهم فقال جل وتعالى: "ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين" وقال: "فتعساً لهم وأضل أعمالهم" وقال: "كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار"، وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً<sup>(١)</sup>.

### الكلمات التي تسببت بإمامة إبراهيم (ع):

قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" البقرة: ١٢٤.

كما أنّ اتخاذ الله لعبد من عباده نبياً أو رسولاً له سبب يعود - بالتأكيد - لطهارة قلبه وقربه من الله وطاعته وتسليمه له، فنفس الشيء بالنسبة إلى اتخاذ خليلاً كما حصل مع إبراهيم صلوات الله عليه، وبحسب النصوص الدينية كان أحد الأسباب التي أوجبت خلّته هو كثرة ذكره لله الذي كان يقرنه بالصلاة على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم كما عرفنا سابقاً.

والحال في اتخاذ إبراهيم إماماً كذلك، أعني لابد أن يكون هناك سبب أوجب استحقاق إبراهيم لهذا المقام الإلهي الرفيع والعظيم.

الآية التي صرّحت بمنح مقام الإمامة لإبراهيم أوضحت أنّ الله سبحانه ابتلاه وامتحنه بـ "كلمات" ولما أتمهن قال له الله له: "إني جاعلك للناس إماماً"، وبالتالي فمعرفة سبب اتخاذ إبراهيم إماماً متوقف على معرفة معنى "الكلمات" التي امتحن بها.

بطبيعة الحال، بوسع الباحث أن يحدس ويحتمل مجموعة من الأمور التي قد يكون لها علاقة بمنح مقام الإمامة لإبراهيم، كما فعل علماء المسلمين<sup>(١)</sup>، لكن ما له قيمة

١- أما معنى "الكلمات" على مستوى بعض الروايات السنيّة، فهذا أشهر ما ورد في بيان معناها:

- (عن ابن عباس في قوله: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" قال: ابتلاه الله عز وجل بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد. في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل مكان الغائط والبول بالماء) السنن الكبرى، البيهقي: ٨ / ٣٢٥.

- (عن أبي رجاء أنه سأل الحسن عن قوله عز وجل: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" قال: ابتلاه بالكوكب فرضي وابتلاه بالقمر فرضي وابتلاه بالشمس فرضي وابتلاه بالنار فرضي وابتلاه بالهجرة فرضي وابتلاه بالختان فرضي) التمهيد، ابن عبد البر: ٢١ / ٥٧ - ٥٨.

وأما معنى "الكلمات" بحسب أقوال المفسرين والمحدثين المسلمين فهي كثيرة، وهذه جملة منها:

فعلية هو القول الذي يكون مستنداً لنص ديني صادر من جهة معصومة، وإلا فالكلام كثير والاحتمالات والتوقعات كثيرة وبوسع أي أحد أن يحدس ويخمن ما يشاء لكننا غير معنيين بتلك الاحتمالات والظنون والتخمينات!

ما نحن معنيون به هو قول الرسول محمد صلى الله عليه وآله أو أحد أوصيائه صلوات الله عليهم، وطالما أنهم يبينوا المراد من "الكلمات" التي امتحن بها إبراهيم، إذن فالأمر محسوم بالنسبة لنا، وهذه أمثلة من نصوصهم:

(عن المفضل ابن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله "فأتمهن"؟ قال: يعني فأتمهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين. قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني

- 
- = الشرائع أو شرائع الاسلام، بل ربما كل الطاعات العقلية والشرعية (انظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤٤٥ / ٤٤٦: تفسير البغوي: ١ / ١١٢).
  - = الأوامر والنواهي (انظر: زبدة التفاسير، الكاشاني: ١ / ٢٢٤: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ١ / ١٩٥: تفسير النسفي: ١ / ٦٨: الكشف، الزمخشري: ١ / شرح ص ٣٠٨: تفسير الرازي: ٤ / ٤١: تفسير البيضاوي: ١ / ١٠٤: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١ / ١٦٩).
  - = مجاهد: يرى أنّ الكلمات هي نفسها الإمامة، فالآية وضحت نفسها بنفسها (انظر: متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب: ٢ / ٢٦).
  - = كل مسائل إبراهيم التي ذكرت في القرآن، مثل: ربنا اجعل هذا بلداً آمناً... "ربنا واجعلنا مسلمين لك..." الخ (انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١ / ٧٦).
  - = مناسك الحج (انظر: فقه القرآن، الراوندي: ١ / ٢٩٨: أحكام القرآن، الجصاص: ١ / ٧٩).
  - = ابتلاؤه بالكواكب وقتل ولده (انظر: أحكام القرآن، الجصاص: ١ / ٧٩).
  - = تحمل أثقال الخلّة وتصحيح شر انطها (انظر: تفسير السلمي: ١ / ٦٤).
  - = قضايها ابتلى بها وعهود إلهية أريدت منه، كابتلائه بالكواكب والأصنام والنار والهجرة وتضحيته بابنه وغير ذلك (انظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٢٧٠).



عن قول الله عزوجل: "وجعلها كلمة باقية في عقبه"؟ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة (١).

(عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" قال: أتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي صلى الله عليهم في قول الله: "ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم"، ثم قال: "إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين". قال: يا رب ويكون من ذريتي ظالم؟ قال: نعم فلان وفلان وفلان ومن اتبعهم، قال: يا رب فعجل لمحمد وعلي ما وعدتني فيهما، وعجل نصرك لهما وإليه أشار بقوله: "ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين" فالملة الإمامة. ...) (٢).

ولمن يستغرب تفسير الكلمات في الآية: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم، أقول: إن وصف بعض حجج الله بالكلمات أمر معروف في لغة النص الديني، فهذا القرآن الكريم يصف عيسى بالكلمة، قال تعالى: "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" آل عمران: ٤٥. والأمر نفسه موجود في لغة الكتاب المقدس حيث وصف "المخلص" بأنه كلمة الله: "١٩ فَصَرَّخُوا إِلَى الرَّبِّ فِي ضَيْقِهِمْ، فَخَلَّصَهُمْ مِنْ شَدَائِدِهِمْ. ٢٠ أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَّاهُمْ، وَنَجَّاهُمْ مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ" سفر المزمير - إصحاح ١٠٧.

وأيضاً: من خلال ملاحظة آية إمامة إبراهيم يتضح أن منح مقام الإمامة لحجة من حجج الله يتوقف على أمرين أساسيين:

**الأول:** إتمام المعرفة بالكلمات الإلهية: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" قَالَ إِبْرَاهِيمُ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"، وقد عرفنا أن "الكلمات" هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فإبراهيم عليه السلام لما أتم المعرفة بهم جعله الله إماماً، لكن الحجج الآخرين لم يحصل لهم مثل ذلك ولذلك لم ينالوا مرتبة "الإمامة"، فأدم عليه السلام - مثلاً - كان أيضاً لديه

١- الخصال، الصدوق: ٣٠٤ - ٣٠٥.

٢- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١/ ٥٧ - ٥٨.

معرفة بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وبهم تاب الله عليه لكنه لم يتم الكلمات ولم يكن له عزم بمهدي آل محمد بالخصوص كما لاحظناه في النصوص<sup>(١)</sup>، ولذلك كان نبياً ولم يكن رسولاً من أولي العزم ولا إماماً. وبالنسبة لباقي الحجج الإلهيين فكلهم لديهم معرفة بالكلمات بدرجة معينة لكن بعضهم كان حاله كحال آدم فكانوا أنبياء، وبعضهم لديهم معرفة أرقى فكان لهم مقام الرسالة، وبعض الرسل لهم مرتبة أولي العزم (كنوح وموسى وعيسى صلوات الله عليهم)، وبالتأكيد فإن معرفتهم بالكلمات أرقى من بقية الأنبياء والرسل وأهلهم لنيل مرتبة "رسل أولي العزم" بل "الإمامة" أيضاً.

**الثاني:** خلوساحة المعصوم من درجة معينة من الظلم: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ".

عهد الله: هو الإمامة كما دلّت النصوص<sup>(٢)</sup>. وأما الظلم: فمعروف وله صور كثيرة، ولا أقل صورتان رئيسيتان، هما: ظلم الغير وظلم النفس.

لا شك أنّ ظلم الغير يمنع عن نيل الإمامة بكل مراتبها وهو أمر واضح ربما، لكن ما يحتاج إلى توضيح هو ظلم النفس الموجب للحرمان من مقام الإمامة، فأقول:

خلق الله الإنسان وفطره بالفطرة الأتم بحيث لديه الاستعداد والقابلية على معرفة جميع أسماء الله والتخلق بها، هذه هي فطرة الإنسان عموماً بدون استثناء بمقتضى عدالة الله وحكمته ورحمته بخلقه، لكن تفاوتت منازل الناس في عوالم الامتحان وتكشف حالهم من جهة محافظتهم على تلك الفطرة أو التفريط بها، علماً أنّ المحافظة على الفطرة فيها درجات كما أنّ التفريط كذلك أيضاً. وبحسب النصوص الدينية القطعية: فإنّ نتائج عوالم الامتحان أظهرت سبق الرسول محمد وآل محمد صلوات الله عليهم في الحفاظ

١- عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً" قال: (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سعي أولوا العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم على أنّ ذلك كذلك والإقرار به) الكافي، الكليني: ٤١٦/١.

٢- ففي بيان قوله تعالى: "لا ينال عهدي الظالمين": قال الإمام الباقر عليه السلام: (أي لا يكون إماماً ظالماً) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٥٨/١. وقال الإمام الصادق عليه السلام: (العهد هو عهد الإمامة لا يناله ظالم) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٥/٥٣.

على الفطرة والمعرفة الأتم فشكّلوا "الحلقة الأقرب" لمصدر النور "الله سبحانه"، ثم ترتب الخلق بعدهم الأتم فالأتمثل، وبطبيعة الحال فإن كل مرتبة يبتعد فيها الإنسان عن مصدر النور وعن الحلقة الأقرب تستلزم ظلمة بدرجة معينة وتستلزم أيضاً ظلماً للنفس يتمثل بحرمان النفس عن مرتبة وجودية أرقى (أقرب إلى مصدر النور).

واضح أنّ ظلم النفس فيه مراتب ودرجات كثيرة، بعضها يستوجب الحرمان عن خلافة الله في أرضه بكل مراتبها، فلا يكون الإنسان نبياً ومن باب أولى لا يكون رسولاً أو إماماً، وبعضها لا تحرم الإنسان من مقام النبوة كما هو حال أغلب حجج الله.

وبخصوص مقام الإمامة العظمى بأعلى مراتبها، فإنّ الظلم والظلمة فيه لا يقبل إلا "شائبة" من الظلمة وظلم النفس بحيث يكاد النور والنقاء يملأ صفحة وجود الإنسان، وهو مقام محمد وآل محمد، وأما غيرهم فلم ينل هذا المقام العظيم "الإمامة" إلا إبراهيم بمستوى أدنى من إمامتهم؛ باعتبار أنّ امتحانه كان بهم بوصفهم "كلمات الله التامات أو شبه التامات" ونال الإمامة بعد أن أتم المعرفة بهم وبعد أن كانت نسبة ظلم النفس عنده أقل ما يكون؛ قياساً بمن دونه وليس قياساً بهم صلوات الله عليهم، وكذا نالها بقية رسل أولي العزم (نوح وموسى وعيسى) لكن بمرتبة أدنى من إمامة إبراهيم.

إبراهيم كان صاحب المعرفة الأتم بالكلمات (محمد وآل محمد) من بين سائر حجج الله، ومحمد وآل محمد هم خمسة وعشرون إماماً (الرسول محمد والاثنان عشر إماماً والاثنان عشر مهدياً) صلوات الله عليهم كما نصّت على ذلك وصية الرسول ليلة وفاته (١).

نعم، لما كان الحسين بن علي صلوات الله عليه أحد تلك "الكلمات"، وهو الذبيح الحقيقي (فداء عرش الله كما تقدم بيانه)، شاء الله سبحانه أن يرفع قدر إبراهيم ومزنته وزيادة تسليمه لله بامتحانه بذبح ولده إسماعيل مع تقديره السابق بأنه سيفديه بكبش

---

١- هذا مقطع من نص الوصية كما نقله ولده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفتان سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، ... الغيبة، الطوسي: ١٥٠.

بري وأنّ مقام "الذبيح الحقيقي" لا يستحقه غير الحسين، وبالتالي فلا منافاة بين أن يكون معنى الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم هم محمد وآل محمد وبين القول بأنه ابتلي بذبح ولده إسماعيل، فمسألة الذبيح لها صلة وعلاقة وثيقة وحقيقية بأحد تلك الكلمات وهو الحسين بن علي وفاطمة بنت الرسول محمد صلى الله عليه وآله كما عرفنا<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: لا منافاة بين ما ذكرنا وبين أن يكون معنى الكلمات أسماء وأدعية معينة منها الدعاء بالولاية أي: ولاية الله التي تتحقق بولاية محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فالنتيجة واحدة كما هو واضح<sup>(٢)</sup>.

بل لا منافاة بل ما انتهينا إليه وبين أن تكون "الكلمات" شاملة بمعناها لبعض ما لاقاه إبراهيم في دعوته ورسالته وما نزل عليه من شرائع كما ورد في بعض روايات المسلمين "السنة"<sup>(٣)</sup>: باعتبار أنّ كل هذه الأمور – بالنتيجة – ستسهم برفع رصيده الإيماني والمعرفي بالتأكيد وبالتالي تسهم بتقريبه أكثر لسادة رسل الله (أعني محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم)؛ لا سيما وأنه كان يكثر من الصلاة عليهم ويقرن ذكرهم بذكر ربه سبحانه؛ الأمر الذي كان سبباً في نيل الخلّة كما تقدم، وما هي ولايتهم ومعرفة فضلهم

١- في تفسير القمي: (عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" قال: إنه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده إسماعيل فأتمها إبراهيم وعزم عليها وسلّم لأمر الله فلما عزم قال الله تعالى له ثواباً له إلى أن قال: "إني جاعلك للناس إماماً") تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٥٩.

٢- (عن سليمان، قال: سمعت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، يحدث عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ جبرئيل أتى إليّ بسبع كلمات، وهي التي قال الله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" وأمرني أن أعلمكم، وهي سبع كلمات من التوراة بالعبرية، ففسرها لعلي بن أبي طالب عليه السلام: "يا الله، يا رحمن، يا رب، يا ذا الجلال والإكرام، يا نور السماوات والأرض، يا قريب يا مجيب – إلى أن قال صلى الله عليه وآله –: لما نزل جبرئيل، سأله إبراهيم كيف يدعونه؟ قال: صم رجلاً حتى [إذا] بلغت سبع ليال أخر ليلة قم فصل ركعتين بقلب وجل، ثم سل الله الولاية والمعونة والعافية والرفعة، في الدنيا والآخرة، والنجاة من النار) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ٦ / ٢٨٣ – ٢٨٤.

٣- (عن ابن عباس في قوله: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" قال: ابتلاه الله عز وجل بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل مكان الغائط والبول بالماء) السنن الكبرى، البيهقي: ٨ / ٣٢٥.

وإتمام معرفتهم تتسبب الآن بنيل إبراهيم الخليل مقام الإمامة كما بين الإمام الصادق صلوات الله عليه.

### الرسول محمد وآله ودعوة إبراهيم:

قال تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" البقرة: ١٢٥ - ١٢٧.

إبراهيم دعا الله أن يبعث رسولاً من ذريته في مكة يقوم بتزكية الناس وتعليمهم الكتاب والحكمة، فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث في المكين ولده محمداً صلى الله عليه وآله من ذرية ابنه إسماعيل <sup>(١)</sup>، ولهذا كان الرسول يقول: "أنا دعوة أبي إبراهيم!"

(عن عرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين ترين) <sup>(٢)</sup>.

من جانب آخر: الله سبحانه جعل خليفه إبراهيم إماماً في خاتمة المطاف، ووعده بوجود أئمة في ذريته، قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" البقرة: ١٢٤.

١- قال ابن كثير عن دعاء إبراهيم في الآية: (وسأل الله أن يبعث فيهم رسولا منهم أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة، لتتم عليهم النعمتان الدنيوية والدنيوية سعادة الأولى والأخرى. وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا وأي رسول ختم به أنبياءه ورسله وأكمل له من الدين ما لم يؤت أحدا قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة) البداية والنهاية: ١ / ١٨٩.

٢- مسند أحمد: ٤ / ١٢٧: المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٤١٨ قال: "هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه".

وعد الله سبحانه لإبراهيم بوجود أئمة في ذريته لا يشمل جميع الذرية وإنما صنف خاص منهم، وهم: الذين لم يظلموا أنفسهم بدرجة كبيرة فضلاً عن ظلمها بعبادة وطاعة غير الله والسجود لصنم مثلاً، وبالطبع لا يكونون ظالمين لغيرهم إطلاقاً؛ باعتبار أن الإمامة هي عهد الله، وبالتالي لا يمنحها الله لظالم أبداً سواء كان ظالماً لغيره بأي نسبة كانت أو حتى ظالم لنفسه بدرجة معينة كما عرفنا.

(عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا دعوة أبي إبراهيم. فقلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبك إبراهيم؟ قال: أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أني جاعلك للناس إماماً؟ فاستخف إبراهيم الفرح<sup>(١)</sup>، فقال: يا رب، ومن ذريتي أئمة مثلي؟ فأوحى الله عز وجل إليه: أن يا إبراهيم، إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به. قال: يا رب، ما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك. قال: يا رب، ومن الظالم من ولدي الذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصح أن يكون إماماً. قال إبراهيم: واجنبي وبني أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس.

قال النبي صلى الله عليه وآله: فانتهمت الدعوة إلي وإلى أخي علي لم يسجد أحد منا لصنم قط، فاتخذني الله نبياً، وعلياً وصياً<sup>(٢)</sup>.

مسألة اشتراط نوال الإمامة بعدم السجود لصنم، لا يصح قصر فهم "الصنم" فيه على الأصنام الحجرية، كما لا يصح قصر فهم "السجود" فيه على وضع الجبهة على الأرض فقط. الحق، إن السجود يرمز للطاعة ووضع الجبهة على الأرض ليس سوى مصداق بارز من مصاديق الطاعة وتوجد مصاديق أخرى بلا شك، فمثلاً: من يترك الحق ويقبل على طاعة هواه أو شهواته أو الدنيا عموماً... إلخ يعد بالحقيقة ساجداً لها، كما أن الصنم الذي سجد (ويسجد) له الإنسان في مسيرته في دنيا الامتحان لا ينحصر باللات والعزى ومناة وما شابهها من أصنام حجرية، فأحياناً يتخذ الإنسان إلهه هواه ونفسه وأناه، وأحياناً يترك طاعة الرجال الذين أمر الله بطاعتهم ويقبل على طاعة غيرهم سواء كانوا

١- أي: كما نقول بلغتنا اليوم: طار من شدة الفرح.

٢- الأمالي، الطوسي: ٣٧٩.

حَكَّاماً أَوْ رَجَالِ دِينِ ضَالِّينَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْمُرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ، وَيُحْسَبُ عِنْدَ اللَّهِ عَابِدٌ وَسَاجِدٌ لَهُمْ<sup>(١)</sup>.

### فتلخص بما تقدم:

**أولاً:** مقام الإمامة لا يناله كل ظالم لنفسه بطاعة وعبادة كل من لم يأمر الله بطاعته وعبادته سواء كان صنماً نفسياً (الأنا، الهوى ... إلخ) أو خارجياً، وسواء كان الصنم الخارجي بشرياً أو حجرياً، هذا على مستوى الإمامة كقيادة عامة في الدين والدنيا في هذا العالم، وأما الإمامة كمقام إلهي توجب لمن نالها هيمنة على ما دونه في العوالم العلوية، فهي - كما ذكرنا - مقام إلهي عظيم لا يناله من كان لديه مستوى معين من ظلم النفس حتى ولو كان نبياً أو رسولاً إلهياً فضلاً عمّن سواهم من سائر الناس.

**وثانياً:** بخصوص إمامة إبراهيم صلوات الله عليه، فإنه نال مقام الإمام بعد امتحانه بكلمات الله (محمد وآل محمد صلوات الله عليهم)، فلما أتمهن جعله الله إماماً: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" البقرة: ١٢٤.

يبقى هنا سؤال: إنَّ إبراهيم لما أتم المعرفة بكلمات الله (محمد وآل محمد صلوات الله عليهم) بالتأكيد علم بأنهم من ذريته، فما معنى أن يسأل الله فيقول: "ومن ذريتي؟"

الجواب: إنَّ إبراهيم كان يعلم بأنَّ خلافة الله في أرضه ورسالته الإلهية تستمر في ذريته بخطين عبر ولده إسحاق وعبر ولده إسماعيل، وهو سأل الله مستوضحاً عن الإمامة العظمى الممنوحة لمحمد وآل محمد (الكلمات) في أي خط من هذين الخطين؟

---

١- قال تعالى: "أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا" الفرقان: ٤٣.

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله؟" فقال: "أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون) الكافي، الكليني: ١/ ٥٣.

يقول السيد أحمد الحسن: ("فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" آل عمران: ٣٩).

"مصدقاً بكلمة من الله": مصدقاً بعيسى عليه السلام وناصراً له.

"إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" آل عمران: ٤٥.

"بكلمة منه": في الآية الكلمة هو عيسى.

"وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" طه: ١١٥.

"فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" البقرة: ٣٧.

الكلمات: هم محمد وآل محمد (١).

"وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ نُرِّيهِ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" البقرة: ١٢٤.

الكلمات: هم محمد وآل محمد، وبهم:

"ابتلى إبراهيم ربه": أي امتحن الله إبراهيم وأظهر مقامه واستحقاقه.

"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ \* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً

١- راجع "بعثة آدم عليه السلام" في: الرسالة / الجزء الأول، حيث استعرضنا في بحث "آدم والرسول محمد" بعض النصوص الواردة في بيان معنى الآية: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ..."، منها: (عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه) معاني الأخبار، الصدوق: ١٢٥.



قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " الأنعام: ٧٥ - ٧٩.

فالكلمات هم محمد وآل محمد خلفاء الله، وهم الكوكب والقمر والشمس التي رآها إبراهيم في ملكوت السماوات كما بينت سابقاً<sup>(١)</sup>، وبهم تاب الله على آدم، وبهم امتحن الله إبراهيم وتمكّن إبراهيم الأطهر من الوصول إلى مقام الإمامة الإلهية، وهو مقام رفيع يمثل الحجاب بين الله والخلق وبالتالي سيكون لمن لهم هذا المقام هيمنة على العوالم العلوية وما فيها وعوالم الخلق؛ وكلّ منهم بحسبه. ومقام إبراهيم أدنى من مقام محمد وآل محمد لكنه نال مقام الإمامة، وقد بينت كذلك أنّ الحجاب الأقرب الذي يخفق بين الحق والخلق هو محمد صلوات الله عليه وآله ثم بابه علي وخلفاء الله من ولده الأئمة<sup>(٢)</sup>، وهم المذكورون في وصية الرسول ليلة وفاته<sup>(٣)</sup>، والمذكورون في الأديان الإبراهيمية السابقة (أربع وعشرون شيخاً) هم الأئمة من آل محمد (الأئمة والمهديين في الوصية) والجالس على العرش: محمد صلى الله عليه وآله<sup>(٤)</sup>.

---

١- تقدم في بحث "حادثة الكواكب وطلب إحياء الموتى" بيان رؤية إبراهيم الملكوتية ومعنى الكوكب والقمر والشمس وما يتصل بالحادثة من تفاصيل، واستعرضنا كلام السيد أحمد الحسن فيها، ونص كلامه بتمامه يمكن مراجعته في: المنتشاهات، جواب سؤال ٢، ٧.

٢- انظر: المنتشاهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٢.

٣- حدّد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله في ليلة وفاته جميع أوصيائه من بعده إلى قيام الساعة في وصيته. علماً، أنّ الرسول أراد أن يكتبها بمحضر عامة المسلمين لولا اتهام بعض الحاضرين له بالهجر وحصول النزاع الذي أدّى إلى طردهم في الحادثة المعروفة بـ "رزية الخميس" (انظر: صحيح البخاري: ٤ / ٣١؛ صحيح مسلم: ٥ / ٧٥). ثم ذكر صلى الله عليه وآله أسماء الأوصياء من بعده لمن قبل وصيته بمحضر الخاصة فقط (انظر: الغيبة، النعماني: ٨٤). وهذا مقطع من نص الوصية كما نقله ولده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفّنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأملأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، .... الغيبة، الطوسي: ١٥٠.

٤- العهد الجديد، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، الإصحاح ٤: ٢ "وَلَوُفَّتْ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرِشٌ مُّوَضَّعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ ٣ وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمُنْظَرِ شَبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ، وَقَوْسٌ فَرْحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي

وبعد نيل إبراهيم مقام الإمامة ولأنه عرف قبل هذا أن هناك من فريته من ينالونها بمقامها الأرفع والأسى سأل ذلك السؤال:

"ومن فريتي": أي الأئمة الخمس والعشرون (وهم أنفسهم الجالس على العرش والأربع وعشرون شيخاً في رؤيا يوحنا) من فريتي من أي الخطئين؛ هل من إسحاق أم من إسماعيل؟

فكان الجواب التوضيحي لا ينال عهدي الظالمين، فالإمامة العظمى بهذا المقام الأرفع لا ينالها اتجاه إسحاق؛ لأن هناك مرتبة من الإخلاص وسحق الأنا يجب الوصول لها حتى تكون نقياً إلى درجة أن تنال عهد الله وهذه درجة محمد وآل محمد، وإبراهيم صلوات الله عليه نالها بمستوى أدنى، وغيرهم من ذرية إبراهيم لم يصلوها، لهذا عثر عنهم "ظالمين"، فظلمهم بمستوى منع هذه المرتبة عنهم فقط وبالتالي يمكن أن يكونوا حتى أنبياء ومرسلين ولكن لا ينالون عهد الله ولا يكونوا أئمة بهذا المقام الأرفع، وهذا الظلم هو من نوع ظلم النفس وهو مقدار ظهور الأنا لدى الإنسان.

فالأنبيا لا تظهر عندهم الأنا بحسب الفهم الذي يعرفه الناس ولكنها من الممكن أن تظهر بقدر يمنعهم عن مقام أعلى ولرفع كمقام الإمامة أو يمنع أرفع درجاتها، ومثل هذا الظهور للأنا ذكره القرآن في قصة موسى مع العبد الصالح فكل اعتراضات موسى صلوات الله عليه كانت ظهور لأنا بغير ما، ففي كل المواقف طرح موسى نفسه كحاكم أعلى وأصدر حكماً على العبد الصالح:

- "قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" الكهف: ٧١.
- "قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" الكهف: ٧٤.
- "قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ آجْرًا" الكهف: ٧٧.

---

الْمُنْظَرِ شِبْهُ الرُّمْدِ. ٤ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَيْخًا جَالِسِينَ مُتَسَرِّبِينَ بَيْنَ يَدَيْ بَيْضٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ".

كل هذه الأحكام والمحاكمات من موسى على العبد الصالح لأنه لم يفهم واقع ما يحدث، وكان الصحيح والمرضي عند الله أن يطيع العبد الصالح ولا يعترض فضلاً عن أن يحاكمه ويحكم عليه رغم أنه كان قد جاء للتعلم منه) انتهى<sup>(١)</sup>.

وفي جواب آخر على سؤال يتعلق بالإمامة الممنوحة لإبراهيم في النص القرآني أيضاً، يقول السيد أحمد الحسن ببيان أكثر تفصيلاً:

(سورة البقرة:

"وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (١٢٤).

المعنى:

- "ابتلى": امتحن واختبر.
- "كلمات": هنا بمعنى خلق من خلق الله أو أولياء الله ورسله، وهذه لغة قرآنية حيث سمي عيسى في القرآن كلمة: "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" آل عمران: ٤٥.

وقد ذكر الله تفصيل امتحان إبراهيم بالكلمات أو أولياء الله أو رسل الله في القرآن في سورة الأنعام:

"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَىٰ

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩).

وقد بيّنت سابقاً أنّ المراد هنا محمد وعلي والمهدي <sup>(١)</sup>، وبالطبع بقية آل محمد صلوات الله عليهم، وإنما اختصر الموقف والامتحان هنا بذكر بعض الرسائل المفصلية.

في آية سورة البقرة:

"فأتمهن": أي أكمل الامتحان بأولياء الله بنجاح سواء بالتسليم لهم والإقرار بفضلهم أم بمعرفة مقامهم وأنهم خلق لله سبحانه وتعالى، وبهذا تحققت المعرفة لإبراهيم في مرتبة عليا استحق بها فضل الله مقاماً إلهياً عالياً في ملكوت السماوات وهو مقام الإمامة في مرتبة عليا: "فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا".

عندها جاء سؤال إبراهيم: "قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي".

وجواب الله سبحانه: "قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ".

السؤال والجواب مهمان للمتلقي (متشابهان) ويحملان أكثر من فهم، وسبب هذا أنهما مختصران جداً وليس فيهما أي تفصيل.

فهل كان سؤال إبراهيم استفهامياً أم كان طلباً؟ أي: هل كان يستفهم عن الأئمة من ذريته أم كان يطلب الإمامة لذريته؟

فمثلاً:

- يمكن فهمه هكذا: ربي اجعل من ذريتي أئمة ... (طلب ودعاء).
- أو هكذا: ربي اجعل الأئمة الذين عرفّفتني بأرواحهم وحقائقهم في ملكوتك (الشمس، القمر، ....) من ذريتي ... (طلب ودعاء).

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٢.

- أو هكذا: وهل في ذريتي أئمة ... (استفهام).
- أو هكذا: مَنْ مِنْ ذريتي؟ أي: إنه يطلب تشخيصهم له ويطلب معرفتهم هل من ولد إسحاق أم من ولد إسماعيل ... (استفهام).

أو أنها مرتبة على التوالي هكذا:

- ربي اجعل من ذريتي أئمة ... (طلب).
- ثم ربي اجعل الأئمة الذين عرّفتني بأرواحهم وحقائقهم في ملكوتك (الشمس، القمر...) من ذريتي ... (طلب).
- ثم لما أُجيب دعاؤه هذا وبعد فترة سأل السؤال: مَنْ مِنْ ذريتي؟ أي: إنه يطلب تشخيصهم له ويطلب معرفتهم هل من ولد إسحاق أم من ولد إسماعيل ... (استفهام).

فيمكن تصور أنّ كل هذا قد قاله إبراهيم، ولكن لغة القرآن كما نعرفها اختصرت الموقف أو المواقف والكلام بكلمة جامعة تشمل حال الأولياء من الذرية الإبراهيمية: "وَمِنْ ذُرِّيَّتِي" وجاء الجواب القرآني كافٍ لإجابتها كلها: "لَا يَنَالُ عَنِّي الظَّالِمِينَ".

وإذا كان الحال هكذا فستكون هذه الكلمات اختصاراً لأعظم قصة حدثت وتحدثت على هذه الأرض وهي قصة إبراهيم والأئمة من ذريته، والإمامة هنا بمعناها العقائدي الذي بيّنته أي الهيمنة على العوالم التي تقع تحت مقام الإمامة التي وصلها الإمام.

وإذا كان الأمر هكذا فستكون الإمامة مراتب وليست مرتبة واحدة، فإمامة إبراهيم أدنى من إمامة محمد وآل محمد من ذريته، وإمامة إبراهيم أعلى من إمامة موسى وعيسى من ذريته.

وهكذا في مواجهة بين موسى ومحمد لن يكون موسى إماماً في هذه المواجهة والمقارنة. وكذا في مواجهة بين عيسى وآل محمد ستكون الإمامة والهيمنة لآل محمد.

لهذا في أحاديث آخر الزمان يصلي عيسى خلف المهدي الذي هو من آل محمد ويشير له على أنه الإمام الذي يجب اتباعه وطاعته في الأرض؛ لأنه أصلاً المهيمن في ملكوت السماوات والمطاع فيها من عيسى وموسى والملائكة<sup>(١)</sup>.

ولورُفَع نبي مرسل له مقام الإمامة كموسى (فضلاً عن غيره) إلى مقام أعلى من مقامه وعُرِضَ للامتحان وابْتُلي بكلمات أرقى منه ومن معرفته: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" فلعله سيفشل ويكسر، وهذا ما حدث معه في قصة لقائه مع العبد الصالح في بداية كل حدث صدر عن العبد الصالح:

- "قَالَ أَحَرَقَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا".
- "قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا".
- "قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا".

١- الروايات في ذلك متواترة، ساكتفي ببعض الأمثلة التي وردت في مصادر عموم المسلمين:

- (عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو مستبشر يضحك سروراً فقال له الناس: أضحك الله سنك يا رسول الله وزادك سروراً فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا ولي فيهما تحفة من الله، ألا وإن ربي أتحنفي في يومي هذا بتحفة لم يتحنفي بمثلها فيما مضى، إن جبرئيل أتاني فأقرأني من ربي السلام وقال: يا محمد إن الله عز وجل اختار من بني هاشم سبعة، لم يخلق مثلهم فيمن مضى ولا يخلق مثلهم فيمن بقي، أنت يا رسول الله سيد النبيين وعلي بن أبي طالب وصيك سيد الوصيين والحسن والحسين سبطاك سيد الأسباط وحمزة عمك سيد الشهداء وجعفر ابن عمك الطيار في الجنة يطير مع الملائكة حيث يشاء ومنكم القائم يصلي عيسى بن مريم خلفه إذا أهيطة الله إلى الأرض من ذرية علي وفاطمة من ولد الحسين عليهم السلام) الكافي، الكليني: ٤٩ / ٨ - ٥٠.

- (عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وآله: فمهبط عيسى فيرحب به الناس ويفرحون بزوله لتصديق حديث رسول الله، ثم يقول للمؤذن: أقم الصلاة، ثم يقول له الناس: صل بنا، فيقول: انطلقوا إلى إمامكم فليصل بكم، فإنه نعم الامام، فيصلي بهم إمامهم، فيصلي معهم عيسى) الملاحم والفتن، ابن طاووس: ١٧٥.

- (عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) صحيح البخاري: ٤ / ١٤٣؛ صحيح مسلم: ١ / ٩٤.

- (عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاثلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا أن بعضكم على بعض أمراء تكريمة الله هذه الأمة) صحيح مسلم: ١ / ٩٥.

في كل هذه الأحداث جعل موسى نفسه قاضياً وحكم على العبد الصالح بأنه مخطئ، وهذا على أقل تقدير وإلا فهو حكم عليه بفعل المنكر: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا" مع أن موسى جاء بأمر من الله ليتعلم من العبد الصالح. وبهذا فشل وبين له العبد الصالح أنه الذي ظهرت جليلة في كل هذه المواقف دون أن يلتفت ويحاسب نفسه ويمنعها؛ لأنه باختصار حمل على مرتبة أعلى منه، وبين له بالتدريج أن اعتراضه كان على الله وحكمه كان على الله سبحانه:

- "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" ...
- "فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" ...
- "فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا" ...
- "فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا".

فبدأ بـ "أردت"، وختم بـ "أراد ربك" ... "وما فعلته عن أمري".

وهكذا أظهر العبد الصالح لموسى أنه جليلة واضحة ووضعها بين يديه، ولهذا في نهاية هذا اللقاء كان الندم حليف موسى) انتهى<sup>(١)</sup>.

فاتضح أن مقام الإمامة العظمى في نسل إسماعيل لا في نسل إسحاق، ولهذا ورد في نصوص الأديان السابقة أن الله وعد إبراهيم بأن يجعل إسماعيل أمة عظيمة:

(سفر التكوين - إصحاح ٢٢): "١٧ فَسَمِعَ اللَّهُ صَوْتَ الْغُلَامِ، وَنَادَىٰ مَلَأُكُ اللَّهُ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكَ يَا هَاجِرُ؟ لَا تَخَافِي، لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ لَصَوْتِ الْغُلَامِ حَيْثُ هُوَ. ١٨ قُومِي احْمِلِي الْغُلَامَ وَشُدِّي يَدَكَ بِهِ، لِأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً»".

"سأجعله أمة عظيمة": السبب في أن الله سيجعل إسماعيل أمة عظيمة اتضح الآن؛ باعتبار أن الإمامة الإلهية العظمى (أرقى مقام إلهي) لا تكون في ذرية إسحاق وإنما في ذرية

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

إسماعيل، وهم الأئمة الخمسة والعشرون (الرسول محمد وآله الأوصياء؛ الاثنا عشر إماماً والاثنا عشر مهدياً).

والملفت أنّ إبراهيم لما عرف بهم سأل ربه من أي الخطئين من ذريتي؛ من إسحاق أو من إسماعيل، ولو كان شخص آخر غير إبراهيم ربما لا يخطر بباله غير أن يكونوا من نسل إسحاق؛ باعتبار أنّ إسحاق كان يعيش بقرب أبيه وبين الناس وفي حاضرة من حواضر العالم آنذاك؛ تقع بين بلاد ما بين النهرين من جهة ومصر من جهة أخرى، بينما يعيش إسماعيل وحيداً مع أمه هاجر في وادي قفر غير ذي زرع وفي أرض فقيرة من ناحية التجمع والتحضر البشري أيضاً، لكن لأن صفحة إبراهيم كانت نقية وصافية ولم يتكل في معرفته على فهمه سأل الله أن يوضح له حال الأئمة الخمسة والعشرين إماماً (بالإمامة العظمى) الذين امتحنه الله بهم وأتم معرفتهم وعلم أنهم من ذريته، سأل أن يعرفه من أي خط بالتحديد؛ هل هم من نسل إسحاق أم من نسل إسماعيل؟ والله سبحانه أجابه أنّ الإمامة هي عهده وعهد الله لا يناله من لديه مستوى من الظلم للنفس "ظهور الأنا"، وبالتالي فالأئمة الخمسة والعشرون ليسوا من نسل إسحاق، وإنما هم من ذرية إسماعيل.

وأيضاً: بحسب نصوص أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله فإنّ إسماعيل هو أفضل ولد إبراهيم صلوات الله عليه <sup>(١)</sup>. وكذا هو رأي غالبية المسلمين "السنة"؛ لاعتقادهم بأنه الذبيح <sup>(٢)</sup>.

١- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لإبراهيم عليه السلام ابنان فكان أفضلهما ابن الأمة) قصص الأنبياء، الراوندي: ١١٢. والأمة: هي هاجر عليها السلام.

٢- وكمثال لأقوال علماءهم: يقول ابن القيم الجوزية: (وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٧١.



## وفاة إبراهيم (ع):

كانت سارة (قبل وفاتها؛ لأنها توفت قبل إبراهيم) تطلب من إبراهيم بعد أن كبر بالعمراً يدعوه بزيادة عمره ليمكث معهم فترة أطول، لكنه ترك الأمر لله سبحانه بعد أن رأى ما يفعل كبر العمر بالإنسان<sup>(١)</sup>.

وعموماً، بعد أن أنجز أبو الأنبياء إبراهيم صلوات الله عليه مهمته الرسالية بآتم وجهه، حان وقت وفاته ورجوعه إلى الله سبحانه، وكان حينها في الشام بعد رجوعه من أداء مناسك الحج بمكة<sup>(٢)</sup>. وبحسب بعض النصوص: إنَّ الله سبحانه أحب لقاء حبيبته إبراهيم فتوفاه إليه<sup>(٣)</sup>.

١- (عن محمد بن القاسم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ..... وإنَّ سارة قد قالت لإبراهيم: إنك قد كبرت وقرب أجلك، فلو دعوت الله عز وجل أن ينسئ في أجلك وأن يمد لك في العمر فتعيش معنا وتقرأ عيننا، قال: فسأل إبراهيم ربه ذلك، قال: فأوحى الله عز وجل إليه: سل من زيادة العمر ما أحببت تعطه، قال: فأخبر إبراهيم سارة بذلك فقالت له: سل الله أن لا يميتك حتى تكون أنت الذي تسأله الموت، قال: فسأل إبراهيم ربه ذلك، فأوحى الله عز وجل إليه: ذلك لك، قال: فأخبر إبراهيم سارة بما أوحى الله عز وجل إليه في ذلك فقالت سارة لإبراهيم: اشكر الله واعمل طعماً وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة، قال: ففعل ذلك إبراهيم ودعا إليه الناس، فكان فيمن أتى رجل كبير ضعيف مكفوف معه قائد له فأجلسه على مائدته، قال: فمد الأعمى يده فتناول لقمة وأقبل بها نحو فيه فجعلت تذهب يميناً وشمالاً من ضعفه، ثم أهوى بيده إلى جهته فتناول قائده يده فجاء بها إلى فمه، ثم تناول المكفوف لقمة فضرب بها عينه، قال: وإبراهيم عليه السلام ينظر إلى المكفوف وإلى ما يصنع، قال: فتعجب إبراهيم من ذلك وسأل قائده عن ذلك، فقال له القائد: هذا الذي ترى من الضعف، فقال إبراهيم في نفسه: أليس إذا كبرت أصبح مثل هذا؟ ثم إنَّ إبراهيم عليه السلام سأل الله عز وجل حيث رأى من الشيخ ما رأى فقال: اللهم توفني في الأجل الذي كتبت لي فلا حاجة لي في الزيادة في العمر بعد الذي رأيت) علل الشرائع: ١ / ٣٩.

٢- (عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: إنَّ إبراهيم لما قضى مناسكه رجع إلى الشام فهلك، وكان سبب هلاكه أنَّ ملك الموت أتاه ليقبضه، فكره إبراهيم الموت فرجع ملك الموت إلى ربه عز وجل فقال: إنَّ إبراهيم كره الموت، فقال: دع إبراهيم فإنه يحب أن يعبدني. قال: حتى رأى إبراهيم شيخاً كبيراً يأكل ويخرج منه ما يأكله فكره الحياة وأحب الموت، فبلغنا أنَّ إبراهيم أتى داره، فإذا فيها أحسن صورة ما رآها قط، قال من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: سبحان الله من الذي يكره قبرك وزيارتك وأنت بهذه الصورة، فقال: يا خليلي الرحمان إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني إليه في هذه الصورة، وإذا أراد بعبد شراً بعثني إليه في غير هذه الصورة، فقبض صلى الله عليه بالشام) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٩.

٣- (عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لما أراد الله عز وجل قبض روح إبراهيم عليه السلام هبط إليه ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم، فقال: وعليك السلام يا ملك

كانت لإبراهيم صلوات الله عليه وصية عامة أوصى بها من حضره من ولده تتعلق بالإسلام "دين الله" أن يحيون ويموتون عليه:

قال تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" البقرة: ١٣١ - ١٣٢.

وبالنسبة لإسماعيل عليه السلام، فقد علم بوفاة أبيه بعد مضي فترة <sup>(١)</sup>، ولا إشكال في عدم حضور الوصي "إسماعيل" موت أبيه بعد أن كان إبراهيم "الموصي" أوصى إلى ولديه إسماعيل وإسحاق معاً من بعده، ولعل هذا هو السر في أن الروايات التي تذكر وصي إبراهيم مرة تذكره باسم إسماعيل وأخرى باسم إسحاق <sup>(٢)</sup>!

يقول السيد أحمد الحسن: (كل من إسحاق وإسماعيل وصي وحجة، وكانت دعوتهما لدين الحنيفية الإبراهيمي، وتغيرت دعوة إسحاق مع الأنبياء كموسى وعيسى وبقيت دعوة إسماعيل الحنيفية قائمة بأوصيائه ومنهم شعبة الحمد بن هاشم (عبد المطلب) وأبو طالب إلى بعث رسول الله محمد صلى الله عليه وآله) انتهى <sup>(٣)</sup>.

الموت، أداغ أم ناع؟ قال: بل ناع يا إبراهيم فأجب، فقال إبراهيم: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم، فقال الله عز وجل: يا ملك الموت اذهب إليه فقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبته، إنَّ الحبيب يحب لقاء حبيبته) علل الشرائع: ١ / ٣٧. وروى البيهقي مثله، انظر: الدر المنثور، السيوطي: ١ / ١١٧.

١- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (.....) وقضى الله على إبراهيم الموت فلم يره إسماعيل ولم يخبر بموته حتى كان أيام الموسم، وتهيأ إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم فتزل عليه جبرئيل عليه السلام فعزاه بإبراهيم عليه السلام فقال له: يا إسماعيل لا تقول في موت أبيك ما يسخط الرب، وقال: إنما كان عبداً دعاه الله فأجابه، وأخبره أنه لاحق بأبيه، .....) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٨٩.

٢- منها على سبيل المثال:

- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل) الأماي، الصدوق: ٤٨٧.  
- عن الإمام علي صلوات الله عليه في جواب السائل: (قال: فمن كان وصي إبراهيم؟ قال: إسحاق بن إبراهيم) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٧ / ١٦.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وفاة إبراهيم صلوات الله عليه كشفت عن تغير واضح في مسار الرسالة الإلهية؛ إذ كان معهوداً طيلة آلاف السنين التي مضت على بدء المشروع الرسالي على الأرض أنّ الرسول الموصي يوصي لوصي واحد يخلفه في مهامه، أما في حالة إبراهيم فقد أوصى لوصيين؛ إسحاق وإسماعيل ليعلن بذلك (بأمر الله) شروع خطي الرسالة بالعمل: خط عام يمثله اتجاه إسحاق والرسول الذين تلوه، وخط خاص يمثله اتجاه إسماعيل والأوصياء من ذريته.

بالتأكيد لكل خط غاية وهدف ضمن المخطط الإلهي الكبير للرسالة، لكن يكفي أن نعرف الآن (وسياتي تفصيل الحديث فيه لاحقاً) أنّ الغاية الأساسية من هذا التخطيط الإبراهيمي هو التهيئة والتمهيد لرسالة محمد التي يلتقي عند ضفافها رو افد الخطين في نهاية المطاف.

### خطان للوصاية بعد إبراهيم (ع):

عرفنا أنّ الله سبحانه أعلم خليله إبراهيم (قبل وفاته) أنّ رسالته مستمرة بالخطين من ذريته، من جهة إسحاق ومن جهة إسماعيل، وأنّ الإمامة العظمى في نسل إسماعيل.

### خط إسماعيل:

نقل القرآن قول إبراهيم الذي ذكر فيه ولديه إسماعيل وإسحاق: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" إبراهيم: ٣٩.

إسماعيل أفضل من إسحاق بدلالة النصوص <sup>(١)</sup>، ولعل تقديم ذكر إسماعيل على إسحاق في بعض الآيات وعطفه على أبيه مباشرة يشير إلى الأفضلية المشار لها <sup>(٢)</sup>.

١- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لإبراهيم عليه السلام ابنان فكان أفضلهما ابن الأمة) قصص الأنبياء، الراوندي: ١١٢. والأمة: هي هاجر عليها السلام.

٢- قال تعالى: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة: ١٣٣. "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا

ولد إسماعيل في بلاد الشام، ثم بعد ولادة إسحاق بفترة نقله إبراهيم مع أمّه هاجر إلى مكة كما تقدم، وعاش إسماعيل وأمّه في مكة وتزوج فيها وأصبحت لديه ذرية<sup>(١)</sup>.

ولما توفت أمّه هاجر عليها السلام دفنها إسماعيل في الحجر "حجر إسماعيل" قرب الكعبة، وكان الحجر بيّتهم الذي وضعهم فيه إبراهيم صلوات الله عليه، ولاحقاً دفن فيه إسماعيل أيضاً ثم بناته، والمعروف أنّ الأنبياء كانوا يُدفنون في بيوتهم؛ باعتبارها المواضع التي يُقبضون فيها<sup>(٢)</sup>.

أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة: ١٣٦.

١- (عن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل عليه السلام تزوج امرأته من العمالة يقال لها سامة، وإنّ إبراهيم اشتاق إليه فركب حماراً، فأخذت عليه سارة أن لا ينزل حتى يرجع، قال: فاتاه وقد هلكت أمه فلم يو افعه وو افق امرأته فقال لها: أين زوجك؟ فقالت: خرج يتصيد، فقال: كيف حالكم؟ فقالت: حالنا شديدة وعيشنا شديد، قال: ولم تعرض عليه المنزل فقال: إذا جاء زوجك فقلولي له: جاء ههنا شيخ وهو يأمرك أن تغير عتبة بابك، فلما أقبل إسماعيل وصعد الثنية وجد ريح أبيه فأقبل إليها وقال: أذاك أحد؟ قالت: نعم شيخ قد سألني عنك، فقال لها: هل أمرك بشيء؟ قالت: نعم قال لي: إذا دخل زوجك فقلولي له: جاء شيخ وهو يأمرك أن تغير عتبة بابك، قال: فخلّي سبيلها. ثم إنّ إبراهيم عليه السلام ركب إليه الثانية فأخذت عليه سارة أن لا ينزل حتى يرجع فلم يو افعه وو افق امرأته فقال: أين زوجك؟ قالت: خرج عافاك الله للصيد، فقال: كيف أنتم؟ فقالت: صالحون، قال: وكيف حالكم؟ قالت: حسنة ونحن بخير أنزل يرحمك الله حتى يأتي، قال: فأبى ولم تزل به ترده على النزول فأبى، قالت: أعطني رأسك حتى أغسله فأبى أراه شعناً، فجعلت له غسولاً ثم أدنت منه الحجر فوضع قدمه عليه فغسلت جانب رأسه، ثم قلبت قدمه الأخرى فغسلت الشق الآخر، ثم سلم عليها وقال: إذا جاء زوجك فقلولي له: قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً، ثم إنّ إسماعيل عليه السلام أقبل فلما انتهى إلى الثنية وجد ريح أبيه فقال لها: هل أذاك أحد؟ قالت: نعم شيخ وهذا أثر قدميه، فأكب على المقام وقبّله، وقال: شكا إبراهيم إلى الله تعالى ما يلقي من سوء خلق سارة فأوحى الله تعالى إليه إن مثل المرأة مثل الضلع الأعوج، إن تركته استمعت به، وإن أقمته كسرته، وقال: إنّ إبراهيم عليه السلام تزوج سارة وكانت من أولاد الأنبياء على أن لا يخالفها ولا يعصي لها أمراً فيما وافق الحق، وإنّ إبراهيم كان يأتي مكة من الحيرة في كل يوم) قصص الأنبياء، الراوندي: ١١٥ - ١١٦.

٢- هذه بعض الروايات التي تؤكد ذلك:

- (عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٠.

- (عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل دفن أمّه في الحجر وحجر عليها؛ لئلا يوطأ قبر أم إسماعيل في الحجر) نفس المصدر.

كان بنو إسماعيل ولاية الأمر في مكة، ويتكفلون بتدبير شؤون الحج والحجيج، وهو أمر يتوارثونه كابر عن كابر<sup>(١)</sup>. وليس هذا فقط، بل كان من بينهم أوصياء وحجج إلهيين أحناف على دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، وهذا نص يؤكد استمرار الوصاية في نسل إسماعيل:

ورد في خاتمة حديث "تعليم المناسك" المتقدم عن كلثوم بن عبد المؤمن الحراني عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (.....) فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم فرزقه الله من الحميرية ولداً ولم يكن له عقب. قال: وتزوج إسماعيل عليه السلام من بعدها أربع نسوة فولد له من كل واحدة أربعة غلمان، وقضى الله على إبراهيم الموت فلم يره إسماعيل ولم يخبر بموته حتى كان أيام الموسم، وتهاياً إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فعزاه بإبراهيم عليه السلام فقال له: يا إسماعيل لا تقول في موت أبيك ما يسخط الرب، وقال: إنما كان عبداً دعاه الله فأجابته، وأخبره أنه لاحق بأبيه، وكان لإسماعيل ابن صغير يحبه وكان هوى إسماعيل فيه فأبى الله عليه ذلك، فقال: يا إسماعيل هو فلان، قال: فلما قضى الموت على إسماعيل دعا وصيه فقال: يا بني

- (عن أبي بصير، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليهما السلام قال: فقبض (إبراهيم) عليه السلام بالشام، وتوفي بعده إسماعيل وهو ابن ثلاثين ومائة سنة، فدفن في الحجر مع أمه) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٨.

- (عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام دفن في الحجر مما يلي الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٠.

- (٩١٢٨- عبد الرزاق عن ابن جريج قال: بلغني عن كعب أنه قال: [دفن] إسماعيل بين زمزم والركن والمقام. ٩١٢٩- عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الله بن عثمان عن ابن سابط عن عبد الله بن ضميرة السلولي قال: طفت معه حتى إذا كنا بين الركن والمقام، فذكر كذا وكذا، حتى ذكر قبر إسماعيل هنالك - أحسبه - ذكر نحو تسعين نبياً، أو سبعين.

- ٩١٣٠- عبد الرزاق عن ابن عيينة عن زهير قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: إن هذا المحدود قبر عذارى بنات إسماعيل، وهو المكان المرتفع، مقابل باب بني سهم، نحو الركن) المصنف، الصنعاني: ٥ / ١١٩.

- (قال ابن إسحاق: كان قبر إسماعيل عليه السلام وقبر أمه هاجر في الحجر) أخبار مكة، الأزرقي: ١ / ٣١٣.

١- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل عليه السلام توفي وهو ابن مائة وثلاثين سنة، ودفن بالحجر مع أمه، فلم يزل بنو إسماعيل ولاية الأمر يقيمون للناس حجهم وأمر دينهم يتوارثونها كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد .....) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٠ - ٢١١. وعدنان بن أدد: أحد الرجال الواقعين في سلسلة أجداد الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

إذا حضرك الموت فافعل كما فعلت فمن ذلك ليس يموت إمام إلا أخبره الله إلى من يوصي<sup>(١)</sup>.

- "... يا إسماعيل هو فلان": أي ابنك فلان هو وصيك من بعدك وليس ابنك الصغير الذي تحبه.

- "فلما قضى الموت على إسماعيل دعا وصيه فقال: يا بني...": واضح في أنّ وصي إسماعيل ابنه.

- "... يا بني إذا حضرك الموت فافعل كما فعلت": أي ادعُ وصيك وأوصي له وأوصه أيضاً أن يوصي إلى من يليه (وصيه)، وهكذا.

وهذا يعني أنّ سلسلة الأوصياء والحجج مستمرة في ذرية إسماعيل عليه السلام وصياً بعد وصي وصولاً إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله، ويمكننا أن نجد قرائن على ذلك إضافة للنص السابق:

**أولاً: التصريح** بأنّ عدة من الأنبياء مدفونون في حجر إسماعيل، وقد عرفنا بالنص السابق أنّ إسماعيل لديه أوصياء من ذريته؛ وصياً بعد وصي، ولا مانع من أن يكون هؤلاء الأوصياء هم الأنبياء المدفونون في الحجر، وأنّ بعضهم أو كلهم من ذرية إسماعيل<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً:** ورد عن بعض آباء الرسول محمد صلى الله عليه وآله أنهم حجج إلهيون وهم من أوصياء إسماعيل وذريته، كما ورد بحق عبد المطلب وأبي طالب عليهما السلام:

١- علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٨٨ - ٥٨٩.

٢- (عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شيء من البيت؟ فقال: لا ولا قلامة ظفر ولكن إسماعيل دفن أمّه فيه فكره أن توطأ فحجر عليه حجراً وفيه قبور أنبياء) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٠.

(عن ابن سابط عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال: طفت معه حتى إذا كنا بين الركن والمقام، فذكر كذا وكذا، حتى ذكر قبر إسماعيل هنالك - أحسبه - ذكر نحو تسعين نبياً، أو سبعين) المصنف، الصنعاني: ٥ / ١١٩.

قال الإمام الرضا صلوات الله عليه: (ولولا أنّ عبد المطلب كان حجّة وأنّ عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبّيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي صلى الله عليه وآله بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله عليه السلام: "أنا ابن الذبيحين")<sup>(١)</sup>.

(عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة، عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك.

... عن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عبد المطلب أول من قال بالبداء، يبعث يوم القيامة أمة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء)<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً: ورد بحق أبي طالب عليه السلام أنه كان مستودع وصايا الأنبياء، ولما حضرته الوفاة دفع الوصية للرسول محمد صلى الله عليه وآله:

(عن درست بن أبي منصور، أنه سأل أبا الحسن الأول (الإمام الكاظم): أكان رسول الله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال عليه السلام: لا ولكن كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه صلى الله عليه وآله، قال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية، قال: فقلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقرب بالنبي وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه)<sup>(٣)</sup>.

**توضيح:** وصف أبي طالب عليه السلام بأنه مستودع لوصايا الأنبياء وقيامه بدفع الوصية للرسول محمد صلى الله عليه وآله يكشف عن كونه وصياً وحجة إلهي كأبيه عبد المطلب عليه السلام، ولهذا قال الشيخ الصدوق رحمه الله: (وروي أنّ عبد المطلب كان حجة وأبا طالب كان وصيه)<sup>(٤)</sup>.

---

١- الخصال، الصدوق: ٥٥ - ٥٧.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٤٧.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٤٤٥.

٤- الاعتقادات في دين الإمامية: ١١٠.

حقيقة انحدار الرسول من آباء أوصياء وحجج ورد نظير لها في مصادر سنية أيضاً، مثل: ما رواه عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: "وتقلّبك في الساجدين"، قال: (من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً)<sup>(١)</sup>. وهي وإن لم تسم عبد المطلب وأبي طالب بالحجج كما في روايات الأئمة عليهم السلام لكنها - بالتأكيد - تؤدي نفس مؤداها.

لهذا، لم يرد عن عبد المطلب وأبو طالب عليهما السلام (وكذا يوجد غيرهم) أنهم سجدوا لصنم قط، وحاشاهم<sup>(٢)</sup>. كما أنّ عزم عبد المطلب على ذبح ولده عبد الله في القصة المعروفة تذكرنا بحادثة ذبح إسماعيل، وقد تقدم قول السيد أحمد الحسن أن تلك (أي حادثة ذبح إسماعيل) مهدت لهذه (أي حادثة ذبح عبد الله)، وكلا الحادثتين مهدتا لقضية الذبح الحقيقي في الإسلام؛ الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه.

إذن، فدين آباء الرسول محمد وأهله وعشيرته ومن سكن مكة قبل البعثة هو الحنيفية الإبراهيمية، وهذا ثابت عنهم تاريخياً وأكدته النصوص الدينية<sup>(٣)</sup>.

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٠١ / ٣؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٣١٤ / ٢.

٢- (عن الأصمعي بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٧٤ - ١٧٥.

٣- وهذه بعض النصوص:

- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... فلم يزل بنو إسماعيل ولادة الأمريقيميون للناس حجّهم وأمر دينهم يتوارثونها كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد فطال عليهم الأمد فقسّ قلوبهم وفسدوا وأحدثوا في دينهم وأخرج بعضهم بعضاً فمَنهم من خرج في طلب المعيشة ومنهم من خرج كراهية القتال وفي أيديهم أشياء كثيرة من الحنيفية من تحريم الأمهات والبنات وما حرم الله في النكاح إلا أنهم كانوا يستحلون امرأة الأب وابنة الأخت والجمع بين الأختين وكان في أيديهم الحج والتلبية والغسل من الجنابة إلا ما أحدثوا في تلبيتهم وفي حجّهم من الشرك وكان فيما بين إسماعيل وعدنان بن أدد موسى عليه السلام) الكافي، الكليني: ٢١٠ / ٤ - ٢١١.

- (روي أنّ معد بن عدنان خاف أن يدرس الحرم فوضع أنصابه وكان أول من وضعها ثم غلبت جرهم (قبيلة بمنية) على ولاية البيت فكان يلي منهم كابر عن كابر حتى بغت جرهم بمكة واستحلوا حرمتها وأكلوا مال الكعبة وظلموا من دخل مكة وعتوا وبغوا وكانت مكة في الجاهلية لا يظلم ولا يبغى فيها ولا يستحل حرمتها ملك إلا هلك مكانه وكانت تسمى بكة لأنها تلك أعناق الباغين إذا بغوا فيها، وتسمى بساسة (حاطمة وطاردة) كانوا إذا ظلموا فيها بسّتهم وأهلكتهم، وتسمى أم رحم كانوا إذا لزموها رحموا، فلما بغت جرهم واستحلوا فيها بعث الله عز وجل عليهم الرعاف (طاعون) والنمل (قروح) وأفناهم فغلبت خزاعة واجتمعت ليجلوا من بقي من جرهم عن الحرم ورئيس خزاعة عمرو



والسبب في كونهم أحناف - كما لاحظنا - هو وجود الحجج والأوصياء من ذرية إسماعيل الذين كانوا يتعاقبون بينهم؛ وصولاً لبعثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله. لكن، بالتأكيد حصل للحنيفية الإبراهيمية التي يدين بها المجتمع المكي تحريف عن جادة إبراهيم وإسماعيل بمرور الوقت وتباعد السنين حالهم في ذلك حال جميع الأمم والأقوام الذين بعث الله فيهم الرسل والأنبياء، وسيأتي تحقيق مفصل بخصوص مكة وأهلها قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وبالأخص حال آبائه عليهم السلام.

### خط إسحاق:

- "وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ \* وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِمَّن ذُرِّيَّتُهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" الصافات: ١١٢-١١٣.
- "فَلَمَّا عَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا" مريم: ٤٩.
- "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" العنكبوت: ٢٧.

بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ورئيس جرهم عمرو بن الحارث بن مصاص الجرهمي فهزمت خزاعة جرهم وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة فجاءهم سيل آتي (غريب) فذهب بهم ووليت خزاعة البيت فلم يزل في أيديهم حتى جاء قصي بن كلاب وأخرج خزاعة من الحرم وولي البيت وغلب عليه) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١١.

- (عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ العرب لم يزالوا على شيء من الحنيفية يصلون الرحم ويقرون الضيف ويحجون البيت ويقولون: اتقوا مال اليتيم فإن مال اليتيم عقال (يمنع الرزق) ويكفون عن أشياء من المحارم مخافة العقوبة وكانوا لا يملئ لهم (أي: لا يملئون) إذا انتهكوا المحارم، وكانوا يأخذون من لحاء شجر الحرم فيعلقونه في أعناق الإبل فلا يجترئ أحد أن يأخذ من تلك الإبل حيثما ذهبت ولا يجترئ أحد أن يعلق من غير لحاء شجر الحرم، أنهم فعل ذلك عوقب، وأما اليوم فأملئ لهم ولقد جاء أهل الشام فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس فبعث الله عليهم سحابة كجناح الطير فأمطرت عليهم صاعقة فأحرقت سبعين رجلاً حول المنجنيق) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٢.

قوله عليه السلام: "ولقد جاء أهل الشام فنصبوا المنجنيق ...": ربما يشير إلى جيش الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أقدم على حصار مكة وانتهاك حرمة بيت الله وقصفه بالمنجنيق في قتاله مع عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ.

- "وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ" ص: ٤٥،<sup>(١)</sup>.

ولد إسحاق في الشام بعد إسماعيل بخمس سنين بحسب بعض النصوص التي تقدمت<sup>(٢)</sup>، أما نصوص "سفر التكوين" فقد حدّدت الفاصل بينهما بثلاثة عشر عاماً كما لاحظنا سابقاً<sup>(٣)</sup>. وعموماً، أفضل الولدين هو إسماعيل كما تقدم.

وكما كان إبراهيم صلوات الله عليه وحده فكثّره الله بولديه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وجعل في نسلهما النبوة ثم ختمت بالإمامة في نسل إسماعيل، كذلك ورد بحق ولده الرسول محمد صلى الله عليه وآله؛ إذ كان وحده فكثّره الله بوصيه علي وأبنائه الأوصياء صلوات الله عليهم<sup>(٤)</sup>.

كان إسحاق وصياً لأبيه إبراهيم مع أخيه إسماعيل كما عرفنا، وعرفنا أيضاً أنّ أباه إبراهيم زوّجه امرأة من قومه، ولحقاً ولد له ولدين توأمين هما: عيص ويعقوب، وقد روي

١- روي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله: "أولي الأيدي والابصار"، قال: (يعني أُولِي الْقُوَّة فِي الْعِبَادَةِ وَالْبَصَرِ فِيمَا) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ٧.

٢- (عن داود ابن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما كان أكبر إسماعيل أو إسحاق؟ وأيهما كان الذبيح؟ فقال: كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٩١.

٣- "الإصحاح ١٦" تحدث عن زواج إبراهيم عليه السلام بهاجر وولادة إسماعيل، وكان إبراهيم بعمر ٨٦ عاماً، بينما "الإصحاح ١٧" تحدّث عن ولادة إسحاق وإبراهيم عليه السلام كان بعمر ٩٩ عاماً، وهذا يعني أنّ إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاثة عشر عاماً بحسب نصوص التوراة.

٤- (..... قال السائل: فإنه لم يكن معه (أي الرسول) إلا علي وحده، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ مع علي فاطمة والحسن والحسين، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأصحاب الكساء هم الذين شهد لهم الكتاب بالتطهير، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وحده أمة لأن الله سبحانه يقول: "إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً"، فكان إبراهيم وحده أمة ثم رفده بعد كبره بإسماعيل وإسحق، وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله كان وحده أمة ثم رفده بعلي وفاطمة، وكثره بالحسن والحسين كما كثر إبراهيم بإسماعيل وإسحاق، وجعل الإمامة التي هي خلف النبوة في ذريته من ولد الحسين بن علي كما جعل النبوة في ذرية إسحاق، ثم ختمها بذرية إسماعيل، وكذلك كانت الإمامة في الحسن بن علي لسبقه، قال الله عز وجل في ذلك: والسابقون السابقون أولئك المقربون، فكان الحسن أسبق من الحسين، ثم نقل الله عز وجل الإمامة إلى ولد الحسين كما نقل النبوة من ولد إسحاق إلى ولد إسماعيل، وعليهم إجماع الأمة بالشهادة لهم، وأنها جارية فيهم، ولم يجمعوا بمثل هذه الشهادة لأحد سواهم) دعائم الإسلام، القاضي المغربي: ١ / ٣٥ - ٣٦.

عن الإمام الصادق أَنَّ يَعْقُوبَ اسْمُهُ إِسْرَائِيلَ أَيَّ عَبْدَ اللَّهِ وَسَمِيَ يَعْقُوبَ؛ لِأَنَّهُ وَلَدَ عَقِبَ أَخِيهِ "عِيسَى" بَنِ إِسْحَاقَ <sup>(١)</sup>.

أوصى إِسْحَاقُ عند وفاته لولده يَعْقُوبَ، وكان معروفاً عنه الكرم كصفة ورثها من جده إبراهيم صلوات الله عليه <sup>(٢)</sup>.

ولد للنبي يعقوب أحد عشر ولداً إضافة لولده يوسف، وكان يؤثره بمحبته خصوصاً بعد أن قصَّ عليه رؤياه في صغره: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ أَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ \* قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" يوسف: ٤ - ٥ <sup>(٣)</sup>.

ولما كانت رسالة يوسف جزءاً لا ينفك عن رسالة إبراهيم آثرنا إلحاقها بها، وليس هذا فقط وإنما رسالة يوسف - أيضاً - جزء من التمهيد لرسالة الرسول محمد أيضاً كما تقدم؛ باعتبار الشبه بين يوسف آل إبراهيم ومهدي آل محمد في السنن والأحداث وغير ذلك كما سيتضح، ولا شك أنَّ المهدي جزء أساسي من رسالة الإسلام والقرآن الذي بعث به الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

---

١- (جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيسى توأمين، فولد عيسى ثم ولد يعقوب فسما يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيسى، ويعقوب هو إسرائيل ومعنى إسرائيل عبد الله، لأنَّ إسرا هو عبيد، وإيل هو الله عز وجل) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٤٣.

٢- (عن المثني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ يعقوب عليه السلام كان له منادٍ ينادي كل غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت إلى منزل يعقوب، وإذا أمسى ينادي: ألا من أراد العشاء فليأت إلى منزل يعقوب) الكافي، الكليني: ٦ / ٢٨٧.

٣- (عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه كان من خبر يوسف عليه السلام أنه كان له أحد عشر أخاً فكان له من أمه أخ واحد يسمى بنيامين، وكان يعقوب إسرائيل الله ومعنى إسرائيل الله خالص الله بن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٣٩ - ٣٤٠.

## نبوة يعقوب ويوسف (٤):

قال تعالى: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَیْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" الأنعام: ٨٤ - ٩٠.

يعقوب وصي أبيه إسحاق، ويوسف وصي أبيه يعقوب، صلوات الله عليهم.

والدليل على صدقهم في نبوتهم هو نفسه الدليل على صدق الرسل السابقين، أعني قانون معرفة الرسل بفقراته الثلاث: النص، والعلم، والدعوة إلى الله.

وكمثال للنص:

- (عن مقاتل بن سليمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد النبيين، ووصي سيد الوصيين، وأوصياؤه سادة الأوصياء، إنَّ آدم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يجعل له وصياً صالحاً، فأوحى الله عز وجل إليه: أنا أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقي، وجعلت خيارهم الأوصياء. ثم أوحى الله عز وجل إليه: يا آدم، أوص إلى شيث، فأوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله بن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان، ..... وهكذا إلى أن بلغت الوصية إلى: (عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، ..... ) (١).

- عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (... وجرى لكل نبي ما جرى لنوح، وكما جرى لآدم وهود وصالح وشعيب وإبراهيم صلوات الله عليهم حتى انتهى إلى يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ثم صارت بعد يوسف في الأسباط إخوته حتى انتهت إلى موسى بن عمران، وكان بين يوسف وموسى بن عمران عشرة من الأنبياء)<sup>(١)</sup>.

أما العلم، فهو أمر واضح في نبوة يعقوب ونبوة ورسالة يوسف صلوات الله عليهما، وهذه أمثلة:

وصف الله علم يعقوب، فقال: "وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوْهُ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمَنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف: ٦٨. وأما علم يوسف: "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" يوسف: ٥٥. وكذلك قوله: "وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" يوسف: ٦.

وأما الدعوة إلى الله، فهذا مثال لها من قول يوسف: "يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف: ٣٩ - ٤٠.

## قصة يعقوب ويوسف بحسب النصوص:

### سبب بلاء يعقوب:

أوضح الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه سبب ابتلاء النبي يعقوب عليه السلام وما جرى عليه وعلى ولده يوسف عليه السلام:

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢١٦.

(عن الثمالي قال: صليت مع علي بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة فلما فرغ من صلاته وسبحته نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاة له تسمى سكينه فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمته، فإن اليوم يوم الجمعة، قلت له: ليس كل من يسأل مستحقاً؟ فقال: يا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقاً فلا نطعمه ونرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم أطعموهم، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً، فيتصدق منه ويأكل هو ووعيله منه وإن سائلاً مؤمناً صوماً محقاً له عند الله منزلة وكان مجتازاً غربياً اعتر على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه: اطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونهم وقد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله فلما ينس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله عز وجل، وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً، وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، قال: فأوحى الله عز وجل إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذلت يا يعقوب عبدي ذلة استجرت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي، ونزول عقوبتي وبلوأي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب: إن أحب أنبيائي إليّ وأكرمهم علي من رحم مساكين عبادي وقرهم إليهم وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ، يا يعقوب: أما رحمت ذميال عبدي المجتهد في عبادتي القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لما اعتر ببابك عند أوان إفطاره وهتف بكم اطعموا السائل الغريب المجتاز القانع فلم تطعموه شيئاً، فاسترجع واستعبر وشكا ما به إلي، وبات طاوياً حامداً لي، وأصبح لي صائماً، وأنت يا يعقوب وولدك شباع، وأصبحت وعندكم فضلة من طعامكم، أو ما علمت يا يعقوب أن العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن النظر مني لأوليائي واستدراج مني لأعدائي، أما عزتي لأنزل عليك بلوأي، ولأجعلنك وولدك عرضاً لمصابي، ولأذينك بعقوبتي فاستعدوا لبلوأي، وارضوا بقضائي، واصبروا للمصائب<sup>(١)</sup>.

١- سبب بلاء يعقوب عليه السلام المذكور في الرواية، أشارت له روايات أخرى، منها:

- (عن الكاهلي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن يعقوب عليه السلام لما ذهب منه بنيامين نادى يا رب أما ترحمي؟ أذهبت عيني وأذهبت ابني؟ فأوحى الله تبارك وتعالى لوأمتها لأحييتهما لك حتى أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً) الكافي، الكليني: ٢ / ٦٦٦ - ٦٦٧.

فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً، وبات فيها ذميال طاوياً جائعاً. فلما رأى يوسف الرؤيا وأصبح يقصها على أبيه يعقوب، فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف مع ما أوحى الله عز وجل إليه أن استعد للبلاء، فقال يعقوب ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على إخوتك، فإني أخاف أن يكيدوا لك كيداً فلم يكتم يوسف رؤياه وقصّها على أخوته. قال علي بن الحسين عليه السلام: وكانت أول بلوى نزلت ببيعقوب وآل يعقوب الحسد ليوسف لما سمعوا منه الرؤيا، قال: فاشتدت رقة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله عز وجل إليه من الاستعداد للبلاء هو في يوسف خاصة فاشتدت رفته عليه من بين ولده، فلما رأى أخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف وتكرّمته إياه وإيثاره إياه عليهم اشتد ذلك عليهم وبدأ البلاء فمهم فتأمروا فيما بينهم، وقالوا: "ان يوسف وأخاه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضاً يخلوا لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين" أي تتوبون - فعند ذلك قالوا: "يا أبانا ما لك لا تأمناً على يوسف وإنا له لناصحون، أرسله معنا غداً يرتع" الآية. فقال يعقوب: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب، فانتزع حذراً عليه من أن تكون البلوى من الله عز وجل على يعقوب في يوسف خاصة لموقعة من قلبه وحبّه له، قال: فغلبت قدرة الله وقضائه، ونافذ أمره في يعقوب ويوسف وأخوته، فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء عن نفسه ولا عن يوسف وولده، فدفعه إليهم وهو لذلك كاره متوقع للبلوى من الله في يوسف، فلما خرجوا من منزلهم لحقهم مسرعاً، فانتزع من أيديهم فضّمه إليه واعتنقه وبكى ودفعه إليهم فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم، فلما أمعنوا به أتوا به غيضة أشجار، فقالوا نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة، فياكله الذئب الليلة، فقال كبيرهم: "لا تقتلوا يوسف ولكن ألقيوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيّارة إن كنتم فاعلين" فانطلقوا به إلى الجب فألقوه فيه وهم يظنون أنه يغرق فيه فلما صار في قعر الجب ناداهم: يا ولد رومين أقرؤا يعقوب مني السلام، فلما سمعوا كلامه قال بعضهم

---

- (عن أبي خديجة عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما ابتلى يعقوب بيوسف أنه ذبح كبشاً سميناً ورجل من أصحابه يدعى بقوم محتاج لم يجد ما يفطر عليه فأغفله ولم يطعمه، فابتلى بيوسف، وكان بعد ذلك كل صباح مناديه ينادي: من لم يكن صائماً فليشهد غداء يعقوب، فإذا كان المساء نادى: من كان صائماً فليشهد عشاء يعقوب) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٦٧.

لبعض: لا تزالوا من هاهنا حتى تعلموا أنه قد مات، فلم يزالوا بحضرته حتى أمسوا ورجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون، قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، فلما سمع مقالتهم استرجع واستعبر وذكر ما أوحى الله عز وجل إليه من الاستعداد للبلاء، فصبر وأذعن للبلاء، وقال لهم: بل سؤلت لكم أنفسكم أمراً وما كان الله ليطعم لحم يوسف للذئب من قبل أن رأى تأويل رؤياه الصادقة.

قال أبو حمزة: ثم انقطع حديث علي بن الحسين عليه السلام عند هذا، فلما كان من الغد غدوت عليه، فقلت له: جعلت فداك إنك حدثتني أمس بحديث يعقوب وولده، ثم قطعت ما كان من قصة أخوة يوسف وقصة يوسف بعد ذلك فقال: إنهم لما أصبحوا قالوا انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف أمات أم هو حي؟ فلما انتهوا إلى الجب وجدوا بحضرة الجب سيارة، وقد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه فلما جذب دلوه، إذا هو بغلام متعلق بدلوه، فقال لأصحابه: يا بشرى هذا غلام فلما أخرجوه أقبل إليهم أخوة يوسف فقالوا هذا عبدنا سقط منا أمس في هذا الجب وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من أيديهم وتنحوا به ناحية فقالوا: أما ان تقرلنا أنك عبد لنا فنبيعك على بعض هذه السيارة، أو نقتلك؟ فقال لهم يوسف: لا تقتلوني واصنعوا ما شئتم، فاقبلوا به إلى السيارة، فقالوا: أمنكم من يشتري منا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً، وكان أخوته فيه من الزاهدين، وساربه الذي اشتراه من البدو حتى أدخله مصرفباعه الذي اشتراه من البدو من ملك مصر، وذلك قول الله عز وجل: "وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً".

قال أبو حمزة: فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام: ابن كم كان يوسف يوم ألقوه في الجب؟ فقال كان ابن تسع سنين، فقلت كم كان بين منزل يعقوب يومئذ وبين مصر؟ فقال: مسيرة اثني عشر يوماً، قال: وكان يوسف من أجمل أهل زمانه فلما راهق يوسف راودته امرأة الملك عن نفسه فقال لها: معاذ الله إنا من أهل بيت لا يزنون، فغلقت الأبواب عليها وعليه، وقالت لا تخف وألقت نفسها عليه فأفلت منها هارباً إلى الباب ففتحه فلحقته فجذبت قميصه من خلفه، فأخرجته منه فأفلت يوسف منها في ثيابه، وألفيا سيدها لدى الباب، قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب اليم، قال: فهَمَّ الملك بيوسف ليعذبه فقال له يوسف: وإله يعقوب: ما أردت بأهلك سوء بل هي راودتني عن



نفسى فسل هذا الصبي أينما راود صاحبه عن نفسه، قال: وكان عندها من أهلها صبي زائر لها، فأنطق الله الصبي لفصل القضاء، فقال: أيها الملك انظر إلى قميص يوسف فإن كان مقدوداً من قدامه فهو الذي راودها، وإن كان مقدوداً من خلفه فهي التي راودته، فلما سمع الملك كلام الصبي وما اقتص أفزعه ذلك فزعاً شديداً، فجئ بالقميص فنظر إليه فلما رآوه مقدوداً من خلفه قال لها: إنه من كيدكن، وقال ليوسف: أعرض عن هذا ولا يسمعه منك أحد وأكتمه، قال: فلم يكتمه يوسف وأذاعه في المدينة حتى قلن نسوة منهن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه فبلغها ذلك فأرسلت إليهن وهيئت لهن طعاماً ومجلساً، ثم أتتهن بأترج وأتت كل واحدة منهن سكيناً، ثم قالت ليوسف: أخرج عليهن، فلما رأيتهن أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن ما قلن، فقالت لهن: هذا الذي لمتني فيه يعني في حبه، وخرجن النسوة من عندها، فأرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سراً من صاحبتها تسأله الزيارة فأبى عليهن، وقال: إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين، فصرف الله عنه كيدهن، فلما شاع أمر يوسف وأمر امرأة العزيز والنسوة في مصر، بدا للملك بعد ما سمع قول الصبي ليسجن يوسف، فسجنه في السجن ودخل السجن مع يوسف فتيان، وكان مع قصتهما وقصة يوسف ما قصه الله في الكتاب (١).

### يوسف (ع) في الحب:

قال تعالى: "فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ \* قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ \* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ \* وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ \* وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الرَّاغِبِينَ" يوسف: ١٥ - ٢٠.

أشارت نصوص التوراة (سفر التكوين - إصحاح ٣٧) إلى المؤامرة التي حاكها أبناء يعقوب عليه السلام لأخيم يوسف نتيجة حب أبيه له وتفضيله عليهم وانتهت برميهم إياه في البئر: "٢٤ فَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَيْتْرِ. وَأَمَّا الْبَيْتْرِ فَكَانَتْ قَارِعَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ"، وبدلاً من أن يتركوه يموت فيها اقترح أخوه الأكبر "يهوذا" بيعه على قافلة مرت بقرهم فباعوه لهم بعشرين من الفضة. ولأن أباهم استأنهم عليه قبل خروجه معهم عمدوا إلى تلطيخ قميصه بدم معزى والذهاب به إلى أبيهم بحجة أن وحش بري "ذئب" افترسه وأكله:

- " قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ... \* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبَّرَ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ".

- "٣١ فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمُعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. ٣٢ وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَخْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: «وَجَدْنَا هَذَا. حَقِّقْ أَقْمِصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لَا؟» ٣٣ فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتَرَسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا»" سفر التكوين - إصحاح ٣٧.

غيب أولاد يعقوب أخاهم يوسف في ظلمات الجب، وهو وإن غاب عن نواظرهم لكنه لم يغيب عن عناية ربه الرحيم به، فشاء الله أن ينجيه ببركة دعاء علمه إياه جبرئيل عليه السلام تضمن الصلاة على محمد وآل محمد؛ السادة الكرام الذين كان جدّه إبراهيم يكثر من الصلاة عليهم كما عرفنا سابقاً<sup>(١)</sup>، ولا مانع من أن يكون يوسف توسل إلى الله بأبيه

١- (عن مسمع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما طرح إخوة يوسف يوسف في الجب أتاه جبرئيل عليه السلام فدخل عليه فقال: يا غلام ما تصنع ههنا؟ فقال: إن إخوتي ألقوني في الجب، قال: فتحب أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله عز وجل، إن شاء أخرجني قال: فقال له: إن الله تعالى يقول لك: ادعني بهذا الدعاء حتى أخرجك من الجب فقال له: وما الدعاء؟ فقال: قل: "اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي مما أنا فيه فرجاً ومخرجاً" قال: ثم كان من قصته ما ذكر الله في كتابه) الكافي: ٢ / ٥٥٦ - ٥٥٧. وفي رواية ابن سيارة عن الصادق عليه السلام أنه ختم قوله: (.....) فدعا ربه فجعل الله له من الجب فرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وأتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٥٤.

يعقوب في دعائه أيضاً<sup>(١)</sup>، أي: لا مانع من أن يكون دعا بكلا الدعاءين فاستجاب الله دعاءه وأنجاه من غياهب الجب بفضلله.

وعموماً، بعد رمي يوسف عليه السلام في الجب من قبل إخوته شاء الله أن تجيء سياراً من أهل مصر بالقرب من البئر، فبعثوا واردهم ليأتهم بالماء فرمى بدلوه فتشبت يوسف به وخرج مع الدلو، ولما علم إخوته بخروجه ادعوا ملكيتهم له (كما لاحظناه في رواية الثمالي المتقدمة) واضطر يوسف للإقرار لهم بالعبودية فباعوه بثمان بخس بشرط حملهم معهم إلى مصر. وروي: أن الثمن كان عشرين درهماً<sup>(٢)</sup>.

### يوسف والسجن:

قصّ القرآن الكريم سبب سجن يوسف عليه السلام، وباختصار: بعد وصول يوسف إلى مصر اشتراه عزيز مصر وزوجته زليخا وقاما باحتضانه وتربيته، وبعد أن شبّ دعت زليخا إلى نفسها، لكنه رفض واعتصم بالله عن فعل الفحشاء، فدبرت له مكيدة سجنه!

قال تعالى: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ

١- (عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما كان دعاء يوسف عليه السلام في الجب، فإنا قد اختلفنا فيه؟ فقال: إن يوسف عليه السلام لما صار في الجب، وأيس من الحياة، قال: اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك، فلن ترفع لي إليك صوتاً، ولن تستجيب لي دعوة، فإني أسألك بحق الشيخ يعقوب، فارحم ضعفه، واجمع بيني وبينه، فقد علمت رفته عليّ وشوقي إليه. قال: ثم بكى أبو عبد الله الصادق عليه السلام، ثم قال: وأنا أقول: اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك، فلن ترفع لي إليك صوتاً، فإني أسألك بك، فليس كمثلك شيء، وأتوجه إليك بمحمد نبيك رحمة، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله. قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: قولوا هذا، وأكثروا منه، فإني كثيراً ما أقوله عند الكرب العظيم) الأمالي، الصدوق: ٤٨٨ - ٤٨٩.

٢- (عن ابن أبي نصر، عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى: "وشروه بثمان بخس دراهم معدودة" قال: كانت عشرين درهماً، والبخس: النقص، وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٣١.

(عن عبد الله [ابن مسعود]: وشروه بثمان بخس دراهم معدودة قال: عشرون درهماً) جامع البيان، الطبري: ١٢ / ٢٢٥.

أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ \* وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ \* يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ \* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ \* قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِقِينَ \* قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ" يوسف: ٢١ - ٣٣.

الإصحاح ٣٩ من سفر التكوين أشار إلى قصة سجن يوسف، وهي - بخطوطها العامة وبصرف النظر عن التفاصيل - تلتقي مع النص القرآني، وملخصها: أن زوجة السيد المصري "العزیز" اتهمته زوراً بمحاولة الاعتداء عليها نتيجة مراودتها إياه وعدم استجابته لرغبتها، فاستمع زوجها لها وألقاه في السجن، ولم تغب عنه رحمة الله في السجن فنال حظوة عن رئيس بيت السجن الذي وكل إليه إدارة شؤون السجناء.

وها هنا جملة من الملاحظات المهمة:

١- امرأة العزيز "زليخا" هَمَّت بفعل المعصية، لكن يوسف عليه السلام الحي من ربه لم يهيم بفعل المعصية معها<sup>(١)</sup>، وحاشاه من ذلك وهو النبي المعصوم، وكل ما روي وذكر

١- (عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال في قول الله عز وجل: "لولا أن رأى برهان ربه" قال: قامت امرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوباً، فقال لها يوسف: ما هذا؟ قالت: استحيي من الصنم أن يرانا، فقال لها

في كتب المسلمين وتفاسيرهم مما يفهم منه الهم بالمعصية لا قيمة له إطلاقاً<sup>(١)</sup>، فهم يوسف ليس بالمعنى الذي تبادر إلى أذهان هؤلاء، وإنما هو بمعنى: همّ بقتلها إن هي أجبرته على نيل مرادها كما بين الإمام الرضا صلوات الله عليه<sup>(٢)</sup>.

٢- شاء الله سبحانه أن يسخر آيات أوضحت لعزیز مصر خيانة زوجته له وبراءة يوسف الصديق، منها: أنها لما عدت تركض وراءه شقت قميصه من الظهر، ومنها: شهادة صبي صغير كان موجوداً بين من حضر الحادثة كما رأيناه في رواية الثمالي المتقدمة<sup>(٣)</sup>.

٣- قبل سجن يوسف، وبعد شيوع الحادثة، عملت زوجة العزيز "زليخا" مجلساً دعت له مجموعة من نساء المدينة ثم أمرت يوسف بالخروج عليهن: "وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ...". وغير صحيح فهم القطع هنا بمعنى فصل الأصابع، وإنما ما حصل هو أنهن خدشن أصابعهن نتيجة الانشغال بالنظر إليه، وهي حالة تحصل عادة مع من يحمل سكيناً لأداء عمل معين - كتقشير الفاكهة مثلاً - ثم يחדش إصبعه نتيجة الغفلة أو الانشغال بأمرهم. وبهذا يمكننا أن نعرف أن ورود "القطع" كعقوبة وحد للسرقة في بعض النصوص كقوله تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا

---

يوسف: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب ولا استحيي أنا ممن خلق الإنسان وعلمه فذلك قوله عز وجل: "لولا أن رأى برهان ربه" عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٤٩.

١- منها على سبيل المثال ما رواه الطبري عن ابن عباس، انظر: جامع البيان: ١٢ / ٢٤٠ - ٢٤٢.

٢- (أبو الصلت الهروي، قال: لما جمع المأمون لعل بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يبق أحد إلا وقد ألزمه حجة كانه قد ألقم حجراً، قام إليه علي بن محمد بن الجهم، فقال له: يا بن رسول الله، أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى. قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ..... في يوسف: "ولقد هممت به وهم بها" ...؟ فقال مولانا الرضا عليه السلام: ويحك - يا علي - اتق الله، ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله عز وجل برأيك، فإن الله عز وجل يقول: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم". ..... وأما قوله عز وجل في يوسف: "ولقد هممت به وهم بها" فإنها هممت بالمعصية. وهم يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: "كذلك لنصرف عنه السوء" يعني القتل "والفحشاء" يعني الزنا) الأماي، الصدوق: ١٥٠ - ١٥٢.

٣- وأيضاً: روى علي بن إبراهيم: (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين" فالآيات: شهادة الصبي، والقميص المخرق من دبر، واستيقاقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إياه على الباب، فلما عصاها لم تزل مولعة لزوجها حتى حبسه "ودخل معه السجن فتيان" يقول: عبدان للملك: أحدهما خبازه والآخر صاحب الشراب، والذي كذب ولم يزل المنام هو الخباز) تفسير القمي: ١ / ٣٤٤.

كَسَبًا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" المائدة: ٣٨، لا يعني فصل اليد كما فهم فقهاء المسلمين على اختلاف بينهم في تحديد موضع القطع؛ هل يكون من أصول الأصابع أو من المعصم ... إلخ من كلام مسطور في كتبهم، وإنما الصحيح أن معنى القطع في الآية هو الخدش لا أكثر كحد للسرقه: تماماً كما حصل مع هؤلاء النسوة<sup>(١)</sup>.

٤- علّم الله سبحانه وليّه يوسف عليه السلام بعض الأدعية التي كانت سبباً في خلاصه من السجن<sup>(٢)</sup>.

٥- تأويل الرؤى وطول مكوثه في السجن:

قال تعالى: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ \* وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ \* يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضِي الْأَمْرُ

١- هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص معه بهذا الخصوص.

٢- منها: (عن سيف ابن عميرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء جبرئيل عليه السلام إلى يوسف وهو في السجن فقال له: يا يوسف قل في دبر كل صلاة: "اللهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب") الكافي، الكليني: ٢ / ٥٤٩.

ومنها: (عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن دعاء يوسف عليه السلام ما كان؟ فقال: إن دعاء يوسف عليه السلام كان كثيراً، لكن لما اشتد عليه الحبس خرّ لله ساجداً وقال: "اللهم إن كانت الذنوب قد أخلقت وجبي عندك، فلن ترفع لي إليك صوتاً، فأنا أتوجه إليك بوجه الشيخ يعقوب". قال: ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام وقال: صلى الله على يعقوب وعلى يوسف، وأنا أقول: "اللهم بالله وبرسوله عليه السلام") الأمالي، الطوسي: ٤١٣ - ٤١٤.

الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ \* وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" يوسف: ٣٦ - ٤٢.

الإصحاح ٤٠ من سفر التكوين ذكر لقاء يوسف بالسجينين (الساقى، والخباز) اللذين قصا رؤاهما على يوسف عليه السلام ففسرها لهما وصدق تأويله؛ إذ أعدم الخباز ورجع الساقى لخدمة الملك تماماً كما أخبرهما: "٢١ وَرَدَّ رَّئِيسُ السُّقَاةِ إِلَى سَفْهِهِ، فَأَعْطَى الْكَاسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ. ٢٢ وَأَمَّا رَّئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَعَلَّقَهُ، كَمَا عَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ". وأيضاً؛ أشار الإصحاح إلى استمرار سجن يوسف سنتين إضافيتين بعد خروج الساقى بسبب نسيان ذكره أمام الملك: "٢٣ وَلَكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَّئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ".

ألهم الله سبحانه يوسف عليه السلام تأويل الرؤى وهو في السجن<sup>(١)</sup>. وبالنسبة لمن زعم أنه رأى خبزاً على رأسه تأكل الطير منه، فهو لم يكن صادقاً في رؤياه وأراد اختبار يوسف، لكن الله شاء إلا تصديق نبيه وحصلت معه العقوبة كما ذكر يوسف في تأويله<sup>(٢)</sup>.

---

١- (عن طربال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أمر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن رؤياهم وأن فتين أدخلوا معه السجن يوم حبسه، فلما باتا أصبحا فقالا له: إنا رأينا رؤيا فعبرها لنا، فقال: وما رأيتما؟ فقال أحدهما: "إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه" وقال الآخر: إني رأيت أن أسقي الملك خمراً ففسر لهما رؤياهما على ما في الكتاب، ثم قال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك، قال: ولم يفرع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال الله: "فأنساه الشيطان ذكره فلبث في السجن بضع سنين" قال: فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف من أراك الرؤيا التي رأيتهما؟ فقال: أنت يا ربي، قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربي، قال: فمن وجّه السيارة إليك؟ فقال: أنت يا ربي، قال: فمن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعل لك من الجب فرجاً؟ قال: أنت يا ربي، قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟ قال: أنت يا ربي، قال: فمن انطق لسان الصبي بعذرِكَ؟ قال: أنت يا ربي، قال: فمن صرف عنك كيد امرأة العزيز والنسوة؟ قال: أنت يا ربي؟ قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟ قال: أنت يا ربي، قال: فكيف استغثت بغيري ولم تستغث بي وتسالني أن أخرجك من السجن، واستغثت وأملت عبداً من عبادي ليدركك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي ولم تفزع إلي؟ أثبت في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١٧٦ / ٢.

٢- (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قضى الامر الذي فيه تستفتيان قال لما حكيا ما رأياه وعبر يوسف عليه السلام قال أحدهما ما رأينا شيئاً قال قضى الامر الذي فيه تستفتيان) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣٤٦ / ٢. قال: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه".

وفي هذا درس بليغ بأن الكذب والاستخفاف والاستهزاء بالرؤى عمل شيطاني وزره عظيم؛ لأن الرؤى كلام الله ووحيه ومن أجزاء النبوة<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: زاد مكوث يوسف عليه السلام في السجن سبع سنين أخرى<sup>(٢)</sup> بسبب طلبه من الرائي الثاني أن يذكره عند الملك: "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ!" وروي أن مدة سجنه كانت ١٨ سنة<sup>(٣)</sup>، ثم علمه جبرئيل دعاء الفرج فدعا الله وخلّصه من السجن<sup>(٤)</sup>.

---

١- هذه الحقيقة اكدتها نصوص كثيرة، منها:

- قول الإمام الصادق صلوات الله عليه: "رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة" الكافي، الكليني: ٨ / ٩٠.

- قول الرسول محمد صلى الله عليه وآله: "لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة" صحيح البخاري: ٨ / ٦٩.

- قوله صلى الله عليه وآله أيضاً: "ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس قال قال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل وهي جزء من أجزاء النبوة" مسند أحمد: ٣ / ٢٦٧.

٢- (عن يعقوب بن يزيد رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: "فلبث في السجن بضع سنين" قال: سبع سنين) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٧٨. (وعن ابن عباس قال البضع ما بين السبع إلى العشرة) مجمع الزوائد، الهيثمي: ٧ / ٨٩.

٣- (عن أبي خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل يوسف عليه السلام السجن وهو ابن اثني عشرة سنة، ومكث فيه ثماني عشر سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة، فذلك مائة وعشر سنين) الأمالي، الصدوق: ٣٢٤، قصص الأنبياء، الراوندي: ١٤١.

٤- (عن شعيب العرقوفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يوسف أتاه جبرئيل فقال له: يا يوسف إن رب العالمين يقرؤك السلام ويقول لك: من جعلك في أحسن خلقه؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض ثم قال: أنت يا رب، ثم قال له: ويقول لك: من حببك إلى أبيك دون إخوتك؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض وقال: أنت يا رب، قال: ويقول لك: من أخرجك من الجب بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض ثم قال: أنت يا رب، قال: فإن ربك قد جعل لك جل عقوبة في استغاثتك بغيره فلبثت في السجن بضع سنين، قال: فلما انقضت المدة وأذن الله له في دعاء الفرج فوضع خده على الأرض ثم قال: "اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجبي عندك فاني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب" ففرج الله عنه، قلت: جعلت فداك أندعونن هذا الدعاء؟ فقال: ادع بمثله "اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجبي عندك فاني أتوجه



"فأنساه الشيطان ذكرربه":

"الشيطان": ليس إبليس لعنه الله فهو لا سلطان له على أولياء الله، وإنما المقصود به: الظلمة الموجودة في وجود كل إنسان، فكل مخلوق لابد وأن تكون فيه ظلمة تقل وتكبر بحسب قرب الإنسان أو بعده عن الله "مصدر النور": باعتبار أن الله سبحانه الموجود الوحيد الذي يتصف بأنه نور لا ظلمة فيه، وأما الخلق فلا يخلو أحد منها بما فيهم سادة الخلق لكن الظلمة في وجودهم تكون "شائبة" وليس كظلمة غيرهم من الخلق، بل حتى الأولياء يتفاوت حجم الظلمة في وجودهم بحسب مقام الولي وقربه من الله، ولذا فهي أقل ما تكون في وجود الرسول محمد وآل محمد صلوات الله عليهم ثم الأمثل فالأمثل من الرسل والأولياء، وهكذا.

قوله "فأنساه..." صريح في أن المعصوم ممكن أن ينسى، ولكن نسيانه لا يؤثر على رسالته في هداية الخلق وتبليغ رسالة الله، فهو ينسيانه لا يدخل الناس في باطل أو يخرجهم من حق وهدى، وأما سبب النسيان فهو ظلمة الوجود التي عرفناها.

#### ٦- صبر يوسف أثمر تحولاً من العبودية إلى الملك:

من عبد مملوك بيع بثمان بخس بعد إخراجه من بئر مظلم، ثم سجين مغلوب على أمره لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرراً نتيجة مكيدة دبّرت له من أهل بيت مقربين

---

إليك بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والأئمة عليهم السلام (" تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٤٤ - ٣٤٥؛ تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٧٨.

(عن عبد الله بن عبد الرحمن عمّن ذكره عنه قال: لما قال للفتى: "اذكرني عند ربك" أتاه جبرئيل فضرب برجله حتى كشط له عن الأرض السابعة فقال له: يا يوسف انظر ماذا ترى؟ قال: أرى حجراً صغيراً ففلق الحجر فقال: ماذا ترى؟ قال: أرى دودة صغيرة، قال: فمن رازقها؟ قال: الله، قال: فان ربك يقول: لم انس هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الأرض السابعة، أظننت أني أنساك حتى تقول للفتى: "اذكرني عند ربك"؟ لتليث في السجن بمقاتلتك هذه بضع سنين! قال: فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبيكائه الحيطان، قال: فتأذى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً فكان في اليوم الذي يسكت أسوء حالاً) تفسير العياشي: ٢ / ١٧٧.

للملك اشتروه وآووه، وفي وسط كل هذه القيود الثقيلة بدأ تمكن يوسف الصابر الممتحن بعد سنين من ابتلائه، وذلك فضل الله الغالب على أمره دائماً<sup>(١)</sup>.

٧- روي: أَنَّ امرأة العزيز التي اتهمت يوسف عليه السلام وتسببت بسجنه سنين طويلة، آمنت بالله وتابت وندمت فقبل الله توبتها وأمره بالزواج منها<sup>(٢)</sup>. كما روي أَنَّ الله قبلها وأحبها لحبها للرسول محمد صلى الله عليه وآله لما سمعت باسمه من يوسف<sup>(٣)</sup>.

معرفة زليخا بالرسول محمد صلى الله عليه وآله كانت - بالتأكيد - من خلال تعاليم يوسف عليه السلام ومعارف رسالته التي بثها في الناس، وهذا يؤكد سيره على نهج أبيه إبراهيم في التمهيد لرسالة محمد صلى الله عليه وآله.

**ملاحظة:** توبة زليخا وزواجها من يوسف عليه السلام لم يرد ذكرها في نصوص سفر التكوين التي تطرقت لذكر نبوة يوسف وما جرى فيها من أحداث.

١- (عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ الحر حر على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداغت عليه المصائب لم تكسره، وإن أسروقهروا استبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حره أن استعبد وقهر وأسر ولم تضره ظلمة الجب ووحشته وما ناله أن من الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان [له] مالكا، فأرسله ورحم به أمة وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا) الكافي، الكليني: ٢ / ٨٩. (عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يوسف عليه السلام بين أبويه مكرماً، ثم صار عبداً فصار ملكاً) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٣٢.

٢- (عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: لما أصابت امرأة العزيز الحاجة قيل لها: لو أتيت يوسف عليه السلام، فشاورت في ذلك، فقيل لها: إنا نخافه عليك. قالت: كلا إني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت عليه قرأته في ملكه، قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته، فتزوجها فوجدها بكراً، .....) الأمالي، الطوسي: ٤٥٦ - ٤٥٧.

٣- (عن عبد الله بن المغيرة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: إنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه، قالت: إني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً. قال لها: ما الذي دعاك يا زليخا إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لورأيت نبياً يقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفاً. قالت: صدقت، قال: وكيف علمت إني صدقت؟ قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبته في قلبي، فأوحى الله عز وجل إلى يوسف إنها قد صدقت إني قد أحببتها لحبها محمداً، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٥ - ٥٦.

### حزن يعقوب وبكاؤه وصبره:

قال تعالى: "قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" \* وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" يوسف: ٨٣ - ٨٤.

عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (في قوله عز وجل، في قول يعقوب: "فصبر جميل"، قال: بلا شكوى) <sup>(١)</sup>. وعن حزن يعقوب، سئل صلوات الله عليه من قبل بعض أصحابه: (ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى حري) <sup>(٢)</sup>.

حزن يعقوب على ولده يوسف أشارت له التوراة بوضوح، فلما أحضر إخوة يوسف قميصه المملخ بالدم وعرفه يعقوب صرخ وشق ثوبه ولبس المسوح "ثياب خشنة" وناح على ابنه وبكى زمناً طويلاً: "٣١ فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُونُسَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمُعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. ٣٢ وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمَلُونِ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: «وَجَدْنَا هَذَا. حَقِّقْ أَقْمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لَا؟» ٣٣ فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحُشٌّ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتَرَسَ يُونُسُ أَقْمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لَا؟». ٣٤ فَمَزَقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقْوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. ٣٥ فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أُنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَوَايَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ" سفر التكوين - إصحاح ٣٧.

لشدة حزن يعقوب على ولده، أسرع الشيب إلى رأسه حتى ظن أنه إبراهيم جده أو أبوه إسحاق <sup>(٣)</sup>.

١- الأمالي، الطوسي: ٢٩٤.

٢- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١٨٨ / ٢.

٣- (عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ يعقوب أتى ملكاً بناحيهم يسأله الحاجة، فقال له الملك: أنت إبراهيم؟ قال: لا، قال: وأنت إسحاق بن إبراهيم؟ قال: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا يعقوب بن إسحاق قال: فما بلغ بك ما أرى من حداثة السن قال: الحزن على ابني يوسف قال: لقد بلغ بك الحزن يا يعقوب كل مبلغ، فقال: إنا معشر الأنبياء أسرع شيء البلاء إلينا ثم الأمثل فالأمثل من الناس، فقضى حاجته فلما جاوز [صغير] بابه هبط عليه جبرئيل فقال له: يا يعقوب ربك يقرئك السلام ويقول لك: شكوتني إلى الناس فعفروا وجهه

حزن يعقوب على ولده يوسف بلغ حدًّا عُدَّ معه أحد البكَّاءين، ويوسف كذلك <sup>(١)</sup>.

### رؤيا ملك مصر:

قال تعالى: "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ \* قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ \* وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ \* قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ \* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ" يوسف: ٤٣ - ٤٨.

في التراب وقال: يا رب زلّة اقلنيها فلا أعود بعد هذا أبداً، ثم عاد إليه جبرئيل فقال: يا يعقوب ارفع رأسك إنّ ربك يقرنك السلام ويقول لك: قد أقلتك فلا تعود تشكوني إلى خلقي، فما رؤى ناطقاً بكلمة مما كان فيه حتى أتاه بنوه فصرف وجهه إلى الحائط فقال: "إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون" (تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٨٩).

(نضربن عربي قال: بلغني أن يعقوب عليه السلام لما طال حزنه علي يوسف ذهب: "عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" وهو كظيم جعل العواد يدخلون عليه فيقولون: السلام عليك يا نبي الله، كيف تجدد؟ فيقول شيخ كبير، قد ذهب بصري فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب شكوتي إلى عوادك؟ قال: أي رب هذا ذنب عملته، لا أعود إليه، فلم يزل بعد يقول: "إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: ٧ / ٢١٨٦).

١- (عن محمد بن سهل البحراني، رفعه إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وعلي بن الحسين عليهما السلام. فأما آدم فبكي على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكي على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له "تالله تفتوا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين". وأما يوسف فبكي على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن. فقالوا: إما أن تبكي بالهار وتسكت بالليل، وإما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما. وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد أذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكي على الحسين عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبر) الأُمالي، الصدوق: ٢٠٤.

وقد أشار الإصحاح ٤١ من سفر التكوين إلى رؤيا ملك مصر، وبحسب النص فإنه رأى رؤيتين في ليلة واحدة؛ رؤيته بالبقرات السبع ورؤيته بالسنايل السبع، وبعد قص الرؤيتين على يوسف اعتبرهما رؤية ورسالة واحدة من الله تشير إلى سبع سنين شبع تتلوها سبع سنين مجاعة: "٢٥ فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ. ٢٦ أَلْبَقَرَاتُ السَّبْعِ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَائِلُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ. هُوَ حُلْمٌ وَاحِدٌ. ٢٧ وَالْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الرَّقِيقَةُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي طَلَعَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَائِلُ السَّبْعُ الْفَارِغَةُ الْمَلْفُوحَةُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ تَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ جُوعًا. ٢٩ هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ قَادِمَةٌ شَبَعًا عَظِيمًا فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. ٣٠ ثُمَّ تَقُومُ بَعْدَهَا سَبْعُ سِنِينَ جُوعًا، فَيُنْسَى كُلُّ الشَّيْءِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَيُنْثَلِفُ الْجُوعُ الْأَرْضَ. ٣١ وَلَا يَعْرِفُ الشَّيْءُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْجُوعِ بَعْدَهُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ شَدِيدًا جِدًّا. ٣٢ وَأَمَّا عَنْ تَكَرُّرِ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ، فَلَأَنَّ الْأَمْرَ مَقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ. ٣٣» فَلَا نَ لِيَنْظُرَ فِرْعَوْنَ رَجُلًا بَصِيرًا وَحَكِيمًا وَيَجْعَلُهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. ٣٤ يَفْعَلُ فِرْعَوْنَ فَيُوكِّلُ نَظَارًا عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْخُذُ خُمُسَ غَلَّةِ أَرْضِ مِصْرَ فِي سَبْعِ سِنِينَ الشَّيْءِ، ٣٥ فَيَجْمَعُونَ جَمِيعَ طَعَامِ هَذِهِ السِّنِينَ الْجَيِّدَةِ الْقَادِمَةِ، وَيَخْزِنُونَ قَمَحًا تَحْتَ يَدِ فِرْعَوْنَ طَعَامًا فِي الْمُدُنِ وَيَحْفَظُونَهُ. ٣٦ فَيَكُونُ الطَّعَامُ ذَخِيرَةً لِلأَرْضِ لِسَبْعِ سِنِينَ الْجُوعِ الَّتِي تَكُونُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَلَا تَنْقَرِضُ الْأَرْضُ بِالْجُوعِ»."

وكان تأويل يوسف لرؤيا الملك وطرحه للحل والتدبير الذي يجب أن يتخذ سبباً في تمكين يوسف: "٣٧ فَحَسَّنَ الْكَلَامُ فِي عَيْنِي فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ جَمِيعِ عِبِيدِهِ. ٣٨ فَقَالَ فِرْعَوْنَ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ نَجِدُ مِثْلَ هَذَا رَجُلًا فِيهِ رُوحُ اللَّهِ؟» ٣٩ ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنَ لِيُوسُفَ: «بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ اللَّهُ كُلَّ هَذَا، لَيْسَ بِصَبِيرٍ وَحَكِيمٍ مِثْلَكَ. ٤٠ أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يَقْبَلُ جَمِيعُ شَعْبِي إِلَّا إِنْ الْكُرْسِيُّ أَكُونُ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْكَ». ٤١ ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنَ لِيُوسُفَ: «انْظُرْ، قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». ٤٢ وَخَلَعَ فِرْعَوْنَ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَالْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ، وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ، ٤٣ وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ «ارْكَبُوا». وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»."

قال تعالى: "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ \* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ \* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" يوسف: ٥٤

عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال:

(لما كان يوسف عليه السلام في السجن دخل عليه جبرئيل فقال: إنّ الله ابتلاك وابتلى أباك، وإنّ الله ينجيك من هذا السجن فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلصك مما أنت فيه، فقال يوسف: "اللهم إني أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه"، قال جبرئيل عليه السلام: فأبشراً أيها الصديق فإنّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام، ويملكك مصر وأهلها، يخدمك أشرفها، ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشراً أيها الصديق إنك صفي الله وابن صفيه، فلم يلبث يوسف عليه السلام إلا تلك الليلة حتى رأى الملك رؤيا أفزعته فقصّها على أعوانه فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسف فقال له: أيها الملك أرسلني إلى السجن فإنّ فيه رجالاً لم يرمثله حلماء وعلماء وتفسيراً، وقد كنت أنا وفلان غضبت علينا وأمرت بحبسنا رأينا رؤيا فعبّرها لنا وكان كما قال، ففلان صلب، وأما أنا فنجوت. فقال له الملك: انطلق إليه، فدخل وقال: يوسف! أفتنا في سبع بقرات، فلما بلغ رسالة يوسف الملك قال: "أنتوني به أستخلصه لنفسي" فلما بلغ يوسف رسالة الملك قال: كيف أرجو كرامته وقد عرف براءتي وحبسي سنين؟! فلما سمع الملك أرسل إلى النسوة فقال: ما خطبكن؟ فقلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء، فأرسل إليه وأخرجه من السجن، فلما كلّمه أعجبه كماله وعقله، فقال له: أقصص رؤياي فإني أريد أن أسمعها منك، فذكره يوسف كما رأى وفسره، قال الملك: صدقت، فمن لي بجمع ذلك وحفظه؟ فقال يوسف: إنّ الله تعالى أوحى إليّ أني مدبره والقيّم به في تلك السنين، فقال له الملك: صدقت دونك خاتمي وسريري وتاجي، فأقبل يوسف على جمع الطعام في السنين السبع الخصيبة يكبسه في الخزائن في سنبله، ثم أقبلت السنون الجدبة أقبل يوسف عليه السلام على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدرهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع

والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهراً ولا مزرعة إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار في مملكة يوسف وصاروا عبيداً له، فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خولني ربي؟ قال: الرأي رأيك. قال: إني أشهد الله وأشهد أيها الملك أنني أعتقت أهل مصر كلهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك خاتمك وسيرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي، ولا تحكم إلا بحكمي، فإله أنجاهم علي، فقال الملك: إن ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسوله، ... (١).

لا شك أن سورة يوسف تضمنت ذكر ثلاث رؤى؛ الأولى: رؤيا النبي يوسف، والثانية: رؤيا السجين الطالب عن الحق ثم المؤمن بدعوة يوسف، والثالثة: رؤيا فرعون مصر الكافر بالله (وقت الرؤيا). والملفت أن يوسف اعتبر الرؤى الثلاث حق وصدق بها جميعاً، وبخصوص تعامل يوسف مع رؤيا ملك مصر فواضح أنه قام بتدبير اقتصاد مصر وأهلها على ضوءها. وما فعله برهان واضح يدحض قول كثير ممن يفتون بأن لا حجية للرؤية ولا اعتبار شرعي لها بقول مطلق؛ بدعوى أن الحجية والقيمة إنما هي لرؤى الأنبياء فقط!

### يوسف أيها الصديق!

لقب "الصديق" أطلق في القرآن على يوسف، حكاية عن قول صاحبه السجين الذي أفرج عنه، وبعد مضي سنين جاء إلى السجن يسعى حاملاً ليوسف رؤيا الملك التي عجز عن تأويلها كبار المعبرين: "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ" يوسف: ٤٦.

وصف يوسف عليه السلام بالصديق ورد ذكره في الروايات أيضاً (٢).

١- قصص الأنبياء، الراوندي: ١٣٤ - ١٣٦.

٢- الروايات كثير، وهذا مثال لها:

- (عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الحر حر على جميع أحواله، إن نابتة نابتة صبر لها وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن أسروقهروا وتبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حره أن استعبد وقهر واسرو لم تضره ظلمة الجب ووحشته وما ناله أن من الله عليه فجعل

والسؤال: ما سبب تسمية نبي الله يوسف بالصديق؟

يقول السيد أحمد الحسن: (قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا .....") يوسف: ٤٥ - ٤٦، الآية تصف يوسف بأن ما يقوله يحدث فالصديق هو الصادق الذي لا يشوب كلامه أدنى شك فما يقوله يقين لا شك فيه) انتهى<sup>(١)</sup>.

وليس يوسف وحده من وصف بهذا الوصف "الصدِّيق"، وإنما وصف به رجال صالحون آخرون، حددهم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بثلاثة وجعل أفضلهم وصيّه الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه<sup>(٢)</sup>.

الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان [له] مالكا، فأرسله ورحم به أمة وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا) الكافي، الكليني: ٨٩ / ٢.

- (عن محمد بن الوليد بن زيد عن أبي جعفر (الجواد) عليه السلام في حديث، قال: فقلت جعلت فداك ما تقول في المسك؟ فقال لي: إن الرضا عليه السلام أمر أن يتخذ له مسك فيه بان بسبعمائة درهم، فكتب إليه الفضل بن سهل يقول له: يا سيدي إنَّ الناس يعيبون ذلك عليك، فكتب عليه السلام إليه: يا فضل أما علمت أن يوسف الصديق عليه السلام كان يلبس الديباج مززوراً بأزوار الذهب والجواهر ويجلس على كرسي الذهب واللجين فلم يضره ذلك ولم ينقص من نبوته وحكمته شيئاً...) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ١ / ٤٢١.

- وقال الإمام الرضا عليه السلام للصوفية الذين أشكلوا على لباسه: (ويحكم إنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق"، إنَّ يوسف الصديق لبس الديباج المنسوج بالذهب، وجلس على متكآت آل فرعون) نزهة الناظر وتنبية الخاطر، الحلواني: ١٢٩ - ١٣٠.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الصدِّيقون ثلاثة: حبيب النجار، مؤمن آل ياسين، الذي يقول: "اتبعوا المرسلين \* اتبعوا من لا يستلکم أجراً وهم مهتدون"، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم) الأمالي، الصدوق: ٥٦٣ - ٥٦٤؛ فيض القدير، المناوي: ٣١٣/٤؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ٦٠١ / ١١.



ولهذا ورد وصفه في وصية الرسول ليلة وفاته بـ "الصدّيق الأكبر"<sup>(١)</sup>، وأيضاً: كان يقول: "أنا الصدّيق الأكبر"<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي، فنفس تلقيب نبي الله يوسف بالصدّيق فيه تمهيد وإشعار برسالة محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنّ فيها الصدّيق الأكبر!

### اجتماع بني إسرائيل في مصر:

أشار القرآن الكريم (سورة يوسف) إلى اجتماع يعقوب وأبنائه بيوسف في مصر وانتقالهم للعيش معه في نهاية المطاف، وقد أوضح الإمام الباقر صلوات الله عليه النص القرآني مع الشرح والتفصيل لمجريات الأحداث في الرواية التالية:

(عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث قال: لما فقد يعقوب يوسف اشتد حزنه عليه وبكاؤه حتى ابيضت عيناه من الحزن، واحتاج حاجة شديدة وتغيرت حاله، قال: وكان يمتار القمح من مصر لعياله في السنة مرتين للشتاء والصيف، وأنه بعث عدة من ولده ببضاعة يسيرة إلى مصر مع رفقة خرجت فلما دخلوا على يوسف وذلك بعد ما ولاه العزيز مصر فعرفهم يوسف ولم يعرفه اخوته لهيبة الملك وعزته فقال لهم: هلموا بضاعتكم قبل الرفاق، وقال لفتياناه: عجلوا لهؤلاء الكيل وأفوههم، فإذا فرغتم فاجعلوا بضاعتهم هذه في رحالهم ولا تعلموهم بذلك ففعلوا ثم قال لهم يوسف: قد بلغني أنه كان لكم أخوان لأبيكم فما فعلا؟ قالوا: أما الكبير منهما فإنّ الذنب أكله، وأما الصغير فخلفناه عند أبيه وهو به ضنين وعليه شقيق، قال: فإني أحب أن تأتوني به معكم إذا جئتم لتمتارون" فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون". فلما رجعوا إلى أبيهم فتحوا متاعهم فوجدوا بضاعتهم فيه قالوا: يا أبانا ما نبغي

١- روى الإمام الصادق عن آبائه وصية الرسول ليلة وفاته، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأملأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً سمّاك الله تعالى في سمائه: علياً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لاحد غيرك. ....) الغيبة، الطوسي: ١٥٠.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ١ / ٣١؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٢ / ٣٣؛ الكامل، الجرجاني: ٣ / ٢٧٤.

هذه بضاعتنا قد ردت إلينا وكيل لنا كيل قد زاد حمل بعير، "فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل أمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل"، فلما احتاجوا إلى الميرة بعد ستة أشهر بعثهم يعقوب وبعث معهم بضاعة يسيرة وبعث معهم ابن ياميل وأخذ عليهم بذلك موثقاً من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم أجمعين، فانطلقوا مع الرفاق حتى دخلوا على يوسف، فقال لهم: معكم ابن ياميل؟ قالوا: نعم هو في الرحل قال لهم: فأتوني فأتوه به وهو في دار الملك، فقال: أدخلوه وحده فأدخلوه عليه، فضمه يوسف إليه وبكى، وقال له: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما تراني أعمل واكتم ما أخبرتك به ولا تحزن ولا تخف، ثم أخرج به إليهم وأمر فتيته أن يأخذوا بضاعتهم ويعجلوا لهم الكيل فإذا فرغوا جعلوا المكيال في رحل ابن ياميل ففعلوا به ذلك، وارتحل القوم مع الرفقة فمضوا، فلحقهم يوسف وفتيته فنادوا فيهم: "قال أيتها العيرانكم لسارقون قالوا و اقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزائه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه" قال: "فبدا بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" <sup>(١)</sup>. فقال لهم يوسف: ارتحلوا عن بلادنا "قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً" وقد أخذ علينا موثقاً من الله لنرد به إليه، "فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين" <sup>(٢)</sup> إن فعلت "قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده" فقال كبيرهم: إني لست أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي، ومضى إخوة يوسف حتى دخلوا على يعقوب فقال لهم: فأين ابن ياميل؟ قالوا: ابن ياميل

١- (إسماعيل بن همام قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: "قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل، فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها لهم" قال: كانت لإسحاق عليه السلام منطقة (يشد به الخصر شبهة بالحزام) يتوارثها الأنبياء الأكابر وكانت عند عمّة يوسف، وكان يوسف عندها وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه ابغثيه إلي وأرده إليك، فبعثت إليه دعه عندي الليلة أشمه، ثم أرسله إليك غدوة، قال: فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصاً وبعثت به إليه وقالت: سُرقَت المنطقة فوجدت عليه، وكان إذا سرق واحد في ذلك الزمان دفع إلى صاحب السرقة فكان عبده) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٠. أي: أن عمته فعلت ذلك بيوسف ودبرت مكيدة ليبقى عندها، فهو لم يسرق حقيقة وحاشاه، لكن بعض إخوته اعتبروا الحادثة مبرراً للانتقاص منه!

٢- في قوله تعالى: "إنا نراك من المحسنين"، قال الإمام الصادق صلوات الله عليه: (كان يقوم على المريض، ويلتمس المحتاج، ويوسع على المحبوس) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٤٤.

سرق مكيال الملك فأخذه الملك بسرقة فحبس فسل أهل القرية والعير حتى يخبروك بذلك فاسترجع واستعبر واشتد حزنه حتى تقوس ظهره (١).

أكمل الإمام الباقر كلامه فقال: (واشتد حزنه يعني يعقوب حتى تقوس ظهره وأدبرت الدنيا عن يعقوب وولده حتى احتاجوا حاجة شديدة وفنيت ميرتهم، فعند ذلك قال يعقوب لولده: "أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون"، فخرج منهم نفروبعث معهم ببضاعة يسيرة وكتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطفه على نفسه وولده، وأوصى ولده أن يبدؤوا بدفع كتابه قبل البضاعة فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله صاحب نمرود الذي جمع لإبراهيم الحطب والنار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها، أخبرك أيها العزيز أنا أهل بيت قديم لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله لئبلونا بذلك عند السراء والضراء وأن مصائب تتابع علي منذ عشرين سنة أولها أنه كان لي ابن سمّيته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمره فؤادي، وأن إخوته من غير أمّه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب، فبعثته معهم بكرة وأنهم جاءوني عشاءً أيبكون وجاءوني على قميصه بدم كذب فزعموا أن الذئب أكله فاشتد لفقده حزني وكثر على فراقه بكائي حتى ابيضت عينا من الحزن، وأنه كان له أخ من خالته، وكنت به معجباً وعليه رفيقاً وكان لي أنيساً وكنت إذ ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فيسكن بعض ما أجد في صدري، وأن إخوته ذكروا لي أنك أيها العزيز سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به وإن لم يأتوك به منعته الميرة لنا من القمح من مصر، فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إليّ فليس هو معهم، وذكروا أنه سرق مكيال الملك ونحن أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته وفجعتني به، وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وعظمت به مصيبي مع مصائب متابعات عليّ، فمن عليّ بتخلية سبيله وإطلاقه من محبسه وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر وعجل بسراح آل يعقوب". فلما مضى ولد يعقوب من عنده نحو مصر بكتابه نزل جبرئيل على يعقوب فقال له: يا يعقوب إن ربك يقول لك: من ابتلاك بمصائبك التي كتبت بها إلى عزيز مصر؟ قال يعقوب: أنت بلوتني بها عقوبة منك وأدباً لي، قال الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك أحد غيري؟

قال يعقوب: اللهم لا، قال: أفما استحييت مني حين شكوت مصائبك إلى غيري ولم تستغث بي وتشكو ما بك إلي؟ فقال يعقوب: أستغفرك يا إلهي وأتوب إليك وأشكو بثي وحزني إليك، فقال الله تبارك وتعالى: قد بلغت بك يا يعقوب وبولئك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إليّ عند نزولها بك واستغفرت وتبت إلي من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إياها عليك ولكن الشيطان أنساك ذكرى فصرت إلى القنوط من رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم أحب عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إلي فيما عندي، يا يعقوب أنا راد إليك يوسف وأخاه ومعيد إليك ما ذهب من مالك [ولحملك ودمك] وراد إليك بصرك ومقوم لك ظهرك وطب نفساً وقر عيناً وأنّ الذي فعلته بك كان أدباً مني لك فأقبل أدبي. قال: ومضى ولد يعقوب بكتابه نحو مصر حتى دخلوا على يوسف في دار المملكة، "فقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا" بأخيها ابن يامين وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك تخلية سبيله وأن تمن به عليه، قال: فأخذ يوسف كتاب يعقوب فقبله ووضع على عينيه وبكى وانتحب حتى بلّت دموعه القميص الذي عليه، ثم أقبل عليهم فقال: "هل علمتم ما فعلتم بيوسف" من قبل "وأخيه" من بعد "قالوا إنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا قالوا تالله لقد أثرك الله علينا" فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا "قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم" <sup>(١)</sup>.

سفر التكوين في إصحاحات عديدة منه (إصحاح ٤٢ - ٤٧) ذكر الأحداث التي آلت في نهايتها إلى اجتماع أسرة يعقوب جميعاً بمصر ولقائهم بيوسف <sup>(٢)</sup>.

١- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٩٠ - ١٩٢.

٢- هذه خلاصة الإصحاحات المشار لها:

- إصحاح ٤٢: أشار إلى رحلة إخوة يوسف الأولى إلى مصر طلباً للطعام، حيث عرفهم يوسف ولم يعرفوه، وبحجة معينة حبسهم ثلاثة أيام ثم أطلقهم وأبقى واحداً منهم "شمعون" كرهينة مقابل أن يأتوه بأخيم الأصغر بنيامين.  
- إصحاح ٤٣: أشار إلى إصرار يوسف على حضور بنيامين كشرط للبيع، فقرّر يعقوب إرساله معهم بضمان وتعهد من ابنه يهوذا وبعث معهم هدايا ليوسف لاسترضائه، فاستضافهم يوسف في بيته وأطلق سراح أخيم المسجون وغالبته دموعه لما رأى أخاه بنيامين.

وروي: أنَّ يوسف عليه السلام أجاب كتاب أبيه يعقوب عليه السلام: (... وكتب إليه: "بسم الله الرحمن الرحيم اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا". فلما انتهى الكتاب إلى يعقوب قال: والله ما هذا بكلام الملوك والفرعنة، بل هو كلام الأنبياء وأولاد الأنبياء، فحينئذ قال: "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف" <sup>(١)</sup>.

يعقوب عليه السلام كان يعلم بحياة ولده يوسف عليه السلام بسبب إلام الله له عن طريق ملك الموت، لذلك قال لبنيه: "اذهبوا فتحسسوا من يوسف" <sup>(٢)</sup>.

---

- إصحاح ٤٤: أشار إلى مأزق كأس الملك المفقودة "صواع الملك" التي أراد بها يوسف اختبارهم وهل أنهم سيتخلون عن شقيقهم الأصغر بنيامين كما فعلوا معه سابقاً، فجاءت ردة فعل يهوذا أن فداه بنفسه: الأمر الذي أثبت توبتهم وتغير قلوبهم.

- إصحاح ٤٥: كشف يوسف نفسه لإخوته وعزفهم بهويته، وطمأنهم بأنَّ بيعهم له كان خطة إلهية لاستبقاء حياته وإنقاذ الأرض من المجاعة، وطلب منهم سرعة إحضار والده يعقوب وجميع عائلاتهم للعيش بمصر.

- إصحاح ٤٦: ارتحال يعقوب بأسرته إلى مصر ولقاؤه المؤثر بابنه يوسف بعد طول فراق.

- إصحاح ٤٧: أشار إلى استقرار يعقوب وأبنائه وأسرته بشكل عام في مصر، وإدارة يوسف الحكيمة للأزمة الاقتصادية بمصر خلال سني المجاعة.

١- الدعوات (سلوة الحزين)، الراوندي: ٥٤.

٢- (عن حنان بن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول يعقوب عليه السلام لبنيه: "اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه" أكان يعلم أنه حي وقد فارقه منذ عشرين سنة؟ قال: نعم. قال: قلت: كيف علم؟ قال: إنه دعا في السحر وسأل الله عز وجل أن يهبط عليه ملك الموت فبهط عليه بريال وهو ملك الموت، فقال له بريال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرقة؟ قال: بل أقبضها متفرقة روحاً روحاً. قال له: فأخبرني هل مريك روح يوسف فيما مريك؟ قال: لا، فعلم يعقوب أنه حي فعند ذلك قال لولده: "اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه" الكافي، الكليني: ١٩٩ / ٨.

(التنضرب عربي قال: بلغني أن يعقوب مكث أربعة وعشرين عاماً لا يدري أحي يوسف أم ميت حتى تمثل له ملك الموت فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: فقال أنشدك بالله يعقوب هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، فعند ذلك قال: "يا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ") تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: ٢١٨٩ / ٧.

و أيضاً: كان يوسف يبعث لأبيه رسائل يطمئنه فيها من دون أن يصرح فيها عن نفسه؛ لعدم إذن الله له بذلك <sup>(١)</sup>.

وعموماً، طلب يوسف من إخوته أن يرجعوا إلى أهلهم ثم يأتوه بأبيه وجميع عيالهم، وسلمهم قميصه ليلقوه على وجه أبيه عند وصولهم إليه <sup>(٢)</sup>. وسيأتي البحث عن قميص يوسف وسره لاحقاً.

ختم الإمام الباقر صلوات الله عليه كلامه المتقدم بمسير يعقوب وأبنائه من أرض الكنعانيين إلى مصر، قال: (فساروا تسعة أيام إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه فقبله وبكى، ورفعاه ورفع خالته على سرير الملك، ثم دخل منزله فأدهن فاكتحل ولبس ثياب العز والملك ثم خرج إليهم، فلما رأوه سجدوا جميعاً له إعظاماً له وشكراً لله، فعند ذلك قال: "يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل" إلى قوله: "بيني وبين إخوتي" قال: ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب ولا يضحك، ولا يمس النساء حتى جمع الله ليعقوب شمله، جمع بينه وبين يعقوب وإخوته) <sup>(٣)</sup>.

---

١- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم أعرابي على يوسف ليشتري منه طعاماً فباعه، فلما فرغ قال له يوسف: أين منزلك؟ قال له: بموضع كذا وكذا، فقال له: فإذا مررت ببوادي كذا وكذا فقف فناد: يا يعقوب! يا يعقوب! فإنه سيخرج إليك رجل عظيم جميل جسيم وسيم، فقل له: لقيت رجلاً بمصر وهو يقرئك السلام ويقول لك: إن وديعتك عند الله عز وجل لن تضيع، قال: فمضى الأعرابي حتى انتهى إلى الموضع فقال لغلمانه: احفظوا على الإبل ثم نادى: يا يعقوب! يا يعقوب! فخرج إليه رجل أعشى طويل جسيم جميل يتقى الحائط بيده حتى أقبل فقال له الرجل: أنت يعقوب؟ قال: نعم فأبلغه ما قال له يوسف قال: فسقط مغشياً عليه، ثم أفاق فقال: يا أعرابي ألك حاجة إلى الله عز وجل؟ فقال له: نعم إني رجل كثير المال ولي ابنة عم ليس يولد لي منها وأحب أن تدعو الله أن يرزقني ولداً، قال: فتوضأ يعقوب وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل، فرزق أربعة أبطن أو قال ستة أبطن في كل بطن اثنان) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٤١ - ١٤٢.

٢- (عن حفص أخي مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولما فصلت العير" قال أبوهم: "إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون"، قال: وجد يعقوب ريح قميص إبراهيم حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين) علل الشرائع، الصدوق: ١/ ٥٣.

٣- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢/ ١٩٧.

## إضاءات من رسالة يوسف:

## هل اختار يوسف (ع) السجن، ولماذا؟

بحسب النص الديني: نعم، فقد قصَّ الله قوله: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّى جِيءَ" يوسف: ٣٣ - ٣٥.

وبحسب النص التوراتي، فإنَّ يوسف عليه السلام رفض الخطيئة وخيانة سيده واختار الطهارة وكانت عقوبة السجن نتيجة لموقفه هذا: "٨ فَأَبَى وَقَالَ لَامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لَا يَعْرِفُ مَعِيَ مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدَيَّ. ٩ لَيْسَ هُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يَمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكَ، لِأَنَّكَ أَمَرْتَهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللَّهِ؟» ..... ٢٠ فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أُسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ" سفر التكوين - إصحاح ٣٩.

اختيار يوسف عليه السلام أكيد لدفع الوقوع في المعصية، فهو خيَّر نفسه بين خيارين؛ إما الفاحشة وإما السجن، وبالتأكيد سيختار يوسف الطاهر الأمر الذي فيه ضرر دنيوي ومادي عليه ويقدمه على ما فيه ضرر أخروي وروحي، وبالنتيجة يوسف عليه السلام اعتقد أن لا وجود لخيار ثالث فاختر السجن<sup>(١)</sup>.

١- (عن العباس بن هلال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال السَّجَّانُ ليوسف: إني لأحبك؟ فقال يوسف: ما أصابني بلاء إلا من الحب إن كانت عمي أحببني فسرقتني وإن كان أبي أحبني فحسدوني إخوتي وإن كانت امرأة العزيز أحببني فحبستني، قال: وشكا يوسف في السجن إلى الله فقال: يا رب بماذا استحققت السجن؟ فأوحى الله إليه: أنت اخترته حين قلت: "رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه" هلا قلت: العافية أحب إليَّ مما يدعونني إليه) تفسير المقي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٥٤.

وروى ابن الفرات، قال: (كان لي [على] ابن عم لي عشرة آلاف درهم، فكتبت إلى أبي محمد (الإمام الهادي) عليه السلام أشكو إليه وأسأله الدعاء، وقلت في نفسي: لا أبالي أن يذهب مالي بعد أن أهلكه الله تعالى [قال: فكتب إلي: إنَّ يوسف عليه السلام شكاً [إلى] ربه السجن فأوحى الله إليه: أنت اخترت لنفسك ذلك حيث قلت: "رب السجن أحب

لكن: هل كان يوسف لا يعلم بوجود خيار ثالث وهو الذي أوكل أمره إلى الله عندما رماه إخوته في الجب كما لاحظناه في النصوص المتقدمة؟! ثم إذا كان قد غفل فعلاً فلماذا لم يذكره الله سبحانه؟! لماذا ترك يوسف وقد ملأ الخياران عينيه ونفسه حتى اعتقد أن لا وجود لخيار ثالث فاختر السجن!!

أجاب السيد أحمد الحسن هذه الأسئلة المهمة، وأوضح أن "السجن" كان ضرورياً في مسيرة يوسف الرسالية، يقول:

(يوسف عليه السلام الآن محاصر من أعداء الله، فيما الفاحشة وإما السجن، وهم الذين حدّوا هذين الطريقين، ويوسف لم يخرج عن هذين الخيارين، ولكنه اختار ما يضره دنيوياً ومادياً وهو السجن، دون ما يضره أخروياً وروحياً وهو الفاحشة، خيار طبيعي، ولا أحد يتوقع سواه من وصي يعقوب عليه السلام النبي الرسول يوسف عليه السلام. .... ولكن السؤال: هل عند الله نجاة يوسف من كيدهم محصورة بالسجن، أم أنه توجد سبل متعددة لنجاته من كيدهم، دون أن يقع عليه أذى السجن؟!)

أعتقد أن جواب هذا السؤال بسيط على من يعتقد أن السماوات والأرض لو كانتا على عبدٍ رتقاً واتقى الله لجعل له الله منهما مخرجاً. ولو كان يوسف غفل عن هذه الحقيقة "..... وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ" يوسف: ٣، ولم يلتفت أن عند الله سبيلاً آخر، بل أكثر من سبيل غير السجن لنجاته من كيدهم. .... أليس الله بقادر على أن يُدْكَر يوسف عليه السلام بهذه الحقيقة، ويجعله يدعو بهذا الدعاء: "العافية أحب إليّ مما يدعونني إليه"، بدل أن يقول: "السجن أحب إليّ ممّا يدْعُونِي إِلَيْهِ"؟!

وهل يعتقد أحد أن يوسف لم يكن يعرف هذه الحقيقة، وهو الذي وكل أمره من قبل عندما كان في الجب إلى إله إبراهيم، ولم يختر هو الخروج أو البقاء. .... فلماذا غفل الآن عن أن يقول: "ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب"؟!

---

إليّ مما يدعونني إليه" ولو سألتني أن أعافيك لعافيتك، إن ابن عمك لراد عليك مالك، وهو ميت بعد جمعة) مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٧/ ٦٤٠ - ٦٤١.



وهل يعتقد أحد أن يوسف عليه السلام لا يستحق أن يذكره الله، أو أنه عليه السلام ليس أهلاً لذلك، أم هل يعتقد أحد أن في ساحته سبحانه وتعالى بخلاً عن أن يتفضل بتذكير وتعليم يوسف نبيه الكريم أن يدعو بهذا لينجو من المكر والسجن معاً، ألم يرسل سبحانه وتعالى جبرائيل عليه السلام ليُذكّر يوسف ويعلمه الدعاء لينجو من الجب؟!

لماذا الآن الله سبحانه وتعالى الكريم الرؤوف الرحيم يترك يوسف عليه السلام في حيرته، ولا يذكره ولا يُعلمه دعاءً ينجوه من المكر والسجن معاً؟! لماذا الآن يوسف لا يجد أمام عينيه سبيلاً لنجاته من المكر إلا السجن ولا يجد إلا هذا الدعاء: "السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"!!؟

إنّ هذا السؤال وغيره من الأسئلة في مسيرة يوسف عليه السلام يجيبه تعالى في آية عظيمة من آيات سورة يوسف، فيبين فيها تعالى أن كل سكرة وحركة وغفلة وذكرى وعلم وجهل هي ضرورية في مسيرة تمكين وتعليم يوسف عليه السلام، يقول تعالى في هذه الآية: أنا أمسك بمعصم يوسف عليه السلام وأقوده إلى التمكين والعلم والمعرفة: "كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف: ٢١.

إذن، فمن هذه الآية: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" نعرف أن دخول يوسف عليه السلام السجن واقع ضمن حكمة إلهية، وأكد أنه يصبّ في تمكين يوسف وتعليمه، بل وأدائه لرسالته الإلهية. أما تعلق السجن بتمكين يوسف وتعليمه، فقد تبين فيما مضى من الإضاءات، وأما تعلق دخول يوسف إلى السجن بأدائه لرسالته فهو ما أريد بيانه، ويتلخص في أمور منها:

- ١- إنّ يوسف عليه السلام إن كان قد صدع برسالته من الله خارج السجن ولم يتحصل إيمان أي شخص به، فلا بد من إيجاد محيط آخر لتبليغ الرسالة.
- ٢- يوسف عليه السلام خارج السجن عبد مملوك، ولا شك أن حال العبد المملوك في داخل السجن أكثر حرية منه وهو في خارج السجن وتحت سلطة مولاه، ...
- ٣- في السجن الكل سواسية العبد المملوك والحر فلا أحد ينظر إلى يوسف على أنه عبد مملوك ولا يستحق السماع منه.

- ٤- تقبّل الإنسان للدين والدعوة لطاعة الله سبحانه وهو في ضيق يكون أكبر بكثير منه مما لو كان في يسر وراحة، .....
- ٥- دعوة يوسف إلى التوحيد شاملة لمن خارج السجن ومن في السجن، ولم يكن هناك طريق لإيصال دعوته عليه السلام إلى داخل السجن وبالصورة الصحيحة إلا دخول يوسف بنفسه إلى داخل السجن.

وأخيراً أقول: إنّ دعوة يوسف إلى التوحيد لم تجد لها موضعاً في المجتمع الذي كان فيه وهو خارج السجن، ولكنها شقّت طريقها إلى قلوب الناس لما دخل يوسف عليه السلام السجن، وبدأت الدعوة إلى التوحيد من السجن بداية حقيقية، ولها من يؤمن بها وينتصر لها، وهذا السجين الذي آمن انتصر لدعوة يوسف الإلهية لما وجد الفرصة الملائمة من خلال رؤيا الملك، وهذا المؤمن عرض نفسه للخطر بحساب أهل المادة وهو يخالف ملام الملك في رأيهم حيث: "قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ" يوسف: ٤٤، ثم يذكر يوسف في محضر الملك وملئه: "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ" يوسف ٤٥.....

والنتيجة، فإنّ السجن كان المكان والظرف الذي شقت منه دعوة يوسف إلى التوحيد طريقها إلى قلوب كثير من الناس في مصر، ليؤمنوا بها ويوحّدوا الله، بل وآمن بها بعض من كانوا في قصر الملك، واستمر الإيمان بالتوحيد الذي صدع به يوسف عليه السلام في مصر، بل وفي قصر ملك مصر حتى زمن رسالة موسى عليه السلام، وهذا مؤمن آل فرعون في زمن موسى عليه السلام يذكر يوسف عليه السلام كرسول من الله يؤمن به وبرسالته: "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ" غافر: ٣٤ انتهى<sup>(١)</sup>.

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - القسم الثاني: إضاءة السجن لماذا؟

## اذكرني عند ربك:

حكى الله سبحانه قول يوسف، فقال: "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" يوسف: ٤٢.

وفي التوراة: "١٤ وَأَيُّهَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَئِذَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ، تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرْنِي لِفِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُنِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ. .... ٢١ وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلَى سَفْقِيهِ، فَأَعْطَى الْكَّاسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ. .... ٢٣ وَلَكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ" سفر التكوين - إصحاح ٤٠.

لما قصَّ السجينان رؤياهما على يوسف عليه السلام، كان أحدهما صادقاً وهو الذي أوَّل يوسف رؤياه بالخروج، فطلب منه أن يذكره عند الملك؛ عملاً بالأسباب، وبالتأكيد يوسف لم يغفل عن مسبب الأسباب، لكن - مع هذا - فقد حصل منه التفتات للأسباب بحيث أعطاهما قيمة ووزناً بشكل لا ينبغي أن يصدر من نبي ورسول إلهي كيوسف، ولذلك استوجب قوله "اذكرني عند ربك" زيادة في مكوثه في السجن سبع سنين إضافية كما لاحظنا سابقاً؛ باعتبار أن يوسف لمس آيات الله معه فيما مضى من حياته وكان يفترض أن يكون أكثر إخلاصاً لله ولا يعطي للأسباب القيمة التي أعطاهما إياها!

والسبب في التفتات يوسف للأسباب هو الشيطان الذي أنساه ذكرربه كما في الآية، والشيطان - كما عرفنا سابقاً - هو الظلمة في وجود المخلوق، ولما عاتبه الله على قوله ندم يوسف وبكى طويلاً على ما صدر منه حتى إنَّ السجناء اتفقوا معه على أن يختار لبكائه وقتاً بسبب كثرة بكائه، ولذلك عُدَّ أحد البكائين الخمسة في مجمل خط الرسائل الإلهي، وصار نفس العتاب الإلهي ليوسف سبباً في زيادة كماله ورقية وقرية لله!

يقول السيد أحمد الحسن: (قال يوسف عليه السلام للسجين: "اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ"، وسبب التفتات يوسف للأسباب هو الشيطان "فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ" فكانت النتيجة: "فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"، وهذا الشيطان (أي الشر) هو الظلمة التي لا يخلو منها مخلوق، فالنور الذي لا ظلمة فيه هو الله سبحانه، ومع أنَّ هذه الظلمة قليلة في كيانات الأنبياء النورانية المقدسة، ولكنها موجودة ولها أثر على حركتهم، ولهذا فهم يحتاجون إلى العصمة من الله: "إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا \*

لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا" الجن: ٢٧ - ٢٨. فلولا هذه الظلمة لما احتاجوا إلى العصمة، ومن يعتقد غير هذا فهو ينزلهم منزلة الله سبحانه عما يشركون، وهذه المغالاة في التنزيه لهم عليهم السلام حتى يوصلهم بعض من يجهل الحقيقة إلى مرتبة نورلا ظلمة فيه، هي شرك يخطأ من يعتقدده، كما أن من يستخف بعصمتهم وبحقهم ومرتبتهم يكفر بحقهم ويخطأ، وقد بين سبحانه في القرآن أثر هذه الظلمة في مسيرة الأنبياء في مواضع كثيرة، قال تعالى: "قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا" الكهف: ٦٣، والذي نسي وأنساه الشيطان هو فتي موسى عليه السلام وهو يوشع بن نون نبي من أنبياء بني إسرائيل ووصي موسى عليه السلام الذي فتح الأرض المقدسة، ومع هذا فلا بد من ملاحظة أن الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء محط نظره، فحتى ما يحصل بسبب هذه الظلمة يكون في النتيجة سبباً يوصلهم: "وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا" فأصبح نسيان الخوت سبباً دلهم على العالم عليه السلام: "قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا" الكهف: ٦٤، أوزيد علمهم: "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ" ص: ٢٤، فبعد أن تعلم داود عليه السلام من هذه الحادثة أن لا يتكلم إلا بعد أن يسمع الخصمين خاطبه تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" ص: ٢٦.

ثم استفاد يوسف عليه السلام من هذه الحادثة قبل وبعد خروجه من السجن وهو في مسيرته التكاملية إلى الله: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ". إذن، يوسف عليه السلام يقول: "يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ"، فالذي أخرجه من السجن الله فقط لا غير، والذي جاء بأهله إلى مصر الله فقط لا غير، عني يوسف عن الأسباب ولم يعد يرى إلا مسبب الأسباب، فمن "اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ" إلى أن الله فقط هو الذي (أَحْسَنَ بِي، أَخْرَجَنِي، وَجَاءَ بِكُم)، لم يعد يوسف يرى إلا الله، أما الملك الذي كان

سبباً في خروجه من السجن فلم يكن يوسف ليراه الآن، وهو الذي جاء بأهله من البدو ومع ذلك لا يرى نفسه، لقد انتقل يوسف عليه السلام إلى مرتبة أعلى وارتقى في ملكوت السماوات، لقد أصبح يوسف عليه السلام يرى بوضوح كامل أنه لم يصب خيراً قط إلا من الله، ولم يصرف عنه سوءاً قط أحد سوى الله.

إذن، يوسف عرف الحقيقة الآن، والذي يعرف الحقيقة يكون كحمامة الزاجل همها الرجوع إلى البيت الذي أُطلقت منه، وهكذا لم يكن دعاء يوسف عليه السلام في النهاية بعد أن آتاه الله الملك والعلم إلا ..... تَوَقَّيْ ..... "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ"، فلأن يوسف عرف الحقيقة يريد أن يعود إلى الحقيقة التي عرفها والتي خرج منها، (...) انتهى<sup>(١)</sup>.

### ما سرق إخوة يوسف وما كذب يوسف!

قال تعالى: "فَلَمَّا جَبَزَهُمْ بِيَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ \* قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ \* قَالُوا نَفَقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ \* قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ \* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ \* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ \* فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" يوسف: ٧٠ - ٧٦.

اتهام يوسف عليه السلام لإخوته بسرقة صواع الملك (= طاس الفضة بحسب النص التوراتي) وردت في إصحاح ٤٤ من سفر التكوين أيضاً.

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - إضاءة من السجن.

كيف اتهم يوسف عليه السلام إخوته بالسرقة على رؤوس الأشهاد: "أَدْنِ مُؤَدِّنْ"، والواقع أنهم لم يكونوا سارقين صواع الملك؟

الحقيقة، إنَّ يوسف عليه السلام كان صادقاً بفعله؛ لأنه كان يقصد "صواع الملك الإلهي" وهم فعلاً سرقوه؛ باعتبار أنهم سرقوا يوسف من أبيه <sup>(١)</sup>، لكن كيف؟

(عن صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل في يوسف: "أَيُّهَا الْعَبْرَانِ كُمْ لَسَارِقُونَ" قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا: ماذا تفقدون؟ قالوا نفقد صواع الملك، ولم يقولوا سرقتم صواع الملك، إنما عني إنكم سرقتم يوسف من أبيه) <sup>(٢)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن: (الحقيقة أنَّ يوسف عليه السلام لم يتهمهم، بل هو متيقن أنهم سارقون، وبالتحديد كما قال هو عليه السلام: صواع الملك، بل وكما بيَّن في قوله: "كُنْتُمْ كَاذِبِينَ" رداً على قولهم: "وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ"، والآن نعود إلى ما تقدم من مسيرة يوسف لنعرف ماذا أراد يوسف عليه السلام بالصواع، ومن هو الملك صاحب الصواع، وكيف أنَّ يوسف هو المخوَّل بالصواع والكيل به للناس دون غيره: "وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ"، أولو كان السؤال هكذا: ماذا سرق إخوة يوسف عليه السلام فيما مضى من مسيرته؟

ربما لا يصعب الآن معرفة أنَّ الصواع هو الولاية، أو قل خلافة الله في أرضه التي هي مقام أو منصب يوسف عليه السلام كونه وصي يعقوب عليه السلام، فقد سرقوا مقام يوسف عليه السلام ومنعوه أن يكيل للناس الهداية إلى الحق ومعرفة الحقيقة، أما صاحب الكيل الذي استخلف يوسف عليه السلام فهو الله سبحانه "الملك". إذن، فاتهام

١- (عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يوسف: "أَيُّهَا الْعَبْرَانِ كُمْ لَسَارِقُونَ"، قال: ما سرقوا وما كذب) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٢.

وهذا المعنى ذكره بعض أهل السنة كاحتمال، قال الجصاص: (وقال إنكم لسارقون ولم يسرقوا الصواع؟ قيل: لأنهم أخذوا يوسف فباعوه، فاستجاز أن يقول لهم: إنكم لسارقون) أحكام القرآن: ٣ / ٤٤٥.

٢- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٢.

يوسف عليه السلام لإخوته كان في مكانه، فهم سارقون وبالتحديد صواع الملك سبحانه وتعالى، وبالتحديد من يوسف عليه السلام المستخلف عليه) انتهى<sup>(١)</sup>.

### لماذا لم تكن النبوة في عقب يوسف؟

هذا الأمر ثابت دينياً في نصوص المسلمين، وقد علّته بعض النصوص بعدم نزوله وترجله لأبيه عندما قدم عليه إلى مصر<sup>(٢)</sup>.

وأما نصوص التوراة فلم تشر إلى السبب، واكتفت بذكر أن يعقوب عليه السلام في وصاياه الأخيرة قبل موته أشار إلى أن البركة ستكون في سبط يهوذا: "٨ يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ" سفر التكوين - إصحاح ٤٩. وفعلاً، شاء الله أن يأتي من نسله داود وسليمان عليهما السلام، ولهذا عرف سبط يهوذا بسبط الملك. بينما اختص الكهنوت "العلم الديني" وخدمة المعبد بذرية لاوي التي جاء منها موسى وهارون عليهما السلام، ولهذا عرف سبطه بسبط الكهانة.

لكن نفي النبوة والوصاية عن عقب يوسف عليه السلام (المؤكد في النصوص الدينية) لا يعني نفيها عن مطلق ذريته، وإنما يعني نفيها عن عقبه المباشر؛ بدلالة أن

---

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - القسم الثاني: إضاءة من قوله تعالى: "فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ...".

٢- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف عليه السلام ليستقبله، فلما رآه يوسف همّ بأن يترجل ليعقوب، ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك، فلم يفعل، فلما سلّم على يعقوب نزل عليه جبرئيل فقال له: يا يوسف إن الله تبارك وتعالى يقول لك: ما منعك أن تنزل إلى عبيد الصالح إلا ما أنت فيه أبسط يدك فبسطها فخرج من بين أصابعه نور، فقال له: ما هذا يا جبرئيل، فقال: هذا آية لا يخرج من صلبك نبي أبداً عقوبة لك بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٥.

(عن مروك بن عبيد، عن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يوسف عليه السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عز الملك، فلم ينزل إليه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا يوسف أبسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصارت في جو السماء، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟ فقال: نزع النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي) الكافي، الكليني: ٣١١ / ٢ - ٣١٢.

يوشع بن نون (وصي موسى) مثلاً كان من ذرية يوسف، كما هو الثابت في نسبه بحسب النصوص الدينية والتاريخية<sup>(١)</sup>.

فمثلاً: التوراة (سفر العدد - إصحاح ١٣) ذكرت ذلك؛ إذ أوضحت أنّ نسب "يوشع = هوشع، يشوع" يرجع إلى إفرايم بن يوسف: "٨ مِنْ سِبْطِ أَفْرَايِمَ هُوشَعُ بْنُ نُونَ".

وبحسب (سفر أخبار الأيام الأول) فإنّ يوشع بن نون هو أحد أحفاد أحفاد نبي الله يوسف؛ إذ يفصل بين الحفيد وجده عدة أجيال<sup>(٢)</sup>.

### سرعة وتأخير الاستغفار بين يوسف ويعقوب:

أبناء يعقوب أقرّوا بخطئهم مع أخيم يوسف عليه السلام فطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم فقال لهم: "سوف أستغفر لكم ربي"، قال تعالى: "قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" \* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" يوسف: ٩٧-٩٨. لكنهم لما طلبوا من أخيم يوسف العفو قال لهم مباشرة: "لا تثريب عليكم"، قال تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ" \* قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" يوسف: ٩١-٩٢. فما وجه ذلك؟

أوضح الإمام الصادق السبب في سرعة استجابة يوسف وتأخر استجابة يعقوب، وخلاصته: أنّ قلب الشاب أرقّ، ولأن يوسف عفا عن حقه ولم يتعلق الأمر بحق غيره كما في حالة يعقوب<sup>(٣)</sup>.

١- انظر: نواذر المعجزات، الطبري "الشيعة": ١٢؛ بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٣٧٢؛ مستدرک سفينة البحار، النمازي: ٥ / ١٩٥؛ فتح الباري، ابن حجر: ٦ / ٣٠٦؛ عمدة القاري، العيني: ٢ / ٦٣؛ الديباج على مسلم، السيوطي: ٥ / ٣٦٤؛ المعارف، ابن قتيبة: ٤١.

٢- انظر: (سفر أخبار الأيام الأول - إصحاح ٧، العدد: ٢٠ - ٢٧).

٣- (عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه: "يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي" فأخّر الاستغفار لهم، ويوسف عليه السلام لما قالوا له: "تالله لقد أتركنا الله علينا وإن كنا لخاطئين، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"، قال: لأن قلب الشاب أرقّ من قلب الشيخ، وكانت جنابة ولد يعقوب على يوسف،



### سجود يعقوب وأبنائه ليوسف عبادة لله:

قال تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" يوسف: ٤، وقال: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" يوسف: ١٠٠.

النص التوراتي (سفر التكوين بالخصوص) أشار لرؤيا يوسف في صغره: "٩ ثُمَّ حَلُمَ أَيضًا حُلُمًا آخَرَ وَقَصَّهِ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حُلُمْتُ؟ حُلُمًا أَيضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةً لِي». ١٠ وَقَصَّهِ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هَذَا الْحُلْمُ الَّذِي حُلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الْأَرْضِ؟» ١١ فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الْأَمْرَ" سفر التكوين - إصحاح ٣٧.

لكنه لم يذكر سجود يعقوب ليوسف، بينما ذكر سجود إخوته له ثلاث مرات: الأولى: عند وصولهم لمصر: "٦ فَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ" سفر التكوين - إصحاح ٤٢. والثانية: عند إحصارهم بنيامين: "٢٦ فَلَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي فِي أَيَادِيهِمْ إِلَى الْبَيْتِ، وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الْأَرْضِ." سفر التكوين - إصحاح ٤٣. والثالثة: بعد وفاة أبيهم يعقوب حيث ذهبوا إليه وسجدوا أمامه: "١٨ وَآتَى إِخْوَتُهُ أَيضًا وَوَقَعُوا أَمَامَهُ وَقَالُوا: «هَذَا نَحْنُ عِبِيدُكَ»" سفر التكوين - إصحاح ٥٠.

أعود للنص القرآني، فأقول: واضح أن الأحد عشر كوكباً هم إخوة يوسف، أما الشمس والقمر فهما يعقوب وأم يوسف راحيل، ويوسف في رؤياه رآهم ساجدين له.

---

وجناباتهم على يعقوب إنما كانت بجناباتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقه، وآخر يعقوب العفو لأن عفوهم إنما كان عن حق غيره، فأخبرهم إلى السحر ليلة الجمعة) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٤.

السجود ليوסף لا يعني اتخاذه رباً ومعبوداً، وإنما سجود يعقوب وأبنائه ليوסף كان عبادة لله؛ تماماً كسجود الملائكة لآدم<sup>(١)</sup>.

يبن السيد أحمد الحسن في كتابه "إضاءات من دعوات المرسلين - الجزء الثالث" حقيقة السجود، وهذه بعض الملاحظات التي وردت في كلامه:

١- السجود يُراد منه الخضوع والتذلل والطاعة للمسجود له، وأبرز مظاهره وضع الجبهة على الأرض وله مظاهر أخرى، وبالتالي فالإنسان الخاضع المتذلل لله هو ساجد له في كل أحواله ولو كان قائماً أو ماشياً، بخلاف الإنسان غير الخاضع وغير المطيع لله فهو لا يعد ساجداً لله ولو وضع جبهته على الأرض.

٢- إذا أمر الله سبحانه بالسجود لجهة معينة (كالكعبة، أو ولي من أوليائه كما حصل مع آدم و يوسف عليهما السلام)، بالتأكيد يجب على العبد الامتثال والطاعة، وأمر الله بالسجود يكشف عن أنّ المسجود له أصبح قبلة العباد إلى الله؛ سواء كان قبلة لأجسامهم كما في الكعبة أو قبلة لأرواحهم كما في أولياء الله، ومن لا ينصاع للأمر ويرفض السجود يعد متكبراً كإبليس لعنه الله الذي رفض السجود لآدم واتخاذه قبلة لله.

وبخصوص سجود يعقوب وأبنائه ليوסף، قال السيد أحمد الحسن:

---

١- (عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: "ورفع أبويه على العرش" قال: العرش السرير، وفي قوله: "وخزوا له سجداً" قال: كان سجودهم ذلك عبادة لله) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢/ ١٩٧.

(عن يحيى بن أكثم: قال سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على أبي الحسن عليه السلام فكانت إحداها: أخبرني عن قول الله عز وجل ورفع أبويه على العرش وخزوا له سجداً سجد يعقوب وولده ليوסף وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: أما سجود يعقوب وولده ليوסף فإنه لم يكن ليوסף وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله وتحية ليوסף كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم إنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده وسجد يوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت: "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين"، .....) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(..... فيوسف عليه السلام بعد أن رفع أبويه على العرش سجدوا له وتحققت الرؤيا، أي إن يوسف عليه السلام بعد أن بيّن مقام والديه وكونهما أصحاب الحق بالملك الإلهي والعرش الربّاني، خرّوا له سجداً؛ إعظماً لمقامه واعتراضاً بأنّ يوسف عليه السلام هو خليفة الله وحجته على عباده، فالسجود ليوسف عليه السلام كونه قبلة إلى الله، فبه يعرف الله، والسجود ليوسف عليه السلام أي طاعة يوسف والائتمار بأمره هو طاعة الله، قال الصادق عليه السلام: "كَانَ سُجُودُهُمْ ذَلِكَ عِبَادَةً لِلَّهِ".

ويجدر الالتفات إلى أنّ يعقوب عليه السلام نبي ولم يسجد ولم ينصاع لطاعة يوسف عليه السلام إلا بأمر الله، كما أنّ الملائكة سجدوا لآدم وانصاعوا لطاعته بأمر الله، وكما انصاع أبوطالب عليه السلام لطاعة ابن أخيه وربيبه محمد صلى الله عليه وآله لما بعث، مع أنّ أبا طالب عليه السلام وصي من أوصياء إبراهيم عليه السلام، وكان الحجة من الله على محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يُبعث، وكما سجد يحيى عليه السلام وهو في بطن أمه إلى عيسى عليه السلام وهو في بطن أمه، وليس في هذا شرك كما يتوهم من يجهل الحقيقة، لأننا نسجد إلى الكعبة وهي حجر؛ لأن الله أمرنا بذلك، فماذا تريدون أن يفعل الملائكة إذ أمرهم الله أن يسجدوا لآدم ويجعلوه قبلتهم إلى الله، وآدم نبي وهو الطريق لمعرفة الله! وكذا ماذا تريدون من يعقوب عليه السلام أن يفعل إذ أمره الله أن يسجد ليوسف عليه السلام ويجعله قبلته إلى الله! هل تريدون من يعقوب عليه السلام وهو نبي أن يعصي أمر الله ويخضع لثلة من الأعراب العجاف (الوهابيين وأشباههم) الذين لم يفقهوا آية من كتاب الله، وهم يصرخون: هذا شرك هذا شرك؟! فأين أنتم من تسليم أصحاب رسول الله لما بدّل الله القبلة، فبمجرد أن أدار رسول الله وجهه داروا وجوههم معه) انتهى (١).

٣- سجود يعقوب ليوسف بأمر الله واتخاذة قبلة لله يكشف عن أنّ مقام يوسف عند الله أعلى من مقام أبيه يعقوب، وكانت رؤيا يوسف تذكري له ولأبيه بهذه الحقيقة، فيوسف هو وصي أبيه والحجة من بعده.

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - إضاءات من رؤيا يوسف.

٤- نبي الله يعقوب نهى ولده يوسف عن أن يقص رؤياه على إخوته، والنهي له سبب بالتأكيد يتمثل بإبعاد الحسد عن ساحتهم، وفعله - في نفس الوقت - يؤكد أهمية الرؤيا ودورها في تشخيص مصداق حجة الله، فلأنهم أبناء نبي وكانوا يعيشون في بيئة دينية رسالية كانوا سيعرفون بمنزلة يوسف وفضله عليهم وأنه الحجة بعد أبيه بمجرد سماعهم بالرؤيا، وفي هذا رد على جميع المستخفين والمستهنئين بقدر الرؤيا!

في قوله تعالى: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" يوسف: ه، يقول السيد أحمد الحسن:

(هذه الآية تبين أنَّ الإنسان مفطور على الانجذاب إلى عالم الملكوت والرؤيا من هذا العالم القدسي، فالإنسان مفطور على تقبُّل الرؤيا وتصديقها والتفاعل معها، بل الرؤيا في كثير من الأحيان عبارة عن إخبار غيبي عما سيحصل في المستقبل، وهذا نراه في واقعنا، كما نراه ذكر في القرآن والتوراة والإنجيل، فكل ما حصل في الملكوت حصل في الأرض. فإخوة يوسف إذا قص عليهم الرؤيا سيعلمون أنه خليفة الله ووصي يعقوب عليه السلام دونهم، وربما تعاد قصة ابني آدم لذا حذَّر يعقوب عليه السلام يوسف عليه السلام أن يقص الرؤيا على إخوته، لأنهم بهذا الخبر الآتي من ملكوت السماوات سيعلمون من حال يوسف عليه السلام ما يسعر الحسد في نفوسهم ويجعلهم غرضاً للشيطان ليستفزهم ببدائنه ويعدبهم ببدائنه.

لكن يعقوب عليه السلام الذي نهى يوسف عن قص الرؤيا أصبح شديد الاهتمام بيوسف عليه السلام، وكان هذا الاهتمام قرينة لله، لأن يوسف عليه السلام ولي من أولياء الله ووصي يعقوب عليه السلام، لكن هذا الاهتمام أمسى سبباً ليكون يوسف غرضاً لكيد إخوته: "إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" يوسف: ٨، فهم يرون أنهم أحق باهتمام يعقوب عليه السلام لأنهم أحق بخلافته من يوسف عليه السلام، ويرون أنَّ اعتماد يعقوب عليه السلام على الرؤيا في تحديد وصيه يوسف عليه السلام: "ضَلَالٍ مُبِينٍ"، فلم يكونوا ليصدقوا بالرؤيا لأنها خالفت أهواءهم ولذا قرروا: "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ" يوسف: ٩، قَوْمًا صَالِحِينَ: أرادوا أنهم يكونون أوصياء يعقوب عليه السلام وخلفاء الله في أرضه، فهنا تكررت قصة الحسد الأولى على هذه الأرض، قصة ابني آدم.

وكذلك: يوسف هو وصي الإمام المهدي عليه السلام وابنه، وإخوته هم علماء دين ..... فكل ما جرى ليوسف يجري للمهدي الأول وصي الإمام المهدي عليه السلام واليماني الموعود.

"قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ" يوسف: ١٠. وهذه الآية تكررت مع عيسى عليه السلام فلما أراد علماء اليهود لعنهم الله قتله اعترض عليهم أحدهم "قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا عِيسَى .....") انتهى (١).

حادثة سجود يعقوب وبنيه ليوسف يمكن تأويلها بقائم آل محمد ومهديهم ويوسفهم؛ باعتبار الشبه بين اليوسفين في السنن والأحداث وغير ذلك كما سيتضح بالتفصيل بعد قليل. وعليه، فالشمس والقمر والكواكب هم أبأوه الطاهرون صلوات الله عليهم، ولما دلت النصوص القطعية على أنهم أفضل منه مقاماً فيكون معنى السجود – والحال هذه – هو التمهيد، أي: أنهم يمهّدون له ولإقامة العدل وإنصاف المظلوم الذي يتحقق على يديه، وهذا ما يفسّر كثرة بشاراتهم به وإخباراتهم عنه وعن كل ما يتصل بحركته ودعوته وعلاماته ... إلخ.

يقول السيد أحمد الحسن عن تأويل الآية: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" بيوسف آل محمد "القائم":

(... فيكون هنا الشمس محمداً صلى الله عليه وآله والقمر علياً عليه السلام والأحد عشر كوكباً هم الأئمة عليهم السلام من ولد علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، وهم: الحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن ومحمد، وسجودهم بمعنى أنهم يمهّدون للقائم ولإقامة العدل وإنصاف المظلوم، وبالأخص أخذ حق صاحبة المظلومية الأولى والأعظم منذ خلق الله الخلق وإلى أن تقوم الساعة. ....

فالكل يمهّد للوارث أو القائم شاءوا أم أبوا، فالشمس والقمر والنجوم يمهّدون للقائم، وأيضاً من حق عليه العذاب يمهّد للقائم؛ وكلٌّ بحسبه. فحركة الخلق ومسيرتهم

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث – إضاءة من فاتحة سورة يوسف.

العامة هي تمهيد للقائم الذي ينصف المظلومين، وإن كان أكثر الخلق يجهلون هذا، ..... انتهى<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة لموقف أهل السنة من السجود المذكور في قصة يوسف عليه السلام، فقد اختلفوا فيه، فبعضهم قال إنه سجد تحية أي كالانحناء الذي يحصل للملوك، وقال آخرون بأنه سجد بمعنى وضع الجبهة على الأرض، وبعضهم قال إن السجود كان لله وليس ليوسف، فالمسألة عندهم غير واضحة<sup>(٢)</sup>.

### بين يوسف آل يعقوب وقائم آل محمد:

المشروع الرسالي الختامي الذي يمثله الرسول محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أمر لاحظناه بشدة ووضوح في رسالة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وأوصيائه سواء من جهة ولده إسماعيل أو من جهة ولده إسحاق وأوصيائه وصولاً إلى يوسف الصديق الذي أكدت النصوص الواردة عن آل محمد الأوصياء الشبه الكبير بين سيرته وبين سيرة مهدي آل محمد وقائهم صلوات الله عليه.

وجوه الشبه بين اليوسفين كثيرة، منها:

- ١- إنَّ الله أصلح (ويصلح) أمر كل منهما بأحداث متسارعة وفي ظرف غير متوقع، فيوسف مكّن الله له في وقت كان فيه عبداً سجيناً ... إلخ، وورد عن القائم أنَّ الله يصلح أمره في ليلة<sup>(٣)</sup>!

---

١- التوحيد، السيد أحمد الحسن: ملحق - ٥.

٢- ذكر الثعالبي اختلافهم في تفسير السجود في قوله تعالى: "خروا له سجداً"، قال: ("خروا له سجداً": أي: سجود تحية، فقيل: كان كالسجود المعهود عندنا من وضع الوجه بالأرض. وقيل: بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة تحياتهم للملوك في ذلك الزمان، وأجمع المفسرون، أنه كان سجود تحية لا سجود عبادة، وقال الحسن: الضمير في "له" لله عز وجل، ورد هذا القول على الحسن) تفسير الثعالبي: ٣/ ٣٥٢.

٣- عن الإمام الباقر صلوات الله عليه: (إنَّ صاحب هذا الأمر فيه سنة من يوسف ابن أمة سوداء، يصلح الله عز وجل أمره في ليلة واحدة) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٢٩.

- ٢- السجن والغيبية، فكلتا الحجتين يتعرّضان لذلك<sup>(١)</sup>.
- ٣- الحسد، فقد تعرّض يوسف لحسد إخوته وأذاهم، ومثل ذلك يحصل لقائم آل محمد من قبل إخوته (رجال الدين في زمانه)<sup>(٢)</sup>!
- ٤- دليل الصدق، فقد رأينا محورية الرؤيا في دعوة يوسف وإثبات حقه وصدقه فهو رأى رؤيا وكذلك السجين والملك وأيضاً هناك غيرهم، ولهذا ركّزت سورة يوسف على يوسف بوصفه نبياً (ارتباطه بالله) لا بوصفه رسولاً إلى الناس (ارتباطه بالناس)<sup>(٣)</sup>، وكذلك الحال عند بعثة قائم آل محمد، إذ سيكون للرؤيا دور كبير لإثبات حقه وصدقه<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً: الشبه بينهما يتعدّى إلى "المتاع" أيضاً، قال يوسف: "مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَطَالُمُونَ" يوسف: ٧٩، فما هو متاع يوسف الحقيقي؟

---

١- (عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: في صاحب هذا الأمر سنة من أربعة أنبياء: .... قلت: فما سنة يوسف؟ قال: السجن والغيبية) الغيبة، النعماني: ١٦٨.

تنبيه: من المعلوم أنّ الإمام المهدي محمد بن الحسن صلوات الله عليه لا يسجن، فالمقصود إذن ابنه ووصيه "المهدي الأول" الوارد ذكره في وصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله ليلة وفاته باسم "أحمد"، انظر: الغيبة، الطوسي: ١٥٠ - ١٥١.

٢- الروايات في ذلك كثيرة، منها: (عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ في القائم سنة من يوسف قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته، قال لي: وما تنكر من هذه الأمة أشباه الخنازير أن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا بيوسف وباعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم يوسف: أنا يوسف فما تنكر هذه الأمة الملعونة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته لقد كان يوسف أحب إليه من ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد الله عز وجل أن يعرف مكانه لقدّر على ذلك والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله أن يفعل بحجته ما فعل بيوسف وأن يكون يسير في أسوأهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا: إنك لأنت يوسف، قال: أنا يوسف وهذا أخي) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٤٤.

٣- انظر: إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - إضاءة من فاتحة سورة يوسف.

٤- عن البيزنطي، قال: (سألت الرضا عليه السلام عن مسألة الرؤيا، فأمسك ثم قال عليه السلام: إننا لو أعطيناكم ما تريدون لكان شراً لكم وأخذ برقية صاحب هذا الأمر عليه السلام) قرب الإسناد، الحميري: ٣٨٠.

يقول السيد أحمد الحسن: (لماذا استعاذ يوسف بالله أن يأوي إليه أحدهم؟ وما هو متاع يوسف؟ ولو كان يوسف استعاذ بالله أن يأخذ إلا من كان عنده السقاية "الكيل" فإنه أكد اتهام بنيامين بأنه سارق بهذا الكلام مع أن بنيامين لم يكن سارقاً. فالحق، إن متاع يوسف عليه السلام شيء آخر غير السقاية والكيل، بل هو الولاية لولي الله والاعتراف بحاكمية الله والسجود لخليفته في أرضه، ولم يكن موجوداً إلا في قلب بنيامين؛ لأنه لم يكن معهم أصلاً، ولم يشترك في جريمة اغتصاب مقام يوسف عليه السلام، فهو يقر لأخيه يوسف عليه السلام بأنه خليفة الله في أرضه. إذن، فمتاع يوسف موجود في قلب بنيامين؛ لأن متاع يوسف عليه السلام هو الدين والإيمان الحقيقي.

وكذلك المهدي القائم عليه السلام يقول: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، ومتاع المهدي القرآن، فهو ينتقي أصحابه وأنصاره ممن حملوا القرآن في قلوبهم، فلأنهم حملوا متاع المهدي ولم يرضوا أن يكونوا شركاء في جريمة إقصاء القرآن وصاحبه المهدي، استحقوا أن يكونوا أصحاب وأنصار المهدي، ولم ولن يكون حملهم هذا هيناً أو خفيفاً في مجتمع جاهلي، أجمع علماؤه غير العاملين وجّهاله على طرد أو قتل أو إلقاء يوسف آل محمد المهدي عليه السلام في الحب. ....

فيوسف أوى إليه أخاه بنيامين وقرّبه منه؛ لأن متاع يوسف في قلب بنيامين، والآن إخوة يوسف عليه السلام حملوا متاع يوسف في قلوبهم وسجدوا مع الساجدين، وفشل إبليس لعنه الله في الاستمرار بغوايتهم. فالنتيجة، أن يوسف آواهم إليه؛ لأن متاعه أصبح الآن عندهم وفي قلوبهم بعد أن اعترفوا بحق يوسف وبخطيئتهم: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ" (يوسف: ٩٢) انتهى<sup>(١)</sup>.

ولأن سيرة يوسف عليه السلام وما جرى معه تعاد في زمان مهدي آل محمد وقائهم صلوات الله عليه كان في سورة يوسف آيات للسائلين (من يسألون الله الكمال وتمام العقل)، وعلى رأسهم أنصار القائم بلا شك؛ طالما أن سيرة الحجتين الإلهيين متشابهة.

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - القسم الثاني: إضاءة من قوله تعالى: "قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متعنا عنده".



يقول السيد أحمد الحسن: (متى تلتفتون إلى آيات الله: "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ" يوسف: ٧، الآن التفتوا فإنَّ في قصة يوسف آيات للسائلين، سائلين الله تمام العقل، في سورة يوسف ذُكرت النبوة وليس الرسالة كما بَيَّنْتُ، فسورة يوسف في مقام بيان المواجهة بين العبد وربِّه، بين الرسول وربِّه، وليست في مقام بيان مواجهة الرسول مع الناس، فهي في بيان النبوة لا في بيان الرسالة، ولذلك فهي آيات لسائلين الله تمام العقل، آيات لأولياء الله، آيات لأصحاب القائم عليه السلام، آيات للسائرين إلى الله، آيات في طريق الله لسائلين الله الهداية، وقد بيَّن تعالى في أول سورة يوسف: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" يوسف: ٢، أي ترتقون إلى السماء السابعة الكلية سماء العقل فتتم عقولكم. ولا يُبعث نبي حتى يتم عقله، ويمسح القائم عليه السلام ... على رؤوس أصحابه فتتم عقولهم، أي يمسح على رؤوسهم بالعلم وتتم عقولهم إذا عملوا بهذا العلم وارتقوا في ملكوت السماوات إلى السماء السابعة) انتهى<sup>(١)</sup>.

الحق، إنَّ قصة يوسف وما جرى مع يوسف يمكن أن يكون عظة وعبرة بالغة لطلاب الحق في زمن الظهور المقدس وبعث مهدي آل محمد؛ نتيجة التشابه بين الرسولين واليوسفين كما عرفنا. ولهذا، يقول السيد أحمد الحسن عن الآية: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" يوسف: ١١١ وعن قصة يوسف عموماً:

(فلم تكن هذه القصة التي سمّاها الله بأحسن القصص إلا "تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ"، أي تصديق الذي سيأتي بين يدي محمد صلى الله عليه وآله، أي في المستقبل بعد محمد صلى الله عليه وآله، وهو يوسف آل محمد.

ولم يكن في هذه الرؤى والقصة تفصيل بعض الأمور التي تخص يوسف آل محمد، بل إنَّ فيها "تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ"، وبالتالي فإنَّ هذه القصة ستكون "لِأُولِي الْأَلْبَابِ" و"لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"، لا لمن سواهم في زمن ظهور يوسف آل محمد القائم المهدي "هُدًى وَرَحْمَةً".

---

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - إضاءات من فاتحة سورة يوسف.

فهؤلاء سيرون بنور الله أَنْ زليخا (امراة العزيز) هي الدنيا والملك الدنيوي ستقبل على آل محمد وعلى يوسف آل محمد <sup>(١)</sup>، ولكنه لا يرضاها إلا بالطريق والسبيل الذي يريده الله، وهو التنصيب الإلهي وحاكمية الله. وسيكون رفض يوسف آل محمد للزنا والطريق غير المشروع عند الله (حاكمية الناس) سبباً لعنائه في بادئ الأمر، كما كان رفض يوسف عليه السلام للزنا سبباً لسجنه) انتهى <sup>(٢)</sup>.

### إخوة يوسف نموذج للتحول بين حالين:

قال تعالى: "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ" يوسف: ١٣.

الحق، إنَّ يعقوب عليه السلام لم يكن يخشى على ابنه يوسف من الذئب (الحيوان المعروف) وحسب، ولكنه يخشى عليه أيضاً من النفوس التي تستعربصورة حسد مقبت يتحول معه الإنسان إلى وحش كاسر كالذئب تماماً. وفعلاً، ما خاف منه يعقوب حدث، إذ جسد أبناؤه حسدهم لأخيم برميهم في جب مظلم بقصد القضاء عليه ليطفئوا بذلك النار المشتعلة في دواخلهم ونفوسهم التي لم تطق أن ترى من هو أفضل منهم ولو كان أخاهم الذي يحظى بمحبة أبيهم، لذلك صمّموا على سرقة من أبيهم!

يقول السيد أحمد الحسن: (فلما ألقوه في الجب بين لهم يعقوب هذا الذئب الذي أكل يوسف: "قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" يوسف: ١٨، وفي الجب رأى يوسف عليه السلام أَنَّ هذه الذئاب سيهذيها الجوع وستأتيه خاضعة: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ" البقرة: ١٥٥، رأى يوسف في الرؤيا هذه الذئاب تتخضع بين يديه: "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفٍ لَنَا

١- قال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه: (لتعطفن علينا الدنيا بعد شماسها عطف الظروس على ولدها، ثم تلا هذه الآية: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ") نهج البلاغة: خطبة ٢٠٩، بحار الأنوار، المجلسي: ٥١ / ٦٤.

٢- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - قصة يوسف عبرة في زمن الظهور المقدس.

الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" يوسف: ٨٨، وهو يذكرهم أنهم كانوا الذناب التي أكلته من قبل: "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" يوسف: ١٥، "قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ" يوسف: ٨٩، لا تذكرون الله، غافلون عن ذكر الله وهذه آية للسانين، فإذا اجتمع الجهل والغفلة أمسى الإنسان ذنباً متوحشاً لا يعرف الرحمة، فيعقوب يخاطبهم: "وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ"، ويوسف يخاطبهم: "إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ"، ويوسف الوصي النبي المرسل ماذا يكون رده على إخوته الذين حسدوه وأرادوا قتله؟ "قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" يوسف: ٩٢. إنه كرد هابيل ابن آدم أول وصي مقتول على من أراد قتله: "لَئِنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" المائدة: ٢٨، وكرد موسى عليه السلام على السامري الذي أراد قتل هارون وموسى عليهما السلام<sup>(١)</sup>: "قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ" طه: ٩٧. قصة كل مرة تتكرر، فهل من متذكر، وهل من معتبر إن "فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" يوسف: ١١١.

وبعد الجريمة يأتي الإعلام ليقطب الحقائق، وربما يجعل من القاتل مقتولاً ومن المقتول قاتلاً: "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ".

ولم يكتفِ الذنب البشري بإلقاء يوسف عليه السلام في الجب وتزوير الحقائق، بل ذهب في التنكيل بيوسف إلى أبعد من هذا، فلما أخرجه أهل القافلة من الجب وفرحوا به جاءهم الذنب، وقال هذا عبدي، ولم يقل إخوة يوسف عن يوسف إنه عبدنا ليبيعوه ويحصلوا على المال من أهل القافلة، بل للتنكيل بيوسف وتسليمه إلى الرق والعبودية، فهم باعوه بثمان بخس دراهم قليلة، وذلك لأنهم زاهدون فيه يريدون الخلاص منه بكل صورة، ويريدون أن يجعلوه عبداً مملوكاً بكل طريقة "وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" انتهى<sup>(٢)</sup>.

١- باعتبار أنه أراد قتل قضية موسى عليه السلام لما أضل بني إسرائيل، بل أراد ومن معه قتل هارون وصي موسى عليه السلام.

٢- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - إضاءات من الجب.

وبالرغم مما عمله إخوة يوسف بيوسف، لكنهم تابوا توبة نصوحاً في نهاية الأمر فغفر الله لهم، بل واستمرت النبوة في ذرية بعضهم مثل "لاوي" فمن ذريته جاء موسى الكليم صلوات الله عليه، ومثل "يهودا" الذي جاء من ذريته داود وسليمان<sup>(١)</sup>.

وعن بيان معنى الأسباط "إخوة يوسف" ومقامهم، وهل أنهم حجج لله أم لا، يقول السيد أحمد الحسن:

(لم يكن أخوة يوسف حججاً، والسبط هو الامتداد، وامتداد الإنسان وبقاؤه في هذه الحياة بذريته، فالسبط هو الحفيد أو ولد الولد أو ولد البنت) انتهى<sup>(٢)</sup>.

### رسالة يوسف في مصر، لماذا؟

بعد بعثة آدم صلوات الله عليه، وبمرور الوقت، تواجد خطان يسيران بشكل متزامن وبنحوين متضادين على الدوام؛ خط رسل الله (أصحاب الملك الإلهي الحقيقي)، وخط

١- (عن الحسن بن أسباط قال: سألت أبا الحسن (الكاظم) في كم دخل يعقوب من ولده على يوسف؟ قال: في أحد عشر ابناً له، فقليل له: أسباط، قال: نعم. وسألته عن يوسف وأخيه أكان أخاه لأمه أم ابن خالته؟ فقال: ابن خالته) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٩٧.

وعن الإمام الكاظم صلوات الله في حديث سجود يعقوب وأبنائه ليوسف، قال: (... أما سجود يعقوب وولده ليوسف فإنه لم يكن ليوسف وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله وتحية ليوسف كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم إنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده وسجد يوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت: "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين"، فنزل جبرئيل فقال له: يا يوسف اخرج يدك فأخرجها فخرج من بين أصابعه نور، فقال: ما هذا النور يا جبرئيل؟ فقال: هذه النبوة أخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم لأبيك فحط الله نوره ومعى النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوي أخي يوسف وذلك لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال: "لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب" فشكر الله له ذلك، ولما أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه قال: "لن أبرح الأرض حتى يآذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين" فشكر الله له ذلك، فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي وكان موسى من ولد لاوي وهو موسى بن عمران بن مهصر بن هاث بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٥٦ - ٣٥٧.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

أدعياء الباطل الذين يدعون الملك الإلهي (على مستوى النبوة أو الرسالة أو الإمامة) كذباً وزوراً، والغريب أن غالبية الناس تتبع دائماً هذا الخط الباطل؛ الأمر الذي يزيد مهمة الرسل صعوبة وتعقيداً بكل تأكيد.

وفي زمن يوسف عليه السلام، كانت أرض مصر تضم أخطر هؤلاء المدعين وهم الفراعنة الذين يدعون أنهم السلاسة الأحق بالملك من ذرية آدم، بل بعضهم ادعى الألوهية وأنه فوق مستوى البشر، ولهذا كان لابد من مواجهة هذا الانحراف الخطير.

يقول السيد أحمد الحسن: (..... ولهذا نُقل يوسف عليه السلام إلى مصر ليواجه هؤلاء المدعين، ويبين الحق ويفضحهم ويمهد الطريق لقائم آل إبراهيم موسى عليه السلام، وقد نجح يوسف عليه السلام نجاحاً عظيماً وكبيراً لا نجد نتائجه في عصر يوسف وعند عامة الناس فقط، بل نجد نتائجه المباركة بعد مئات السنين في عصر موسى وفي قصر فرعون بالذات، وهذا مؤمن آل فرعون في عصر موسى عليه السلام وهذا خطابه: "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ" غافر: ٣٤.

إذن، يوسف عليه السلام نُقل إلى مصر ليحقق مهمة إلهية كبرى، فمكان بعثة يوسف عليه السلام مصر التي كانت تمثل مركز دعوة الشيطان في ذلك الزمان، وعندما تُحارب العدو في عقرداره وتنتصر فهذا يدل على القوة والهيمنة التي تملكها، وهي قوة وهيمنة الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، القادر أن يجعل يوسف عليه السلام الصبي الصغير يهدم مملكة الشيطان ويسيطر عليها، ويهدي الكثير من أهلها إلى الحق، فهو في مصر يخاطب أهلها - الذين يتبعون الفرعون ويعتبرونه خليفة الله في أرضه، بل ممثل اللاهوت في الأرض - بهذا الخطاب: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ".

ومع أن الثابت والمعروف تاريخياً أن الفراعنة لعنهم الله كانوا يروجون للعالم الآخر ووجوده، ولكن في الحقيقة لم يكن ترويجهم عن إيمان ويقين بالآخرة، بل كانوا يروجون له على أنهم أسياده وملوكه وحكامه، ولن يكون نصيب فيه إلا لمن يتبعهم ويشايعهم، ولهذا يوسف عليه السلام يبين هذه الحقيقة بكل وضوح، أنهم "لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"، وأنهم "بِالْآخِرَةِ

هُمْ كَافِرُونَ"، فهم يدعون الإيمان لينتفعوا به دنيوياً ويهيمنوا من خلال ادعائهم على الناس بالخداع والدجل.

ثم إن يوسف عليه السلام لا يكتفي بفضح المدعين والدجالين، بل يُبين أصحاب الحق لأهل مصر وأيضاً بكل وضوح ويسمهم بأسمائهم، بل ويُبين انتسابه لهم مع أن المفروض أنه غير معروف النسب بل صبي التقطه بعض السيارة: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" يوسف: ٣٨.

ويُبين يوسف عليه السلام العقيدة الحقة، وأنها عقيدته وعقيدة آبائه الأنبياء عليهم السلام: "مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ". ويستمر في فضح الفراعنة وأن ربوبيتهم ربوبية باطلة لا تنبع من ربوبية الله سبحانه وتعالى، ولا علاقة لها بربوبية الله سبحانه وتعالى: "يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" يوسف: ٣٩.

ثم يختم يوسف عليه السلام دعوته إلى الحق ببيان أصل دعوة أهل الباطل وعدم ارتباطها بالله سبحانه وتعالى: "مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف: ٤٠.....) انتهى<sup>(١)</sup>.

### ما سر قميص يوسف؟

قميص يوسف هو ثوبه، وبالتأكيد يوسف عليه السلام ليس لديه ثوب واحد وإنما عدة أثواب، وكل ثوب منها يصدق عليه أنه "قميص يوسف": باعتبار أن العبرة ليست في

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - القسم الثاني: إضاءة دعوة يوسف عليه السلام في مصر لماذا؟

نفس القميص، بل في يوسف نفسه وفي نقاء قلبه الذي لامس الثوب، ولهذا حصلت معه آيات عدة؛ منها: أنه صار سبباً بنجاة يوسف، وبرأته، وعودة بصر أبيه يعقوب<sup>(١)</sup>.

فما سرُّ هذا القميص لتتجلّى فيه هذه الآيات الإلهية؟

يقول السيد أحمد الحسن: (الحق، إنه قميص لامس ذاك القلب النقي الطاهر الملانكي الملكوتي، قلب يوسف عليه السلام الذي تلقى كلمات الله بالرؤيا الصادقة وكان يوسف عليه السلام صبيّاً صغيراً، وآمن هذا القلب الطاهر بكلمات الله ولم يكفرها.

إنّ كرامة هذا القميص هي أنه لامس قلب يوسف ليس إلا، هذا هو سر القميص، ففي كل تلك الآيات كان هذا القميص شاهداً عدلاً يشهد بنقاء قلب يوسف وطهارته، هذا القميص تكلم ولكن بالأفعال لا بالأقوال، .....

والآن، لنضع قميص يوسف هذا الجماد في مقابل أناس التصقوا بيوسف وعرفوا يوسف كما التصق وعرف القميص يوسف عليه السلام، ولنرى كم أنّ الناس كانوا ظالمين ليوسف وكم أنّ القميص كان منصفاً عادلاً مع يوسف عليه السلام، وكم خذل الناس يوسف وكم أعان وأغاث القميص يوسف عليه السلام، وكل مرة كان الناس والقميص يتبدّلون ولكن دائماً كان القميص ينصف ويعين يوسف وكان الناس يظلمون ويخذلون يوسف عليه السلام. لم يكن للقميص قصة كما كانت مع يوسف عليه السلام، فجدّير بنا أن نعرف ماذا أراد الله أن يخاطب الإنسان من خلال هذا القميص، ونتعلم من هذا الخطاب الإلهي الذي تجلّى في قميص يوسف في كل مرة وكل موقف.

ثم لماذا القميص بالذات وليس لباساً آخر لامس جسد يوسف عليه السلام؟! الحقيقة، لأن القميص كان إشارة واضحة لقلب يوسف عليه السلام، فكان الذي ينجي يوسف عليه السلام هو نقاء قلبه وإخلاصه لله سبحانه وتعالى، فكان الله في قلب يوسف،

---

١- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات في قوله عز وجل: "وجاءوا على قميصه بدم كذب" وقوله عز وجل: "إن كان قميصه قد من قبل - الآية" وقوله: "أذهبوا بقميصي هذا - الآية") الخصال، الصدوق: ١١٨.

وكَلَّمَ الناسَ بقميصِ يوسف عليه السلام. كان تعالى في كل تلك الآيات يقول أنا في قلب يوسف عليه السلام، والقميص مسني كما مس يوسف عليه السلام) انتهى<sup>(١)</sup>.

وسيأتي مزيد من التوضيح عن "القميص" وباقي موارِيث الأنبياء في بحث منفرد ضمن رسالة موسى صلوات الله عليه.

**ملاحظة:** قميص يوسف في نصوص العهد القديم يحظى بأهمية خاصة؛ إذ صورته بوصفه قميصاً مميزاً صنعه يعقوب لولده، وكان السبب في إيقاد شرارة الحسد في نفوس أبنائه تجاه أخيه: ٣٣ "وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لِأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا. ٤ فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ آبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَكَلِّمُوهُ بِسَلَامٍ" سفر التكوين - إصحاح ٣٧.

وفي نفس الوقت، لم تشر النصوص إلى أَنَّ القميص كان وسيلة في شفاء يعقوب وعودة بصره إليه، وبدلاً من ذلك ذكرت أَنَّ يوسف بعث بعجلات وهدايا وثياب لأبيه مع إخوته، ولما أبصر يعقوب العجلات التي بعثها يوسف لحمله إلى مصر انتعش وعادت إليه الحياة<sup>(٢)</sup>.

### وفاة يعقوب ويوسف:

سفر التكوين - إصحاح ٤٩ تضمن ذكر وصايا يعقوب الختامية لأبنائه وما تنبأ به بخصوص مستقبل أسباطه قبل وفاته. بينما ركز إصحاح ٥٠ من السفر نفسه على

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - القسم الثاني: إضاءة من قميص يوسف.

٢- (سفر التكوين - إصحاح ٤٥): ٢١ "فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَكَذَا. وَأَعْطَاهُمْ يُوسُفُ عَجَلَاتٍ بِحَسَبِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْطَاهُمْ زَادًا لِلطَّرِيقِ. ٢٢ وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خُلّاً ثِيَابًا، وَأَمَّا بَنِيَامِينَ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ مِئَةٍ مِنَ الْفِصَّةِ وَخَمْسَ خُلَلٍ ثِيَابًا. ٢٣ وَأَرْسَلَ لِأَبِيهِ هَكَذَا: عَشْرَةَ حَمِيرٍ حَامِلَةً مِنْ خَبْزَاتٍ مِصْرَ، وَعَشْرَ أَثْنِ حَامِلَةً جَنْطَةً، وَخُبْزًا وَطَعَامًا لِأَبِيهِ لِأَجْلِ الطَّرِيقِ. ٢٤ ثُمَّ صَرَفَ إِخْوَتُهُ فَأَنْطَلَقُوا، وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ». ٢٥ فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. ٢٦ وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». فَجَمَدَ قَلْبُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ. ٢٧ ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلَامٍ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلِهِ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. ٢٨ فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».



الحديث عن وفاة يعقوب وجنازته المهيبة، وتكرار غفران يوسف لأخوته، وختم النص بذكر وفاته برجاء العودة إلى أرض الميعاد.

### وفاة يعقوب:

بعد أن وصل مصر وبقي مع ولده يوسف سنتين - بحسب بعض النصوص - توفي الله نبيه يعقوب عليه السلام، فحمله ولده يوسف إلى بيت المقدس ودفنه فيها<sup>(١)</sup>. وقبل وفاته كان قد أوصى بنيه بالثبات على دين الله "الإسلام"؛ تماماً كما فعل جده إبراهيم صلوات الله عليه في وصيته:

قال تعالى: "وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ \* أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة: ١٣٢ - ١٣٣.

**تنبيه:** اجتماع يعقوب مع يوسف عليهما السلام يثبت إمكان اجتماع حجتين في زمان واحد، وله نظائر كثيرة في مسيرة الرسل كما رأينا سابقاً في اجتماع إبراهيم مع لوط عليهما السلام مثلاً، وستأتي له نظائر في تاريخ الرسالات الآتي أيضاً كاجتماع موسى وهارون عليهما السلام حيث نبحت المسألة هناك بتفصيل أكبر.

١- (عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر بعد ما جمع الله يعقوب شمله، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة؟ قال: عاش حولين، قلت: فمن كان يومئذ الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف؟ فقال: كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف، فلما مات يعقوب حمل يوسف عظام يعقوب في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس، ثم كان يوسف بن يعقوب الحجة) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٩٨.

### وصية يوسف وتبشيريه بموسى الكليم:

قال تعالى: "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" يوسف: ١٠١.

بعد أن مكن الله له في الأرض، وملكه على أرض مصر وبث رسالة الله كما أراد سبحانه، وبعد أن جمعه بأبيه وإخوته، وصل يوسف الصديق إلى خاتمة رسالته فدعا ربه أن يتوفاه ويلحقه بأبائه خشية من فتن الدنيا، فاستجاب له ربه <sup>(١)</sup>.

وعندما حضرته الوفاة جمع بني إسرائيل "يعقوب" وكشف لهم عما يصيبهم من شدة وبلاء يطالهم بعده، وأوصاهم وبشرهم بترقب وانتظار بعثة موسى "قائم بني إسرائيل" <sup>(٢)</sup>.

---

١- (عن عباس بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في أهل بيته إذ قال: أحب يوسف أن يستوثق لنفسه، قال: فقيل: بماذا يا رسول الله؟ قال: لما عزل له عزيز مصر عن مصر لبس ثوبين جديدين - أوقال: نظيفين - وخرج إلى قفلة من الأرض فصلى ركعتين، فلما فرغ رفع يده إلى السماء فقال: "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة" قال: فهبط إليه جبرئيل فقال له: يا يوسف ما حاجتك؟ فقال: "رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين" فقال أبو عبد الله عليه السلام: خشي الفتن) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٩٩.

٢- هذه بعض النصوص المؤكدة لذلك:

- (عن سعيد بن جبير، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه ثم حدثهم بشدة تنالهم، يقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبال وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طوال، ونعته لهم بنعته، فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم .....) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٤٥.

- (عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران عليه السلام، غلام طوال جعد آدم. فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى) المصدر السابق: ١٤٧.

## نقل رفات يوسف من مصر إلى بيت المقدس:

كما أوصى آدم عليه السلام إلى ولده نوح عليه السلام أن يقوم بنقل رفاتة معه في السفينة وقام فعلاً بحمله معه ودفنه في الغري من أرض النجف كما رأينا سابقاً، كذلك أوصى يوسف بنقل رفاتة من أرض مصر إلى بيت المقدس، وهذا ما فعله موسى عليه السلام إذ أوحى الله سبحانه إلى كليمة موسى عليه السلام أن يحمل معه عظام يوسف عندما أراد الخروج من مصر<sup>(١)</sup>. وهذا الأمر أشارت له روايات عديدة أكدت أن عجزاً هي من دلت موسى على قبر يوسف ليحمل معه رفاتة وجعلت لفعلها شرطاً اضطّر موسى للقبول به أخيراً، والشرط هو: أن تكون معه في درجته يوم القيامة! فصار طلبها محل تقدير واستحسان من قبل رسل الله التالين<sup>(٢)</sup>.

---

١- (روي أن يوسف لما حضرته الوفاة، أمر أن يجعل له صندوق من رخام، وهياً لموته إلى أن قال: فقبض ثم دفن في النيل، وأوصى أن يذهب به إلى الأرض المقدسة، ثم ذهب به موسى عليه السلام إليها) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ٣١٤ / ٢.

(عن يزيد الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث طويل - قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: أن أحمل عظام يوسف من مصر - قبل أن تخرج منها - إلى الأرض المقدسة بالشام) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٦٣ / ٣.

٢- روى يزيد الكناسي، عن الإمام الباقر عليه السلام حديثاً ذكر فيه لقاء الرسول محمد صلى الله عليه وآله وبرجل قام بإيواء الرسول بالطائف في أيام الجاهلية، فأراد الرسول إكرامه لفعله السابق معه، فسأله عن حاجته، فطلب منه مائتي شاة فأعطاه وانصرف، ثم قال لأصحابه: (ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجز بني إسرائيل لموسى عليه السلام بما سأل، فقالوا: وما سألت عجز بني إسرائيل لموسى؟ فقال: إن الله عزّ ذكره أوحى إلى موسى أن أحمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها إلى الأرض المقدسة بالشام، فسأل موسى عن قبر يوسف عليه السلام فجاءه شيخ فقال: إن كان أحد يعرف قبره فقلانة، فأرسل موسى عليه السلام إليها فلما جاءتة قال: تعلمين موضع قبر يوسف عليه السلام؟ قالت: نعم، قال: فدليني عليه ولك ما سألت، قال: لا أدلك عليه إلا بحكي، قال: فلك الجنة، قالت: لا إلا بحكي عليك، فأوحى الله عز وجل إلى موسى لا يكبر عليك أن تجعل لها حكمها، فقال لها موسى: فلك حكمك، قالت: فإن حكمت أن أكون معك في درجتك التي تكون فيها يوم القيامة في الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كان على هذا لوسألني ما سألت عجز بني إسرائيل) الكافي، الكليني: ١٥٥ / ٨. ورويت قصة العجز عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، انظر: الدعوات، الرواندي: ٤٠ - ٤١، وعن الإمام الرضا صلوات الله عليه أيضاً، انظر: علل الشرائع، الصدوق: ٢٩٦ / ١ - ٢٩٧.

وشبيه به روي في مصادر المسلمين السنة أيضاً، انظر: المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٥٧٢ / ٢.

### هل ينفي العلم بعثة يوسف بمصر؟

هذا البحث لم نكن نقصد طرحه بوصفه أساسياً ضمن بحوث "الرسالة"، وإنما هو بمثابة الجملة المعارضة في سياق بحوث "الرسالة" التي تُعنى بدراسة رسالات الرسل وما يترتب عليها من معطيات عقائدية ودينية، وبالخصوص التمهيد لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله كما لاحظنا. وبالتالي، فنحن معنيون بالنصوص الدينية القطعية بالدرجة الأساس، ويوسف الصديق لما تعرضنا لرسالته ذكرناه بوصفه رسولاً إلهياً ضمن رسالة إبراهيم الكبرى الممهدة لرسالة سادة رسل الله أعني محمداً وآله صلوات الله عليهم وفق النصوص الدينية القطعية التي نعتقد بصحتها.

نحن لم نطرح رسالة يوسف بوصفه شخصية ساهمت بظهور الحضارة المصرية، لا لأن ذلك لم يحصل، بل لأنه لا علاقة له بموضوع بحثنا، وكفيينا النتائج السابقة التي توصلنا لها في بحوث الجزء الأول من "الرسالة"، وسيوضح لنا "لماذا تكفيينا!" وبالتالي، فليس مهماً بالنسبة لنا الخوض في تفاصيل الجدل الذي نشأ في العقود الأخيرة بسبب تصريحات بعض علماء الآثار من أنهم لم يعثروا على ما يثبت وجود أنبياء على أرض مصر، وانتهى أخيراً بتصريح عالم الآثار المصري "زاهي حواس" الذي نفى فيه وجود أدلة أثرية على وجود أنبياء على أرض مصر؛ ذاكرًا إياهم بالاسم، وهم: إبراهيم وموسى ويوسف عليهم السلام<sup>(١)</sup>!

طبعاً، مثل هذه النتيجة استغلت من قبل الخط المناوئ للدين الإلهي والملاحدين بالخصوص؛ بدعوى أنّ الحضارة المصرية ما هي إلا نتيجة جهد بشري أرضي محض ولا دخل لرسالات الله بالأمر من قريب أو بعيد، بل هرول بعضهم إلى الأمام ساعياً إلى تعميم النتيجة على مناطق أخرى في محاولة تهدف إلى ضرب الدين الإلهي ومصادرة جهود رسل الله!

١- تصريحه شهير على وكالات الأنباء العالمية، منها: قناة العربية، وأعيد نشره مجدداً يوم الإثنين المصادف: ٦ رمضان ١٤٤٧ هـ - ٢٣ فبراير ٢٠٢٦ م، على نفس القناة.

وطالما وصل الحال إلى تصوير القضية بوصفها إشكالاً موجّه إلى الدين الإلهي ورسالات رسل الله، فسأتعرض للمسألة باختصار شديد، فأقول:

إنّ ما توهمه هؤلاء مجرد تصور وفهم ساذج جداً للمسألة، بل تسطيح واستخفاف بحقائق العلم قبل الحقائق الدينية، وإذا ما أردت أن أشبه حالهم فهو يشبه إلى حد بعيد حال المرأة "الطرماء" التي قررت أن تزغرد في حفل عرس ولما وصلته وجدت الحفل قد انتهى والحضور قد تفرّقوا!

**فأولاً:** ما صرّح به بعض علماء الآثار والمنقّبين في الأراضي المصرية لم ينف وجود رسالات إلهية على أرض مصر، وليس هذا من وظيفتهم أصلاً، وإنما أقصى ما في الموضوع أنهم صرّحوا بأنهم لم يعثروا على أثريؤكد ذلك لغاية الآن، لكن عدم عثورهم لا يعني عدم وجود رسالات إلهية على أرض مصر بالمطلق، فربما هم لم يعثروا على أثر اليوم لكنهم (هم أو غيرهم) سيعثرون عليه غداً، وكم له من نظير في حقائق العلم ونتائجه التي تتغير باستمرار، بل نفي هذه الحقيقة جهل فظيع وتعصب مقيت ويعني جمود العلم وتوقف حركته تماماً!

فرق كبير بين معطى بحثي مؤقت صرّح به بعض علماء الآثار، وبين النتيجة التي سوّقت وروّج لها كثيرون بنفي وجود رسالة إلهية على أرض مصر!

وكمثال لتقريب الفكرة: لو أخبرك أحد في مطلع القرن العشرين بأنّ جنوب العراق مهد أول حضارة إنسانية، أو أنّ عالمنا وكوننا الذي نعيش فيه ليس هو الوحيد في الوجود وإنما هناك وفرة أكوان موازية وبرهان رياضي علمي، وفيما بعد أصبحت نظرية علمية تمكنت من حل الكثير من مشكلات ميكانيكا الكم العسيرة عن الحل، أقول: لو أنّك تذكر لصاحبك هذه الأمور في ذلك الوقت لم يكن يصدقك وربما يصفك بالهذيان، لكنها اليوم معطيات علمية مبرهنة وصحيحة ولا يناقش فيها اثنان من المتعلمين!

وباختصار: عدم عثور باحث أو اثنين أو مجموعة على دليل لأمر ما في وقت معين لا يعني النفي المطلق والمؤبد له، أو كما يقال بلغة فلسفية: "عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود"، فالوجود أوسع بكثير من معرفتك أنت! بعض الأثاريين والمنقّبين بمصر صرّحوا

بأنهم لم يعثروا على الدليل، لكن عدم عثورهم حالياً لا يعني نهاية العالم وأنهم كشفوا عن حقيقة مطلقة لا تتبدل أو تتغير إلى الأبد!

ثم إنَّ عدم تمكّنهم من النفي المؤبد لحقيقة ما (الرسالة الإلهية في مصر في حالتنا) يكفيننا على مستوى بحثنا الديني الرسالي؛ لأنه يترك المجال مفتوحاً أمام صدق النص الديني، فطالما أنَّ الحقيقة العلمية لم يتح لها نفي الرسالة على أرض مصر بشكل مطلق وأبدي فإنَّ تصديق النص الديني القطعي المثبت لوجودها يصبح أمراً ممكناً ومنطقياً؛ إذ لا دليل قطعي يؤكد تناقضه مع العلم. أما من يريد أن يختار عدم تصديق النص الديني فهذا شأنه، لكنه يبقى مجرد موقف شخصي ليس من حق صاحبه الاعتراض على من يصدق بالنص الديني أو أن يصف موقفه بالمناقض للعلم ونحو ذلك.

علماً، أنَّ إدراج اسم إبراهيم صلوات الله عليه ضمن قائمة الأنبياء التي تضم يوسف وموسى عليهما السلام لا أرى فيه إنصافاً ومبرراً معقولاً، فأن تكون رسالة يوسف على أرض مصر أمر صحيح فهو بعث وتوفي على أرض مصر، وكذا الحال بالنسبة لموسى الذي ولد على أرض ومصر وقضى ما يقرب من أربعين عاماً من رسالته على أرضها، وبالتالي يكون ذكر أسمائهم أمراً معقولاً، لكن أن يضاف لهم اسم نبي الله إبراهيم فهذا ما لا يمكن قبوله؛ باعتبار أنَّ معظم فترة رسالته لم تكن في مصر، إبراهيم صلوات الله عليه ولد وعاش وابتدأ بدعوته في بلاد ما بين النهرين "العراق الحالي" وهذا هو المقطع الأول من رسالته، وبعد طرده منها بدأ المقطع الثاني من رسالته بعد استيطانه في أرض كنعان ومنها صار يتردد على الحجاز "مكة" للتمهيد لرسالة محمد صلى الله عليه وآله كما تقدم. نعم، خلال فترة استقراره في أرض كنعان زار مصر في فترات معينة ولمرات قليلة بهدف التمهيد لرسالة ولده يوسف الذي تعد رسالته جزءاً من رسالة إبراهيم كما عرفنا. وبشكل عام فإنَّ الفترة التي تواجد فيها إبراهيم على أرض مصر كانت قليلة جداً قياساً بمجمل رسالته. وبكل الأحوال لم يكن حال رسالة إبراهيم كحال رسالة يوسف وموسى عليهما السلام من هذه الناحية، لكن يبدو أنَّ إضافة اسمه يهدف إلى تحشيد أكبر قدر ممكن من أسماء الأنبياء ثم نفي وجود أثر لهم على أرض مصر بهدف الانتقاص من الخط الرسالي!

**وثانياً:** من يحاول استغلال النفي المتقدم لإبعاد الخط الرسالي عن الإسهام في التطور الحضاري الذي بلغته الإنسانية في منطقة الشرق الأوسط (ومصر منها بالتأكيد)،

أو اتخاذ النفي وسيلة للتعميم إلى مناطق أخرى، فهو واهم جداً؛ إذ أنّ التحول المفاجئ في حياة الإنسان العاقل "الهومو سابينس" الذي أثار دهشة العلماء والباحثين وأسموه بـ "القفزة الحادة" لم يكن ناظرًا لما حصل على أرض مصر من ازدهار حضاري يعود تاريخه في أقصى تقدير إلى ٣٠٠٠ ق.م تقريباً أو أكثر بقليل، وإنما ما أدهشهم حقيقة هو ما حصل قبل ذلك بآلاف السنين، فمثلاً: السجل العلمي الأثاري يؤشر إلى ظهور أولى القرى الزراعية في جنوب العراق قبل أكثر من ٦٥٠٠ ق.م في فترة ما يسمى بـ "عصر العبيد"، ثم ما تلاها من عصور وصولاً إلى عصر "أوروك" وحضارة "سومر" بحدود ٤٠٠٠ ق.م وأكثر.

لا يشك اثنان من الباحثين المختصين حالياً – وفق ما انتهت إليه أحدث دراساتهم – من أنّ حضارة سومر هي أقدم حضارة شهدت البشرية على الأرض، بل إنّ السومريين "أصحاب الحضارة" ما هم إلا أحفاد للسومريين الأوائل الذين بدأت معهم نقطة التحول والتحضّر في حوض الخليج "الوادي الخصيب" عند بعثة آدم عليه السلام قبل ٢٠ – ٣٠ ألف سنة مضت، قبل غمره بمياه الطوفان الذي حدث في زمن رسالة نوح عليه السلام، ثم اضططراره للنزوح بمن معه إلى وسط وجنوب العراق "بلاد ما بين النهرين"، وهكذا استمرت هذه الأرض تحتضن رسل الله والأقوام الذين كانوا يتعلمون منهم أصول الأشياء التي تتصل بالمعرفة الدينية والفلسفية والإنسانية والطبيعية ... إلخ، وقد بحثنا الأمر بالتفصيل في الجزء الأول من كتاب "الرسالة".

من الناحية العلمية أيضاً، فإنّ الأدلة الجينية تؤكد أنّ الأصول التي ينحدر منها من استوطنوا مصر في تلك الحقب تعود إلى المجموعة التي استوطنت حوض الخليج وبلاد ما بين النهرين "جنوب العراق" ثم هاجرت منه باتجاه الشرق والغرب ومنهم المجموعة التي استقرت في شمال أفريقيا (مصر تحديداً) <sup>(١)</sup>، وبالتالي فإذا ما قدّر لهؤلاء أن تنشأ على

---

١- يقول السيد أحمد الحسن: (بحسب الدراسات الجينية الأخيرة فإن كل إنسان على الأرض الآن إذا لم يكن من الذين بقوا في أفريقيا فهو يعود في أصوله إلى هذه المجموعة الصغيرة المنتقة التي هاجرت من أفريقيا إلى جنوب الجزيرة العربية (اليمن وعمان والإمارات الحالية)، ثم إلى الحوض الخصيب (الخليج حالياً) وإلى العالم، ثم إلى جنوب العراق ثم منه أيضاً إلى العالم، ولم تساعد الظروف الطبيعية اللاحقة في أفريقيا الكثرة الباقيين فيها كما ساعدت القلة الذين هجروها، وهذا فقد تكاثرت المجموعة المنتقة وبشكل كبير وملأوا الأرض، حتى وصل الأمر إلى أن هاجروا هجرة عكسية من الوادي الخصيب وجنوب العراق إلى شمال أفريقيا، فسكان شمال أفريقيا - من مصر حتى المغرب العربي بل حتى السودان - هم مهاجرون من الوادي ومن جنوب العراق القديم بحسب بعض البحوث

أيدي أحفادهم حضارة وثقافة في وقت متأخر (بحدود ٣٠٠٠ ق.م) فأصولها بلا شك تعود إلى الإرث الحضاري (الديني والثقافي والإنساني) الذي تعلّمه أجدادهم من آدم ومن تلاه من رسل الله؛ وهو التحضر الذي ابتداءً مع إنسان الشرق قبل ١٧ ألف سنة من التاريخ المذكور (تاريخ الحضارة المصرية) على أقل تقدير!

ما ذكرناه يتضح أكثر من خلال معرفتنا بوقت انطلاق وبزوغ الحضارة المصرية التي يرجعها العلماء - كما قلت - إلى (٣٠٠٠ ق.م) أو قبل ذلك بقليل، ففي الوقت الذي تشهد فيه مصر بدء بزوغ فجر الحضارة على أرضها كانت بلاد ما بين النهرين قد بلغ التحضر فيها الذروة باختراع الكتابة التي غيّرت اكتشافها وجه التاريخ البشري على الأرض، فمعمل الباحثين يرجعون تاريخ اختراعها في بلاد سومر إلى سنة ٣٠٠٠ ق.م<sup>(١)</sup> ولك أن تعرف الفرق بين المنطقتين؛ منطقة تشهد أوج التحضر الذي يمتد عمقه لآلاف السنين، ومنطقة يبدأ فيها للتو فجر التحضر!

ما أريد أن أنتهي إليه باختصار، هو: إن نفي وجود أثر للرسول في حقبة زمنية تعود إلى ما بعد بعثة إبراهيم إلى وقت بعثة موسى أي: (٢٠٠٠ - ١٣٠٠ ق.م تقريباً) والتي يتوسطها بعث يوسف الصديق على أرض مصر لا يقلل إطلاقاً من أثر رسل الله فيما بلغته الإنسانية من تقدم وتحضر غيّر وجه الأرض والإنسان (هدف الكون والحياة الأرضية كما عرفنا سابقاً) عليها. والحق، إن ذلك ما كان ليحصل لولا جهود رسل الله التي بدأت قبل الحقبة المشار لها بما يزيد على ١٨ ألف عام، وهو معطى ثابت، بل مقطوع به - بالنسبة لنا - من الناحيتين العلمية والدينية<sup>(٢)</sup>.

الجيئية، وبهذا فقد حصلت الغلبة والهيمنة للمجموعة المنتقاة (المنتخبة)، ونجت من ظروف أفريقيا أولاً ومن غرق الخليج ثانياً وعادت واستعمرت شمال أفريقيا أخيراً) وهم الإلحاد: الفصل الثالث - التطور سنة إلهية.

١- انظر: السومريون؛ تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، كرىمر: ٤٣٢، ترجمة: د. فيصل الوائلي.

٢- بحثنا في الجزء الأول من كتاب "الرسالة" الإعداد لبدء المشروع الرسالي الإلهي على الأرض ببعثة آدم والرسول الأوائل، وتطرقنا إلى مسألة هجرة الإنسان العاقل من أفريقيا إلى منطقة الشرق الأوسط واستيطان المجموعة المهاجرة حوض الخليج ولاحقاً ولد منها آدم عليه السلام وبعث فيها هو ومن تلاه من الرسل الأوائل وصولاً إلى حادثة الطوفان التي غمرت حوض الخليج في زمن نوح عليه السلام ثم نزوحه بسفينته مع المؤمنين به إلى وسط وجنوب العراق ثم حدوث الهجرات باتجاه العالم قبل وبعد الطوفان، وأشرنا إلى تأثير رسل الله في بدء أصول



### في ختام رسالة يوسف:

بموت يوسف الصديق عليه السلام أُسدل الستار على رسالة إبراهيم صلوات الله عليه، بما تضمنتها من عطاء إلهي غزير لا زلنا نردد صدهاء بعد مضي آلاف السنين، ومن تابع معنا أحداث الرسالة الإبراهيمية لا أعتقد أنه يتردد في بلوغ الاستنتاج التالي: إن أهم ما فيها - بعد الدعوة إلى توحيد الله - هو التمهيد لرسالة الرسول الأمي محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وقبل عرض رسالة موسى الكليم صلوات الله عليه، نستعرض معاً (باختصار شديد) بعث بعض رسل الله الذين تركوا أثراً واضحاً في المشروع الرسالي الإلهي:

### أنبياء بعد إبراهيم (ع):

#### أيوب (ع):

- "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" النساء: ١٦٣.
- "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" الأنعام: ٨٣ - ٨٤.

نبي الله أيوب من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

---

التحضر والثقافة الإنسانية حتى ظهور "حضارة سومر" التي كانت نتاجاً تراكمياً لتعاليم الرسل الذين كانوا يعيشون بينهم على مدى آلاف السنين.

سفر أيوب الذي يحوي ٤٢ إصحاحاً (ضمن أسفار العهد القديم) ذكر قصة أيوب عليه السلام وابتلائه بفقدان ثروته وأولاده وصحته، لكنه صمد وصبر وكانت نتيجة صبره تعويض الله له، والسفر تضمن حوارات عديدة<sup>(١)</sup>.

وقبل ذلك، ذكرت قصته في النصوص السومرية بوصفها حدثاً مستقبلياً مهماً قدّر الله أن يحصل ضمن مجريات الخط الرسالي الإلهي كما سبقت الإشارة له، باعتباره قدوة ورمزاً من رموز الصبر والتسليم لله، وهو - بلا شك - أمر أساسي في عالم الامتحان الذي نحن فيه<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: "وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيَ الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٌ \* ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* وَخَذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" ص: ٤١ - ٤٤.

١- يمكننا تصنيف حوارات السفر إلى ثلاثة أنواع: الأول: الحوار بين الله والشيطان (إصحاح: ١، ٢) والمحور فيها هو أمانة أيوب ورفض زعم إبليس أنّ أيوب يعبد الله لأجل المصلحة. والثاني: الحوار بين أيوب وأصحابه (إصحاح: ٣ - ٣١) والمحور فيها أنّ ما نال أيوب من ابتلاء هو بسبب خطئه في مقابل رفض أيوب فكرة أنّ ابتلاءه كان بسبب ذنوبه. والثالث: الحوار بين الله وأيوب (إصحاح: ٣٨ - ٤٢) والمحور فيها بيان أنّ حكمة الله تفوق إدراك البشر وتسليم أيوب لعظمة الله في النهاية.

٢- (عن علي بن الحسين عليه السلام قال: أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيوب عليه السلام والشكر عن نوح عليه السلام والحسد من بني يعقوب) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٤٩.

بحسب النصوص: فإنَّ أيوب عليه السلام ابتلي من غير ذنب<sup>(١)</sup>، وروي: أنَّ ذنبه كان مداهنة الظالم بكلمتين<sup>(٢)</sup>.

وبخصوص قوله: "أَيَّ مَسَيِّ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" ربما يقال: كيف تسلَّط الشيطان الرجيم على أيوب وقد وعد الله بأنه ليس له سلطان على المؤمنين؟

الجواب: السلطان المنفي هنا هو تسلَّط الشيطان على دين المؤمنين، لكن قد يأذن الله بتسلَّطه على بدن أحد أوليائه؛ لحكمة يريد بها الله سبحانه<sup>(٣)</sup>.

#### ١- هذه بعض النصوص الواردة في ذلك:

- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلي أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب) الخصال، الصدوق: ٣٩٩. ومثله عن درست عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، انظر: علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٧٥.  
- (عن الحسن بن الربيع بن علي الربيعي عمَّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى ابتلى أيوب عليه السلام بلا ذنب فصبر حتى عُيِّرُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى التَّعْيِيرِ) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٧٥.  
- (جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهم السلام قال: إنَّ أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب، وإنَّ الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغير ولا كبيراً) الخصال، الصدوق: ٣٩٩.

٢- (قال النبي صلى الله عليه وآله: أوحى الله عز وجل إلى أيوب عليه السلام هل تدري ما ذنبك إلى، حين أصابك البلاء؟ قال: لا. قال: إنك دخلت على فرعون فداهنت في كلمتين) الدعوات (سلوة الحزين)، الراوندي: ١٢٣.

٣- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون؟ فقال: يا أبا محمد يُسلَّط والله من المؤمن على بدنه ولا يُسلَّط على دينه، قد سلَّط على أيوب عليه السلام فشوه خلقه ولم يسلَّط على دينه، وقد يُسلَّط من المؤمنين على أبدانهم ولا يُسلَّط على دينهم. قلت: قوله تعالى: "إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون" قال: الذين هم بالله مشركون يُسلَّط على أبدانهم وعلى أديانهم) الكافي، الكليني: ٨ / ٢٨٨.

(عن عثمان النوا، عمَّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب كيف سلط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله، ترك له ليوحد الله به) الكافي، الكليني: ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧.

نِعَمَ العبد كان أيوب، فهو بالرغم من استمرار بلائه عدة سنين لكنه صبر ورضى بما قدّره الله له، وما سأل ربه العافية ورفع البلاء عنه حتى عيّرَ البعض <sup>(١)</sup>. علماً، أنّ بلاءه لم يقتصر على بدنه (مرضه) فحسب، ولكن تعداه ليشمل جميع أمواله وأهل بيته <sup>(٢)</sup>.

لعل الحكمة من ذلك هي أنّ الله سبحانه يريد إظهار فضل أوليائه الأطهار الذين اصطفاهم واختارهم لدينه ورسالته وهداية خلقه <sup>(٣)</sup>، وليقطع بسيرتهم عن كل منكر أو

١- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: ابتلي أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب. وقال: ما سأل أيوب عليه السلام العافية في شيء من بلائه. وقال: قال أبي صلوات الله وسلامه عليه: إنّ أيوب ابتلى من غير ذنب وإنّ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يذنبون، لأنهم معصومون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، وقال: إنّ الله تعالى ابتلى أيوب بلا ذنب فصبر حتى عيّرَ، والأنبياء لا يصبرون على التعيير) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٤٢. (عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أيوب نبي الله صلى الله عليه وسلم لبث في بلائه ثمان عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وذاك قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أي كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ..... صحيح ابن حبان: ١٥٨/٧.

٢- (عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: ذكر أيوب عليه السلام، فقال: قال الله جل جلاله: إنّ عبدي أيوب ما أنعم عليه بنعمة إلا ازداد شكراً، فقال الشيطان: لو نصبت عليه البلاء فابتليته كيف صبره، فسأله على إبله ورقيقه، فلم يترك له شيئاً غير غلام واحد. فأثاء الغلام فقال: يا أيوب ما بقي من إبلك ولا من رقيقك أحد إلا وقد مات، فقال أيوب: الحمد لله الذي أعطى والحمد لله الذي أخذ. فقال الشيطان: إنّ خيله أعجب إليه فسأله فلم يبق منها شيء إلا هلك، فقال أيوب: الحمد لله الذي أعطى والحمد لله الذي أخذ، وكذلك ببقره وغنمه ومزارعه وأرضه وأهله وولده حتى مرض مرضاً شديداً فأثاء أصحاب له فقالوا: يا أيوب، ما كان أحد من الناس في أنفسنا ولا خير علانية خيراً عندنا منك فلعل هذا شيء كنت أسرته فيما بينك وبين ربك لم تطلع عليه أحداً فابتلاك الله من أجله، فجزع جزعاً شديداً ودعا ربه، فشفاه الله تعالى وردّ عليه ما كان له من قليل أو كثير في الدنيا. قال: وسألته عن قوله تعالى: "ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة" فقال: الذين كانوا ماتوا) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٤٢ - ١٤٣.

٣- بحسب بعض النصوص، فإنّ علة ابتلاء أيوب عليه السلام هي لإظهار فضله:

(عن أبي بصير قال: سألت أبا الحسن الماضي عليه السلام عن بلية أيوب التي ابتلي بها في الدنيا لأية علة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا فأدّى شكرها وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش فلما صعد أداء شكر نعمة أيوب حسده إبليس فقال: يا رب إنّ أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكر نعمة أبداً. قال: فقيل إني قد سلّطتك على ماله وولده. قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالا ولا ولداً أعطيه، فلما رأى إبليس أنه لا يصل إلى شيء من أمره قال: يا رب إنّ أيوب يعلم أنك سترد

متلكي في سلوك طريق الحق وتحمل مرارة ما سيلاقيه في دنيا الامتحان، فسيرة أولياء الله (كأيوب عليه السلام) أمثلة وضياء تنير درب السالكين، وفيها دروس تخرس ألسن الخلق الذين يعتذرون لانحرافهم أو تقصيرهم بشئ الأعذار والحجج، بينما بقي أيوب العبد الطاهر على نفس استقامته في حالي الشدة والرخاء في عبادته وصبره وشكره وحمده وتسليمه ورضاه بمراد ربه، فاستحق بذلك مدح الله وثناؤه: "وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ..... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"، وشاء الله أن تكون سيرته منهلاً تهل منها الأجيال<sup>(١)</sup>.

في دنيا الامتحان: هناك من يدعي الإيمان (ظاهراً) لكنه في نفس الوقت لا يطبق سيرة أولياء الله وما كتبه الله لهم في عالم الامتحان، وربما يصل الحال ببعضهم إلى حد التشكيك برسالة ولي الله، بل والشماتة به أحياناً كما حصل مع أيوب النبي؛ نتيجة ما يلاقيه في دنيا الامتحان من شدائد وآلام، وكأن هؤلاء يطلبون ولياً (نبياً، رسولاً، إماماً) مرقباً يأتيهم مهيئاً وطريقة ملوك الدنيا، فهم غير مستعدين للإيمان برسول إلهي إلا إذا سكن القصور وملك الأموال وسار بين يديه الخدم والحشم وفرش السجاد الأحمر تحت قدميه ... إلخ، يريدون رسولاً يضمن لهم دنياهم، وأيضاً: يريدون رسولاً يقوم بنثر المعجزات على الناس يميناً وشمالاً فمرة يطير أمامهم وأخرى يقلب لحاهم البيضاء إلى

---

عليه دنياه التي أخذتها منه فسَلَطَني عل بدنه، قال: فقيل له إني قد سَلَطْتُكَ على بدنه ما خلا قلبه ولسانه وعينه وسمعه، قال: فانهدر إبليس مستعجلاً مخافة أن تدركه رحمة الرب عزوجل فتحول بينه وبين أيوب، فلما اشتد به البلاء وكان في آخر بلتيه جاء أصحابه فقالوا له: يا أيوب ما نعلم أحداً ابتلي بمثل هذه البلية إلا لسيرة سوء فلعلك أسررت سوء في الذي تبدي لنا، قال: فعند ذلك ناجى أيوب ربه عزوجل فقال: رب ابتليتني بهذه البلية وأنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط إلا لزمتهما أخشهما على بدني ولم أكل أكلة قط إلا وعلى خواني يتيم فلو أن لي منك مقعد الخصم لأدليت بحجتي، قال: فعرضت له سحابة فنطق فيها ناطق فقال: يا أيوب أدل بحجتك قال: فشد عليه منزله وجثا على ركبتيه فقال: ابتليتني بهذه البلية وأنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط إلا لزمتهما أخشهما على بدني، ولم أكل أكلة من طعام إلا وعلى خواني يتيم، قال: فقيل له يا أيوب من حبيب إليك الطاعة، قال: فأخذ كفاً من تراب فوضعه في فيه ثم قال أنت يا رب علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٧٦.

١- (عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: توتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتن في حسنها فتقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت فيجاء بمریم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسنّاها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسنّاها فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا رب شددت عليّ البلاء حتى افتتن فيؤتى بأيوب عليه السلام فيقال: أبليتك أشد أو بلية هذا؟ قد ابتلى فلم يفتتن) الكافي، الكليني: ٢٢٨ / ٨ - ٢٢٩.

سوداء ... وهكذا، ولم يتبقَ عليهم من مسؤولية سوى أن ينظروا إلى تلك المشاهد الإعجازية<sup>(١)</sup> لعل الإيمان يجد له سبيلاً إلى قلوبهم، ومن يؤمن منهم بعد ذلك يُكتب من المصدقين والفائزين برضوان الله وجنانه!!

تلك هي أمانى أهل الدنيا الذين يطلبون الراحة والدعة فيها ويتوهمون رسالات الله على طبق تلك الأمانى التي تناسب حالهم ومستوى تفكيرهم، بينما واقع الرسل والرسالات الإلهية يخالف ذلك تماماً، بل ويعتبر مثل تلك التمنيّات أباطيل ومجرد أوهام وأحلام فارغة لا أكثر!<sup>(٢)</sup>

أيوب عليه السلام في فترة ابتلائه ومرضه لم يحصل معه ما يبعد الناس عنه؛ لكرامته على الله سبحانه<sup>(٣)</sup>.

١- لا شك أن بعض طلبات الناس هي أقرب للطرق الملهوانية كمسألة الطير في السماء وما شابه.  
٢- قصَّ الله حال هؤلاء، فقال: "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَّمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا" الإسراء: ٩٠ - ٩٣.

(عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما طال بلاء أيوب عليه السلام، ورأى إبليس صبره أتى إلى أصحاب له كانوا رهباناً في الجبال، فقال لهم: مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى نسأله عن بليته، قال: فركبوا وجأؤوه، فلما قربوا منه نفرت بغالهم فقربوها بعضاً إلى بعض، ثم مشوا إليه وكان فيهم شاب حدث فسلموا على أيوب وقعدوا، وقالوا: يا أيوب لو أخبرتنا بذنوبك. فلا ترى تبلى بهذا البلاء إلا لأمر كنت تستره. قال أيوب صلوات الله عليه: وعزة ربي إنه ليعلم أي ما أكلت طعاماً قط إلا ومعني يتيم أو ضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة إلا أخذت بأشدهما على بدني، فقال الشاب: سوءة لكم عمدت إلى نبي الله فعنتموه حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يسره، فعند ذلك دعا ربه وقال: "رب إني مسني الشيطان بنصب وعذاب". وقال: قيل لأيوب صلوات الله عليه بعد ما عافاه الله تعالى: أي شيء أشد مما مر عليك؟ قال: شماتة الأعداء) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٤٣ - ١٤٤.

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إنَّ أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتلي به لم ينتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا يدود شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج) الخصال، الصدوق: ٣٩٩.

والملفت، أنّ اليأس لم يجد إلى قلبه سبيلاً، لكن لما أجهدته البلاء في أواخر فترة بلائه وعيّرّه بعض أصحابه دعا الله سبحانه أن يرفعه عنه <sup>(١)</sup>!

أما زوجته "رحمة" فقد صبرت معه ولم تتركه لما تركه الناس، ولما ضاقت الأمور أكثر على أيوب عليه السلام اضطرت أن تقص ذوائبها لقوم مقابل طعام ترجع به لزوجها، وبعد عودتها إليه وجدته وقد تغير حاله ورفع الله محنته، ولما رآها وعلم بفعلها حلف على معاقبتها <sup>(٢)</sup>. وعموماً، كانت "رحمة" قدوة حسنة لغيرها من النساء اللواتي يردن التقرب إلى الله بإعانة الزوج والوقوف معه في الشدائد، وكانت خاتمة صبرهما الظفر وانقضاء الشدة <sup>(٣)</sup>، فأعاد الله سبحانه لهم أبنائهم وأموالهم <sup>(٤)</sup>.

١- (عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أيوب النبي عليه السلام حين دعا ربه: يا رب، كيف ابتليتني بهذا البلاء الذي لم تبتل به أحداً؟ فوعزتلك إنك لتعلم أنه ما عرض لي أمران قط كلاهما لك طاعة إلا عملت بأشدهما على بدني، قال: فنودي: ومن فعل ذلك بك يا أيوب؟ قال: فأخذ التراب ووضعه على رأسه، ثم قال: أنت يا رب) الأمالي، الطوسي: ٦٦٢.

(الحسن بن علي الخزاز "الوشاء" عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أيوب النبي عليه السلام قال: يا رب ما سألتك شيئاً من الدنيا قط وداخلي (وداخله) شيء فأقبلت إليه سحابة حتى نادته: يا أيوب من وفقك لذلك؟ قال: أنت يا رب) الزهد، حسين بن سعيد الكوفي: ٦٩.

٢- (.....) فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد أحسن ما كان وأطراً وأنبت الله عليه روضة خضراء ورد عليه أهله وماله وولده وزرعه وقعد معه الملك يحدثه ويؤنسه. فأقبلت امرأته معها الكسر، فلما انتهت إلى الموضع إذ الموضع متغير وإذا رجلان جالسان فبكت وصاحت وقالت: يا أيوب ما دهاك فناداها أيوب، فأقبلت فلما رآته وقدر الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله شكراً، فرأى ذوائبها مقطوعة وذلك أنها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلى أيوب من الطعام وكانت حسنة الذوائب فقالوا لها: تبيعينا ذوائبك هذه حتى نعطيك فقطعتها ودفعتها إليهم وأخذت منهم طعاماً لأيوب، فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة سوط فأخبرته أنه كان سببه كبت وكبت فاغتم أيوب من ذلك فأوحى الله إليه "فخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنت" فأخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فخرج من يمينه) تفسير القي: ٢ / ٢٤١.

٣- (قال صلى الله عليه وآله وسلم: أيما امرأة أعانت زوجها على الحج والجهاد أو طلب العلم أعطاه الله من الثواب ما يعطي امرأة أيوب عليه السلام) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٢٠١.

٤- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "وأتيناها أهله ومثلهم معهم" قلت: ولده كيف أوتي مثلهم معهم؟ قال: أحيا له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بأجلهم مثل الذين هلكوا يومئذ) الكافي، الكليني: ٨ / ٢٥٢.

أما مكان بعثة أيوب النبي، فهو – بالتأكيد – لا يخرج عن منطقة الشرق (أرض الرسالات الإلهية والرسل الأوائل كما عرفنا سابقاً)، وما يزيد احتمالية أن يكون الشرق (بلاد ما بين النهرين) موضعاً لبعثته هو أنه كان يختم بخاتم طيني كما هو المعروف في بابل وبلاد ما بين النهرين عموماً<sup>(١)</sup>. علماً، أن موضع قبره موجود في مدينة بابل العراقية.

يبقى من المهم أن نعرف أن سنة أيوب (أي: الفرج بعد الشدة) ستعاد مرة أخرى في آخر الزمان، فيكون لمهدي آل محمد وقائهم الموعود شبه بسنة أيوب<sup>(٢)</sup>.

الشبه بين الرسولين (أيوب وقائم آل محمد) في السنن التي جرت وتجري عليهما يؤكد مرة أخرى الدور الرسالي الذي نهض به رسل الله السابقين في التمهيد لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وما هو أيوب بصبره على الشدائد ونيل الظفر والفرج بعد الشدة يمهّد لمهدي آل محمد رسالته، والمهدي – بلا شك – جزء أساسي من رسالة محمد.

### ذو القرنين (٤):

قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا \* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

(عن عبد الله بن بكير وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: "وآتيناها أهله ومثلهم معهم" قال: أحى الله له أهله الذين كانوا قبل البلية وأحى له أهله الذين ماتوا وهو في البلية) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٧٤.

١- إذ يرى بعض الباحثين – استناداً للنصوص التاريخية – أن أيوب كان يعرف الكتابة، وكان يختم بخاتم من طين كما هو المعروف في البلاد الشرقية، انظر: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد: ١٥٣.

٢- (عن سعيد بن جبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول: في القوائم من سنن من الأنبياء عليهم السلام، سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد صلوات الله عليهم. وأما من نوح عليه السلام فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والغيبة، وأما من عيسى فاختلف الناس فيه، وأما من أيوب عليه السلام فالفرج بعد البلى، وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٥٧٦ – ٥٧٧.



صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا \* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ  
الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا \* كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ  
خُبْرًا \* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \*  
\* قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ  
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا  
\* آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي  
أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا \* فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا \* قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ  
رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" الكهف: ٨٣ - ٩٨.

ذو القرنين عبد صالح أحب الله فأحبه الله واصطفاه ومكّن له في أرضه (١).

النصوص (لدى المسلمين الشيعة والسنة) أكدت أنّ "فيكم مثله": أي يوجد في هذه  
الأمة من يكون له شبه بذي القرنين وتكون سيرته كسيرته (٢).

١- (عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان اسم ذو القرنين عياش، وكان أول الملوك من الأنبياء،  
وكان بعد نوح، وكان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ٣٥٠.

٢- الروايات في ذلك كثيرة، منها:

- (عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين لم يكن نبياً لكنه كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه  
الله، وناصح الله فناصحه الله، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً، ثم رجع إليهم فضربوه على  
قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنّته) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٩٣.

- (عن بسام مولى علي بن أبي الطفيل قال قام علي بن أبي طالب على المنبر فقال سلوني قبل أن لا تستلوني ولن  
تستلوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ما ذو القرنين نبي أو ملك فقال ليس بملك ولا نبي ولكن  
كان عبداً لله صالحاً أحب الله وأحبه وناصح الله فنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعثه ثم ضرب على  
قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله) السير والمغازي، ابن إسحاق: ٤ / ١٨٥.

- (عن الأصبغ بن نباتة قال: قام ابن الكواء إلى علي عليه السلام وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن  
ذي القرنين، أنبيأ كان أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنه أمن ذهب كان أم من فضة؟ فقال له: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولم  
يكن قرناه من ذهب ولا فضة ولكنه كان عبداً أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصحه الله، وإنما سمي ذا القرنين  
لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً ثم عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر، وفيكم  
مثله) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٣٩ - ٤٠.

واضح من خلال النصوص أنّ الشخص الشبيه بذِي القرنين هو قائم آل محمد ومهديهم المبشّر به من قبل الرسول محمد وآله صلوات الله عليهم، وأيضاً: المبشّر به من قبل الرسل السابقين كما سيتضح في بحوث "الرسالة" القادمة.

علماً، أنّ الشبه بين الحجتين (القائم وذِي القرنين) لا يقتصر على الغيبة ثم التمكين في الأرض<sup>(١)</sup> وحسب، ولكن يسري أيضاً على الأذى الذي لاقاه كل منهما، بل ما سيلاقيه القائم أشد وأصعب؛ باعتبار أنّ ذِي القرنين اختار "الذلّول" وذخر للقائم "الصعب"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ".... فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ..... \* فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا \* قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا":

- (عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً، جعله الله حجة على عباده فدعا قومه إلى الله عز وجل، وأمرهم بتقواه، فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً حتى قيل: مات أو هلك بأي واد سلك؟ ثم ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنته، وإن الله عز وجل مكن له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب، وإن الله تبارك وتعالى سيجري سنته في القائم من ولدي، وبلغه شرق الأرض وغربها حتى لا يبقى سهل ولا موضع من سهل ولا جبل وطأه ذو القرنين إلا يطؤه ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها، وينصره بالرعب، فيملأ الأرض به عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ٣ / ٦٦٢.

١- (عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: ما بعث الله نبياً قط إلا عاقلاً، وبعض النبيين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر سنة، ومكث في ملكه ثلاثين سنة) المحاسن، البرقي: ١ / ١٩٣.

٢- (عن سورة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين قد خير السحابين واختار الذلّول، وذخر لصاحبكم الصعب قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع: خمس عوامر، واثنان خرابان) بصائر الدرجات، الصفار: ٤٢٩.

(عن سهل بن زياد عن أبي يحيى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله خير ذا القرنين السحابين الذلّول والصعب فاختر الذلّول وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك؛ لأن الله آذخه للقائم عليه السلام) نفس المصدر.

بحسب النصوص: السد هو "التقية"، والوعد هو "مجيء القائم" (١).

لا شك أن تمهيد ذي القرنين لقائم آل محمد يعني تمهيد رسالة محمد صلى الله عليه وآله: باعتبار أن رسالة المهدي جزء من رسالة جده.

### شعيب (ع):

قال تعالى: "وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنفَصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ (٢) وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ \* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ \* قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ \* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ \* وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ \* وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ \* قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمَتُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ \* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ \* وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ \* وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا

١- (عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "اجعل بيننا وبينهم سداً \* فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً" قال: هو السد التقية) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢ / ٢٠٧.

(عن المفضل قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: "اجعل بينكم وبينهم ردماً" قال: التقية "فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً" قال: ما استطاعوا له نقباً إذا عمل بالتقية، لم يقدروا في ذلك على حيلة وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقباً، قال: وسألته عن قوله: "فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء" قال: رفع التقية عند قيام القائم فينتقم من أعداء الله) نفس المصدر.

٢- (عن أحمد بن محمد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله "إني أريكم بخير" قال: كان سعرهم رخيصاً) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ٢ / ١٥٩.

مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ \* كَأَن لَّمْ يَغْتُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ" مود: ٨٤ - ٩٥.

في سفر الخروج من التوراة ورد ذكر شعيب عليه السلام باسم "رعوثيل" أو "يثرون" وهو الأكثر شهرة في نصوص الكتاب المقدس بوصفه "كاهن مديان" أي مدين، وأيضاً: ذكرت نصوص "سفر الخروج" علاقته بنبي الله موسى عليه السلام بوصفه الرجل الذي استضاف موسى عند خروجه من مصر بعد حادثة قتل القبطي، وانتهى الأمر بزواجه من صفراء (أو صفورة) بنت شعيب:

(سفر الخروج - إصحاح ٢): "١٦ وَكَانَ لِكَاهِنٍ مِديَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلَأْنَ الْأَجْرَانَ لِيَسْقَيْنَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. ١٧ فَأَتَى الرَّعَاةَ وَطَرَدُوهُنَّ. فَهَضَّ مُوسَى وَانْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. ١٨ فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوثِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بِالْكُنَّ أَسْرَعَتْنِ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمِ؟» ١٩ فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرَّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». ٢٠ فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ اذْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». ٢١ فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتَهُ".

وفي موضع آخر من السفر ذكر لقاء شعيب بموسى بعد خروجه ببني إسرائيل من مصر:

(سفر الخروج - إصحاح ١٨): "٥ وَآتَى يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى وَابْنَاهُ وَامْرَأَتُهُ إِلَى مُوسَى إِلَى الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ كَانَ نَازِلًا عِنْدَ جَبَلِ اللَّهِ. ٦ فَقَالَ لِمُوسَى: «أَنَا حَمُوكَ يَثْرُونُ، آتِ إِلَيْكَ وَامْرَأَتُكَ وَابْنَاهَا مَعَهُ». ٧ فَخَرَجَ مُوسَى لَاسْتِقْبَالَ حَمِيهِ وَسَجَدَ وَقَبَّلَهُ. وَسَأَلَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ عَنْ سَلَامَتِهِ، ثُمَّ دَخَلَا إِلَى الْخِيْمَةِ. ٨ فَقَصَّ مُوسَى عَلَى حَمِيهِ كُلَّ مَا صَنَعَ الرَّبُّ بِفِرْعَوْنَ وَالْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَجْلِ إِسْرَائِيلَ، وَكُلَّ الْمَشَقَّةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَخَلَّصَهُمُ الرَّبُّ. ٩ فَفَرِحَ يَثْرُونُ بِجَمِيعِ الْخَيْرِ الَّذِي صَنَعَهُ إِلَى إِسْرَائِيلَ الرَّبِّ، الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ. ....".

وعموماً، بُعث نبي الله شعيب عليه السلام إلى أهل "مدين" <sup>(١)</sup> في الزمن الذي تلا يوسف عليه السلام، وبحسب النصوص فإن شعيباً لما حضرته الوفاة دفعها إلى موسى عليه السلام <sup>(٢)</sup>.

دعا شعيب قومه إلى الإيمان بالله وعبادته والتزام أوامره واجتناب نواهيه: "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ"، وكان من ضمن تعاليم رسالته الصلاة: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ...". وأيضاً: حج بيت الله الحرام <sup>(٣)</sup>.

قول شعيب: "وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ...". يظهر منه أنَّ شعيباً عليه السلام دعا قومه إلى الوفاء بالكيل وترك التطفيف، وروي أنه أول من عمل المكيال والميزان، لكنهم لم يستجيبوا له، بل ازدادوا عتواً وكفراً بدعوته فنالوا جزاء أفعالهم المنكرة <sup>(٤)</sup>.

١- (عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: ..... وأما شعيب فإنه أرسل إلى مدين وهي لا تكمل أربعين بيتاً) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٢٠. ومدين: قرية تقع شمال شبه الجزيرة العربية على طريق الشام.

٢- (عن مقاتل بن سليمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: ..... ثم أوحى الله عز وجل إليه: يا آدم، أوص إلى شيث النبي، فأوصى آدم عليه السلام إلى شيث، وهو هبة بن آدم، ..... ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل عليه السلام وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بئرا، وأوصى بئرا إلى شعيب، وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران، ..... الأمالي، الطوسي: ٤٤٢).

٣- (قال الحلبي: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن البيت أكان يحج قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وتصديقه في القرآن قول شعيب حين قال لموسى حيث تزوج: "على أن تأجرني ثماني حجج" ولم يقل ثماني سنين، وإنَّ آدم ونوحاً حجاً وسليمان ابن داود قد حج البيت بالجن والإنس والطير والريح، وحج موسى على جمل أحمر يقول لبيك لبيك، وأنه كما قال الله: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةً مِّبْرَاقاً وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ" وقال: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل" وقال "أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" وإنَّ الله أنزل الحجر لآدم وكان البيت) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ٦٠.

٤- (عن سعد الإسكافي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليه قال: إنَّ أول من عمل المكيال والميزان شعيب النبي عليه السلام عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثم إنهم بعد طففوا في المكيال وبخسوا في الميزان "فأخذتهم الرجفة" فعذبوا بها "فأصبحوا في ديارهم جائعين") قصص الأنبياء، الراوندي: ١٤٥.

العذاب الذي نزل على قوم شعيب لم يقتصر على الأشرار منهم، وإنما شمل الأخيار بسبب مدهانتهم أهل المعاصي<sup>(١)</sup>.

وأما قولهم لشعيب: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ..." فهو موقف يكشف عن عذر المنكرين والكافرين بدعوات الرسل دائماً؛ العذر الذي يتمثل بالتحجج بما كان عليه الآباء والأجداد، وكأنّ آباءهم حق محض وميزان فصل توزن به الدعوات الإلهية مع أنّ الواقع أكد بوضوح أنهم على العكس تماماً؛ إذ المطلق لهذه المقولة – على الدوام – كانوا هم أهل الباطل المنكرين

(عن وهب بن منبه قال إن الله بعث شعيباً إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة الشجر الملتف وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكائيل والموازين و افساد لأموالهم وكان الله تعالى وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم مع كفرهم به فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخيرواني أخاف عليكم عذاب يوم محيط فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما قد ذكر الله في كتابه) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٥٦٨.

(عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله "وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة" قال: ما من عبد يخرج من الدنيا يستحل عمل قوم لوط إلا رماه الله كبده من تلك الحجارة تكون منيته فيها ولكن الخلق لا يرونه، ثم ذكر عز وجل هلاك أهل مدين فقال "وإلى مدين أخاهم شعيب - إلى قوله - ولا تعثوا في الأرض مفسدين" قال: بعث الله شعيباً إلى مدين وهي قرية على طريق الشام فلم يؤمنوا به وحكى الله قولهم "قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا - إلى قوله - الحليم الرشيد" قال قالوا إنك لأنت السفه الجاهل فكفى الله عز وجل قولهم فقال "إنك لأنت الحليم الرشيد" وإنما أهلكهم الله بنقص المكيال والميزان "قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب"، ثم ذكرهم وخوفهم بما نزل بالأمم الماضية فقال: "يا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً" وقد كان ضعف بصره "ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير - إلى قوله - إني معكم رقيب" أي انتظروا فبعث الله عليهم صيحة فماتوا وهو قوله "فلما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بُعداً لمدين كما بعدت ثمود) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣٣٦ - ٣٣٧.

١- (عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ..... أوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي عليه السلام: أني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي) الكافي، الكليني: ٥ / ٥٦.

للحق ودعوات الأنبياء والمرسلين وحكاية القرآن الكريم عن أقوام الأنبياء والمرسلين على طول خط الرسائل الإلهية (١)!

وقولهم: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ:"

- "ضعيفاً": ضعف شعيب يتمثل بضعف بصره؛ لكثرة بكائه.
- "رهطك": أي عشيرتك (٢).

عُرف عن نبي الله شعيب كثرة بكائه شوقاً وحباً لله سبحانه فأوحى الله إليه: "سأخدمك كليهما موسى بن عمران" (٣).

١- هذه بعض الآيات الكريمة التي تؤكد الحقيقة المشار لها، قال تعالى:

- قوم هود: "قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَذَرِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" الأعراف: ٧٠.

- قوم صالح: "قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ" هود: ٦٢.

- أقوام الرسل: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْهَدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ" إبراهيم: ٩ - ١٠.

- أقوام الرسل: "إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ \* فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُتْرَعُونَ" الصافات: ٦٩ - ٧٠.

٢- (أخرج أبو الشيخ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خطب فتلا هذه الآية في شعيب "وانا لتركنا فينا ضعيفاً" قال: كان مكفوفاً فنسبوه إلى الضعف، "ولولا رهطك لرجمناك" قال علي: فوالله الذي لا إله غيره ما هابوا جلال ربهم ما هابوا إلا العشيبة) الدر المنثور، السيوطي: ٣ / ٣٤٨؛ مسند الإمام علي، حسن القبانجي: ٢ / ١٠٦ - ١٠٧.

٣- (عن الزهري، عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله وآله وسلم: بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عوى، فردَّ الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عوى فردَّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عوى فردَّ الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبداً منك، إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أحتك، قال: إلهي وسيدي أنت تعلم إنني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك،

وفعلًا، خدمه موسى الكليم بعد زواجه من ابنته، وكان يقف على رأسه عندما يأكل ويكسر له الخبز. وأيضاً: أعطى شعيب عليه السلام عصا لموسى صلوات الله عليه (١).

**ملاحظة:** سيتضح في خاتمة رسالة موسى موقف زوجته صفراء بنت شعيب عليه السلام مع وصي موسى "يوشع بن نون"؛ إذ خرجت عليه بجيش كبير (٢).

ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخضع لكليي موسى بن عمران) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٧.

وروى المتقي الهندي: (بكى شعيب النبي من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله إليه بصره وأوحى إليه: يا شعيب! ما هذا البكاء؟ أشوقا إلى الجنة أو فرقا من النار؟ قال: إلهي وسيدي! أنت تعلم ما أبكي شوقا إلى جنتك ولا فرقا من النار ولكن حبك بقلبي فإذا أنا نظرت إليك فما أبالي ما الذي صنع بي، فأوحى الله إليه: يا شعيب! إن يك ذلك حقا فهنيئا لك اعتقدت لقائي يا شعيب! ولذلك خدمتك موسى بن عمران كليي) كنز العمال: ١١ / ٤٩٨.

١- (عن البزنطي قال: سألت الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا" أهي التي تزوج بها؟ قال: نعم، ولما قالت: "استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين" قال أبوها: كيف علمت ذلك؟ قالت: لما أتيتها برسالتك فأقبل معي قال: كوني خلفي ودليني على الطريق، فكنت خلفه أرشده كراهة أن يرى مني شيئا، ولما أراد موسى الانصراف قال شعيب: ادخل البيت وخذ من تلك العصي عصا تكون معك تدرا بها السباع، وقد كان شعيب أخبر بأمر العصا التي أخذها موسى، فلما دخل موسى البيت وثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها، فقال له شعيب: خذ غيرها فعاد موسى إلى البيت ووثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها، فقال له شعيب: ألم أقل لك خذ غيرها؟ قال له موسى: قد رددتها ثلاث مرات كل ذلك تصير في يدي، فقال له شعيب: خذها، وكان شعيب يزور موسى كل سنة، فإذا أكل قام موسى على رأسه وكسر له الخبز) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٥٥.

٢- (جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أخبرني بوفاة موسى بن عمران عليه السلام، فقال: إنه لما أتاه أجله واستوفي مدته وانقطع أكله أتاه ملك الموت عليه السلام ..... ثم إن يوشع بن نون عليه السلام قام بالأمر بعد موسى عليه السلام صابراً من الطواغيت على اللأواء والضراء والجهد البلاء حتى مضى منهم ثلاث طواغيت، فقوي بعدهم أمره فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى عليه السلام بصفراء بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مائة ألف رجل. فقاتلوا يوشع بن نون عليه السلام فقتلهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقيين بإذن الله تعالى ذكره، وأسر صفراء بنت شعيب، وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن ألقى نبي الله موسى عليه السلام فأشكو إليه ما لقيت منك ومن قومك. فقالت صفراء: وا ويلاه، والله لو أبيعحت لي الجنة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابي، وخرجت على وصيه بعده، فاستتر الأئمة بعد يوشع بن نون إلى زمان داود عليه السلام أربع مائة سنة وكانوا أحد عشر وكان قوم كل واحد منهم يختلفون إليه في وقته ويأخذون عنه معالم دينهم حتى انتهى الأمر إلى آخرهم، فغاب عنهم ثم ظهر (لهم) فبشرهم بداود عليه السلام وأخبرهم أن داود عليه السلام هو الذي يظهر الأرض من جالوت وجنوده، ويكون فرجهم في ظهوره فكانوا ينتظرونه) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٣ - ١٥٤.



وهذا يكشف - من جهة - عن أنّ العلاقة السببية (كما النسبية) لا تكفي بمفردها للحكم على شخص ما (رجل كان أو امرأة) بحسن الدين والعاقبة. ومن جهة أخرى: إنّ ما فعلته ابنة شعيب مع وصي موسى يوشع بن نون وخروجها عليه، حدث يذكرنا بما حصل في الإسلام مع وصي الرسول محمد الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما.

وهكذا، يتضح أنّ الرسائل الإلهية التي نهض بأعبائها رسل الله السابقين بما تضمنتها من أحداث تمهد بوضوح لرسالة محمد الكبرى الموعود بها في الآخرين.

(٢)

## رسالة موسى الكليم

- أرض البعثة: مصر، الشام "أرض كنعان".
- زمان البعثة: بحدود سنة ١٣٠٠ ق.م.

قال تعالى: "وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" النساء: ١٦٤.

بُعث رسول الله موسى بن عمران عليه السلام بمصر بعد جدّه إبراهيم بمئات السنين في بني إسرائيل، وكان بعثه في القوم الذين ينحدرون نسباً من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وليس من إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهم.

بعض النصوص الدينية والبحوث التاريخية أرجعت تاريخ بعثته إلى النصف الثاني من الألفية الثانية ق.م بين (١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) <sup>(١)</sup>.

---

١- فمثلاً: ورد في سفر الملوك الأول (إصحاح ٦): "١" وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيرو وهو الشهر الثاني انه بني البيت للرب"، أي: أن خروج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من مصر كان قبل ٤٨٠ سنة من بناء سليمان عليه السلام للمعبد، وبحسب الموسوعة التاريخية البريطانية Britannica وعلم الآثار التوراتي institute of biblical archaeology Armstrong فإن التاريخ التقريبي لبناء المعبد هو في عام ٩٥٧ - ٩٦٧ ق.م، وهذا يعني أن خروج موسى عليه السلام كان بين عامي ١٤٣٧ - ١٤٤٧ ق.م.

<https://www.britannica.com/topic/Temple-of-Jerusalem>

<https://armstronginstitute.org/٩٦٧-٦٨٥-bce-how-the-lynchpin-date-for-solomons-temple-was-determined>

نصوص العهد القديم قسّمت حياة موسى إلى ثلاثة أدوار؛ الدور الأول: ما بين ولادته إلى سن الأربعين، والثاني: بعث موسى بعد سن الأربعين ودعوته في مصر إلى وقت خروجه ببني إسرائيل منها، والثالث: قيادة موسى لبني إسرائيل في فترة التيه التي دامت أربعين عاماً، وسيأتي عرض بعض النصوص ضمن البحوث المناسبة لها.

وعموماً، بعث موسى لبني إسرائيل يمثل بالنسبة لهم خلاصاً من ظلم وجور فرعون ومن سبقه من الظلمة الذين أذاقوهم أذى وظلماً شديداً وصل إلى حد استعبادهم وجعلهم خدماً لهم، تماماً كما أخبرهم يوسف عليه السلام من قبل وبشّرهم بموسى وترقب ظهوره، وحدّد لهم نسبه (من ولد لاوي بن يعقوب) وصفته:

(عن محمد الحلي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف ابن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إنّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران عليه السلام، غلام طوال جعد آدم. فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى) (١).

## موسى (ع) وليداً ونبيّاً ورسولاً:

قبل استعراض دليل صدق موسى صلوات الله عليه في دعواه الرسالة والبعث من الله سبحانه، نتعرض لولادته باختصار:

### ولادة موسى (ع):

الله سبحانه الذي شاء بعث رسوله موسى، بالتأكيد جعل لزمن بعثته علامات، وهو أمر شائع في تاريخ الرسالات الإلهية؛ خصوصاً بالنسبة إلى الرسل الذين يمثلون علامات مهمة في طريق الله. وكما أنّ العلامات تنفع المؤمنين المنتظرين، كذلك يمكن للظلمة أن

يستشعروا قرب بعث الرسول الإلهي؛ إما من خلال وصول تلك الإخبارات لهم، أو من خلال الحدس بها عن طريق المنجمين مثلاً.

وعموماً، علم فرعون بقرب ولادة مولود يكون سبباً في هلاكه وزوال ملكه فوضع القوابل على نساء بني إسرائيل للمر اقبة، لكن الله شاء ولادته ومشيتته سبحانه نافذة، وهذا نص يبين ولادة موسى واحتضان فرعون وزوجته له وقيامهما بتربيته في مشهد يعكس حكمة الله ونفاذ إرادته ومشيتته مهما توهم الطغاة الحيلولة دون حصولها:

(عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ..... فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام وقال له كهنته وسحرته: إن هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل. فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد العام ولد إلا ذبح، ووضع على أم موسى قابلة فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحى النساء هلكنا، فلم نبق، فتعالوا: لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى عليه السلام: بل بأشروهن فإن أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهم من حرمة فإني لا أحرمه، ومن تركه فإني لا أتركه، ووقع على أم موسى فحملت، فوضع على أم موسى قابلة تحرسها فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت، فلما حملته أمه وقعت عليها المحبة وكذلك حجج الله على خلقه، فقالت لها القابلة: ما لك يا بنية تصفرين وتذوين؟ قال: لا تلوميني فإني إذا ولدت أخذ ولدي فذبح، قالت: لا تخزني فإني سوف أكتم عليك، فلم تصدقها، فلما أن ولدت التفت إليها وهي مقبلة فقالت: ما شاء الله، فقالت لها: ألم أقل إني سوف أكتم عليك، ثم حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثم خرجت إلى الحرس فقالت: انصرفوا - وكانوا على الباب - فإنما خرج دم منقطع فانصرفوا، فأرضعته فلما خافت عليه الصوت أوحى الله إليها أن اعملي التابوت، ثم اجعليه فيه، ثم أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر فوضعه في التابوت، ثم دفعته في اليم، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر، وإن الريح ضربته فانطلقت به، فلما رآته قد ذهب به الماء همت أن تصبح فربط الله على قلبها. قال: وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون وهي من بني إسرائيل، قالت لفرعون: إنها أيام الربيع فأخرجني واضرب لي قبة على شط النيل حتى أتزه هذه الأيام، فضربت لها قبة على شط النيل إذ أقبل التابوت يريدها، فقالت: هل ترون ما أرى على الماء؟ قالوا: إي والله يا سيدتنا إنا لنرى شيئاً، فلما دنا منها ثارت إلى الماء فتناولته بيدها

وكاد الماء يغمرها حتى تصايحوا عليها فجذبته وأخرجته من الماء فأخذته فوضعتة في حجرها، فإذا هو غلام أجمل الناس وأسترهم فوقعت عليها منه محبة، فوضعتة في حجرها وقالت: هذا ابني، فقالوا: إي والله يا سيدتنا والله ما لك ولد ولا للملك فاتخذني هذا ولداً، فقامت إلى فرعون وقالت: إني أصبت غلاماً طيباً حلواً نتخذة ولداً فيكون قرة عين لي ولك فلا تقتله، قال: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: والله ما أدري إلا أن الماء جاء به، فلم تزل به حتى رضي، فلما سمع الناس أن الملك قد تبىّ ابناً لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلا بعث إليه امرأته لتكون له ظئراً (مرضعة) أو تحضنه فأبى أن يأخذ من امرأة منهن ثدياً، قالت امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً ولا تحرقوا أحداً، فجعل لا يقبل من امرأة منهن، فقالت أم موسى لأختة: قصّيه انظري أترين له أثراً، فانطلقت حتى أتت باب الملك فقالت: قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً وههنا امرأة صالحة تأخذ ولدكم وتكفله لكم، فقالت: ادخلوها، فلما دخلت قالت لها امرأة فرعون: ممن أنت؟ قالت: من بني إسرائيل قالت: اذهبي يا بنية فليس لنا فيك حاجة، فقلن لها النساء: انظري عافاك الله يقبل أو لا يقبل، فقالت امرأة فرعون: أرايتم لو قبل هل يرضى فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل - يعني الظئر - فلا يرضى، قلن: فانظري يقبل أو لا يقبل، قالت امرأة فرعون: فاذهبي فادعيها، فجاءت إلى أمها وقالت: إن امرأة الملك تدعوك فدخلت عليها فدفع إليها موسى فوضعتة في حجرها، ثم ألقيته ثديها فازدحم اللبن في حلقه، فلما رأت امرأة فرعون أن ابنها قد قبل قامت إلى فرعون فقالت: إني قد أصبت لابني ظئراً وقد قبل منها، فقال: ممن هي؟ قالت: من بني إسرائيل قال: فرعون هذا مما لا يكون أبداً، الغلام من بني إسرائيل والظئر من بني إسرائيل فلم تزل تكلمه فيه وتقول: ما تخاف من هذا الغلام؟ إنما هو ابنك ينشأ في حجرك حتى قلبته عن رأيتة ورضي. فنشأ موسى عليه السلام في آل فرعون وكنمت أمه خبره وأخته والقبالة، حتى هلكت أمه والقبالة التي قبلته، فنشأ عليه السلام لا يعلم به بنو إسرائيل قال: وكانت بنو إسرائيل تطلبه وتسأل عنه فيعصى عليهم خبره، .....<sup>(١)</sup>.

وها هنا ملاحظات تتعلق بالنص:

١- الطريقة التي أخفى الله سبحانه بها حمل أم موسى لها نظير في الإسلام يتمثل بخفاء حمل أم الإمام المهدي "نرجس" بولدها الإمام المهدي صلوات الله عليه، والسبب واحد في الحادثتين كما هو معلوم، فكانت السيدة نرجس نظيرة لأم موسى وكان الإمام المهدي نظيراً لموسى في هذا الأمر.

قصّت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد صلوات الله عليه حضورها في بيت ابن أخيها الإمام الحسن العسكري صلوات الله عليه ليلة ولادة ابنه محمد المهدي، والرواية طويلة نقلناها سابقاً في بحث "ولادة إبراهيم"، هذا مقطع منها:

(..... قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام (أي الإمام الهادي) وجلس أبو محمد عليه السلام مكان والده وكنت أزوره كما كنت أزور والده فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفي، فقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا أدفع إليك خفي لتخلعيه ولا لتخدميني بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله يا عمة خيراً، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف فقال عليه السلام: لا يا عمتا بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيى الله عز وجل به الأرض بعد موتها، فقلت: ممن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أرها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت فتبسم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأن مثلها مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبال في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام. ....)(<sup>(١)</sup>).

هذا يعني أن تهئية وتمهيد رسالة موسى لرسالة الرسول محمد بمستوى من القوة والوضوح استدعت لأن يبدأ التمهيد من أولى خطى الرسالة الموسوية المتمثلة بولادة

الرسول موسى، فهي - بالكيفية التي حصلت بها - مهّدت الطريق لولادة الامام المهدي صلوات الله عليه، وهو ركن أساسي في رسالة جده الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

٢- الطريقة التي حفظ الله سبحانه بها رسوله موسى عند حمله وولادته ثم تربيته وتنشئته تكشف عن أنّ إرادة الله نافذة ولا يتمكن مخلوق من الحيلولة دون حصولها؛ وليس هذا فحسب، ولكن فرعون الذي كان يترصد موسى لقتله وهو جنين في بطن أمه شاء الله أن يقوم هو (دون غيره) بتربيته في بيته وقصره، بل وألقى الله عليه محبة موسى، وهو منّ واضح من الله على عبده موسى!

- "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى \* أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ \* وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ..... \* وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي" طه: ٣٧ - ٤١.

- "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ \* وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" القصص: ٧-١٣.

٣- النص الروائي والقرآني أشارا لولادة موسى، وبحسبهما: فإنّ أم موسى لما خافت على ولدها موسى أوحى الله لها أن تضعه في تابوت وتلقيه في نهر النيل، لتقوم زوجة فرعون - بعد ذلك - بالتقاطه من النهر، وتقنع فرعون باتخاذها ولداً لهما إذ لم تكن عندهما ذرية، ولما كان موسى رضيعاً فبالأكيد سيحتاج إلى مرضعة فجاءت نسوة المقربين من فرعون ليحظين بشرف إرضاع ربيب "الملك" لكن موسى رفض المراضع، ولم يرتضع إلا

من أمّه بعد أن دلّتهم عليها أخت موسى التي كانت تعمل عند زوجة فرعون "آسيا بنت مزاحم": المؤمنة التي كانت تخفي إيمانها على فرعون<sup>(١)</sup>!

١- (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن موسى لما حملت به أمه، لم يظهر حملها إلا عند وضعه. وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظونهن، وذلك أنه كان لما بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون: إنه يولد فينا رجل، يقال له موسى بن عمران، يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده. فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم. حتى لا يكون ما يريدون. وفرق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس. فلما وضعت أم موسى موسى عليه السلام، نظرت إليه، وحزنت عليه، واغتمت وبكت، وقالت: يذبح الساعة. فعطف الله بقلب الموكلة بها عليها، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي. فقالت: لا تخافي. وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه، وهو قول الله: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي" فأحبته القبطية الموكلة به. وأنزل الله على موسى التابوت، ونوديت أمه: ضعيه في التابوت فاقدفيه في اليم، وهو البحر "ولا تخافي ولا تخزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين"، فوضعت في التابوت، وأطبقت عليه، وألقته في النيل. وكان لفرعون قصر على شط النيل متزّه، فنزل من قصره ومعه آسية امرأته، فنظر إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج، والرياح تضربه، حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه، فأخذ التابوت، ورفع إليه، فلما فتحه وجد فيه صبياً، فقال: هذا إسرائيلي. وألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة، وكذلك في قلب آسية، وأراد فرعون أن يقتله، فقالت آسية: "لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" أنه موسى عليه السلام، ولم يكن لفرعون ولد، فقال: انتوا له بظئر تربيته. فجاءوا بعدة نساء قد قتل أولادهن، فلم يشرب لبن أحد من النساء، وهو قول الله: "وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ". وبلغ أمه أن فرعون قد أخذه، فحزنت، وبكت، كما قال: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ"، يعني كادت أن تخبر بخبره، أو تموت، ثم ضببطت نفسها، فكان كما قال الله عز وجل: "لَوْ لَا أَنْ رَٰبِطُنَا عَلَىٰ قُلُوبِنَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" وقالت لأختها، أي لأخت موسى: "فَصِيهِ أَيِّ اتبعيه، فجاءت أخته إليه "فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ" أي عن بعد "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" فلما لم يقبل موسى بأخذ ثدي أحد من النساء، اغتم فرعون غما شديداً، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم. وهم له ناصحون؟ فقال: نعم فجاءت بأمه، فلما أخذته في حجرها، وألقمته ثديها، والتقمه وشرب، ففرح فرعون وأهله، وأكرموا أمه، وقالوا لها: ربي لنا، ولك منا الكرامة بما تختارين. وذلك قول الله تعالى: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما يلدون، ويربي موسى ويكرمه، ولا يعلم أن هلاكه على يده، فلما درج موسى، كان يوماً عند فرعون، فعطس موسى. فقال: الحمد لله رب العالمين. فأنكر فرعون ذلك عليه، ولطمه، وقال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته - وكان طويل اللحية - فلهبها - أي قلعها - فألمه ألماً شديداً، فهم فرعون بقتله، فقالت أمه: هذا غلام حدث، لا يدري ما يقول، وقد ألمته بلطمتك إياه. فقال فرعون: بل يدري. فقالت له: ضع بين يديه تمرا وجمرا، فإن ميز بينهما فهو الذي تقول. فوضع بين يديه تمرا وجمرا، وقال: كل. فمد يده إلى التمر، فجاء جبرئيل فصرقها إلى الجمر، فأخذ الجمر في فيه، فاحترق لسانه، وصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك إنه لا يعقل؟ فعفا عنه.

قال الراوي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى غائباً عن أمه حتى رده الله عليها؟ قال: ثلاثة أيام) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ١٣٥ - ١٣٦: البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ٤ / ٢٥٥ - ٢٥٧.



نصوص العهد القديم أشارت إلى قصة ولادة موسى من "بيت لاوي"، فأخفت أمه ولادته مدة ثلاثة أشهر ثم وضعت في سبط من بردي وألقته عند حافة النهر، فرأته ابنة فرعون فرقت له وأخذته، ثم تدخلت أخته التي كانت تخدم في القصر لتتوسط في إرضاعه عند أمه، ثم لما كبر جيء به لابنة فرعون وصار لها ابناً وأسّمته "موسى" ويعني: "المنتقذ" أو "المنتشل من الماء" <sup>(١)</sup>.

وعموماً، قصة ولادة موسى صلوات الله عليه يمكننا أن نستفيد منها أمرين مهمين:

**الأول:** النصوص صريحة في أن الله أوحى إلى أم موسى، وهذا يقطع الطريق أمام فهم كثير من علماء المسلمين الذين خصّوا "الوحي" بأنبياء الله ورسله فقط، فواضح أن أم موسى مجرد امرأة صالحة لا أكثر.

**الثاني:** طريق الوحي المتاح لأم موسى (كما هو متاح لغيرها بالأمس واليوم وسيبقى مفتوحاً ليوم الإنسانية الأخير على هذه الأرض) هو الرؤيا <sup>(٢)</sup>، فالله سبحانه أوحى لأم موسى

١- (سفر الخروج - إصحاح ٢): "وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَاوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لَاوِي، ٢ فَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَتِ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، حَبَّأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ٣ وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفْطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحُمْرِ وَالزَّفْتِ، وَوَضَعَتْ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. ٤ وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لَتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. ٥ فَتَزَلَّتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفْطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. ٦ وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ». ٧ فَقَالَتْ أُخْتُهُ لَابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لِكَ امْرَأَةٍ مُرْضِعَةٍ مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِيَرْضِعَ لَكَ الْوَلَدَ؟» ٨ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ. ٩ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي بِهَذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكَ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. ١٠ وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ».

٢- هذه بعض كلمات علماء المسلمين التي تؤكد ما ذكرناه أو تجعله أحد وجوه تفسير الآية:

- المفيد: (قال الله تعالى: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه" الآية، فاتفق أهل الاسلام على أن الوحي كان رؤيا مناماً أو كلاماً سمعته أم موسى في منامها على الاختصاص) تصحيح اعتقاد الإمامية: ١٢١.

- ابن أبي حاتم الرازي: (واختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إلهاماً، وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها) تفسير القرآن العظيم: ١٣ / ٨٠٢.

- السمعاني: ("وأوحينا إلى أم موسى" هو إلهامها، وألقى هذا المعنى في قلبها، وقال بعضهم: رأت ذلك رؤيا، [وقال] بعضهم: هو الوحي حقيقة، وأنها الملك بهذا من الله، إلا أنها لم تكن نبية) تفسير السمعاني: ٤ / ١٢٢.

بالرؤيا أن تقوم بعمل التابوت وتضع موسى فيه وتلقيه في النهر، بل وأعلمها في الرؤيا أن ولدها موسى من المرسلين: "إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" وهذا يؤكد أن الرؤيا الصادقة شهادة من الله وطريق لتشخيص خليفة الله (نبي، رسول، إمام)، وليس كما يعتقد كثير من السفهاء الذين يستخفون بالرؤى ويصفونها بأنها مجرد أضغاث أحلام، وهو اجتراء لمقولة الكافرين برسالات الله ورسله لا أكثر!

الرؤى الصادقة من وحي الله، وهو أمر أكدته نصوص دينية كثيرة<sup>(١)</sup>. علماً، أننا لا نتحدث عن مجمل المنامات (أي: كل ما يراه الإنسان أثناء نومه)، وإنما نتحدث عن الرؤى التي تحوي حكمة، ويكون فيها رسول إلهي معصوم لا يمكن أن يتمثل به الشيطان، وأيضاً: نتحدث عن طريق تشخيص خليفة الله بالذات ولا نتحدث عن تفاصيل الدين الإلهي التي تؤخذ من خليفة الله حصراً بعد التعرف عليه.

- البيضاوي: ("وأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا" تفسير البيضاوي: ٤ / ١٧٢).

١- النصوص كثيرة، منها:

- قول الإمام الصادق صلوات الله عليه: "رأى المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة" الكافي، الكليني: ٨ / ٩٠.

- قول الإمام الباقر صلوات الله عليه: "قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: في قول الله عز وجل: "لهم البشري في الحياة الدنيا" قال: هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه" نفس المصدر.

- قول الإمام الرضا صلوات الله عليه: "إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم. وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة" روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢٣٤.

- قوله صلى الله عليه وآله: "لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة" صحيح البخاري: ٨ / ٦٩.

- قوله صلى الله عليه وآله: "من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" صحيح البخاري: ٨ / ٧١.

- قوله صلى الله عليه وآله: "أما الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له" مسند أحمد: ١ / ٢١٩: سنن الدارمي: ١ / ٣٠٤.

- قوله صلى الله عليه وآله: "ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس قال قال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل وهي جزء من أجزاء النبوة" مسند أحمد: ٣ / ٢٦٧.

يقول السيد أحمد الحسن: (الخلاصة بالنسبة للرؤى:

١- الرؤى دليل تشخيص مصداق خليفة الله، والدليل القرآني القائم هو أنّ الرؤى الصادقة هي وحي ونص من الله عند خلقه، يعرفهم به على خليفته في أرضه. وهي باعتبارها وحيّاً إلهياً؛ فهي دليل إنّ تحققت فيها الشروط التي تجعلها دليلاً تشخيصياً لخليفة الله، وهي:

أ- كونها مطابقة للنص الإلهي التشخيصي الصادر من خليفة الله السابق، فلا قيمة لرؤى مدّعاة لشخص غير منصوب عليه بعد آدم عليه السلام، ولا داعي للنظر فيها أصلاً؛ لأنه بعد آدم عليه السلام أصبح الخليفة ينص على وصيه أو أوصيائه من بعده.

ب- تواترها عند أناس يمتنع تواطؤهم على الكذب.

ج- توافر الرؤيا على ما يمنع كونها من الشيطان؛ كوجود معصوم أو قرآن أو إخبار غيبي.

د- محكمة المعنى بمجملها في التنصيص على شخص بعينه.

٢- لا حجية للرؤى في مقابل النص، فمع وجود النص - كما هو الحال من بعد آدم إلى أن تقوم الساعة - فالرؤى تكون تابعة له، وكل أحلام تخرج عن نص الخليفة السابق فهي إما هوى نفس أو من الشيطان أو أكاذيب يؤلفها أصحابها. فبعد آدم لا بد أن يكون مع الخليفة نص من خليفة سابق، فإن لم يكن حاملاً لهذا النص ستكون الأحلام التي يدّعيها أصحابها مجرد أوهام نفسية أو وحي من شياطينهم، والرؤى المدّعاة في الكذابين فاقدية الدليل الشرعي هي مجرد أكاذيب تواطأ عليها كذابون لتأييد مذهبهم ودينهم المنحرف.

٣- لا حجية للرؤيا في نفي خلافة الله في أرضه عمّن ثبتت حجيته بالدليل القطعي، وهو النص الإلهي الواصل من خليفة الله المباشر أو غير المباشر على تفصيل سيأتي.

٤- لا حجية للرؤيا في دين الله عقيدة وتشريعاً، غير ما أثبتته النص (القرآن والروايات)، وهو ما بيّناه من تشخيص مصداق خليفة الله في أرضه. فلا قيمة شرعية للرؤى المدّعاة في تأييد ادعاء أو اعتقاد غير مبني على الدليل، مثل عقيدة تقليد غير

المعصوم، وخلافة الرسول بالشورى، أو حجية لشخص ما غير خليفة الله وما شابه من عقائد منحرفة لم يقم عليها معتقدوها دليلاً شرعياً، ولا حتى عقلياً تماماً يمكن الركون إليه) انتهى<sup>(١)</sup>.

مسألة الاعتقاد بالرؤى الصادقة التي بدأت في رسالة موسى مع أمه عند ولادته، أيضاً تمهّد الطريق لرسالة محمد صلى الله عليه وآله التي قامت - كما سنعرف عند عرضها - على الاعتقاد بهذا الأمر، ويكفي أن نعرف الآن أنّ بداية أمره كان برؤيا رأتها أمه (السيدة آمنة بنت وهب) أيضاً<sup>(٢)</sup>، وكذا حال أوصيائه (وهم جزء من رسالته كما عرفنا)، وكمثال: ما حصل مع السيدة نرجس أم الإمام المهدي وكيفية زواجها بالإمام العسكري، فالأمر - بحسب النصوص الدينية - حصل من خلال رؤيا رأتها<sup>(٣)</sup>.

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: قانون معرفة الحجة - النص من الله سبحانه وتعالى.

٢- (عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، فقال: دعوة أبي إبراهيم وبشري عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بضري من أرض الشام ..... صحيح الاسناد وإن لم يخرجاه) المستدرک على الصحيحین، الحاكم النيسابوري: ٢ / ٦٠٠.

٣- روى الشيخ الطوسي بسنده: (قال بشر بن سليمان النخاس - وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري أحد موالى أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام وجارهما بسر من رأى - أتاني كافور الخادم فقال: مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام يدعوك إليه فأتيته فلما جلست بين يديه قال لي: يا بشر إنك من ولد الأنصار وهذه الموالاة لم تنزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإني مزكيتك ومشركك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة (بها) بسر أطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع أمة فكتب كتاباً لطيفاً بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه خاتمه وأخرج شقيقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً، فقال: خذها وتوجه بها إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زوارق السبايا وترى الجوارى فيها ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفها كذا وكذا، لابسة حريرين صفيقين تمتنع من العرض، ولبس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة رومية من وراء سترقيق فاعلم أنها تقول واهتك ستره. فيقول بعض المبتاعين: عليّ ثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة. فتقول له بالعربية: لوبرزت في زي سليمان بن داود، وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك. فيقول النخاس: فما الحيلة ولابد من بيعك. فتقول الجارية: وما العجلة ولابد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته. فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له: إن معك كتاباً ملصقاً لبعض الاشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيهه في ابتياعها منك.

قال بشرين سليمان: فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية فلما نظرت في الكتاب بكت بكاء شديدا وقالت لعمر بن يزيد: يعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة والمغلظة إنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أشاحه في ثمنها حتى استقر الامر فيه على مقدار ما كان أصحابنيه مولاي عليه السلام من الدنانير فاستوفاه (مني) وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت أوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيها وهي تلثمه وتطبقه على جفنها وتضعه على خدها وتمسحه على بدنها. فقلت تعجبا منها تلثمين كتابا لا تعرفين صاحبه. فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء أعزني سمعك وفرغ لي قلبك، أنا ملكية بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون أنبنك بالعجب. إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين من القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الاخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بيبي ملكه عرشا مصنوعا من أصناف الجوهر (إلى صحن القصر)، ورفع فوق أربعين مرقاة، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت الصلب، وقامت الأساقفة عكفا، ونشرت أسفار الإنجيل، تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت بالأرض وتقوضت أعمدة العرش، فانهارت إلى القرار، وخر الصاعد من العرش مغشيا عليه، فتغيرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم (لجدي): أيها الملك أعفنا من ملاقة هذه النحوس الدالة على زوال دولة هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني، فتطير جدي من ذلك تطيرا شديدا وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان وأحضروا أخا هذا المدير العاثر المنكوس جده لأزوجه هذه الصبية، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني (مثل) ما حدث على الأول وتفرق الناس، وقام جدي قيصر مغتما فدخل منزل النساء وأرخت الستور وأريت في تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي ونصبوا فيه منبرا من نور يباري السماء علوا وارتفاعا في الموضع الذي كان نصب جدي فيه عرشه، ودخل عليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وختنه ووصيه عليه السلام وعدة من أبنائه عليهم السلام. فتقدم المسيح إليه فاعتنقه فيقول له محمد صلى الله عليه وآله وسلم: يا روح الله إني جنتك خاطبا من وصيك شمعون فتاته مليكة لابي هذا - وأوما بيده إلى أبي محمد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب فنظر المسيح إلى شمعون وقال (له): قد أتاك الشرف فصل رحمك رحم آل محمد عليهم السلام قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر فخطب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزوجتي من ابنه، وشهد المسيح عليه السلام وشهد أبناء محمد عليهم السلام والحواريون. فلما استيقظت أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل فكنت أسرها ولا أبدعها لهم، وضرب صدري بمحبة أبي محمد عليه السلام حتى امتنعت من الطعام والشراب فضعفت نفسي ودق شخصي، ومرضت مرضا شديدا، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدي وسأله عن دوائي فلما برح به اليأس قال: يا قرّة عيني وهل يخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا، فقلت: يا جدي أرى أبواب الفرج علي مغلقة فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدقت عليهم ومنيتهم الخلاص رجوت أن يهب (لي) المسيح وأمه عاقية. فلما فعل ذلك تجلدت في إظهار الصحة من بدني قليلا وتناولت يسيرا من الطعام، فسر بذلك وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم، فأريت [أيضا] بعد أربع عشرة ليلة كأن سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني ومعها مريم ابنة عمران وألف من وصائف الجنان فتقول لي مريم: هذه سيدة نساء العالمين أم زوجك أبي محمد عليه السلام فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد عليه السلام من زيارتي. فقالت سيدة النساء عليها السلام: إن ابني أبا محمد لا يزورك، وأنت مشركة بالله على مذهب

## نبوة موسى ورسالته:

موسى صلوات الله عليه قائم بني إسرائيل المنتظر، وقد شاء الله أن تكون بعد وفاة يوسف وبعثة موسى غيبة؛ وغيبة ثانية كانت لموسى إلى مدين: (عن سعيد بن جبير، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه ثم حدثهم بشدة تنالهم، يقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبالى وتذبح الأطفال حتى

النصارى، وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله تعالى من دينك، فإن ملت إلى رضى الله ورضى المسيح ومريم عليهما السلام وزيارة أبي محمد إياك فقولى أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبي محمدا رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني إلى صدرها سيدة نساء العالمين عليها السلام وطيبت نفسي وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد فإني منفذته إليك فانتبهت وأنا أنول وأتوقع لقاء أبي محمد عليه السلام. فلما كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد عليه السلام وكأني أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلقت نفسي معالجة حبك فقال ما كان تأخري عنك إلا لشركك، فقد أسلمت وأنا زائر لك في كل ليلة إلى أن يجمع الله تعالى شملنا في العيان. فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسارى فقالت: أخبرني أبو محمد عليه السلام ليلة من الليالي أن جدك سيسير جيشا إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثم يتبعهم. فعليك باللاحاق بهم متكررة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت ذلك فوقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعرباني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك باطلاعي إياك عليه. ولقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأذكرته وقلت نرجس، فقال: اسم الجواري. قلت: العجب أنك رومية ولسانك عربي؟ قالت: نعم من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة لي في الاختلاف إلي وكانت تقصدني صباحا ومساء وتفيدني العربية حتى استمر لسانى عليها واستقام. قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام فقال: كيف أراك الله عز الاسلام وذل النصرانية وشرف محمد وأهل بيته عليهم السلام؟ قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به مني. قال: فإني أحببت أن أكرمك فما أحب إليك، عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد؟ قالت: بشرى بولد لي قال لها: أبشري بولد يملك الدنيا شرقا وغربا ويملا الأرض قسما وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، قالت: ممن؟ قال: ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالرومية (قالت من المسيح ووصيه؟) قال لها ممن زوجك المسيح عليه السلام ووصيه؟ قالت: من ابنك أبي محمد عليه السلام؟ فقال: هل تعرفينه؟ قالت: وهل خلت ليلة لم يرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيدة النساء صلوات الله عليها، قال: فقال مولانا: يا كافور أدر أختي حكيمة، فلما دخلت قال لها: ها هي فاعتنقتها طويلا وسرت بها كثيرا، فقال لها أبو الحسن عليه السلام: يا بنت رسول الله خذها إلى منزلك وعلمها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام) الغيبة، الطوسي: ٢٠٨ - ٢١٤.

يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طوال، ونعته لهم بنعته، فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم أربع مائة سنة حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره واشتدت عليهم البلوى، وحمل عليهم بالخشب والحجارة، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر، وراسلوه فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحاري وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الامر، وكانت ليلة قمراء، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة فعدل عن موكبته و أقبل إليهم وتحتة بغلة وعليه طيلسان خز، فلما رآه الفقيه عرفه بالنعته فقام إليه و انكب على قدميه فقبلهما ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرا نيك، فلما رأى الشيعة ذلك علموا أنه صاحبهم فأكبوا على الأرض شكراً لله عز وجل، فلم يزداهم على أن قال: أرجو أن يعجل الله فرجكم، ثم غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام، فكانت الغيبة الثانية أشد عليهم من الأولى وكان نيفاً وخمسين سنة واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب نفوسهم وأعلمهم أن الله عز وجل أوحى إليه أنه مفرج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله، فأوحى الله عز وجل إليه قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم "الحمد لله"، فقالوا: كل نعمة فمن الله، فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة، فقالوا: لا يأتي بالخير إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرًا، فقالوا: لا يصرف السوء إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبينما هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً. فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، قال: ابن من؟ قال: ابن قاهت بن لاوي بن يعقوب، قال: بماذا جئت؟ قال: جئت بالرسالة من عند الله عز وجل، فقام إليه فقبل يده، ثم جلس بينهم فطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة<sup>(١)</sup>.

النص يشير إلى مرحلتين أساسيتين في حياة موسى عليه السلام:

**الأولى:** فترة مقتبل عمره وشبابه، أي: قبل حادثة مقتل القبطي وخروجه من مصر إلى مدين، وهذه الفترة أشارت لها الرواية في بدايتها <sup>(١)</sup>، وفي هذا الفترة كان موسى عليه السلام يعيش في قصر فرعون ويرى بعينه الظلم والجور الذي يمارسه فرعون وسلطاته الظالمة، ولهذا قصَّ الله قوله بعد قيامه بقتل القبطي الظالم والمعتدي: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ" القصص: ١٦ - ١٧.

القبطي كان ظالماً ومعتدياً وقتل موسى له كان بحق (كما سيتضح)، ولم يكن استغفار موسى بسبب هذا الفعل كما توهم البعض، وإنما استغفاره كان من بقاءه في قصر فرعون الظالم المجرم، ولذا قال: "فلن أكون ظهيراً للمجرمين" يقصد فرعون، والظهير: المعين والناصر!

يقول السيد أحمد الحسن: (طلب موسى عليه السلام للمغفرة من الله وتاب إليه سبحانه من بقاءه في قصر فرعون لعنه الله بعد أن عرف أنه عدو لله سبحانه وتعالى، والذنب الذي ارتكبه هو: بقاءه في قصر فرعون لعنه الله فقد كثر سواده وإن لم يكن راضياً عن فعله، ولهذا قال بعد المغفرة: "رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ"، أي: نعمة المغفرة ونعمة القوة البدنية، والمجرمون: هم فرعون وجنوده) انتهى <sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: "رب بما أنعمت علي" فهو كما يشير إلى نعمة المغفرة والقوة البدنية. يشير كذلك إلى نعمة أكبر، هي: أن موسى كان يحظى بعناية ورعاية إلهية وكان الله سبحانه ينبي عبده موسى ويعلمه ويمهينه ويعدّه للبعث والإرسال: "وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي" طه: ٣٩، أي: تكون

١- قوله عليه السلام: (ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم منتظرون قيام القائم أربع مائة سنة حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره واشتدت عليهم البلوى، وحمل عليهم بالخشب والحجارة، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر، وراسلوه فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحاري وجلس يحدّثهم حديث القائم ونعته وقرب الامر، وكانت ليلة قمراء، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السن .....، ثم غاب بعد ذلك).

٢- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٢٢.



بحفظي ورعايتي الخاصة. وهذا يعني أنّ موسى عليه السلام خلال هذه الفترة كان نبياً لكنه لم يُبعث أو يُرسل من قبل الله بعد، ولم يطلب من الناس شيئاً أو يكلفهم بشيء، فهو لا زال في طور الإعداد الإلهي للبعث والإرسال الذي سيحصل في المقطع الثاني (بعد عودته من مدين).

وهذه الفترة من حياة موسى عليه السلام أشارت له "التوراة - سفر الخروج" <sup>(١)</sup>.

**الثانية:** فترة بعث موسى وإرساله من الله سبحانه عند بلوغه أربعين عاماً، وقد أشرير لها في المقطع الأخير من الرواية <sup>(٢)</sup>، وهي الفترة التي تلت انقضاء غيبته في مدين (عشرة سنين)، ثم زواجه ببنت نبي الله شعيب، وأثناء رجوعه من مدين حصلت معه حادثة الاصطفاء والبعث والإرسال (وسيأتي ذكرها بالتفصيل)، وهنا طلب من الله أن يشد أزره بأخيه هارون ليذهبا معاً إلى فرعون بالآيات!

١- (سفر الخروج - إصحاح ٢): "١١ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ١٢ فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهَنَاكَ وَرَأَى أَن لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ١٣ ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصِمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» ١٤ فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمْفَتَكِرْتُ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عَرَفَ الْأَمْرَ». ١٥ فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هَذَا الْأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبَيْتِ. ١٦ وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعَ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلَأْنَ الْأَجْرَانَ لِيَسْقِيَنَّ عَنْهُنَّ أَبِيهِنَّ. ١٧ فَأَتَى الرُّعَاةَ وَطَرَدُوهُنَّ. فَهَضَّ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى عَنْهُنَّ. ١٨ فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بِالْكُنَّ أَسْرَعَتْ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمَ؟» ١٩ فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». ٢٠ فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْنَهُ الرُّجُلَ؟ اذْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». ٢١ فَارْتَضَى مُوسَى أَن يَسْكُنَ مَعَ الرُّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةً ابْنَتَهُ. ٢٢ فَوَلَدَتْ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ «جَرَشُومَ»، لِأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ». ٢٣ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَهَيَّأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَّخُوا، فَصَعِدَ صَرَاحُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ .....". كاهن مديان "مدين": هوني الله شعيب عليه السلام.

٢- قوله عليه السلام: (واشدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب نفوسهم وأعلمهم أنّ الله عز وجل أوحى إليه أنه مفرج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله، ..... فأوحى الله إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبينما هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً. فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، قال: ابن من؟ قال: ابن قاهت بن لاوي بن يعقوب، قال: بماذا جئت؟ قال: جئت بالرسالة من عند الله عز وجل).

موسى عليه السلام بعد رجوعه من مدين ودخوله مصر ذهب إلى أهله (أخوه هارون، وأخته مريم ... إلخ) وقومه وبلغهم بدعوته ورسالته، وهنا تعرّف عليه الفقيه (المذكور في الرواية) وغيره من الإسرائيليين الذي آمنوا به، وكان طريق معرفتهم به هو قانون معرفة الرسل: (النص، العلم، الدعوة إلى الله).

يقول السيد أحمد الحسن: (موسى عليه السلام بُعث بالأساس لبني إسرائيل، فهو بمجرد دخوله لمصر بعد رجوعه من مدين ذهب لأهله وقومه، فقد سأل الله سبحانه في طريق عودته أن يشد عضده بأخيه هارون واستجاب الله له: "قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ" \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَنَا تَبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ" القصص: ٣٣ - ٣٥.

علمًا، أنّ بني إسرائيل لم يتدخلوا جميعهم بالمجتمع المصري آنذاك، وإنما كان معظمهم منعزلين بمنطقة خاصة بهم تقريباً وكان فرعون وقومه يستخدمونهم ويسخرونهم للعمل أي أنّ حالهم كالعبيد، لذلك قال موسى لفرعون: "أرسل معي بني إسرائيل" أي: أطلقهم من يدك وأرسلهم معي فأنا نبيهم وقائدهم؛ لأنه كان يريد تخليصهم.

وعموماً، لما مرّ موسى بأهله وكذا أخوه وأخته مريم على بني إسرائيل استقبلوه، فبلغهم برسالته وبعثه من الله فأمن به من آمن من خلال قانون معرفة الحجة، ولم يقدّم لهم في هذه المرحلة آيات ولا معاجز فالعصا واليد كانت للطغاة الفاسقين فرعون ومساعديه وأعدائه وليست لهارون ومريم ولا لبني إسرائيل؛ باعتبار أنهم مؤمنون بوصايا يعقوب والأنبياء بموسى والنص عليه: "اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" القصص: ٣٢.

بل حتى معجزات موسى التالية لم تكن القاهرة، وتركت مساحة للإيمان بالغيب ككل معاجز الأنبياء، ومن يتوقع أنّ موسى قدّم لقومه معاجز القاهرة لإثبات رسالته فهو يلغي الإيمان بالغيب ويلغي الامتحان الذي خلقنا في هذا العالم لأدائه!

ثم بعد لقائه بهارون وأهله وقومه حصلت حادثة ذهابه برفقة أخيه هارون إلى فرعون وأعوانه وقومه التي قصّها القرآن الكريم) انتهى<sup>(١)</sup>.

التوراة (سفر الخروج تحديداً) أيضاً أشارت لهذه المرحلة من حياة موسى عليه السلام، حيث ذكرت حادثة اصطفاء موسى وإرساله إلى فرعون وإنقاذ قومه من النذل والعبودية<sup>(٢)</sup>.

وعموماً، واضح أنّ موسى عليه السلام مرّ بمرحلتين كما ذكرنا، والسؤال الآن: بماذا يمكننا أن نصف حال موسى قبل بعثته وإرساله؟ والحقيقة، إنّ هذا السؤال لا يختص بموسى فحسب وإنما هو جارٍ في جميع رسل الله الذين بعثهم الله لأقوامهم؛ كلّ في زمانه!

يقول السيد أحمد الحسن في بيان النبوة والرسالة وتوضيح كيفية إرسال وبعث الرسل الإلهيين:

(البعث هو الإرسال، والنبوة غير الرسالة، فالنبي شخص تصله أنباء الغيب من الله أي يوحى له عبر الرؤى وغيرها من طرق الوحي؛ وكلّ بقدره، تماماً كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله في وصف الرؤى الصادقة أو الصالحة بأنها الأمر المتبقي من النبوة<sup>(٣)</sup>.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- (سفر الخروج - إصحاح ٣): "وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَزْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنَ مِذْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ خُورَيْبَ. ٢ وَظَهَرَتْ لَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ بِلَهِيْبٍ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عَلْيَيْقَةٍ. فَتَنَظَرُوا إِذَا الْعَلْيَيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعَلْيَيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. ٣ فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لَأَنْظُرَ هَذَا الْمُنْتَظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعَلْيَيْقَةُ؟» ٤ فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلْيَيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!» فَقَالَ: «هَآنَذَا». ٥ فَقَالَ: «لَا تَقْرَبْ إِلَى هَهْنَا. اخْلَعْ جِذَاءَكَ مِنْ رَجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ٦ ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، ٨ فَتَزَلْتُ لَأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، .....».

٣- قال صلى الله عليه وآله: "إن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة" روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢٣٤، وقال أيضاً: "لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة" صحيح البخاري: ٨ / ٦٩.

وبالتالي، فالرسل كلهم أنبياء يوحى لهم قبل الرسالة بلا نقاش، فأى رسول إلهي قبل أن يرسله الله لقومه هو نبي، وليس صحيحاً فهم أن الله سبحانه يرسل الموحى له بمجرد أنه أوحى له، فالوحي الإلهي حتى يتم فهمه بشكل صحيح ودقيق في هذا العالم يحتاج إلى وقت يتعلّم فيه الموحى له بشكل تدريجي بحسب استعدادده وإخلاصه لله، وليست المسألة أن الله يعلم أن هذا الإنسان (الموحى له) هو خليفته وحجته فيعلّمه الوحي بكل ما يتعلق به من تفاصيل دفعة واحدة، مثل هذا التصور يجعل الأمر قهرياً ومنافياً لعدل الله وحكمته، بل ولا يبقى للموحى له أجراً ولا فضلاً!

وأيضاً: من غير الصحيح توقع أن الله يبعث نبياً يوحى له وهو بعد غير قادر على فهم ما في الوحي من رموز وإشارات، فعملية البعث والإرسال من الله لنبي من الأنبياء لا تتم إلا بعد أن يكون النبي قد استكمل مرحلة فهم هذا العالم وفهم معاني ما يأتيه من عوالم الغيب والملكوت، ولا أقل أن يفهم بقدر رسالته ومهمته الإلهية، وكما قلت: فإن مرحلة الإعداد والتعليم هذه تحتاج إلى وقت بحسب قوانين عالمنا الذي نحن فيه، كما أن المسألة لها صلة بإخلاص الموحى له أيضاً.

وبعد أن يرى الله سبحانه أن عبده الموحى له استكمل مرحلة الإعداد وأصبح قادراً على فهم الوحي وتفاصيله تأتي المرحلة الثانية، أي: بعثه وإرساله لقومه.

والحال بالنسبة إلى موسى عليه السلام كذلك، أي: أنه مرّ بمرحلتين، ولهذا فهو بالرغم من أنه كان يعيش في قصر فرعون لكن وضعه الإيماني تطور بشكل ملحوظ؛ إذ وقف مع العدل ضد الظلم المتمثل بفرعون ودولته، وسبب هذا التطور في شخصية موسى يعود إلى وجود وحي إلهي له يقوم بتعليمه وإعداده؛ الأمر الذي دعاه إلى أن يتخذ قراراً للوقوف مع الله سبحانه وتعالى دائماً وعلى أي حال، ولهذا هو يبيّن بعد حادثة قتل القبطي: "قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ" القصص: ١٧.

ماذا أنعم الله عليه، وما هي النعمة التي قصدها موسى عليه السلام بقوله؟

موسى كان يقصد نعمة التعليم والمعرفة التي كانت تصله عبر الوحي الإلهي.

"فلن أكون ظهيراً للمجرمين": يعني أنني اتخذت قراراً بأن لا أكون ظهيراً ومعيناً لهؤلاء الكافرين والظالمين والفسادين، يقصد فرعون وحزبه.

أما بعث موسى وإرساله لقومه، فبالتأكيد حصل متأخراً (بعد بلوغه أربعين عاماً) عند رجوعه من مدين في حادثة الاصطفاء المعروفة ورؤيته للنار، لكن قبلها كان موسى نبياً مرّ بمراحل تعليمية ووحى إلهي كما ذكرت، ثم تم بعثه وإرساله بعد أن أصبح عنده وحي منتظم ومفهوم بالنسبة له ويعرف بواسطته المستقبل.

الحق، إنّ ميزة الحجّة (خليفة الله) الأساسية هي العلم، والعلم المقصود هنا: ما يحدث في الليل والنهار، معرفة المستقبل، معرفة ما يحدث غداً، معرفة هذا صح أو خطأ، معرفة ما يواجهه من أمور وحوادث تستوجب اتخاذ الإجراء الصحيح، وجميع ذلك يتحصل عليه بالوحي من الله.

الأئمة عليهم السلام كانوا يجيبون أصحابهم الذين كانوا يسألوهم عن العلم الذي يمتاز به خليفة الله بأنه معرفة المستقبل. طبعاً، يوجد علم آخر يختصون به كعلمهم بالقرآن والكتب السماوية مثلاً، لكن العلم الأساسي المحوري الذي يميز خلفاء الله هو أنهم يعرفون المستقبل، فمثلاً: يرى ماذا سيحصل بعد كذا سنة وبالتالي يتخذ الإجراء الصحيح، لذلك يجب الإمام: أنّ العلم هو ما سيحدث ما سيكون، ما يحدث في الليل والنهار، يوماً بيوم وساعة بساعة، أي: الوحي الذي يأتيه من الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

---

١- هذه بعض أجوبة الأئمة عليهم السلام التي تؤكد ذلك:

(٣) - ... عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمداً ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمداً، وإنّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح، قال: قلت: إن هذا لهو العلم؟ قال: ليس هذا هو العلم، إنّ العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة.

٤- ... عن زهير الكناسي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو بصير فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ داود ورث علم الأنبياء، وإنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى، فقال أبو بصير: إن هذا لهو العلم، فقال: يا أبا محمد ليس هذا هو العلم، إنّما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوماً بيوم وساعة بساعة (الكافي: ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥).

فتلخّص: أنّ النبوة التي هي معرفة أنباء الغيب من الله عن طريق الرؤيا أو الكشف هي أمر مستمر سواء قبل الإرسال أو بعده، وأما الإرسال فيكون بعد النبوة كما بيّنت.

وأيضاً: مرور موسى عليه السلام بمرحلي النبوة ثم الرسالة ليس أمراً خاصاً به، بل هو حال جميع الأنبياء الذين تم بعثهم وإرسالهم من قبل الله حتى الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فقد ورد بخصوصه (قبل بعثه) أنه كان يرى الرؤيا فتكون كفلق الصبح<sup>(١)</sup> يعني يعرف الغيب، وهذا وحي بلا شك) انتهى<sup>(٢)</sup>.

بقي أن نعرف جواب سؤال مهم آخر: موسى قبل بعثه من الله، هل لا بد أن يخفى حاله على الجميع، أم يمكن أن يطلع أحد ويعرف بأنه سيكون رسولاً مستقبلاً؟

الجواب: لا شيء يدعو لضرورة إخفاء حال الرسول المستقبلي على الجميع، بل المسألة لها علاقة بطهر الإنسان وإخلاصه وصلته بالله، إذ لا شك أنّ المعرفة بحال الرسول والحجة الإلهي قبل بعثه توجب الاستعداد والتهيؤ للإيمان به ونصرته بمجرد الإعلان عن دعوته، وهذا توفيق إلهي عظيم لا يغلقه الله الكريم (وحاشاه سبحانه) بوجه عباده المستحقين له.

يقول السيد أحمد الحسن جواباً على السؤال:

(هذا الأمر شرحته في كتاب "عقائد الإسلام"، إذ بيّنت أنّ الإنسان من حيث الأصل لما يسلك طريق المعرفة – كالتعرف على الرسل مثلاً – لا يحتاج أن تطرح عليه أدلة تثبت له نبوة أو رسالة حجة إلهي؛ لأنه بالأساس مفطور لأن يكون نبياً (ينبأ، يوحى له)، فدليله

١- (عن ابن عباس قال: إن أول ما ابتدأ به رسول الله صلى الله عليه وآله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح) حلية الأبرار، هاشم البحراني: ١/ ٦٧؛ وروى البخاري في صحيحه بسنده: (عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ...) صحيح البخاري: ١/ ٣.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

إذن من الله ويتعرف على المرسل من الله، وبالتالي يمكنه أن يعرف الرسول حتى قبل أن يُرسل، وقد حصل مثل ذلك لبعض الناس.

لعل أفضل مثال يمكن أن نشير إليه بهذا الصدد هو أكثم بن صيفي حيث رأى الرسول محمد صلى الله عليه وآله في صباه وعرف أنه نبي، كيف عرف؟ هل رأى شيئاً مميزاً في وجهه مثلاً؟ أكيد لا. بالتأكيد أنه رأى شيئاً روحياً أي: وحي إلهي. ثم إنه لما قال إنه نبي قالها وهو متيقن، وهذا يؤكد أن أكثم كان يُوحى له من الله ولديه حالة وجزء من النبوة، وهو الطريق الوحيد الذي دعاه إلى الجزم بأن محمداً صلى الله عليه وآله نبي وهو صبي، بحيث بعد هذه الحادثة بأكثر من خمسة وعشرين سنة تقريباً سمع ببعثة الرسول محمد فأمن به رأساً بلا انتظار أو طلب أي شيء آخر، بل وذهب له ليعلم إيمانه بالرغم من كبر سنّه لكنه مات في طريقه إليه رحمه الله.

عموماً، أكثم بن صيفي عنده وحي إلهي وجزء وحالة من النبوة، ولكن (كما أوضحنا في كتاب "النبوة الخاتمة") ليس كل من عنده حالة من النبوة يجب أن يُبعث ويرسل من الله، تماماً كمسألة العصمة، فهي أيضاً بابها مفتوح ويمكن لأي إنسان أن ينال العصمة، لكن فرق الحجة الإلهي عن غيره أن عصمته منصوص عليها بخلاف عصمة غيره. وكما أنّ النبوة (الإنباء من الله) بابها مفتوح، لكن ليس كل من ينبأ يُبعث ويرسل وإنما خصوص النبي الذي استكمل مرحلة الإعداد والتعليم لفهم رموز الوحي الإلهي ومعرفة المستقبل كما تقدم. كذلك المعصوم، أي: ليس كل معصوم يُنص على عصمته وإنما خصوص المعصوم الذي بلغ من الكمال والاعتصام بالله حداً علم الله منه عدم التراجع ولا أقل فإنّ (عدم إخراج الناس من حق وهدى وإدخالهم في باطل وضلال) أمر مضمون بالنسبة له، لهذا نص الله على عصمته وحجّيته دون غيره.

المعصوم – والحال هذه – مفتوحة أمامه الأشياء، ولديه القدرة على فعلها جميعاً لكنه لا يفعل ما لا يرضي الله؛ لأنه معتصم بالله عن جميع المعاصي والفواحش، هو بالحقيقة لديه عمل حثيث ومستمر. نعم، بعد أن وصل لمرتبة عالية صار مُحاط بملائكة الله ونور الله ولم يعد بحاجة إلى عمل حتى يعصم نفسه إذ عصمه الله بشكل كامل، ومهمته: أن لا يدخل الناس في باطل ولا يخرجهم من حق؛ لأن الله نص عليه.

المحيط الخارجي بالنسبة للمعصوم المنصوص عليه صار مكشوفاً ولا يؤثر فيه، فمثلاً: الشهوات التي يراها الآخرون شهوات لم تعد كذلك بالنسبة له، وهذه حالة تحصل لدى المعصوم في نهاية المطاف كنتيجة لجهده وعمله الذي قام به.

وأيضاً: المعصوم المنصوص عليه مستمر بالعمل، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر أيام حياته ورسالته لا زال يعمل ويسبح الله: إذ نزلت عليه سورة النصر: "فسبح بحمد ربك" واستعد للقاء الله.

هذا هو الفرق بين عصمة المنصوص عليه التي استوجبت الحجية والبعث من الله وبين عصمة غيره التي لم تستوجب ذلك) انتهى<sup>(١)</sup>.

وعودة إلى دليل صدق موسى في دعواه البعث والإرسال من الله، أقول:

### دليل صدق موسى<sup>(٤)</sup>:

قانون معرفة الرسل (الفقرات الثلاث: النص، العلم، الدعوة إلى الله وحاكميته) الذي تم عرضه مراراً كدليل على صدق نبوة ورسالة الحجج الإلهيين السابقين هو نفسه الدليل المعروف برسالة موسى وصدق بعثه وإرساله من الله عز وجل.

**فالنص:** لاحظناه في تبشير يوسف الصديق بموسى صلوات الله عليه قبل بعثه بمئات السنين، ولشدة وضوح النص على موسى باسمه وصفته كان بعض شيوخ بني إسرائيل يصبرون الإسرائيليين ببعثه ومجيئه كما رأينا ذلك في النص السابق المروي عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه<sup>(٢)</sup>.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- وأيضاً: روى محمد الحلبي، عن الإمام الصادق صلوات الله عليه أنه قال: (.....) فيبلغ فرعون أنهم يطلبونه ويسألون عنه، فأرسل إليهم فزاد في العذاب عليهم، وفرق بينهم ونهاهم عن الإخبار به والسؤال عنه، قال: فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مغمرة إلى شيخ لهم عنده عليهم فقالوا: قد كنا نستريح إلى الأحاديث فحتى متى وإلى متى نحن في هذا البلاء؟ قال: والله إنكم لا تزالون فيه حتى يجيء الله تعالى ذكره بغلام من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى



**والعلم:** واضح في رسالته وقد نص الله سبحانه عليه بمحكم كتابه، قال تعالى: "وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" القصص: ١٤. وقد أنزل الله سبحانه عليه كتاباً وصحفاً تحوي علماً، قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" القصص: ٤٣، "إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" الأعلى: ١٨ - ١٩.

**وأما الدعوة إلى الله:** فيمكننا ملاحظتها في دعوته لقومه: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ" البقرة: ٥٤. "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" المائدة: ٢٠. وكذا يمكن ملاحظتها في كلام موسى مع فرعون: "وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥.

وبانطباق فقرات قانون معرفة الرسل الثلاث على موسى عليه السلام يثبت صدقه في دعوى الرسالة من الله سبحانه.

**تنبيه:** ذكرنا في البحوث السابقة أنَّ النص هو أولى فقرات قانون معرفة الرسل، بل هو عمدة أدلة الحجج والرسائل الإلهيين، وهذا يعني أنه أمر خاص بهم ولا يمكن - عقلاً ونصباً - أن يدعى من غير صاحبه الحقيقي<sup>(١)</sup>، بل هذا هو الواقع الذي تشهد به سيرة

---

بن عمران غلام طوال جعد فبينما هم كذلك إذ أقبل موسى يسير على بغلة حتى وقف عليهم، فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة فقال له: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، قال: فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبلها وثاروا إلى رجله فقبلوها فعرفهم وعرفوه واتخذ شيعاً. فمكث بعد ذلك ما شاء الله، ..... كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٤٧ - ١٤٩.

١- يقول السيد أحمد الحسن: (ونص خليفة الله في أرضه على من بعده مع وصفه بأنه عاصم من الضلال لمن تمسك به - نصاً إلهياً - لا بد أن يكون محفوظاً من الله من ادعاء الكاذبين المبطلين حتى يدعيه صاحبه، وإلا فسيكون كذباً وإغراءً للمكلفين باتباع الباطل، وهذا أمر لا يصدر من العالم الصادق القادر الحكيم المطلق سبحانه، وقد تكفل الله في القرآن وفيما روي عنهم عليهم السلام بحفظ النص الإلهي من ادعاء أهل الباطل، فأهل الباطل مصروفون عن ادعائه، فالأمر ممتنع كما قال تعالى: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ" الحاقة: ٤٤ - ٤٦، والإمام الصادق عليه السلام يقول: "إن هذا الأمر لا يدعيه غير صاحبه إلا تبرأ الله عمره"، فالْمُبْطِلُ مصروف عن ادعاء الوصية الإلهية الموصوفة بأنها تعصم من تمسك بها من الضلال،

رسل الله عموماً منذ بعثة أولهم (آدم عليه السلام) وإلى يوم الناس هذا، بل سيستمر هذا الواقع الرسالي إلى يوم الإنسانية الأخير على هذه الأرض. لكن ربما يخطر ببال أحد أنّ النص يمكن ادعائه بدلالة الرواية المتقدمة التي أشارت إلى وجود خمسين كذاباً ظهوروا قبل بعثة موسى، وكلهم ادّعى أنه موسى بن عمران<sup>(١)</sup>!

**وجواباً لهذا الإشكال، أقول:** هؤلاء الكذبة لم يدعوا النص الذي بشّر به يوسف الصديق بني إسرائيل المنتظرين، وإنما هؤلاء كانوا يسمّون أسماء أبنائهم باسم موسى إما تبرّكاً باسم الرسول المنتظر أو طمعاً بجاه دنيوي من خلال خداع الناس وإيهامهم أنّ (الابن المسمّى باسم موسى) هو الرسول المنتظر! تماماً كما فعل أبو جعفر المنصور الذي سمّى ابنه باسم "محمد المهدي" ليطابق ما روي عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله في إحدى بشاراته عن ولده المهدي: "اسمه يواطئ اسمي واسم أبيه اسم أبي"<sup>(٢)</sup>، والمنصور لما كان اسمه عبد الله سمّى ابنه باسم "محمد المهدي"؛ ليوهم الناس أنّ ابنه هو المعني ببيشارة الرسول؟!!

ونحن لما نقول إنّ النص خاص برسول الله لا نعني به ادعاء الاسم، وإنما نعني بالنص المعنيين اللذين أشرنا لهما سابقاً وهما: "وصية الرسول السابق باللاحق"، و"شهادة الله"، ولا شك أنّ الخمسين الذين خرجوا قبل موسى وكذلك المنصور العباسي وابنه وغيرهم من مدعي الباطل كلهم كذابون مخادعون؛ إذ لم يكن مع واحد منهم وصية من رسول سابق، ولا أنّ الله شهد لواحد منهم، وحاشاه سبحانه! بينما كلانحوي النص موجود عند

---

أو أنّ ادعائه لها مقرون بهلاكه قبل أن يُظهر هذا الادعاء للناس؛ حيث إنّ إمهاله مع ادعائه الوصية يترتب عليه إما جهل أو عجز أو كذب من وعد المتمسكين به بعدم الضلال، وهذه أمور محالة بالنسبة للحق المطلق سبحانه، ولهذا قال تعالى: "أَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ" وقال الصادق عليه السلام: "تبرّأ الله عمره" عقائد الإسلام: قانون معرفة الحجة وفقراته الثلاث - النص.

١- (عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل كلهم يدعي أنه موسى ابن عمران ....) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٤٧.

٢- (عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً مني يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً) الغيبة الطوسي: ١٨٢؛ سنن أبي داود: ٣٠٩ / ٢.

موسى الكليم، كما أنه موجود عن مهدي آل محمد صلوات الله عليهم، وبهذا يمتاز رسل الله عن جميع المدعين المبطلين.

إذن، قانون معرفة الرسل هو الدليل الذي به تعرّف بنو إسرائيل على بعث موسى من الله نبياً ورسولاً، أما الآيات المادية (العصا، اليد البيضاء، وبقية الآيات التي يأتي بيانها) التي قدمها موسى عليه السلام لفرعون وقومه بعد رجوعه من مدين فالمعني بها بالأساس هم فرعون والملا (قوم فرعون) وبعض المصريين (أي: بعض الشعب الذين كانوا يعيشون بمصر تحت حكم فرعون) الذين لم يكونوا يعتقدون بالله وبالرسل الذين سبقوا موسى، وبالتالي لا ينفع معهم النص والعلم الإلهي في التعريف برسول الله موسى فكانت الآيات المادية رافة من الله بهم، وبالفعل فقد انتفع بها السحرة وأمنوا من خلالها كما سيتضح بالتفصيل.

موسى صلوات الله عليه رسول من أولي العزم، وقد شهدت سيرته أحداثاً كثيرة سأقوم بعرض أهمها بحسب تسلسلها الزمني في تاريخ دعوته المباركة.

### قتل القبطي وخروج موسى (ع) من مصر:

قال تعالى: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ \* فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ \* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ \* وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ \* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" القصص: ١٤ - ٢١.

"بلغ أشده واستوى": موسى أثناء الحادثة لا زال شاباً ولم يبعثه الله بعد، ولهذا أوضح الإمام الصادق أن عمره كان ١٨ سنة<sup>(١)</sup>.

"أتيناه حكماً وعلماً": كما عرفنا، فإن موسى في هذه الفترة وإن لم يكن رسولاً مبعوثاً من الله إلا أنه كان نبياً؛ ينبئه الله ويعلمه ويعدّه لمهمة الرسالة.

"هذا من شيعته ...": وصف الرجل في الحادثة بأنه من شيعة موسى لعله بلحاظ حاله المستقبلي، أي: أنه سيكون من المؤمنين بموسى عندما يقوم بإعلان بعثته وإرساله من الله سبحانه.

التوراة – أيضاً – أشارت للحادثة:

(سفر الخروج – إصحاح ٢): "١١ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَتْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ١٢ فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَن لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ١٣ ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصِمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» ١٤ فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمْفَتِكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الْأَمْرُ». ١٥ فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هَذَا الْأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، ....".

مديان: أي مدين.

ومهما يكن الأمر، فقد خرج موسى من مصر لما قتل قبطياً من جند فرعون<sup>(٢)</sup>.

١- (عن محمد بن النعمان الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولما بلغ أشده واستوى أتيناه حكماً وعلماً" قال: أشده ثمان عشرين سنة، واستوى: التحي) معاني الأخبار، الصدوق: ٢٢٦.

٢- عن محمد الحلبي عن الإمام الصادق صلوات الله عليه في بيان قصة موسى عليه السلام عند بداية دعوته، قال: (.....) ثم خرج فدخل مدينة لفرعون فيها رجل من شيعته يقاتل رجلاً من آل فرعون من القبط، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه القبطي فوكزه موسى فقضى عليه، وكان موسى عليه السلام قد أعطى بسطة في الجسم وشدة في البطش، فذكره الناس وشاع أمره، وقالوا: إن موسى قتل رجلاً من آل فرعون فأصبح في المدينة

قتل موسى للقبطي لا شك أنه موقف في غاية الشدة وربما يختلف عن سيرة رسل الله الذين يبتدئون دعواتهم – عادة – بنشر "لا إله إلا الله" بالقول والأسلوب اللين، لكن موسى ابتداءً بقتل أحد زبانية فرعون، فما سبب ذلك يا ترى؟

يقول السيد أحمد الحسن في بيان السبب: (الحقيقة هناك عدة أسباب، منها:

- أ- إنّ موسى كان في مواجهة طاغية متسلّط على رقاب الناس، يقتل ويسلب وينهب ويستضعف أهل الأرض دونما رادع، فكان عمل موسى المبارك بقتل هذا الجندي الشيطاني، طعنة نجلاء لفرعون وحزبه وجنوده ورادعاً عظيماً لهم.
- ب- كان لهذا العمل أثر عظيم في تشجيع بني إسرائيل وتثويرهم على فرعون وجنوده وتهيتهم للثورة المستقبلية التي قام بها موسى بعد عودته.
- ج- كان لهذه العملية أهمية في إظهار شخصية موسى عليه السلام كقائد على ظلم فرعون وجنوده، وتعريف بني إسرائيل أهمية هذا القائد العظيم الذي سيقوم بتخليصهم من فرعون وجنوده فيما بعد.
- د- كان لهذه العملية أهمية في دفع تهمة موالاة فرعون لعنه الله عن موسى عليه السلام والتي تلبس بها؛ لأنه كان ربيباً لفرعون ويعيش في قصره) انتهى (١).

النص القرآني الذي قصَّ قتل موسى للقبطي ذكر استغفار موسى أيضاً: "فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ ..."، ربما تثار عليه أسئلة عدة:

- هل كان قتله أمراً خاطئاً استوجب استغفار موسى عليه السلام؟

خائفاً يترقب فلما أصبحوا من الغد إذا الرجل الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر، فقال له موسى: إنك لغوي مبين، بالأمس رجل واليوم رجل "فلما أراد أن يبطش بالذي هوعدوا لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين \* وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين \* فخرج منها خائفاً يترقب" فخرج من مصر يغير ظهر ولا دابة ولا خادم، تخفضه أرض وترفعه أخرى حتى انتهى إلى أرض مدين، ..... كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٠.

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول – إضاءات من دعوة موسى عليه السلام.

- ما هو الشيء الموصوف بـ "هذا من عمل الشيطان"؟
- ما هو الذنب الذي فعله موسى ودعاه لطلب المغفرة؟
- لماذا لم يقيم موسى بقتل القبطي الثاني: "... فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ؟"
- لماذا وصف موسى الرجل الإسرائيلي (من شيعته؛ الذي استصرخه) بأنه غويّ مبین؟

أجاب السيد أحمد الحسن الأسئلة الخمسة، فقال:

(ج١: قتل موسى للقبطي متعمد ومقصود، وقد حصل بعد أن "بلغ موسى أشده"، وبعد أن "آتاه الله الحكمة والعلم". ولم يكن هذا القتل معصية من موسى أو ترك أولى، بل كان عملاً صحيحاً؛ باعتباره قتل عدواً من أعداء الله وولياً من أولياء الشيطان.

ج٢: الموصوف أنه من عمل الشيطان هو القبطي نفسه؛ باعتباره من صنعة الشيطان، وباعتباره من أتباعه، قال تعالى في وصف ابن نوح العاق الكافر: "إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" هود: ٤٦، فوصف سبحانه ابن نوح بأنه عمل غير صالح. وقال تعالى عن موسى: "وَاصْطَلَعْتُكَ لِنَفْسِي" طه: ٤١. والعدو المضل المبین في الآية هو القبطي نفسه؛ باعتباره من جنود الشيطان ومظهر عداوته لأولياء الله سبحانه.

ج٣: طلب موسى عليه السلام للمغفرة من الله وتاب إليه سبحانه من بقاءه في قصر فرعون لعنه الله بعد أن عرف أنه عدو لله سبحانه وتعالى، والذنب الذي ارتكبه هو: بقاءه في قصر فرعون لعنه الله فقد كثّر سواده وإن لم يكن راضياً عن فعله، ولهذا قال بعد المغفرة: "رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ"، أي: نعمة المغفرة ونعمة القوة البدنية، والمجرمون: هم فرعون وجنوده.

ج٤: لأن القبطي الثاني لما رأى موسى تكلم بهذه الكلمات، ولّى فاراً خوفاً من موسى، وأبلغ فرعون لعنه الله بما عمل موسى عليه السلام.

ج٥: وصف موسى عليه السلام الإسرائيلي بأنه غويّ مبین؛ لأنه - أي الإسرائيلي - كان المفروض أن يكون حذراً، ويختفي ولا يعرض نفسه للاصطدام مع جنود فرعون مرة

أخرى، وخلال فترة قصيرة وعلى رؤوس الأشهاد، ثم يدعو موسى عليه السلام ويستصرخه (أي بصوت عالٍ): ليتضح للجميع أنّ مَنْ قتل القبطي في اليوم السابق هو: موسى عليه السلام) انتهى (١).

وعموماً، بلغ فرعون قتل موسى عليه السلام للقبطي فجداً في طلبه وكان المألم معه يحثونه، وشاء الله أن يكون مؤمن آل فرعون (الذي كان يكتنم إيمانه بالله ورسله) قريباً من فرعون وعلم بنيته ومخططه، فبعث إلى موسى يخبره بعزم فرعون وملئه على قتله، فخرج موسى من المدينة خائفاً يترقب (٢).

خروج موسى من المدينة خائفاً يترقب وغيبته عن قومه لها نظير في رسالة محمد صلى الله عليه وآله، فالنصوص أكدت أنّ هذه السيرة تعاد مع مهدي آل محمد صلوات الله عليه (٣)، وبهذا يكون موسى قد هيأ بفعله هذا لرسالة المهدي، والمهدي جزء من رسالة محمد صلى الله عليه وآله.

---

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٢٢.

٢- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (.....) فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتى بلغ مبلغ الرجال وكان ينكر عليه ما يتكلم به موسى من التوحيد حتى هم به، فخرج موسى من عنده ودخل المدينة فإذا رجلان يقتتلان أحدهما يقول يقول موسى والآخر يقول يقول فرعون "فاستغاثه الذي من شيعته" فجاء موسى فوكز صاحب فرعون فقضى عليه وتوارى في المدينة فلما كان من الغد جاء آخر فتشبت بذلك الرجل الذي يقول يقول موسى فاستغاث بموسى فلما نظر صاحبه إلى موسى قال له: "أتريد أن تقتلني كما قلت نفسك بالأمس" فغلى عن صاحبه وهرب، وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه ستمائة سنة وهو الذي قال الله: "وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله" وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل فطلبه ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى "ان الملا يأترون بك ليقتلوك فأخرج اني لك من الناصحين فخرج منها" كما حكى الله "خائفاً يترقب" قال يلتفت عن يمنة ويسرة ويقول "رب نجني من القوم الظالمين" ومر نحو مدين وكان بينه وبين مدين مسيره ثلاثة أيام، ..... تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ١٣٧.

وروى الطبري بسنده: (عن السدي، قال: ذهب القبطي، يعني الذي كان يقاتل الإسرائيلى، فأقشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل، فطلبه فرعون وقال: خذوه فإنه صاحبنا، وقال للذين يطلبونه: اطلبوه في بنيات الطريق، فإن موسى غلام لا يمتدي الطريق، وأخذ موسى في بنيات الطريق، وقد جاءه الرجل فأخبره إن الملا يأترون بك ليقتلوك) جامع البيان: ٢٠ / ٦٢.

٣- (عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: في القائم سنة من موسى، وسنة من يوسف، وسنة من عيسى، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله: فأما سنة موسى فخائف يترقب، وأما سنة يوسف فان إخوته كانوا

في الحقيقة، خوف رسل الله على أنفسهم ليس بالمعنى الذي ربما يتبادر إلى أذهان الكثيرين، فهو ليس كخوف بقية الناس على أنفسهم؛ باعتبار أن الحياة المادية بالنسبة لرسول الله تمثل سجنًا والموت والرجوع إلى الله يمثل فرجاً وراحة لهم. نعم، هم يخافون على رسالة الله ويسعون لإنجازها بتمامها كما أراد الله، وبالتالي فهم لما يسعون للحفاظ على أنفسهم إنما هو سعي منهم لإتمام الرسالة الإلهية لا أكثر.

يقول السيد أحمد الحسن: (وتبدأ معركة موسى عليه السلام مع فرعون وحزبه الشيطاني اللعين، معركة غير متكافئة بالقياسات المادية، فيخرج موسى عليه السلام من المدينة خائفاً يترقب متوسلاً بالله أن ينجيه من القوم الظالمين، لا طلباً للحياة المادية التي هي سجن لأمثال موسى عليه السلام، بل ليتسنى له حمل راية "لا إله إلا الله". وموسى هنا لم يحمل فأساً ليكسر صنماً يمثل عقائد القوم الضالين، بل حمل عليهم مباشرة وقتل أحدهم وحاول قتل الآخر، وهذه الخطوة أكثر تقدماً من سابقتها .....<sup>(١)</sup> انتهى).

### مؤمن آل فرعون:

قصّ الله موقف مؤمن آل فرعون؛ الرجل الذي كان يكتم إيمانه وعلمه<sup>(٢)</sup>. وبحسب النص القرآني: فإنه سعى لدفع القتل عن موسى في موقفين:

---

يباعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه، وأما سنة عيسى فالسياحة، وأما سنة محمد صلى الله عليه وآله فالسيف) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٨.

(عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: في القائم عليه السلام سنة من موسى بن عمران عليه السلام فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده، وغيبته عن قومه، فقلت: وكم غاب موسى عن أهله وقومه؟ فقال: ثمانين وعشرين سنة) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٢.

- ١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - إضاءات من دعوة موسى عليه السلام.
- ٢- (عن عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعشى وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ربح بطونهم أهل النار، فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذن مؤمن آل فرعون! ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا) الكافي، الكليني: ١ / ٥١.



**الأول:** بعد حادثة مقتل القبطي الظالم؛ إذ اتخذ فرعون قراراً بقتل موسى بحثٍ من المَلَأ، ولأنه كان قريباً من فرعون علم بالأمر وتمكن من إخبار موسى بنية فرعون ونصحه بالخروج من مصر: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" القصص: ٢٠.

**الثاني:** بعد رجوع موسى عليه السلام من مدين وإعلان بعثه وإرساله من الله، وتقديم الآيات المادية لفرعون وقومه، فبعد أن نصر الله رسوله موسى وأيده وآمن به السحرة، قرّر فرعون وملأه التخلص من موسى وقتله، وهنا – أيضاً – وقف مؤمن آل فرعون موقف الرافض لقتله وعرض على فرعون وزبانيته فكرة تنم عن حكمة؛ إذ قاله لهم: إن كان موسى كاذباً (وحاشاه) في دعواه الرسالة من الله فكذبه عليه، وإن كان صادقاً فسيصيبكم بعض الذي يعدكم، لكن فرعون أبى إلا التماذي والإصرار على موقفه!

قال تعالى: "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ \* يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" غافر: ٢٨ – ٢٩.

مؤمن آل فرعون وصفته بعض النصوص بأنه قريب نسباً لفرعون (ابن عمّه) وولي عهده وخازن ملكه، وكان حسن الاعتقاد؛ إذ كان منتظراً لموسى عليه السلام قبل بعثه أي كان مصداقاً ببشارة يوسف وآبائه بموسى (قائم بني إسرائيل)، وكان يدعو إلى توحيد الله، بل في بعض النصوص أنه أحد الصديقين والسابقين<sup>(١)</sup>. وكان الإمام علي بن أبي طالب

---

١- الروايات في ذلك كثيرة، منها:

عن الإمام العسكري، عن آبائه، عن الصادق عليهم السلام قال: (كان حزبيّل مؤمن آل فرعون يدعو قوم فرعون إلى توحيد الله، ونبوة موسى، وتفضيل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع رسله وخلقه، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين، وإلى البراءة من ربوبية فرعون، فوشى به الواشون إلى فرعون وقالوا: إن حزبيّل يدعو إلى مخالفتك ويعين أعداءك على مضادتك، فقال لهم فرعون: ابن عمي وخليفتي على ملكي وولي عهدي، إن فعل ما قلتكم فقد استحق أشد العذاب على كفره نعمتي، فإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتكم أشد العذاب لإيثاركم الدخول في مكانه، فجاء بحزبيّل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت

صلوات الله عليه يشبهه أبا ذر الغفاري رضوان الله عليه به؛ اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.

تجدد ربوبية فرعون الملك وتكفر نعماءه؟ فقال حزبيـل: أيها الملك هل جريت علي كذباً قط؟ قال: لا، قال: فسـلهم من ربهـم؟ فقالوا: فرعون، قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون هذا، قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا، قال حزبيـل: أيها الملك فأشهدك وكل من حضرك أن ربهـم هوري، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هورازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا رب لي ولا خالق ولا رازق غير ربهـم وخالقهم ورازقهم، وأشهدك ومن حضرك أن كل رب وخالق ورازق سوى ربهـم وخالقهم ورازقهم فأنا برئ منه ومن ربوبيته وكافر بالهـيته، يقول حزبيـل هذا وهويـعني أن ربهـم هو الله ربي، ولم يقل: إن الذي قالوا إنه ربهـم هوري، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره وتوهموا أنه يقول: فرعون ربي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا رجال السوء ويا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيـني وبين ابن عمي وهو عضدي أنتم المستحقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمي والفت في عضدي، ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتدا وفي صدره وتدا. وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: "فوقاه الله" يعني حزبيـل "سينات ما مكروا به" لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه "وحاق بأل فرعون سوء العذاب" وهم الذين وشوا بحزبيـل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ١٦٠ - ١٦١.

- وروى الكليني بسنده: (عن أيوب بن الحر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "فوقاه الله سينات ما مكروا". فقال: أما لقد بسطوا عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه) الكافي: ٢ / ٢١٥ - ٢١٦.

- (عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، رفعه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي يقول: "اتبعوا المرسلين \* اتبعوا ما لا يستلكم أجراً وهم مهتدون"، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم) الأمالي، الصدوق: ٥٦٣ - ٥٦٤: المناقب، ابن المغازلي: ٢٠٠.

- (عن أبي جعفر عليه السلام، قال: السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، والسابق في أمة موسى وهو مؤمن آل فرعون، والسابق في أمة عيسى وهو حبيب النجار، والسابق في أمة محمد صلى الله عليه وآله وهو علي بن أبي طالب عليه السلام) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ٥ / ٢٥٦؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٦٦ / ١٥٦.

- (عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم) تفسير الثعلبي: ٨ / ١٢٦؛ تفسير القرطبي: ١٥ / ٢٠؛ تفسير الألوسي: ٢٢ / ٢٢٥.

١- (عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، قال: لما قدم أبو ذر على عثمان، قال: أخبرني أي البلاد أحب إليك؟ قال: مهاجري. فقال: لست بمجاوري. قال: فألحق بحرم الله، فأكون فيه. قال لا. قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. قال لا. قال: فلست بمختار غيرهن، فأمره بالمسير إلى الربذة. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي اسمع وأطع، وانفذ حيث قادوك، ولولعبد حبشي مجدع. فخرج إلى الربذة، وأقام مدة، ثم أتى إلى المدينة، فدخل على عثمان والناس عنده سباطين، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلا شويها، وليس لي خادم إلا محررة، ولا ظل يظلي إلا ظل شجرة، فأعطني خادماً

## موسى (ع) في مدين:

قال تعالى: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ \* وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ \* فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ \* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ اتَّكِحَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" القصص: ٢٢ - ٢٨.

وفي التوراة: "١٥ ..... فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبُئْرِ. ١٦ وَكَانَ لِكَاهِنٍ مِدْيَانَ سَبْعَ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلَأْنَ الْأَجْرَانَ لِيَسْقِيَنَّ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. ١٧ فَأَتَى الرُّعَاةَ وَطَرَدُوهُنَّ. فَهَضَّ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. ١٨ فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوثِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بِالْكُنَّ أَسْرَعُنَّ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمِ؟» ١٩ فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». ٢٠ فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَ إِذَا تَرَكْنِ الرَّجُلَ؟ ادْعُوهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». ٢١ فَأَرْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتِهِ" سفر الخروج - إصحاح ٢.

وغنيمات أعش فيها، فحول وجهه عنه، فتحول عنه إلى السماط الآخر فقال مثل ذلك، فقال له حبيب بن سلمة: لك عندي يا أبا ذر ألف درهم وخادم وخمس مائة شاة. قال أبو ذر: أعط خادمك وألفك وشوہاتك من هو أحوج إلى ذلك مني، فإني إنما أسأل حقي في كتاب الله. فجاء علي عليه السلام فقال له عثمان: ألا تغني عنا سفحك هذا. قال: أي سففيه؟ قال: أبو ذر. قال علي عليه السلام: ليس بسففيه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر. أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون، إن يك كاذباً فعليهِ كذبه، وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم. قال عثمان: التراب في فيك. قال علي عليه السلام: بل التراب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لأبي ذر، فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك) الأمالي، الطوسي: ٧١٠. وروى أحمد بسنده: (عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر) مسند أحمد: ١٧٥ / ٢.

مدين أو مديان: قرية تقع شمال شبه الجزيرة العربية على طريق الشام.

وكاهن مديان: هو نبي الله شعيب عليه السلام.

شاء الله سبحانه أن يغيب موسى عليه السلام عن قومه ويترك مصر متوجهاً إلى مدين، وغيبته لم تكن أياماً أو أشهر قليلة وإنما دامت عشرين سنين، قضاها موسى يتقلب بين أحضان نبي الله شعيب حيث تزود منه ما شاء الله، وكان يرعى أغنامه، وانتهى بزواجه من إحدى ابنتيه<sup>(١)</sup>. وأيضاً: أعطاه شعيب العصا التي ذهب بها إلى فرعون كما تقدم.

---

١- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: (..... فلما بلغ باب مدين رأى بئراً يستقي الناس منها لأغنامهم ودواهم ففقد ناحية ولم يكن أكل منذ ثلاث أيام شيئاً، فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات لا تدنوان من البئر، فقال لهما ما لكما لا تستقيان قالتا كما حكى الله "لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير" فرحمهما موسى ودنا من البئر فقال لمن على البئر: استقي لي دلواً ولكم دلواً وكان الدلو يمدده عشرة رجال، فاستقى وحده دلواً لمن على البئر ودلواً لبنتي شعيب وسقى أغنامهما "ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير" وكان شديد الجوع. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن موسى كلم الله حيث سقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير والله ما سألت الله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد رأوا خضرة البقل في صفاق بطنه (أي: جلد بطنه) من هزاله فلما رجعتا ابنتا شعيب إلى شعيب قال لهما أسرعتما الرجوع فأخبرتا بقصة موسى عليه السلام ولم تعرفاه فقال شعيب لواحدة منهن اذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجراً سقى لنا فجاءت إليه كما حكى الله تعالى "تمشي على استحياء" فقالت "إن أبي يدعوك ليجزيك أجراً سقيت لنا"..... فلما دخل على شعيب قص عليه قصته فقال له شعيب "لا تخف نجوت من القوم الظالمين" قالت إحدى بنات شعيب: "يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين" فقال لها شعيب أما قوته فقد عرفت أنه يستقي الدلو وحده فبم عرفت أمانته؟ فقالت إنه لما قال لي تأخري عني ودليني على الطريق ..... فقال له شعيب: "إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حججاً فإن أتممت عشرين فمّن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين" فقال له موسى: "ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي" أي لا سبيل علي إن عملت عشرين سنين أو ثمان سنين فقال موسى: "والله على ما نقول وكيل". قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي الأجلين قضى؟ قال: أتمها عشر حجج، قلت له: فدخل بها قبل أن يقضي الأجل أو بعده؟ قال: قبل، قلت: فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبها إجارة شهرين أيجوز ذلك؟ قال: إن موسى علم أنه يتم له شرطه فكيف لهذا أن يعلم أنه يبقى حتى يفي؟ قلت له: جعلت فداك أيهما زوجه شعيب من بناته؟ قال: التي ذهبت إليه فدعته وقالت لأبها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ١٣٧

وبعد زواج موسى من بنت نبي الله شعيب قرّر الخروج من مدين والرجوع إلى مصر، وفي طريق العودة رأى من آيات ربه الكبرى، فبعد أن خرج من مصر وحيداً خائفاً يترقب عاد لهم نبياً مرسلًا من الله ومسلحاً منه بالآيات والبراهين.

## بعث موسى (ع) وإرساله:

### حادثة الاصطفاء:

سورة القصص: "فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُكَا تَهَيَّأْ جَانًّا وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ \* اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" القصص: ٢٩ - ٣٢.

و أيضاً: الحادثة ذكرت في سورتي: طه، والنمل:

سورة طه: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى \* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى \* وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى \* إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي \* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِنَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى \* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى \* وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى \* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى \* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى \* لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى \* أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ" طه: ١٠ - ٢٤.

سورة النمل: "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ \* إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" النمل: ٧-١٢.

التوراة - أيضاً - أشارت لحادثة الاصطفاء:

(سفر الخروج - إصحاح ٣): "١ وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنٍ مِدْيَانٍ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ. ٢ وَظَهَّرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهَبٍ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عَلْيَقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعَلْيَقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعَلْيَقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. ٣ فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمُنْظَرُ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعَلْيَقَةُ؟» ٤ فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالٌ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلْيَقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!» فَقَالَ: «هَآنَذَا». ٥ فَقَالَ: «لَا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ جِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ٦ ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، ٨ فَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ،.....".

و أيضاً: حادثة الاصطفاء أشارت لها روايات أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله كالتى وردت عن الصادقين صلوات الله عليهما (١).

١- عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر صلوات الله عليه، قال: (.....) فلما قضى موسى الأجل قال لشعيب لا بد لي أن أرجع إلى وطني وأمي وأهل بيتي فمالني عندك؟ فقال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق فهو لك، فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصا فقشر منه بعضه وترك بعضه وعرزه في وسط مريض الغنم وألقى عليه كساء أبلق ثم أرسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم في تلك السنة إلا بلقا، فلما حال عليه الحول حمل موسى امرأته وزوده شعيب من عنده وساق غنمه فلما أراد الخروج قال لشعيب أبغي عصا تكون معي وكانت عصي الأنبياء عنده قد ورثها مجموعة في بيت، فقال له شعيب ادخل هذا البيت وخذ عصا من

لا شك، أنّ اصطفاء الله لعبد من عباده رسولاً (موسى في حالتنا) له علاقة بالإخلاص والطهر الذي انطوى عليه صدره الشريف، وأيضاً: حادثة الاصطفاء المقصودة قرآنيّاً فيها من الرموز والإشارات التي تحتاج إلى توضيح، ومن غير الصحيح الاقتصار على فهم الحادثة بالمنظور المادي الصرف كما فعل علماء المسلمين!

واستجلاءً لبعض الحقائق التي حصلت في حادثة اصطفاء موسى، أقول:

بعد مضي فترة من الزمن (عشر سنين) على بقاء موسى في مدين وزواجه من بنت نبي الله شعيب، أراد موسى الرجوع إلى وطنه وأهله، فسار بأهله وغنمه ولما وصلوا في طريقهم

بين العصي فدخل فوثب إليه عصا نوح وإبراهيم عليهما السلام وصارت في كفه فأخرجها ونظر إليها شعيب فقال ردها وخذ غيرها فردها ليأخذ غيرها فوثبت إليه تلك بعينها فردها حتى فعل ذلك ثلاث مرات فلما رأى شعيب ذلك قال له اذهب فقد خصك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر فلما صار في مفاضة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنهم الليل، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت كما قال الله: "فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون" فأقبل نحو النار ليقبّس فإذا شجرة ونار تلهب عليها، فلما ذهب نحو النار ليقبّس منها أهوت إليه ففزع منها وعدا ورجعت النار إلى الشجرة، فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة فرجع الثانية ليقبّس فأهوت إليه فعدا وتركها ثم التفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا "ولم يعقب" أي لم يرجع فناداه الله "ان يا موسى اني أنا الله رب العالمين" قال موسى فما الدليل على ذلك؟ قال الله: ما في يمينك يا موسى قال هي عصاي قال ألقها يا موسى فألقها فصارت حية تسعى ففزع منها موسى وعدا فناداه الله خذها "ولا تخف انك من الأمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء" أي من غير علة وذلك أن موسى عليه السلام كان شديد السمرة فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا فقال الله عز وجل "فذا انك برهاتان من ركب إلى فرعون وملأه انهم كانوا قوما فاسقين" فقال موسى كما حكى الله عز وجل: "رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون..." تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١٣٩ / ٢ - ١٤٠.

وعن محمد الحلبي عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (.....) فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ عن الطريق ليلاً فرأى نارا فقال لأهله: امكثوا اني آنست نارا لعلني آتيكم منها بقبس أو بخبر من الطريق، فلما انتهى إلى النار إذا شجرة تضطرم من أسفلها إلى أعلاها، فلما دنا منها تأخرت عنه فرجع وأوجس في نفسه خيفة، ثم دنت منه الشجرة فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين، وأن ألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبراً ولم يعقب فإذا حية مثل الجذع لأسنانها صرير يخرج منها مثل لهب النار، فولى موسى مدبراً فقال له ربه عز وجل: ارجع فرجع وهو يرتعد وركبته تصطكان، فقال: يا إلهي هذا الكلام الذي أسمع كلامك؟ قال: نعم فلا تخف، فوقع عليه الأمان فوضع رجله على ذنبا، ثم تناول لحبيها فإذا يده في شعبة العصا قد عادت عصا، وقيل له: اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥١.

إلى مفازة جنّ عليهم الليل وأصابعهم ريح وبرد شديد وكان موسى قد أخطأ الطريق وإذا به يرى ناراً قد ظهرت، فذهب نحوها لعله يأتي منها بأمرين (أو أحدهما):

- "إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى".
- "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُم تَصْطَلُونَ".
- "آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُم تَصْطَلُونَ".

بحسب ظاهر الآيات، الأمران هما: "قبس + هدى" في الآية الأولى، و"خبر + قبس" في الآية الثانية، و"خبر + جذوة من النار" في الآية الثالثة.

قبس من النار: أي شعلة منها تؤخذ بطرف عود أو قضيب لأجل التدفئة أو الإنارة ونحو ذلك، والجذوة - لغة - هي قطعة ملتهبة من النار، وبالتالي فالقبس هو جذوة حتماً. كما أنّ الـ "خبر" الذي يريد الإتيان به هو "هدى" يهتدي به لمعرفة الطريق، إذ - بحسب الظاهر - كان ذهاب موسى عليه السلام للنار لأجل معالجة الحال الذين يعانون منه أي شدة البرد: "لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"، وأيضاً إيجاد السبيل الذي يهتدون به في معرفة الطريق.

موسى عليه السلام الذي لم يفضّل نفسه على مخلوق من مخلوقات الله - كما ورد في بعض النصوص - أكيد لم يكن يخطر في باله أنّه سيُصطفى للرسالة الإلهية ويحظى بكل التكريم الربّاني الذي حظي به عند ذهابه إلى النار التي تراءت له من جانب الطور الأيمن. وعموماً، ذهب موسى باتجاه النار وفي طريقه إليها جاءه النداء الذي تحقق له أنه نداء وحي إلهي: "إني أنا ربك ... إني أنا الله لا إله إلا أنا ... أنا الله العزيز الحكيم ... أنا الله رب العالمين"، فعرف حينذاك أنه في محضر قدس وطهارة، ومن لاحظ النداء بحسب الآيات المتقدمة وجد مضمونه متفقاً في أمور أساسية، هي:

- النداء كان وحيّاً إلهياً، إذ نودي موسى بعد ذهابه باتجاه النار التي تراءت له.



- وحدة الجهة التي نادته بالرغم من اختلاف الإشارة لها، حيث رمز لها بـ "الوادي المقدس"، "مباركة" هي ومن يقترب منها ويكون حولها، "الوادي الأيمن" في "البقعة المباركة" من "الشجرة"، أو "الطور الأيمن" كما في قوله تعالى: "وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" مريم: ٥٢، وسيتضح لاحقاً أنها صفات ورموز لجهة واحدة وليس كما توهم من يجهل الحقيقة.
- اصطفاء موسى واختياره رسولاً إلهياً وبعثه إلى قومه وكذا إلى الطاغية فرعون وقومه بعد تأييده باثنتين من آيات الله الكبرى؛ العصا واليد البيضاء.
- بخصوص آية العصا فقد تحولت إلى حية "جان" ما تسبب بخوف موسى عليه السلام فطلب منه أن لا يخاف وأنه من المرسلين الأمنين. والآية الأخرى هي اليد البيضاء وضمها إلى الجيب والجناح، وسيأتي بيان معناها.

والنتيجة: إن موسى الذي ذهب ليقتبس لأهله ناراً عاد لهم وقد ظفر بالخير كله!

قال الإمام الصادق عليه السلام: (كن لما لا ترجو أرحى منك لما ترجو فإن موسى عليه السلام ذهب ليقتبس لأهله ناراً فانصرف إليهم وهو نبي مرسل)<sup>(١)</sup>.

بالتأكيد، إن مسألة اصطفاء الله لأي نبي ورسول تتم عن طريق رسل الله المكلفين بتنفيذ تلك المهمة وإبلاغ الأمانة مبلغها وصاحبها بكل دقة وأمانة، ومسألة اصطفاء موسى نبياً ورسولاً إلهياً (محور هذه الحادثة) أيضاً كذلك، لذا فلا يكون لحادثة الاصطفاء معنى معقول إذا ما أردنا أن نفهم "النار، الشجرة، الطور الأيمن أو الوادي الأيمن" الواردة فيها بمعناها المادي والأرضي الصرف المعهود للجميع ودون أن تكون هذه المفردات إشارات ورموز تحكي وتشير إلى حقائق إلهية كامنة وراءها بحيث يكون معرفة تلك الحقائق كفيل بتفسير حادثة اصطفاء موسى!

نحن نعتقد - وكذا جميع المؤمنين بالله صدقاً - أن الله سبحانه منزه عن الجسمية والتجسد ولا يتكلم بلغة كلغتنا (حروف وصوت)؛ لأن هذه الأمور من صفات الموجود الحادث والله سبحانه منزه عنها، ولهذا ورد في النصوص الدينية أن الله تجلّى (ظهر) لموسى

بمخلوق من مخلوقاته وخاطب موسى من خلاله، ولما كان ذلك المخلوق يُصدر عن مراد الله اعتبر كلامه كلام الله.

أوضح السيد أحمد الحسن معنى "الشجرة، الوادي الأيمن، الطور الأيمن" التي خاطب الله موسى بواسطتها، حيث سئل عن معنى قوله تعالى: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"، ومعنى قوله تعالى: "وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا"، فأجاب:

(الشجرة هي: "الشجرة المباركة في القرآن"، وهي شجرة آل محمد عليهم السلام، وفروعها الأئمة والمهديون: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" إبراهيم: ٢٤).

والطور الأيمن، والوادي الأيمن هو: اليماني (المهدي الأول من المهديين)، والبقعة المباركة هو: الحسين عليه السلام، فالكلام من الطور الوادي الأيمن، أي اليماني (المهدي الأول)، والوادي الأيمن الطور الأيمن من البقعة المباركة أي من الحسين، فالمهدي الأول (اليماني) من ولد الحسين؛ لأنه من ذرية الإمام المهدي عليه السلام، والبقعة المباركة من الشجرة (أي محمد وعلي عليهما السلام)، فالحسين من محمد وعلي عليهما السلام. عن الصادق عليه السلام: "شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ" الذي ذكره الله تعالى في كتابه هو الفرات "وَالْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ" هي كربلاء، والشجرة هي محمد<sup>(١)</sup>.

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٠٩؛ بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٤٩. ومما جاء في حديث الإمام الصادق للمفضل، قوله: (.....) ثم تنفس أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا مفضل، إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلاء فأوحى الله إليها أن اسكني كعبة البيت الحرام ولا تفتخري على كربلاء فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة، وأنها الربوة التي أوت إليها مريم والمسيح عليهم السلام، وفيها غسلت مريم عيسى عليهما السلام واغتسلت من ولادتها، وأنها خير بقعة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله منها وقت غيبته وليكونن لشيئتنا فيها حياة إلى ظهور قائمنا عليه السلام) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلبي: ١٨٦.

والفرات: نهر من الجنة، واليماني أيضاً نهر من الجنة، تلقى فيه أعمال العباد كما ورد عن الصادق عليه السلام: "الركن اليماني بابنا الذي يدخل منه الجنة، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد"<sup>(١)</sup>.

وكربلاء: هي الحسين عليه السلام، والشجرة: هي محمد وعلي عليهما السلام؛ لأنهما أبوا العترة. فالمكلم المباشر هو المهدي الأول (اليماني): "وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا". وقائد المكلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام "مِنَ الشَّجَرَةِ"; لأن الشجرة كلها علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أبو العترة، أما أصل الشجرة فهو محمد صلى الله عليه وآله. فمكلم موسى هو الله، ومكلم موسى هو محمد صلى الله عليه وآله، وهو علي عليه السلام، ومكلم موسى هو المهدي الأول (اليماني). وقد سمّاه أمير المؤمنين عليه السلام مكلم موسى، وبَيَّن علامات ظهوره: .....<sup>(٢)</sup>.

وهذا موجود في القرآن، فالله يتوفى الأنفس، وأيضاً عزرائيل، وأيضاً جند عزرائيل: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا" الزمر: ٤٢. "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ" النحل: ٧٠. "قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" السجدة: ١١. "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَذَابُ الْحَرِيقِ" الأنفال: ٥٠. وفي كل الأحوال إذا توفى الأنفس الملائكة، أو ملك الموت، فالمتوفى الحقيقي هو الله، وكذلك الحال هنا فإذا كان مكلم موسى هو علي عليه السلام، أو المهدي الأول، فالمكلم الحقيقي لموسى هو الله سبحانه) انتهى<sup>(٣)</sup>.

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٣ / ٣٣٩.

٢- قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (إذا صاح الناقوس، وكبس الكابوس، وتكلم الجاموس (الجاموس هو الجامد، والمراد هنا: الصامت الساكت) فعند ذلك عجائب وأي عجائب إذا أنارت النار ببصري، وظهرت الراية العثمانية بوادي سوداء، واضطربت البصرة وغلب بعضهم بعضاً، وصبا كل قوم إلى قوم، وتحركت عساكر خراسان، ونبع شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان، وبوع لسعيد السوسي بخوزستان، وعقدت الراية لعماليق كردان، وتغلبت العرب على بلاد الأرمن والسقلا، وأذعن هرقل بقسطنطينة لبطارقة سينان، فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور (وعلى الطور: أي في النجف: لأن الطور نقل إلى وادي السلام كما روي عنهم)، فيظهر هذا ظاهر مكشوف، ومعين موصوف ... ثم بكى صلوات الله عليه وقال: واهاً للأمم ... معجم أحاديث الإمام المهدي: ٣ / ٢٧.

٣- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٨١.

الآن، بدا لنا واضحاً أنّ حادثة اصطفاء الله لموسى لها ارتباط بسادة رسل الله وقادة جند الله أعني محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم، وليس هذا بأمر غريب على من طالع البحوث التي تقدمت <sup>(١)</sup> حيث استعرضنا رسالات آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وغيرهم من رسل الله عليهم السلام، ووجدنا أنّ رسالاتهم ودينهم وبعثهم قائم على الاعتقاد بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وأفضليتهم وعلو مقامهم وأنهم كلمات الله التي تفضّل بها على رسله وعلى العالمين، وليس هذا فحسب، ولكنهم أيضاً هيأوا ومهدوا لرسالتهم العظمى كما لاحظناه بوضوح في البحوث التي تقدمت، وحال موسى عليه السلام كحال من سبقه من الرسل من هذه الجهة، لا سيما وأنه رسول من أولي العزم ووصفه بأنه من أولي العزم له علاقة بمحمد وآل محمد وبالمهدي بالخصوص كما أكدت ذلك نصوص أوصياء الرسول محمد صلوات الله عليهم <sup>(٢)</sup>.

صار بوسعنا الآن أن نعرف لماذا كانت النار التي أتاها موسى عليه السلام "مباركة" وكانت سبباً لإفاضة الخير والهدى والنور وجلباب الاصطفاء عليه، فمعلوم أنّ الإرسال والبعث إلهي بينما النار المادية تحرق من كان فيها وتلتهم ما كان حولها (قريباً منها) ولا تكون بركة عليه وعلى من حوله!

واضح أنّ النار التي اتجه إليها موسى عليه السلام – بحسب الحقيقة – هي نار هدى إلهي، فموسى ينشد الهدى الإلهي ومعرفة طرق السماء قبل طرق الأرض، والاصطفاء الذي يرجوه موسى ويتمناه لنفسه ولأهله هو زيادة المعرفة بالله والهيام بالحقيقة وتحصيل اليقين الذي لا يخالطه شك.

١- في هذا الجزء وكذا الجزء الأول من كتاب " الرسالة".

٢- عن الإمام الباقر، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم وما من نبي مضى إلا وله وصي وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وإنّ علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله، أما إنّ محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين) الكافي، الكليني: ١/ ٢٢٤.

وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً" قال: (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سعي أولوا العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم على أنّ ذلك كذلك والإقرار به) الكافي، الكليني: ١/ ٤١٦.

"إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معناها: (..... فمحمّد صلى الله عليه وآله هو النار في هذه الآية، وهو البركة التي يبارك بها الله على من في النار ومن حولها أما الذي في النار فهو علي عليه السلام، قال عليه السلام في إحدى خطبه: "أنا من كلّ موسى"، .....

أما الذين حولها - أي حول النار - فهم الأئمة عليهم السلام، كحلقة أقرب إلى مركز النار، ثم تليهم حلقات تلتف حول المركز، وهم المهديون الاثنا عشر بعد القائم عليه السلام، والأنبياء والمرسلون وخاصة الشيعة من الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كالثلث مائة وثلاثة عشر أصحاب القائم عليه السلام وسلمان المحمدي وأشباههم.

إذن، فموسى عليه السلام أراد أن يأتي لأهله بالخبر والهدى من النار لعلهم يصطلون بالنار أي يحترقون بها، ليكونوا على اليقين الذي لا يخالطه شك، "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" (...) انتهى<sup>(١)</sup>.

يحترقون بها: أي تزداد معرفتهم ويقينهم بالحقيقة.

جاء موسى باتجاه النار التي آنسها، جاء باتجاه الشجرة التي كلّم منها، باتجاه النور الإلهي (محمد وعلي وآلهما)، ولما اقترب نودي أنك - يا موسى - في محضر القدس والطهر الإلهي، ولما عرف ذلك جاء مسرعاً بعد أن طلب منه أن يخلع نعليه "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ؛" لأنهما يبطئان من سرعة سيره، وأيضاً لما كان في محضر قدس وطهارة فلا ينبغي أن يحمل معه كل ما يتنافى مع ساحة القدس الإلهي كالخوف ممّا سوى الله أو محبة غيره سبحانه<sup>(٢)</sup>!

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٠٦.

٢- عن سعد بن عبد الله الأشعري في أسئلته للإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه: (قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن أمر الله لنبيه موسى عليه السلام "فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى" .... قال: إن موسى

يقول السيد أحمد الحسن في بيان قوله تعالى: "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى":

(النعل في رجل أي إنسان يقمها، ولكنه أيضاً يُبطئ من سرعة سيره. ولم يُرد سبحانه وتعالى فقط النعلين الماديين اللتين تبطنان من سرعة سيره عليه السلام للوصول إلى الشجرة التي كُلّم منها، بل أيضاً كان سبحانه يريد من موسى عليه السلام أن ينزع من نفسه كل ما يعيقها في سيرها إلى الله سبحانه، فكان سبحانه يريد من موسى عليه السلام أن ينزع حبه لما سوى الله، وأن ينزع خوفه مما سوى الله. فلا يقي نفسه بالخوف والحدّر، بل بالله سبحانه وتعالى، ويكون حبه لأي إنسان بالله ومن خلال حبه لله سبحانه وتعالى.

والخوف من الطواغيت - كفرعون - من صفات العلماء غير العاملين، فقلوبهم مليئة بالخوف من الطاغوت، أو كما يسميهم الله سبحانه في القرآن الكريم بالحمير، قال تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ..." الجمعة: ٥. وقال تعالى: "إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" لقمان: ١٩. وقال تعالى: "كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ" المدثر: ٥٠.

ورد عن الصادق عليه السلام في تفسير هذا الخطاب الإلهي لموسى عليه السلام: "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ": "لأنّها كانت من جلد حمار ميّت"، فلم يرد الصادق عليه السلام إلا بيان هذه الصفة، وهي الخوف من الطاغوت على النفس وهي من صفات العلماء غير العاملين أو الحمير، ولم يكن الصادق عليه السلام يريد أن في قلب موسى خوف من الطاغوت بعد دخوله ساحة القدس الإلهي. فالله سبحانه وتعالى يقول لموسى عليه السلام: أنت وصلت إلى ساحة القدس الإلهية، "لا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى"؛ لأنّ الذي يدافع عنك هو الله، فأنت

---

ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمن سواك - وكان شديد الحب لأهله - فقال الله تعالى: "اخلع نعليك" أي أنزع حب أهلِكَ من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٦٠.

(حدثنا أبو عبد الله الكوفي الفقيه بفرغانة، بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: في قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: "فاخلع نعليك" قال: يعني ارفع خوفك يعني خوفه من ضياع أهله وقد خلّفها تمخض، وخوفه من فرعون) علل الشرائع، الصدوق: ١/ ٦٦.

الآن في ساحة قدسه، الوادي المقدس طوى<sup>(١)</sup>، ولم يكن في قلب موسى عليه السلام بعد أن وصل إلى ساحة القدس الإلهي أي خوف من الطواغيت، ولكن في هذا الخطاب الإلهي تعليم من الله سبحانه وتعالى لكل إنسان يريد الوصول إلى الساحة المقدسة (الوادي المقدس طوى) أن عليه أولاً وليكون أهلاً أن يلج هذه الساحة المقدسة أن ينزع من قلبه الخوف من الطواغيت كفرعون، ويوقن أن الذي يدافع عنه هو الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء في مقابل من لا يقدر على شيء. فالمطلوب من موسى عليه السلام الآن وهو يلج ساحة القدس أن ينزع من قلبه الخوف مما سوى الله ولو كان مثقال ذرة، ثم أن يملأ قلبه خوفاً من الله سبحانه وتعالى.

أما قول موسى عليه السلام: "وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" الشعراء: ١٤، فقد أراد موسى عليه السلام الخوف على الرسالة الإلهية وليس على نفسه، فهو يخاف أن يقتلوه قبل أن يتم تبليغ الرسالة الإلهية المكلف بها، فلما أجابه الله تعالى بقوله: "كَأَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ" الشعراء: ١٥، ذهب موسى مسرعاً إلى الطاغية، وأبلغه بالرسالة وبلغ بني إسرائيل و أتم تبليغ الرسالة بفضل الله القادر على كل شيء) انتهى<sup>(٢)</sup>.

موسى الذي خرج من أهله وقومه وحيداً خائفاً ووصل مدين بعد مسير طويل، غرباً أنهكه الجوع والتعب وقد زويت عنه الدنيا تماماً، حتى قص القرآن قوله بعد أن سقى الماء لبنتي شعيب: "فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" القصص: ٢٤<sup>(٣)</sup>، موسى الذي كان هذا حاله عاد إلى أهله وقومه أمة في رجل وهو معبأ بنور الله، حاملاً رسالة الله، ممتلئاً يقيناً وثقة بالله، مرتدياً ثوب المعرفة به والإخلاص له والتوكل عليه، قائماً بدين الله بهمة وعزم لا يلين لإنجاز مراد الله وتبليغ رسالته ودينه، ثائراً

١- سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن سبب تسميته بالوادي المقدس، فقال: (لأنه قُدِّسَتْ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَاصْطَفِيَتْ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُوسَى تَكْلِيماً) علل الشرائع، الصدوق، ٢/ ٤٧١ - ٤٧٢.

٢- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٦٠.

٣- يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (والله ما سأل الله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد رأوا خضرة البقل في صفاق بطنه - أي جلدها - من هزاله) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٢٨.

بوجه أعتى الطغاة، ولا شك: "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" الحديد: ٢١.

أما بالنسبة إلى علماء المسلمين فقد اكتفوا ببيان الآيات إجمالاً بحسب ظاهرها، بل خالفوا حتى الظاهر أحياناً، فمثلاً: في معنى قوله تعالى: "بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا" ذكروا عدة أقوال، منها:

- بورك من في قرب النار وليس من يتوغل فيها، ومن حولها: أي من لم يقرب منها.
- وقيل: المراد بورك نور الله في النار أو الملائكة الموكلين بالنار، ومن حولها: هم الملائكة أو موسى.
- وقيل: بورك سلطان الله في النار، ومن حوله هم الملائكة وموسى.
- وقيل: بورك مكان النار وما حوله من مكان.

وذكروا أقوالاً أخرى أيضاً<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: كما اكتفى أغلبهم بتفسير "النار" في آيات الحادثة بالنار المادية فقط فعلوا نفس الشيء في تفسيرهم لمعنى "الشجرة" و"الوادي الأيمن" أو "الطور الأيمن" الوارد ذكرها في الآيات، وهو أمر واضح لمن راجع كلامهم في تفاسيرهم، ولولا إتيانهم على ذكر "الملائكة" عند بيان الآيات لكانت حادثة اصطفاء الله لموسى رسولاً بنظرهم مادية وأرضية بنحو صرف ١٠٠٪.

١- انظر: التبيان، الطوسي: ٦ / ٢٣٨، ٨ / ٧٧؛ مجمع البيان، الطبرسي: ٧ / ٣٦٤؛ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٥ / ٣٤٣؛ جامع البيان، الطبري: ١٩ / ١٦٣ - ١٦٤؛ معاني القرآن، النحاس: ٥ / ١١٦؛ تفسير الرازي: ٢٤ / ١٨٢؛ وغيرهم.



## من هم الكروبيون أو الشاروبيم؟

ورد في نصوص أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله أنَّ مكلم موسى هو أحد الكروبيين الذين وصفوا بأنهم قوم من شيعة آل محمد، جعلهم الله خلف عرشه، لو قسّم نور أحدهم على أهل الأرض جميعاً لكفاهم، أي: أنهم حجج وهداة ربّانيين:

عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (إنَّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إنَّ موسى عليه السلام لما أن سأل ربه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً<sup>(١)</sup>).

وصف الكروبيين بأنهم "قوم من شيعتنا" يذكّرنا بوصف المهديين الأوصياء (العدة الثانية من أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله):

(عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يا ابن رسول الله إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر إماماً، فقال: إنما قال: اثنا عشر مهدياً، ولم يقل: اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى مولاتنا ومعرفة حقنا)<sup>(٢)</sup>.

وبجمع الحديثين تكون النتيجة: (الكروبيين = المهديين)، وهذا يعني أنَّ أحد المهديين الأوصياء هو من كلّم موسى بأمر الله. ولكن: ما معنى الكروبيين؟

يقول السيد أحمد الحسن: (كلمة كروبيين، أصلها عبراني ومعناها بالعربي "المقربين" أو "القربين". الأئمة صلوات الله عليهم استخدموا اللفظ العبري أحياناً ربما لحفظ الدين وإبعاد المبطلين من شياطين الإنس والجن عن فهم كلامهم واستغلاله لمصالح شيطانية).

١- بصائر الدرجات، الصفار: ٩٠.

٢- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٥٨.

هم (كروبيين، شيروبيم) مشهورون في النصوص المقدسة القديمة كالتوراة والإنجيل، وكما قلت: لفظ كروبيين أو شيروبيم أو شاروبيم يعود إلى لغتهم أولغة كتابهم، بل في الحقيقة يعود إلى أصل سامي قديم ثم استعمل في الكتاب المقدس. وفي الكتاب المقدس المترجم للعربي تكتب فيه: كروين أو كروبيم.

عموماً، هي تعني بالعربية المقربين) انتهى<sup>(١)</sup>.

صار بوسعنا معرفة سرُّ توصيف المهديين الأوصياء بالكروبيين أي المقربين؛ باعتبار أنهم العدة الثانية من آل محمد الأوصياء، وبالتالي فهم أقرب حلقة لمحمد وآل محمد (العدة الأولى من أوصياء الرسول محمد)، بل شدة قربهم منهم جعلتهم من آل محمد نسباً وروحاً معاً، وكانوا هم العدة الثانية من أوصياء الرسول محمد، ولهذا وجدنا وصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله ليلة وفاته جمعت العدتين فكان "آل محمد" هم: الاثنا عشر إماماً والاثنا عشر مهدياً.

وها هنا عدة ملاحظات، منها:

١- بالنسبة للمهدي الأول (أحد الكروبيين الذي ورد بحقه أنه من كَلَم موسى)، وبعد أن عرفنا أنَّ معنى الكروبيين = المقربين، نعرف السري في توصيفه في وصية رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ليلة وفاته بـ "أول المقربين"<sup>(٢)</sup>.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- هذا مقطع من نص الوصية كما نقله ولده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنتان سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً.....) وبعد أن ذكر الأئمة الإثني عشر من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام، قال: (فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده (أي: الإمام المهدي) اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين) الغيبة، الطوسي: ١٥٠ - ١٥١.

٢- الجذر اللغوي لكلمة "الكروبيين" يؤكد معنى الدنو والقرب أيضاً<sup>(١)</sup>.

٣- لفظ "كروبيين" يعود إلى أصول سامية قديمة بمعنى: "المقربين، أصحاب القرب، المباركين، الساجدين"، ومنه انتزع الأصل العبري: "كيروب، كيروبيم"<sup>(٢)</sup>.

٤- وصف المهديين الأوصياء (العدة الثانية من آل محمد) بالكروبيين (أي المقربين) لا يعني اختصاص هذا الوصف بهم، وبالتالي لا مانع من أن يوصف به بعض الملائكة المقربين أيضاً؛ باعتبار أن الأصل (الجذر اللغوي) موجود فهم أعني "القرب من الله"، وإنما ما نعينه هو أن المهديين وصفوا بهذا الوصف "الكروبيين": لقرهم من الله ومن سادة رسله أعني الرسول محمد والأئمة الاثني عشر (العدة الأولى من أوصياء الرسول محمد)، بل ولشدة قرهم منهم كانوا منهم أي ذريتهم، فالعدة الثانية من أوصياء الرسول محمد (أعني المهديين الاثني عشر) هم أبناء الإمام المهدي محمد بن الحسن صلوات الله

١- قال ابن منظور: (وَكُرِبَ الْأَمْرُ يُكْرَبُ كُرُوبًا: دَنَا. يُقَالُ كَرِبَتْ حَيَاةُ النَّارِ أَيِ قَرِبَ انْطِفَاقُهَا ..... وَكُلُّ شَيْءٍ دَنَا: فَقَدَ كَرِبَ. .... وَكَرِبَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ: دَنَتْ؛ وَكَرِبَتِ الشَّمْسُ: دَنَتْ لِلْغُرُوبِ؛ وَكَرِبَتِ الْجَارِيَةُ أَنْ تُدْرِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَإِذَا اسْتَعْتَى أَوْ كَرِبَ اسْتَعَفَّ: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: كَرِبَ أَيِ دَنَا مِنْ ذَلِكَ وَقَرِبَ. وَكُلُّ دَانٍ قَرِيبٍ، فَهُوَ كَارِبٌ. وَفِي حَدِيثِ رُقَيْقَةَ: أَيْفَعَ الْغُلَامُ أَوْ كَرِبَ أَيِ قَارَبَ الْإِقْبَاعَ. .... وَهَذِهِ إِبْلٌ مَائَةٌ أَوْ كَرِبُهَا أَيِ نَحْوُهَا وَقَرِيبُهَا لِسَانُ الْعَرَبِ: ١/ ٧١٢ - كَرِبَ.

٢- بحسب قاموس شيكاغو للغة الآشورية (The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago – CAD): الذي يعتبر مرجعاً أساسياً في اللغات السامية القديمة، فإن الفعل "Karābu" في الأكدي (أقدم اللغات السامية) يعني: "يصلي، يبارك، يسجد، يحيي بتبجيل"، ومنه اشتق اسم "Kāribu" الذي يطلق على الكائن الذي يقف في حضرة الإله للشفاعة أو الحراسة، وهو ما يجسد معنى القرب والوساطة، وهذا الوقوف الدائم في حضرة الرب هو قمة "القرب".

وأيضاً: بحسب قاموس هوليدي للعبية والآرامية (A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament): يوضح الباحث "ويليام هوليدي" أن كلمة "Cherub" (كروب) لها صلة اشتقاقية مباشرة بالجذر الأكدي (Karābu)، مشيراً إلى أن المعنى الوظيفي للكلمة هو "الخادم" أو "المقرب" الذي يحف بالعرش، مما يربط بين الأصل السامي القديم (السجود والتبجيل) والنتيجة (القرب والمكانة).

وأيضاً: يؤكد المستشرق "أرثر جيفري" في كتابه "المفردات الأعجمية في القرآن" (The Foreign Vocabulary of the Qur'an) أن الكلمة بالرغم من استعارتها في العربية، إلا أنها تعود لجذور سامية شرقية تعني "المقربين" أو الذين يشغلون منصب "الحراس والمبجلين" في الحضرة الإلهية.

عليه؛ أب فابن إلى المهدي الثاني عشر، تماماً كما كان الحال في الأئمة الاثني عشر: "ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" آل عمران: ٣٤.

يترتب على هذا: إنه ليس من الصحيح صرف عنوان "الكروبيين" إلى الملائكة دائماً، ولا أقل في النصوص التي تحوي قرائن مثل: "قوم من شيعتنا"، أو أنّ لهم صلة بعرش الله (أي: ملكه) ونحو ذلك، فهي قرائن واضحة توجب صرف المقصود بالكروبيين إلى المهديين الأوصياء؛ باعتبار شدة قربهم كما بيّنت، وأيضاً: باعتبار أنهم قادة دولة العدل الإلهي ولهم علاقة وثيقة بعرش الله سبحانه وملكه على هذه الأرض، فواضح أنّ مَنْ يمثّل ملك الله على هذه الأرض هو خليفة إلهي من جنس الإنسان وليس من جنس الملائكة.

هـ- في الكتاب المقدس (التوراة، الإنجيل) ورد ذكر الكروبيين في نصوص عديدة، هذا مثال لها:

- "فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَ أَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهَبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تك ٣: ٢٤).
- "وَجَعَلَ الْكَرُوبِيِّينَ فِي وَسْطِ النَّبْتِ الدَّاخِلِيِّ، وَبَسَطُوا أَجْنَحَهُ الْكَرُوبِيِّينَ فَمَسَّ جَنَاحُ الْوَاحِدِ الْحَائِطَ وَجَنَاحُ الْكَرُوبِ الْآخَرَ مَسَّ الْحَائِطَ الْآخَرَ. وَكَانَتْ أَجْنِحَتُهُمَا فِي وَسْطِ النَّبْتِ يَمَسُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ. وَغَشَّى الْكَرُوبِيُّونَ بِذَهَبٍ. وَجَمِيعُ حَيْطَانِ النَّبْتِ فِي مُسْتَدِيرِهَا رَسَمَهَا نَقْشًا بِنَقْرِ كَرُوبِيمَ وَنَخِيلَ وَبَرَاعِمَ زُهُورٍ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ. .... وَالْمَصْرَاعَانِ مِنْ خَشَبِ الزَّيْتُونِ. وَرَسَمَ عَلَيْهِمَا نَقْشَ كَرُوبِيمَ وَنَخِيلَ وَبَرَاعِمَ زُهُورٍ، وَغَشَّاهُمَا بِذَهَبٍ، وَرَصَعَ الْكَرُوبِيمَ وَالنَّخِيلَ بِذَهَبٍ" (١ مل ٦: ٢٧-٢٩، ٣٢).
- "وَفَوْقَ الْمُقَبِّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا شِبْهُ عَرْشٍ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ، وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهُ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقٍ. وَرَأَيْتُ مِثْلَ مَنْظَرِ النُّحَاسِ اللَّامِعِ كَمَنْظَرِ نَارٍ دَاخِلُهُ مِنْ حَوْلِهِ، مِنْ مَنْظَرِ حَقْوِيهِ إِلَى فَوْقٍ، وَمِنْ مَنْظَرِ حَقْوِيهِ إِلَى تَحْتٍ، رَأَيْتُ مِثْلَ مَنْظَرِ نَارٍ وَلَهَا لَمَعَانٌ مِنْ حَوْلِهَا. كَمَنْظَرِ الْقَوْسِ الَّتِي فِي السَّحَابِ يَوْمَ مَطَرٍ، هَكَذَا مَنْظَرُ اللَّمَعَانِ مِنْ حَوْلِهِ. هَذَا مَنْظَرُ شِبْهِ مَجْدِ الرَّبِّ. وَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَرَرْتُ عَلَى وَجْهِی، وَسَمِعْتُ صَوْتَ مُتَكَلِّمٍ" (حز ١: ٢٦-٢٨).

النصوص التي ذكرت الكروبين كثيرة، لكن باعتبارها نصوصاً سماوية ولغتها مرمزة عادة كما هو الحال بالنسبة إلى القرآن الكريم في كثير من نصوصه كما عرفنا في أكثر من موضع، من ثم تكون بحاجة إلى شرح وبيان، لكن يكفي هنا على مستوى بحثنا الآن أن نعرف أنّ الكروبين المذكورين في النصوص أعلاه لهم علاقة بعرش الله ومجده وتثبيت ملكه على هذه الأرض: "شِبْهُ عَرْشِ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الْعَقِيقِ الْأَزْرَقِ، وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهُ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ"، "وَعَسَى الْكُرُوبَيْنِ بِذَهَبٍ" أي: إنهم ملوك إلهيين.

وأيضاً: النص الأول "وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةٍ عَذْنِ الْكُرُوبِيمِ، وَلَهَبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" يؤكد أنهم قوَّام شرقيون (يبعثون في العراق)، ووظيفتهم حراسة طريق شجرة الحياة، والشجرة الإلهية المباركة في النصوص الدينية يراد بها الرسول محمد وآله الأوصياء كما عرفناه في بيان السيد أحمد الحسن للآية القرآنية: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" القصص: ٣٠. ومعنى حراسة المهديين للشجرة المباركة: هو حماية نهج محمد وآله صلوات الله عليهم وإعلاء ذكرهم وبيان دينهم الحق وكشف حقهم ومنزلتهم العظيمة ودعوة الناس لولائهم ومعرفة حقهم، وهو بالضبط ما أوضحه الإمام الصادق في وصفهم بأنهم: "قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا".

وعموماً، ملك الله ومجده وتحقق ملكه في هذا العالم يتحقق على يد المهديين الأوصياء؛ قادة دولة العدل الإلهي؛ وتحديداً المهدي الأول المبعوث من أبيه الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه؛ ليمهد له قيام دولة الحق والعدل الإلهي. وأيضاً: لا شك أنّ علامة السحاب التي رأيناها في النص الأخير: "كَمَنْظَرِ الْقَوْسِ الَّتِي فِي السَّحَابِ ... هَذَا مَنْظَرُ شِبْهِ مَجْدِ الرَّبِّ" لها علاقة بالمنقذ والمخلص الآتي في آخر الزمان كما ورد في نصوص دينية كثيرة جداً على مستوى التوراة والإنجيل، وكذلك على مستوى نصوص المسلمين<sup>(١)</sup>؛ وهي علامة لها صلة بمهدي آل محمد وقائهم بالتأكيد.

١- (عن عبد الرحيم أنه قال: ابتدأني أبو جعفر عليه السلام فقال: أما إن ذا القرنين قد خير السحابين فاختر الذلول وذخر لصاحبكم الصعب، قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة فصاحبكم

ما أوضحناه (كإشارات سريعة) للمقصود بالكروبيين في نصوص الكتاب المقدس، بالتأكيد لا نتوقع أن نجد له أثراً في كتابات شراح الكتاب المقدس؛ فمن يستسهل تحريف أصل النص الكتابي ويقبله دون غضاضة (كما سنرى مثلاً في تعاطيهم - على مستوى النص والشرح معاً - مع فتنة العجل ونسبتها للوصي هارون، وحاشاه) ماذا ننتظر منه على مستوى الشرح والتفسير لنصوص الكروبيين أو الكروبيم؟! وعموماً، نحن غير معنيين بتفاسيرهم إطلاقاً.

ونتيجة ما تقدم: أنّ المهديين الأوصياء قد ورد ذكرهم في نصوص الكتاب المقدس بشكل واضح ووفير؛ باعتبار أنّ دولة العدل هي خلاصة وعصارة رسالات الله على هذه الأرض، وبالتالي فإنّ كثيراً من أنبياء بني إسرائيل خصّوهم - وخصوصاً أولهم (المخلص والمنقذ الإلهي) الآتي في آخر الزمان - بالذكر؛ لأنّ دولتهم هي دولة الله الموعود بها منذ فجر الرسالة الإلهية.

### إرسال موسى (٤):

دعوة موسى عليه السلام دعوة إلهية عامة، وهو وإن كان بُعث لبني إسرائيل أولاً لكن هذا لا يعني أنّ رسالته محصورة بهم، وإنما هو رسول إلهي للعموم؛ بدليل أنه طرح دعوته على فرعون وقومه ولم يكونوا إسرائيليين. نعم، ما حصل بالفترات التي أعقبت وفاة موسى عليه السلام وقيام علماء اليهود بقبول إيمان من يرتبط بهم نسباً أو من يختارونه هم حتى بدت رسالة موسى وكأنّها دين قومي خاص بفئة معينة من الناس، أقول: ما حصل هو - بلا شك - انحراف واضح لا شأن لله ورسوله موسى به إطلاقاً.

### إرسال موسى لبني إسرائيل واتخاذ هارون وزيراً:

موسى عليه السلام بعد رجوعه من مدين ودخوله مصر توجه مباشرة إلى المقاطعة (المنطقة) التي كان يسكنها قومه (بنو إسرائيل)؛ إذ كان لهم مكاناً مخصصاً بمصر، فقام

---

يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع خمسة عوامر واثنين خراب) بصائر الدرجات، الصفار: ٤٢٨ - ٤٢٩.

بتبليغ أهله وقومه بدعوته ورسالته التي أمره الله بها، فأمن به منهم من آمن، وكان دليلهم على صدقه هو قانون معرفة الرسل (النص، العلم) كما عرفناه في الرواية التي تقدمت عن الإمام زين العابدين صلوات الله عليه.

بالتأكيد، لا يسبق الوصي (هارون) بالإيمان ببعث موسى وإرساله من الله أحد، ولذا طلب موسى من الله أن يرسله معه معيناً ووزيراً (وصياً):

- "وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي .....
- قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" طه: ٢٩ - ٣٦.
- "وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا" مريم: ٥١ - ٥٣.

هارون بن عمران أكبر من موسى سنّاً<sup>(١)</sup>، وقد أجاب الله طلب موسى وجعل أخاه هارون وصياً ووزيراً له، ولهذا ذكرا معاً في جملة من الآيات، منها:

- "ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \* فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ \* فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ" المؤمنون: ٤٥ - ٤٨.
- "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا \* فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا" الفرقان: ٣٥ - ٣٦.

نصوص التوراة - كذلك - ذكرت إرسال الله عبده موسى لبني إسرائيل وفرعون بعد  
حادثة الاصطفاء المتقدمة:

---

١- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: (..... فقلت: كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه؟ قال: نعم أما تسمع الله تعالى يقول: "يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي" فقلت فأيهما كان أكبر سنّاً؟ قال: هارون، قلت: فكان الوحي ينزل عليهما جميعاً؟ قال: الوحي ينزل على موسى وموسى يوحيه إلى هارون. فقلت له: أخبرني عن الأحكام والقضاء والأمر والنهي أكان ذلك لهما؟ قال: كان موسى الذي يناجي ربه ويكتب (هارون) العلم ويقضي بين بني إسرائيل، وهارون يخلفه إذا غاب من قومه للمناجاة، قلت: فأيهما مات قبل صاحبه؟ قال: هارون قبل موسى عليه السلام وماتا جميعاً في التيه، قلت: فكان لموسى ولد؟ قال: لا كان الولد لهارون والذرية له) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ١٣٧.

(سفر الخروج – إصحاح ٣): "..... ١٠ فالآن هَلُمَّ فَأَرْسَلْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ". ١١ فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟» ١٢ فَقَالَ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهَذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلَامَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ». ..... ١٥ وَقَالَ اللَّهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهُوَهْ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ قَدَوْرٍ. ١٦ اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلًا: إِنِّي قَدْ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صَنَعْتُ بِكُمْ فِي مِصْرَ. ١٧ فَقُلْتُ أَصْعِدْكُمْ مِنْ مَدْلَةٍ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ .... ١٨ «فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلْ أَنْتَ وَشُيُوخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ الْتَفَانَا، فَالآنَ نَمْضِي سَفَرًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَدْخُلُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا. ١٩ وَلِكَيْتِ أَعْلَمَ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ، ٢٠ فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عِجَائِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلِقُكُمْ".

و أَيْضًا: أشارت إلى جعل هارون وزيراً ومعيناً لموسى:

(سفر الخروج – إصحاح ٤): "١٠ فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَهْهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبُ كَلَامٍ مُنْذُ أُمْسٍ وَلَا أَوَّلٍ مِنْ أُمْسٍ، وَلَا مِنْ حِينَ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ». ١١ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَّا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ ١٢ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». ١٣ ..... وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللَّاَوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لَا سْتَقْبَالَكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، ١٥ فَتَكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمْ مَاذَا تَصْنَعَانِ. ١٦ وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمَا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَهًا ١٧ وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هَذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الْآيَاتِ".

(سفر الخروج – إصحاح ٦): "١٠ ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ١١ «أَدْخُلْ قُلْ لِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ أَنْ يُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ». ١٢ فَتَكَلَّمَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ قَائِلًا: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَسْمَعُوا لِي، فَكَيْفَ يَسْمَعُنِي فِرْعَوْنُ وَأَنَا أَعْلِفُ الشَّفَقَتَيْنِ؟» ١٣ فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأَوْصَى مَعَهُمَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ فِي إِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ".



ثم ها هنا أمران مهمان:

**الأول:** تواجد هارون (وصي موسى ووزيره) في نفس زمن موسى وإرساله معه يعني - بوضوح تام - إمكانية تواجد حجّتين إلهيين في وقت واحد، وهذا ينقض الفهم العقائدي المنحرف الذي ابتلي به البعض في زماننا؛ الفهم الذي يحاول تصوير استحالة تواجد حجّتين في زمن واحد! وها هو القرآن الكريم وبنصوص واضحة ومحكمة يبطل هذا الانحراف العقائدي ويقرر تواجد موسى ووصيه هارون في وقت واحد، وليست المسألة منحصرة بهما، بل حصلت مع رسل آخرين أيضاً كتزامن وجود إبراهيم ولوط عليهما السلام ويعقوب ويوسف عليهما السلام كما تقدم، وقد كان لوط حجة على قومه بلا شك؛ باعتبار أنّ إبراهيم غير موجود بينهم، وكذلك كان يعقوب حجة على أهل كنعان ويوسف حجة على أهل مصر. وأيضاً: تزامن وجود داود وسليمان عليهما السلام، وكلاهما كان حجة حتى إنّ الله أمضى حكم سليمان على حكم أبيه داود في قضية الغنم<sup>(١)</sup>. ونفس الأمر نجده بوضوح أيضاً في تزامن وجود وصي الرسول محمد (علي صلوات الله عليه) مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله ووصف بأنه "حجة" في حياته<sup>(٢)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن: (هل كان علي عليه السلام حجة ناطقاً على أهل المدينة عندما غاب رسول الله صلى الله عليه وآله في ذهابه إلى تبوك، أم لا؟ هل أنّ أهل المدينة محجوجون به، أم لا؟ هل يجب عليهم متابعتة في كل قول وفعل، أم لا؟ إذن، فالحجة ثابتة له مع وجود رسول الله. بقي شيء: أنّ علياً عليه السلام ليس حجة الله بل حجة محمد صلى الله عليه وآله، وليس ناطقاً عن الله بل ناطق عن محمد سواء في حياة محمد أم بعد

١- قال تعالى: "وَذَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ \* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" الأنبياء: ٧٨ - ٧٩.

٢- (عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ..... فقلت: جعلت فداك أكان علي عليه السلام حجة من الله ورسوله على هذه الأمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: نعم، يوم أقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته، قلت: وكانت طاعة علي عليه السلام واجبة على الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته؟ فقال: نعم، ولكنه صمت فلم يتكلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على أمته وعلى علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطاعة من الله ومن رسوله على الناس كلهم لعلي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان علي عليه السلام حكيماً عالماً) الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٣.

شهادته، نحن نقول عنه حجة الله؛ لأنه بحسب الأصل حجة الله، لأنه حجة محمد ومحمد خليفة الله) انتهى<sup>(١)</sup>.

نعم، الوصي يكون محجوجاً بالموصي ولا ينطق إلا بإذنه كما في حالة غيبته مثلاً، وهذا هو معنى عدم اجتماع حجتين (إمامين مثلاً) في وقت واحد<sup>(٢)</sup>، فالمراد عدم اجتماع حجتين ناطقين في مكان واحد، أما اجتماع حجتين أحدهما ناطق والآخر صامت (أي لا ينطق إلا بأمر الموصي) فهو أمر ممكن، بل واقع وقد تكرر حصوله في تاريخ الرسائل الإلهية الذي حكته النصوص القطعية كما لاحظنا في الأمثلة المذكورة.

يقول السيد أحمد الحسن: (أما الحجة الصامت فتعني أنه محجوج، فليس له أمر مع الذي هو محجوج به، وهذا أمر بينهما لا دخل لكم به. فمع وجودهما في زمن واحد هل يُرد الصامت؟ وهل كان يحل رد هارون أولوط – على تسميتهم بأنهم صامتون – مع وجود موسى وإبراهيم؟! إنما تسمية الصامت يُعني بها أنهما إن اجتمعا في مكان فالناطق هو حجة الزمان والوصي لا يتكلم إلا بإذنه، وهذا هو المعنى الوحيد الذي يتفق مع القرآن) انتهى<sup>(٣)</sup>.

إذن، الوصي له دور في حياة الموصي، وينطق بأمر الموصي، وهو حجة على كل من هو دونه، وبخصوص مسألتنا: كان هارون حجة على كل من واجهه في حركته الرسالية التي كانت بأمر موسى (الموصي)، ولأن موسى أرسله قبله إلى المدينة التي كان فيها فرعون وقومه ليمهد له ذهابه ولقاءه بفرعون، ولأنه كان المواجه الفعلي في الدعوة إلى الله بينهم، تقدم ذكره على موسى في قول السحرة الذي قصه الله تعالى: "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى" طه: ٧٠.

١- مع العبد الصالح، إعداد: علاء السالم، الجزء الأول – الحجة الناطق على الناس.

٢- (عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا، قلت: يكون إمامان؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت) الكافي، الكليني: ١ / ١٧٨.

٣- مع العبد الصالح، إعداد: علاء السالم، الجزء الأول – معنى الحجة الصامت.

ما فعله موسى صلوات الله عليه يكشف عن إمكانية مجيء الوصي قبل الموصي (حجة الزمان) لأداء بعض ما يتعلق بمهام الرسالة والتمهيد لها:

يقول السيد أحمد الحسن في إجابة: "كيف يأتي الوصي قبل الحجة (الموصي)"؟

(فهذا هارون بعث في مصر قبل موسى وبنص قرآني بين: "وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ  
 أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضِيقُ  
 صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ" الشعراء: ١٠-١٣.

هذه الآيات تبين طلب موسى من الله أن يرسل إلى هارون، أي كما أخبره يخبر هارون،  
 وقد بدأت الدعوة بهارون وهيا الناس لاستقبال موسى: "قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَّا بَآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ  
 مُسْتَمِعُونَ" الشعراء: ١٥. هذه الآية تبين أن الله أجاب طلب موسى عليه السلام، وليس هذا  
 فحسب بل بقي المباشر للمواجهة هو هارون: "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ  
 وَمُوسَىٰ" طه: ٧٠. قُدِّم هارون؛ لأنه هو الذي واجههم، وهارون وصي موسى بُعث في أرض  
 الرسالة وهي مصر قبل موسى، بل واستمر ناطقاً مواجهاً مع وجود موسى: لأن موسى طلب  
 هذا، ولكنه كان محجوجاً بموسى فلا ينطق إلا بأمر موسى: "وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ  
 لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ" انتهى (١).

مسألة دور وفاعلية الوصي في زمن الموصي – كما نرى – واضحة ومحكمة ولا مجال  
 لردّها، وما تقدم هي حقائق واضحة وقطعية والإصرار على رفضها يعني سلب وصاية  
 هارون بالمرّة؛ باعتبار أنه مات قبل أخيه موسى عليه السلام، وبالتالي يكون الاعتقاد بعدم  
 فاعلية الوصي في حياة الموصي يساوق القول بحرمان هارون من الوصاية الفعلية  
 بالمطلق! هذا، ولكن هارون وصي فعلي وكفي وصايته فخراً أنها أصبحت مثلاً تقاس به  
 وصاية سيد الأوصياء وأشرفهم (أعني: أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله

---

١- مع العبد الصالح، إعداد: علاء السالم، الجزء الأول – مجيء الوصي قبل الحجة.

عليه) الذي كان الرسول محمد صلى الله عليه وآله يشبه منزلته منه بمنزلة هارون من موسى في النص القطعي والمتواتر لدى جميع المسلمين<sup>(١)</sup>.

وإذا كان دين الله وو اقع رسالاته هو ما أوضحناه، فمن غير الصحيح أن يشكل على بعثة وصي من الأوصياء بعدم صحة مجيئه قبل الحجة (الموصي)، فقد اتضح أنه إشكال يكشف عن الجهل بدين الله وو اقع رسله والحقائق التي تضمنتها رسالاتهم الإلهية.

والحق، إنَّ ما حصل في رسالة موسى وهارون عليهما السلام يمهّد بشكل واضح لرسالة محمد صلى الله عليه وآله، فحال عليّ من الرسول محمد كحال هارون من موسى، وحديث المنزلة متواتر ويلج به جميع المسلمين، وهو شاهد على ذلك<sup>(٢)</sup>. وبالتالي، فكما كان هارون حجة وله دور رسالي في حياة موسى كان عليّ حجة وله دور رسالي في حياة محمد صلى الله عليه وآله. والأمر لا يقف على أول زمان الإسلام، بل يتكرر في آخر زمانه أيضاً عندما يكون الموصي هو الإمام محمد بن الحسن المهدي (أحد أوصياء الرسول محمد بحسب وصيته المقدسة) والوصي هو ولده أحمد (أحد أوصياء الرسول محمد بحسب وصيته المقدسة) المبعوث منه إلى أتباع الرسالات كلها؛ تماماً كما كان الرسول محمد يبعث علياً بمهام رسالته، أو كما كان موسى يبعث هارون بمهام رسالته. وكما كان عليّ وهارون حجتان ولهما دور رسالي في زمان حياة محمد وموسى صلوات الله عليهما يكون الوصي أحمد حجة وله دور رسالي في زمان حياة أبيه الإمام المهدي صلوات الله عليه.

هذا المعطى العقائدي المهم هيأت له الرسالة الموسوية بوضوح كما رأينا.

١- روى الكليني بسنده قول الرسول محمد صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) الكافي: ١٠٧/ ٨؛ وروى البخاري بسنده: (قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٨ و: ٥ / ١٢٩ بإضافة: "إلا أنه ليس نبي بعدي"؛ ورواه مسلم بسنده أيضاً: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠، ومصادر أخرى كثيرة روته بأسانيد مختلفة.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) الكافي، الكليني: ٨ / ١٠٧؛ أو: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٨؛ أو: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي) صحيح البخاري: ٥ / ١٢٩.

**الثاني:** انحراف عقائدي آخر ظهر في زماننا أيضاً يتمثل باشتراط فصاحة النطق – وفق قواعد لغوية موضوعة من قبل النحاة – في حجج الله (الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم بالخصوص)، وأنّ الإمام لا يكون إماماً إلا بعد محاكمته بقواعد اللغة!

ومع أنّه اشتراط تبرعي يستند إلى أوهام وتخرصات لا أكثر؛ إذ لا عين له ولا أثر في نصوص الدين الإلهي، بل الثابت هو العكس كما سنعرف الآن، نجد أنه يصطدم بثوابت الدين التي أكدت وجود قانون إلهي متقن ومحكم يُعرف به جميع حجج الله (أنبياء، رسل، أئمة)، وهو قانون مؤلف من فقرات ثلاث كما تقدم مراراً، أعني: (النص، العلم، الدعوة إلى الله). وكما قلت: هو قانون يعرف به جميع خلفاء الله من آدم وحتى آخر خليفة إلهي على هذه الأرض بعد كون دين الله واحداً، أما القول بانخراط هذا القانون في آل محمد (بالخصوص) وافتراض ضرورة توافر شروط أخرى إضافية على القانون الإلهي، فهو تقوّل في دين الله بدون أدنى شك!

ثم إنّ القواعد النحوية متأخرة عن عصر النص وبعثات خلفاء الله بوقت طويل جداً، وهي قواعد وضعية بشرية قابلة للتصويب والتخطئة والتغيير والتعديل ... إلخ، إضافة إلى كونها غير منضبطة من الأساس وفيها مدراس وآراء مختلفة. علاوة على أنّ اللغة بقضها وقضيتها – وفق مقاييس علوم اللغة الحديثة – مجرد نتاج بشري أرضي تطوري؛ الغرض الأساس منها التفاهم لا أكثر، وبالتالي فهي شأن بشري حاله حال اللباس والأكل وسائر الشؤون الاجتماعية الخاضعة للتطور بمرور الزمن، وبالتالي فمحاكمة المعصوم بشأن بشري تطوري أمر في غاية السفه والسذاجة، وقد فصلت الحديث عن هذا الأمر في كتاب "إعجاز القرآن" وكتاب "دفاع عن القرآن" ويمكن الرجوع إليهما لمن طلب الاستزادة.

وبالنسبة للمعصومين أنفسهم، فالأمر واضح وجلي، إذ بينوا أنّ الطريق الأصل في التعرف عليهم هو "النص" لا غير<sup>(١)</sup>، ومن يشترط فيهم أكثر مما اشترطوه هم فهو بين

١- (عباس بن يزيد بن الحسن الكحال مولى زيد بن علي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام، قال: الامام منا لا يكون إلا معصوماً وليس العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوباً. فقيل له: يا ابن رسول الله فما

حاليين؛ إما أنه غير مصدّق بكلامهم، أو أنه غير مطمئن بالضابط والقانون الذي وضعوه للتعرف عليهم، وبكل الأحوال يكون راداً عليهم ومبتدعاً في دين الله!

وفوق هذا كله، يكفي ردّاً على بدعة اشتراط "الفصاحة" ما ذكر في وصف موسى عليه السلام، فموسى سأل الله أن يرسل معه أخاه هارون؛ لأنه أفصح منه لساناً: "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي"، فهل يلتزم هؤلاء المشترطون بأن الأولى كان تنصيب هارون حجة على موسى، وأن الله (وحاشاه) خالف اشتراطهم؟!

وأيضاً: بالنسبة لموسى الكليم، فالمسألة لا تقف عند كون هارون أفصح منه لساناً، بل تتعداها إلى أن النطق عموماً كان فيه مشكلة لدى موسى بحيث كان يؤثر على بيانه إجمالاً؛ الأمر الذي دعا الطاغية فرعون للاستخفاف به، حيث قال: "أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ" الزخرف: ٥٢! علماً، أن مشكلة النطق لدى موسى حصلت له منذ صباه لأمر تسبّب في حفظه من القتل كما هو المروي<sup>(١)</sup>.

معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والامام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الامام، وذلك قول الله عز وجل: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" معاني الأخبار، الصدوق: ١٣٢.

١- (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ..... وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما يلدون، ويربي موسى ويكرمه، ولا يعلم أنّ هلاكه على يده، فلما درج موسى كان يوماً عند فرعون فغطس موسى فقال: الحمد لله رب العالمين. فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمه وقال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته - وكان طويل اللحية - فهلها - أي قلعتها - فألمه ألماً شديداً، فهم فرعون بقتله، فقالت امرأته: هذا غلام حدث لا يدري ما يقول وقد ألمته بلطمتك إياه، فقال فرعون: بل يدري، فقالت له: ضع بين يديه تمراً وجمراً فإن ميز بينهما فهو الذي تقول. فوضع بين يديه تمراً وجمراً وقال: كل، فمد يده إلى التمر، فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر، فأخذ الجمر في فيه فاحترق لسانه وصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك إنه لا يعقل؟ فعفا عنه) تفسير القمي: ٢ / ١٣٦.

(عن ابن أبي عمير، عن ذكره، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: ألقى الله تعالى من موسى على فرعون وامرأته المحبة، قال: وكان فرعون طويل اللحية، فقبض موسى عليها، فجهدوا أن يخلصوها من يد موسى فلم يقدروا على ذلك حتى جذها، فأراد فرعون قتله، فقالت له امرأته: ان هنا أمراً يستبين به هذا الغلام ادع بجمرة ودينار فضعهما بين يديه ففعل، فأهوى موسى إلى الجمرة ووضع يده عليها فأحرقها، فلما وجد حر النار وضع يده على لسانه، فأصابته لثغة) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٥٥ - ١٥٦.

ومهما يكن الأمر، فقد أدّى موسى وهارون صلوات الله عليهما رسالة الله بشكل استحقا ثناء الله عليهما:

قال تعالى: "وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ \* وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ \* وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ \* وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" الصافات: ١١٤ - ١٢٢.

### إرسال موسى إلى فرعون وقومه:

قال تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طسم \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" القصص: ١ - ٦.

آيات كثيرة أشارت إلى إرسال موسى صلوات الله عليه لفرعون، منها:

- "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنِيٍّ وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى \* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى \* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى \* لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى \* أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نَسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" طه: ١٧ - ٣٦.

- "اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ

مَعِيَ رِذَاءٌ يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَاسْتَكَبرَهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَطَنُوا إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ" القصص: ٣٢ - ٤٢.

- "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى \* اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى \* وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْسَى \* فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى \* فَكَذَّبَ وَعَصَى \* ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى \* فَحَشَرَ فَنَادَى \* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى \* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَةِ وَالْأُولَى \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْسَى" النازعات: ١٥ - ٢٦.

وأيضاً: التوراة ذكرت إرسال موسى لفرعون بالآيات:

- "١ فَأَجَابَ مُوسَى وَقَالَ: «وَلَكِنْ هَا هُمْ لَا يُصَدِّقُونَنِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ: لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ». ٢ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا». ٣ فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ٤ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهَا، فَصَارَتْ عَصَاً فِي يَدِهِ. ٥ «لَكِنِّي يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». ٦ ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُيُنِكَ». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُيُنِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءٌ مِثْلَ التَّلَاجِ. ٧ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُيُنِكَ». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُيُنِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُيُنِهِ، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ. ٨ «فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لِمُصَوِّتِ الْآيَةِ الْأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الْآيَةِ الْآخِرَةِ. ٩ وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَلَمْ



يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَنْتَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ» سفر الخروج - إصحاح ٤.

٨ "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٩ «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرُ ثُعْبَانًا». ١٠ فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلَا هَكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونَ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا. ١١ فَدَعَا فِرْعَوْنَ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذَلِكَ. ١٢ طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتْ الْعِصِيُّ ثُعَابِينَ. وَلَكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصْمَهُمْ. ١٣ فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ" سفر الخروج - إصحاح ٧.

وأيضاً: جملة من الروايات أشارت لإرسال موسى إلى فرعون وما جرى بين الجبهتين من أحداث وآيات، وسيأتي عرض بعضها ضمن البحوث الآتية (١).

١- منها: (عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فرعون بنى سبع مدائن، فتحصن فيها من موسى، فلما أمره الله أن يأتي فرعون جاءه ودخل المدينة، فلما رآته الأسود بصبغت بأذنانها، ولم يأت مدينة إلا انفتح له بابها حتى انتهى إلى التي هوفها، فقعده على الباب وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه، فلما خرج الازن، قال له موسى صلوات الله عليه: إني رسول رب العالمين إليك، فلم يلتفت، فضرب بعصاه الباب، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلا انفتح فدخل عليه، فقال انا رسول رب العالمين فقال: انتني بأية فألقى عصاه وكان له شعبتان، فوقعت إحدى الشعبتين في الأرض، والشعبة الأخرى في أعلى القبة فنظر فرعون إلى جوفها وهي تلهب ناراً، وأهوت إليه فأخذت فرعون، وصاح يا موسى خذها، ولم يبق أحد من جلساء فرعون إلا هرب، فلما أخذ موسى العصا ورجعت إلى فرعون نفسه هم بتصديقه، فقام إليه هامان وقال: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد، اجتمع المأل وقالوا هذا ساحر عليم، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم، فلما ألقوا حبالهم وعصيم ألقى موسى عصاه فالتقمتها كلها، وكان في السحرة اثنان وسبعون شيخاً خرّوا سجداً. ثم قالوا لفرعون ما هذا سحر لو كان سحراً لبقيت حبالنا وعصينا. ثم خرج موسى صلوات الله عليه ببني إسرائيل يريد أن يقطع بهم البحر، فأنجى الله موسى ومن معه وغرق فرعون ومن معه، فلما صار موسى في البحر اتبعه فرعون وجنوده، فتهيب فرعون أن يدخل البحر، فمثل جبرئيل على ماديانة (أثنى الخيل) وكان فرعون على فحل، فلما رأى قوم فرعون الماديانة اتبعوها، فدخلوا البحر فغرقوا، وأمر الله البحر فلفظ فرعون ميتاً حتى لا يظن أنه غائب وهو حي) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٥٨ - ١٥٩.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: (فلما رجع موسى عليه السلام إلى امرأته، قالت: من أين جئت؟ قال: من عند رب تلك النار. قال: فغدا إلى فرعون، فوالله لكأنني أنظر إليه طويل الباع، ذو شعر آدم، عليه جبة من صوف، عصاه في كفه، مربوط حقوه بشرط، نعله من جلد حمار، شراكها من ليف. فقيل لفرعون: إن

وهذه جملة من الأحداث التي راقت إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون سنشير إلى بعض ما له صلة ببحثنا باختصار:

### مواجهة موسى (ع) لفرعون وإيمان السحرة قرآنيًا:

#### إرسال موسى وهارون لفرعون وملئه:

- "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ" يونس: ٧٥.
- "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ \* وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" الأعراف: ١٠٣ - ١٠٥.
- "اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي \* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى \* قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى \* فَأَنبِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى \* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى" طه: ٤٢ - ٤٨.
- "وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضْحِكُوا صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ \* وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ \* فَأَتِيَا

على الباب فتي يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال فرعون لصاحب الأسد: خل سلاسلها، وكان إذا غضب على رجل خلاها فقطعت. فخلاها فقرع موسى الباب الأول، وكانت تسعة أبواب. فلما قرع الباب الأول، انفتحت له الأبواب التسعة. فلما دخل جعلن تبصصن تحت رجله، كأهبن جراء. فقال فرعون لجلسائه: رأيتم مثل هذا قط. فلما أقبل إليه فقال: "ألم نريك فينا وليدا" إلى قوله "وإنا من الضالين". فقال فرعون لرجل من أصحابه: قم فخذ بيده. وقال للآخر: اضرب عنقه، فضرب جبرائيل بالسيف حتى قتل ستة من أصحابه، فقال: خلوا عنه. قال: فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه. فألقى العصا فإذا هي حية، فالتقمت الإيوان بلحيها، فدعاه أن يا موسى أقلني إلى غد، ثم كان من أمره ما كان) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٣٧/٧.

فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" الشعراء: ١٠ - ١٧.

### جواب فرعون وقومه لموسى وهارون:

- "قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ" القصص: ٤٨.
- "قَالَ إِنْ كُنْتَ جِنَّتَ بِأَيَّةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ \* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ \* قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ \* قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" الأعراف: ١٠٦ - ١١٢.
- "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ مُبِينٍ \* قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" يونس: ٧٦ - ٧٩.
- "قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى \* ..... وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى \* قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى \* فَلَنَاتَّبِعَكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى \* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَرَ النَّاسُ ضُحًى \* فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى \* قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى \* فَتَنَّا زُكْرًا وَأَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسْرُوا النَّجْوَى \* قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْنَى \* فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى" طه: ٤٩ - ٦٤.
- "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ" غافر: ٢٣ - ٢٦.

- "قَالَ لِلْمَلَاحِظَةِ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ \* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ \* قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ" الشعراء: ٣٤ - ٣٧.
- "وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا \* فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" الإسراء: ١٠١ - ١٠٣.
- "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ \* وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ \* وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ \* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ \* فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* فَلَمَّا أَسْفَوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ" الزخرف: ٤٦ - ٥٦.
- "وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ" الذاريات: ٣٨ - ٤٠.

### استنجاد فرعون بالسحرة وإيمانهم:

- "وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ \* قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَغْفَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ \* وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ \* قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ \* قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* وَمَا نُنْقِمُ

مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ" الأعراف: ١١٣ - ١٢٦.

- "فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ \* وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" يونس: ٨٠ - ٨٢.

- "قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى \* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى \* فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى \* قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَينَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى \* قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا أَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى" طه: ٦٥ - ٧٣.

- "فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ \* وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ \* لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ \* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ \* فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ \* قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ \* قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ \* قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ" الشعراء: ٣٨ - ٥١.

### ملاحظات هامة تتعلق بإرسال موسى لفرعون:

بحسب النصوص القرآنية المتقدمة في مواجهة موسى وهارون صلوات الله عليهما لفرعون وإبلاغه رسالة الله، يمكننا ملاحظة ما يلي:

## ١ - الدعوة بالحكمة واللين:

اتسم إبلاغ موسى لفرعون باللين: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى"، وكانت الدعوة بمنطق وحجة وحكمة تامة: "قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ"، "إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ... قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى"، "فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

ما فعله موسى عليه السلام بعد عودته من مدين ودخوله مصر لإبلاغ رسالة الله إلى فرعون تحديداً يختلف عن أسلوبه الذي ابتدأ به والذي تمثل بقتل القبطي (أحد زبانية فرعون) كما تقدم، وبالتالي فليس من الصحيح فهم تصرف رسول إلهي بنحو جامد (واحد لا غير) ومقايضة كل تبدل يطرأ عليه به؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى تعثر البعض وفشلهم في مسامرة الرسل أحياناً؛ نتيجة الجهل بالحكمة الكامنة وراء تبدل الأسلوب، وبالنتيجة لا نجاة إلا بالطاعة والتسليم لرسل الله.

يقول السيد أحمد الحسن: (بعد عودة موسى من مدين اتخذت الدعوة إلى الحق شكلاً آخر، هذه المرة باللين لعل فرعون أو أحد أعوانه أو جنوده يتذكر أو يخشى الله سبحانه، ويدين بدين يعقوب ويوسف الذي كان عزيزاً ووزيراً لملكهم السابق، وإلى هذه الفترة لم يأت موسى بالشرعية الناسخة لشرعية يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام، وهي الحنفية، مع أنها كانت محرفة ولا يعمل بها إلا بحسب أهواء وتخرصات علماء دين إسرائيل الشيطانية) انتهى<sup>(١)</sup>.

و أيضاً: الملاحظ في الآيات أنّ موسى وهارون عليهما السلام أكدا على فرعون أن يرسل معهما بني إسرائيل: "فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ"، فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"، "أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"، فما معنى ذلك؟

المعنى: أنهما طلبا من فرعون أن يطلق بني إسرائيل من الحال الذي كانوا عليه؛ إذ كانوا مستعبدين من قبل فرعون وملئه ويعانون من نير المذلة والظلم والإجراءات التعسفية والقسرية التي كانت تمارس بحقهم، فكان طلبهما منه يركز على أن يرسلهم

١ - إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - إضاءات من دعوة موسى عليه السلام.

(يطلقهم) ويرفع عنهم القيود الموضوعة عليهم، وكان الطلب بأسلوب حكيم ولين لا وجود للشدة والغلظة فيه كما هو واضح.

## ٢- عناية الله بالرسل والرسالة:

رسالات الرسل تُحاط بعناية إلهية فائقة تحول دون حصول خطأ في الرسالة، أو منع تبليغها كما يريد الله، وهذا من رحمة الله برسله وعباده معاً:

يقول السيد أحمد الحسن: (في الإرسال من الله سبحانه وتعالى كان الله مع المرسلين يسمع ويرى فهو محيط بالمرسل وبأعدائه، فلا يحصل خطأ في إيصال الرسالة، كما لا يستطيع أعداء الله مهما حاولوا منع تبليغ الرسالة، قال تعالى: "لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" طه: ٤٦. ومن الضروري أن يكون الحال كذلك في الإرسال من الرسل عليهم السلام، فلا بد أن يكون المرسل الذي مثل الله محيطاً بالمرسل وبأعدائه، ويسمع ويرى وقادراً عالماً بقدرة الله وعلمه، وإلا فلا يكون هذا الإرسال من الله حقيقة، ..... ) انتهى<sup>(١)</sup>.

ولهذا، رأينا في القرآن قول الله سبحانه لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون وملئه: "قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى"، "قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ". وقوله في التوراة: "وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ".

## ٣- وقفة مع جواب فرعون وقومه لموسى:

بخصوص ما أجاب به فرعون وقومه (الملاّ وعلية القوم) بلاغ موسى وهارون، فقد لاحظنا أنهم نسبوهما إلى السحر والجنون: ("سَحْرَانِ تَطَاهَرَا"، "إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ"، "إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ"، "سَاحِرٌ كَذَّابٌ"، "إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ"، "أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى"، "إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا"، "وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ"، "وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ")، وهما تهمتان لم تفارقا نبياً من الأنبياء أرسولاً من الرسل دائماً.

---

١- النبوة الخاتمة، السيد أحمد الحسن: الرسل من الرسل.

وفي التوراة: (سفر الخروج - إصحاح ٧): "١٠. فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلَا هَكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا. ١١. فَدَعَا فِرْعَوْنَ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذَلِكَ. ١٢. طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتْ الْعِصِيُّ ثُعَابِينَ. وَلَكِنْ عَصَا هَارُونِ ابْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ. ١٣. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ".

وأيضاً: من أساليب فرعون وقومه في الرد على موسى وهارون عليهما السلام هو الاستهزاء والسخرية والضحك: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ"، وهو أسلوب المكذبين برسول الله دائماً!

أيضاً: التشبث بإرث الآباء والأجداد، وكأنّ تعديل طريقتهم جريمة لا تغتفر كما لو أنهم (الآباء والأجداد) رسل مطهرون ومعصومون! وليس حالهم كذلك بالتأكيد: "قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا"، "إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ!"

والحقيقة، إنّ شدة هذا التمسك بالمرورث ليس اعتزازاً بدين الله ولا حتى بالآباء أنفسهم وإنما هو لإبقاء الانحراف - الذي سمح بتسلط أهل الأهواء وطلاب الدنيا على الناس - على حاله؛ لأن أي سماح بإمكانية التعديل (ولو جزئياً؛ فضلاً عن أن يكون تعديلاً واسعاً وشاملاً وعلى يد رسول إلهي ثائر كموسى عليه السلام) يعني كشف المستور الذي تزكم جيفته الأنوف بكل تأكيد!

أيضاً: المكر والمراوغة من خلال الابتعاد عن التكليف والمسؤولية الفعلية بالسؤال عن حال القرون الأولى: "قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى"، مع أنّ هذا الأمر لا يعني المكلف المبتلى بدعوة إلهية في زمانه من قريب أو بعيد، فليكن حال القرون الأولى ما يكن فالأمر لا يعني الناس إطلاقاً والمعني به هو الرب سبحانه وتعالى؛ لأنهم خلقه وعباده وقد مضوا ولم يبتلوا بدعوة الرسول المبتلى به الآن، وبالتالي فالسؤال عن حال القرون الأولى فرار إلى الأمام كما يقال! فالمفروض أن ينشغل المكلف بتكليفه هو لا بتكليف غيره، ولهذا أجاب موسى سؤال فرعون: "قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى!"



أيضاً: ممارسة التضليل الإعلامي من خلال الكذب على موسى واتهامه بأنه يريد أن يخرج الناس من أرضهم (باعتبار أن الأرض عزيزة ومهمة بالنسبة للإنسان)، وفرعون وزبانيته يعلمون تماماً أن ترويح مثل هذه التهم وإشاعتها تؤثر بقوة في صد الناس عن الإيمان بموسى: "قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى"، "يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ!" مع أن رسل الله لا دخل لهم بهذه الأمور إطلاقاً فهم ينشدون قلوباً تؤمن بالله ودينه لنيل سعادة الآخرة والدنيا على السواء، ولم يأت رسول إلهي يوماً ليصادر ممتلكات الناس كدورهم أو أموالهم أو أرضهم وما شابه، حاشاهم من ذلك! لكنه منهج شيطاني خبيث مارسه فرعون وسخر له أدوات سلطته وألها المادية الضخمة لمحاربة رسالة موسى، وقد فعل مثل ذلك الطغاة الذين سبقوه وكذا الذين تأخروا عنه، ولا زلنا نشاهد هذه الأساليب الشيطانية الفرعونية في يومنا هذا تمارس لصيد الناس وإبعادها عن دعوة رسل الله!

فرعون طاغية متجبر<sup>(١)</sup>، كل همّة الملك والدنيا والشهوات ولو على حساب دماء الناس وأهاتهم، ومن هم حوله لا همّ لهم سوى التملّق والتطيل له طمعاً بدنيا فرعون وما يغدقه عليهم من أموال ومناصب، وبالتالي فمثل هؤلاء لا شيء في قاموسهم اسمه آخرة ورضا الله، بل ومن السهل (بالنسبة لهم) أن يسمعهو يدعي الربوبية: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" النازعات: ٢٤، فيقفون مصفقين لقوله! أو يسمعهو يقول: "مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي" القصص: ٣٨، فيمزون رؤوسهم كعلامة قبول وتأييد! بل ربما ينبري بعضهم للهتاف وإنشاد الأهازيج مدحاً وتمجيداً برهم الأعلى! من اليسير جداً على فرعون أن يستخف مثل هؤلاء العبيد ويحملهم على رفض دعوة موسى الذي دخل عليه قصره ليدعوه إلى الله وهو يرتدي مدرعة صوف وبيده عصا!

قصّ الله حال فرعون وقومه، فقال: "وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَمْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثِّي وَلَا يَكَادُ

١- (عن أبان الأحمر قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "وفرعون ذي الأوتاد" لأي شيء سمي ذا الأوتاد؟ قال: لأنه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ومد يديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثم تركه على حاله حتى يموت، فسماه الله عز وجل: "فرعون ذا الأوتاد" لذلك) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٦٩ - ٧٠.

يُبِينُ \* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَتَّرِينَ \* فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" الزخرف: ٥١ - ٥٤.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في إحدى خطبه: (ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي فشرط له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال: "ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليهما أساورة من ذهب" إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه. ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الأنبياء، ولما وجب للقابليين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمتم الأسماء معانيها. ولكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوة في عزائهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى، ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام وعزة لا تضام، وملك تمتد نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم في الاستكبار، ولأمنوا عن رهبة قاهرة لهم أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة. ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لأمره والاستسلام لطاعته أموراً له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة. وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل<sup>(١)</sup>.

حقيقة، إنَّ ما واجهه موسى وهارون صلوات الله عليهما ستتكرر منه نسخة مطابقة له تماماً (بل أشد) في مواجهة القوم لرسالة محمد وعلي صلوات الله عليهما، وكذا الحال في رسالة آلهم (وهم جزء من رسالة محمد كما عرفنا)، أما نصيب مهدي آل محمد بالخصوص من هذه المواجهة الفرعونية فربما هو الأوفر والأشد كما أكدته النصوص<sup>(٢)</sup>:

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي، تحقيق: د صبحي الصالح: ٢٩١ - ٢٩٢.

٢- (عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهال الجاهلية. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإنَّ قائمنا إذا قام أتى

خصوصاً بعد شبه رسالته الوثيق برسالة موسى كما سيتضح لاحقاً، وهذا سبيل آخر يضاف لتمهيد موسى للرسالة المحمدية العظمى.

#### ٤ - آيات موسى (ع) لفرعون وإيمان السحرة:

الآيات التي قدّمها موسى لفرعون تمثلت بمعاجز مادية (كالعصا التي رماها موسى وانقلبت إلى حيّة تلقف إفك "أفاعي" السحرة، واليد البيضاء)؛ والسبب في ذلك أنّ فرعون طاغية متكبر لا يؤمن بقانون الله في التعرف على الرسل القائم على النص والعلم الذي خصّ الله به حجّته (النبي، الرسول، الإمام) كما عرفنا، ومع هذا لم تكن المعجزة المادية التي قدّمها موسى عليه السلام مادية صرفة، ولهذا تأوّل المتأوّلون الآيتين (العصا، اليد البيضاء) ووصفوا ما حدث أمامهم بالسحر: "إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ".

المعجزة التي قدّمها موسى تركت مساحة للإيمان بالغيب، ولهذا قيلَ الله إيمان السحرة<sup>(١)</sup>؛ لأن الله سبحانه يقبل إيمان العبد الذي يكون للغيب حصة في إيمانه ولا يقبل

---

الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحروالقر) الغيبة، النعماني: ٣٠٧.

١- روي أنّ السحرة منذ البداية وضعوا احتمال غلبة موسى عليه السلام عليهم، وهذا يعني أنهم منذ البداية لم يكونوا معتنّتين وتركوا احتمالاً (بأي نسبة كانت) لأن يكون موسى عليه السلام صادقاً في دعواه:

(عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام ..... فقال السحرة لفرعون: قد علمت أنه ليس في الدنيا أسحر منا فان غلبنا موسى فما يكون لنا عندك؟ قال: "انكم إذا لمن المقربين" عندي أشاركم في ملكي، قالوا: فان غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أن ما جاء به ليس من قبل السحرو ولا من قبل الحيلة وأما به وصدقناه فقال فرعون: ان غلبكم موسى صدقته أنا أيضا معكم، ولكن اجمعوا كيدكم اي حيلتكم، قال: وكان موعدهم يوم عيد لهم فلما ارتفع النهار من ذلك اليوم جمع فرعون الناس والسحرة وكانت له قبة طولها في السماء ثمانون ذراعاً وقد كان كسيت بالحديد والفلولاذ المصبقول فكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحد ان ينظر إليها لمع الحديد ووهج الشمس وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران وأقبل موسى ينظر إلى السماء، فقالت السحرة لفرعون: إنا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولن يبلغ سحرنا إلى السماء وضمنت السحرة من في الأرض فقالوا لموسى: اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين "قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصبهم" فأقبلت تضطرب وصارت مثل الحيات "قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون" فأوجس في نفسه خيفة موسى فنودي "لا تخف انك أنت الاعلى والى ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحرو ولا يفلح الساحر حيث أتى". فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص ثم طلع رأسها وفتحت فاهها ووضعت شديقها العليا على رأس قبة فرعون ثم دارت وأرخت شفتها السفلى والتقت عصي السحرة وحبالها وغلب كلهم وانهزم الناس حين رأوها وعظمها وهولها مما

الإيمان المادي المحض كما حصل في رد إيمان فرعون، وهذه هي العلة الكامنة وراء مشابهة المعاجز المادية للرسائل لما هو منتشر بين الناس في أزمنتهم؛ حيث إن تلك المشابهة واللبس تجعل من المعجزة المادية أمراً متشابهاً وليس قطعياً في دلالته ١٠٠ %، وهذا يعني بقاء مساحة للغيب يمكن أن يوصف به الإيمان الذي يترتب على حصولها.

الله سبحانه قبل إيمان السحرة: "وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ"، "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى"، وصار إيمانهم سبباً في اتهامهم بالتواطؤ مع موسى عليه السلام ومن ثم تعذيبهم وإنزال أقسى العقوبات بهم: "قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"، "إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ"، وكانت عقوبته لهم: "فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى!" لكن حلاوة الإيمان برب موسى وهارون حملهم على الصبر على الأذى ودعاهم إلى أن يجيبوا وعيد فرعون بالقول: "إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ"، "قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى"، "قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ!"

لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله فقتل في الهزيمة من وطئ الناس عشرة آلاف رجل وامرأة وصبي ودارت على قبة فرعون، قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما وغشي عليهما من الفزع ومرو موسى في الهزيمة مع الناس، فناداه الله "خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى" فرجع موسى ولف على يده عباءا كانت عليه ثم ادخل يده في قمحها فإذا هي عصا كما كانت وكان كما قال الله "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ" لما رأوا ذلك "قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ" فغضب فرعون عند ذلك غضبا شديداً و "قال أمنتكم له قبل أن أدن لكم أنه لكبيركم" يعني موسى "الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين" فقالوا له كما حكي الله "لا ضير إننا إلى ربنا منقلبون إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين" فحبس فرعون من آمن بموسى حتى انزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فأطلق فرعون عنهم فأوحى الله إلى موسى "أن أسرعبادي انكم متبعون" فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر، (.....) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١١٨ / ٢ - ١٢٢.

وصف السحرة لأنفسهم بأنهم "أول المؤمنين" لا يعني أنهم أول من آمن بدعوة موسى عليه السلام، كيف! وقد سبقهم للإيمان به كثيرون، ولا أقل وصيه هارون، وكذا مؤمن آل فرعون وآسية (زوجة فرعون) وكثير من الإسرائيليين، وبالتالي فوصف "أول المؤمنين" في الآية له معنى آخر:

يقول السيد أحمد الحسن في بيانه: (يعنون: أول المؤمنين في ذلك الموقف وذلك الحدث بالخصوص؛ حيث إنّ إيمانهم تسبّب بالفتح لدعوة موسى عليه السلام وإيمان الناس به) انتهى<sup>(١)</sup>.

وعموماً، الله الذي قبِلَ إيمان السحرة، لم يقبل إيمان فرعون الذي صدر منه عند حلول الغرق به، قال تعالى: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" يونس: ٩٠ - ٩١، فما سبب ذلك يا ترى؟

السبب هو أنّ ما حصل أمام السحرة معجزة مادية فيها لبس وشبهة أبقّت مجالاً للإيمان بالغيب، بينما ما حصل أمام فرعون هو معجزة مادية قاهرة لا لبس فيها ولا شبهة ولا تأويل، وبالتالي فهي لم تبقَ للإيمان بالغيب أي مجال ولذلك رُدَّ إيمانه ولم يُقبل<sup>(٢)</sup>.

---

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- حيث كان إيمان فرعون بعد أن نزل إلى قاع البحر للاحقة بني إسرائيل وقبل أن يطبق عليه الماء.

يقول السيد أحمد الحسن: (وهذا هو الصحيح، فقد نزل فرعون وجيشه إلى قاع البحر واتبع بني إسرائيل، ولكنّه في ملاحظته لبني إسرائيل أمر الله الرياح أن تضرب وجه الماء فتساقط بعض الماء على فرعون وجيشه فالتفت إلى أنّه يسير بين جبلي ماء يمكن أن يطبقا عليه في أي لحظة، ولمس جبلي الماء بيده فبانت له أمارات هلاكه وجيشه لما علم أنّ هذه المعجزة قاهرة، ولا يمكن أن تؤوّل بأنها سحر أو أي شيء آخر عندها: "قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ".

والإيمان مراتب: أولها: التصديق، وهذا القول من فرعون تصديق لا يمكن لأحد إنكاره بعد أن قصّه جبار السماوات والأرض في كتابه الكريم، ومن ثمّ أكده بعد ذكره بقوله تعالى: "الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" يونس: ٩١. أي: الآن تؤمن بعد أن ألجأتك المعجزة القاهرة وقبل هذا كنت ترفض الإيمان: "وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ"، كما أنّه وببساطة يفهمها أي إنسان لماذا قال فرعون: "آمنت" إن لم يكن يرجو النجاة من الله دنوياً وأخروياً،

بين السيد أحمد الحسن بوضوح سبب وقوع اللبس والشبهة في المعجزة المادية وحدد الغاية من ذلك، وبتبعه أوضح السبب في عدم قبول الإيمان (والتوبة أيضاً) عند حصول المعجزة القاهرة التي لا تبقى مجالاً للغيب، قال:

أوعلى الأقل - كما يفهم بعضهم - دنيوياً فقط ومن الغرق بالتحديد؟ وكيف يرجو أن ينجيهِ الله سبحانه وهو لا يصدق بوجوده؟ فإيمان (تصديق) فرعون لا يمكن إنكاره بحال، بل في أكثر من رواية شهد الأئمة بإيمانه (تصديقه) الذي لم ينفعه، وفي "وسائل الشيعة" عن موسى بن جعفر عليه السلام: (.. ألا تسمع الله يقول: "حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" فلم يقبل الله إيمانه وقال: "الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ") ووسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٦ ص ٩٠.

بل وفي بداية إرسال الله موسى عليه السلام لفرعون لعنه الله أشار سبحانه وتعالى إلى أن فرعون سيتذكر ويخشى (وإن كانت هذه الذكرى والخشية من الله لم تنفعه: لأنها جاءت بسبب معجزة القاهرة ألجأته إلى الإيمان "التصديق"): (محمد بن عمار عن أبيه عن سفيان بن سعيد، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان والله صادقاً كما سمي ..... قال سفيان: "فقلت له: يا ابن رسول الله هل يجوز أن يطمع الله عز وجل عبادته في كون ما لا يكون؟ قال: لا. فقلت: فكيف قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام: "لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" طه: ٤٤، وقد علم أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى؟ فقال: إن فرعون قد تذكر وخشى، ولكن عند رؤية البأس حيث لم ينفعه الإيمان، ألا تسمع الله عز وجل يقول: "حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ"، فلم يقبل الله عز وجل إيمانه وقال: "الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نَنجِيكَ بَيْنَ يَدَيْكَ لَتَكُونَ مِنَ الْخَلْقِ آيَةً" يقول: نلقيك على نجوة من الأرض لتكون لمن بعدك علامة وعبرة) معاني الأخبار: ص ٣٨٥.

والبأس الذي رآه فرعون، كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: "لا أنه وقع به فهو إلى أن قال آمنت ... لم يكن قد وقع به البأس"، هو المعجزة القاهرة التي ألجأته إلى الإيمان، وهي جبلا الماء للذان يحيطان، والذي أدرك فرعون أن هلاكه باهيارهما: "حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ". ولو لم تكن هذه المعجزة القاهرة التي لمسها فرعون بيده والتي ألجأته للإيمان لقبول الله سبحانه وتعالى إيمان فرعون ورفع عنه البأس وأخرجه من البحر سالماً، أو على أقل تقدير لقبول إيمانه فقط، فالله سبحانه يقبل التوبة من الإنسان حتى آخر لحظة من حياته) انتهى، تفسير آية من سورة يونس، السيد أحمد الحسن.

وروى الصدوق بسنده عن: (إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: لأي علة أغرق الله عز وجل فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده؟ قال: إنه آمن عند رؤية البأس وهو غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى: "فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا" وقال الله عز وجل: "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، فقيل له: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، .. علل الشرائع: ١ / ٥٩.

(.....) ولكن فقط سناقش جزئية في المعجزات التي أُؤيد بها الأنبياء لأهميتها وغفلة الناس عنها وهي: مسألة اللبس في المعجزة والهدف منه. فالناس يعرفون أن من معجزات موسى عليه السلام العصا التي تحولت أفعى، وقد كانت في زمن انتشر فيه السحر، ومن معجزات عيسى عليه السلام شفاء المرضى في زمن انتشر فيه الطب، ومن معجزات محمد صلى الله عليه وآله القرآن في زمن انتشرت فيه البلاغة، وهنا يعلل من يجهل الحقيقة سبب مشابهة المعجزة لما انتشر في ذلك الزمان أنه فقط لتتفوق على السحرة والأطباء والبلغاء ويثبت الإعجاز، ولكن الحقيقة الخافية على الناس مع أنها مذكورة في القرآن هي أن المعجزة المادية جاءت كذلك لللبس على من لا يعرفون إلا المادة، فالله سبحانه لا يرضى أن يكون الإيمان مادياً بل لابد أن يكون إيماناً بالغيب:

- "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" البقرة: ٣.
- "إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ" يس: ١١.
- "مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ" ق: ٣٣.
- "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" الحديد: ٢٥.

فالإيمان بالغيب هو المطلوب والذي يريده الله سبحانه، والمعجزة التي يُرسلها سبحانه لابد أن تُبقي شيئاً للإيمان بالغيب، ولهذا يكون فيها شيء من اللبس؛ ولهذا كانت في كثير من الأحيان مشابهة لما انتشر في زمان إرسالها: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ" الأنعام: ٩. ولهذا وجد أهل المادة والذين لا يعرفون إلا المادة في التشابه عذراً لسقطتهم: "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ" القصص: ٤٨، فالتشابه أمسى عذراً لهم ليقولوا: "سِحْرَانِ تَظَاهَرَا" و"إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ"، وقال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف أحد المنافقين: ".. جعل الشبهات عاذراً لسقطاته".

أما إذا كانت المعجزة قاهرة ولا تشابه فيها فعندها لا يبقى للإيمان بالغيب أي مساحة ويكون الأمر عندها إلجاء للإيمان وقهراً عليه، وهذا لا يكون إيماناً ولا يكون إسلاماً بل استسلام وهو غير مرضي ولا يريده الله ولا يقبله: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمُ

فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" يونس: ٩٠، ففرعون يؤمن ويسلم أو قل يستسلم وقبل أن يموت ولكن الله لا يرضى ولا يقبل هذا الإيمان وهذا الإسلام ويجيبه الله سبحانه بهذا الجواب: "الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" يونس: ٩١. هذا لأنه إيمان جاء بسبب معجزة قاهرة لا مجال لمن لا يعرفون إلا هذا العالم المادي إلى تأويلها أو إدخال الشبهة على من آمن بها، وبهذا لم يبق مجال للغيب الذي يريد الله الإيمان به ومن خلاله، فعند هذا الحد لا يقبل الإيمان؛ لأنه يكون إلقاء وقهراً وليس إيماناً: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ" الأنعام: ١٥٨، "قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ" السجدة: ٢٩.

ولو كان الله يريد إلقاء وقهر الناس على الإيمان لأرسل مع أنبيائه معجزات قاهرة لا مجال معها لأحد أن يقول: "سِحْرَانِ تَظَاهَرَا" أو "أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ" الأنبياء: ٥، قال تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" يونس: ٩٩، وقال تعالى: "وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ" الأنعام: ٣٥.

فالحمد لله الذي رضي بالإيمان بالغيب وجعل الإيمان بالغيب ومن خلال الغيب ولم يرض بالإيمان بالمادة ولم يجعله بالمادة ومن خلال المادة ليميز أهل القلوب الحية والبصائر النافذة من عمي البصائر ومختومي القلوب) انتهى<sup>(١)</sup>.

نحن في دنيا الامتحان ولا مجال للقهر والإلجاء على الإيمان بالله ورسله؛ لأنه – ولا شك – يوجب الطعن بحكمة الله وعدالته، بل ويوجب نقض الغرض من الأساس، وهو أمر لا يصدر من حكيم إطلاقاً؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١- الجهاد باب الجنة، السيد أحمد الحسن: بحث "كيف يعرف خليفة الله في أرضه في كل زمان".



## تنبيهات:

**الأول:** المعجزة القاهرة إن أتت لا تكون معجزة هداية بعد كون الإيمان لا يقبل معها، ولهذا فوقعها أمام المؤمنين يكون سبباً في زيادة ثباتهم ويقينهم، ووقعها أمام الكافرين يكون سبباً ووسيلة لتعذيبهم بها كما حصل مع فرعون لعنه الله.

**الثاني:** إضافة لمعجزة العصا واليد، كانت هناك آيات مادية (عقوبات) رافقت دعوة موسى عليه السلام في مصر، قال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ \* وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ" الزخرف: ٤٦ - ٥٠.

وكانت مجمل الآيات تسع: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ" الإسراء: ١٠١، منها ما تم ذكره: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ" الأعراف: ١٣٣.

(عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات" قال: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والعصا ويده)<sup>(١)</sup>.

نصوص التوراة (سفر الخروج تحديدًا) ذكرت هذه الآيات والعقوبات والضربات الإلهية لفرعون وقومه، في الإصحاح: ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١<sup>(٢)</sup>.

١- الخصال، الصدوق: ٤٢٣ - ٤٢٤، ومثله عن الإمام الصادق عليه السلام، انظر: الخصال، الصدوق: ٤٢٣.

٢- إصحاح ٧: ذكر آية العصا والدم: "٨ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٩ «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيْبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَأَطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرُ ثُعْبَانًا» ..... ١٤ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ..... ١٥ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ فِي الصَّبَاحِ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ، وَقِفْ لِلْقَائِيَةِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَالْعَصَا الَّتِي تَحَوَّلَتْ حَيَّةً تَأْخُذُهَا فِي يَدِكَ. ١٦ وَتَقُولُ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلًا: أَطْلِقْ شُعْبِي لِيَعْبُدُونِي فِي الْبَرِّيَّةِ. وَهُوَ ذَا حَتَّى الْآنَ لَمْ تَسْمَعْ. ١٧ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: يَهَذَا تَعْرِفُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْعَصَا الَّتِي فِي يَدِي عَلَى الْمَاءِ الَّتِي فِي النَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَمًا".

ولما ضاقوا ذرعاً بالحال الذي تسببت به تلك الآيات طلبوا من موسى أن يدعو الله ليرفع عنهم العذاب، وبمجرد رفعه عادوا لسيرتهم العدائية الأولى، ومع وجود كل هذه الآيات التي رافقت دعوته لم يؤمن بموسى سوى قلة من قومه<sup>(١)</sup>:

يقول السيد أحمد الحسن: (كانت هناك عقوبات إلهية وآيات ربانية، رافقت دعوة موسى عليه السلام في مصر، لعل فرعون وجنوده أو المتكبرين من بني إسرائيل مثل قارون يؤمن، ومن هذه العقوبات هي أن ماءهم صار دماً، وامتألت أرضهم بالصفاد، وكانوا يتوسلون بموسى عليه السلام ليدعو الله فيرفع عنهم العذاب، ومع ذلك لم يؤمن لموسى إلا ذرية من قومه، ويا للأسف ويا للحسرة على العباد) انتهى<sup>(٢)</sup>.

- إصحاح ٨: ذكر آية الصفادع والبعوض: "١ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. ٢ وَإِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ فَهَذَا أَنَا أَضْرِبُ جَمِيعَ تَحْوَيمِكَ بِالصَّفَادِ ..... ١٦ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مَدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تَرَابَ الْأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ»".

- إصحاح ٩: ذكر آية الوباء والمطر العظيم والنار الذي أصاب البشر والمواشي: "١ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. ٢ فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمَسِّكُهُمْ بَعْدَ، ٣ فَهَذَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجَمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبِأَثْقَالٍ جَدًّا ..... ١٧ أَنْتَ مُعَانِدٌ بَعْدَ لِيُشْعِي حَتَّى لَا تُطْلِقَهُ. ١٨ هَذَا أَنَا غَدًا مِثْلَ الْآنِ أُمْطِرُ بَرْدًا عَظِيمًا جَدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي مِصْرَ مُنْذُ يَوْمِ تَأْسِيسِهَا إِلَى الْآنِ ..... ٢٢ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ بَرْدٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ: عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ عُشْبِ الْحَقْلِ فِي أَرْضِ مِصْرَ»".

- إصحاح ١٠: ذكر آية الجراد: "٣ قَدْخَلَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَا لَهُ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: إِلَى مَتَى تَأْبَى أَنْ تَخْضَعَ لِي؟ أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. ٤ فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَ شَعْبِي هَذَا أَنَا أَجِيءُ غَدًا بِجَرَادٍ عَلَى تَحْوَيمِكَ، ...»".

- إصحاح ١١: ذكر آية الموت: "..... ٥ فَيَمُوتُ كُلُّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بَكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بَكْرٍ يَهِيمَةٍ. ٦ وَيَكُونُ صَرَخٌ عَظِيمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُ أَبَداً".

١- عن ابن عباس: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتهم قال: كانت الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه) جامع البيان، الطبري: ١١ / ١٩٤.

٢- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - إضاءات من دعوة موسى عليه السلام.

**الثالث:** لم تكن هذه الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام لفرعون وقومه عند بعثه وإرساله (بعد عودته من مدين) هي الأساس في التعرف على صدق رسالته وبعثه من الله كما يتوهم الكثيرون؛ ذلك أننا عرفنا أنّ موسى ابتداءً بأهله وقومه (الإسرائيليين) أولاً وبلغهم ببعثه وإرساله وكان طريق تعرفهم عليه هو قانون معرفة الرسل كما تقدم؛ باعتبار أنهم يؤمنون بالله وبالرسل الذين سبقوا موسى وأنهم على دين إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، ومثل هؤلاء يُفترض أن يكون تصديقهم بالرسل من خلال قانون معرفة الرسل كالنص والبشارات السابقة، وهذا ما حصل فعلاً حيث صدّق به بعض الإسرائيليين بهذا الطريق؛ إذ وجدوا فيه "الاسم" و"الصفة" المنصوص عليهما في كتبهم وبشاراتهم التي وصلتهم عن يوسف الصديق وغيره من رسل الله الماضين كما لاحظناه في النصوص المتقدمة. وأما هذه الآيات (العصا، اليد البيضاء، وغيرها) فقد أتت بها موسى لفرعون وقومه بالخصوص؛ باعتبار أنّهم لا يؤمنون بالله ولا برسله، وبالتالي فبعثه بها إليهم إنما هو لشدة رحمة الله بهم، وفعلاً أثمرت وكانت سبباً في إيمان بعضهم كالسحرة مثلاً وقد قبل الله إيمانهم؛ لأنها آيات أبقت مساحة للغيب كما عرفنا.

**الرابع:** روي عن الإمام الكاظم صلوات الله عليه دعاء موسى عند دخوله على فرعون:

(عن محمد بن مروان، عن العبد الصالح صلوات الله عليه قال: كان من قول موسى عليه السلام حين دخل على فرعون: "اللهم إني أدركك في نحره، وأستجير بك من شره، وأستعين بك" فحوّل الله ما كان في قلب فرعون من الأمن خوفاً) <sup>(١)</sup>.

## ٥- موقع المعجزة المادية في دين الله:

باختصار، الموقع الذي تحتله المعجزة المادية الجسمانية في دين الله (إذا شاء الله وأتت) هي أنها مؤيد وداعم لدلالة النص على أحقية الخليفة الإلهي، وليست دليلاً مستقلاً بذاته؛ فضلاً عن أن تكون هي الأساس الذي به يتم التعرف على صدق إمامة

ورسالة ونبوة أي خليفة إلهي. وهذه بعض النقاط التي توضح موقع المعجزة في الدين الإلهي بحسب ما بيّنه السيد أحمد الحسن في كتاب "عقائد الإسلام" (١):

**أولاً:** مجيء المعجزة المادية الجسمانية في الدعوات الإلهية مرهون بمشيئة الله (وقد يأذن أولاً بأذن بمجيئها وفق حكمة معينة)، وليس الإتيان بها بيد الرسول الإلهي نفسه، قال تعالى: "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ" الأنعام: ١٠٩. وقال: "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" العنكبوت: ٥٠. وواضح أن دليل صدق الداعي الإلهي لا بد أن يكون فعلياً وحاضراً عنده دائماً، وليس أمراً معلقاً وغير فعلي.

**ثانياً:** ينبغي معرفة أن الله سبحانه غيب مطلق، وأراد من الإنسان الإيمان بالغيب، قال تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" البقرة: ٣. على أن يكون ذلك الإيمان باختيار الإنسان ودون قهر وإلجاء من أحد، قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" البقرة: ٢٥٦. هذا من جانب. ومن جانب آخر، فإن علة خلقنا في هذا العالم الجسماني هو الامتحان والاختبار، قال تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" الملك: ٢. ولهذا، فالمعجزة المادية الجسمانية (إن أتت) في دعوة الخليفة الإلهي فلا بد أن يكون فيها شيء من اللبس والاشتباه وتبقي مساحة للغيب ليكون الإيمان معها مقبولاً، قال تعالى: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَاءً يَلْبَسُونَ" الأنعام: ٩. وإلا ستكون معجزة القاهرة وتلغي الامتحان ويكون الإيمان معها قهري وإلجائي ومادي ١٠٠ % وهو غير مرضي لله كما عرفنا.

**ثالثاً:** من خلال ما تقدم نعرف أن ما يأتي به المرسلون كمؤيد على صدق دعوتهم – إذا شاء الله وأتوا بمعجزة وآية للناس – هو المعجزة المادية غير القاهرة كقلب موسى العصا حية، أو إحياء عيسى لميت بعد موته بقليل، أو حنين الجذع للرسول محمد صلى الله عليه وآله ونحو ذلك، لكن هذه المعجزات غير القاهرة – إضافة إلى كونها مرهونة بمشيئة الله الذي يجريها عند توفر حكمة معينة – لم ينتفع بها أغلب الناس بسبب إبقائها

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث "المعجزة المادية الجسمانية وموضعها في الدين الإلهي".

على مساحة من اللبس والشبهة فيها، ولهذا سرعان ما كذبها أغلب من كان حاضراً عند جرياتها ووصفوها بالسحر، فمثلاً: كيف لمن حضريوم الزينة أن يميز بين ما أتى به موسى وما أتى به السحرة ليصف الأول بالمعجزة والثاني بالسحر! ما هو المانز الفعلي والحقيقي الذي يمتلكه الناس لتمييز بين الفعلين بالضبط؟ لا شيء، لهذا بادر فرعون لوصف فعل موسى بالسحر، بل وأنه كبير السحرة وصدقه على ذلك أغلب الحاضرين، وقد قصَّ الله قولهم: "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ" القصص: ٤٨، "قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ...." طه: ٧١.

كذلك يمكن التشكيك بآية إحياء الموتى أو شفاء المرضى التي جاء بها عيسى بأن من أحياهم كان مغى عليهم - مثلاً - ولم يكونوا ميتين حقيقة، خصوصاً وأن النصوص تشير إلى أن من قام بإحيائهم كانوا قد ماتوا قبل وقت قليل من إجراء الآية وقبل دفنهم<sup>(١)</sup>.

وكذلك فعلت قريش مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله:

يقول السيد أحمد الحسن: (.....) فالكفار لم يكونوا يرون أن ما وقع مرافقاً لدعوة محمد معجزات؛ حيث إنهم يعتبرون نقل المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله لما حصل أمامهم كذباً، ويعتبرون ما وقع أمامهم هم أنفسهم أو ما وقع أمام آخرين منهم مجرد سحر أو أوهام: "وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ \* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ" الحجر: ١٤ - ١٥، أو مجرد تخرصات وتأول لحوادث طبيعية تحصل كل يوم، فمن هلكه الله مباشرة بحصان يجزه للنار أو يقع عليه حجر ويقتله لتجاوزه على محمد صلى الله عليه وآله؛ هم يعتبرونه مجرد حادث طبيعي، وأن الموت جاري ويحصل كل يوم. ونقل المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله لحنين الجذع

---

١- مثلاً: ورد في إنجيل متى - الإصحاح التاسع (١٨ - ٢٢): (وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً إن ابنتي الآن ماتت. لكن تعال وضع يدك عليها فتحيها. فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه. وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومسّت هذب ثوبه. لأنها قالت في نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت. فالتفت يسوع وابصرها فقال ثقي يا ابنة. إيمانك قد شفاك فشفيت المرأة من تلك الساعة).

الذي في المسجد لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ يعتبره المخالفون كذباً، وأنّ المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله يحاولون التسويق لمحمد صلى الله عليه وآله) انتهى<sup>(١)</sup>.

**رابعاً:** لا يستجيب رسل الله طلب الناس للآيات متى ما شاءوا، ليس بسبب أنّ الآيات متوقفة على إذن الله ومشيئته - كما تقدم - فحسب، ولكن لأن الناس بالحقيقة يطلبون من الرسل آيات تقهرهم على الإيمان، وأيضاً: لأنه بالحقيقة طلب سفيه، إذ أنه يتضمن إلغاء الامتحان في عالم هويته الامتحان وخلقنا فيه لأجل الامتحان!

يقول السيد أحمد الحسن: (وهكذا تستمر عملية الرد على المعجزات غير القاهرة التي تبقي للغيب مساحة، وهذا قولهم: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" العنكبوت: ٥٠، أي أنهم يريدون آيات القاهرة واضحة لا لبس فيها لا تبقي للإيمان بالغيب أي نسبة، هذا هو مختصر طلبهم، وهو طلب مستمر إلى اليوم، في حين أنه منافي للعقل والنص الديني وللسنة الإلهية، ولم يقع فيما مضى ولن يقع فيما بقي؛ لأنّ معناه إلغاء امتحان بعض الخلق رغم أنهم دخلوا للدنيا للامتحان، وهذا سفه لا يصدر من حكيم مطلق، فكيف يدخل الناس للامتحان ثم يلغي امتحان بعضهم دون بعض ودون سبب راجع ودون أن يكون هناك مائزين من ألغي امتحانه وبين من يتم امتحانه؟! وكيف يدخل من ألغي امتحانه للجنة في حين يدخل الممتحن إلى النار إن فشل في الامتحان، أين هي إذن عدالة الله سبحانه وتعالى في هذا القول والافتراء على الله؟! انتهى<sup>(٢)</sup>.

ما تقدم، يكفي لإيضاح أنّ احتجاج الرسل بالنص والعلم (المعجز) كافٍ لإثبات صدق دعواتهم الإلهية، أما الآيات والمعاجز المادية الجسمانية فهي إن أتت كانت مؤيداً وداعماً للنص، وإن لم تأت فلا تضر في صدق دعوة الرسول الإلهي شيئاً، وأنّ السبب في عدم تلبية الرسل طلب الكافرين برسالاتهم في الإتيان ببعض الآيات يعود إلى سفاهة نفس الطلب لا شيء آخر، وقد قصّ الله سبحانه بعض ما طلبه كبار قريش من الرسول محمد صلى الله عليه وآله، قال تعالى: "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث "المعجزة المادية الجسمانية وموضعها في الدين الإلهي".

٢- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث "المعجزة المادية الجسمانية وموضعها في الدين الإلهي".

تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفَيْكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا" الإسراء: ٩٠ - ٩٣ (١).

واضح جداً تصميم الرسول على عدم الانجرار إلى إجابة طلبهم السفیه المتضمن للإتيان بالمعجز القاهرة التي تلغي الامتحان أساساً ولا تبقي للغيب أي فسحة، فهم بالحقيقة يطلبون ما ينافي عدالة الله وحكمته وينقض غرضه القائم على جعل هذا العالم ساحة للامتحان والاختبار، ولهذا لم يتفاعل الرسول مع طلبهم أصلاً وتكرر منه القول: "ما بهذا بعثت"، مؤكداً في الوقت نفسه بأن الله بعثه محتجاً بما بعثه به "وقد جئكم بما بعثني الله تعالى به فإن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم"، وما بعثه الله به هو الاحتجاج

١- في سبب نزول الآيات، يقول ابن عباس: (إن جماعة من قريش وهم عتية وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن الحرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأمّية بن خلف والعاص بن وائل، وبنوه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وأبو البخري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة، وقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك، فبادر إليهم ظناً منه أنه بدا لهم من أمره، وكان حريصاً على رشدكم، فجلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا دعوناك لنعتذر إليك، فلا تعلم قوماً أدخل على قومك ما أدخلت على قومك، شتمت الآلهة، وعبت الدين، وسفّيت الأحلام، وفركت الجماعة، فإن كنت جئت بهذا لتطلب ما لا أعطيناك، وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا، وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الأطباء! فقال صلى الله عليه وآله: ليس شيء من ذلك، بل بعثني الله إليكم رسولاً وأنزل كتاباً، فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا، قالوا: فإذا ليس أحد أضيق بلدنا منا، فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وأن يبعث لنا من مضى، وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أحق أم باطل؟ فقال: ما بهذا بعثت، قالوا: فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك، ويجعل لنا جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب، فقال: ما بهذا بعثت وقد جئكم بما بعثني الله تعالى به فإن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم، قالوا فأسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك، قال: ذاك إلى الله إن شاء فعل، وقال قائل منهم: لا نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلًا، فقام النبي صلى الله عليه وآله وقام معه عبد الله بن أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله، ثم سألوكم لأنفسهم أموراً فلم تفعل، ثم سألوكم أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ سلماً إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك. وقال أبو جهل: إنه أبي إلا سب الآلهة وشم الآباء، وإني أعاهد الله لأحملن حجراً فإذا سجد ضربت به رأسه، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات) بحار الأنوار، المجلسي: ٩ / ١٢٠ - ١٢١.

بالنص والعلم وكذلك وضوح سيرته المنطبعة على مكارم الأخلاق التي يعرفه بها القاصي والداني، وهذا دليل رسل الله جميعاً على الدوام.

## ٦- آيتا العصا واليد:

قال تعالى: "فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ \* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ \* قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ" الأعراف: ١٠٦ - ١٠٩.

وفي التوراة: "٣ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا». ٣ فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، ..... ٦ ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُيُنِكَ». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عَيْنَيْهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءُ مِثْلَ التَّلَاجِ" سفر الخروج - إصحاح ٤.

رسل الله هم مظاهر أسماء الله وصفاته في عالمنا الذي وجدنا فيه لأداء الامتحان، وكل ما يحصل معهم وإن بدا في ظاهره حدثاً مادياً إلا أنه في الحقيقة يرمز ويشير لحقائق علوية توصل بالله سبحانه حتماً، وقصر الفهم على الظاهر المادي فيه تضيق وخسران لنصيب وافر من العلم والمعرفة الإلهية.

على هذا، فما حصل مع موسى الكليم صلوات الله عليه في الآيتين اللتين أظهرهما لفرعون وقومه (آية العصا، وآية اليد البيضاء) يمكننا فهمها بشكل آخر يضاف للظاهر الذي رآه الجميع.

## أولاً - آية العصا:

قال تعالى: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى" طه: ١٧ - ١٨.

عصا موسى كأى عصا أخرى مأخوذة من غصن شجرة، وفائدتها هي أنه يتكى عليها ويمش بها على غنمه كما صرح هو بذلك، لكنها - من جهة أخرى - ليست كأى عصا؛ باعتبارها لامست يد كليم الله وشاء الله أن يجري قدرته فيها، فهي نفسها قد قلبت حية حقيقية ليست سحراً ولا تخييل، وبها ضرب موسى البحر فانفلق كالطود العظيم!



في الحقيقة، قيمة عصا موسى ليس في كونها عود شجري، فهي بهذا اللحاظ لا تختلف عن أي عود وغصن شجري آخر، قيمتها الحقيقية في أنها ترمز لقوة الله، فحمل موسى "الثائر" لها يشير إلى حملته شعار: "لا قوة إلا بالله"، تماماً كما تقدم في "قميص يوسف"؛ إذ عرفنا هناك أنّ قيمته الحقيقية تكمن في أنه لامس قلب يوسف الطاهر المعتقد بـ "لا قوة إلا بالله"، فالله سبحانه هو الناصر والمؤيد لرسله وهو المدافع عنهم، والمؤمن الذي يعتقد حقاً بلا قوة إلا بالله لا تتمكن أي جهة مادية أرضية من الوقوف بوجهه أو الحيلولة بينه وبين إنجاز مراده مهما بدت سلطتها وآلتها المادية ضخمة وكبيرة بنظر أهل الدنيا!

بـ "لا قوة إلا بالله" تمكّن موسى وأخوه هارون (وهما عبدان لله مستضعفان) من الوقوف بوجه الطاغية فرعون وزلزلة عرشه وملكه في قعر داره (قصره) وهو محاط بزيانيته وجبروته وخيله وخيلائه!

يقول السيد أحمد الحسن: (وبعد غيبة عشر سنوات قضاهما موسى عليه السلام في أحضان نبي عظيم هو شعيب عليه السلام عاد موسى عليه السلام إلى مصر وهذه المرة يحمل رسالة إلى الطاغية فرعون، رسالة حملها وهو في طريق العودة وحمل معها "لا قوة إلا بالله"، قال له جبار السماوات والأرض: "وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى" طه: ١٧، وسبحانه وتعالى أعلم بما في يمين موسى، عصا بحسب قياسات المحجوبين بالمادة لا يمكن أن تكون سلاحاً يقاتل به موسى عليه السلام قوات فرعون المسلحة بأحدث أنواع الأسلحة في حينها، ولكن الله سبحانه وتعالى جعلها حيّة تسعى بقوته التي قامت بها السماوات والأرض، وجعل يد موسى بيضاء من غير سوء أية أخرى.

ومع أنّ هذه الآيات عظيمة، ولكن سلاح موسى لم يكن العصا أو اليد البيضاء المعجزة، بل إن سلاح موسى القوي الذي لا يقهر هو: "لا قوة إلا بالله"، ولم تكن هذه الآيات بالنسبة لموسى إلا ليرى من آيات ربه الكبرى. ودخل موسى على الطاغية فرعون وهو يحمل في صدره ذلك المعنى العظيم: "لا قوة إلا بالله"، ذلك المعنى الذي صبر فرعون وهامان وجنودهما في عين موسى عليه السلام أخس من الذباب، بل لم يكونوا في الحقيقة شيئاً مذكوراً، وهتف موسى وهارون عليهما السلام في مجلس فرعون: "جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى \* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى" طه: ٤٧ -

٤٨، وأخذ الطاغية يكابرويجادل، من ربكما؟ ... ما بال القرون الأولى؟ ... ثم أعرض اللعين: "قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى \* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى" طه: ٥٧ - ٥٨. وتكبر فرعون وجنوده وحق عليهم العذاب، فأغرقوا في بحر آثامهم ليكونوا عبرة لفراعة هذا الزمان وجنودهم، فهل من معتبر قبل أن تحق الكلمة) انتهى<sup>(١)</sup>.

علماء، أن عصا موسى التي لقفت أفك السحرة وأبطلته، هي نفسها التي ضرب بها موسى البحر فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" الشعراء: ٦٣.

### ثانياً - آية اليد البيضاء:

قال تعالى: "وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" القصص: ٣٢.

"وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى" طه: ٢٢.

ظاهر اليد البيضاء واضح، وأيضاً: اليد البيضاء تشير إلى عدالة الإنسان النامة ونزاهته وطهارته من الظلم، وهذا المعنى موجود في اللغة أيضاً، فتقول: "فلان يده بيضاء" وتقصد أنه رجل عادل ولا يصدر منه الظلم.

وفي اللغة أيضاً: الجناح يشير - في أحد معانيه - إلى اليد<sup>(٢)</sup>، فكأن يد الإنسان بمثابة الجناح بالنسبة إلى الطائر. كما يشير "الجناح والجوانح" إلى صدر الإنسان<sup>(٣)</sup>. وكذلك

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - إضاءات من دعوة موسى عليه السلام.

٢- انظر: لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٤٣٨.

٣- انظر: أساس البلاغة، الزمخشري: ١٣٧.

الجيب في أحد معانيه: "وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ" النور: ٣١، فالجناح والجيب لهما نفس المعنى. يقال: "فلانٌ ناصحُ الجيبِ: يُعَنِّي بذلك قلبه وصدره، أي أمينٌ" (١).

بالتالي، فإنَّ "اضمم إليك جناحك" تعني اضمم يدك البيضاء الناصعة الخالية من الظلم إلى نفسك ليخرج ما في روحك من عدل وطهارة، كما أنَّ "اضمم يدك إلى جناحك" يشير إلى نفس المعنى أيضاً.

قال السيد أحمد الحسن: (قال تعالى: "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى"، أي: خالية من الظلم، فالإنسان يأخذ ويعطي باليد، واليد البيضاء تشير إلى عدالة الإنسان التامة مع الناس ومع الله سبحانه وتعالى، فموسى عليه السلام طهر نفسه من الظلم بمرتبة عالية، ... انتهى (٢).

ويقول أيضاً: (يد الإنسان تَبْيِضُ مع العدل وتَسْوَدُ مع الظلم في ملكوت السماوات، وهذا ما أظهره الله سبحانه وتعالى مع موسى عليه السلام في هذه الحياة الدنيا:

- "وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ" الأعراف: ١٠٨.
- "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى" طه: ٢٢.
- "وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" النمل: ١٢.
- "اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" القصص: ٣٢.

والجناح والجيب ملاصق للصدر، وهو موضع اتصال روح الإنسان بجسده، أي: كأنه يخرج ما في روحه من عدل وقُدس وطهارة للناس في يده ليريه حاله) انتهى (٣).

١- انظر: لسان العرب، ابن منظور: ١ / ٢٨٨.

٢- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٢٨.

٣- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٥٩.

## ٧- حال المملأ:

المملأ: هم عليّة القوم المتكبرون دائماً، يحيطون بالحاكم عادة ويحوظونه أيضاً بالتمجيد والثناء والتقدّيس (الزائف)؛ طمعاً بدنياه، ولا مانع لديهم من أن يتخذوه إلهاً: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي" القصص: ٣٨.

حال هؤلاء مع رسل الله واحد على طول الخط، وموقفهم يتمثل دائماً برفض دعوات الرسل وحمل الحكام الظلمة على تكذيب الرسل والاستخفاف بهم وبث الأكاذيب والافتراءات عليهم؛ بهدف تشويه صورتهم وصد الناس عن الإيمان بهم، وهم عادة ما يكونون بوقاً لتسويق رأي السلطة الظالمة والتزير لها!

يكفي نظرة سريعة لآيات القرآن الكريم لتتعرّف على حالهم وموقفهم من الرسالات الإلهية ورسَل الله، وهذه جملة منها:

- المملأ في زمن نوح عليه السلام: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" الأعراف: ٦٠. "فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ" هود: ٢٧. "فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى" المؤمنون: ٢٤.
- المملأ في زمن هود عليه السلام: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" الأعراف: ٦٦.
- المملأ في زمن صالح عليه السلام: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاغُرُونَ" الأعراف: ٧٥ - ٧٦.
- المملأ في زمن شعيب عليه السلام: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ" الأعراف: ٨٨.

ربما أقل مو اقف المملأ حدة مع رسل الله هو موقف ملأ الملكة بلقيس، فهم وإن أشاروا عليها بأنها صاحبة قوة ويمكنها مقاتلة سليمان عليه السلام، لكنهم بالنهاية تركوا القرار

لها: "قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ \* قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ" النمل: ٣٢ - ٣٣.

بطبيعة الحال، لا يختلف موقف ملأ فرعون من رسالة موسى صلوات الله عليه عن مواقف نظرائهم الماضين من رسل الله، وهذه بعض أقوالهم:

- "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ" الأعراف: ١٠٩.
- "وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُنَا مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" الأعراف: ١٢٧.
- "إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" القصص: ٢٠.

والحمد لله الذي جعل نصيب رسوله محمد وآله الأوصياء الطاهرين صلوات الله عليهم (كلّ في زمانه) من الملأ ما نال رسله السابقين، بل أقسى وأمر!

#### ٨- بين موسى وإبراهيم:

إبراهيم الخليل كسر أصنام نمرود وقومه وأهان دينهم الوثني، فآلقوا عليه القبض وقررنمرود عمل محرقة عظيمة لرمي إبراهيم فيها بواسطة منجنيق للتخلص منه؛ عقوبة على ما صنع بالتهمة: "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" الأنبياء: ٦٨ - ٦٩.

ومع أنّ النار حقيقة وليست سحراً، لكن إبراهيم صلوات الله عليه لم يوجس في نفسه خيفة، بينما أوجس موسى الكليم صلوات الله عليه خيفة في نفسه لما رأى سحر السحرة: "قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى \* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كِبَيدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى" طه: ٦٥ - ٦٩.

بالتأكيد، هناك فرق بين الموقفين؛ موقف إبراهيم الواثق والمطمئن بنصر الله وتأييده له دون أن يخالجه أدنى شعور بالخوف، وموقف موسى الواثق والمطمئن بنصر

الله وتأبيده أيضاً ولكن بمرتبة أدنى من مرتبة وثوق واطمئنان جده إبراهيم، وهو مشهد يؤكد الفرق الواضح بين مرتبة الإمامة التي نالها إبراهيم وبين مرتبة الرسالة (وإن كانت بأرقى درجاتها؛ باعتبار أن موسى من رسل أولي العزم)، أو مرتبة الإمامة الدنيا أو الصغرى (إن جاز الوصف)؛ باعتبار أن موسى كان موصوفاً بإمامة لكنها أدنى من التي نالها إبراهيم.

وقد تقدم أن نيل إبراهيم صلوات الله عليه مرتبة الإمامة لها علاقة بمعرفته واعتقاده بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم (الكلمات التي ابتلاه الله بها وأتمها)، لهذا فقد أكد النص الديني أن إبراهيم لم يوجس خيفة لأنه كان يستند إلى ما في صلبه من أنوارهم الطاهرة بخلاف موسى الذي لم يكن حاله كذلك <sup>(١)</sup>.

## ٩- زوجة فرعون:

قال تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" التحريم: ١١.

وقد عرفنا أن نصوص سفر الخروج من التوراة نسبت مهمة إنقاذ موسى وانتشاله من النهر لابنة فرعون لا زوجته <sup>(٢)</sup>.

وعلى أي حال، فإن موقف امرأة فرعون "آسية بنت مزاحم" كان على النقيض تماماً من حال فرعون، فقد كانت مؤمنة طيبة شهد الله سبحانه بإيمانها، وهي التي تشرفت باحتضان موسى صلوات الله عليه منذ ولادته ودفعت عنه القتل منذ أن عثرت عليه وعلم به فرعون: "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا

١- (حدثنا إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن موسى بن عمران عليه السلام لما رأى حبالهم وعصيم، كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق وقذف به في النار؟ فقال عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله عز وجل، ولم يكن موسى عليه السلام كذلك، فلهذا أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام) الأمالي، الصدوق: ٧٥٢ - ٧٥٣.

٢- انظر: سفر الخروج - إصحاح ٢.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" القصص: ٩. ثم طلبت له مرضعة واستمرت ترعاه ... إلخ مما تقدم ذكره في النصوص.

نصوص كثيرة وردت عن الرسول محمد وأوصيائه صلوات الله عليهم أوضحت عظم منزلة آسية "امرأة فرعون" عند الله سبحانه وعند رسله (١).

إيمان زوجة فرعون الذي ضرب الله سبحانه به مثلاً لارتباط الطيب بالخبيث في دنيا الامتحان: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ"، ضرب عكسه مثلاً أيضاً أي: ارتباط الخبيث بالطيب، كما في حالة زوجتي نوح ولوط عليهما السلام، قال تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ" التحريم: ١٠.

#### ١- هذه نماذج منها:

- (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة وهي لما بها (أي: في لحظات الموت). فقال لها: بالرغم مما نرى بك يا خديجة فإذا قدمت على ضرائك فأقرئهن السلام، فقالت: من هن يا رسول الله؟ قال: مريم ابنة عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون، قالت: بالرفاء يا رسول الله) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١ / ١٣٩ - ١٤٠. والرفاء: أي بالبركة والخير والالتيام.

- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (إن خديجة لما توفيت، جعلت فاطمة تلوذ برسول الله وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ فجعل النبي صلى الله عليه وآله لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ ورسول الله لا يدري ما يقول فتزل جبرئيل فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية - امرأة فرعون - ومريم بنت عمران) الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٥٢٩ - ٥٣٠.

- (عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: إن جبرائيل عليه السلام عهد إلي أن بيت أمك خديجة في الجنة بين بيت مريم ابنة عمران وبين بيت آسية امرأة فرعون، من لؤلؤ جوفاء، لا صخب فيه ولا نصب) شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ١٧.

- (عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل يس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وآسية امرأة فرعون) الخصال، الصدوق: ١٧٤.

- (عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم) مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ابن المغازلي: ٢٨٣ - ٢٨٤.

"امرأة فرعون": مثل للذين آمنوا، وموقفها يقطع عذر كل من يريد الاعتذار لعدم الإيمان بالله ورسله بالظلم والظالمين ورداءة البيئة وإغراء الدنيا ... إلخ. وأيضاً: هي مثل للمؤمنين (النساء بالخصوص) ينفي توهم أنّ باب الكمال والجهاد مع رسل الله يقتصر على الرجال فقط، فمواقفها مشهودة ومشكورة عند الله ورسله، ولولا ذلك لما خصت بالذكر في نصوصهم كما لاحظنا جملة منها.

بينما "امراتا لوط ونوح" كانتا مثلاً للذين كفروا، وأيضاً: مألها السيئ يقطع عذر كل من يريد التحجج لطهارة جميع نساء الأنبياء (أو بعضهن بالخصوص) لمجرد كونهن زوجات أنبياء! والحال، إنّ القرآن يرفض هذه الحجة الباطلة جملة وتفصيلاً. علماً، أنّ الأمر لا يقف عند امرأة نوح ووط فحسب، ولكن يتعداهما إلى غيرهما أيضاً، فصفراء بنت شعيب (زوجة موسى) مثلاً، بعد وفاة موسى عليه السلام، جمعت جيشاً وخرجت به لقتال وصي موسى (يوشع بن نون) كما سيتضح.

وبالنتيجة، في دنيا الامتحان، المطلوب هو جهد الإنسان نفسه ومقدار ما يناله بسعيه وجهاده وتركيبته وتقواه (طاعته لأوامره واجتنابه نواهيه)، ولا قيمة إطلاقاً لأي علاقة نسبية أو سببية. قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحجرات: ١٣.

## ١٠ - موسى يبني مسجداً ويسد الأبواب إلا باب هارون:

حجم الأذى الذي تعرض له المؤمنون بموسى عليه السلام من فرعون وحزبه بمصر كان كبيراً، ولا شك أنّ الترهيب أسلوب يمارسه الطغاة دائماً مع أتباع الرسل؛ لتخويفهم وإبعادهم عن الرسل، بل بلغ أذاهم لهم أن استعبدوهم وكانوا يقولون: "لو كان لهؤلاء كرامة عند الله (كما يقولون) ما استعبدناهم" <sup>(١)</sup>!

١- (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: "وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين" فإن قوم موسى استعبدوهم آل فرعون وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون ما سلطنا عليهم، فقال موسى لقومه: يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣١٤.



شدة الأذى بلغت ببني إسرائيل مدى أنهم كانوا لا يتمكنون من الاجتماع في مكان واحد لأداء الصلاة، فأوحى الله إلى موسى أن يتخذوا بيوتهم قبلة أي: يصلوا فيها: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" يونس: ٨٧<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: لما أمر الله رسوله موسى والمؤمنين به بالصلاة، بنى موسى مسجداً ولم يأذن الله بالسكن فيه لأحد إلا له ولوصيّه هارون؛ تماماً كما حصل مع الرسول محمد ووصيه علي صلوات الله عليهما فيما عرف تاريخياً بحادثة "سد الأبواب إلا باب علي"<sup>(٢)</sup>، وتشابه

---

١- (عن منصور، عن أبي إبراهيم (الإمام الكاظم) عليه السلام، قال: لما خافت بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى وهارون: "ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة"، قال: أمروا أن يصلوا في بيوتهم" تفسير القمي: ٣١٥ / ١؛ مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ٤٣٩ / ٣.

وروى الطبري: (عن ابن عباس، في قول الله تعالى: واجعلوا بيوتكم قبلة قال: كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا، فقال لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة، يقول: اجعلوها مسجداً حتى تصلوا فيها) جامع البيان: ١١ / ١٩٩.

٢- النصوص في ذلك كثيرة، هذه نماذج منها:

- روى أحمد بن حنبل والحاكم، واللفظ للحاكم: (عن زيد بن أرقم قال كانت لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي قال: فتكلم في ذلك ناس فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته \* هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٢٥؛ مسند أحمد: ٤ / ٣٦٩.

- (عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله عزَّوجلَّ أوحى إلى موسى عليه السلام أن ابن مسجداً طاهراً لا يكون فيه غير موسى وهارون وابني هارون شَبْرًا وشَبِيرًا ، وإن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يكون فيه غيري وغير أخي علي وغير ابني الحسن والحسين عليهم السلام) مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ابن المغازلي: ص ٢٠٥.

- عن الإمام الرضا صلوات الله عليه في بيان فضل علي وآل محمد عليهم السلام للمؤمن والعلماء: (.....) وأما الرابعة: فأخبره صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس، فقال: يا رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم. وفي هذا تبين قوله لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى. قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟ قال أبو الحسن عليه السلام أو جدكم في ذلك قرأنا أقرأه عليكم؟ قالوا: هات. قال قول الله عزوجل: "وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة" ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وآله، حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد وآله الأمالي، الصدوق: ٦١٨ - ٦١٩.

الحادثة في هارون وعلي صلوات الله عليهما يؤكد أنّ منزلتهما من موسى ومحمد صلوات الله عليهما واحدة، أي: كما أنّ هارون وصي موسى فكذلك علي وصي لمحمد صلوات الله عليهما، وهذا بالضبط ما أكدّه حديث المنزلّة "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" المتواتر ذكره عند جميع المسلمين، وسيأتي بحث المسألة بالتفصيل لاحقاً. لكن من المهم أن نعرف – الآن – أنّ الحادثة تكشف شاهداً آخر من شواهد تمهيد الرسالة الموسوية للرسالة المحمدية العظمى.

- (عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قام خطيباً فقال: إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم أن أسكن علياً في المسجد وأخرجهم، والله ما أخرجهم وأسكنته بل الله أخرجهم وأسكنه، إنّ الله عزوجل أوحى إلى موسى وأخيه أن تبنوا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة، ثم أمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله جنب إلا هارون وذريته، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي دون أهلي ولا يحل لأحد أن ينكح فيه النساء إلا علي وذريته، فمن ساءه فها هنا وأشار بيده نحو الشام) علل الشرائع، الصدوق: ١/ ٢٠٢؛ مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ابن المغازلي: ٢٠٧ - ٢٠٨ بتفصيل أوسع.

- عن سلمان الفارسي، عن علي صلوات الله عليه، قال: (إن الله عزوجل أوحى إلى موسى وأخيه "أن تبنوا لقومكما بمصر بيوتاً" واجعلوا بيوتكم قبلة"، فبنى موسى مسجداً، وكان فيه هو وأخوه هارون عليهما السلام وأهلوهما، وإن النبي صلى الله عليه وآله لما دخل المدينة ابتنى المسجد، وابتنى أصحابه حوله، وفتحوا أبوابهم إلى المسجد. وإن النبي صلى الله عليه وآله أرسل معاذ بن جبل إلى العباس، فقال له: سد بابك الذي يلي المسجد، فقال: سمعاً وطاعة. ثم أرسل إلى حمزة فكان حديداً، فتكلم بشيء، ثم قال: سمعاً وطاعة. وأرسل إلى أبي بكر، فقال: سمعاً وطاعة. ثم أرسل إلى عمر بذلك، فقال: ولكن يترك لي كوة أنظر منها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج إلى الصلاة وإذا انصرف، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ولا ثقبه، فقال: سمعاً وطاعة. وأرسل إلى عثمان، وإلى كل من كان له باب إلى المسجد أن يسدوا أبوابهم غير علي صلوات الله عليه. فقالوا: سمعاً وطاعة.

فقال علي عليه السلام لمعاذ: أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله في شيء؟ قال: لا، قال: فاسأله، فأخبره معاذ بقول علي عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع إليه، فقل له: أقم طاهراً مطهراً. فلما ترك علياً عليه السلام وحده، وجد قوم في أنفسهم وتكلموا فيه. فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وآله: أخرجت عمك وبني عمك وأبا بكر وعمر وتركت علياً وحده، فقال: يا عم والله ما أنا الذي أخرجتهم، ولا أنا الذي تركت علياً إنما أنا مأمور، ما أمرت به فعلته، وإنما أمرت أن لا يجامع أحد في المسجد، ولا يدخله جنباً إلا أنا وعلي. علي مني بمنزلة هارون من موسى، يحل له ما حل لي، ويحرم عليه ما حرم علي. فقال العباس: سمعاً وطاعة.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: من تولاني تولى علياً، ومن لم يقل بولاء علي فقد جحد ولايتي. ومن كنت مولاه فعلي مولاه وإلى الله من والاه، وعادى الله من عاداه. علي يبرئ ذمتي ويؤدي عني أمانتي، وعلي ضامن عدااتي، وخافري ذمتي، وعيبة علمي، ومحبي شريعتي، والذي يقاتل عن سنتي، وهو مني وأنا منه، وهو معي على السنام الأعلى، يكسني معي إذا كسيت، ويدعي معي إذا دعيت، ويفد معي إذا وفدت، يحل معي إذا حليت، وهو إمام المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين) شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٢/ ٢٠٣.

## موسى (ع) وبنو إسرائيل:

المحور الأساسي الآخر في رسالة موسى هو خروجه ببني إسرائيل من مصر، وسبق وأن عرضنا بعض نصوص المسلمين التي ذكرت هذه المرحلة في رسالة موسى عليه السلام.

وفي التوراة: "٣١ فَدَعَا مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلًا وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ شَعْبِي أَنْتُمَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا، وَادْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ. .... ٣٧ فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعْمِيسَ إِلَى سَكُوتَ، نَحْوَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الْأَوْلَادِ. ٣٨ وَصَعِدَ مَعَهُمْ لَفِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضًا مَعَ غَنَمٍ وَبَقَرٍ، مَوَاشٍ وَافِرَةٌ جِدًّا. ٣٩ وَخَبَزُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مِنْ مِصْرَ خَبْزَ مَلَّةٍ قَطِيرًا، إِذْ كَانَ لَمْ يَخْتَمِرْ. لِأَنَّهُمْ طُرِدُوا مِنْ مِصْرَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَتَأَخَّرُوا، فَلَمْ يَصْنَعُوا لَأَنْفُسِهِمْ زَادًا. ٤٠ وَأَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. ٤١ وَكَانَ عِنْدَ نِهَايَةِ أَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ، أَنَّ جَمِيعَ أَجْنَادِ الرَّبِّ خَرَجَتْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٤٢ هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ لِإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ. تُحْفَظُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَجْيَالِهِمْ" سفر الخروج - إصحاح ١٢.

خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر، لا شك أنه أمر حصل في أواخر دعوته المباركة أو القسم الثاني والأخير منها:

يقول السيد أحمد الحسن: (في نهاية الدعوة كانت هناك هجرة موسى عليه السلام والذين آمنوا معه، وخروجهم من مصر خائفين من فرعون وملئه وحزبه وجنوده أن يتسلطوا عليهم ويؤذوهم ويقتلوهم، فلما تراءت الفئتان ظهر هذا الخوف المستشري في جماعة بني إسرائيل المؤمنة إيماناً ضعيفاً متزلزلاً. فقالوا إنا لمدركون من فرعون وجنوده. ولكن موسى عليه السلام زجرهم ونهيههم أنهم مهاجرون إلى الله الواحد القهار، قال: كلا إن معي ربي سيهدين، فنجاة جماعة إسرائيل إكراماً لموسى عليه السلام، وألف عين لأجل عين تكرم، وأغرق فرعون وجنوده فبعداً لهم) انتهى (١).

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - إضاءات من دعوة موسى عليه السلام.

## تلاقي الفتيتين وهلاك فرعون:

- "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" البقرة: ٥٠.
- "فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ" الاعراف: ١٣٦.
- "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ أَمُنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ" يونس: ٩٠-٩٢.
- "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى \* فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ \* وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى" طه: ٧٧-٧٩.
- "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَمْعِدِينَ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ \* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ \* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ" الشعراء: ٦١-٦٧.
- "وَاسْتَكَبَرُوا وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ" القصص: ٣٩-٤١.

وفي التوراة: "..... ٥ فَلَمَّا أَخْبَرَ مَلِكُ مِصْرَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ، تَغَيَّرَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ عَلَى الشَّعْبِ. فَقَالُوا: «مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خِدْمَتِنَا؟» ٦ فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. .... ٩ فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ وَأَذْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلٍ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ، وَهُمْ نَازِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ عِنْدَ فَمِ الْجَبَرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُون. ١٠ فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا، وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. ١١ وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لَأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ ١٢ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَتَخْدِمُ الْمِصْرِيِّينَ؟ لَأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ». ١٣ فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لَا تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلَاصَ الرَّبِّ الَّذِي

يَصْنَعُهُ لَكُمْ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمْ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ، لَا تَعُودُونَ تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الْأَبَدِ. ١٤  
الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصُمُّتُونَ». ..... ١٩ فَانْتَقَلَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ  
إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. ٢٠ فَدَخَلَ بَيْنَ  
عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلَامُ وَأَضَاءُ اللَّيْلِ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هَذَا  
إِلَى ذَلِكَ كُلِّ اللَّيْلِ. ٢١ وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ  
كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. ٢٢ فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى  
الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورِلَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. ٢٣ وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ.  
جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ. .... ٢٦ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَدَّ  
يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ». ٢٧ فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ  
عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ.  
فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ. ٢٨ فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ  
فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٌ. ٢٩ وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا  
عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورِلَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. ٣٠ فَخَلَصَ الرَّبُّ فِي  
ذَلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ.  
٣١ وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ، فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ  
وَأَمْنُوا بِالرَّبِّ وَبِعِبَادِهِ مُوسَى "سفر الخروج - إصحاح ١٤.

### جبهة الحق؛ بين يقين موسى وتردد بعض أصحابه!

الإسرائيليون الذين كانوا مع موسى، بالرغم من أنهم كانوا مؤمنين به ومصداقين  
برسالته إلا أن مستواهم الإيماني لم يكن واحداً ولا ثابتاً، وربما كان حال كثير منهم يتسم  
بالخوف والتردد عندما تبعهم فرعون وجنوده: "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى  
إِنَّا لَمُدْرِكُونَ"، وقالوا له أيضاً: "أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ  
مِصْرَ؟"، لكن موسى أجابهم بقلب مملوء يقيناً بالله: "قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ"، "لَا  
تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلَاصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمْ الْيَوْمَ. ... الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ  
تَصُمُّتُونَ"!

و أيضاً: هم لم يسلّموا أمرهم لله ورسوله، وإنما طلبوا من موسى أن يدعوه ليهرب  
لهم مما هم فيه فرجاً، فأخبرهم أن الله سيفرج عنهم وينجيهم ويفلق له البحر، لكنهم لم

يصبروا أيضاً، بل مَنْ كثير منهم عليه إيمانه به وتمّ أن لو بقي مستعبداً عند فرعون ولا يكون بهذا الحال: "١١ ... أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ ١٢ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَتَخْدِمِ الْمُصْرِيِّينَ؟ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمُصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ"، كل ذلك لأن فرعون وجنده اقتربوا منهم ورب موسى لا زال لم يأذن بفلق البحر لهم للعبور! علماً، أن هذا كان موقفاً لعامة قوم موسى أي غالبيتهم<sup>(١)</sup>!

للإنصاف: ما مرّ به بنو إسرائيل في هذا الموقف ليس سهلاً؛ باعتبار أن جبهة الطاغية فرعون كانت عبارة عن جيش كبير (عشرات الألوف) مدجج بألة عسكرية ضخمة، ولا مقارنة بينها وبين جبهة الحق من الناحية المادية إطلاقاً، والاقتصار على النظرة المادية يجعل من القول بحسم الأمور لصالح فرعون أمراً بديهياً وفق مقاييس أهل الدنيا، لكن إدخال "إرادة الله" في المعادلة قلب كل الحسابات وحسم الأمر لصالح موسى الرسول!

وعموماً، في مقابل موقف أغلبية الإسرائيليين الذي عرفناه، نجد مواقف مشرقة في جبهة الحق يظهر منها شدة اليقين والتسليم لله ولرسوله، فمثلاً: ورد عن يوشع بن نون (وصي موسى بعد وفاة هارون) أنه سأل موسى عن أمر الله له، فأجابه: أمرني بعبور البحر، فافتحم يوشع البحر بفرسه قبل أن يفلقه موسى بعصاه! بينما استمرت الأغلبية في الطلب من موسى والاقتراح عليه بعد فلق البحر والسير معه باتجاه الضفة الأخرى، فلما

١- (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً - إلى قوله - وأنا من المسلمين" فإنّ بني إسرائيل قالوا: يا موسى ادع الله أن يجعل لنا مما نحن فيه فرجاً فدعا فأوحى الله إليه أن سرهم، قال: يا رب البحر أمامهم، قال: امض فأني أمره أن يطيعك وينفرج لك، فخرج موسى ببني إسرائيل وأتبعهم فرعون حتى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه وقد أظلمهم، قال موسى للبحر: انفرج لي، قال: ما كنت لأفعل، وقال بنو إسرائيل لموسى: غررتنا وأهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج الآن نقتل قتلة، قال: كلا إن معي ربي سيهدين، واشتد على موسى ما كان يصنع به عامة قومه وقالوا: يا موسى إنا مدركون زعمت أن البحر ينفرج لنا حتى نمضي ونذهب وقد رهقنا فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منا، فدعا موسى ربه فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر فمضى موسى وأصحابه حتى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلما نظروا إلى البحر قالوا لفرعون: ما تعجب مما ترى؟ قال: أنا فعلت هذا فمروا وامضوا فيه، فلما توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فانطبق فغرقهم أجمعين، ..... (تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١

كان موسى فلق البحر لاثني عشر فرقاً وطريقاً (بعدد أسباط بني إسرائيل) لتسير ذرية كل سبط في فرقها (طريقها)، سألته بعض من كان يسير معه عن حال إخوانهم الإسرائيليين الآخرين فأجابهم أنهم يسرون معكم في البحر فلم يصدّقوه وطلبوا منه أن يفتح بينهم وبين الآخرين نوافذ في الماء لينظروا إليهم ويتحدثوا معهم، ففعل<sup>(١)</sup>!

لا شك أنّ كليّم الله موسى بيقينه وصبره وتوكله على الله قدوة شامخة في سماء السائرين إلى الله في كل زمن، لكن غالبية المؤمنين به (المتريدين الذين عرفنا حالهم تحديداً) لا يصلح اتخاذهم قدوة إطلاقاً. اللهم، إلا بقدر الاعتاض والاعتبار بحالهم وعدم تكرار سيرتهم وأفعالهم مع الرسل التالين؛ كلّ في زمانه. وحتى مسألة فتح اثني عشر طريقاً في البحر لهم إنما فعله موسى صلوات الله عليه لحكمة تعود إلى مداراتهم ورفع الشحناء والتنافس عن نفوسهم؛ إذ كانوا ينحدرون من اثني عشر سبطاً (أولاد يعقوب عليه السلام)، وأكد أنه رأى في نفوسهم (وهو الخبير العارف بها بعد أن كان مبعوثاً بينهم سنين

---

١- (عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام: ..... وجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين وحشر الناس وقدم مقدمته في ستمائة ألف وركب هو في ألف ألف وخرج كما حكي الله عز وجل: "فأخرجناهم من جنات وعبود وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فاتبعوهم مشرقين" فلما قرب موسى البحر وقرب فرعون من موسى "قال أصحاب موسى إنا لمدركون" قال موسى "كلا إن معي ربي سيهدين" أي سينجيني. .... فقام يوشع بن نون فقال لموسى: يا رسول الله ما أمرك ربك؟ فقال: بعبور البحر، فافتحم يوشع فرسه في الماء وأوحى الله إلى موسى "إن اضرب بعصاك البحر" فضربه "فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم" أي كالجبل العظيم، فضرب له في البحر اثني عشر طريقاً فأخذ كل سبط منهم في طريق فكان الماء قد ارتفع وبقيت الأرض يابسة طلعت فيه الشمس فببست كما حكي الله "فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى"، ودخل موسى البحر وكان أصحابه اثني عشر سبطاً فضرب الله لهم في البحر اثني عشر طريقاً فأخذ كل سبط في طريق وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال فجزعت الفرقة التي كانت مع موسى في طريقه فقالوا: يا موسى أين أخواننا؟ فقال لهم موسى: معكم في البحر، فلم يصدّقوه فأمر الله البحر فصارت طاقات (نوافذ) حتى كان ينظر بعضهم إلى بعض ويتحدثون. وأقبل فرعون وجنوده فلما انتهى إلى البحر قال لأصحابه: ألا تعلمون أني ربكم الأعلى قد فرج لي البحر فلم يجسر أحد أن يدخل البحر وامتعت الخيل منه ليهول الماء فتقدم فرعون حتى جاء إلى ساحل البحر فقال له منجّمه: لا تدخل البحر وعارضه فلم يقبل منه، وأقبل على فرس حصان فامتنع الحصان أن يدخل الماء فعطف عليه جبرئيل وهو على ماديانة (أنثى الخيل) فتقدمه ودخل فنظر الفرس إلى الرمكة فطليها ودخل البحر واقتحم أصحابه خلفه فلما دخلوا كلهم حتى كان آخر من دخل من أصحابه وآخر من خرج من أصحابه موسى أمر الله الرياح فضربت البحر بعضه ببعض فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال فقال فرعون عند ذلك "أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين" فأخذ جبرئيل كفّاً من حمة فدهسها في فيه ثم قال: "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين" تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١٢١ / ٢ - ١٢٢.

عديدة مضت) التسابق لسلوك الطريق في البحر أولاً؛ إما للخوف من فرعون الذي قارب من الوصول لهم وللحوق بهم وبالتالي فأسبقيّة النزول في الطريق تضمن لهم السلامة، أو لأن ذرية كل سبط منهم تعتقد أنّ الأسبقيّة في النزول لها صلة بالفضل والشرف أي أنّ الأفضل والأشرف قدراً ينزل أولاً، تلك هي حساباتهم، لكن الله ورسله لهم حساب آخر، ففي مقام التضحية والعطاء لله يتقدم رسل الله ولا يسبقهم أحد، بينما لا ينافسون أحداً فيما عدا ذلك نهائياً، ولهذا رأينا النص يشير إلى أنّ موسى آخر من خرج من البحر: "وآخر من خرج من أصحابه موسى"، أي: بعد أن اطمئن على سلامة جميع رعيته والمؤمنين به؛ أيّاً كان مستوى إيمانه ودون حساب للأذى الذي أنزلوه به كما لاحظنا!

إنّ حادثة عبور موسى ببني إسرائيل البحر ومطاردة فرعون لهم قبل غرقه مهمة جداً؛ إذ يتمكن المؤمن (أي مؤمن؛ كلّ في زمنه) من معرفة حاله مع إمام زمانه الحق ودقة مسيرته له وتسليمه لأمره (وهو أمر الله)، وهو أمر في غاية الأهمية ويفترض أن لا يعيق المؤمن شيء دون بلوغه، ولا ينفع أي عذر (وإن كان مشروعاً بحسب الظاهر) في التهاون به، فمثلاً: بعض من هم في صف موسى كان مبتلياً بوجود أبيه ضمن جيش فرعون، فتخلّف عن موسى بهدف اللقاء بأبيه ونصحه عسى وأن يوفق لإنقاذه وهدايته، ومع هذا فإنّ العذاب (الغرق) الذي نزل بفرعون وجنوده شمله، وهو وإن مات مؤمناً واستحق دعاء موسى له بالرحمة، لكنه لو سائر موسى كان أفضل له بالتأكيد<sup>(١)</sup>!

### يوم التلاقي والأبدال:

من الأمور الملفتة في حادثة تلاقي فرعون وجنده مع موسى وقومه ومطاردتهم لهم باتجاه البحر هي مسألة الأبدال، والأبدال باختصار: مجموعة كانوا ضمن أحد الصفيين

١- (عن الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: مالي رأيك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ فقال: إنه خالي، فقال: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإذا جلست معه وتركتنا وإما جلست معنا وتركته؟ فقلت: هو يقول ما شاء أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً، أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعط أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً فأتى موسى عليه السلام الخبر، فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع) الكافي، الكليني: ٢ / ٣٧٤ - ٣٧٥.



يتحولون في اللحظة الحاسمة إلى الصف الآخر، وهو أمر حصل ويحصل كثيراً في خط الرسائل الإلهية، وما يوم الحسين صلوات الله عليه علينا ببعيد، لما تحول الحراليحي (القائد في الجيش الأموي) إلى جبهة الحسين في الساعة الأخيرة قبل نشوب الحرب يوم عاشوراء، وبالمقابل كان قد رافق الإمام الحسين كثيرون أثناء مسيره من مكة إلى العراق لكن أغلبهم فارقه بل بعضهم تركه في آخر اللحظات؛ لأنه اشترط عليه أن يقاتل معه إن كان في قتاله معه فائدة!

وعموماً، بالنسبة لمسألتنا الآن: هناك من كان ضمن جبهة فرعون فتركه وانضم إلى موسى ونجا معه، وكان عددهم سبعين شخصاً صاروا يعرفون - بين قوم موسى - بالرافضة<sup>(١)</sup>.

وبالمقابل هناك من كان مؤمناً بموسى لكنه مال إلى دنيا فرعون فترك موسى وهلك مع فرعون لعنه الله<sup>(٢)</sup>!

### هلاك فرعون:

كان الله سبحانه عند يقين وثقة عبده موسى المتوكل عليه، فأنجاه ومن معه، وأهلك عدوه فرعون ومن معه، وليس هذا فحسب، ولكن جعل هلاكه آية وعبرة: "فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً!"

---

١- (عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك اسم سمينا به استحل به الولادة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قال: الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام: إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أحد أشد اجتهاداً ولا أشد حباً لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى: أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد نحلهم، وذلك اسم قد نحلهموه الله) المحاسن، البرقي: ١ / ١٥٧.

٢- (عن محمد بن هشام، عن أخيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قوماً ممن آمن بموسى عليه السلام قالوا: لو أتينا عسكر فرعون وكنا فيه ونلنا من دنياه فإذا كان الذي نرجوه من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه ففعلوا، فلما توجه موسى عليه السلام ومن معه إلى البحر هاربين من فرعون ركبوا دوابهم وأسرعوا في السير ليلحقوا بموسى عليه السلام وعسكره فيكونوا معهم، فبعث الله عز وجل ملكاً فضرب وجوه دوابهم فردهم إلى عسكر فرعون فكانوا فيمن غرق مع فرعون) الكافي، الكليني: ٥ / ١٠٩.

"لتكون لمن خلفك آية": باعتبار أن فرعون لما نزل في قعر البحر يتبع موسى عليه السلام كان مثقلاً بالحديد؛ إذ كان خارجاً للحرب والقتال فكان لا بأساً بدرعه ومتقلداً سيفه ... إلخ، ويفترض بمن حاله كذلك أن تبقى جثته في قاع البحر بعد إطباق الماء عليه ولا تخرج إلى الأرض (البر)، لكن الله سبحانه شاء أن تخرج جثته (بدنه) ليكون آية وعبرة لمن بعده؛ لا سيما وأنه أدعى الربوبية من دون الله<sup>(١)</sup>!

أهلك الله فرعون بعد أن غرّبت النفوس وكُشفت معادن الناس (المؤمنين بموسى بالخصوص)، فالله سبحانه لا يعجل لعجلة العباد، وقد أوضح أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله أن بين قول فرعون: "أنا ربكم الأعلى" الذي قاله في بداية دعوة موسى، وبين قوله: "ما علمت لكم من إله غيري" الذي قاله قبل خروجه بجيشه لقتال موسى

١- (إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: لأي علة أغرق الله عز وجل فرعون وقد آمن به و أقرب توحيده؟ قال: إنه آمن عند رؤية البأس وهو غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى: "فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا" وقال الله عز وجل: "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: "آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين"، فقليل له: "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، فاليوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية"، وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد وقد لبسه على بدنه، فلما أغرق ألقاه الله على نجوة من الأرض ببذنه ليكون لمن بعده علامة فيرويه مع ثقله بالحديد على مرتفع من الأرض، وسبيل التثقيل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك آية وعلامة. ولعلة أخرى أغرق الله عز وجل فرعون وهي أنه استغاث بموسى لما أدركه الغرق ولم يستغث بالله فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى ما أغثت فرعون لأنك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٩.

(عن أبي جعفر عليه السلام: ..... واشتد على موسى ما كان يصنع به عامة قومه وقالوا: يا موسى إنا لمدركون زعمت أن البحر ينفرج لنا حتى نمضي ونذهب وقد رهقنا فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منا، فدعا موسى ربه فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر فمضى موسى وأصحابه حتى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلما نظروا إلى البحر قالوا لفرعون: ما تعجب مما ترى؟ قال: أنا فعلت هذا فمروا وامضوا فيه، فلما توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فانطبق فغرقهم أجمعين، فلما أدرك فرعون الغرق "قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين" يقول الله "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين" يقول كنت من العصاةين "فاليوم ننجيك ببندك" قال: إن قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يرمهم أحد هووا في البحر إلا هوى بجسمه إلى النار وأما فرعون فنبداه الله وحده فألقاه بالساحل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ولئلا يشك أحد في هلاكه وانهم كانوا اتخذوه رباً فأراهم الله إياه جيفة ملقاة بالساحل ليكون لمن خلفه عبرة وعظة) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ٣١٥ - ٣١٦.

والمؤمنين به، أنَّ بين القولين أربعين عاماً، وهي نفسها المدة بين دعاء موسى وهارون على فرعون بالهلاك وبين إجابة الدعاء، قال تعالى: "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" \* قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" يونس: ٨٨ - ٨٩ (١)!

والملفت أنَّ فرعون مع شدة تكبره وطغيانه وادعائه الربوبية، وكذلك مع شدة عدائه لموسى صلوات الله عليه ورسالته الإلهية، إلا أنه لم يقم بقتل موسى فعلياً، وكذا الملائم المحيطون به، بل قالوا له: "أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ" الأعراف: ١١١ أي: أجله للنظر في أمره. وبالنتيجة، ليس جميع الطغاة يتاح لهم (فعلياً) أن يسودوا صحائف أعمالهم بجريمة قتل رسل الله ما لم يكن الاستحقاق الجرمي متوفراً في سجل أفعالهم، مثل: أن يكون "ابن حرام = زنا"، ومثل هذا الأمر لم يكن موجوداً لدى فرعون ومستشاريه لكنه موجود - مثلاً - لدى شمر بن ذي الجوشن لعنه الله: قاتل الحسين بن علي سبط وريحانة الرسول محمد صلى الله عليه وآله (٢).

١- (عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أُملى الله عز وجل لفرعون ما بين الكلمتين: قوله: "أنا ربكم الأعلى" وقوله: "ما علمت لكم من إله غيري" أربعين سنة، ثم أخذ الله نكال الآخرة والأولى، وكان بين أن قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام: "قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا" وبين أن عرقه الله تعالى الإجابة أربعين سنة، ثم قال: قال جبرئيل عليه السلام: نازلت ربي في فرعون منزلة شديدة فقلت: يا رب تدعه وقد قال: أنا ربكم الأعلى، فقال: إنما يقول مثل هذا عبد مثلك) الخصال، الصدوق: ٥٣٩ - ٥٤٠.

(عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين قوله "قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا" وبين أن أخذ فرعون أربعين سنة) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٢٧.

٢- (عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ عَاقِرَ نَاقَةٍ صَالِحٍ كَانَ أَزْرَقُ ابْنِ بَغِي، وَإِنْ قَاتَلَ عَلِيَّ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ابْنِ بَغِي، وَكَانَتْ مُرَادُ تَقُولُ: مَا نَعْرِفُ لَهُ قَيْنًا أَبًا وَلَا نَسَبًا، وَإِنْ قَاتَلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ابْنِ بَغِي وَإِنَّهُ لَمْ يَقْتُلِ الْأَنْبِيَاءَ وَلَا أَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءَ إِلَّا أَوْلَادَ الْبَغَايَا) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢٢٢.

(عن إسماعيل بن منصور أبي زياد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول فرعون: "ذروني أقتل موسى"، من كان يمنعه؟ قال: منعه رشده، ولا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٧ - ٥٨. "منعه رشده": أي كان ولد نكاح، ولم يكن ولد سفاح وزنا.

(يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: إن موسى وهارون عليهما السلام لما دخلا على فرعون لم يكن في الذين حضروا واستشارهم يومئذ فيهم من هو لغير رشدة، ولو كانوا كذلك أمره

وبالمقابل، فإن حبَّ رسل الله هو علامة على طيب الولادة<sup>(١)</sup>.

### بنو إسرائيل وسني التيه:

عبر موسى صلوات الله عليه ببني إسرائيل البحر، وكان متجهاً (بأمر ربّه) لدخول الأرض المقدسة (أرض كنعان = بيت المقدس وما حولها)؛ الأرض التي كان يقيم فيها جده إبراهيم ثم إسحاق ويعقوب من بعده صلوات الله عليهم، لكنهم رفضوا دخولها بسبب خوفهم من الجبارين (الكنعانيين) الذين كان يحكمون فيها، فتاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة أحدثوا خلالها انحرافات كبيرة وآذوا موسى وهارون عليهما السلام أذى جسيماً كما سنلاحظ، فالتيه بالنسبة لهم كان مادياً ومعنوياً معاً.

### تيه بني إسرائيل لرفضهم دخول الأرض المقدسة:

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ \* يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ دَخَلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ نَعَمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ دَخَلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافِرْقُبَيْنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ

بقتلها، ولما قالوا: "أرجه وأخاه" وأشاروه بالتأني والنظر. قال: ثم وضع أبو عبد الله يده على صدره، قال: وكذلك والله نحن لا ينزع (يسرع) إلينا - يعني بالمكرهه - إلا كل خبيث الولادة (شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٨؛ تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ٢٤، وفيه: "... لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح كانوا ولد نكاح كلهم، ولو كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلها").

١- (الحسين بن زيد وعبد الله بن إبراهيم الجعفري جميعاً، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن الحسين بن علي، عن أبيه علي عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا ذر، من أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أول النعم. قال: يا رسول الله، وما أول النعم؟ قال: طيب الولادة، إنه لا يحبنا أهل البيت إلا من طاب مولده) الأمالي، الطوسي: ٤٥٥ - ٤٥٦.

الْفَاسِقِينَ \* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ  
الْفَاسِقِينَ" المائدة: ٢٠ - ٢٦.

رفض دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة المذكور في التوراة أيضاً:

" ١ ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «أَرْسِلْ رَجَالًا لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا  
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلًا وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَبْنَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٍ فِيهِمْ». ..... ١٧  
فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ، وَقَالَ لَهُمْ: «اصْعَدُوا مِنْ هُنَا إِلَى الْجَنُوبِ  
وَاطْلُوعُوا إِلَى الْجَبَلِ، ١٨ وَانْظُرُوا الْأَرْضَ، مَا هِيَ: وَالشَّعْبَ السَّاكِنَ فِيهَا، ..... ٢٥ ثُمَّ  
رَجِعُوا مِنْ تَجَسُّسِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ٢٦ فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ  
جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ، إِلَى قَادَشَ، وَرَدُّوا إِلَيْهِمَا خَبْرًا وَإِلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَرْوَهُمْ  
ثَمَرَ الْأَرْضِ. ٢٧ وَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ  
لَبَنًا وَعَسَلًا، وَهَذَا ثَمَرُهَا. ٢٨ غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الْأَرْضِ مُعْتَرِضٌ، وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ  
عَظِيمَةٌ جِدًّا. وَأَيْضًا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَاقَ هُنَاكَ. ٢٩ الْعَمَالِقَةُ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ،  
وَالْحِثِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ وَالْأَمُورِيُّونَ سَاكِنُونَ فِي الْجَبَلِ، وَالْكَنَعَانِيُّونَ سَاكِنُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ  
وَعَلَى جَانِبِ الْأُرْدُنِّ». ٣٠ لَكِنْ كَالِيبُ أَنْصَتَ الشَّعْبَ إِلَى مُوسَى وَقَالَ: «إِنَّنَا نَصْعَدُ وَنُمْتَلِكُهَا  
لَأَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَيْهَا». ٣١ وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ فَقَالُوا: «لَا نَقْدِرُ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى  
الشَّعْبِ، لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا». ٣٢ فَأَشَاعُوا مَذْمَةَ الْأَرْضِ الَّتِي تَجَسَّسُوهَا، فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
قَائِلِينَ: «الْأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي  
رَأَيْنَا فِيهَا أَنَاسٌ طَوَالِ الْقَامَةِ. ٣٣ وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ. فَكُنَّا  
فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهَكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ» سفر العدد - إصحاح ١٣.

" ١ فَرَفَعَتْ كُلُّ الْجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ، وَبَكَى الشَّعْبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. ٢ وَتَذَمَّرَ عَلَى  
مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: «لَيْتَنَّا مُتْنَا فِي أَرْضِ  
مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَّا مُتْنَا فِي هَذَا الْقَفْرِ! ٣ وَلِمَاذَا أَتَى بَنَا الرَّبِّ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟  
تَصْبِرُنَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟» ٤ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:  
«نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ». ٥ فَسَقَطَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَى وَجْهِهِمَا أَمَامَ كُلِّ مَعْشَرِ  
جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٦ وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ وَكَالِيبُ بْنُ يَفْنَةَ، مِنَ الَّذِينَ تَجَسَّسُوا الْأَرْضَ، مَرَّقَا  
ثِيَابَهُمَا ٧ وَكَلَّمَا كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: «الْأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا الْأَرْضُ

جَدِيدَةً جِدًّا جِدًّا. ٨ إِنْ سُرَبْنَا الرَّبُّ يُدْخِلُنَا إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَيُعْطِينَا إِيَّاهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. ٩ إِنَّمَا لَا تَتَمَرَّدُوا عَلَى الرَّبِّ، وَلَا تَخَافُوا مِنْ شَعْبِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمْ خُبْرُنَا. قَدْ زَالَ عَنْهُمْ ظِلُّهُمْ، وَالرَّبُّ مَعَنَا. لَا تَخَافُوهُمْ». ١٠ وَلَكِنْ قَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنْ يُرْجَمَا بِالْحِجَارَةِ. ثُمَّ ظَهَرَ مَجْدُ الرَّبِّ فِي خِيَمَةِ الْجَمَاعَةِ لِكُلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «حَتَّى مَتَى يُهَيِّنُنِي هَذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لَا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسْطِهِمْ؟ ١٢ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَا وَأُبِيدُهُمْ، وَأَصِيرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ» سفر العدد - إصحاح ١٤.

الرجلان اللذان أنعم الله عليهما وحثوا الإسرائيليين على طاعة موسى ودخول الأرض المقدسة هما: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، لكن لم ينفع معهم النصيح وأصرّوا على رفضهم دخول الأرض المقدسة مع موسى فحرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة واستحقوا وصف الله لهم بالفسق! وواضح أنّ التيه وتحريم دخولها عليهم كان عقوبة لهم للتخلّف عن طاعة الأوامر الإلهية عسى وأن يكون سبيلاً لإصلاح نفوسهم المريضة، فتأهوا في صحراء سيناء (القريبة من بيت المقدس) ولم يتمكنوا من دخول الأرض المقدسة إلى أن ماتوا<sup>(١)</sup>!

"٢٦ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢٧ «حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِيرَةِ الْمُتَدَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَذَمَّرُونَهُ عَلَيَّ. ٢٨ قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أذُنِي. ٢٩ فِي هَذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَّتُكُمْ، جَمِيعُ الْمُعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ. ٣٠ لَنْ تَدْخُلُوا الْأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لِأَسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنِ يَفَنَةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ. ٣١ وَأَمَّا أَطْفَالُكُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَادُخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الْأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا. ٣٢ فَجُثَّتُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هَذَا الْقَفْرِ، ٣٣ وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رِعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً،

١- (عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما انتهى بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة قال لهم: ادخلوا، فأبوا أن يدخلوها، فتأهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة وكانوا إذا أمسوا نادى منادهم أمسيت الرحيل، حتى إذا انتهوا إلى مقدار ما أرادوا أمر الله الأرض فدارت بهم إلى منازلهم الأولى فيصبحون في منزلهم الذي ارتحلوا منه، فمكثوا بذلك أربعين سنة، ينزل عليهم المن والسلوى فهلكوا فيها أجمعين إلا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا اللذين أنعم الله عليهما، ومات موسى وهارون عليهما السلام فدخلها يوشع بن نون وكالب وأبناؤهم، وكان معهم حجر كان موسى يضربه بعصاه فينفجر منه الماء لكل سبط عين) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٧٥.

وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْتَى جُنُثُكُمْ فِي الْقَفْرِ. ٣٤ كَعَدَدِ الْيَّامِ الَّتِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا الْأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلْسَّنَةِ يَوْمٌ. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي. ٣٥ أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لِأَفْعَلَنَّ هَذَا بِكُلِّ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَيَّ، فِي هَذَا الْقَفْرِ يَفْنُونَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ» سفر العدد - إصحاح ١٤.

لم يكن موقف بني إسرائيل الرافض دخول الأرض المقدسة سوى نتيجة طبيعية لحالة التردد والتذبذب الإيماني التي كانت صفة عامة لأغليهم، فالرفض لأمر موسى موقف متوقع منهم لمن عرف حالهم معه بمصر، بل حتى أثناء رحلة عبوره بهم البحر كما رأينا. فهم بمجرد أن علموا من موسى أنه يقصد بهم الأرض المقدسة بعد عبورهم البحر لجهاد الظالمين فيها ونشر "لا إله إلا الله"، وبمجرد أن أنجاهم الله وعبروا البحر سألوهم: كيف سيدخلونها معه وفي صفوفهم أطفال ونساء ومرضى وكبار بالسن ... إلخ، ومن أين لهم القدرة على مجابهة جباري كنعان! هم يقولون هذا لموسى مع أنهم رأوا بأنفسهم عجائب قدرة الله التي أيد بها رسوله ونصره على الطاغية المتجبر، ولم يكن قد مضى على حادثة نجاتهم وغرق فرعون وجيشه سوى وقت قليل وعموماً، كان رد موسى عليهم أن ذكّره بالله وعظيم آلائه عليهم، فساروا معه على مضض ثم طلبوا منه أن يدعوره ليتزل عليهم أصناف من الطعام ويظللهم بالغمام ويحملهم عن السير في الأكام ... إلخ<sup>(١)</sup>!

١- (عن ابن عباس قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر: خبرنا يا موسى بأي قوة وأي عدة وعلى أي حمولة نبليغ الأرض المقدسة ومعك الذرية والنساء والهرمى والزمنى؟ فقال موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورثه الله من عرض الدنيا ما ورثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الذي آتاكم، فمعكم من ذلك ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً فاذكروه وردوا إليه أموركم، فإنه أرحم بكم من أنفسكم، قالوا: فادعنا يطعمنا ويسقنا ويكسنا ويحملنا من الرحلة ويظلنا من الحر، فأوحى الله تعالى إلى موسى: قد أمرت السماء أن يمطر عليهم المن والسلوى، وأمرت الريح أن يشوي لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن تظلمهم، وسخرت ثيابهم أن تنبت بقدر ما ينبتون، فلما قال لهم موسى ذلك سكتوا فسار بهم موسى، فانطلقوا يؤمنون الأرض المقدسة) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/١٧٨.

وورد ضمن نصوص العهد القديم: سفر العدد - إصحاح ٢١: ٤ "وَارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفٍ لِيَدُورُوا بِأَرْضِ أَدُومَ، فَضَاقَتْ نَفْسُ الشَّعْبِ فِي الطَّرِيقِ. ٥ وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدُنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لَأَنَّهُ لَا خُبْرَ وَلَا مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ».

حال بني إسرائيل يكشف عن أنهم قوم مفتونون، مهزوزون، معجبون بأنفسهم، يمتنون على الله ورسوله إيمانهم وكأن الله لم يخلق غيرهم <sup>(١)</sup>! ربما تبدو قلوبهم متجهة لله لكنها بالحقيقة مائلة عنه باتجاه الدنيا <sup>(٢)</sup>، وهي صفات لا يتوقع من أصحابها غير حرمان أنفسهم من التوفيق لامثال أمر رسول إلهي عظيم ودخول أرضاً مقدسة معه لنشر التوحيد ورفع رايته، لذلك لم يدخلوها معه إلى أن توفاه الله، بل إلى أن ماتوا هم أيضاً، ثم دخلها وصي موسى "يوشع" بأبنائه بمعية كالب وأبنائه، ولا مانع من أن يكون معهم جيل جديد من الإسرائيليين أيضاً، وسيتضح هذا الأمر أكثر لاحقاً.

وقد أوضحت نصوص التوراة حال بني إسرائيل وسلوكهم مع موسى، فمثلاً:

بمجرد أن عبروا البحر تدمروا على موسى بسبب العطش: "٢٢ ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرٍ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ. فَسَارُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً. ٢٣ فَجَاءُوا إِلَى مَارَّةَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنْ مَارَّةَ لِأَنَّهُ مُرٌّ. لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «مَارَّةٌ». ٢٤ فَتَدَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «مَاذَا نَشْرَبُ؟» سفر الخروج - إصحاح ١٥.

وبمجرد أن وصلوا البرية تدمروا على موسى بسبب الجوع ونوع الطعام: "١ ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَآتَى كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ

١- (عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن بني إسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسألوه أن يسأل الله عز وجل أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا ويحبسها إذا أرادوا فسأل الله عز وجل ذلك لهم فقال الله عز وجل: ذلك لهم يا موسى فأخبرهم موسى فحراثوا ولم يتركوا شيئاً إلا زرعوه ثم استنزلوا المطر على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم فصارت زروعهم كأنها الجبال والأجام ثم حصدوا وداسوا وذروا فلم يجدوا شيئاً فضجوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: إنما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا ثم صيرها علينا ضرراً فقال: يا رب إن بني إسرائيل ضجوا مما صنعت بهم، فقال: ومم ذاك يا موسى؟ قال: سألتوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا وتحبسها إذا أرادوا فأجبتهم ثم صيرتها عليهم ضرراً فقال: يا موسى أنا كنت المقدر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت) الكافي، الكليني: ٢٦٢ / ٥.

٢- (مر موسى عليه السلام على قرية من قرى بني إسرائيل فنظر إلى أغنيائهم قد لبسوا المسوح، وجعلوا التراب على رؤوسهم، وهم قيام على أرجلهم تجري دموعهم على خدودهم، فبكى رحمة لهم، فقال: إلهي هؤلاء بنو إسرائيل حنوا إليك حنين الحمام، وعووا عواء الذئاب، ونبحوا نباح الكلاب، فأوحى الله إليه: ولم ذاك؟ لأن خزاني قد نفدت؟ أم لأن ذات يدي قد قلت؟ أم لست أرحم الراحمين؟ ولكن أعلمهم أنني عليم بذات الصدور، يدعونني وقلوبهم غائبة عني، مائلة إلى الدنيا) ربيع الأبرار، الزمخشري: ٣٨٨ / ٢؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٣٨١ / ١٣.



الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٢ فَتَدَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. ٣ وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَّا مِتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبْعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَنَا كُلَّ هَذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ» سفر الخروج - إصحاح ١٦.

وهكذا، حتى إنّ موسى عليه السلام في إحدى مخاصمات قومه له قال لهم: "لماذا تجربون الرب" (١)!

فواضح أنّ حال بني إسرائيل المرافقين لموسى عليه السلام ليس فقط يمنعهم عن التوفيق لمسايرته فحسب، ولكن لا يستغرب منهم الانحراف عن دينه وصراطه أيضاً، وهذا ما حصل بالضبط؛ إذ سارعوا إلى عبادة العجل أثناء فترة غيبة موسى عنهم لميقات ربه ومناجاته، بحجة تأخره عليهم وأنه واعدهم أن تكون غيبته عنهم ثلاثين ليلة فكانت أربعين (٢)!

يقول السيد أحمد الحسن عن حالهم: (..... ولكن بعد هذا العبور كان ما كان، فتمرد بنو إسرائيل على الأوامر الإلهية، وعصوا موسى وهارون عليهما السلام، وبعد أن رفض بنو إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة وجهاد الجبابرة لنشر كلمة "لا إله إلا الله" والعبادة الخالصة لله، كتب الله عليهم التيه أربعين سنة في صحراء سيناء، وكم أؤدي موسى وهارون عليهما السلام خلال هذه المدة، فاعترض الكثير منهم على موسى واستخفوا به، واعترضوا على هارون وكونه نبياً وخليفة لموسى عليه السلام، فأمرهم الله أن يكتب

١- (سفر الخروج - إصحاح ١٧): "ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَ بِحَسَبِ مَرَاجِلِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبِ الشَّعْبُ. ٢ فَخَاصِمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا: «أَعْطَوْنَا مَاءً لِنَشْرَبَ». فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لِمَاذَا تُخَاصِمُونِي؟ لِمَاذَا تَجْرِبُونَ الرَّبَّ؟» ٣ وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَدَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمِيتَنَا وَأَوْلَدَنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟» ٤ فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونَنِي». ٥ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُرُقِدَامَ الشَّعْبِ، وَخُذْ مَعَكَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ الَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا النَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ. ٦ هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورَيْبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبِ الشَّعْبُ». فَفَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ.

٢- (عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: ... إنّ موسى لما خرج و أفداً إلى ربه واعدهم ثلاثين يوماً فلما زاده الله على الثلاثين عشراً قال قومه: قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا) الكافي، الكليني: ١ / ٣٦٩.

كل رئيس سبط من أسباط بني إسرائيل اسمه على عصا يابسة، وكتب هارون اسمه، ووضع موسى عليه السلام العصي في خيمة الاجتماع، وشاء الله أن تخضر العصا التي كتب عليها اسم هارون عليه السلام لتكون معجزة تؤيد نبوته وحقه في خلافة موسى عليه السلام<sup>(١)</sup>، لكنهم لم يتوقفوا عن إيذاء هارون والاستخفاف به، حتى إنهم لما صنعوا العجل وعبدوه واعترض عليهم هارون كادوا يقتلونه مع الفئة القليلة التي ناصرت الحق معه، ولم يكتف اليهود بهذا، بل حرّفوا التوراة بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام وكتبوا بأيديهم الأثيمة فيما أنّ الذي صنع العجل وأضل بني إسرائيل هو هارون!! فانظر إلى مظلومية هذا النبي العظيم هارون عليه السلام، وقارنها بمظلومية الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام، سنّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً) انتهى<sup>(٢)</sup>.

قاتل الله الهوى والضلال! وإلا كيف لنبي معصوم كهارون؛ الوصي المرسل من قبل الله مع أخيه موسى رداءً وناصرًا ووزيراً أن يقدم على صناعة صنم ويدعو لعبادته من دون الله! تعالى الله ورسله عن هذا الافتراء علواً كبيراً!

وعموماً، حدثت عدة أمور خلال فترة تيه بني إسرائيل في صحراء سيناء قصّها الله في كتابه:

"وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ\* وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ

١- ورد في العهد القديم، سفر العدد - إصحاح ١٧: ١ "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: ٢ «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخُذْ مِنْهُمْ عَصاً عَصاً لِكُلِّ بَيْتٍ أَبٍ مِنْ جَمِيعِ رُؤَسَائِهِمْ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ. ائْتِنِّي عَشْرَةَ عَصاً. وَأَسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَاهُ. ٣ وَأَسْمُ هَارُونَ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَا لَأَوِي، لِأَنَّ لِرَأْسِ بَيْتِ آبَائِهِمْ عَصاً وَاحِدَةً. ٤ وَضَعْنِي فِي خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ أَمَامَ الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمَعُ بِكُمْ. ٥ فَالرَّجُلُ الَّذِي أختَارُهُ تُفَرِّغُ عَصَاهُ، فَأَسْكُنُ عَنِّي تَذَمُّرَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْكُمَا». ٦ فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْطَاهُ جَمِيعُ رُؤَسَائِهِمْ عَصاً عَصاً لِكُلِّ رَئِيسٍ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ. ائْتِنِّي عَشْرَةَ عَصاً. وَعَصَا هَارُونَ بَيْنَ عَصِيهِمْ. ٧ فَوَضَعَ مُوسَى الْعَصِيَّ أَمَامَ الرَّبِّ فِي خِيَمَةِ الشَّهَادَةِ. ٨ وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خِيَمَةِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لَبِيتْ لَأَوِي قَدْ أَفْرَحَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوحاً وَأَزْهَرَتْ زَهْراً وَأَنْصَجَتْ لَوْزاً. ٩ فَأَخْرَجَ مُوسَى جَمِيعَ الْعَصِيِّ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَظَرُوا وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ. ١٠ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لِأَجْلِ الْحِفْظِ، عَلَامَةً لِبَنِي النَّمَرْدِ، فَتَكْفُ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لَا يَمُوتُوا». ١١ فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. كَذَلِكَ فَعَلَ».

٢- كتاب العجل، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - موسى عليه السلام المجاهد في سبيل الله.

لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ الْقَوْمُ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يُقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ" الأعراف: ١٤٨ - ١٥٢.

"قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ \* فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي \* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ \* أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا \* وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي \* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى \* قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي \* قَالَ يَبْنَؤُنِي قَوْلُكَ يَا سَامِرِيُّ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي \* قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ \* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي \* قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا \* إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا" طه: ٨٥ - ٩٨.

خلال سني التيه غاب موسى عليه السلام عن قومه أربعين يوماً؛ إذ ذهب لميقات ربه ومناجاته، واستخلف على بني إسرائيل أخاه الوصي هارون عليه السلام، وخلال هذه الفترة حصلت أحداث مهمة:

قال تعالى: "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونِ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ \* وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ

قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ \* قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ \* ..... وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ" الأعراف: ١٤٢ - ١٤٨.

منها: ما يتعلق بمعرفته ومقامه، مثل: طلب موسى الرؤية القلبية من الله: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ".

ومنها: ما يتعلق برسالته، مثل: نزول الألواح عليه المتضمنة للعقائد والوصايا والتعاليم: "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا"، وأيضاً: استخلاف هارون ليقوم مقامه في قومه: "وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ".

ومنها: ما يتعلق بقومه، مثل: إشعال السامري فتنة العجل: "وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عِجْلًا ..."، "... فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ".

### فتنة العجل:

القضية بدأت عند غيبة موسى عن قومه لميقات ربه؛ الغيبة التي كانت مدتها ٣٠ ليلة بحسب الظاهر، لكنها في علم الله تطول ٤٠ ليلة: "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَنٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً".

يقول السيد أحمد الحسن: (لم يكن سبحانه وتعالى يجهل أن الميقات أربعين ليلة، ولم يكن سبحانه وتعالى يكذب على موسى سبحانه وتعالى علواً كبيراً، وإنما واعده ثلاثين ليلة وكانت العشر التمام للأربعين معتمدة على أمر آخر لم يحدث بعد، كدعاء أو صدقة أو أي عمل يقوم به موسى عليه السلام، أو تقصير من جماعة بني إسرائيل يعاقبون عليه بغياب موسى عليه السلام عشريالي إضافية، ففي علم الله سبحانه أن موسى سيغيب

أربعين ليلة، لكن في لوح المحو والإثبات أن موسى سيغيب ثلاثين ليلة، فإن حصل الأمر الفلاني من موسى عليه السلام أو بني إسرائيل فإنه سيتمهما أربعين ليلة، قال تعالى: "يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" (الرعد: ٣٩.....) انتهى<sup>(١)</sup>.

مسألة تبدل التوقيت – كما نرى – لها صلة بإدراك أمر عقائدي يُعرف بـ "البداء"<sup>(٢)</sup>.

في هذه الليالي الأربعين التي غابها موسى عن قومه، استغل السامري الفرصة وقام بصياغة عجل من الحلي التي جمعها من قومه وأضاف لها حفنة من التراب الذي جمعه من أثر فرس الرسول (جبرئيل عليه السلام) يوم عبور البحر، ثم قال لقومه: هذا إلهكم وإله موسى فصداقه كثير منهم!

#### ١- كتاب العجل، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول – فتنة العجل.

٢- تقدم بيانه في الجزء الأول من كتاب الرسالة، وتوضيحه باختصار: وفق العقيدة الحقة التي نطق بها القرآن الكريم فيما يتعلق بعلم الله سبحانه، يوجد ما أسماه القرآن "اللوح المحفوظ" أو "أم الكتاب"، ويوجد أيضاً "لوح المحو والإثبات" أو "المتشابهات". أما على مستوى اللوح المحفوظ (وهو علم الله الذي تتصف به ذاته المقدسة) فهو علم ثابت والأمور فيه محددة ومشخصة بالدقة بلا أي تغير أو تبدل. نعم، التبدل والتغير ووجود عدة احتمالات إنما يكون على مستوى "لوح المحو والإثبات" بحكم المتغيرات التي تحصل في عالم الخلق ومنها أفعال العباد أنفسهم وسعيهم في عالم الامتحان، فمثلاً: يوجد عدة احتمالات لموت زيد أحدها: أنه يموت بعمر ٤٠ سنة، لكن إذا دعا الله وتصدق يضاف لعمره ١٠ سنوات أخرى فيموت بعمر ٥٠ سنة وهو الاحتمال الآخر لعمره، وهكذا يوجد ربما احتمالات أخرى مرهونة بشروط معينة، أو مثلاً: مقدّر له أن يمرض أو يسجن من قبل الظالم في يوم "كذا" لكنه إذا دعا الله وعمل عملاً صالحاً يدفع عنه المرض والسجن، وهكذا. فواضح أنّ التغير والتبدل إنما هو في العلم المتعلق بساحة وعالم الخلق وليس العلم الخاص بذات الله (العلم الذي تتصف به ذاته المقدسة). وهذه حقيقة بديهية وفطرية ويتعامل بها (عملياً) جميع المؤمنين بالله بمختلف مذاهبهم ودياناتهم وقد نطق بها القرآن، قال تعالى: "يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" (الرعد: ٣٩). وإلا فأين يحو الله ويثبت إن لم يكن في عالم الخلق! وأيضاً: الروايات المتواترة تؤكد هذه الحقيقة، بل وتؤكد سيرة المؤمنين بالله ورسله عموماً كما قلت، وإلا لماذا يسعى المهموم أو المريض أو الناس الذي يمرون بظروف سيئة عموماً في الدنيا إلى تبدل حالهم ووضعهم إذا كانت الأمور بعالم الخلق مرهونة سلفاً بخيار واحد لا تبدل فيه ولا تغير!

يقول السيد أحمد الحسن: (ومن علمه ما أظهره في عوالم الخلق ليطلع عليه من خلقه من شاء أن يطلعه عليه، وهذا هو لوح المحو والإثبات، وفيه لكل حادث احتمالات يعتمد حدوث كل واحد منها على العبد وما يحيط به، فعندما يحين حينها يحدث أحدها، ...) عقائد الإسلام: ١٨٣.

لم يكن السامري رجلاً عادياً كباقي أتباع موسى عليه السلام، بل كان يرى ما لا يراه غيره، فهو كان عالماً وناسكاً إلى درجة أنه كان يرى أثر جبرئيل<sup>(١)</sup>: "قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي"، وأيضاً: كان على مقدمة أصحاب موسى عند اللقاء بفرعون وجنوده، بل كان من خيار أصحابه<sup>(٢)</sup>؛ ولأنه لم يكن عادياً استطاع أن يستميل الكثير من الإسرائيليين لعبادة العجل!

"فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَازِفٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَى فَانْصَرَفُوا:"

من الذي نسي، وماذا نسي؟

يقول السيد أحمد الحسن: (ثم من الذي نسي؟ موسى عليه السلام، أي نسي إلهه هاهنا وذهب إلى الطور فيكون الكلام بلسان السامري. والحق إن هذا بعيد؛ لأن بني إسرائيل يعلمون أن موسى ذهب إلى الطور بأمر الله. إذن، فيكون الناسي هو السامري، أي ترك الإيمان الحقيقي والمعبود الحق، فيكون الكلام من الله سبحانه.

ثم ما الذي سَوَّلَ له نفسه؟ الحق، إن هذا هو أصل كل الفتنة، الهوى والأنا والشيطان وزخرف الدنيا، سَوَّلَ له نفسه الأمارة بالسوء أنه أفضل من هارون عليه السلام، وتمرد عليه ولم يطع أمره وتكبر، لقد سَوَّلَ له نفسه أنه عالم وعابد وناسك وربما مجاهد، وكشفت له بعض الأمور الغيبية، فهو أحق من هارون عليه السلام بقيادة بني إسرائيل في غيبة موسى عليه السلام، وحسد هارون وموسى عليهما السلام فأخذ

١- نصت الروايات على وجود أمين الوحي (جبرئيل عليه السلام) أثناء عملية عبور موسى عليه السلام وقومه البحر، وقد تقدم بعضها، حيث روي عن الإمام الصادق صلوات الله عليه قوله: (فلما صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، فتهب فرعون أن يدخل البحر، فمثل جبرئيل على ماديانة (أنى الغيل) وكان فرعون على فحل، فلما رأى قوم فرعون الماديانة أتبعوها، فدخلوا البحر فغرقوا، وأمر الله البحر فلفظ فرعون ميتاً حتى لا يظن أنه غائب وهو حي) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١٢٢/٢. ويبدو أن السامري كان قد كشف له ورأى أثر فرس جبرئيل وأخذ منه حفنة تراب استفاد منها عند صياغة العجل.

٢- في تفسير القمي: (... وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة، فكانت كلما وضعت حافرهما على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى ...) تفسير القمي: ٦١/٢ - ٦٣.

التكبر منه كل مأخذ، وتمكّن منه الهوى والأنا كل التمكن، وأرداه الشيطان في الهاوية وجعله يتكبر على الأنبياء العظام عليهم السلام كما تكبر هو على آدم عليه السلام، فاستفزه الشيطان ببدائه وأغواه بغوايته وأصابه بدائه، فنزلت الحجب على مرآة الروح لما اشترى الضلالة بالهدى، فلم يعد يرى: "وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" الاعراف: ١٩٨. ونسي الحقيقة والمعبود الحق الذي لا يرى بالأبصار ولا تدركه الأوهام، فعاد إلى أخس أنواع الشرك، إلى التشبيه. فأخرج ما انطوت عليه نفسه عجلًا جسداً له خوار، يكون فتنة يفرح بها قوم انطوت عليهما نفوسهم قبل ظهورها، وأشربوا العجل قبل صياغته، فكم اعترضوا على موسى وهارون عليهما السلام، وكم آذوا موسى عليه السلام: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" الصف: ٥.

كان كثير من بني إسرائيل يرون أنهم خير من موسى عليه السلام، أما هارون عليه السلام فلم يكن له وزن عند كثير منهم<sup>(١)</sup>، .... وهكذا كان السامري وعجله الجسد متنفساً لهؤلاء الفاسقين ليخرجوا ما انطوت عليه نفوسهم من بغض وحسد لموسى وهارون عليهما السلام، ولهارون بالذات؛ لأنّ القدح بشخصه والطنع بنبوته وقيادته أيسر؛ وذلك لأنّ لموسى عليه السلام مكانة كبيرة وهيبة عظيمة في نفوس كثير من بني إسرائيل لما ظهر على يديه من المعجزات. وهكذا استضعف هؤلاء المنافقين الذين اتبعوا السامري هارون عليه السلام والجماعة الذين رابطوا معه على الحق، وحاولوا قتل هارون عليه السلام، ولكنه تعامل مع الفتنة بحكمة الأنبياء، ثم تربص حتى عاد موسى عليه السلام، ونصره الله وأظهر حقه وحكم العقيدة الفاسدة وأظهر مكانها العقيدة الصحيحة، والحق الذي

---

١- تقدم استخفافهم بهارون عليه السلام واعتراضهم على خلافته لموسى عليه السلام في مسألة العصي التي ذكرها سفر العدد - إصحاح ١٧، وأيضاً: في سفر العدد - إصحاح ١٦: "١" وَأَخَذَ قُورَخُ بْنُ يَصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لَؤَيَ، وَدَاثَانُ وَأَبِيرَامُ ابْنَا أَلْيَافَ، وَأَوْنُ بْنُ قَالَتَ، بَنُورَ وَبَيْنَ، ٢ يُقَاوِمُونَ مُوسَى مَعَ أَنَاثَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَتَّبِعِينَ وَخَمْسِينَ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ مَدْعُوِينَ لِلْاجْتِمَاعِ ذَوِي اسْمٍ. ٣ فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: «كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهِا مُقَدَّسَةٌ فِي وَسْطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بِالْكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟» ٤ فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ. ٥ ثُمَّ كَلَّمَ قُورَخَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ قَائِلًا: «غَدًا يَغْلِبُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنْ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرَّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرَّبُهُ إِلَيْهِ». وأيضاً: سفر العدد - إصحاح ٢١: "٤" وَارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفَ لِيَذُورُوا بِأَرْضِ أَدُومَ، فَضَاقَتْ نَفْسُ الشَّعْبِ فِي الطَّرِيقِ. ٥ وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لَأَنَّهُ لَا خُبْرَ وَلَا مَاءَ، وَقَدْ كَرِهْتَ أَنْفُسَنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ».

يريده الله: "وَ انْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا \* إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" طه: ٩٧ - ٩٨ ) انتهى (١).

النصوص أشارت إلى مجموعة من الأمور التي تخص فتنة السامري لعنه الله، منها:

١- ابتدأت بذرة تجسيد إله لدى قوم موسى بعد عبورهم البحر؛ إذ مرّوا بقوم يعبدون آلهة (أصنام) فطلبوا من موسى عليه السلام أن يكون لهم آلهة كهؤلاء (٢)!

٢- إنّ الله سبحانه لما علم منهم الفتنة وتوقعهم إلى الضلال تركهم لأنفسهم وأعطاهم مرادهم (٣).

٣- واعد موسى عليه السلام قومه ثلاثين يوماً، فلما زاد عليها عشرًا قالوا: أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا (٤)!

١- كتاب العجل، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - فتنة العجل.

٢- (عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ..... ثم إنّ الله تعالى أمر موسى أن يرجع ببني إسرائيل إلى الشام، فلما قطع البحر بهم مرّ على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة؟ قال: إنكم قوم تجهلون، ثم ورث بنو إسرائيل ديارهم وأموالهم، فكان الرجل يدور على دور كثيرة ويدور على النساء) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٥٩.

٣- في تفسير القمي: (فقال موسى عليه السلام: يا رب العجل من السامري فالخوار ممن؟ فقال: مني، يا موسى إني لما رأيتهم قد ولّوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٦٢.

وأيضاً: روي عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (إن فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن قال: يا رب هذا السامري صنع العجل الخوار من صنعه؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: أن تلك من فتنتي، فلا تفصح عنها) المحاسن، البرقي: ١ / ٢٨٤.

٤- (عن الفضل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقتون، كذب الوقتون، كذب الوقتون، إن موسى عليه السلام لما خرج و افداً إلى ربه، واعدهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشرًا، قال قومه: قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم [به] فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله توجروا مرتين) الكافي، الكليني: ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩.



٤- أعلم الله رسوله موسى وهو في الميقات بالفتنة التي حلت بقومه، ولما رجع إليهم وبيده الألواح ورأى حالهم ألقى الألواح من يده وتكسرت، ثم عمد إلى العجل فبرده وأحرقه وذره في البحر<sup>(١)</sup>.

٥- بالرغم من وضوح حال بني إسرائيل وكثرة تمردهم على الأوامر الإلهية كما لاحظنا بعض موافقهم فيما سبق، وبالرغم من طهارة هارون وشدة طاعته لله ورسوله، إلا أنهم تعمدوا تحريف التوراة بعد وفاة موسى عليه السلام ونسبوا فتنة صناعة العجل إلى الوصي هارون (وحاشاه)؛ حسداً لما اختصه الله به من فضل وطهر، وتبريراً أو تخفيفاً من وطأة العار الذي لطخوا به وجوههم<sup>(٢)</sup>!

١- (عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله "وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم"، قال: لما نأى موسى عليه السلام ربه أوحى الله إليه أن يا موسى قد فتنت قومك قال وبماذا يا رب؟ قال: بالسامري، قال: وما فعل السامري؟ قال: صاغ لهم من حلهم عجلاً، قال: يا رب إن حلهم لتحتمل أن يصاغ منه غزال أو تمثال أو عجل فكيف فتنتهم؟ قال: انه صاغ لهم عجلاً فخار، قال: يا رب ومن أخاره؟ قال: أنا، فقال عندها موسى: "ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء" قال: فلما انتهى موسى إلى قومه ورأهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فتكسرت. فقال أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند إخبار الله إياه، قال: فعمد موسى فبرد العجل من أنفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنار، فذره في اليم، قال: فكان أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرض بذلك للرماد فيشربه، وهو قول الله: "وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم" تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ٥١.

وروى الطبري بسنده: (عن السدي: لما رجع موسى إلى قومه أخذ العجل الذي وجدته عاكفين عليه فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذ يجري إلا وقع فيه شيء منه. ثم قال لهم موسى: اشربوا منه فاشربوا منه ...) جامع البيان: ١ / ٥٩٤.

٢- هذا نص (محرّف) من العهد القديم (سفر الخروج - إصحاح ٣٢) ينسب فيه اليهود عبادة العجل إلى الوصي هارون (وحاشاه): "١ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزَوُّلِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ٢ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَتُونِي بِهَا». ٣ فَتَزَعَّ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ٤ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عَجْلاً مُسَبُّوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ إِلَهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». ٥ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». ٦ فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرِقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبَادَةِ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَذْهَبِ انْزِلْ. لِأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ».

٦- لما عبد غالبية الإسرئيليين العجل جعل الله توبتهم بقتل أنفسهم، ولما كثرت القتل فيهم توسل بعضهم بالرسول محمد وآله إلى الله ليغفر لهم ذنوبهم، فنودي موسى أن يكفوا عن القتل<sup>(١)</sup>! وأيضاً: روي أن موسى لم يقتل السامري بسبب سخائه<sup>(٢)</sup>!

٧- شبيه بموقف السامري (العالم غير العامل) في الضلال، موقف بلعم بن باعوراء:

"وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الأعراف: ١٧٦.

"آتيناه آياتنا فانسلخ منها": روي أن بلعم كان عنده الاسم الأعظم، يستجاب له إذا دعا به، فطلب منه أحد الفراعنة الطواغيت (غير فرعون مصر) أن يخرج ويدعو على موسى ومن آمن به، فاستجاب له وخرج بحمارته يدعو على رسول الله موسى، ولما أبت

١- (عن الحسن بن علي صلوات الله عليه في قوله تعالى جل ذكره: "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل" قال: كان موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم اتيتكم بكتاب من عند ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله فلما فرج الله عنهم أمره الله أن يأتي الميعاد، وأوحى إليه أن يعطيه الكتاب بعد أربعين فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني إسرائيل، فقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم عند أربعين، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمت أربعين أخطأ موسى، وأراد ربكم أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه، فأظهر العجل الذي عمله، فقالوا له: كيف يكون العجل إلهاً؟ قال: إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما تكلم موسى من الشجرة ففضلوا بذلك، فنصب السامري عجلاً مؤخره إلى حائط، وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه بعض مردته، فهو الذي يضع فاه على دبره ويكلم بما تكلم لما قال: هذا إليكم وإله موسى. ثم إن الله تعالى أبطل تمويه السامري وأمر الله أن يقتل من لم يعبد من عبده فاستسلم المقتولون وقال القاتلون: نحن أعظم مصيبة منهم نقتل بأيدينا آبائنا وأبناءنا وإخواننا وقراباتنا، فلما استمر القتل فيهم ستمائة ألف الا اثني عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل، فوقف الله بعضهم فقال لبعض، أليس الله قد جعل التوسل بمحمد وآله أمراً لا يخيب معه طالبيه وهكذا توسلت الأنبياء والرسل، فما بالنا لا نتوسل فضجوا يا ربنا بجاه محمد الأكرم، وبجاه علي الأفضل الأعلم، وبجاه فاطمة الفضلى، وبجاه الحسن والحسين، وبجاه الذرية الطيبين من آل طه وآل ياسين، لما غفرت لنا ذنوبنا وغفرت هفواتنا وأزلت هذا القتل عنا، فنودي موسى عليه السلام كف عن القتل) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٧٣ - ١٧٤.

٢- (علي بن إبراهيم رفعه قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن لا تقتل السامري فإنه سخي) الكافي، الكليني: ٤ / ٤١.

عليه صاريضربها حتى ماتت فانسلخ منه الاسم الأعظم<sup>(١)</sup>، وشبهه الله سبحانه حاله بحال الكلب الذي يلهث وراء الدنيا، كل ذلك حسداً لموسى عليه السلام!

يقول السيد أحمد الحسن: (إذن، فهذا عالم واطلع على بعض الغيب، فهو على يقين، ولكن يقينه لم ينفعه بشيء؛ لأنّه ركن للحاكم الجائر وأحب العلو والارتفاع، ولم يكن مخلصاً لله حيث انطوت نفسه على التكبر وحب الأنا والحسد لأولياء الله المصطفين!! ولما تعرض لهذا الامتحان الإلهي انسلخ من آيات الله وأعرض عنها، وأظهر باطنه الأسود وظهرت حقيقته (كلب يلهث وراء الدنيا)، لكنه تسربل بلباس العالم العابد العامل لله. وهكذا أغواه الشيطان وأرداه فكان تابعاً مخلصاً له، بعد أن اقتفى أثره واتبعه، حيث كان الشيطان يعلم علم اليقين ومع ذلك تكبر على آدم عليه السلام وتمرد على الله، وكذلك هذا اللعين فمع علمه ويقينه حسد موسى عليه السلام ودعا عليه، بدل أن ينظم تحت لوائه ويكون تابعاً له، وهكذا كان العلم لبلعم بن باعوراء سبباً للتكبر وحسد موسى عليه السلام! فجعل بلعم بن باعوراء العلم نقمة أردته في الهاوية، مع أنّه رحمة يصل العاملون بها إلى الله) انتهى<sup>(٢)</sup>.

نصوص التوراة (سفر العدد - إصحاح ٢٢، ٢٣، ٢٤) تعرضت لقصة بلعم بن باعوراء المعروف باستجابة الدعاء، وذكرت أنّ الملك الظالم "بالاق بن صفور" طلب منه الخروج والدعاء على موسى وقومه عند اقترابهم من أرضه أثناء مسيرهم نحو الأرض المقدسة، وذكرت تفاصيل مثل: أنّ الله في البداية نهاه عن الخروج ثم بعد أن أرسل له الملك رسل وأموال وافق (بحسب النص التوراتي) بزعم أنّ الله إذن له لكن في نفس الوقت (وبحسب النص أيضاً) حيي عليه غضبه؛ لأنه انطلق معهم!

١- (عن أبي الحسن الرضا عليه السلام انه أعطي بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيستجاب له فمال إلى فرعون. فلما مَرَّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادعوا الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا فركب حمارته ليمر في طلب موسى وأصحابه فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عز وجل فقالت: ويلك علي ما تضربني أتريد أحيي معك لتدعوا على موسى نبي الله وقوم مؤمنين، فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢٤٨/١.

٢- كتاب العجل، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول - شبيهه السامري.

١٠. فَقَالَ بَلْعَامُ لِلَّهِ: «بِالْأَقْبَحِ بَنُ صِفُورَ مَلِكُ مُوَابَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيَّ يَقُولُ: ١١ هُوَذَا الشَّعْبُ الْخَارِجُ مِنْ مِصْرَ قَدْ غَشَى وَجْهَ الْأَرْضِ. تَعَالِ الْآنَ الْعَنَ لِي يَا هُ، لَعَلِّي أَقْدِرُ أَنْ أُحَارِبَهُ وَأَطْرُدَهُ». ١٢ فَقَالَ اللَّهُ لِبَلْعَامَ: «لَا تَذْهَبَ مَعَهُمْ وَلَا تَلْعَنِ الشَّعْبَ، لِأَنَّهُ مُبَارَكٌ». ..... ٢٠ فَأَتَى اللَّهُ إِلَى بَلْعَامَ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَتَى الرَّجَالُ لِيَدْعُوكَ فَقُمْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ، إِنَّمَا تَعْمَلُ الْأَمْرَ الَّذِي أُكَلِّمُكَ بِهِ فَقَطْ». ٢١ فَقَامَ بَلْعَامُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى أَتَانِهِ وَانْطَلَقَ مَعَ رُؤَسَاءِ مُوَابَ. ٢٢ فَحَمِيَ غَضَبُ اللَّهِ لِأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ، وَوَقَفَ مَلَاكُ الرَّبِّ فِي الطَّرِيقِ لِيَقَاوِمَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى أَتَانِهِ وَغَلَامَاهُ مَعَهُ ٢٣ فَأَبْصَرَتِ الْأَتَانُ مَلَاكُ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيِّفُهُ مَسْلُورٌ فِي يَدِهِ، فَمَالَتِ الْأَتَانُ عَنِ الطَّرِيقِ وَمَشَتْ فِي الْحَقْلِ. فَضَرَبَ بَلْعَامُ الْأَتَانُ لِيُرْزِهَا إِلَى الطَّرِيقِ ..... "سفر العدد - إصحاح ٢٢.

لكن يد التحريف الأثيمة امتدت هنا مرة أخرى لتصور خاتمة هذا العالم الضال بالامتناع عن اللعن والدعاء على موسى وقومه! ومع هذا لم يتمكن المحرفون من إخفاء سوء عاقبة هذا العالم الضال؛ حيث عُدَّ من بين من قتلهم قوم موسى بالسيف مع الوثنيين، بل اعتبره موسى المحرض الحقيقي الذي دفع الملك بالاق على إرسال النساء لإغواء الرجال وكان السبب في وقوع الوباء الذي قتل آلاف الإسرائيليين<sup>(١)</sup>.

٨- يلحق بالسامري وبلعم وما أنزلاه بموسى من أذى، قارون أيضاً:

"إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ

١- (سفر العدد - إصحاح ٣١): "١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «إِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تَضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ». ٣ فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلًا: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالًا لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ. ٤ أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ». ..... ٧ فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. ٨ وَمَلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلَاهُمْ: أَوِي وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَاقِمَ. خَمْسَةَ مَلُوكٍ مِدْيَانَ. وَبَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. ٩ وَسَيَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَهَبَّيُوا جَمِيعَ بَنَائِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلَاقِهِمْ. ..... ١٤ فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وَكَلَاءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الْأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِائَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. ١٥ وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أَنْثَى حَيَّةً؟ ١٦ إِنْ هَؤُلَاءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامِ، سَبَّبَ حَيَاتَهُ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَعُورٍ، فَكَانَ الْوَبَاءُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ".

فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ \* فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُ اللَّهُ بِسُوءِ الرَّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَفِّرُ اللَّهُ لَكُمُ الْكَافِرُونَ" القصص: ٧٦ - ٨٢.

بحسب بعض النصوص: فإن قارون كان ابن عم موسى، لكن الحسد (داء إبليس و ابن آدم القديم) دعاه إلى تفضيل نفسه على موسى والقول له: "أنا خير منك"، تماماً كما قال إبليس لأدم عليه السلام، بل كان يسعى لتشويه صورة موسى لدى قومه بخبث فظيع، لكن شاء الله أن يفضح مكره ويكون الحسد والتكبر سبباً بالتعجيل في هلاكه<sup>(١)</sup>.

نصوص التوراة ذكرت قصة قارون "قورح" بن يصهار من سبط لاوي؛ أي: إنه ابن عم موسى وهارون، وأوضحت هلاكه بالخسف أيضاً<sup>(٢)</sup>.

---

١- (أمر موسى عليه السلام قارون أن يعلق في ردائه خيوطاً خضراً، فلم يطعه واستكبر وقال: انما يفعل ذلك الأرباب بعبيدهم كيما يتميزوا، وخرج على موسى في زينته على بغلة شهباء، ومعه أربعة آلاف مقاتل وثلاثمائة وصيفه عليهن الحلي، وقال لموسى: أنا خير منك، فلما رأى ذلك موسى قال لقارون: أبرز بنا فادع علي وأدعوك عليك - وكان ابن عم لموسى عليه السلام لحا - فامر الأرض فأخذت قارون إلى ركبتيه، فقال: أنشدك الله والرحم يا موسى، فابتلعت الأرض وخسفت به وبداره.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان قارون ابن عم موسى عليه السلام وكانت في زمان موسى امرأة بغي لها جمال وهيئة، فقال لها قارون: أعطيك مائه ألف درهم وتجيئين غداً إلى موسى وهو جالس عند بني إسرائيل يتلو عليهم التوراة فتقولين: معشر بني إسرائيل ان موسى دعاني إلى نفسه فأخذت منه مائه ألف درهم، فلما أصبحت جاءت المرأة البغي فقامت على رؤوسهم وكان قارون حضر في زينته فقالت المرأة: يا موسى إن قارون أعطاني مائة ألف درهم على أن أقول بين بني إسرائيل على رؤوس الأشهاد إنك دعوتني إلى نفسك ومعاذ الله أن تكون دعوتي، لقد أكرمك الله عن ذلك فقال موسى للأرض: خذيه فأخذته وابتلعتته) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٧٣.

٢- انظر: سفر العدد - إصحاح ١٦.

٩- تنبيه: لم يكن ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه الذي تحدثنا عنه (الأربعين ليلة) هو الوحيد، وإنما كان لموسى أكثر من مناجاة مع ربه على جبل الطور، حتى إنه في بعضها بقي ثلاثة أيام ما أكل فيها شيئاً ولا شرب، ولأنه تذوق حلاوة المناجاة وسماع كلام ربه صار يمتقت كلام بني إسرائيل لما يسمعه (١)!

### استخلاف موسى لهارون في غيبته:

في فترة غيابه (الأربعين ليلة)، استخلف موسى أخاه هارون على قومه: "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمٍّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" الأعراف: ١٤٢.

وفي التوراة: "١٢ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَابَةِ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ». ١٣ فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللَّهِ. ١٤ وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَقَالَ لَهُمْ: «اجْلِسُوا لَنَا هَهُنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكُمْ. وَهُوَذَا هَارُونُ وَخُورُ مَعَكُمْ. فَمَنْ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَى فَلْيَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمَا». ١٨ ..... وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسْطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" سفر الخروج - إصحاح ٢٤.

استخلاف موسى لأخيه هارون على قومه في فترة غيابه عنهم لميقات ربه يعزز أمر وصاية هارون لموسى عليهما السلام، فدائماً ما يعتمد الرسل إلى استخلاف أوصيائهم عند عروض مهام إلهية لهم تستوجب غيابهم عن أقوامهم، وهو الأمر الذي فعله الرسول محمد صلى الله عليه وآله عند غيابه عن قومه في غزوة تبوك: إذ استخلف على المدينة وصيه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ليقوم مقامه فيهم.

١- (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل ناجى موسى بن عمران عليه السلام بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام ولياليهن، ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عز وجل) الخصال، الصدوق: ص ٦٤١ - ٦٤٢.

وبالرغم من أن وصاية هارون لموسى أمر يريده الله وسعى موسى لتوطيده، لكن كثيراً من الإسرائيليين كانوا يستخفون بهارون ويرون أنفسهم أفضل منه وأنهم أولى بقيادة بني إسرائيل منه كالسامري مثلاً، ولهذا لما وقف هارون عليه السلام والقتلة التي معه ضد السامري والأغلبية التي كانت معه في عبادتهم العجل ولما نهاهم هارون ونصحهم بترك ذلك، آذوه واستضعفوه وكادوا أن يقتلوه، ما اضطره إلى الصبر وعدم تصعيد المواجهة وانتظار رجوع موسى عليه السلام من ميقات ربه!

- "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي \* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى \* قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي \* قَالَ يَبْنَؤُنِّي أَمْ لَا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي" طه: ٩٠ - ٩٤.

- "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَفْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِثْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" الأعراف: ١٥٠ - ١٥١.

بعض المفسرين شبهوا فعل موسى "وأخذ برأس أخيه يجره إليه" بما يفعله الرجل بنفسه من قبضه على لحيته وعضبه على شفته أو إبهامه عند التأسف والألم، وذكروا احتمال أن يكون هناك عادة جائزة في ذلك الوقت تتمثل بأن الإنسان إذا أراد أن يعاتب شخصاً جرّه من لحيته ولا يعتبر فعله إهانة ثم تغيرت العادة! وبعضهم - حفظاً لعصمة الأنبياء - طرح من بين الاحتمالات: أن يكون موسى جرّ هارون إليه ليناجيه ويستفهم منه حال قومه (١).

١- انظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥٤٨/٤؛ مجمع البيان، الطبرسي: ٣٦٤/٤؛ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨/ ٢٥٠ - ٢٥٢؛ أحكام القرآن، الجصاص: ٤٦/٣؛ تفسير الرازي، الفخر الرازي: ١٥/ ١١؛ تفسير القرطبي: ٢٨٩/٧.

وأيضاً: صرّح البعض بأن موسى جرّأخاه هارون من شعر رأسه أو ذقنه <sup>(١)</sup>، أو أنّ ما فعله موسى بأخيه هارون وإلقاء الألواح لو كان فعله غيره لكان ملوماً لكنه من موسى غيرة لله فلا لوم عليه <sup>(٢)</sup>! أو أنّ موسى عليه السلام جرّأخاه ظناً منه أنه كان مقصراً في معالجة الفتنة <sup>(٣)</sup>!

**أقول:** لا شك، أنّ تناولهم للمسألة كان من خلال طرح احتمالات تتماشى مع ظاهر النص القرآني: "وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ"، "قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي"، وكذا في مسألة الظن بتقصير هارون (وحاشاه) حيث إنّ القائل استند لظاهر الآية التي قصّت قول موسى لأخيه: "مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي!"

لكن الصحيح، إنّ فهم ما فعله موسى صلوات الله عليه عند رجوعه من الميقات ورؤيته ضلال قومه يمكننا إدراكه إذا ما عرفنا أمرين:

**الأول:** إدراكنا لحقيقة أنّ القرآن كتاب سماوي مرمّز في كثير من آياته وألفاظه التي تشير إلى حقائق علوية، كما في الآيات التي قصّت رؤيا ملك مصر حيث أولّت "البقرة" فيها بـ "السنة"، وكما أنّ "الشمس، القمر، الكواكب" في رؤيا يوسف أولّت بـ "يعقوب وراحيل وإخوة يوسف" كما عرفنا سابقاً، فكذاك يمكن أن يؤوّل "شعر الرأس" و"اللحية" في مسألتنا بالأفكار والدين. وأيضاً: يمكن أن يكون لقول موسى لهارون: "أف عصيت أمري" غاية وهدف يركّز وصاية هارون وحكمته في معالجة الأمور بشكل أكبر لدى بني إسرائيل!

يقول: السيد أحمد الحسن: (هارون عليه السلام نبي ووصي موسى عليه السلام، وكلاهما معصوم. فأما غضب موسى عليه السلام فكان على قومه الذين ضلّوا واتبعوا السامري، ولم يكن غاضباً على من بقي على الحق مع هارون عليه السلام.

١- انظر مثلاً: تفسير السمعاني: ٢ / ٢١٧؛ تفسير البيضاوي: ٣ / ٣٥؛ تفسير القرطبي: ٧ / ٢٨٩؛ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ٢٥٠.

٢- انظر مثلاً: تفسير السلي: ١ / ٢٤٤.

٣- انظر مثلاً: تفسير الألوسي: ٩ / ٨٥؛ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي: ٥ / ٣٨٣.



أما الآية: "وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ"، والآية: "قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي \* قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي"، فالرأس في كلتي الآيتين يعني الأفكار، واللحية تعني الدين والتقوى، فأخذ موسى عليه السلام برأس ولحية هارون يعني مناقشته وسؤاله عن طريقته في معالجة هذه الفتنة، وأراد موسى عليه السلام أن يبين لبني إسرائيل أن معالجة هارون عليه السلام للفتنة في تلك المرحلة صحيحة؛ لأنه استخدم التقية: "إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي" حتى يرجع موسى عليه السلام، فيكون الحل باستئصال جذور الفتنة والقضاء على السامري إمام الضلالة.

وطبعاً، التقية هنا ليست تراجعاً سلبياً عن المواجهة، بل تراجع إيجابي حيث قدّر هارون أن عودة موسى عليه السلام قريبة جداً، لن تجوز الأيام، كما أن مواجهة الضالين مع وجود موسى عليه السلام ستكون بخسائر أقل؛ لأن كثيراً من أتباع السامري سيتركون ضلالتهم، لأنهم يعتقدون بموسى عليه السلام: "إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ".

ومع هذا البيان على رؤوس الأشهاد من موسى عليه السلام عندما ناقش هارون عليه السلام، فإن اليهود يهتمون إلى اليوم هارون عليه السلام بأنه سبب عبادة القوم للعجل، وفي التوراة الموجودة نصوص محرّفة تشير إلى هذا المعنى الباطل) انتهى (١).

**الثاني:** إدراكنا لملازمات الحادثة وما يتصل بها من أمور؛ إذ ما لم نعرف ما هي الألواح، وماذا كان فيها، ولماذا ألقاها موسى ... إلخ، لا يمكننا إدراك سر الشدة وعمق

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٥١. وهذا نص (محرّف) من العهد القديم (سفر الخروج - إصحاح ٣٢) ينسب فيه اليهود عبادة العجل إلى الوصي هارون (وحاشاه): "١ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزَوُّلِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «فَمَا اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى ابْنُطَّا فِي الْأَيِّ أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». ٢ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: «انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَتُونِي بِهَا». ٣ فَتَرَغَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ٤ فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكَا. فَقَالُوا: «هَذِهِ إِلَهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ».....".

الأسف والغضب الذي اتسم به موقف موسى الكليم بصريح النص القرآني، وهو ما سيتضح لنا في البحث الآتي: "ألواح موسى وصحفه".

وفيما يخص موضوعنا الآن، بقي أن نعرف أمرين مهمين:

١- حكمة هارون عليه السلام لم تظهر فقط في معالجة فتنة السامري وحسب، ولكن أيضاً في قوله لأخيه موسى: "يا ابن أم..."<sup>(١)</sup>.

٢- في إحدى مرات ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه، ذهب وبرفقته سبعين شخصاً اختارهم ليشهدوا له عند قومه بعد رجوعهم إليهم أن الله يكلمه؛ إذ لم يكن كثير من قومه يصدقونه في ذلك، ولكن بعد ذهابهم معه اشتراطوا عليه أن يريهم الله جهرة، فأخذتهم الرجفة والصاعقة (العذاب) وتبين لموسى أنهم فاسقون:

- "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ" الأعراف: ١٥٥.

- "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا" النساء: ١٥٣.

١- (عن علي بن سالم، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن هارون لم قال لموسى عليه السلام: يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ولم يقل يا بن أبي؟ فقال: إن العداوة بين الإخوة أكثر ما تكون إذا كانوا بني علات، ومتى كانوا بني أم قلت العداوة إلا أن يتزع الشيطان بينهم فيطيعوه، فقال هارون لأخيه: يا أخي الذي ولدته أمي، ولم تلدني غير أمي، لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل يا بن أبي؛ لأن بني الأب إذا كانت أمهاتهم شتى لم تستبعد العداوة بينهم إلا من عصمه الله منهم، وإنما تستبعد العداوة بين بني أم واحدة) علل الشرائع، الصدوق: ٦٨ / ١.

وذكر الطبري وجهاً في بيان قول هارون: "يا ابن أم"، قال: (وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: يا ابن أم، ولم يقل: يا ابن أبي، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعظافاً له على نفسه برحم الأم) جامع البيان: ٩٢ / ٩.

وبحسب نصوص التوراة، فإنّ اختيار موسى لسبعين رجلاً من قومه لميقات ربه أمر قد حصل بالفعل، لكن النص التوراتي لم يذكر طلبهم منه أن يرهم الله جبهة ويتبع ذلك لم يذكر الرجفة التي حلت بهم، وإنما صوّر المشهد وكأنه تكريم لهم<sup>(١)</sup> وبالتأكيد، هو من التحريف الذي حصل بعد موسى عليه السلام لتجميل صور بعض كهنتهم وشيوخهم الضالين.

ومسألة عدم قدرة الإنسان (لو ترك وحده) على تقييم البشر بصورة صائبة دائماً يكاد يكون أمراً بديهياً؛ لتوقفه على الإحاطة بالبوطن والنوايا في الحال والمستقبل، وهي أمور غير متاحة للإنسان إلا بتعليم من الله حتماً، ولهذا لم يترك الله سبحانه اختيار حججه ورسله بيد الناس:

عن الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في جوابه لابن الكواء اليشكري: (ويلك تعلم أنّ الله عز وجل قال في كتابه: "واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا" فانطلق بهم معه ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملاء من بني إسرائيل أنّ ربي قد كلمني فلو أنهم سلّموا ذلك له وصدّقوا به لكان خيراً لهم ولكنهم قالوا لموسى عليه السلام لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة قال الله عز وجل: "فأخذتهم الصاعقة" يعني الموت ...) (٢).

وهذا برهان واضح على بطلان تدخل اختيار الناس في مسألة تنصيب الإمام الحق، فإذا كان موسى وهو رسول من أولي العزم اختار من قومه خيارهم ليشهدوا له عند بقية قومه ويزيلوا عنهم الشبهة التي علقّت بأذهانهم، فتبين له لاحقاً خبثهم وفسقهم بإصرارهم على أن يرهم الله جبهة، فما بالك بغير موسى؟! ومن منهم لديه إخلاص موسى وطهره<sup>(٣)</sup>؟!

١- انظر: سفر الخروج – إصحاح ٢٤.

٢- مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي: ٢٣.

٣- سعد بن عبد الله القمي الأشعري في أسئلته للإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه: (..... فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟ قال: مصلح أو مفسد؟ فقلت: مصلح. قال: هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد. قلت: بلى. قال: فهي العلة أيدها لك برهان يقبل ذلك عقلك. قلت: نعم. قال: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالوحي والعصمة، إذ هم أعلام الأمم. فأهدى إلى ثبت الاختيار ومنهم موسى وعيسى هل يجوز

## ألواح موسى:

قال تعالى: "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ" الأعراف: ١٤٥.

"١٨ ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَغِهِ مِنَ الْكَلَامِ مَعَهُ فِي جَبَلٍ سَيْنَاءَ لَوْحِي الشَّهَادَةِ: لَوْحِي حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللَّهِ" سفر الخروج - إصحاح ٣١.

ونحن حتى نتضح لنا حقيقة الألواح وما يتصل بها يمكننا أن نتناول الموضوع من خلال طرح عدة أسئلة وتحري أجوبتها:

### ١- هل الألواح والصحف شيء واحد؟

كما ورد النص القرآني بمجيء موسى عليه السلام بالألواح، ورد النص أيضاً بأن لديه صحفاً، قال تعالى: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" الأعلى: ١٨ - ١٩.

والسؤال: هل الألواح والصحف شيء واحد أم شيئان مختلفان؟

يقول السيد أحمد الحسن: (هي شيء واحد من جهة كونها رسالة موسى التي بلغها لقومه، لكن كل واحد منهما في وقت محدد ويشمل أموراً مختلفة).

أهمية الألواح ليست في كونها شيئاً آخر غير الصحف، فالأئمة عليهم السلام سنلوا عن الألواح والصحف هل هما شيء مختلف؟ فأجابوا: لا، لكن أهميتها في كونها تحمل

---

مع وفور عقليهما وكمال علمهما إذ هما على المناق بالاختيار أن يقع خبرتهما، وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت: لا. قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكريه لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم. فوقع خبرته على المنافقين. قال الله عز وجل: "واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا، الآية" فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعا على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر، وينصرف عنه السرائر. وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح) الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤: كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٦١ - ٤٦٢.

توحيد الله، والله سبحانه يعلم بحال البشر وما فيهم من شياطين يحرفون العقائد وخصوصاً التوحيد) انتهى<sup>(١)</sup>.

ولأن الألواح والصحف شيء واحد من جهة كونهما رسالة موسى كما عرفنا، أجاب الأئمة عليهم السلام بعض أصحابهم بأن الألواح هي الصحف<sup>(٢)</sup>، وإلا فهما (من حيث الموضوع والتوقيت) مختلفان، فمثلاً: المروي عن الصحف أنها كانت مواظ وعبراً<sup>(٣)</sup>، بينما موضوع "الألواح" أهم وأخطر؛ لأنها تُعنى بالعقيدة، بل أهم شيء فيها وهو "توحيد الله" وما يتصل به بشكل وثيق، ولهذا ورد أن فيها كل شيء وما هو كائن إلى قيام الساعة وقد استودعها موسى عند وفاته وصارت تتوارث<sup>(٤)</sup>.

الاختلاف بين الألواح والصحف لا يقف عند الموضوع وحسب، ولكن يمتد أيضاً ليشمل شروط وكيفية كتابة كل منهما، وسيوضح أن كتابة الألواح أراد الله لها أن تكون بيد موسى حصراً وعلى الجبل تحديداً وبعد أربعين يوماً من الصوم والعبادة والانقطاع لله، ليتضح للجميع أن ما فيها مقدساً ولا يدانيه في الأهمية شيء آخر، بينما مثل تلك الشروط لم تؤخذ في الصحف.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- (عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي يا أبا محمد إن الله لم يعط الأنبياء شيئاً الا وقد أعطى محمداً صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء وعندنا الصحف التي قال الله صحف إبراهيم وموسى، قلت: جعلت فداك وهي الألواح؟ قال: نعم) بصائر الدرجات، الصفار: ١٥٦.

٣- عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله (قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلها، وفيها: عجب لمن أيقن بالنار ثم ضحك، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أبصر الدنيا وتقلبها بأهلها حالاً بعد حال ثم هو يطمئن إليها، عجب لمن أيقن بالحساب ثم لم يعمل! قلت: يا رسول الله، فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام مما أنزل الله عليك؟ قال: اقرأ يا أبا ذر "قد أفلح من تزيى \* وذكر أسم ربه فصلى \* بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والآخره خير وأبقى \* إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى") الأمالي، الطوسي: ص ٥٤٠ - ٥٤١؛ الخصال، الصدوق: ٥٢٤ - ٥٢٥.

٤- (عن الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في الجفر: إن الله تبارك وتعالى لما أنزل ألواح موسى عليه السلام أنزلها عليه وتبيان كل شيء وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فلما انقضت أيام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح .....) بصائر الدرجات، الصفار: ٢٢٥.

## ٢- ماذا كان في الألواح ومَن كتبها؟

قيمة الألواح رفيعة بحكم قيمة موضوعها وأهميته، ومن جهة أخرى: موسى عليه السلام هو الكاتب لها بنفسه، وقد نسب الله كتابة موسى إليه: "وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ".

ونظراً لأهميتها، ولأنها أثر من آثار موسى عليه السلام فقد حُفظت في صندوق خاص "تابوت"، واعتنى بها بنو إسرائيل بعد موسى عناية خاصة وكانوا يتبركون بها ويحملونها في بعض مناسباتهم:

يقول السيد أحمد الحسن: (الألواح وأيضاً تسمى ألواح العهد كانت فيها وصايا إلهية عقائدية تخص التوحيد، لهذا كانت مقدسة عندهم، وكانت توضع في صندوق سمي بتابوت العهد أو تابوت السكينة، ويحملونها بعض الأحيان معهم وفي احتفالاتهم ومناسباتهم المهمة بعد موسى عليه السلام.

هي ألواح حجرية نحتها وكتب عليها موسى ما أوصاه الله سبحانه من عقائد التوحيد بيده، فكانوا يتبركون بها ويهتمون بها؛ باعتبارها آثار موسى وهارون، وأيضاً: باعتبارها وصايا الله بخصوص التوحيد) انتهى<sup>(١)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم في بعض آياته إلى مضمون ما في الألواح:

يقول السيد أحمد الحسن: (هذه الآيات من القرآن تشير إلى النص الذي جاء به موسى بالألواح:

"قُلْ تَعَالَوْا أَنَا ذُنُوبٌ قَاتِلٌ وَأَنَا خَشِيْتُ الْإِنَّمَانِ بِمَا أَتَيْتُ بِكُم مِّنْ آيَاتِهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (١٢٠) مائدة

"قُلْ تَعَالَوْا أَنَا ذُنُوبٌ قَاتِلٌ وَأَنَا خَشِيْتُ الْإِنَّمَانِ بِمَا أَتَيْتُ بِكُم مِّنْ آيَاتِهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (١٢٠) مائدة

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" الأنعام: ١٥١ - ١٥٣.

بالطبع، القرآن لم ينقل ما في الألواح نصاً أو لفظاً، ولكن حقيقتها ومعناها واحد،  
فكما ذكرت سابقاً<sup>(١)</sup>: القرآن اللفظي يناسب روح ونفس محمد صلى الله عليه وآله وما  
فيها ويناسب لغته أيضاً، وبالنسبة لموسى فنفس الشيء.

النص القرآني - إضافة إلى أنه يبين مضمون ما في ألواح موسى وأهميتها - يبين  
أيضاً عظمة القرآن وعظمة محمد صلى الله عليه وآله انتهى<sup>(٢)</sup>.

نصوص التوراة أيضاً أشارت إلى ما في الألواح من وصايا عشر كما يسمونها، على  
رأسها: وحدانية الله، وتحريم عبادة الأوثان، وعدم النطق باسم الله باطلاً، وتقديس يوم  
السبت، كما تضمنت أيضاً: بر الوالدين، تحريم القتل، والزنا، والسرقه، وشهادة الزور،  
والطمع<sup>(٣)</sup>.

### ٣- لماذا كانت الألواح حجرية؟

سؤال قد يثار في موضوع كتابة الألواح والمادة التي اختيرت للكتابة عليها وهي الحجر  
أو الصخر كما دلت عليه النصوص<sup>(٤)</sup>، السؤال هو: لماذا الألواح حجرية بالرغم من  
صعوبة الكتابة والنحت على الحجر كما هو معلوم؛ خصوصاً في ذلك الزمن؟ لماذا لم يتم  
اختيار شيء آخر تكون الكتابة عليه أيسر وأسهل كالجلد مثلاً أو غيره من وسائل كانت  
متاحة ومتوفرة في زمن موسى عليه السلام؟

١- انظر: عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: القرآن.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- انظر: سفر الخروج - إصحاح ٢٠: سفر التثنية - إصحاح ٥.

٤- وورد في (سفر التثنية - إصحاح ١٠): "١" «فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَالَ لِی الرَّبُّ: انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلِ الْأُولَيْنِ،  
وَاصْعُدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَاصْنَعْ لَكَ تَابُوتًا مِنْ خَشَبٍ"، وروى الثعلبي: (قال وهب: أمره الله تعالى بقطع الألواح من  
صخرة صماء) تفسير الثعلبي: ٤ / ٢٨٢.

يقول السيد أحمد الحسن: (الشيء الغريب في موضوع الألواح هو أنّ موسى لم يكتبها على جلد وما شابه، وهي أمور متوفرة في وقته، واختار أن يكتبها على صخر وحجر صلب في عملية نحت صعبة ومعقدة؛ لا سيما وأنّ موسى لم يكن نحاتاً ولم تكن مهنته النحت أصلاً.

السبب في ذلك: أنّ ما في الألواح هو وصايا التوحيد الأساسية، وهم (اليهود) ينقلون الوصايا العشرة ومجموعة وثائق، لكن الأمر المهم فيها هو التوحيد بلا شك؛ باعتبار أنّ المشكلة الكبرى لدى البشر قبل موسى هي التحريف والانحراف بالعقيدة وبالذات في قضية التوحيد، فكانوا دائماً ينحرفون باتجاه الشرك وعبادة الأصنام، ولهذا كانت طريقة كتابة الألواح وما يتصل بها تعالج هذه المشكلة.

فمن ناحية الكاتب: هو موسى النبي العظيم بنفسه؛ لأنّ ما يراد كتابته مهم جداً ومقدس، ومن ثمّ لم يسمح لأحد – وإن كان نحاتاً ماهراً – بالقيام بكتابتها ونحتها على الحجر. ومن ناحية زمان ومكان الكتابة فهو خاص أيضاً؛ إذ أنّ الله لم يأمر موسى بكتابة الألواح كيفما اتفق بحيث يكون وقت كتابتها كسائر الأوقات الأخرى وفي أي مكان شاء، وإنما أمره بكتابتها في وقت خاص (أربعين يوماً) يكون في حال توبة وعبادة وصوم وطهارة وانقطاع (خلوة مع الله) ... إلخ من أمور تساهم في أن يكون في قمة الطهارة التي تؤهله لكتابة أمر مقدس، كما أنّ مكان الكتابة هو جبل الطور تحديداً. وأيضاً: من ناحية المادة التي كتبت عليها فهي الصخر وبطريقة النحت الصعبة والمتعبة لكي تبقى فترة طويلة ولا يتمكن أحد من تحريفها.

وحتى بعد إلقاء موسى للألواح وتكسرها عند عودته لقومه في فتنة العجل، عاد موسى (بأمر الله) ليعتصم مرة ثانية بنفس الطريقة التي كتبها فيها في المرة الأولى، أي: رجع أربعين يوماً أخرى للجبل في حال توبة وصيام وعبادة وانقطاع وطهر ليعتصم عليه أيضاً، بالرغم من أنّه كان عارفاً بمضمونها وكان يمكنه إعادة كتابتها وهو بين قومه، لكن الله أراد بيان قدسية ما فيها فأمره بكتابتها بنفس الطريقة السابقة) انتهى<sup>(١)</sup>.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.



## ٤ - تابوت العهد أو السكينة:

ورد ذكر تابوت بني إسرائيل في نصوص قرآنية وروائية كثيرة (وسيتضح بعضها)، فما هي قصته؟

يقول السيد أحمد الحسن: (بعد أن كتب موسى الألواح في المرة الثانية وجاء بها قومه وضعها في صندوق أو "تابوت" بحسب تسميتهم له، ولاحقاً أصبح التابوت مقدساً لا تمتد له يد ولا يتمكن أحد من فتحه متى ما شاء، لتبقى الألواح مرجعاً لهم في حال أراد أحد - مستقبلاً - أن يحرف اعتقادهم فيعودوا إلى التابوت ويفتحوه لينظروا ما مكتوب في الألواح المحفوظة فيه بخط موسى، وأهم ما في الصندوق هو وصايا الله وعهده بأن: "إلهك واحد"، "لا تشرك مع إلهك"، "الله واحد أحد"، ونحوها من صور التوحيد المختلفة التي نحتها موسى بيده، فقدسوها وقدسوا التابوت (تابوت العهد، تابوت السكينة) تبعاً لها، ثم توارثوا التابوت جيلاً بعد جيل.

أهمية التابوت يمكننا ملاحظتها في قضية طالوت مثلاً: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ" البقرة: ٢٤٧ - ٢٤٨.

التابوت: ليس فيه شيء غير الألواح كما ذكرت، بل التابوت وجد لأجل حفظ هذه الألواح لا أكثر.

أما لماذا تابوت، ولماذا ألواح؟ فكما قلت: لأن الدين يُحرف دائماً، فمثلاً: الهندوس جاءوا بدينهم من آدم ونوح لكنهم حرّفوه، وغيرهم من الأديان الشرقية كذلك، بل بعض المؤمنين بموسى ممن لم يكن لديهم هذا التابوت وضعوا لهم عقيدة منحرفة بعد فترة من الزمن كما حصل في مجمع نيقية التي شرّع فيه بعض المسيحيين عقيدة الثالوث المنحرفة. لكن اليهود الذين توارثوا التابوت بقوا موحدين بسبب بقاء ألواح موسى بينهم سنين

طويلة، ثم لما بنى سليمان الهيكل وضعوا الألواح فيه، بل في أطهر بقعة منه وهي قدس الأقداس) انتهى<sup>(١)</sup>.

حفظ ألواح موسى في التابوت أمر أكدته النصوص بوضوح، منها:

(عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: "يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة" قال: رضاض الألواح، فيها العلم والحكمة، العلم جاء من السماء فكتب في الألواح وجعل في التابوت)<sup>(٢)</sup>.

وفي التوراة: أن الله سبحانه أمر موسى بأن يصنع تابوتاً من خشب ليضع فيه ويحفظ لوعي الشهادة<sup>(٣)</sup>.

وإذا اتضح أن التابوت يضم ألواح موسى التي تتضمن وصايا الله بالتوحيد وما يتصل به من قضايا مهمة، نعرف السر في وصف أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله للعلم الإلهي (السلح) الذي يختص به حججه بأنه بمنزلة التابوت في بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٤٥٠.

٣- ورد في (سفر التثنية - إصحاح ١٠): "١" «في ذلك الوقت قال لي الرب: انحث لك لوحين من حجر مثل الأولين، واصعدني إلى الجبل، واصنع لك تابوتاً من خشب. ٢ فأكُتِبَ عَلَى اللُّوحَيْنِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللُّوحَيْنِ الْأُولَيْنِ الَّذِينَ كَسَرْتَهُمَا، وَتَضَعُهُمَا فِي التَّابُوتِ». وفي: (سفر الخروج - إصحاح ٢٥): "١٠" «فَيَصْنَعُونَ تَابُوتًا مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ، وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. .... ١٦ وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ».

٤- روى الكليني في الكافي: (باب: "أن مثل سلح رسول الله مثل التابوت في بني إسرائيل")

١- ... عن سعيد السمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما مثل السلح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل أي أهل بيت وجد التابوت على باهم أوتوا النبوة فمن صار إليه السلح منا أوتي الإمامة.

٢- ... عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما مثل السلح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، حيثما دار التابوت دار الملك، فأينما دار السلح فينا دار العلم.

ووجه التشبيه قد اتضح الآن؛ إذ عرفنا أنَّ قيمة التابوت تكمن بالألواح المحفوظة فيه وما في الألواح هو العلم الإلهي<sup>(١)</sup>، ولهذا وُصف آل محمد بأنهم تابوت علم الله<sup>(٢)</sup>.

## ٥- لماذا ألقى موسى الألواح وتكسرت؟

قال تعالى: "وَمَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" الأعراف: ١٥٠.

٣- ... عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل حيثما دار التابوت أوتوا النبوة، وحيثما دار السلاح فينا فثم الأمر، قلت: فيكون السلاح مزايلاً للعلم؟ قال: لا.

٤- ... عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنما مثل السلاح فينا كمثّل التابوت في بني إسرائيل أينما دار التابوت دار الملك، وأينما دار السلاح فينا دار العلم (الكافي: ١ / ٢٣٨).

واضح أنَّ السلاح = العلم، ولهذا تدور معه الإمامة حيثما دار:

(عن ابن أبي نصر قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إذا مات الإمام بم يُعرف الذي بعده؟ فقال: للإمام علامات منها أن يكون أكبر ولد أبيه ويكون فيه الفضل والوصية، ويقدم الركب فيقول: إلى من أوصى فلان؟ فيقال: إلى فلان، والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيثما كان) الكافي: ١ / ٢٨٤.

١- (عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: "يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة" قال: رضاض الألواح فيها العلم والحكمة) الكافي، الكليني: ٨ / ٣١٧.

٢- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد عليهم السلام بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلمهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبغدين في الله، فبينما هم كذلك إذ أتاهم أت لا يروونه ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل للمصيبة ونجاة من كل هلكة ودركاً لما فات "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" إن الله اختاركم وفضلكم وظهركم وجعلكم أهل بيت نبه واستودعكم علمه وأورثكم كتابه وجعلكم تابوت علمه وعصا عزه وضرب لكم مثلاً من نوره وعصمكم من الزلل وأمنكم من الفتن، فتعزوا بعزاء الله، فإن الله لم ينزع منكم رحمته ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عز وجل الذين بهم تمت النعمة واجتمعت الفرقة وانتلفت الكلمة وأنتم أولياؤه، فمن تولاكم فاز ومن ظلم حاكم زهق .....) الكافي، الكليني: ١ / ٤٤٥ - ٤٤٦.

وفي التوراة: "١٩ وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَيَّ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ" سفر الخروج - إصحاح ٣٢.

أمر مهم حصل بعد رجوع موسى من ميقات ربه "الأربعين يوماً" وهو يحمل معه الألواح التي كتبها بيده، ولما رأى ضلال قومه بعينه صُدم من هول ما رأى فألقى الألواح من يده وتكسرت، وغضب على قومه أسفاً على ضلالهم وتركهم توحيد الله، ثم جرّأه هارون ليناقشه فيما حصل ويسأله عن تصرفه وموقفه منهم لما ضلّوا!

بالنسبة إلى تصرفه مع أخيه هارون فقد مرّ الحديث عنه، أما إلقاء الألواح فهي مسألة أثّرت حولها بعض التساؤلات والأخذ والرد، وخلاصة النقاشات الدائرة في هذا الصدد تدور حول فعل موسى، فالإلقاء بنظرهم يبدو أنه فعل غير مناسب صدوره من رسول إلهي وبحاجة إلى توجيه معين ليتمكن بعد ذلك قبول صدوره منه وفق الظاهر الذي توحى به الآية!

السيد أحمد الحسن يرفض إمكانية أن يكون ما صدر من موسى فعلاً غير مناسب وبحاجة إلى تبرير ليتم قبول ظاهر النص القرآني، وينتهي إلى نتيجة مفادها: أننا بوسعنا الأخذ بظاهر النص دون ورود أي إشكال على موسى صلوات الله عليه:

يقول السيد أحمد الحسن: (إلقاء موسى عليه السلام للألواح المذكور في القرآن وفي التوراة أيضاً<sup>(١)</sup>).

"وألقى الألواح": مسألة مهمة، فموسى لما رجع ورأى قومه يعبدون العجل لم يأتِ ويضع الألواح على الأرض، وإنما ألقاها من يده فتكسرت، وهذا الكسر آية من الله!

الألواح فيها "إلهك واحد" بينما هؤلاء المنحرفون وضعوا أمامهم صنماً يعبدونه من دون الله! فكان انكسار الألواح أمامهم آية من الله بأنهم كسروا توحيد، وبقت مسألة

١- سفر الخروج، إصحاح ٣٢: "١٩ وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَيَّ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ".

الكسر ملازمة لهم فهي شاهد لمن بقي على توحيد الله وهي شاهد على من كسروا انحرف عن توحيد.

ولا يصح تناول الحادثة بصورة عشوائية، وهل أن ما صدر من موسى عليه السلام فعل يناسب كونه رسولاً من الله ... إلخ، فهو في الحقيقة كلام عبثي ومردود:

أولاً: موسى رسول من أولي العزم ومعصوم، وبالتالي فلا يصح أن يقحم غير المعصوم نفسه لمناقشة فعله للحكم عليه بأنه مناسب أو غير مناسب؟! وكان الأولى بمن لا يعرف تفاصيل الحادثة والوجه فيها أن يأخذ النص القرآني (الصریح بأن موسى ألقى الألواح) كما هو وينتهي الأمر، مع ملاحظة أن الله لم يعقّب على فعل موسى بأنه خطأ أو معصية أو حرام وما شابه، فلماذا يصر البعض على أن يحشر نفسه بين الله ورسوله!

ثانياً: موسى عليه السلام لم يكسر الألواح عمداً، وإنما الكسركان إشارة إلهية، فالله محيط بكل شيء، الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويجهلون الحقائق الإلهية. الألواح انكسرت بقوة الله وبمشيئة الله الواحد حتى تبقى شاهداً على المنحرفين عن التوحيد وشاهداً لمن يبقون على التوحيد.

ثالثاً: من يتوهم بأن ما صدر من موسى فعل غير مناسب عليه أن يبين لماذا هو فعل غير مناسب، فموسى ألقى الألواح التي جاءهم بها لأنها تتضمن توحيد الله "لا إله إلا الله" لكنه وجدهم يعبدون صنماً، فلماذا يكون غضبه وإلقاء الألواح من يده فعلاً غير مناسب؟ وماذا ينتظرون منه أن يفعل؟ هل يريدون منه أن يفض النظر عنهم أو يشكرهم على عبادتهم صنماً من دون الله؟! أو يريدون منه أن يكلمهم بلين وعطف وهم بضلالهم هدموا ما بناه طيلة سنين طويلة مضت من رسالته؟!

غضب موسى وشدته أمر منطقي تماماً بكل تأكيد، والقرآن صرح بغضبه على قومه وأنه "ألقى الألواح" من يده، كما أشار إلى أنه أخذ أخاه هارون لمناقشته ومعاتبته، وأراد هارون أن يهدئ من روع وألم أخيه المصدوم بترك قومه توحيد الله فخاطبه "يا ابن أم" وبين له أنه حاول أن يردعهم عن ضلالهم لكنه لم يتمكن ولو أنه استمر في مواجهتهم لقتلوه فاضطر إلى تأجيل حسم المواجهة لحين عودة موسى!

النص القرآني الذي قصَّ الحادثة واضح ولا إشكال في تصرف موسى بالنحو الذي ذكرت، ومن ثم لا شيء في موقفه صلوات الله عليه يمكن أن يوصف بأنه غير مناسب) انتهى<sup>(١)</sup>.

وزيادة في التوضيح، أقول: روي أنّ الألواح وقعت من يد موسى عليه السلام وكسرت بعد عودته من ميقات ربه ورؤية قومه الذين افتتنوا بفتنة السامري وعبدوا العجل<sup>(٢)</sup>.

القرآن صريح في بيان غضب موسى وإلقائه الألواح التي جاء بها بعد رجوعه من الميقات: "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ". ثم توجه إلى أخيه هارون ليخصه بالتصريف: "وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ!"

غضب موسى عليه السلام لله، فموسى الذي قضى أكثر سني دعوته المباركة وهو يرثي قومه على توحيد الله، وطاله من أجل ذلك أشد وأقسى الآلام والأوجاع من غربة وتشريد وتهديد ووعيد ... إلخ، وبعد كل تلك المعاناة وبعد قرب لحوقه بالله وإذا به يعود لقومه من ميقات ربه فيجدهم (غالبيتهم) قد اتخذوا عجلاً "صنماً" للعبادة من دون الله!

حقَّ لموسى الغيور أن يهتز غضباً لدين الله وتوحيده، ويلقي الألواح من يديه أسفاً لما آلت إليه أمور أمته وقومه، وطبيعي جداً أن يتوجه إلى أخيه هارون ليسأله عما حصل، ويستفهم منه ما جرى، ويناقشه فيما فعل تجاه الفتنة، ولا مانع من أن يكون خاطبه

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- (عن حبة بن جوين العرني قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: إن يوشع بن نون كان وصى موسى بن عمران وكانت ألواح موسى عن زمرد اخضر فلما غضب موسى أخذ الألواح من يده فمناها ما تكسر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع، فلما ذهب عن موسى الغضب قال يوشع بن نون: أعندك تبيان ما في الألواح؟ قال: نعم، فلم يزل يتوارثها رهط من بعد رهط ..... بصائر الدرجات، الصفار: ١٦١. وروي في مصادر سنية عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: (يرحم الله موسى ليس المعين كالمخبر أخبره ربه تبارك وتعالى أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وعابهم ألقى الألواح فتكسر منها ما تكسر) كشف الخفاء، العجلوني: ٢ / ١٦٨.

بشدة وربما عاتبه، إذ لا مانع من أن تكون شدة موسى عمّت الجميع حتى هارون الوصي؛ باعتبار أنه كان موجوداً بينهم وقد استخلفه موسى عليهم في فترة غيابه عنهم كما عرفنا!

موسى وإن كان يعلم بفتنة قومه وضلالهم وهو في الميقات بأعلام الله إياه: "وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى \* قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" طه: ٨٣ - ٨٥، لكن (ليس الخبر كالعيان كما يقول الرسول محمد صلى الله عليه وآله)، فهو لما عاد لقومه ورأى بعينه ضلالهم وعكوفهم على عجلهم الذي صاغه لهم السامري تألم وألقى الألواح التي جاء بها من يده فتكسرت، وحقيقة ساعد الله قلب موسى لما ناله من خطب فظيع في ذلك اليوم الأليم!

علماً، أنّ موسى عليه السلام أعاد كتابة الألواح بأربعين ليلة ثانية بأمر الله، ثم حفظت في صندوق "تابوت" وصارت تتوارث جيلاً بعد جيل<sup>(١)</sup> كما عرفنا.

وإعادة كتابة الألواح من قبل موسى أمر أشارت له التوراة أيضاً: "١ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الْأُولَيْنِ، فَأَكْتُبْ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْأُولَيْنِ الَّذِينَ كَسَرْتَهُمَا» سفر الخروج - إصحاح ٣٤.

وأيضاً: يبدو من النص التوراتي أنّ موسى عليه السلام تعمد كسر الألواح عندما غضب وألقاهما على الأرض: "١٩ وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَيَّيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ" سفر الخروج - إصحاح ٣٢. ونحن قد عرفنا فيما تقدم أنّ موسى لما ألقى الألواح لم يتعمد كسرها، وما حصل كان آية وإشارة من الله. وبالتالي، فنسبة العمد لموسى أمر غير صحيح.

١- (عن حبة العرني، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن يوشع بن نون كان وصي موسى عليه السلام وكانت ألواح موسى من زمرد أخضر، فلما غضب موسى عليه السلام ألقى الألواح من يده فمناها ما تكسر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع، فلما ذهب عن موسى الغضب قال يوشع: أعندك تبيان ما في الألواح؟ قال: نعم، فلم يزل يتوارثها رهط من بعد رهط حتى وصلت إلى النبي صلى الله عليه وآله ودفعها إلي) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٢٢٥.

## ٦- التوراة؛ هل هي الألواح أم الصحف أم المجموع منهما؟

بعد معرفتنا بألواح موسى وصرحف موسى، يتبقى لنا معرفة التوراة، فهل يقصد بها ألواح موسى أم صرحفه أم مجموعهما، أم المسألة أوسع من ذلك؟

يقول السيد أحمد الحسن: (التوراة أو العهد القديم: وهو يشمل الألواح والصحف وزبور داود وغيرها من الرسائل، بل العهد القديم يذكر بعض القضايا التي حدثت قبل إبراهيم أيضاً كذكره لأدم ونوح مثلاً بغض النظر عن مسألة التحريف الموجود فيها) انتهى<sup>(١)</sup>.

## ٧- مصير الألواح:

بالتأكيد، لا يوجد أثر مادي للألواح الحجرية التي نقش عليها موسى وصايا الله الخاصة بالتوحيد وبقيّة الأمور الأساسية، أو كما يسمونها هم: "الوصايا العشر".

ولا شك أنّ معرفة مصير الألواح مرتبط بمعرفة مصير التابوت "الصندوق" الذي خصص لحفظها كما عرفنا. وهنا رجّحت بعض الفرضيات ارتباط اختفاء تابوت العهد بحادثة هجوم الملك البابلي "نبوخذ نصر" بجيشه على القدس سنة ٥٨٦ ق. م، وقيامهم بهدم هيكل سليمان، ولما كان المكان الذي حفظ فيه التابوت هو الهيكل (كأقدس مكان عبادي) أصبح مصير الألواح مرهوناً بمصير الهيكل نفسه، والهيكل - كما هو معلوم - قد طاله الخراب والهدم بطبيعة الحال. وبالنتيجة فإنّ اختفاء الألواح (أو ضياعها، أو تدميرها، أو سرقتها، أو ربما وضعها في دهليز تحت الهيكل كإجراء احترازي قام به بعض الكهنة قبل وصول الجيش البابلي) حصل في تلك الحادثة، وبقي حالها مجهولاً لم يُبت فيه بضرر قاطع، ولا زالت بعض جهات التنقيب اليهودية تجري عمليات مسح وحفر تحت مسجد بيت المقدس استناداً لفرضية إخفاء بعض الكهنة لتابوت العهد تحت الهيكل!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.



ومهما يكن الأمر، وأياً كانت الحقيقة، فلا وجود لأي أثر مادي لألواح موسى عليه السلام بيننا اليوم.

## ٨- متى وكيف دُوّنت التوراة؟

بمناسبة البحث في ألواح موسى عليه السلام، أجد من المناسب التعرض لمسألة تدوين التوراة، والسؤال: متى تم تدوين التوراة؛ وبالتحديد الأسفار الخمسة الخاصة بموسى (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية) (١)؟

بالتأكيد لدى اليهود (وكذا المسيحيين) إجابة تقليدية معروفة تحاول أن تدفع بتاريخ التدوين إلى الوقت الذي كان فيه موسى عليه السلام موجوداً لتنسب إليه عملية التدوين أولاً أقل ليكون التدوين تحت إشرافه المباشر، والمعروف أنّ تاريخ تواجد موسى يعود إلى القرن ١٣ ق.م، وهكذا فهم يفترضون أنّ تاريخ التدوين كان في هذه الفترة!

لكن لدى العلماء والباحثين المختصين رأي آخر، فبدلاً من فرضية التدوين الكامل والدفعي للأسفار الخمسة (وهو فرض غير واقعي ولم يحصل بالتأكيد) يمكن افتراض أن يكون كلّ منها دُوّن على حدة وبفترات زمنية مختلفة، وأنّ عملية التدوين عموماً مرّت بعدة مراحل ابتدأت بالتناقل الشفوي لنصوص الأسفار الخمسة ثم بدء عملية التدوين

---

### ١- هذا تعريف مختصر بها:

- **سفر التكوين:** يتناول خلق العالم وقصص آدم ونوح وتواريخ إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام.
- **سفر الخروج:** يروي استعباد بني إسرائيل في مصر ثم خروجهم بقيادة موسى عليه السلام وعبور البحر وتلقي الوصايا على جبل سيناء.
- **سفر اللاويين:** يركز بشكل أساسي على بعض الشرائع الدينية والاجتماعية الخاصة بالكهنة اللاويين.
- **سفر العدد:** يسرد أحداث تيه بني إسرائيل في صحراء سيناء أربعين عاماً ورحلات القبائل نحو أرض الميعاد.
- **سفر التثنية:** هو بمثابة خطاب وداعي لموسى عليه السلام يعيد فيه تكرار الشريعة والوصايا على الجيل الجديد قبل دخول الأرض المقدسة وينتهي بوفاة موسى عليه السلام.

الجزئي لكلٍ منها أو لبعضها كقدر متيقن... وهكذا وصولاً إلى تدوينها كلها بتمامها ثم دمجها لاحقاً؛ وهو أمر حدث بعد وفاة موسى عليه السلام بقرون طويلة بكل تأكيد.

بحسب الافتراض الثاني: فالتوراة لا تكون من كتابة شخص واحد (موسى عليه السلام) وإنما هي عملية دمج حصلت لأربعة مصادر أساسية كتبت في فترات زمنية مختلفة، هي:

- المصدر الهوي (J): المرتبط بأجزاء سفري التكوين والخروج، حيث جُمع النقل الشفوي والقصص التاريخية وتمت كتابتها في منتصف القرن العاشر ق.م في مملكة يهوذا (مملكة إسرائيل الجنوبية).
- المصدر الإلوهيمي (E): المرتبط بأجزاء سفري التكوين والخروج أيضاً، كُتب في منتصف القرن التاسع ق.م في مملكة إسرائيل الشمالية.
- المصدر التثنوي (D): يرتبط بسفر التثنية، ويعود إلى القرن السابع ق.م.
- المصدر الكهنوتي (P): يرتبط بسفر اللاويين، وكتب خلال أو بعد النفي البابلي بحدود القرن السادس ق.م.

واضح أنّ المصادر التي استندت إليها عملية التدوين متفاوتة زماناً؛ فبعضها يمكن اعتباره مصادر مبكرة كالمصدرين الهوي والإلوهيمي، بينما تعتبر فترة النفي البابلي (خلال القرن السادس ق.م) مصدراً متأخراً لكنه يعد عصرًا ذهبياً للتدوين حيث تم خلاله تدوين سفر اللاويين والعدد، إذ كان الحفاظ على الهوية الدينية لليهود دافعاً مهماً بعد تدمير الهيكل في القدس في تلك الفترة.

علماء، أنّ هذه المراحل التي خطتها عملية التدوين لم تكن كافية لظهور التوراة (الأسفار الخمسة) بصورتها الحالية، ولم يحصل لها عملية دمج وتحرير نهائي بعد. أما ظهور التوراة بشكلها الذي عليه اليوم فهو أمر حدث خلال العصر الفارسي (فترة خضوع اليهود لحكم الإمبراطورية الفارسية وتحديدًا ما بين: ٤٥٠ - ٣٥٠ ق.م)، حيث قام عزرا الكاتب بعملية التحرير النهائي للأسفار الخمسة ودمج المصادر الأربعة لها (J, E, D, P) في كتاب واحد.

عملية تدوين التوراة (الأسفار الخمسة) التي ذكرناها ليست مجرد افتراض وحسب، ولكنها مسألة عززت من قبل المختصين بأدلة علمية (وثائقية وأثرية)، ولذا نالت رواجاً ومقبولية في الأوساط العلمية المختصة<sup>(١)</sup>.

أما بقية أسفار العهد القديم، فأيضاً مرت عملية تدوينها بمراحل وأخذت فترة زمنية طويلة، فالأسفار التاريخية منها: (مثل: يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك) وكذا أسفار الأنبياء (مثل: إشعياء، إرميا، حزقيال) ابتدأ تدوينها في القرن السابع ق.م (عهد الملك يوشيا) حيث جمعت من سجلات القصور الملكية وضمت لها التقاليد الشفوية للأنبياء، ثم نقحت لاحقاً واكتملت كتابتها بعد النفي البابلي (القرن السادس ق.م).

بينما أسفار الكتابات التي تضم (المزامير، الأمثال، أيوب) وكذا الأسفار المتأخرة (مثل: دانيال، عزرا، نحميا) فهي أحدث الأسفار تدويناً، وكلها حصل تدوينها بعد عصر النفي البابلي؛ باعتبار أن زمان بعثتهم كان أثناء وبعد النفي.

وعموماً، لم تحصل عملية دمج أسفار موسى الخمسة لبقية أسفار العهد القديم وإخراجها بكتاب واحد كما نراه اليوم إلا خلال القرن الثاني ق.م أثناء عملية الترجمة من

١- يتفق أغلب الباحثين في جامعات مثل أكسفورد وهارفارد (كما هو موثق في: "The Oxford Handbook of the Pentateuch") على أن التوراة وصلت لشكلها النهائي الجامع خلال العصر الفارسي (ما بين ٤٥٠ - ٣٥٠ ق.م)، حيث تم دمج التقاليد الشفوية والمكتوبة القديمة في نص واحد ليكون كتاباً للمجتمع اليهودي العائد من المنفى. وأيضاً: مخطوطات البحر الميت يمكن اعتبارها دليلاً أثرياً، إذ أكدت وجود نصوص التوراة بصيغة قريبة من الحالية في تاريخ قريب لما ذكر (القرن الثالث ق.م).

وهذه بعض المصادر العلمية النافعة في الموضوع:

- تأليف التوراة: تجديد فرضية المصادر The Composition of the Pentateuch: للباحث جويل بادن Joel S. Baden، وهو من أبرز المدافعين المعاصرين عن نظرية المصادر.

- من كتب الكتاب المقدس؟ Who Wrote the Bible: للباحث ريتشارد إليوت فريدمان Richard Elliott Friedman، قدّم شرحاً مفصلاً للمصادر الأربعة.

- التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها The Bible Unearthed: لإسرائيل فنكلشتاين (برفيسور ورئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب) ونيل إشرسيلبرمان (مؤرخ وباحث أمريكي)، تناول الأدلة الأثرية التي تدعم أو تنفي الروايات التاريخية في التوراة.

اللغة العبرية القديمة إلى اليونانية (باعتبارها لغة الثقافة والأكثر انتشاراً) وهي المعروفة بـ "الترجمة السبعينية" (٢٥٠ - ١٣٢ ق.م)، ثم لاحقاً وكخطوة أخيرة لعملية التدوين تُبنت قائمة الأسفار بشكل رسمي ونهائي ومُنعت أي محاولة حذف أو إضافة؛ لضمان وحدة النص الديني، وهي خطوة حدثت في أواخر القرن الأول الميلادي (٧٠ - ١٠٠ م) <sup>(١)</sup>.

## ٩- بعض ما في التوراة:

هذا بعض ما ورد في التوراة (الألواح، الصحف، زبور داود، ... إلخ) برواية آل محمد صلوات الله عليهم:

▪ الإمام الصادق: (إنَّ في التوراة مكتوباً: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحكك فيمن أمحك، فإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإنَّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك) <sup>(٢)</sup>.

١- فمثلاً: صرح المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (٣٧ - ١٠٠ م) في كتابه: "ضد أبيون Against Apion" أنَّ لليهود ٢٢ سفرًا فقط تُعتبر إلهية ومقدسة، ولا يجرؤ أحد على إضافة أو حذف أو تغيير أي شيء منها. وهذا العدد (٢٢) يطابق الأسفار الـ ٣٩ الحالية (بدمج بعض الأسفار كما كان متبعاً آنذاك)، وهذا يؤكد أنَّ القائمة كانت قد أغلقت تماماً في ذلك الوقت. انظر: ضد أبيون، فلافيوس: ١٢، ترجمة: مصطفى القماش.

وأيضاً: شهد مجمع جامنيا Jamnia الذي عقد عام ٩٠ م برئاسة يوحنا بن زكاي (٣٠ - ٩٠ م) نقاشات حاسمة حول قانونية بعض الأسفار (مثل: سفر الجامعة ونشيد الإنشاد) وتم قبولهما بالنتيجة، كما تم استبعاد عدة أسفار (مثل: طوبيا، يهوديت، الحكمة، وغيرها). وكانت هذه النقاشات تمثل نهاية المشاور لوضع قائمة الأسفار المغلقة التي لا تسمح بالحذف والإضافة. علماً، أنَّ أحد الأسباب المهمة الداعية لمجمع هو وضع قائمة نهائية لأسفار العهد القديم، إضافة إلى محاولة الحد من انتشار المسيحية بين اليهود، كما أنَّ انعقاد المجمع في ذلك الوقت يعد أمراً ضرورياً بالنسبة إلى اليهود: لأنه أعقب حادثة هدم الهيكل في عام ٧٠ م.

انظر: مقال بعنوان: "خلفية تاريخية عن مجمع جامنيا اليهودي وقانونية أسفار العهد القديم". متاح على الرابط:

<https://www.drghaly.com/articles/display/١١٢٤>.

٢- الكافي، الكليني: ٢ / ٣٠٤.

▪ الإمام الصادق: (مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور) (١).

▪ الإمام الصادق: (مكتوب في التوراة: إنَّ بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ألا أن على المزور كرامة الزائر ألا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة) (٢).

▪ الإمام الصادق: (أربع في التوراة، وإلى جنهن أربع: من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح على ربه ساخطاً، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكوره، ومن أتى غنياً فتضع له ليصيب من دنياه ذهب ثلثا دينه، ومن دخل النار ممن قرأ القرآن فإنما هو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً. والأربع التي إلى جنهن: كما تدين تدان، ومن ملك استأثر، ومن لم يستشردم، والفقر هو الموت الأكبر) (٣).

▪ الإمام الباقر: (إن في التوراة مكتوباً: يا موسى إني خلقتك واصطنعتك وقويتك وأمرتك بطاعتي ونهيته عن معصيتي، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي، وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي، يا موسى ولي المنة عليك في طاعتك لي، ولي الحجة عليك في معصيتك لي) (٤).

▪ الإمام الباقر: (عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: كان فيما أعطى الله عز وجل موسى عليه السلام في الألواح الأول: اشكر لي ولوالديك أقبك المتالف، وأنسي لك في عمرك، وأحيك حياة طيبة، وأقلبك إلى خير منها) (٥).

١- الكافي، الكليني: ٢ / ١٣٨.

٢- من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١ / ٢٣٩.

٣- الأمالي، الطوسي: ٢٢٩.

٤- بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٣٢٨.

٥- بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٣٥٨.

▪ الإمام الصادق: (مكتوب في التوراة: اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير)<sup>(١)</sup>.

▪ الإمام الصادق: (في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك وعليّ أن أسد فافتك، وأملأ قلبك خوفاً مني، وإن لا تفرغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً بالدنيا ثم لا أسد فافتك وأكلك إلى طلبك)<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الإمام الصادق صلوات الله عليه أيضاً أنّ الله أوحى إلى موسى أن يقرأ التوراة بصوت حزين<sup>(٣)</sup>!

#### ١٠ - موارِيث الأنبياء:

أمرهم نظرحه هنا بمناسبة الحديث عن ألواح موسى عليه السلام، يتعلق بموارِيث الأنبياء عموماً كعصا موسى والألواح والصحف وكذا خاتم سليمان وقميص يوسف ... إلخ، وأيضاً: يمكن إضافة سيف الرسول محمد صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامته ونحو ذلك لبقية الموارِيث إذا ما كان حديثنا عن أوصيائه صلوات الله عليهم، وهم جزء من رسالته العظمى كما عرفنا.

يتصور البعض أنّ هذه الأمور "الموارِيث" يجب أن تكون موجودة بأعيانها لدى الإمام المعصوم، ووجودها لديه يكون أحد أدلة التعرّف عليه! ولما كنا اليوم نعيش في فترة وجود مهدي آل محمد صلوات الله عليه، بالتالي (بحسبهم) يجب تواجد الموارِيث المذكورة عنده؛ باعتباره وارث آبائه والأنبياء جميعاً!

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٩٤.

٢- الكافي، الكليني: ٢ / ٨٣.

٣- (عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عز وجل أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: إذا وقفت بين يدي فقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوت حزين) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٣٥٨.

والسؤال: ما هو حقيقة هذا الاعتقاد؟

يقول السيد أحمد الحسن: (بالنسبة إلى موارِيث الأنبياء في الآيات والروايات لو نظر لها على أنها الأشياء المادية في هذا العالم الجسماني فقط فسيصطدم هذا الفهم بأمور كثيرة:

ولنأخذ عصا موسى عليه السلام مثلاً، هل العصا (الخشبة) فيها خصوصية؟ الله سبحانه سألها ماذا بيدك؟ قال: عصا اتكأ عليها وأهش بها على غنمي: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى" طه: ١٧ - ١٨. ثم أمره بإلقائها فصارت حيّة: "قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" طه: ١٩ - ٢٠.

إذن، العصا ليس فيها خصوصية كما هو واضح من جواب موسى صلوات الله عليه الذي لا يعرف لها أي خصوصية غير كونها عصا عادية لاستعمال معتاد، لكن لما رماها على الأرض بأمر الله صارت حيّة حقيقية وليست سحراً ولا أمراً يخيل لهم ولا لخصوصية فيها، بل الله حولها من عصا إلى حيّة، فهي آية من آيات الله وخصوصيتها فقط أن من كان يحملها هو موسى صلوات الله عليه أي أن الخصوصية في موسى وليس في العصا.

ولما انتهت رسالة موسى بقيت العصا عصا، ليس لها أي خصوصية إلا كونها شيئاً يتبرّك به المؤمنون ويبعث في قلوبهم الطمأنينة، أما الأنبياء الآخرين فماذا ينتفعون بها غير ما تقدم؟ عيسى مثلاً هل أخذ عصا موسى وألقاها لتصبح حيّة؟ محمد صلى الله عليه وآله هل رفعها بيده أورماها أمام قريش أو اليهود وقال لهم: إنها تحولت إلى حيّة مثلاً؟

ثم لنفرض أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عنده عصا موسى، فلو كان لها علاقة بالدين (بعد ذاتها) لكان قدمها لليهود؛ لأنهم حاربوه وقتلوه وأذوه فعلياً بالنقاش العقائدي والحرب، فلماذا لم يظهر لهم عصا موسى ويرمها أمامهم وتصبح حيّة وينتهي الأمر! بل ولا تبقى هناك حاجة إلى الأدلة الأخرى بما في ذلك القرآن!

خصوصاً؛ وأنّ اليهود يقولون بأنّ عصا موسى موجودة بالهيكل، والقرآن الكريم يقول عن التابوت إنّ فيه بقية من آل موسى وهارون: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ

يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ" البقرة: ٢٤٨، البقية: يعني أشياءهم وأغراضهم، تماماً كما فعل المسلمون لما جمعوا بعض الأغراض من رسول الله التي وصلت لهم وحفظوها.

وعموماً، هل المعتقد بضرورة وصول الموارث المادية إلى الحجج يعتقد أن العصا موجودة عند الرسول ولها خصوصية بذاتها ورغم ذلك أبقاها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله للاقتهاء الشخصي مثلاً ومخفية ولم يستعملها لإثبات نبوته، ولماذا؟! وكذا يرد بالنسبة لعلي والحسن والحسين وزين العابدين صلوات الله عليهم.

ثم الرسول صلى الله عليه وآله أقدم من عصا موسى، بل أقدم من موسى نفسه، فهل يقتني محمد عصا موسى ليتبرك بها وموسى نفسه لو كان موجوداً لتبرك به؟!

ماذا يفعل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بموارث الأنبياء المادية وماذا تثبت ولو كانت تثبت شيئاً (بعد ذاتها) لماذا لم يظهرها لعامة الناس ويحتج بها هو أو خليفته ووصيه المظلوم علي صلوات الله عليه؟!

أيضاً ألواح موسى؛ التي وضعت بصندوق خشبي وفيها التوحيد وبعض الأحكام، ووضعوها في الهيكل؛ باعتباره بيت عبادتهم ومسجدهم ولم تنقل أو تحرك من مكانها إلا للضرورة.

موارث الرسول صلى الله عليه وآله التي ذكرت في النصوص: السيف، الدرع، العمامة... إلخ، لكن هل رسول الله عنده سيف واحد قاتل به؟ الصحيح أنه قاتل بسيف ودروع كثيرة، والعمامة أيضاً، فالرسول لم يقضي حياته كلها بعمامة واحدة!

ومثله الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه؛ إذ كان لديه سيوف قاتل بها وليس سيفاً واحداً.

الإمام الحسين سلام الله عليه قاتل بمعركة الطف بسيف من سيوف رسول الله صلى الله عليه وآله، فأين هو سيفه؟ أخذه أعداؤه، مع أنه سيف مقدس وبأقدس معركة بالتاريخ! كذا سيف العباس بن علي أخذه أحد الأعداء وذهب يقاتل به!



وحتى لو افترضنا ادعاء كون السيف كذا هو سيف رسول الله فكيف سيتم التيقن من ذلك! ففي زمن رسول الله صلى الله عليه وآله يوجد سيوف كثيرة جداً، فلو جاء أحد اليوم وقال هذا سيف الرسول، فمن يشترط التعرف على الإمام بالسيف كيف سيميز ويعرف أنه فعلاً سيف الرسول أم لا؟!

نعم، يمكن النظر للمسألة من جانب عائلي، يعني مثلاً رسول الله صلى الله عليه وآله لديه أحد سيوفه ورثه علي بن أبي طالب ثم ورثه بعده ولده الحسن أو الحسين وربما ورثه من الحسن ولده الحسن المثنى أوزيد! فكونه إرثاً عائلياً ليس معناه ضرورة أن يرثه الحجج الإلهيين أو ضرورة أن يقوم الحجج بإخراجه للناس كدليل يثبت به حقهم وإمامتهم! وإلا هل رأيت إماماً منهم أخرجه لعامة الناس واحتج به لإثبات إمامته؟! الجواب: لم يفعلوا وكذا لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله عصا موسى مثلاً وقال للناس: هذا دليل يثبت نبوتي؟! أو عندي التابوت الذي يضم ألواح موسى؟!

نعم، ممكن أن الإمام الصادق مثلاً وصلت إليه أشياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وأله باعتباره ابنه فيكون إرثاً عائلياً، ويبقى هذا الإرث، بل ممكن أن يقع بيد دولة تحافظ عليه، فمثلاً: زيد بن الحسن السبط شارك أولاده في الدولة العباسية ولا مانع من أن يعطي شيئاً ورثه عن الرسول للدولة لتحافظ عليه. وكما هو موجود بتركيا اليوم حيث لديهم صندوق فاطمة عليها السلام وبعض مقتنيات الرسول صلى الله عليه وآله، وفعلاً توجد أشياء بقت في غرفة فاطمة، وأشياء بقت في غرف رسول الله صلى الله عليه وآله وأشياء ورثها الحسن والحسين وهكذا.

والخلاصة: لا إشكال في أن يرث الأئمة عليهم السلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يكون لديهم عمامة أو سيف أو قرآن رسول الله أو من الإمام علي بن أبي طالب (١)،

١- هذه بعض الروايات التي أشارت لذلك:

- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ترك رسول الله صلى الله عليه وآله في المتاع سيفاً ودرعاً وعزة ورحلاً وبغلة الشهباء فورث ذلك كله علي بن أبي طالب عليه السلام) الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٤.

- (عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لبس أبي درج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول فخطت ولبستها أنا ففضلت) الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٤.

لكن هذه وراثه عائلية وليست طريقاً لإثبات أحقيتهم في دين الله ولا يجب أن تصل هذه الأمور بيد كل حجة من الحجج!

ثم هل عمامة رسول الله أقدم من نفس علي بن أبي طالب، أو أقدم من الصادق؟! وهل سيف رسول الله أقدم من الصادق؟! في بعض الروايات كان بعضهم يرى عصا الرسول بيد الصادق فيسرع لتقبيلها ويترك تقبيل الصادق<sup>(١)</sup>؟!!

والأغرب من ذلك اشتراط بقاء مثل هذه الأمور إلى المهدي ليثبت إمامته من خلالها!

الحق، لم يحتج رسول الله صلى الله عليه وآله بمواريث مادية من موسى وعيسى، بل ولا حتى من جده ابراهيم رغم وجود الحجر في الكعبة، ومن يدعي خلاف ذلك عليه أن يقدم دليلاً قطعياً، أما بالنسبة لنا فنحن نرى أن الأمر لا علاقة له (متجرذاً) باحتجاج خلفاء الله من الأساس) انتهى<sup>(٢)</sup>.

إذا اتضح لنا هذا، بقيت مسألة عرض بعض الروايات التي قد يفهم منها اشتراط ذلك، أعني: اشتراط وجود مثل تلك المواريث بيد الحجج، كل في زمانه وصولاً إلى المهدي وقائم آل محمد صلوات الله عليهم.

وقبل عرض الروايات ينبغي أن نعرف قضية عامة بهذا الخصوص، وهي أن المواريث التي ورثها الأئمة صلوات الله عليهم من الأنبياء والمرسلين الماضين ليست بالضرورة أموراً مادية، بل الصحيح أنهم ورثوا إخلاصهم وطهارتهم وتأيد الله لهم، فمثلاً: بدل أن نفهم أن

---

- (عن حمزان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عما يتحدث الناس أنه دفعت إلى أم سلمة صحيفة مختومة فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض ورث علي عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك ثم صار إلى الحسن ثم صار إلى الحسين عليهما السلام فلما خشينا أن نغشى استودعها أم سلمة ثم قبضها بعد ذلك علي بن الحسين عليه السلام، قال: فقلت: نعم ثم صار إلى أبيك ثم انتهى إليك وصار بعد ذلك إليك، قال: نعم) الكافي: ١ / ٢٣٥.

١- (جاء أبو حنيفة ليسمع منه وخرج أبو عبد الله يتوكأ على عصا فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه إلى العصا، قال: هو كذلك، ولكنها عصا رسول الله أردت التبرك بها، فوثب أبو حنيفة وقال له اقبلها يا ابن رسول الله، فحسر أبو عبد الله عن ذراعه وقال له والله لقد علمت أن هذا بشري رسول الله وإن هذا من شعره فما قبلته وتقبل عصا) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣ / ٣٧٢.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الصادق صلوات الله عليه ورث من يوسف الصديق قميصه (ثوبه)، لماذا لا نفهم أنه ورث إخلاص قلبه وطهارة ونقاوة صدره الذي لامس ذلك القميص، بل وفاق عليه!

بل هذا هو الحق، إذ قلنا سابقاً إنَّ قيمة قميص يوسف مثلاً ليست في كونه ثوباً منسوجاً كباقي الثياب وإنما قيمته بلامسته قلب يوسف الطاهر النقي، ومثل ذلك تقدم أيضاً في عصا موسى التي لا تكمن قيمتها في مادتها التي لا تختلف عن أي عصا أخرى، وإنما قيمتها في أنها لامست يد موسى التي مثلت قوة الله، وهكذا الحال في باقي الموارث. ولا شك أنَّ جهات الملكوت والروح هي أولى بالوراثة من الأمور المادية!

يقول السيد أحمد الحسن: (المراد ببعض الروايات التي تتكلم عن موارث الأنبياء هو جهة الملكوت والنفوس والروح لا العالم المادي الجسماني والجسد المادي، فبعضها سمّت علياً نفسه بعصا موسى وفاطمة بالحجر والأئمة من ذرية علي وفاطمة بالاثنا عشر عينا: "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" البقرة: ٦٠.

"عن جابر الجعفي، قال: قال سيدي الباقر محمد بن علي عليه السلام في قول الله تعالى: "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ - إلى قوله - مفسدين": "إن قوم موسى شكوا إلى ربهم الحر والعطش، فاستسقى موسى الماء، وشكا إلى ربه تعالى مثل ذلك. وقد شك المؤمنون إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله، عرفنا من الأئمة بعدك؟ فما مضى من نبي إلا وله أوصياء وأئمة بعده، وقد علمنا أنَّ علياً وصيك، فمن الأئمة من بعده؟ فأوحى الله إليه: إني قد زوجت عليا بفاطمة في سمائي تحت ظل عرشي، وجعلت جبرئيل خطيبها، وميكائيل وليها، وإسرافيل القابل عن علي، وأمرت شجرة طوبى فنثرت عليهم اللؤلؤ الرطب، والدر، والياقوت، والزبرجد الأحمر، والأخضر، والأصفر، والمناشير المخطوطة بالنور، فيها أمان للملائكة مذخور إلى يوم القيامة، وجعلت نحلتها من علي خمس الدنيا، وثلاثي الجنة، وجعلت نحلتها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، والنيل، ونهر دجلة، ونهر بلخ، فزوجها أنت - يا محمد - بخمسمائة درهم، تكون سنة لأمتك، فإنك إذا

زوجت علياً من فاطمة جرى منهما أحد عشر إماماً من صلب علي، سيد كل أمة إمامهم في زمنه، ويعلمون كما علم قوم موسى مشرهم" <sup>(١)</sup> انتهى <sup>(٢)</sup>.

قوله: "فبعضها سمّت علياً نفسه بعصا موسى وفاطمة بالحجروالائمة من ذرية علي وفاطمة بالاثنا عشر عينا": يعني أنّ الأوصياء من ذرية علي وفاطمة صلوات الله عليهما اثنا عشر وصياً وإماماً، وفي هذا روايات كثيرة، وتتضح الحقيقة أكثر بالرجوع إلى وصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله ليلة وفاته، فالاثنا عشر من ذرية علي وفاطمة صلوات الله عليهما هم: (الأحد عشر إماماً من الإمام الحسن بن علي السبط إلى الإمام محمد بن الحسن المهدي) + (المهدي الأول "أحمد" من المهديين الاثني عشر) <sup>(٣)</sup>.

علماً، أنّ روايات الاثني عشر من ولد رسول الله وعلي أو من ولد علي وفاطمة صلوات الله عليهم كثيرة، وهذا مثال لها:

- (عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: الاثنا عشر الامام من آل محمد عليهم السلام كلهم محدث من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ولد علي ورسول الله وعلي عليهما السلام هما الوالدان) <sup>(٤)</sup>.

١- دلائل الإمامة، الطبري (الشيعة): ٩٢.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- هذا مقطع من نص الوصية كما نقله ولده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنيات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأملأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، ..... وبعد أن ذكر الأئمة الاثني عشر من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام، قال: (فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده (أي: الإمام المهدي) اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين الغيبة، الطوسي: ١٥٠ - ١٥١.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٥٣١.

- (عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي<sup>(١)</sup>).

الحديث الأخير نص واضح على أنّ فاطمة عليها السلام والدة للاثني عشر كما أنّ علياً عليه السلام والدهم، وإلا لصار أربعة منهم باسم "علي"، إضافة إلى أنّ الإمام علي زوج فاطمة وليس ابنها، لكن بضم هذا الحديث لرواية الوصية نعرف أنّ المقصود بالثاني عشر من أولاد فاطمة هو أحمد (المهدي الأول).

وفي الوقت الذي تمكّنّا نحن من بيان معنى هذه الطائفة من الروايات وحل التعارض الذي يبدو (لأول وهلة) بينها وبين الروايات الأخرى التي ذكرت الأحد عشروصياً من أولاد فاطمة، بقي الآخرون مصرّين على تفسير الطائفة الأولى بعلي وأبنائه الأحد عشر، ووجهوا ذلك بما أسموه بالتغليب! أي: إنّ الإمام علي عليه السلام يُحسب منهم وإن كان زوجاً؛ باعتبار أنّ الأغلب هم ولدها! وهو تكلف وتأويل ظني لا قيمة له بعد أن حلّت روايات المعصومين الأمر وكشفت عن الوجه الصحيح فيه، ولا شك أنهم الأولى بتفسير كلامهم وبيان مقاصده كما هو معلوم.

وعموماً، ربما يُعذر من قال بهذا - أعني التغليب - قبل أن تقدّم الدعوة المهدوية المباركة وجهاً صحيحاً للجمع، وأقول "ربما"؛ باعتبار كان بوسع من لا يهتدي لطريقة الجمع أن يسكت ويرد علم المسألة لأهلها بدون الخوض فيها بالرأي والظن! لكن لا يبقى عذر لأحد بعد بيان الحق وتقديم وجه صحيح للجمع بين الروايات بلا حاجة إلى تأويل ظني، وكان المرجو - كحد أدنى - هو النظر فيه بإنصاف بدل العناد والتكبر على الحق!

والآن، أعود لعرض بعض روايات المواريث التي توهم الاشتراط المتقدم (أي اشتراط تواجدها بأعيانها المادية عند الحجج):

والآن، أعود لعرض بعض روايات المواريث التي توهم الاشتراط المتقدم (أي اشتراط تواجدها بأعيانها المادية عند الحجج) وتعليق السيد أحمد الحسن عليها بعد أن طلبت منه التعليق عليها حيث قال:

(وإن كان بعض هذا المروي غير دقيق أو غير صحيح، ولكن لا إشكال من التعليق على هذه المرويات من باب إيضاح أنّ لها وجهاً آخر يتوافق مع الواقع والمنطق السليم).

ثم علّق على بعضها بالآتي:

• **رواية ١:** (محمد بن الفيض، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت عصا موسى لأدم عليه السلام فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران، وإنها لعندنا وإن عهدي بها أنفا وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها، وإنها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى وإنها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، إنها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون يفتح لها شعبتان: إحداهما في الأرض والأخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها) <sup>(١)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معنى العصا في الرواية:

(العصا التي ترافق كل خلفاء الله من أولهم آدم هي رمز لخلافة الله في أرضه وما يرافقها من مواريث ملكوتية وسلطة ملكوتية وتأييد ملائكة الله، فخلافة الله هي الصفة المشتركة بين كل خلفاء الله والحالة المرافقة لهم من آدم إلى القائم) انتهى <sup>(٢)</sup>.

• **رواية ٢:** (عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ألواح موسى عليه السلام عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثة النبيين) <sup>(٣)</sup>.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٣١.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٢٣١.

يقول السيد أحمد الحسن عنها: (ألواح موسى فيها علم التوحيد ودين الله وهو عند خلفاء الله من بعد موسى وعند محمد وآل محمد، والعصا كذلك تمثل تأييد الله لهم بملائكته وقوته وجبروته) انتهى<sup>(١)</sup>.

• **رواية ٣:** (عن أبي سعيد الخراساني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ القائم إذا قام بمكة وأراد أن يتوجه إلى الكوفة نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شرباً، ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وقرعير، فلا ينزل منزلاً إلا انبعث عين منه، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظامناً روى، فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة)<sup>(٢)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن عنها: (والقائم يؤيده وينصره الله بتأييد ملكوتي ملائكي لاهوتي كما حصل مع موسى عليه السلام من خلال العصا) انتهى<sup>(٣)</sup>.

• **رواية ٤:** (عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول همهمة همهمة، وليلة مظلمة خرج عليكم الامام، عليه قميص آدم، وفي يده خاتم سليمان، وعصا موسى عليهما السلام)<sup>(٤)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن في بيانها: (وهكذا فقميص آدم: خلافة الله في أرضه، وخاتم سليمان: هورمز الملك الإلهي، وعصا موسى: التأييد الإلهي) انتهى<sup>(٥)</sup>.

• **رواية ٥:** (عن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام؟ قال: قلت: لا، قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار أتاه جبرئيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنة فألبسه إياه، فلم يضره

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٢٣١.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٢٣١ - ٢٣٢.

٥- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

معه حر ولا برد، فلما حضر إبراهيم الموت جعله في تميمة وعلّقه على إسحاق، وعلّقه إسحاق على يعقوب، فلما ولد يوسف عليه السلام علّقه عليه، فكان في عضده حتى كان من أمره ما كان، فلما أخرجه يوسف بمصر من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: "إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون" فهو ذلك القميص الذي أنزله الله من الجنة، قلت: جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص؟ قال: إلى أهله، ثم قال: كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى آل محمد صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن في بيانها:

("أتاه جبرئيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنة فألبسه إياه")

وهل الجنة جسمانية ومادية أم أنها ملكوتية نورانية؟! فالمقصود هنا قميص ملكوتي: "لباس التقوى ذلك خير..." ألبسه الله لباس روح ونفس إبراهيم وما ير افق هذا اللباس الملكوتي من توفيق ودعاء مستجاب في هذا العالم.

ويوسف خلع عنه أخوته قميصه وألقوه عارياً إلا ما يستر عورته: "وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" يوسف: ١٨. الآية واضحة، فهم خلعوا عنه قميصه وأخذوه لأبيهم فلم يكن معه عندما ذهب لمصر شيء؛ لا قميص ولا غيره، ذهب عارياً إلى مصر، فمن أين جاء بقميص مادي لجده إبراهيم صلوات الله عليه؟!

راجع "إضاءة من قميص يوسف" في كتاب "الاضاءات"، فهي مهمة في بيان ما هو القميص، ولماذا هو آية، وأنه أصلاً لم يكن قميصاً واحداً بحد ذاته، فالآية في قلب إبراهيم وقلب يوسف وليس في القميص أو القمصان التي ارتداها يوسف وجده إبراهيم صلوات الله عليهما) انتهى<sup>(٢)</sup>.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٢.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.



**أقول:** تقدم عرض كلام السيد أحمد الحسن في كتاب "الإضاءات" ضمن مباحث رسالة يوسف الصديق التي تقدمت.

• **روايات أخرى:** ذكرت أنّ الأئمة عليهم السلام عندهم سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله أو قميصه <sup>(١)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن عنها: (الروايات الأخرى بنفس المعنى، فالسلاح: العلم، وقميص رسول الله: قلبه وسيرته (راجع: إضاءة من قميص يوسف) وسنّته وتأييد الله له) انتهى <sup>(٢)</sup>.

---

١- من قبيل: (عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عندي سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله لا أنزع فيه، ثم قال: إنّ السلاح مدفوع عنه لو وضع عند شرا خلق الله لكان خيرهم، ثم قال: إن هذا الأمر يصير إلى من يلوى له الحنك فإذا كانت من الله فيه المشيئة خرج فيقول الناس: ما هذا الذي كان، ويضع الله له يدا على رأس رعيته) الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٤.

ومنها: (عن محمد ابن حكيم عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: السلاح موضوع عندنا، مدفوع عنه، لو وضع عند شرا خلق الله كان خيرهم) الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٥.

ومنها: (عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألت عن ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله من أين هو؟ قال: هبط به جبرئيل عليه السلام من السماء وكانت حليته من فضة وهو عندي) الكافي، الكليني: ١ / ٢٣٤.

ومنها: (عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "ألا أريك قميص القائم الذي يقوم عليه؟ فقلت: بلى. قال: فدعا بقمطر ففتحه وأخرج منه قميص كرايس فنشره، فإذا في كفه الأيسر دم، فقال: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عليه دم يوم ضربت ربا عيته، وفيه يقوم القائم، فقبلت الدم ووضعته على وجهي، ثم طواه أبو عبد الله عليه السلام ورفعته") الغيبة، النعماني: ٢٥٠.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

### طلب موسى (ع) الرؤية القلبية:

قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" [الأعراف: ١٤٣].

وهذا قول موسى في التوراة: "١٨ فَقَالَ: «أَرِنِي مَجْدَكَ». ١٩ فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قَدَامَكَ. .... ٢٠ وَقَالَ: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ». ٢١ وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. ٢٢ وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَتِي أَضْعُكَ فِي نُفْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ٢٣ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يُرَى»" [سفر الخروج - إصحاح ٣٣].

بالتأكيد أن أبسط المؤمنين بالله معرفة يعلم أن الله سبحانه لا يرى بالعين الباصرة؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ باعتبار أن الرؤية الباصرة تستلزم أن يكون الله جسماً متحيزاً ومحدوداً، وهذه كلها من لوازم الفقر والحاجة وتنافي الكمال المطلق الذي يتصف به سبحانه، وبالتالي فما معنى أن يطلب موسى الكليم رؤية الله: "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ"؟!

أوضح الإمام الرضا صلوات الله عليه - جواباً على سؤال المأمون العباسي - أن موسى لم يطلب الرؤية البصرية، وإنما بنو إسرائيل هم من طلبها كما تبين لنا بالبحث السابق، وإلا فهو عليه السلام يعلم بأن الله لا يرى بالبصر<sup>(١)</sup>.

١- (.....) قال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: "فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى انظر إليك قال لن تراني" كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ قال الرضا عليه السلام: إن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعز من أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وتناجى فقالوا: "لن نؤمن لك" حتى نستمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف فاختر منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا: "لن نؤمن لك" بأن هذا

نعم، موسى عليه السلام طلب من الله الرؤية القلبية ومعرفة الله معرفة تامة، لكنه أجيب بأن ذلك غير ممكن بالنسبة له؛ لأن مقام "المعرفة التامة" مختص بمن هم أعلى شأنًا عند الله عز وجل منه، وهم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، الذين كان الإقرار بهم ومعرفتهم سبباً في نيل موسى مرتبة "أولي العزم" من الرسل، وكانوا - أيضاً - سبباً في نيل إبراهيم مرتبة الإمامة كما عرفنا.

قال السيد أحمد الحسن: (طلب موسى الرؤية القلبية والمعرفة البصرية لا البصرية أولاً، فطلب معرفة الله سبحانه وتعالى حق معرفته في مقام "القاب قوسين أو أدنى"، فلما عرف من الله سبحانه وتعالى أنه غير مستحق لهذا المقام طلب أن يرى بالبصيرة وينظر بالبصر - "أرني أنظر" - إلى صاحب هذا المقام، وهو محمد صلى الله عليه وآله - ومعرفة محمد صلى الله عليه وآله هي معرفة الله سبحانه وتعالى، والنظر إلى محمد هو النظر إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنه وجه الله سبحانه - فجاءه الجواب: أنه لا طاقة له على رؤية نور محمد صلى الله عليه وآله في ذلك المقام القدسي، فتجلى محمد صلى الله عليه وآله وهو نور الله سبحانه للجبل فجعله دكاً، وخرّ موسى صعباً "قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" أي: بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو فقط الذي يعرف محمداً ويرى محمداً صلى الله عليه وآله، وهو صاحب هذا المقام، فهو باب محمد صلى الله عليه وآله: "أنا مدينة العلم وعلي بابها".

الذي سمعناه كلام الله: "حتى نرى الله جبهة" فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابه وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم إن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يُعرف بآياته ويُعلم بأعلامه فقالوا: "لن نؤمن لك" حتى تسأله فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالته بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحيهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلمي ما سألوكم فلن أؤاخذكم بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام: "رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه وهو هوى فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل" بآية من آياته "جعله دكاً وخرّ موسى صعباً فلما أفاق قال سبحانه تبت إليك" يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي "وأنا أول المؤمنين" منهم بأنك لا ترى) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ١٧٦ - ١٧٩.

قال الصادق عليه السلام: "وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط فدكّت الأرض وصعقت الجبال" <sup>(١)</sup>.

ثم طلب موسى عليه السلام مقام قائم آل محمد عليه السلام لما عرف من الله ما سيعطيه من التمكين في الملك، وطلب من الله أن يجعله قائم آل محمد عليه السلام، كما ورد في الرواية عنهم عليهم السلام <sup>(٢)</sup>.

وبالنتيجة، فإنّ موسى طلب مقام: (الشمس والقمر والكوكب) التي رآها إبراهيم جدّه عليه السلام، ولكن ليس بهذا المقام الذي رآه إبراهيم عليه السلام وهو في الملكوت، بل طلب أن يرى أنوارهم القدسية في الملاء الأعلى، أي: مقاماتهم في السماء السابعة الكلية.

وطلب أيضاً النظر إلى محمد صلى الله عليه وآله فسُكت عن النظر؛ لأنه ممكن سواء لصورة محمد صلى الله عليه وآله الجسمانية أو لصورته المثالية، ورُدَّ بعدم إمكان رؤية محمد صلى الله عليه وآله "رؤية تامة": لأن صاحب هذا المقام هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: "يا علي، ما عرفني إلا الله وأنت".

فقوله تعالى: "لَنْ تَرَانِي" أي: لن ترى محمداً صلى الله عليه وآله رؤية تامة، كما تطلب) انتهى <sup>(٣)</sup>.

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٣٦ / ٤٠٧.

٢- عن سالم الأشل، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: (نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يُعطى قائم آل محمد من التمكين والفضل، فقال موسى: رب اجعلي قائم آل محمد. فقيل له: إن ذاك من ذرية أحمد. ثم نظري السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك، فقال مثله، فقيل له مثل ذلك، ثم نظري السفر الثالث فرأى مثله، فقال مثله، فقيل له مثله) الغيبة، النعماني: ٢٤٦ - ٢٤٧.

٣- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٥٥.

## الطور الذي كلم الله موسى عليه:

في سني تيه بني إسرائيل في صحراء سيناء، كان موسى يذهب إلى ميقات ربه ويكلمه الله على جبل الطور الموجود في شبه جزيرة سيناء في ذلك الوقت، وقد تقدم بيان كيفية تكليم الله له في بحث "حادثة الاصطفاء" حيث ذكرنا هناك أن الأمر حصل عبر مخلوق يمثل الله سبحانه فيكون تكليمه لموسى تكليم الله له؛ لأنه كلمه بأمر الله كما عرفنا.

وأما نفس جبل الطور، فبحسب النصوص الدينية: أنه تم نقله من مكانه إلى موضع آخر، قال تعالى: "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" الأعراف: ١٧١.

(عن أبي بصير قال: كان مولانا أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام جالساً في الحرم وحوله عصابة من أوليائه، إذ أقبل طاووس اليماني في جماعة من أصحابه ثم قال لأبي جعفر عليه السلام: أتأذن لي في السؤال؟ فقال: أذنا لك فسل! .....)

قال: فأخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها، ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو؟ فقال: طور سيناء أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلم بجناح منه، فيه ألوان العذاب، حتى قبلوا التوراة، وذلك قوله عز وجل: "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ" (الآية) (١).

نصوص التوراة أيضاً أكدت أن جبل الطور ارتجف وتزعزع من مكانه:

(سفر الخروج - إصحاح ١٩): "١٧ وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِلْمَلْأَقَةِ اللَّهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. ١٨ وَكَانَ جَبَلُ سَيْنَاءَ كُلُّهُ يَدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الْأَثْنُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا".

وكان سبب ذلك هو تحذير بني إسرائيل من مخالفة أوامر الله وما أوصاهم به في التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، ولكنهم خالفوا كما في فتنة العجل ولم يلتزموا

بميثاق الله معهم، وأيضاً: كثرة اعتراضاتهم على موسى ووصيه هارون عليهما السلام التي استمرت إلى وقت وفاة موسى صلوات الله عليه وهم لا زالوا في التيه (العقوبة التي حلت بهم نتيجة رفضهم دخول الأرض المقدسة مع موسى كما عرفنا)، وبالتالي فالجبل رفع من مكانه: "نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ" بحسب النص القرآني، "وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جَدًّا" بحسب النص التوراتي.

وعموماً، معنى "نتقنا الجبل": أي اقتلعناه من أصله ورفعناه، حيث قامت الملائكة بنقله إلى موضع آخر ولم يعيدوه إلى مكانه:

قال السيد أحمد الحسن: (فقد نقلت الملائكة الطور بعد حادثه رفعه ولم يعاد إلى مكانه: "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" الأعراف: ١٧١، ظنوا أنه واقع بهم: فهو لم يعد إلى مكانه ولم يقع بهم، بل نُقل) انتبهى<sup>(١)</sup>.

أما المكان الذي نُقل له جبل الطور فهو النجف، وهذا ما أكّدته نصوص أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله<sup>(٢)</sup>.

١- المتشابهات: جواب سؤال ١٥٥. وروى الطبرسي بعض أسئلة طاووس اليماني للإمام الباقر عليه السلام، ومنها: (قال: فأخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها، ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو؟ فقال: طور سيناء أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلم بجناح منه، فيه ألوان العذاب، حتى قبلوا التوراة، وذلك قوله عز وجل: "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ" الآية) الاحتجاج: ٢ / ٦٤ - ٦٥.

٢- هذا مثال لها:

- (عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث حدث به أنه كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام، أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفوني وهو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٣٤.

- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (... الغري، وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً صلى الله عليه وآله حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً، فوالله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ...) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٢٣.

## ذبح البقرة:

من الأمور التي حصلت في سني تيه بني إسرائيل هي قضية ذبح البقرة:

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ \* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ" البقرة: ٦٧ - ٧١.

نصوص التوراة ذكرت قصة ذبح البقرة بمواصفات خاصة (صحيحة، حمراء، لم تستخدم بالعمل)، لكن سياقها وسبب ذبحها يختلف عن النص القرآني والروائي لدى المسلمين، فهي عندهم شعيرة تتعلق بالتطهير من النجاسة الموت أو التكفير عن الخطيئة "عبادة العجل" ونحو ذلك<sup>(١)</sup>!

عندنا كمسلمين: قضية ذبح البقرة حدثت إثر مقتل أحد الإسرائيليين، حيث طلب ذوهه من موسى الكشف عن القاتل، فطلب منهم (بتعليم من الله) أن يذبحوا بقرة كوسيلة توصل إلى معرفة القاتل، وكان يكفهم أن يذبحوا أي بقرة ولو فعلوا لأجرائهم لكنهم شددوا

١- (سفر العدد - إصحاح ١٩): "١ وكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢ «هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقَرَةً حَمْرَاءَ صَحِيحَةً لَا عَيْبَ فِيهَا، وَلَمْ يَغْلُ عَلَمُهَا نِيرٌ، ٣ فَتُغَطُّونَهَا لِأَلْعَازَارِ الْكَاهِنِ، فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ الْمُحَلَّةِ وَتُذْبَحُ قُدَّامَهُ. ٥ وَتُحْرَقُ الْبَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَذَمَاجُهَا مَعَ فَرْثِهَا. ٦ وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزُوزُوفَا وَيَطْرَحُهَا فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقَرَةِ، ٧ ثُمَّ يَغْسِلُ الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَتَعْدُ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمُحَلَّةَ. وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٨ وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٩ وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ زَمَادَ الْبَقَرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمُحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ، فَتَكُونُ لِحِمَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظِ، مَاءِ نَجَاسَةٍ. إِنَّهَا ذَبِيحَةُ خَطِيئَةٍ. ٢٠ وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَنَجَّسُ وَلَا يَتَطَهَّرُ، فَتُبَادُ بِلُكِّ النَّفْسِ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّهُ نَجَسَ مَقْدِسَ الرَّبِّ. مَاءِ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهِ. إِنَّهُ نَجَسٌ. ٢١ فَتَكُونُ لَهُمْ فَرِيضَةٌ دَهْرِيَّةً. وَالَّذِي رَشَّ مَاءِ النَّجَاسَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ، وَالَّذِي مَسَّ مَاءِ النَّجَاسَةِ يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ".

على أنفسهم فشدد الله عليهم، وأخيراً لما قاموا بذبحها كشف لهم موسى عن القاتل الحقيقي إذ أمر بضرب القتيل بذنب البقرة المذبوحة فأحياء الله ونطق باسم قاتله<sup>(١)</sup>.

١- (عن ابن أبي عمير، عن بعض رجالهم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقاً رديناً فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه الذي أنعموا له ففعد له فقتله غيلة، ثم حمّله إلى موسى عليه السلام، فقال: يا نبي الله هذا ابن عمي فقد قتل، فقال موسى عليه السلام: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار، وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً، وكره ابنه أن ينهيه وينغص عليه نومه فأنصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلما انتبه أبوه قال له: يا بني ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبيعها، لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنهك وأنغص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه وأمر موسى بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلما اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى: "إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة" فتعجبوا وقالوا: "أنتخذنا هزوا" نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة فقال لهم موسى: "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" فعلموا أنهم قد أخطأوا فقالوا: "ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر" والفاض التي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر التي لم يضربها الفحل، فقالوا: "ادع لنا ربك يبين لنا ما لو أنها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها" أي شديدة الصفرة تسر الناظرين "إلها" قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإن شاء الله لمهتدون \* قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض "أي لم تذلل ولا تسقى الحرث" أي لا تسقى الزرع "مسلمة لا شية فيها" أي لا نقطة فيها إلا الصفرة "قالوا الآن جئت بالحق" هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه فقال لهم موسى: لا بد لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها، ثم قالوا: يا نبي الله ما تأمرنا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: من قتل؟ فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا: من قتل؟ فلان؟ فقال: فلان ابن فلان ابن عمي الذي جاء به، وهو قوله: "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون" تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١/ ٤٩ - ٥٠.

وأيضاً: (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلام إن سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا من قتله، قال: انتوني ببقرة "قالوا أنتخذنا هزوا" قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة أجزأهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم "قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر" يعني لا صغيرة ولا كبيرة "عوان بين ذلك" ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة أجزأهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم "قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لو أنها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين" ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة لأجزأهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم "قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق" فطليبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل



(عن علي بن يقطين، قال: سمعت أبا الحسن (الإمام الكاظم) عليه السلام يقول: إنّ الله أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، وإنما كانوا يحتاجون إلى ذنبا، فشدد الله عليهم<sup>(١)</sup>، أي: إنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

## دين موسى ومعرفته بالرسول محمد وآله:

### دين موسى (ع) وشريعته:

دين موسى هو دين الله، وهو نفسه دين جدّه إبراهيم من حيث الأسس العقائدية والأصول العامة الرئيسية كالشهادة لله بالوحدانية، وأما تفاصيل الشرائع فهذه أمور ثانوية والاختلاف فيها لا يعني تبدل الدين الإلهي بوجه. نعم، لا يصح اعتبار شريعة موسى امتداداً للحنيفية الإبراهيمية بعد تبدل كثير من شرائعها، وتبدل الشرائع أو نسخها أمر ممكن ويحصل حتى داخل بعثة رسول إلهي واحد كما هو معلوم.

وأيضاً: من المعلوم أنّ موسى صلوات الله عليه رسول من أولي العزم، وهم أصحاب الكتب والشرائع والعزائم كحال إبراهيم ونوح وعيسى، وبطبيعة الحال: على رأسهم الرسول محمد صلوات الله عليهم<sup>(٢)</sup>.

فقال لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً فجاءوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك فقال اشتروها فاشتروها وجاؤوا بها فأمر يذبحها ثم أمر أن يضرب الميت بذنبا فلما فعلوا ذلك حيي المقتول وقال: يا رسول الله إنّ ابن عبي قتلي دون من يدعي عليه قتلي فعملوا بذلك قاتله، فقال رسول الله موسى بن عمران عليه السلام لبعض أصحابه: إنّ هذه البقرة لها نبياً، فقال: وما هو؟ قال: إنّ فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وأنه اشترى تبعاً فجاء إلى أبيه ورأى أنّ المقالة تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره فقال له: أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك، قال: فقال له رسول الله موسى بن عمران عليه السلام: انظروا إلى البرما بلغ بأهله عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١٦ / ٢ - ١٧.

١- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٤٧ / ١.

٢- (عن سماعة ابن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: "فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل" فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء إبراهيم

وأيضاً: عرفنا سابقاً أنّ مسألة اختيار رسول معين (وهم الرسل الأربعة: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى صلوات الله عليهم) ليكون من أولي العزم كما لها علاقة بإخلاصهم وطهارتهم وصدق عزمهم، لها علاقة - أيضاً - بمعرفتهم بالرسول محمد وأوصيائه صلوات الله عليهم؛ والمهدي منهم بالخصوص<sup>(١)</sup>، وهذا يفرض أن يكون لموسى صلوات الله عليه صلة واضحة بهذا الجانب، وهو كذلك بالفعل كما سيتضح.

من سنن موسى عليه السلام مسألة أن الإمام يغسله الإمام<sup>(٢)</sup>.

العبادات كالصلاة والصوم والحج ... إلخ، كان لها وجود في شريعة موسى صلوات الله عليه، وقد تقدم ما يتعلق بالصلاة: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" يونس: ٨٧. وأما الصوم فقد ورد ذكره في النصوص أيضاً<sup>(٣)</sup>.

عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف، حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف وكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه، حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام) الكافي، الكليني: ١٧ / ٢ - ١٨.

١- عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً" قال: (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سمي أولو العزم أولي العزم؛ لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك والإقرار به) الكافي، الكليني: ١ / ٤١٦.

٢- (أبو معمر قال: سألت الرضا عليه السلام عن الامام يغسله الامام، قال: سنة موسى بن عمران عليه السلام) الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٥.

٣- (عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، عن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: لما كلم الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى: ..... إلهي، فما جزاء من صلى الصلوات لوقتها، قال: أعطيه سؤله، وأبيحه جنتي. قال: إلهي، فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك، قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ. قال: إلهي، فما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً؟ قال: يا موسى، أقيمه يوم القيامة مقاما لا يخاف فيه. قال: إلهي، فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس؟ قال: يا موسى، ثوابه كنواب من لم يصمه) الأمالي، الصدوق: ٢٧٦ - ٢٧٧.

وأما الحج فواضح وجوده في وقت موسى بدليل أنَّ مهرزواجه من ابنة نبي الله شعيب كان ثمان حجج<sup>(١)</sup>.

وروي: أنه كان يُحرم للحج من رملة مصروليّي وتجيبيه الجبال<sup>(٢)</sup>. وكذا روي أنَّ ولدي هارون (شبروشير) كانوا يحجّون البيت<sup>(٣)</sup>.

١- (قال الحلبي سئل أبو عبد الله عليه السلام عن البيت أكان يحج قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم وتصديقه في القرآن قول شعيب حين قال لموسى حيث تزوج "على أن تأجرني ثمانى حجج" ولم يقل ثمانى سنين، وإن آدم ونوحاً حجاً وسليمان ابن داود قد حج البيت بالجن والانس والطير والريح، وحج موسى على جمل أحمر يقول لبيك لبيك، وأنه كما قال الله: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين" وقال: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل" وقال "إن طهراً بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود" وإن الله أنزل الحجر لآدم وكان البيت) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٦٠ / ١.

٢- وردت عدة روايات في حج موسى عليه السلام، هذه بعضها:

- (عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحرم موسى عليه السلام من رملة مصر، قال: ومربصفاح الروحاء محرماً يقود ناقته بخطام من ليف عليه عباءتان قطوا نيتان يلي وتجيبيه الجبال.

عن زيد الشحام، عن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حج موسى بن عمران عليه السلام ومعه سبعون نبياً من بني إسرائيل خطم إليهم من ليف يليون وتجييهم الجبال وعلى موسى عباءتان قطوا نيتان يقول: لبيك عبدك ابن عبدك) الكافي، الكليني: ٢١٣ / ٤ - ٢١٤.

- (٢٢٨٣- وروي: "أن موسى عليه السلام أحرم من رملة مصر وأنه مر في سبعين نبياً على صفائح الروحاء عليهم العباء القطوانية يقول: لبيك عبدك وابن عبدك لبيك".

٢٢٨٤- وروي في خبر آخر: "أن موسى عليه السلام مر بصفائح الروحاء على جمل أحمر، خطامه من ليف عليه عباءتان قطوا نيتان وهو يقول: "لبيك يا كريم لبيك"، ومرّ يونس بن متى عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: لبيك كشاف الكرب العظام لبيك"، ومرّ عيسى بن مريم عليهما السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: "لبيك عبدك ابن أمتك، لبيك"، ومرّ محمد صلى الله عليه وآله بصفائح الروحاء وهو يقول: "لبيك ذا المعارج لبيك" من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥.

- (عن أبان بن عثمان عن أخبره عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له لم سميت التلبية تلبية؟ قال: إجابة أجاب موسى عليه السلام ربه) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٤١٨.

٣- (عن أبي المكي، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام دخل الحجر من ناحية الباب فقام يصلي على قدر ذراعين من البيت، فقلت له: ما رأيت أحداً من أهل بيتك يصلي بحيال الميزاب؟ فقال: هذا مصلى شبروشير ابني هارون) الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٤.

كما روي عن موسى عليه السلام أنَّ الحاج لا يُعدم الجزاء وإن لم تكن لديه نية صداقة ونفقة طيبة؛ فضلاً عن تواجدهما عنده<sup>(١)</sup>.

من شريعة موسى عليه السلام أيضاً: ما يتعلق بقدسية يوم السبت وتحريم العمل فيه كالصيد والتجارة ونحو ذلك: "٨ أذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. ٩ سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، ١٠ وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لَا تَصْنَعُ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ" سفر الخروج - إصحاح ٢٠.

لكن بني إسرائيل الذين ملأوا قلب موسى ألماً وأذى (كما رأينا في سيرتهم معه) أكيد سيحتالون على هذا التحريم<sup>(٢)</sup>!

١- (قال الصادق عليه السلام: "لما حج موسى عليه السلام نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له موسى: يا جبرئيل ما لمن حج هذا البيت بلانية صداقة ولا نفقة طيبة؟ قال: لا أدري حتى أرجع إلى ربي عزوجل، فلما رجع قال الله عز وجل: يا جبرئيل ما قال لك موسى وهو أعلم بما قال، قال: يا رب قال لي: ما لمن حج هذا البيت بلانية صداقة ولا نفقة طيبة، قال الله عزوجل: أرجع إليه وقل له: أهب له حقي وأرضي عنه خلقي، قال: فقال: يا جبرئيل فما لمن حج هذا البيت بنية صداقة ونفقة طيبة؟ قال: فرجع إلى الله تعالى فأوحى الله إليه قل له: أجعله في الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً") الفقيه، الصدوق: ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦.

٢- (عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ..... فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء [به] من عند الله فمن آمن مخلصاً ومات على ذلك أدخله الله الجنة بذلك وذلك أنَّ الله ليس بظلام للعبيد وذلك أنَّ الله لم يكن يعذب عبداً حتى يغلظ عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها، فلما استجاب لكل نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين، جعل لكل نبي منهم شرعة ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنة، وقال الله لمحمد صلى الله عليه وآله: "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده" وأمر كل نبي بالأخذ بالسبيل والسنة وكان من السنة والسبيل التي أمر الله عزوجل بها موسى عليه السلام أن جعل الله عليهم السبت وكان من أعظم السبت ولم يستحل أن يفعل ذلك من خشية الله، أدخله الله الجنة ومن استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه من عمل الذي نهى الله عنه فيه، أدخله الله عزوجل النار وذلك حيث استحلوا الحيتان واحتبسوها وأكلوها يوم السبت، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا أشركوا بالرحمن ولا شكوا في شيء مما جاء به موسى عليه السلام، قال الله عزوجل: "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين"، ثم بعث الله عيسى عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء به من عند الله وجعل لهم شرعة ومنهاجاً فهدمت السبت الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سبيل عيسى أدخله الله النار وإن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشركوا بالله شيئاً.....) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٨ - ٢٩.

## من وحي الله لموسى (ع):

النصوص التي ذكرت تعاليم الله لموسى صلوات الله عليه وما أوحاه إليه كثيرة جداً، وتحتاج ربما إلى دراسة خاصة، ولأجل الفائدة أنقل بعضاً منها:

١- أوحى الله سبحانه إلى موسى سبب اصطفائه بالرسالة، وهو شدة ذلّه وتواضعه لله وكان إذا صلى وسجد وضع خده على التراب<sup>(١)</sup>.

ومعروف عن موسى أنه لم يكن يفضل نفسه على مخلوق قط<sup>(٢)</sup>.

٢- أوحى الله لموسى أن يكثر من ذكره، وأنّ ذكره حسن على كل حال<sup>(٣)</sup>.

١- (عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتدري لما اصطفتك لكلامي دون خلقي؟ فقال موسى: لا يا رب، فقال: يا موسى إني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذل لي منك نفساً. يا موسى إنك إذا صليت وضعت خديك على التراب) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٦.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إن موسى عليه السلام احتبس عنه الوحي أربعين أو ثلاثين صباحاً، قال فصعد على جبل بالشام يقال له: أريحا، فقال: يا رب ان كنت حبست عني وحيك وكلامك لذنوب بني إسرائيل، فغفر انك القديم قال فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى بن عمران أتدري لما اصطفتك لوحى وكلامي دون خلقي؟ فقال لا علم لي يا رب، فقال: يا موسى إني أطلعت إلى خلقي اطلاعة فلم أجد في خلقي أشد تواضعاً لي منك، فمن ثم خصصتك بوحي وكلامي من بين خلقي. قال: وكان موسى عليه السلام إذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٥٦ - ٥٧.

٢- (أوحى إلى موسى عليه السلام: إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى لا يعترض أحداً الا وهو لا يجسر (يجترئ) أن يقول: إني خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مربكلب أجرب فقال: أصحب هذا فجعل في عنقه حبلاً ثم مر (جر) به فلما كان في بعض الطريق شمر الكلب من الحبل وأرسله، فلما جاء إلى مناجاة الرب سبحانه قال: يا موسى أين ما أمرتك به؟ قال: يا رب لم أجده فقال الله تعالى: وعزّي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوك من ديوان النبوة عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٢٠٤.

٣- (عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغرّر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أقرب أنت مني فأناجيك أم بعيد فأناذك. فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ فقال: الذين يذكرونني فأذكروهم ويتحابون في فأحبهم فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكروهم فدفعت عنهم بهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكرى على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وإن ترك ذكرى يسي القلوب.

٣- أوحى إليه: بمناجاة الليل والبكاء للقياء الحبيب وعلى خطيئته<sup>(١)</sup>.

٤- أوحى إليه: الصبر على البلاء وشكر النعماء والرضا بالقضاء<sup>(٢)</sup>.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغتبر أن موسى سأل ربه فقال: إلهي إنه يأتي عليّ مجالس أعزك واجلك أن أذكرك فيها، فقال: يا موسى إن ذكرني حسن على كل حال.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عز وجل لموسى: أكثر ذكرني بالليل والنهار وكن عند ذكرني خاشعاً وعند بلاني صابراً واطمئن عند ذكرني واعبدني ولا تشرك بي شيئاً، إليّ المصير. يا موسى اجعلي ذكرك وضع عندي كترك من الباقيات الصالحات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عز وجل لموسى: اجعل لسانك من وراء قلبك تسلم وأكثر ذكرني بالليل والنهار ولا تتبع الخطيئة في معدنها فتندم فإن الخطيئة موعد أهل النار.

قال: فيما نأجى الله به موسى عليه السلام قال: يا موسى لا تنسني على كل حال فإن نسياني يميت القلب الكافي، الكليني: ٢/ ٤٩٦ - ٤٩٨.

١- (عن المفضل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: كان فيما نأجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا بن عمران، كذب من زعم أنه يحبني فإذا جئت الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، ها أنا ذا - يا بن عمران - مطلع على أحبائي، إذا جهنم الليل حولت أبصارهم من قلوبهم، ومثلت عقوبيتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور. يا بن عمران، هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل، وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً) الأمالي، الصدوق: ٤٣٨.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (كان فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى، كن خلق الثوب، نقي القلب، حلس البيت، مصباح الليل، تعرف في أهل السماء، وتخفي على أهل الأرض. يا موسى، إياك وللجاجة، ولا تكن من المشائين في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، وابل على خطيئتك يا بن عمران) الأمالي، الصدوق: ٦٠٢.

٢- (عن أبي عبد الله عليه السلام: أن فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران: ما خلقت خلقاً أحب إليّ من عبدي المؤمن فإنني إنما أبتليه لما هو خير له وأعافيه لما هو خير له وأزوي عنه ما هو شر له لما هو خير له وأنا أعلم بما يصلح عليه عبيدي، فليصبر على بلاني وليشكر نعمائي وليبرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري) الكافي، الكليني: ٢/ ٦١ - ٦٢.

(عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوحى الله عز وجل إلى نبيه موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى أحببني وحببني إلى خلقي. قال: يا رب إني أحبك، فكيف أحبك إلى خلقك؟ قال: أذكر لهم نعمائي عليهم، وبلاني عندهم، فإنهم لا يذكرون إذ لا يعرفون مني إلا كل خير) الأمالي، الطوسي: ٤٨٤.

(وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب دلني على عمل إذا أنا عملته نلت به رضاك، فأوحى الله إليه: يا ابن عمران إن رضائي في كرهك ولن تطيق ذلك، قال: فخرّ موسى عليه السلام ساجداً باكياً، فقال: يا رب خصصتني بالكلام ولم تكلم بشراً قبلي، ولم تدلني على عمل أنال به رضاك. فأوحى الله إليه: إن رضائي في رضاك بقضائي الدعوات، الراوندي: ١٦٤.

- ٥- أوحى إليه: أَنَّ الطاهرة قلوبهم أهل الله<sup>(١)</sup>.
- ٦- أوحى إليه: أَنَّ الغنى في الدنيا ذنب عجلت عقوبته والفقر شعار الصالحين<sup>(٢)</sup>.
- ٧- أوحى إليه: بأن يدعو به كل شيء مهما صغر، وبلسان لم يعصه به<sup>(٣)</sup>.
- ٨- أوحى إليه: أَنَّ حب الدنيا أشد كبرة. وأنه أزواها عن أوليائه<sup>(٤)</sup>.

١- عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: (قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب من أهلك الذين تظلم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم، والتربة أيديهم، الذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربهم، الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفى الصبي الصغير باللين، الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها، والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلحت مثل النمر إذا حرد) المحاسن، البرقي: ١ / ١٦.

٢- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته) الكافي، الكليني: ٢ / ٢٦٣.

(فيما أوحى الله إليه: يا موسى الفقير من ليس له مثلي كفيل، والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس له مثلي مؤنس، ويروى حبيب، يا موسى أرض بكسيرة من شعير تسد بها جوعتك وبخرقة توارى بها عورتك واصبر على المصائب، وإذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل: انا لله وانا إليه راجعون عقوبة قد عجلت في الدنيا، وإذا رأيت الدنيا مدبرة عنك فقل: مرحباً بشعار الصالحين. يا موسى لا تعجب بما أوتي فرعون وما تمتع به فإنما هي زهرة الحياة الدنيا) عدة الداعي، ابن فهد الحلبي: ١٠٧.

٣- (وروي أَنَّ الله سبحانه قال لموسى: ادعني على لسان لم تعصني به فقال: يا رب إني لي بذلك؟ فقال: ادعني على لسان غيرك) عدة الداعي، ابن فهد الحلبي: ١٢٠.

(في الحديث القدسي: يا موسى سلمي كلما تحتاج إليه حتى علف شاتك، وملح عجيتك) عدة الداعي، ابن فهد الحلبي: ١٢٣.

٤- (أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتيك بكبرة أشد منها) التحصين، ابن فهد الحلبي: ٢٧. (وروي أنه لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لهما: لا يروعاكما لباسه فإن ناصيته بيدي ولا يعجبكما ما مُتّع به من زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، فلو شئت زنتكما بزينة يعرف فرعون حين يراها أَنَّ قدرته يعجز عنها، ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي الدنيا عنكما وكذلك أفعل بأوليائي، إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي غنمه عن مراتع الهلكة، وإني لأجنتهم سلوكها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن موارد العثرة، وما ذاك ليهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً، إنما يتّين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف الذي يثبت في قلوبهم فيظهر من قلوبهم على أجسادهم فهو شعارهم وذرارهم الذي به يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ودرجاتهم التي لها يأملون، ومجدهم الذي به يفتخرون، وسيماهم التي بها يعرفون، فإذا لقيتهم يا موسى فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وذلك لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر لهم يوم القيامة) عدة الداعي، ابن فهد الحلبي: ١٤٧.

(عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى إن الدنيا دار عقوبة، عاقبت فيها آدم عند خطيئته وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان فيها لي، يا موسى إن عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر

٩- أوحى إليه: أن أفضل التقرب البكاء من خشية الله والورع<sup>(١)</sup>.

و أيضاً: مما أوحى الله لرسوله موسى وصايا كثيرة، ورد في مقطع منها أنه أوصاه وبشّره بعيسى عليه السلام ثم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ويَبين له فضله ومقامه عنده وطلب منه أن يبين فضله لأُمتِه، حيث قال له:

(أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيتون والمحراب ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر، فمثله في كتابك أنه مؤمن مهيم على الكتب كلها وأنه راعع ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين وأنصاره قوم آخرون ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلة من المال، اسمه أحمد، محمد الأمين من الباقيين من ثلة الأولين الماضين، يؤمن بالكتب كلها ويصدق جميع المرسلين ويشهد بالإخلاص لجميع النبيين أُمته مرحومة مباركة ما بقوا في الدين على حقائقه، لهم ساعات مؤقتات يؤدون فيها الصلوات أداء العبد إلى سيده نافلتة، فبه فصدق ومنهاجه فاتبع فإنه أخوك. يا موسى إنه أُمي وهو عبد صدق يبارك له فيما وضع يده عليه ويبارك عليه كذلك كان في علمي وكذلك خلقتة، وبه أفتح الساعة وبأُمته أختم مفاتيح الدنيا فمرظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا اسمه ولا يخذلوه وإنهم لفاعلون، وحبه لي حسنة، فأنا معه وأنا من حزبه وهو من حزبي وحزبهم الغالبون، فتمت كلماتي لأظهرن دينه على الأديان كلها ولأعبدن بكل مكان ولأنزلن عليه قرأنا فرقانا شفاء لما في الصدور من نفث الشيطان فصل عليه يا ابن عمران فإني أصلي عليه وملائكتي<sup>(٢)</sup>).

علمهم وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم وما من أحد عظمها فقرت عيناه فيها ولم يحقرها أحد إلا انتفع بها الكافي، الكليني: ٣١٧/ ٢.

١- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (فيما ناجى به الله موسى عليه السلام على الطور: أن يا موسى أبلغ قومك أنه ما يتقرب إلي المتقربون بمثل البكاء من خشيتي وما تعبد إلي المتعبدون بمثل الورع عن محارمي ولا تزين لي المتزينون بمثل الزهد في الدنيا عما بهم الغنا عنه، قال: فقال موسى عليه السلام يا أكرم الأكرمين فماذا أثبتهم على ذلك؟ فقال يا موسى أما المتقربون إليّ بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه أحد، وأما المتعبدون إليّ بالورع عن محارمي فإن أفتش الناس على أعمالهم ولا أفتشهم حياء منهم، وأما المتقربون إليّ بالزهد في الدنيا فإني أنحهم الجنة بحذاقيرها يتبؤوا منها حيث شاء) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٧٢.

٢- الكافي: ٨/ ٤٢ - ٤٩.



## معرفة موسى بالرسول محمد وآله:

معرفة موسى عليه السلام بمقام ومنزلة الرسول محمد وآله الأوصياء صلوات الله عليهم واضحة؛ لعدة اعتبارات:

**أولاً:** موسى رسول من أولي العزم، وقد تقدم - بحسب النصوص الدينية - أنّ مقام أولي العزم له صلة بمعرفتهم بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وسيرة المهدي منهم بالخصوص، وهذا يعني أنّ معرفة موسى بهم أكيدة.

**ثانياً:** تقدم أيضاً في بحوث رسالة إبراهيم صلوات الله عليه أنّ لديه صحفاً، وكان أحد تعاليمها أنه كلما ذكر الله صلى، وليس المقصود بالصلاة العبادة المعروفة وإلا لزم التكليف بما لا يطاق، وإنما المقصود - بحسب ما أوضحه الإمام الرضا - أنه كلما ذكر الله صلى على محمد وآل محمد، ولذا عُرف عنه أنه كان يكثر من الصلاة عليهم. حال إبراهيم هذا (ذكر اسم ربه صلى) لم يرد في صحفه فحسب، ولكنه ورد أيضاً في صحف موسى، وأكد أنّ موسى امتثل ما أنزل الله عليه من وحي وتعاليم، قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* ... إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" الأعلى: ١٤ - ١٩؛ لا سيما وأنّ الله قد أمر موسى بكثرة ذكره على كل حال كما عرفنا، وهذا يعني أنه كلما ذكر الله صلى على الرسول محمد وآله صلوات الله عليهم.

**ثالثاً:** أمور تؤكد معرفة موسى بسادة رسل الله محمد وآله صلوات الله عليهم:

١- إعلام الله لموسى بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله سيد رسل الله، وأنّ آله الكرام صلوات الله عليهم لا يدانهم في الفضل أحد، وأنّ أمته أفضل الأمم<sup>(١)</sup>.

١- (عن الحسن بن علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل الحمد لله رب العالمين ما تفسيره؟ فقال: لقد حدثني أبي عن جدي عن الباقر عن زين العابدين عن أبيه عليهم السلام ان رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال أخبرني عن قول الله عز وجل الحمد لله رب العالمين ما تفسيره؟ فقال: الحمد لله هو ان عرف عباده بعض نعمه عليهم جملًا، إذ لا يقدر على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من

أن تحصى أو تعرف فقال لهم: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا رب العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات، أو الحيوانات فهو يقلبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه ويدبر كلا منها بمصلحته، وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته يمسك المتصل منها أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره انه بعباده لرؤف رحيم. قال عليه السلام: رب العالمين مالكمم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث هم يعلمون ومن حيث لا يعلمون، والرزق مقسوم وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متقى بزائدة ولا فجور فاجر بناقصة وبيننا وبينه سترو وهو طالبيه ولو أن أحدهم يفر من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت، فقال الله جل جلاله: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا، وذكرنا به من خبر في كتب الأولين قبل أن نكون، ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضلهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما بعث الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجياً وقلق له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح ورأى مكانه من ربه عز وجل فقال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي فقال الله جل جلاله: يا موسى أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع ملانكتي وجميع خلقي قال موسى: يا رب فإن كان محمد أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله جل جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين، فقال موسى: يا رب فإن كان آل محمد كذلك فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي، ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى وقلقت لهم البحر؟ فقال الله جل جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي فقال موسى: يا رب ليتني كنت أراهم فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى إنك لن تراهم وليس هذا أو أن ظهورهم وكن سوف تراهم في الجنان جنات عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلبون وفي خيراتهم يتحبسون، أفتحب أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم يا إلهي قال الله جل جلاله قم بيدي واشدد ميزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ففعل ذلك موسى عليه السلام فنأدى ربنا عز وجل: يا أمة محمد فأجابوه كلهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، قال فجعل الله عز وجل تلك الإجابة شعار الحج، ثم نادى ربنا تعالى: يا أمة محمد إن قضائي عليكم ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صادق في أقواله محق في أفعاله، وان علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليه ملتزم طاعته كما يلزم طاعة محمد، وان أوليائه المصطفين المطهرين الميامين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه أدخله جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر. قال: فلما بعث الله تعالى محمد صلى الله عليه وآله قال: يا محمد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة، ثم قال عز وجل لمحمد قل: الحمد لله رب العالمين على ما اختصني به من هذه الفضيلة، وقال لأمته وقولوا أنتم: الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل (علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٤١٧ - ٤١٨).

وروي شبيه بذلك في مصادر سنّية، منها: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها، فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال: يا ربّي، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونه ظاهراً فاجعلها أمتي،

٢- الله سبحانه أعلم رسوله موسى أنَّ محمداً وآله صلوات الله عليهم أحيابه وأوليائه وأنه لا يقبل صلاة عبد إلا بمعرفة حقهم، ومن أجلهم خلق آدم وحواء والجنة والنار... إلخ، فطلب موسى من الله أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وآله فشرط له ذلك إن عرف منزلتهم<sup>(١)</sup>!

قال: تلك أمة أحمد [قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفئ فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة [واحدة] وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون [قرون الضلالة] المسيح الدجال فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب فاجعلي من أمة أحمد، فأعطى عند ذلك خصلتين، فقال: "يا موسى أي اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين"، قال: قد رضيت يا رب) الدر المنثور، السيوطي: ٣ / ١٢٥؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦١ / ١١٩؛ إمتاع الأسماع، المقرئ: ٣ / ٣٤١ - ٣٤٢.

ونفس الرواية - باختلاف بسيط - رواها أبو حمزة الثمالي: (أن موسى عليه السلام لما أخذ الألواح قال: رب إني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني لأجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني لأجد في الألواح أمة كتبتهم في صدورهم يقرأونها فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني لأجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاوتون الأمور الكذاب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشرة أمثالها، وإن همَّ بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب اجعلي من أمة أحمد صلى الله عليه وآله.

قال أبو حمزة: فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعني أمة أحمد. قال الله: "يا موسى إني اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي" وقال: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" قال: فرضي موسى عليه السلام كل الرضا) تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٧٦ - ١٧٧.

١- (عن حفص بن غياث النخعي القاضي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء إبليس إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو يناجي ربه، فقال له ملك من الملائكة: ما ترجو منه وهو على هذه الحال يناجي ربه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة. وكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى لا أقبل الصلاة إلا لمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفاً، وقطع نهاره بذكره، ولم يبت مصراً على الخطيئة، وعرف حق أوليائي وأحبابي. فقال: يا رب تعني بأحبائك وأوليائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: هم كذلك يا موسى، إلا أنني أردت من أجله خلقت آدم وحواء ومن من أجله خلقت الجنة والنار. فقال موسى: ومن هو يا رب؟ فقال: محمد أحمد شققت

٣- بحسب النصوص: فإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: "اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمنتني منها"، فقال الله سبحانه: "لا تخف إنك أنت الأعلى"<sup>(١)</sup>. ونفس الأمر حصل لما فلق البحر بأمر ربه: إذ سأله بحق محمد وآل محمد وطلب من قومه فعل ذلك أيضاً<sup>(٢)</sup>.

اسمه من اسمي لأنني أنا المحمود. فقال موسى: يا رب اجعلي من أمته. قال: أنت يا موسى من أمته إذا عرفته وعرفت منزلته ومنزلة أهل بيته، إن مثله ومثل أهل بيته ومن خلقت كمثله الفردوس في الجنان، لا يبيس ورقها، ولا يتغير طعمها، فمن عرفهم وعرف حقهم جعلت له عند الجهل حليماً، وعند الظلم نوراً، وأجيبه قبل أن يدعوني وأعطيه قبل أن يسألني) معاني الأخبار، الصدوق: ٥٤ - ٥٥.

١- (عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: أتى يهودي النبي صلى الله عليه وآله، فقام بين يديه يحذو النظر إليه، فقال: يا يهودي، ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر، وأظله بالغمام؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنه يكره للعباد أن يزكي نفسه، ولكني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله منه، وإن إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمنتني منها، فقال الله جل جلاله: "لا تخف إنك أنت الأعلى". يا يهودي: إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة. يا يهودي، ومن ذريتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدمه وصلى خلفه) الأمالي، الصدوق: ٢٨٧ - ٢٨٨.

٢- عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قال: (قال الله عز وجل: واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقا ينقطع بعضه من بعض "فأنجيناكم" هناك وأغرقنا فرعون وقومه "وأنتم تنظرون" إليهم وهم يغرقون [نجا بني إسرائيل لإقرارهم ولاية محمد صلى الله عليه وآله، وتجديدها: وذلك أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر أوحى الله عز وجل إليه: قل لبني إسرائيل: جددوا توحيداً وأمرؤا بقلوبكم ذكر محمد سيد عبيدي وإمامي، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلي أخي محمد وآله الطيبين، وقولوا: اللهم بجاههم جوزنا على متن هذا الماء فإن الماء يتحول لكم أرضاً. فقال لهم موسى ذلك، فقالوا: أتورد علينا ما نكره، وهل فررنا من [آل] فرعون إلا من خوف الموت؟ وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات، وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا؟ فقال لموسى عليه السلام كالب بن يوحنا - وهو على دابة له، وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ -: يا بني الله أملك الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ فقال: نعم. قال: وأنت تأمرني به؟ قال: بلى. [قال: فوقف وجدد على نفسه من توحيد الله ونبوة محمد وولاية علي بن أبي طالب والطيبين من أئمة ما أمره به، ثم قال: اللهم بجاههم جوزني على متن هذا الماء، ثم أقحم فرسه، فركض على متن الماء، وإذا الماء من تحته كأرض لينة حتى بلغ آخر الخليج، ثم عاد راكضاً، ثم قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدعاء إلا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومنزل الأرزاق، وجالب على عباد الله وإيمانه رضى [الرحمن] المهيمن الخلاق. فأبوا، وقالوا: [نحن] لا نسير إلا على الأرض. فأوحى

٤- وأيضاً: موسى عليه السلام كان يعرف الحسين صلوات الله عليه (سيط الرسول محمد صلى الله عليه وآله)، ويعرف أنّ قاتله لعنه الله لا يغفر له أبداً<sup>(١)</sup>.

٥- ولشدة معرفة موسى بفضل ومنزلة الرسول محمد وآله صلوات الله عليه وآله طلب من الله أن يجعله من أمة محمد<sup>(٢)</sup>.

وسياي، أنّ كثيراً من البشارات التي خصّت الرسول محمداً وآل محمد بالذكر صدرت من موسى وأنبياء بني إسرائيل من بعده في التوراة والعهد القديم عموماً، كجزء أساسي من تمهيد الرسالة الموسوية للرسالة المحمدية العظمى، وسنعرض بعضاً منها في قادم بحوث "الرسالة" إن شاء الله تعالى.

الله إلى موسى: "أن اضرب بعصاك البحر" وقل: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما فلقته. ففعل، فانفلق، وظهرت الأرض إلى آخر الخليج. فقال موسى عليه السلام: ادخلوها، قالوا: الأرض حلة نخاف أن نرسب فيها. فقال الله عز وجل: يا موسى قل: اللهم بحق محمد وآله الطيبين جففها. فقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفت. وقال موسى: ادخلوها. فقالوا: يا نبي الله نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثني عشر أياً، وإن دخلنا رام كل فريق منا تقدم صاحبه، ولا نأمن وقوع الشربيننا، فلو كان لكل فريق منا طريق على حدة لامنا ما نخافه. فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثني عشرة ضربة في اثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك الموضع، ويقول: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين بين الأرض لنا وأمط الماء عنا. فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً، وجف قرار الأرض بريح الصبا فقال: ادخلوها. فقالوا: كل فريق منا يدخل سكة من هذه السكك لا يدري ما يحدث على الآخرين. فقال الله عز وجل: فاضرب كل طود من الماء بين هذه السكك. فاضرب وقال: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما جعلت في هذا الماء طيقانا واسعة يرى بعضهم بعضاً [منها]، فحدثت طيقان واسعة يرى بعضهم بعضاً [منها] ثم دخلوها. فلما بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه، فدخل بعضهم، فلما دخل آخرهم، وهم أولهم بالخروج أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم، فغرقوا، وأصحاب موسى ينظرون إليهم فذلك قوله عز وجل: "وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون" إليهم. قال الله عز وجل لبني إسرائيل في عهد محمد صلى الله عليه وآله: فإذا كان الله تعالى فعل هذا كله بأسلافكم لكرامة محمد صلى الله عليه وآله، ودعاء موسى، دعاء تقرب بهم [إلى الله] أفلا تعقلون أن عليكم الإيمان بمحمد وآله إذ [قد] شاهدتموه الآن تفسير الإمام العسكري: ٢٤٥ - ٢٤٧.

١- (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران سأل ربه عز وجل فقال: يا رب إنّ أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام فإني أنتقم له من قاتله) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٥١.

٢- (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل يا رب اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وآله فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٣٥.

## بين موسى وقائم آل محمد:

بين رسل الله عموماً، واضح أنّ موسى صلوات الله عليه أكثر رسل الله ذكراً في القرآن الكريم، ولعل هذا الأمر بحاجة إلى تفسير؛ خصوصاً وأنّ المعني بالكتاب "القرآن" بالدرجة الأساس هم المسلمون (أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وآله)!

لكن الاستغراب ربما يرتفع إذا ما عرفنا (وهو أمر أشرنا له مرات عديدة خلال طيّات بحوث كتاب "الرسالة" التي مرّت) أنّ بعثات الرسل كلها كانت تتمحور حول بعثة ورسالة الرسول محمد والأوصياء من آلّه الطاهرين وتمهّد لها. ثم إنّ بعثة الرسول الخاتم وأوصيائه (كما الرسل السابقون) مهّدت بشكل واضح (وهو أمر يظهر من خلال وفرة نصوصهم) للمنقذ والمخلص العالمي الموعود (القائم المهدي)؛ باعتباره خلاصة وعصارة رسالات السماء ومن شاء الله له أن تقام على يديه دولته العادلة كآخر الدول ظهوراً على الأرض<sup>(١)</sup>. ولما كان في سيرته شيئاً بسيرة موسى وفيها سنن من سننه، بل ورد في بعض النصوص أنه سمي موسى وشبيهه<sup>(٢)</sup>، لهذا أكثر القرآن من ذكر موسى في آياته عسى وأن

١- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس حتى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل") الغيبة، النعماني: ٢٨٢.

٢- هذه بعض النصوص التي أكدت الحقيقة المشار لها:

- (عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: في القائم عليه السلام سنة من موسى بن عمران عليه السلام فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده، وغيبته عن قومه، فقلت: وكم غاب موسى عن أهله وقومه؟ فقال: ثماني وعشرين سنة) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٢.

- (عن أبي خالد الكابلي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام وهو يقول: إنّ قارون كان يلبس الثياب الحمر، وإنّ فرعون كان يلبس السود ويرخي الشعور، فبعث الله عليهم موسى عليه السلام، وإنّ بني فلان لبسوا السواد وأرخوا الشعور وإنّ الله تعالى مهلكهم بسميّة الغيبة، الطوسي: ٤٦. "بسميّة": أي بشبيهه موسى عليه السلام.

- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (قال: إنّ الله تبارك وتعالى أدار للقائم منّا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل عليهم السلام قدر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام، وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى عليه السلام، وقدر إبطاءه تقدير إبطاء نوح عليه السلام، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح - أعني الخضر عليه السلام - دليلاً على عمره، فقلنا له: اكشف لنا يا ابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني. قال عليه السلام: أما مولد موسى عليه السلام فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلّوه على نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود،

تنتفع بها الأمم التي تؤمن بالقرآن وتنتظر ظهور "المهدي" في آخر الزمان، وهو جزء أساسي ومحوري في رسالة محمد صلى الله عليه وآله!

فمثلاً: من السنن المشتركة بين الرسولين الخروج من مدنها خائفين (على رسالة الله) والغيبة عن قومهما، كما سبقت الإشارة له <sup>(١)</sup>. ومن السنن أيضاً: أنَّ رسالة المهدي

وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إياه، وكذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملكهم وملك الامراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله عز وجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٥٤.

- (عن محمد بن مسلم الثقفي الطحان قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، فقال لي مبتدئاً: يا محمد بن مسلم إن في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله شياً من خمسة من الرسل: يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم: فأما شبهه من يونس بن متى: فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن، وأما شبهه من يوسف بن يعقوب عليهما السلام: فالغيبة من خاصته وعامته، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليهما السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته. وأما شبهه من موسى عليه السلام فدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته من بعده مما لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيده على عدوه. وأما شبهه من عيسى عليه السلام: فاخلاف من اختلف فيه، حتى قالت طائفة منهم: ما ولد، وقالت طائفة: مات، وقالت طائفة: قتل وصلب. وأما شبهه من جده المصطفى صلى الله عليه وآله فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله، والجبارين والطواغيت، وأنه ينصر بالسيف والرعب، وأنه لا ترد له راية) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٢٧.

- (عن ابن أبي يعفور قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام - وعنده نفر من أصحابه - فقال لي: يا بن أبي يعفور هل قرأت القرآن؟ قال: قلت: نعم هذه القراءة قال: عنها سألتك ليس عن غيرها قال: فقلت: نعم جعلت فداك ولم؟ قال: لأن موسى عليه السلام حدث قومه بحديث لم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بمصر فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم، ولأن عيسى عليه السلام حدث قومه بحديث فلم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بتكريت فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم وهو قول الله عز وجل: "فأمّنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين" وأنه أول قائم يقوم من أهل البيت يحدثكم بحديث لا تحتملونه فتخرجون عليه برميلة الدسكرة فتقاتلونه فيقاتلكم فيقتلكم .....) الزهد، حسين بن سعيد الكوفي: ١٠٤.

١- (عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: في القائم سنة من موسى، وسنة من يوسف، وسنة من عيسى، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله: فأما سنة موسى فخائف يتربص، وأما سنة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه، وأما سنة عيسى فالسياحة، وأما سنة محمد صلى الله عليه وآله فالسيف) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٨.

تتضمن إرسال الوصي ومجيئه لأرض البعثة قبل الموصي تماماً كما حصل في رسالة موسى وقد عرضناه بالتفصيل فيما سبق. ومنها: شدة المواجهة التي رأيناها في رسالة موسى ستكرر نسخة منها في رسالة المهدي بل بصورة أشد وأكبر، وهكذا من سنن تشابه أخرى كثيرة بين الرسالتين والرسولين.

علماء، أنّ الشبه بين القائمين (قائم بني إسرائيل وقائم آل محمد) لا يقتصر على السنن والسيرة وأساليب المواجهة فحسب، ولكن تعدّاه ليكون شبيهاً على مستوى الشمائل الجسدية أيضاً:

(عن حمران بن أعين، قال: "قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك، إني قد دخلت المدينة وفي حقوي هميان فيه ألف دينار، وقد أعطيت الله عهداً أنني أنفقها ببابك ديناراً ديناراً، أو تجيبني فيما أسألك عنه. فقال: يا حمران، سل تجب، ولا تنفقن دنائرك. فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أنت صاحب هذا الأمر والقائم به؟ قال: لا. قلت: فمن هو، بأبي أنت وأمي؟ فقال: ذاك المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز، وبوجهه أثر، رحم الله موسى<sup>(١)</sup>.

"رحم الله موسى": أي موسى بن عمران عليه السلام.

و أيضاً: ورد ضمن رسالة موسى عليه السلام أنه كان يذكّر قومه بأيام الله، قال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي

---

(عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: في القائم عليه السلام سنة من موسى بن عمران عليه السلام فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده، وغيبته عن قومه، فقلت: وكم غاب موسى عن أهله وقومه؟ فقال: ثمان وعشرين سنة) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٢.



ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" إبراهيم: هـ، وأيام الله ثلاثة؛ أحدها يوم القائم <sup>(١)</sup>، وهذا يعني أن موسى عليه السلام كان يذكّر قومه بيوم قائم آل محمد صلوات الله عليه.

الصلة بين القائمين أيضاً يمكننا ملاحظته في مسألة "العلم"، فقائم آل محمد صلوات الله عليه ورد في وصفه أنه من يقوم ببث أحرف العلم الإلهي الممكنة للخلق بتمامها (أي: السبعة والعشرين حرفاً) <sup>(٢)</sup>، وموسى بن عمران عليه السلام عالم أيضاً؛ إذ أنزل الله عليه التوراة وفيها تفصيل كل شيء يحتاج إليه، لذلك خطر في داخله أن الله لم يخلق مخلوقاً أعلم منه، فأرسل الله أمين وحيه "جبرئيل" ليتدارك عبده موسى مما حدث به نفسه ويخبره بأن عليه الذهاب للقاء العالم (العبد الصالح) والتعلم منه <sup>(٣)</sup>!

معرفة موسى عليه السلام بقائم آل محمد واطلاعه على الفضل والتمكين الذي خصّه الله سبحانه به دعاه إلى أن يتمنى أن يكون هو قائم آل محمد <sup>(٤)</sup>!

١- علي بن إبراهيم: ("ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله" قال: أيام الله ثلاثة يوم القائم صلوات الله عليه، ويوم الموت، ويوم القيامة) تفسير القمي: ١ / ٣٦٨.

(عن موسى الحنات قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم عليه السلام ويوم الكرة ويوم القيامة) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلبي: ١٨.

٢- (عن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلبي: ١١٧.

٣- قال الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (.....) وإنّ موسى لما كلمه الله تكليماً، وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، وجعل آيته في يده وعصاه، وفي الطوفان والجرد والقمل والضفادع والدم وقلق البحر، وغرق الله عز وجل فرعون وجنوده وعملت البشرية فيه حتى قال في نفسه: ما أرى أن الله عز وجل خلق خلقاً أعلم مني. فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل: يا جبرئيل أدرك عبيدي موسى قبل أن يهلك، وقل له: إنّ عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلم منه، فهبط جبرئيل على موسى بما أمره به ربه عز وجل فعلم موسى أنّ ذلك لما حدثت به نفسه، فمضى هو وفتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر عليه السلام يعبد الله عز وجل، كما قال عز وجل في كتابه: "فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً" (.....) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٦٠.

٤- (عن سالم الأشل، قال: "سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يعطى قائم آل محمد من التمكين والفضل، فقال موسى: رب اجعلي قائم آل محمد. فقيل له:

ما خطر ببال موسى يعني - بالميزان الإلهي الدقيق - أنه بدأ ينظر إلى نفسه "الأنثى"، وهذا الأمر بنظر الرب الرحيم يستدعي علاجاً حكيماً لتهذيب أرواح عباده المصطفين؛ لنلا تهبط منزلتهم عنده، فكان الأمر الإلهي لموسى بضرورة الذهاب للقاء العبد الصالح والتعلم منه في رحلة إلهية روحية؛ لا غنى لمؤمن طالب للخلاص عنها مدى العصور!

### لقاء موسى بالعبد الصالح:

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا \* فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا \* فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا \* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا \* فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا \* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلِّمْتَ رُشْدًا \* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا \* قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا \* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا \* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا \* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا \* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا \* قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا \* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا \* وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا \* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا \* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ

إن ذاك من ذرية أحمد. ثم نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك، فقال مثله، فقليل له مثل ذلك، ثم نظر في السفر الثالث فرأى مثله، فقال مثله، فقليل له مثله ("الغيبه، النعماني: ٢٤٦ - ٢٤٧).

لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" الكهف: ٦٠ - ٨٢.

لقاء موسى بالعبد الصالح صلوات الله عليهما حدث بعد وفاة هارون عليه السلام في التيه، إذ روي عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله أَنَّ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَفَّى قَبْلَ مُوسَى بِثَلَاثِ سَنِينَ<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: روي أَنَّ مُوسَى شَقَّ ثُوبَهُ عَلَى هَارُونَ عِنْدَ وَفَاتِهِ؛ حَسْرَةً وَتَأْسُفًا عَلَى أَخِيهِ وَعُضْضِهِ<sup>(٢)</sup>.

أوضح السيد أحمد الحسن في كتابه "رحلة موسى إلى مجمع البحرين"، وكذا في حوار خاص كان معه بخصوص الرحلة الإلهية، تفاصيل اللقاء الذي قصته الآيات القرآنية من سورة الكهف، وأشار إجمالاً لبعض ما ذكره:

١- موسى في ذهابه للقاء العبد الصالح كان شيخاً كبيراً بلغ الثمانين من عمره، يؤكد ذلك: أنه كان مصطحباً معه فتاه، أي: وصيه "يوشع بن نون"<sup>(٣)</sup>؛ إذ كان محتاجاً لمن يعينه في سفره. علماً، أَنَّ يوشع لم يكن صغيراً بالعمر، بل كان عمره أربعين عاماً، و"الفتى" هنا لا يعني الصبي. وبكل تأكيد، فإنَّ اصطحاب موسى له تقف وراءه حكم وأسباب؛ وعلى

١- انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٥٢٤.

٢- (عن خالد بن سدير أخي حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل شق ثوبه على أبيه أو على أمه أو على أخيه أو على قريب له فقال: لا بأس بشق الجيوب. قد شقَّ موسى بن عمران على أخيه هارون) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٨ / ٣٢٥.

٣- عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (كان وصي موسى بن عمران عليه السلام يوشع بن نون، وهو فتاه الذي ذكره الله في كتابه) البرهان، هاشم البحراني: ١٦ / ٥٣.

ومثله روى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس: (سمعت أبا بن كعب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فستل أي الناس اعلم فقال انا اعلم قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى أي رب كيف لي به فقيل له احمل حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثم فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون فحمل موسى عليه السلام حوتا في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى اتيا الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من المكتل فسقط في البحر.....) صحيح مسلم: ١٠٣ / ٧.

رأسها أنه وصيه وخليفته ويريد إعداده وتعليمه أكثر لتحمل مسؤولية رسالة الله بعده، فأراد له أن يستفيد ويتعلم مما يراه في الرحلة الإلهية. وفعلاً، كان يوشع نعم الرفيق المطيع لسيدته، بل من يطالع النصوص الخاصة باللقاء يجد الحوار والأحداث تدور بين موسى ومعلمه (العبد الصالح) فقط وكأن الرحلة ضمّت شخصين فقط! وهذا يعني أنّ يوشع التزم الصمت بحضور السيدين (المعلم، والمتعلم) واكتفى هو بالنظر والتزود من حكمة الله وتعليمه الذي أظهره على يد العبد الصالح لموسى.

يقول السيد أحمد الحسن: (ودور يوشع عليه السلام انتهى عند التقاء موسى عليه السلام بالعبد الصالح وبقي كمر افق متفرج يتعلم مما يرى، ولم يكن له موقف مستقل بل كانت مواقفه مطابقة تابعة لمواقف موسى عليه السلام، ولذا ذكر الله في القرآن الاثنين موسى عليه السلام والعبد الصالح دون يوشع عليه السلام؛ لأنه لم يكن له دور في هذه الرحلة: "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا ..... فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ..... فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا اتَّيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ .....").

أما سبب مجيء يوشع مع موسى عليه السلام فالأنه وصيه وخليفته بعد موته، فكان من الحكمة حضوره؛ ليتعلم مع موسى من العبد الصالح، بل إنّ عدم حضوره هذا اللقاء وبدون سبب راجح منافٍ للحكمة؛ لأنه تضییع فرصة سانحة ليتعلم بها يوشع عليه السلام. وأكد أنّ تعليم الوصي وتهيئته ليأخذ دوره الرسالي أمر ضروري وراجح؛ خصوصاً إذا كان هذا الوصي مثل يوشع عليه السلام الذي سيجعل مهمة كبرى في حركة الدين الإلهي على هذه الأرض وهي فتح الأرض المقدسة، وهي بقدر أهميتها الوقتية فهي ذات أهمية أعظم في حركة الدين الإلهي الإبراهيمي الحنيف بصورة عامة. فمن المعلوم لدى كثير من الناس أنّ الحركة الإلهية الإبراهيمية بدأت من الشرق من أور - مدينة الناصرية الآن - في العراق ثم انتهت إلى الغرب إلى أرض مصر وشمال إفريقيا، ويوشع عليه السلام كان قائد الخطوة الأولى الفاتحة للأرض المقدسة في حركة عودة الإبراهيمية الحنيفية إلى الشرق، وهذا يسلط الضوء على أهمية تربية يوشع عليه السلام هذا القائد الإلهي المختار لهذه المهمة الكبرى، ولذا يكون اصطحاب موسى عليه السلام ليوشع عليه السلام ضرورة

لا بد منها؛ ليتعلم عليه السلام لأنه فاتح الأرض المقدسة، وصاحب الخطوة الأولى في طريق العودة، ويحتاج لكل تعليم متاح له عليه السلام) انتهى<sup>(١)</sup>.

٢- أهمية اللقاء بالنسبة لموسى واضحة جداً إلى درجة أنه صرّح باستعداده لأن يهيم على وجهه حقياً من الدهور (أي: عمره كله) للبحث عن العبد الصالح ولقائه والتعلم منه: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرُحْ حَتَّى أَتَلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا". الحقب: الدهور والزمان الطويل، وروي: ثمانون سنة<sup>(٢)</sup>، ومع هذا ردد موسى حاله بين أمرين: إما بلوغ الهدف "مجمع البحرين" أو المضي حقياً! وهذا يعني أنّ تضییع موسى لهدف رحلته أمر ممكن وإلا لما ذكره كاحتمال أصلاً، فموسى ممتحن بالوصول للعبد الصالح والتعلم منه وسنة الله في الامتحان دائماً هي أن يكون كل من وجهي النجاح والفشل مفتوحاً أمام الإنسان، والنجاح يعتمد على إخلاص الإنسان لله لا غير!

٣- موسى عليه السلام في رحلته يهدف الوصول إلى مجمع البحرين، ومع هذا ضيَّعه في البداية، وهذا يعني أنّ "مجمع البحرين" أمر ممكن أن يضيَّع، ولو كان المقصود به مجمع بحرين (كملتقى دجلة والفرات مثلاً) فهو أمر لا يمكن أن يضيَّع إلا ممن كانت لديه مشكلة في الإدراك مثلاً، وحاشا موسى - وكذا وصيه يوشع - من ذلك!

يقول السيد أحمد الحسن: (إذن، فلا يمكن أن يكون مجمع البحرين مكاناً معيناً؛ وإلا لكانت غفلة موسى عليه السلام عنه تقدح في إدراكه فضلاً عن عصمته. ولا بد أن يكون الالتفات إلى مجمع البحرين وتذكره ومعرفته ابتداءً يحتاج إلى درجة عالية من الإخلاص والعصمة المترتبة عليه يفوق درجة إخلاص موسى عليه السلام وعصمته المترتبة على إخلاصه لكي لا تكون غفلة موسى عليه السلام ويوشع عليه السلام عن هذا الأمر الذي كلّف الله موسى عليه السلام الوصول إليه منافية لعصمتهما عليهما السلام. بل إن موسى يبيّن منذ البداية بقوله: "أَتَلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" أنّ مجمع البحرين أمر يمكن أن يضيَّع ويحتاج إلى درجة عالية من الإخلاص لمعرفة، فلم يكن مراد موسى

١- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن: شخصيات الرحلة.

٢- (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ" وهو يوشع بن نون، وقوله: "لَا أَبْرُحْ" يقول: لا أزال حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقياً" والحقب: ثمانون سنة) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٨٦ / ١٣.

عليه السلام من مجمع البحرين المكان بل العبد الصالح الذي كان امتحان موسى عليه السلام الأول هو الوصول إليه ومعرفته، .....

وليتبين أكثر مراد موسى عليه السلام بمجمع البحرين في هذا الموضع من القرآن الكريم لابد أن نرجع إلى موضع آخر في القرآن ذكر فيه البحرين ومجمعهما ولكن بصورة أخرى ربما تكون أكثر وضوحاً وجللاء للمتدبر، هذا الموضع موجود في مطلع سورة الرحمن، قال تعالى: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ \* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ \* يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانُ \* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ \* وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ \* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ \* كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" الرحمن: ١٩ - ٢٧.

هذه الآيات لا أريد تفسيرها وتأويلها فالروايات التي جاءت عنهم عليهم السلام في تفسيرها وتأويلها تكفي لبيانها وبيان معناها بجلاء ووضوح، ... انتهى<sup>(١)</sup>.

الروايات التي أوضحت المقصود من "البحرين" في القرآن كثيرة<sup>(٢)</sup>. وبعد بيان الآيات والروايات التي أوضحت معنى "البحرين" ومعنى مجمعهما، قال السيد أحمد الحسن:

١- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن.

٢- سأكتفي بمثالين:

- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قول الله تبارك وتعالى: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ"، قال: علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغى أحدهما على صاحبه، "يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانُ" قال: الحسن والحسين عليهما السلام) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٢٤٤.

- (ومن طريق المخالفين: ما رواه الثعلبي في تفسير قوله تعالى: "يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانُ" يرفعه إلى سفیان الثوري، في هذه الآية، قال: فاطمة وعلي عليهما السلام، "يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانُ" قال: الحسن والحسين عليهما السلام. قال الثعلبي: وروي هذا عن سعيد بن جبیر، وقال: "بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ" محمد صلى الله عليه وآله البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ٥ / ٢٣٥.

(وضح جلياً الآن من تدبر الآيات ومن الروايات عن محمد وآل محمد عليهم السلام أن البحرين هما: علي وفاطمة عليهما السلام، وإنّ الناتج من لقاءهما هم الأئمة والمهديون عليهم السلام.

إذن، فالناتج من لقاءهما عليهما السلام أو مجمع البحرين في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً" إنسان، وهو من آل محمد عليهم السلام ومن ذرية علي وفاطمة عليهما السلام، وهذا لا يمنع من وجود مجمع البحرين (نهرين) يجد موسى عنده مجمع البحرين الحقيقي الذي جاء في طلبه، وفي المكان آية أيضاً يعرفها أهلها) انتهى<sup>(١)</sup>.

أن يكون مجمع البحرين "العبد الصالح" من آل محمد صلوات الله عليهم أمرا أكيد وخيار وحيد بحكم الحقائق التي انتهينا إليها في البحوث السابقة؛ حيث خلصنا إلى أنّ مقامات الحجج الإلهيين تدور بين النبوة والرسالة والإمامة، وأنّ مرتبة الإمامة هي أعلاها وأرقاها، وقد نالها الرسول محمد وآله الأوصياء صلوات الله عليهم، وأيضاً: نالها إبراهيم صلوات الله عليه وإن كان بمستوى أدنى منهم بحكم أنّ امتحانه كان بمعرفتهم كما تقدم، وعموماً إبراهيم عليه السلام هو الوحيد الذي نال "الإمامة" بمستوى راقٍ من بين رسل الله الباقين. ثم لما كان "العبد الصالح" الذي التقاه موسى (وهو من رسل أولي العزم) أعلى منه مقاماً بدليل أنه جاء للتعلم منه، فهذا يعني أنّ المعلم "العبد الصالح" إمام (أي من بين الحجج الذين نالوا مرتبة الإمامة)، ولما لم يكن هو إبراهيم بالتأكيد، كما أنه ليس رسول الله محمد أو وصيه صلوات الله عليهما، فلا يبقى إلا أن يكون رجلاً من آل محمد الأوصياء؛ من أبناء علي وفاطمة صلوات الله عليهما، ولم يكن من أهل ذلك الوقت لأنّ زمانه لم يحن بعدُ وإنما أنزله الله لأداء مهمة محددة تتعلق برسالة رسوله موسى عليه السلام.

٤- الحادثة صريحة في أنّ حجج الله المعصومين ممكن أن يطراً عليهم النسيان، فيوشع وصي معصوم ومع هذا يقول لموسى: "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ"، والمقصود بالشيطان هنا الظلمة؛ باعتبار

١- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن.

أنَّ الموجود الوحيد الذي يتصف بأنه نور لا ظلمة فيه هو الله سبحانه، وأما المخلوق فمهما ارتفع قدره عند الله يبقى وجوده مركباً من نور وظلمة وإن كانت شائبة، والنسيان يكون منها، ولكنها - أي الظلمة - أبداً لا تؤثر على رسالة المعصوم وعصمته؛ باعتبار أنَّ عصمته قائمة بالله سبحانه لا أنه معصوم بنفسه ذاتياً. وبالتالي، فالظلمة لا تؤثر على المعصوم بنحو يجعله يخرج الناس من هدى أو يدخلهم في ضلال، وحاشاه. نعم، قد يظهر أثرها في حالات أخرى عامة كما في نسيان موسى ويوشع السمكة قرب الصخرة في مسألتنا، ومع هذا شاء الله أن يكون نفس النسيان سبباً في وصولهما للعبد الصالح، أي شاء الله أن يجعل أثر الظلمة سبباً للخير أيضاً، وما ذاك إلا لإخلاص عبديه موسى ويوشع صلوات الله عليهما. وقد تقدم مثل هذه المسألة في رسالة يوسف الصديق.

٥- شاء الله سبحانه أن يكون فقد الحوت "السمكة" عند الصخرة آية من الله نَهَتْ رسوله موسى بأنه تجاوز المطلب "العبد الصالح" الذي رآه عند الصخرة ولم يعرف أنه المقصود، وموسى وإن لم يعرف ذلك في لحظة تجاوزه وعبوره لكنه عرف لاحقاً، فرجع مع فتاه "يوشع" يقصّون أثرهما ليصلا إليه. علماً، أنَّ العبد الصالح لو كان ترك موسى وانصرف لكان محقاً في فعله؛ لأن موسى كان ممتحناً به وهو وصل إليه وتجاوزه، لكن العبد الصالح كان رحيماً كما وصفه ربه فانتظر رجوعه إليه، وسيوضح أكثر لاحقاً<sup>(١)</sup>.

---

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن موسى صعد المنبر وكان منبره ثلاث مراق فحدث نفسه أن الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فأتاه جبرئيل فقال له: إنك قد ابتليت فانزل فإن في الأرض من هو أعلم منك فاطلبه، فأرسل إلى يوشع أني قد ابتليت فاصنع لنا زاداً وانطلق بنا ..... قال: فبينما هما يمشيان انتهيا إلى شيخ مستلقٍ معه عصاه، موضوعة إلى جانبه وعليه كساء إذا قنع رأسه خرجت رجلاه وإذا غطى رجليه خرج رأسه، قال: فقام موسى يصلي وقال ليوشع: احفظ علي، قال: فقطرت قطرة من السماء في المكتل فاضطرب الحوت، ثم جعل يثب من المكتل إلى البحر، قال: وهو قوله: "فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا"، قال: ثم إنه جاء طير فوقع على ساحل البحر ثم أدخل منقاره فقال: يا موسى ما اتخذت من علم ربك ما حمل ظهر منقاري من جميع البحر. قال: ثم قام يمشي فتبعه يوشع، قال: موسى وقد نسي الزبيل يوشع، قال: وإنما أعيا حيث جاز الوقت فيه فقال: "أَتَنَا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا" إلى قوله: "فِي الْبَحْرِ عَجَبًا"، قال: فرجع موسى يقفي أثره حتى انتهى إليه وهو على حاله مستلقٍ، فقال له موسى: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا عالم بني إسرائيل، قال: ثم وثب فأخذ عصاه بيده قال فقال له موسى: إني قد أمرت أن أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً فقال كما قص عليكم: "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٣٣٢ / ٢.



أما كيف فهم موسى أنّ نسيان الحوت عند الصخرة آية للتعرف على العبد الصالح؟ الحقيقة، إنّ موسى عرف ذلك من خلال معرفته بأنّ السمكة لما كانت طعاماً للجسد فهي - إذن - علامة على أنّ الشخص الذي كان مستلقياً قرب الصخرة يحمل طعاماً للروح، وإلا لماذا عادت الحياة للسمكة قربه بالذات دون أي موضع آخر! فهو إذن عين الحياة، والحياة الحقيقية لا تكون إلا بالعلم!

يقول السيد أحمد الحسن: (وكما كان فقدان الحوت آية ودليلاً على طعام الروح الذي يحمله العبد الصالح، كانت حياة الحوت واتخاذ سبيله في البحر بسرعة وخفاء "سرياً" وأيضاً بمعجزة إلهية "عجياً" - يحق للعبد أن يعجب منها لما يرى من قدرة الله سبحانه وتعالى - آية ودليلاً على العبد الصالح، لأنّ الله جعل حياة الحوت حيث كان العبد الصالح مستلقياً للإشارة إلى أن العبد الصالح "مجمع البحرين" الذي جاء موسى عليه السلام يطلب منه العلم والمعرفة هو عين الحياة؛ حيث إنّ العلم والمعرفة - المتعلقة بالآخرة - هي الحياة الحقيقية: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات: ٥٦، أي: ليعرفون، "وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيّ الْحَيَوَانُ لُو كَانُوا يَعْلَمُونَ" العنكبوت: ٦٤) انتهى (١).

٦- أن يقود الأعلى الأدنى منه مقاماً، قانون إلهي عام في مسيرة الرسل على هذه الأرض، ولا شك أنّ ما حصل في لقاء موسى بالعبد الصالح خاضع لهذا القانون الإلهي الواضح الذي تؤكد النصوص والعقل والفطرة. والنص القرآني واضح في أنّ موسى جاء ليتبع العبد الصالح ويتعلم منه: "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا!" ومن ثمّ لا قيمة لما يطرحه كثير من علماء المسلمين من أنّ تفوق العبد الصالح على موسى إنما كان في قضايا الغيب والباطن أما في قضايا الشريعة فموسى كفته هي الراجحة! هكذا هم يفهمون!

علماء، أنّ ما دعاهم لذلك هو أنهم افترضوا أنّ من التقاه موسى هو نبي اسمه "الخضر"، وبالتأكيد مقامه أقل من موسى بعد كونه رسولاً من أولي العزم وليس الخضر كذلك، ولما لم يكن بوسعهم أن يقولوا إنّ موسى أعلم من العبد الصالح مطلقاً (بعد

١- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن.

تصريح القرآن بأن موسى جاء ليتبعه ويتعلم منه) قصروا التفوق العلمي للعبد الصالح على أمور الغيب والباطن فقط.

والحق، إنه تفريق وتخصيص بلا دليل نقلي أو عقلي قطعي، وإلا فالنص القرآني واضح في أن العبد الصالح أعلم من موسى بشكل مطلق، فالأمر - كما نرى - محسوم قرآنياً لصالح العبد الصالح وبنحو عام.

يقول السيد أحمد الحسن: (أما من تعرضوا لهذه الآيات وجعلوا موسى أعلم من جهة والعبد الصالح أعلم من جهة أخرى، فهذا شيء لو أنهم تركوا الخوض فيه لكان خيراً لهم فالعلم من الله سبحانه وتعالى في طرق السماوات والشرائع، والغيب يحدده مقام الإنسان فلا يمكن أن الله سبحانه وتعالى يفيض على عبد في مقام أدنى علماً أعظم من علم يفاض على عبد في مقام أعلى، ليس لأنه سبحانه غير قادر بل لأن الأمر واحد في حقيقته أي إفاضة العلم والمقام فلا يمكن القول إن موسى أعلم في أشياء والعبد الصالح أعلم في أخرى، فالأعلم هنا أعلم في الأمور جميعاً، فلسنا نتكلم عن كتابي فيزياء وكيمياء بل نتكلم عن ملكوت السماوات والشرعية، نتكلم عن دين الله سبحانه الذي جاء به الأنبياء ونسبة أمور الدين للنبي والوصي المرسل واحدة وليست متعددة أو متفاوتة، فمن يعلم منهم بنسبة ما في ملكوت السماوات يعلم بنفس النسبة في الشريعة، فإذا كان العبد الصالح أعلم بالأمور الغيبية وطرق السماوات من موسى فهو حتماً أعلم من موسى في الشريعة أيضاً، وإذا كان موسى أعلم من العبد الصالح في الشريعة فهو حتماً أعلم منه في الأمور الغيبية وطرق السماوات. كما ولا يمكن القول إن موسى أعلم من العبد الصالح مطلقاً، كيف وقد قصّ علينا القرآن بوضوح أن موسى جاء ليتعلم من العبد الصالح كما تعلمت الملائكة من آدم عليه السلام، فلم يبق إلا أن يكون العبد الصالح هو أعلم من موسى مطلقاً.

أما الذين خاضوا في هذه القصة القرآنية فقد تعثروا بالعبد الصالح وعظم عليهم تصور عبد لم يصح القرآن بهويته أو اسمه أن يكون أعلم من موسى النبي وهو من أولي العزم من الرسل، كما لم يعلموا أن العبد الصالح إنسان نزل إلى هذا العالم الجسماني لتعليم موسى وزمانه لم يحن بعد، بل وحثهم على الانتقاص من العبد الصالح وغمط حقه القرآني الواضح الجلي بأنه أعلم من موسى ورود تسميته بالخضر في بعض

الروايات دون أن يلتفتوا إلى أنّ "الخضر" صفة وليست اسماً ويمكن أن تطلق على أكثر من شخصية إلهية باعتبار أنهم عليهم السلام يخلفون الأرض خلفهم خضراء، أي من الدين أي إنهم ينشرون الدين، فاللون الأخضر يشير للدين) انتهى<sup>(١)</sup>.

٧- لقاء موسى بالعبد الصالح لقاء خاص بين معصومين؛ ليس الغرض منه هداية الناس إلى حق وهدى أو إخراجهم من باطل وضلال، وبالتالي فما صدر من موسى من اعتراضات على الأفعال التي قام بها العبد الصالح لا تؤثر على عصمته. وأما سبب صدورها منه فلأنه التقى بمعصوم أعلى منه مقاماً للتعلم منه بأمر الله، والسؤال الآن: ماذا أراد العبد الصالح أن يعلم موسى؟

باختصار أظهر العبد الصالح لموسى "الأنا الخفية، الظلمة" في وجوده والتي دعتة إلى أن يخطر بباله أنه أعلم مخلوق؛ الأمر الذي كان سبباً في تكليفه من قبل الله بالذهاب للقاء العبد الصالح والتعلم منه.

يشرح السيد أحمد الحسن قصة اللقاء وما يتعلق به من تفاصيل؛ وخصوصاً مسألة التعلم، فيقول:

(موسى والأنا:

"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا":

- "حقباً": الحقب فترات زمنية بعيدة.
- "مجمع البحرين": الآيات ستبين هويته وهل هو مكان أو شخص مثلاً.

المهم أن نعرف أنّ الرحلة مهمة لموسى إلى درجة أنه إما أن يجد هذا الشخص أو أنه لديه استعداد أن يمضي حقباً من الزمان في البحث عنه، فهذا هو معنى كلام موسى أجده

---

١- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن.

أو أبقي هائماً على وجهي مئات السنين، آلاف السنين، فترات زمنية متباعدة ضخمة عملاقة تتجاوز عمره.

وموسى بهذا الوقت كان شيخاً كبيراً ومجهداً وبحاجة إلى من يساعده، لذلك أخذ معه يوشع ليعينه ببعض الأمور كإعداد الطعام مثلاً وما شابه. علماً، أنّ وصف يوشع بـ "فتاه" لا يعني أنه كان صغيراً بالعمر، بل فقط صغير نسبة إلى عمر موسى عليه السلام.

فقضية لقاء العبد الصالح بالنسبة لموسى تمثل أهم شيء في حياته في هذا الوقت، لذا هو ترك كل شيء، ترك بني إسرائيل وهدايتهم، وسخر وجوده كله لهذه الرحلة فهي أهم قضية عنده!

لورجعنا إلى الروايات لوجدنا أنها تذكر أنّ ما بلغه موسى من العلم والمعرفة والتقرب إلى الله وكلام الله له وما أوحاه إليه من شريعة ... إلخ أثّر في نفسه وفي "أناه"، فأمر الله جبرئيل (ملك الوحي، ملك العلم) أن يدركه ليأخذ حذره؛ لئلا يضيع ويخسر ويتزلزله مقامه.

من المهم جداً أن تُقرأ قصة اللقاء من هذه الجهة، أي جهة تأثير "الأنا" في وجود موسى عليه السلام، فالقصة قصة "أنا" ولا شيء آخر! وبمجرد أن نضع "الأنا" المحور الأساسي للقصة فستبرز لنا حقيقة هذه الرحلة مبدأها ومنتهائها.

دعونا الآن نعيد قراءة القصة على ضوء هذا المحور، وماذا بوسعنا أن نستفيد.

"فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا" أي: وصلاً للمكان "نَسِيَا حُوتَهُمَا ...":

موسى ويوشع لما سارا بأمر الله وصلاً مكاناً قرب صخرة على الماء، فجلس موسى ليرتاح فاستغل يوشع الفرصة ليصيد سمكاً "حوت" يكون متاعاً لهما، ووضع السمك الذي اصطاده في "قفة = مكتل"، وبعد أن ارتاح يوشع قليلاً أمره موسى بإكمال مسيرهما، فنسي يوشع السمك (الذي طفر من القفة وعاد إلى الماء دون علمه)، ولهذا تذكر القصة بعد قليل أنّ موسى لما جاع طلب من يوشع أن يقوم بشوي السمك ويأتيه بالغداء، فأجابه أنهما لما جلسا قرب الصخرة ليرتاحا نسي السمك هناك! فبقيا جائعين، ولما رجعا

ووجد العبد الصالح فأول ما قام به أنه طلب منهما مر افقته وهما جائعان، ولهذا في نهاية القصة لما قام ببناء الجدار قال له: لو طلبت لنا طعاماً يسد جوعنا كأجر على ما قمت به (١)!

"فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا": أي نسيا السمك الذي اصطاده يوشع، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا: أي ذهب السمك في الماء.

"فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا": أي آتينا بالسمك لنشويه ونأكله لأننا متعبين وجائعين.

"قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ": المكان الذي جلس فيه موسى ويوشع للراحة والصيد كان فيه صخرة قاما بالالتكاء عليها، أما لماذا الصخرة بالذات؟ لأنهما رأيا قربها العبد الصالح ولم يعرفا أنه الرجل المطلوب، وهذا أول ظهور لـ "الأنا"، فموسى كان شيخاً كبيراً ويوشع قد تجاوز الأربعين، بينما كان العبد الصالح شاباً صغير السن ظاهراً، وكان مستلقياً على الأرض فلم يهتما به، فموسى نبي ورسول وشيخ كبير بالعمر ويوشع وصي نبي وأيضاً عمره كبير، فلما نظرا إليه لم يعيراه أهمية ولم يسألاه عن شيء بل لم يتكلما معه أصلاً، وكأنهما قالوا له: اتركنا بحالنا ونتركك بحالك! وهذا أول فشل وأول إظهار للأنا، فموسى ويوشع ممتحنان بالوصول إلى العبد الصالح والتعرف عليه، وهما وصلا إليه وتجاوزاه أي: فشلا في التعرف عليه بسبب "الأنا"، ولوتركهما العبد الصالح وانصرف ولم ينتظر رجوعهما إليه لكان محققاً في تصرفه؛ لأنهما أخذا فرصتهما في الامتحان وانتهى الأمر، لكن رحمة الله بهما كانت حاضرة كما سيتضح.

"فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا": الله يقول عن موسى ويوشع أنهما بلغا مجمع البحرين، لكن موسى ويوشع لم يعرفا أنهما بلغا؟ ولهذا تجاوزاه، وإلا لو كانا يعرفان أنهما بلغا المطلوب لكلا العبد الصالح ورافقاه وانتهى الأمر؛ لا سيما وأن موسى مهتم جداً فقد

١- (عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول موسى لفتاه: "آتنا غداءنا" وقوله: "رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير" فقال: إنما عني الطعام فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن موسى لذو جوعات) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ٣٣٠.

قال في بداية الرحلة إنه مستعد أن يمضي حقباً أو يصل إليه، لكنه وصل إليه وتجاوزه ولم يعرفه في أول الأمر!

وهذا يعني أنّ مجمع البحرين ليس مكاناً مميزاً بأنه موضع اجتماع نهرين أو ما شابه بحيث لا يمكن أن يخطأ أحد بالتعرف عليه عندما يصله.

شاء الله أن يذهب سمكهم في الماء في نفس هذا المكان، وكان ذهاب السمك بالماء آية ورحمة من الله بهما، وسنتعرف الآن كيف نظريوشع لهذه الآية الإلهية وكيف نظر إليها موسى!

يوشع يقول لموسى: "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ" التي اتكأنا عليها وكان بقرها الشخص، "فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ" أي: تركنا سمكنا هناك، "وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ": الشيطان أي: الأنا وظلمة النفس والنكتة السوداء في نفس الإنسان، وهذا الأمر تكلمت عنه وأوضحته أكثر من مرة، "وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً": رجوع السمك للماء أمر يدعو للعجب بنظر يوشع؛ باعتبار أنه رتب قفته وأحكم غلقها بشكل جيد، فكيف تمكّن السمك من أن يطفر منها ويعود للماء مرة أخرى! إذن، هو أمر يدعو للعجب وهو آية، وأما نسيانه فقد رأينا أنه اتهم فيه نفسه واعتبر ظلمته سبباً في حصوله!

أما موسى، فقد اعتبر ذهاب السمك آية من الله تشير أنهما قد وصلا مجمع البحرين وتجاوزاه، وأنهما لابد لهم أن يعودا لنفس المكان، وقال ليوشع: "ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ" أي: إنّ الشخص الذي استخفينا به هو المقصود!

"فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً": أي رجعا يقصّان أثرهما؛ لأنهما لا يعرفان المكان بالضبط، ولو كان ملتقى بحرين أي موضع يلتقي فيه بحران فأکید أنهما ليسا بحاجة إلى أن يقصّا الأثر حتى يصلا إليه؛ لأن نفس "الملتقى" علامة واضحة ومشخصة، لكن لما يكون المكان غير مشخص بعلامة فارقة واضحة فهما بحاجة إلى قصّ الأثر. المهم، بعد أن قصّا أثرهما وصلا للمكان.

"فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا":

أمران مهمان آتاهما الله العبد الصالح، هما: الرحمة والعلم.

كل أنبياء الله لديهم رحمة، لكن الرحمة هنا خاصة ومهمة، ولولاها لما قبل العبد الصالح موسى بعد أن استخف به وتجاوزته. العبد الصالح لما رأى موسى في المرة الأولى نظراً إليه وأراد أن يكلمه لكن موسى لم يهتم له حيث كان مشغول الفكر كلياً بالوصول لمجمع البحرين أو العبد الصالح ليكمل مهمته وتعلمه ولم يكن لديه وقت لتجاذب الحديث مع عابر طريق أو شخص من أهل الدنيا بحسب نظره، وهكذا فموسى أخذ فرصته بعد أن تجاوزته وحتى بعد رجوعه له لو كان العبد الصالح قد انصرف أو أنه قال لموسى: "إني لا أعلمك بعد أن تجاوزتني" لكان محقاً عند الله، لكنه قبل موسى ويوشع بالرحمة التي وصفه الله بها.

"آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً": الله يقول الرحمة من رحمتي والعلم من علمي، ولا يصح ما فهمه البعض من أن علمه شيء وعلم موسى شيء آخر، فواضح أن علمه من الله كما أن رحمته من الله، ولذلك قبلهما فعلمه ورحمته عامة شاملة بل لو لم يكن أعلى مقاماً من موسى لما أنتدب لتعليمه إمامته أرفع شأننا من إمامة موسى ع لهذا كان يقوده بعد اجتماعهما في تلك الرحلة.

"قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْداً؟"

"رُشْداً": مَنْ يَرشِد مَنْ عَادَةً؟،

العالم يرشد الجاهل، فالأب يرشد ابنه لأمر، وهكذا المعلم يرشد طلابه لقضايا مهمة، والمرشد يعني: الدليل والمعرف، بمعنى أن الشخص لو ترك وحده فإنه لا يعرف تلك الأمور ولا يعرف مآلاتها ونتائجها، والمرشد هو الذي يعرفها له ويرشده لها!

موسى اعترف مسبقاً للعبد الصالح أنه جاء إليه تابعاً: "هَلْ أَتَّبِعُكَ" امشي خلفك، متعلماً: "تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْداً"، لكن لنرى هل التزم موسى بهذا الكلام؟

موسى يعرف جيداً أنه جاء إلى العبد الصالح بأمر الله حتى يتعلم منه ما يصلح به الخلل الذي شخصه الله فيه وأراد منه إصلاحه، وبالتالي فالتعليم الأساس الذي يحتاجه

موسى هو هذا، وما فعله العبد الصالح من أفعال ثلاثة: (خرق السفينة، قتل الغلام، بناء الجدار) ليس الغرض منها تعليم موسى نفس الأفعال، وإنما أراد من خلالها إظهار الخلل الداخلي لدى موسى لينبهه إليه ويسعى موسى لإصلاحه! أراد العبد الصالح أن يخرج لموسى "الأنا الخفية" الكامنة في وجوده كما سنرى الآن.

"قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.....":

العبد الصالح أخبر موسى بأنه لا يستطيع أن يصبر ويكمل معه، لكنه مع هذا لم يتركه ولم يتوقف عن تعليمه؛ لأن الله من البداية وصفه بأمرين أتاها إياه: "أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا".

"قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا":

وهذا ثاني فشل لموسى في مواجهته للعبد الصالح! فهو يقول له: "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا"، وموسى يجيبه: "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا"! كان يمكن لموسى أن يلتزم الصمت أو يطلب منه البدء بالتعليم مثلاً، لا أن يقول له: "ستجدني إن شاء الله صابراً"؛ باعتبار أنه معلم إلهي وعارف بمشيئة الله وموسى مأمور بالمجيء إليه والتعلم منه، لكن "الأنا" برزت هنا كأول ظهور لها في هذا اللقاء! طبعاً، موسى نبي عظيم من أولي العزم، وأكد هو متوكل على الله، ولم يعقب على العبد الصالح بأكثر من: "ستجدني إن شاء الله صابراً"، فمثلاً: لم يقل له أنا صابر مضبوط ... إلخ، لكن هناك "أنا" خفية في وجوده ظهرت في تعقيبها على إخبار العبد الصالح له، ولم يكن موسى منتبهاً لها كما بينت.

أما قول موسى له: "وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا"، سنرى بعد قليل هل تمكن موسى من الصمود أمام تعهده هذا!

وعموماً، العبد الصالح تجاوز هذه النقطة أي: لم يعد إلى مسألة "الصبر"، ولم يعاتب موسى على تعقيبها بأي أقول لك لا تصبرو أنت تقول لي سأصبر إن شاء الله، وإنما شرح له قوله بأنه لا يتمكن من الصبر بطريقة عملية: "قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ.....".



"قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا":

أي: طالما أنت تريد أن تتبعني فلا تسألني عن شيء تراني أقوم به إلى أن أبين لك التفاصيل، وسوف أعلمك ولن أدعك دون أن تعرف، فقط اصبر وسأشرح لك لاحقاً.

"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا":

"إمراً": أي حرام وظلم ... إلخ <sup>(١)</sup>.

هذه المرة: يا ليت موسى لم يصبر فقط، ويا ليت أنه قال له: ربما فعلت أمراً خاطئاً، وإنما عمل موسى محكمة حاكم فيها العبد الصالح وحكم عليه!

العبد الصالح في هذا الموقف أخرج "الأنا" الخفية على موسى من داخل وجوده وأظهرها أمامه، ولودققنا لرأينا أنها – أي: الأنا – أبعد وأكبر من التي ظهرت في مسألة الصبر التي تقدمت.

"قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا":

أي: ألم أقل بالبداية إنك لا تتمكن من الصبر وسوف تتكلم وتعترض، والملفت أنه لم يذكر لموسى أنك قلت لي: "ستجدني إن شاء الله صابراً" وها أنت الآن تخالف قولك ... إلخ، العبد الصالح لم يفعل هذا؛ لأنه عامله بالرحمة، ولو استمر موسى مع العبد الصالح لاستمر معه ولم يتركه وكلما يخطأ يعلمه ويستمر معه، لكن موسى هو الذي قطع الاستمرار على نفسه بالمرة الثالثة كما سنرى.

"قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا":

١- (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: "وإذ قال موسى لفتهاه" وهو يوشع بن نون، وقوله: "لا أبرح" يقول: لا أزال حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا" والحقب: ثمانون سنة. وقوله: "لقد جنت شيئا إمرا" هو المنكر، وكان موسى ينكر الظلم، فأعظم ما رأى) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٤٠.

موسى يعتذر بالنسيان لاعتراضه على العبد الصالح ووصفه لفعله بالظلم، وترجاء أن لا يعاتبه ويتجاوز الأمر، فوافق العبد الصالح.

"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا:"

الآن، بغض النظر عن مسألة كيف قتل العبد الصالح الغلام، حيث إننا ذكرنا أنَّ القضية ملكوتية وبتحكم من الملائكة، تماماً كمسألة الدعاء على ظالم فتقوم الملائكة بقلب سيارته مثلاً<sup>(١)</sup>، لكن ما يهمنا الآن هو تعقيب موسى على الحادثة: "قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ" موسى حكم على المقتول بأنه نفس زكية؛ باعتبار أنه لم يكن بالغاً أي غير مكلف وبالتالي فهو طاهر وليس عنده معصية، فكيف قمت بقتله؟!

هنا أيضاً: موسى عمل محكمة ووضع القضايا لمحاكمة العبد الصالح ثم حكم عليه: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" أي: منكرو حرام ومعصية لله! مع أنَّ الله أرسل موسى إليه ليتعلم منه، وموسى يعلم هذا جيداً لكنه قال له: إنك عصيت الله! لم يستطع موسى إلا أن يخرج "الأنَا" الخفية من أعماق وجوده، وهذا ما يريده العبد الصالح بالضبط وإلا فكما قلت:

١- يقول السيد أحمد الحسن: (إنَّ مسألة قتل الغلام هي كما يقبض ملك الموت الروح، أو أن يقلب ملك سيارة شخص وهو يقودها في الشارع فيموت الشخص بسبب الحادث، فحال العالم عليه السلام كان كحال الملائكة عليهم السلام) المتشابهات: جواب سؤال ٧٢.

علماً، أنَّ العالم قتل الغلام بأمر الله استجابة لدعاء أبويه اللذين كانا يدعوان الله أن يرزقهما ذرية طيبة وصالحة بينما كان هذا الغلام عند الله كافراً خبيثاً، بل إذا كبر دعا أبويه للكفر بالله أيضاً:

(عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: بينما العالم يمشي مع موسى إذا بغلام يلعب قال: فوكزه العالم فقتله، فقال له موسى: "أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شئنا نكراً" قال: فأدخل العالم يده فاقتلع كتفه فإذا عليه مكتوب: كافر مطبوع) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ٣٣٥.

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: "فخشينا" خشي إن أدرك الغلام أن يدعو أبويه إلى الكفر فيجيبانه من فرط حبهما له) المصدر السابق: ٢ / ٣٣٦.

من ثمَّ، استجاب الله دعاء الأبوين وأراد بهما خيراً؛ إذ أبدلهما ببنت كان من ذريتهما أنبياء:

(عن عثمان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: "فأردنا أن يبدلهم ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً" قال: ولدت لهما جارية فولدت غلاماً فكان نبياً) المصدر السابق.

ليس غرض العبد الصالح عندما قام بالأفعال نفس الأفعال وإنما غرضه إخراج ما في داخل موسى بغرض تعليمه وتنبيهه ليقوم بإصلاح نفسه ولا ينزل مستواه، وبالفعل هذه "الأنا" الخفية في داخله منعتة من مقام الإمامة بمستوى أعلى (بمعناها الديني وليست بمعنى القيادة) التي منحت لإبراهيم عليه السلام ومحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وإذا لاحظنا اعتراض موسى الثاني وجدناه أكثر تطوراً عن سابقه، فموسى وصف فعل العبد الصالح بالحرام "نكراً"!

"قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا":

أي: إنّ العبد الصالح لم يصعد الموقف مع موسى ويعاتبه على موقفه، وإنما بقي عند قوله الذي قاله له منذ البداية: "ألم أقل لك ..." بالرغم من أنّ موسى صعد في اعتراضه كما عرفنا.

"قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا":

هنا موسى حكم على نفسه، وإلا لو كان قراره الاستمرار لاستمر معه العبد الصالح دون أن يمثل اعتراض موسى بالنسبة له أي مشكلة، وكلما يخطأ يقوم بتعليمه<sup>(١)</sup>، لكن

---

١- (عن أبي بصير، عن أحدهما صلوات الله عليهما قال: لما كان من أمر موسى الذي كان أعطي مكتلاً فيه حوت مالح فقيل له: هذا يدلّك على صاحبك عند عين لا يصيب منها شيء إلا حي، فانطلقا حتى بلغا الصخرة وجاوزا ثم قال لفتاه: أتنا غداءنا، فقال: الحوت اتخذ في البحر سرباً، فاقتصا الأثر حتى أتيا صاحبهما في جزيرة في كساء جالساً فسلم عليه وأجاب وتعجب وهو بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال: موسى، فقال: ابن عمران الذي كلمه الله؟ قال: نعم، قال: فما جاء بك؟ قال: أتيتك على أن تعلمني، قال: إني وكلت بأمر لا تطيقه، فحدثه عن آل محمد وعن بلائهم وعما يصيبهم حتى اشتد بكأؤهما، وذكر له فضل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وما أعطوا وما ابتلوا به فجعل يقول: يا ليتني من أمة محمد، وإن العالم لما تبعه موسى خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار ثم بين له كلها وقال: ما فعلته عن أمري، يعني لولا أمر ربّي لم أصنعه، وقال: لو صبر موسى لأراه العالم سبعين أعجوبة) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٥٩ - ١٦٠.

موسى ارتكب خطأ أساسياً وهو عدم الاستمرار: "قد بلغت من لدني عذراً": بسببي وحالتي ووضعي النفسي، وبالتالي فأنت معذور.

"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا ...":

أوضحت سابقاً لماذا طلب موسى ويوشع الطعام مباشرة؛ لأنهما قبل مسيرهما مع العبد الصالح كانا جائعين وقد ذهب غداءهم "السّمك"، والرحلة لم تكن دقائق محدودة وإنما أخذت وقتاً (يوم ونصف أو يومين مثلاً)، ولذا أول ما خطر ببالهما هو الأكل.

علماء، أنّ القرآن يقول: "فَأَبَيَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا" أي الحديث عن اثنين، هما: موسى ويوشع، ولم يقل: "يضيّفوهم" أي: لم يحسب العبد الصالح معهما؛ لأنه لم يكن يأكل باعتبار أنه ليس من أهل هذا العالم وزمانه لم يحن بعد.

"فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً":

العبد الصالح أقام الجدار أي البيت، فاعترض موسى وقال: "لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً" أي: لا أقل اطلب لنا أكلاً نأكله كأجر لما قمنا به! وهنا أيضاً: عقد موسى محكمة وحاكم العبد الصالح وقال له: كان من الصحيح أن نأخذ أجراً، فأنت بنيت البيت بالرغم من أنهم لم يعطونا طعاماً نأكله!

"قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ..." بحسب ما طلبت أنت يا موسى، "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ..." إلى نهاية الآيات.

القصة كلها هي "أنا" موسى، والمحاکمات الثلاث التي قام بها موسى، إضافة إلى حالته الأولى التي رآها الله في وجوده وأرسله للقاء العبد الصالح والتعلم منه، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يريه "الأنا" التي في داخله، الأنا التي حجبت عنه مقامات أعلى فكان لقاءه بأحد أصحاب هذه المقامات الأعلى.

والآن: بماذا يمكننا أن ننتفع من قصة موسى؟ هل نجلس ونتحدث عن "الأنا" وما تسببه للإنسان من خسارة ... إلخ، أو ماذا بالضبط؟

الحقيقة، إنّ ما نستفيده هو أنّ "الأنا" خفية لا تُرى، خفية على صاحبها وليس على الناس فقط، فهذا موسى نبي من أولي العزم، وموسى رسول إلهي ظاهر، لنفرض أنّ لديه مليون شيء حسن وجميل وخير ونور في وجوده، لكن حالات "الأنا" التي كانت في أعماق وجوده خفيت عليه ولم يكن منتبهاً لها، ولا أقل لما كان بمواجهة شخص أعلم منه وأعلى مقاماً منه لم يستطع أن يصبر معه ويتعلم منه، وهذه الأنا الخفية حجبت عنه مقام الإمامة بالمستوى الذي كان يتحلّى بها معلمه، فهذا المقام كان يتطلب سحفاً أكبر للأنا انتهى<sup>(١)</sup>.

### تنبيه:

قول السيد أحمد الحسن: "وهذه الأنا الخفية حجبت عنه مقام الإمامة ...": ليس المقصود أنّ الأنا الخفية حجبت عن موسى مطلق المقام (أي الإمامة بكل مراتبها)؛ إذ لا شك أنّ موسى كانت لديه "إمامة" ولكنها بمستوى أدنى من الإمامة التي مُنحت لإبراهيم صلوات الله عليه كما تقدمت الإشارة لذلك، وهذا يعني أنّ "أناه الخفية" حجبت عنه مرتبة عليا من مراتب الإمامة؛ فضلاً عن أرقاها وأعظمها وهي الإمامة التي منحها الله لسادة خلفائه أعني محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم.

وأخيراً: روي أنّ موسى لما أراد أن يفارق العبد الصالح طلب منه أن يوصيه، فأوصاه ببعض الوصايا:

- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الخضر<sup>(٢)</sup> لموسى عليه السلام: يا موسى إن أصلح يوميك الذي هو أمامك فانظر أي يوم هو وأعد له الجواب فإنك موقوف ومسؤول،

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن في المدينة المنورة حضره ثلة من المؤمنين: منهم: السيد الميالي، والشيخ العقيلي، والشيخ السعيد، والشيخ المنصوري، وغيرهم.

٢- قلنا إنّ "الخضر" صفة تطلق على جميع رسل الله؛ لأنهم يثبون دين الله الذي يرمز له بالملكوت بالخضار، والعبد الصالح وصف في بعض الروايات بالخضر؛ لأنه يبث دين الله والحياة أينما حل.

وخذ موعظتك من الدهر فإن الدهر طويل قصير، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك ليكون أطمع لك في الآخرة فإنما هوات من الدنيا كما هو قد ولى منها<sup>(١)</sup>.

- (عن أبان بن عبد الملك، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إن موسى بن عمران عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصني، فكان مما أوصاه أن قال له: إياك واللجاجة، أو أن تمشي في غير حاجة، أو أن تضحك من غير عجب، واذكر خطيئتك، وإياك وخطايا الناس)<sup>(٢)</sup>.

- (عن الزهري، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليهما السلام أن قال له: لا تعين أحداً بذنب، وإن أحب الأمور إلى الله عز وجل ثلاثة: القصد في الجدة، والعفو في المقدرة، والرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيامة ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى)<sup>(٣)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معنى "القصد في الجدة":

(جدة: بكسر الجيم تعني يجد أو وجد، وهنا استخدمها علي بن الحسين عليه السلام بهذا المعنى).

القصد في الجدة: أي الاعتدال والاقتصاد عندما يجد الإنسان المال والدنيا والغنى أو أي شيء حتى الاقتصاد في الماء عندما تجده ويتوفر عندك.

المعنى: عندما تجد شيئاً ويتوفر عندك فلا تبذر وتصرّف به باقتصاد واعتدال) انتهى<sup>(٤)</sup>.

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٤٥٩.

٢- الأمالي، الصدوق: ٤٠١.

٣- الخصال، الصدوق: ١١١.

٤- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

## وفاة موسى (ع) وبعثة الأنبياء بعده:

### وفاة موسى:

بعد أداء رسالة الله، رجع موسى لربه وتوفاه الله إليه، وقبل وفاته أوصى إلى وصيه يوشع بن نون<sup>(١)</sup>:

(جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أخبرني ب وفاة موسى بن عمران عليه السلام، فقال: إنه لما أتاه أجله واستوفي مدته وانقطع أكله أتاه ملك الموت عليه السلام فقال له: السلام عليك يا كريم الله، فقال موسى: وعليك السلام من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت، قال: ما الذي جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، فقال له موسى عليه السلام: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال موسى عليه السلام: كيف وقد كلمت به ربي جل جلاله، قال: فمن يدريك، قال: كيف وقد حملت بهما التوراة، قال: فمن رجلك، قال: كيف وقد وطأت بهما طور سيناء، قال: فمن عينك، قال: كيف ولم تزال إلى ربي بالرجاء ممدودة قال: فمن أذنك، قال: كيف وقد سمعت بهما كلام ربي عز وجل، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت: لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك، وخرج ملك الموت، فمكث موسى عليه السلام ما شاء الله أن يمكث بعد ذلك، ودعا يوشع بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عليه السلام عن قومه فمر في غيبته برجل وهو يحفر قبراً فقال له: إلا أعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى، فأعانه حتى حفر القبر

١- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون) الكافي، الكليني: ١ / ٢٩٣.

وذكر القرطبي: (قال الزهري: وولد لإفرائيم - بن يوسف - نون بن إفرائيم، وولد لنون يوشع، فهو يوشع بن نون، وهو فوقي موسى الذي كان معه صاحب أمره، ونبأه الله في زمن موسى عليه السلام، فكان بعده نبياً) تفسير القرطبي: ٩ / ٢٧٠.

وفي العهد القديم: سفر التثنية، إصحاح ٣١: ١٤ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هُوَذَا أَيَّامُكَ قَدْ قَرُبَتْ لِيْكَ تَمُوتُ. اذْءُ يَشُوعُ، وَفَقَا فِي خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ لِيْكَ أَوْصِيَهُ». فَأَنْطَلَقَ مُوسَى وَيَشُوعُ وَوَقَفَا فِي خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ، ١٥ فَرَأَى الرَّبُّ فِي الْخَيْمَةِ فِي عَمُودِ سَحَابٍ، وَوَقَفَ عَمُودُ السَّحَابِ عَلَى بَابِ الْخَيْمَةِ. ١٦ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنْتَ تَرَقُدُ مَعَ آبَائِكَ، ...».

وسوى اللحد، ثم اضطلع فيه موسى عليه السلام لينظر كيف هو فكشف الله له الغطاء فرأى مكانه في الجنة، فقال: يا رب اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه مكانه ودفنه في القبر وسوى عليه التراب، وكان الذي يحفر القبر ملك الموت في صورة آدمي، وكان ذلك في التيه فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، وأي نفس لا تموت. فحدثني أبي عن جدي عن أبيه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن قبر موسى أين هو؟ فقال: هو عند الطريق الأعظم عند الكتيب الأحمر<sup>(١)</sup>.

وروي أنّ وفاته كانت في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان<sup>(٢)</sup>، وهو التاريخ الذي تزامن لاحقاً مع تاريخ شهادة وصي الرسول محمد الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وشاء الله أن يكون موسى الرسول ممهداً للرسالة المحمدية حتى في وقت وفاته ورحيله إلى الله.

### قيام يوشع بالأمر ودخوله الأرض المقدسة:

بعد وفاة موسى صلوات الله عليه، قام وصيه يوشع بن نون عليه السلام بأمر الرسالة الإلهية، لكن المؤلم هو تمكّن بعض المنافقين من استغلال زوجة موسى (صفراء بنت شعيب) وحملها على الخروج على يوشع بجيش كبير<sup>(٣)</sup>، والعبر التي يمكن استقاؤها من هذا الخروج على الحق وصاحبه ذكرناها فيما سبق من بحوث، يقف على رأسها

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٣ - ١٥٤.

٢- (عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: الغسل في سبعة عشر موطناً - وساق الحديث إلى أن قال -: وليلة إحدى وعشرين، أي من شهر رمضان، وهي الليلة التي أصيب فيها أوصياء الأنبياء، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام وقبض موسى عليه السلام) تهذيب الأحكام، الطوسي: ١ / ١١٤.

٣- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه: (.....) ثم إنّ يوشع بن نون عليه السلام قام بالأمر بعد موسى عليه السلام صابراً من الطواغيت على اللأواء والضراء والجهد البلاء حتى مضى منهم ثلاث طواغيت، فقوي بعدهم أمره فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى عليه السلام بصفراء بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مائة ألف رجل. فقاتلوا يوشع بن نون عليه السلام فقتلهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقيين بإذن الله تعالى ذكره، وأسر صفراء بنت شعيب، وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن ألقى نبي الله موسى عليه السلام فأشكو إليه ما لقيت منك ومن قومك. فقالت صفراء: وا ويلاه، والله لو أبيحت لي الجنة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابي، وخرجت على وصيه بعده، .....) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٤.



التذكير بما سيجري على وصي الرسول محمد صلى الله عليه وآله من خروج بعض أزواج الرسول عليه بعد شهادة الرسول!

وأما دخول يوشع عليه السلام بمن معه من المؤمنين الأرض المقدسة فقد حصل بعد انقضاء سني التيه الأربعين، ودخوله لها لم يكن سلمياً وإنما حصل بقوة السلاح وحصار المدن وسلسلة حروب خاضها، وقد أكدت نصوص التوراة ذلك<sup>(١)</sup>. وهذا يُبطل مزاعم بعض الجهلة الذين يحصرون استعمال السلاح في الرسالات الإلهية بالرسول محمد صلى الله عليه وآله بهدف الإساءة له كما هو واضح، بالرغم من أن الحروب التي خاضها فرضت عليه فرضاً وكانت دفاعية بمجملها كما سيتضح عند استعراض سيرته الطاهرة.

لم يمكث يوشع بعد موسى عليهما السلام طويلاً<sup>(٢)</sup>.

١- ابتدأ الأمر بحث الله ليوشع بالقتال: سفر التثنية، إصحاح ١: ٢٠ «مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. قَالَ قُمْ اغْزُ هَذَا الْأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيَّ لَيْتِي إِسْرَائِيلَ». وكانت أولى المعارك التي خاضها يوشع هي معركة أريحا: سفر يشوع، إصحاح ٦: ٢٠. فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالْأَبْوَابِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هَتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. ٢١ وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلٍ وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْخَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ. وأيضاً: من المعارك التي خاضها هي معركة جيعون التي استوجبت تدخل الإعجاز الإلهي: سفر يشوع، إصحاح ١٠: ١٢ «حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الْأُمُورَ لِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عُيُونِ إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِيعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيْلُونِ». ١٣ قَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَتِ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ». والنتيجة: انتهت المعارك بالدخول الأرض المقدسة: سفر يشوع، إصحاح ١١: ٢٣ «فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ الْأَرْضِ حَسَبَ كُلِّ مَا كَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى، وَأَعْطَاهَا يَشُوعُ مُلْكًا لِإِسْرَائِيلَ حَسَبَ فِرْقَتِهِمْ وَأَسْبَاطِهِمْ. وَاسْتَرَاخَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْحَرْبِ».

٢- قال اليعقوبي: (ولما افتتح يوشع بن نون البلقاء أكثر بنو إسرائيل الزناء، وشرب الخمر، ووقعوا على النساء، وكثرت فيهم الفاحشة، فعظم ذلك على يوشع بن نون، وخوفهم الله، وحذرهم سطوته، فلم يحذروا، فأوحى الله عز وجل إلى يوشع بن نون: إن شئت سلطت عليهم عدوهم، وإن شئت أهلكتهم بالسنين، وإن شئت بموت حثيث عجلان. فقال: هم بنو إسرائيل، ولا أحب أن تسلط عليهم عدوهم، ولا يهلكوا بالسنين، ولكن بموت حثيث، فوقع فيهم الطاعون فمات في وقت واحد سبعون ألفاً. وكانت أيام يوشع في بني إسرائيل، بعد موسى بن عمران، سبعا وعشرين سنة) تاريخ اليعقوبي: ١ / ٤٧.

وروي أنّ وفاته كانت قتلاً في سبيل الله في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان<sup>(١)</sup> أيضاً. وبحسب النصوص: فإنّ يوشع عليه السلام أوصى قبل موته إلى ولدي هارون (شبر وشبير)، وكان موسى قد بشر يوشع بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومثل ذلك فعل يوشع مع وصيه<sup>(٢)</sup>.

وأما حال بني إسرائيل "اليهود" بعد مضي الوقت على وفاة موسى عليه السلام، فإنهم أمعنوا في إيداء رسل الله بشكل كبير جداً حتى اضطروهم إلى الاستتار بعد أن كانوا يقتلون منهم في اليوم الواحد أكثر من رسول ثم يعودون لحياتهم الطبيعية ويفتحون دكاكينهم في السوق وكأنهم لم يفعلوا شيئاً<sup>(٣)</sup>!

وعموماً، بعد وفاة يوشع عليه السلام استتر رسل الله إلى وقت بعثة داود عليه السلام؛ النبي المنتظر الذي وعد به بنو إسرائيل ليخلصهم من ظلم جالوت.

### بعثة داود وسليمان:

بعد وفاة موسى ويوشع عليهما السلام، عاد بنو إسرائيل شيئاً فشيئاً لوضعهم الذي كان قبل بعث موسى صلوات الله عليه، حيث تسلط عليهم جالوت وجنوده فظلموهم وأذوهم وأخرجوهم من ديارهم. وتسليطه عليهم كان عقوبة لتمردهم على الأوامر الإلهية

١- (عن حبيب بن عمرو قال: لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسين عليه السلام خطيباً فقال: أيها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) الأمالي، الصدوق: ٣٩٧.

٢- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (أوصى موسى إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون ولم يوصي إلى ولد موسى؛ لأن الله له الخيرة يختار من يشاء ممن يشاء، وبشر موسى يوشع بن نون بالمسيح ...) بصائر الدرجات، الصفار: ٤٨٩ - ٤٩٠.

٣- عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (..... وكانت بنو إسرائيل تقتل نبياً واثنان قائمان ويقتلون اثنين وأربعة قيام حتى أنه كان ربما قتلوا في اليوم الواحد سبعين نبياً ويقوم سوق بقلهم آخر النهار) الكافي: ٨ / ١١٦ - ١١٧. وروي المقرئ أن بني إسرائيل كانوا يقتلون كل يوم سبعين نبياً، انظر: إمتاع الأسماع: ٤ / ١٦٩.

وطاعة الرسل؛ لعلهم يثوبون إلى رشدهم. وفعلاً، بمرور الوقت نشأت بينهم الأمة الربّانية التي امتحنها الله بعبور النهر مع طالوت وكان عددها ٣١٣ رجلاً.

سينتكر هذا العدد (بالبذات) مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله؛ إذ كان عدد أصحابه في أولى معاركه التي خاضها دفاعاً عن رسالة الله هي معركة بدر بنفس هذا العدد، وسيتكرر كذلك في رسالة ولده المهدي التي أكدت النصوص على أنّ عدد أصحابه بنفس هذا العدد أيضاً، وهذا يؤكد تمهيد الرسالات الإلهية السابقة لرسالة محمد الكبرى.

أعود لداود عليه السلام، فأقول: إنّ الدليل على معرفة بني إسرائيل وتصديقهم به هو النص الذي بشرهم به موسى ويوشع بن نون صلوات الله عليهما قبل مئات السنين، ولأجل علمهم به كانوا ينتظرون بعث داود<sup>(١)</sup>.

١- يقول الإمام الصادق صلوات الله عليه: (..... فاستتر الأئمة بعد يوشع بن نون إلى زمان داود عليه السلام أربعمائة سنة وكانوا أحد عشرو كان قوم كل واحد منهم يختلفون إليه في وقته ويأخذون عنه معالم دينهم حتى انتهى الأمر إلى آخرهم، فغاب عنهم ثم ظهر (لهم) فبشرهم بداود عليه السلام وأخبرهم أنّ داود عليه السلام هو الذي يطهر الأرض من جالوت وجنوده، ويكون فرجهم في ظهوره فكانوا ينتظرونه، فلما كان زمان داود عليه السلام كان له أربعة إخوة ولهم أب شيخ كبير، وكان داود عليه السلام من بينهم حامل الذكر وكان أصغر أخوته لا يعلمون أنه داود النبي المنتظر الذي يطهر الأرض من جالوت وجنوده، وكانت الشيعة يعلمون أنه قد ولد وبلغ أشده وكانوا يرونه ويشاهدونه ولا يعلمون أنه هو. فخرج داود عليه السلام وإخوته وأبوهما لما فصل طالوت بالجنود وتخلف عنهم داود، وقال: ما يصنع بي في هذا الوجه، فاستهان به إخوته وأبوه وأقام في غنم أبيه يرعاها فاشتد الحرب وأصاب الناس جهد، فرجع أبوه وقال لداود: احمل إلى إخوانك طعاماً يتقوون به على العدو، وكان عليه السلام رجلاً قصيراً قليل الشعر طاهر القلب، أخلاقه نقية، فخرج والقوم متقاربون بعضهم من بعض قد رجع كل واحد منهم إلى مركزه، فمر داود عليه السلام على حجر فقال الحجر له بقاء رقيق: يا داود خذني فاقتل بي جالوت فإنني إنما خلقت لقتله، فأخذه ووضعته في مغلته التي كانت تكون فيها حجارتها التي كان يرمي بها غنمه، فلما دخل العسكر سمعهم يعظمون أمر جالوت، فقال لهم: ما تعظمون من أمره فوالله لئن عاينته لأقتلنه، فتحدثوا بخبره حتى أدخل على طالوت فقال له: يا فتى ما عندك من القوة وما جربت من نفسك؟ قال: قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأدركه فأخذ برأسه وأفك لحبيبه عنها فأخذها من فيه، وكان الله تبارك وتعالى أوحى الله إلى طالوت أنه لا يقتل جالوت إلا من لبس درعه فملأها، فدعا بدرعه فلبسها داود عليه السلام فاستوت عليه فراع ذلك طالوت ومن حضره من بني إسرائيل فقال: عسى الله أن يقتل به جالوت، فلما أصبحوا والتقى الناس قال داود عليه السلام: أروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فرماه به ففصك به بين عينيه فدمغه وتنكس عن دابته فقال الناس: قتل داود جالوت، وملكه الناس حتى لم يكن يسمع لجالوت ذكر، واجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله

وأيضاً: العلم الذي زود الله به داود عليه السلام كما هو الواضح في رسالته وفي "الزبور" الذي أنزل عليه.

### النبي إسماعيل والقائد طالوت وإخلاص داود:

قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ \* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" البقرة: ٢٤٦ - ٢٥٢.

طلب بني إسرائيل من نبيهم "إسماعيل = صموئيل" أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه  
ورد في نصوص العهد القديم:

تبارك وتعالى عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد فليته له وأمر الجبال والطيران تسبح معه، وأعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً، وأعطاه قوه في العبادة. وأقام في بني إسرائيل نبياً (كمال الدين وتمام النعمة: ١٥٤ - ١٥٥).  
وقال صلوات الله عليه أيضاً: (... وأوصى يوشع بن نون إلى داود عليه السلام، وأوصى داود عليه السلام إلى سليمان عليه السلام، وأوصى سليمان عليه السلام إلى أصف بن برخيا، .....) الأمالي، الصدوق: ٤٨٧ - ٤٨٨.

(سفر صموئيل الأول - إصحاح ٨): "١٠ فَكَلَّمَ صَمُوئِيلُ الشَّعْبَ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنْهُ مَلِكًا بِجَمِيعِ كَلَامِ الرَّبِّ، ١١ وَقَالَ: «هَذَا يَكُونُ قَضَاءُ الْمَلِكِ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ: يَأْخُذُ بَنِيكُمْ وَيَجْعَلُهُمْ لِنَفْسِهِ، لِمَرَآئِهِ وَفُرْسَانِهِ، فَيَرْكُضُونَ أَمَامَ مَرَآئِهِ»."

وفي (إصحاح ٩) ورد أنّ اسم الملك هو (شاول = طالوت)، ولم يكن في بني إسرائيل رجل أفضل منه: "٢ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ شَاوُلُ، شَابٌّ وَحَسَنٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْسَنَ مِنْهُ. مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقَ كَانَ أَطْوَلُ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ."

بنو إسرائيل نتيجة الظلم الذي مروا به طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلوا معه، والنبي اسمه إسماعيل<sup>(١)</sup>، وكان شيخاً كبيراً لا طاقة له على جهاد العدو، وكان عارفاً بمقام الرسول محمد وآله صلوات الله عليهم، ويتأسى بالحسين صلوات الله عليه عندما تنزل به الشدائد<sup>(٢)</sup>.

يقول السيد أحمد الحسن في وصف حاله: (النبي هو نبي الله صموئيل "إسماعيل" من ذرية يعقوب عليه السلام، أما صفته وحاله؛ فهو مقارب لحالة إسماعيل ابن نبي الله إبراهيم عليهما السلام، حيث كانت أمه حنة عقيماً أيضاً كمثّل سارة عليها السلام زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقد نذرته لله سبحانه، وكان يخدم في بيت الله كمثّل مريم عليها السلام، وقد بعثه الله نبياً لبني إسرائيل، وكان في زمانه بنو إسرائيل متمردين على

١- قال الله عنه: "وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا \* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا" مريم: ٥٤ - ٥٥. وروى الصدوق: (عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أتدري لم سمي إسماعيل صادق الوعد؟ قلت: لا أدري، قال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره) علل الشرائع: ١ / ٧٧.

٢- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه: "وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ" إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً" لم يكن إسماعيل ابن إبراهيم، بل كان نبياً من الأنبياء بعثه الله عز وجل إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إن الله جل جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٧٧ - ٧٨.

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام إن إسماعيل كان رسولاً نبياً، سلط عليه قومه فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه رسول من رب العالمين فقال له: ربك يقرؤك السلام ويقول: قد رأيت ما صنع بك، وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت، فقال: يكون لي بالحسين بن علي عليه السلام أسوة) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٧٨.

أمر الله سبحانه، وفي آخر أيام حياته عادوا وتابوا وظهر فيهم جيل صالح، وطلبوا منه أن يُعَيِّن عليهم ملكاً ليقاتلوا تحت رايته، فعَيَّن طالوت بأمر الله سبحانه وتعالى، وكان طالوت يأتمر بأمر نبي الله إسماعيل عليه السلام، وبعد أن انتصر طالوت وجيشه على جالوت وجيشه أمر الله نبي الله إسماعيل أن يُعَيِّن خليفته من بعده داود عليه السلام، الذي كان جندياً في جيش طالوت.

أما لماذا لم يكن نبي الله إسماعيل هو الملك، فهو كان نبياً وخليفة الله في أرضه وهو الملك المنصب من الله، ولكنهم أرادوا ملكاً يقاتلون تحت رايته ويقاتل معهم، لأنهم في ذلك الزمان كان الملك لا بد أن يخرج بالجيش ويقاتل بنفسه، في حين أن نبي الله إسماعيل عليه السلام كان شيخاً كبيراً في السن وفي آخر أيام حياته، ولهذا فهم طلبوا منه هو أن يعين عليهم ملكاً له القدرة على القتال) انتهى<sup>(١)</sup>.

وعموماً، قال بنو إسرائيل له: "ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، فبعث لهم بأمر الله طالوت عليه السلام كقائد يلتفون حوله لمقاتلة جالوت وجنوده.

لا شك، أن الفارق بين الجبهتين كبير عدة وعدداً، ولهذا أراد طالوت (بأمر الله) أن يمتحن جنود عسكره بعبور النهر وعدم الشرب منه في وقت كانوا فيه عطاشى، وخبرهم بين أحوال ثلاث: "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ" أي: من لم يشرب منه أصلاً فهو من المقربين، ومن اغترف منه غرفة فهو من أصحاب اليمين، ومن شرب منه فهو ليس من طالوت في شيء أي إنه من المكذبين به<sup>(٢)</sup>!

يقول السيد أحمد الحسن: (ومن الضروري أن نعرف أن فتنة النهر كانت ضرورية لتمحيص المؤمنين، وإبراز المقربين وأهل الإخلاص منهم، ثم إنها كانت كبيرة حيث كان جنود بني إسرائيل في حالة عطش شديدة عند وصولهم إلى النهر، فالذين شربوا من الماء كانوا لا يريدون الهلاك عطشاً حسب زعمهم، فكانت الحياة عندهم أهم من طاعة الله، أما الذين لم يشربوا من الماء فكانوا يرون الهلاك عطشاً في طاعة الله خير من البقاء أحياء

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٤٢٦.

٢- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٢٦.

في معصية الله، بل كانوا على يقين أنّ الله سبحانه الذي نهاهم عن الشرب من هذا النهر سيبدلهم خيراً منه، ولم يكن سبحانه ليتركهم يهلكوا عطشاً. وهكذا نرى أنّ هؤلاء الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً انتصروا على جالوت وجنوده حال عبورهم النهر. أمّا أولئك الذين شربوا من النهر، فإنّهم هُزموا وأحسوا بالوهن والضعف حال معصيتهم لله وأطاعتهم للهوى والشيطان، فلم يكن قولهم: "لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده" إلاّ تحصيل حاصل وإبراز للهزيمة التي انطوت عليها نفوسهم) انتهى<sup>(١)</sup>.

نصوص العهد القديم لم تذكر قصة امتحان طالوت لجيشه بعدم الشرب من النهر، لكنها نسب حدثاً شبيهاً بما فعله طالوت لنبي وقاضٍ من قضاة بني إسرائيل يُدعى "جدعون" وقعت قبل زمان طالوت<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن الأمر، بعد التقاء الجيشين شاء الله أن ينتصر جيش طالوت بالرغم من قلّته، وكانت الكلمة الفصل في النصر تعود لوجود "داود" بين المقاتلين (كان صبياً حينها) وما يحمله من إخلاص عظيم لله سبحانه، وقد ذكر (سفر صموئيل الأول – إصحاح ١٧) ذكر ذلك بالتفصيل وكان داود عليه السلام سبباً في انتصار جيش طالوت بعد قتله لجالوت "جليات".

وبحسب النصوص، فإنّ فتنة النهر في زمن طالوت ستعاد في زمن القائم (مهدي آل محمد)، والنهر يمكن أن يكون "الدنيا" فمن يغترف مزيداً منها لا يوفق لمسيرته، ويمكن أن يكون النهر هو "العلم" لكن من يغترف منه أكثر يوفق لمسيرته أكثر<sup>(٣)</sup>!

١- كتاب العجل، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول – طالوت عليه السلام.

٢- انظر: سفر القضاة – إصحاح ٧.

٣- (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أصحاب موسى ابتلوا بنهر، وهو قول الله عز وجل: "إن الله مبتليكم بنهر" وإن أصحاب القائم يبتلون بمثل ذلك) الغيبة، الطوسي: ٤٧٢.

ثم إننا عرفنا فيما سبق أنّ الله سبحانه أخذ من النبيين جميعاً ميثاقهم بالمعرفة والإيمان بالرسول محمد وآله الأوصياء<sup>(١)</sup>، لذلك فليس غريباً أن يتضمن زبور داود عليه السلام ذكر القائم عليه السلام والتبشير به وبأصحابه<sup>(٢)</sup>.

ولأن آل محمد صلوات الله عليهم ورثة الأنبياء، فليس غريباً أن نجدهم ورثة لزبور داود كما يصفون أنفسهم<sup>(٣)</sup>، وأنّ قائمهم (مهدي آل محمد) يحكم بحكمه (أي بلا بينة) من ضمن ما يحكم به عند بعثه برسالة الله<sup>(٤)</sup>.

ويمكننا أن نعرف بعد هذا وجوه التمهيد الكثيرة التي قام بها الرسل السابقين للرسالة المحمدية الكبرى.

كان معروفاً عن نبي الله داود شدة رحمته، وقصته مع الشاب مشهورة<sup>(٥)</sup>.

١- (عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيا قط إلا بها)، (عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا) الكافي، الكليني: ١ / ٤٣٧.

٢- علي بن إبراهيم: ("ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر" قال: الكتب كلها ذكر "أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" قال: القائم عليه السلام وأصحابه، قال: والزبور فيه ملاحم وتحميد وتمجيد ودعاء) تفسير القمي: ٢ / ٧٧.

٣- (عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأل عن قول الله عز وجل: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر" ما الزبور وما الذكر؟ قال: الذكر عند الله، والزبور الذي أنزل على داود، وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم) الكافي، الكليني: ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦.

٤- (عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إذا قام قائم آل محمد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويخير كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليه من عدوه بالتوسم، قال الله سبحانه وتعالى: "إن في ذلك لآيات للمتوسمين \* وإنها لبسبيل مقيم") الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٨٦.

٥- عن الإمام الباقر صلوات الله عليه، قال: (بيننا داود على نبينا وآله وعليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشاب، فقال داود على نبينا وآله وعليه السلام نظرت إلى هذا؟ فقال: نعم إني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع فرحمه داود، فقال: يا شاب هل لك امرأة؟ قال: لا وما تزوجت قط، قال داود: فأنت فلاناً - رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له: إن داود يأمرك أن تزوجني ابنتك وتدخلها الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضع، فمضي الشاب برسالة داود على نبينا وآله فزوجه الرجل ابنته



وأيضاً: من ضمن الحوادث التي حصلت عند بعثة داود هي قضية "تسور المحراب" التي امتحن بها، وهي قضية لم يتمكن علماء المسلمين من فهمها على الوجه الصحيح.

قال تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ \* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنَاهَا وَعِزَّنِي فِي الْخِطَابِ \* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ \* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ \* يَٰ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" ص: ٢١-٢٢.

الحادثة ذكرت في نصوص العهد القديم لكن بسياق مختلف؛ إذ لم يذكر النص تسور خصمان ودخولهما على داود للسؤال، وإنما ذكر إرسال الله لنبي اسمه "ناثان" بغرض مواجهة داود وتوبيخه عن خطيئة صدرت منه تجاه أوريا الحثي وزوجته!

وبلا شك، هذا من التحريف الباطل الذي ينسجم مع عقيدة اليهود القائمة على الطعن بأنبياء الله كما رأيناها في نسبتهم فتنة العجل لهارون الوصي المعصوم!

وعموماً، أعود للنص القرآني وحادثة التسور:

يقول السيد أحمد الحسن في بيانها: (وهنا يجب الالتفات إلى أن التسور أي عبور الجدار لا يصح على من يقف في المحراب، لأنه ليس سوراً بل داخل بيت العبادة. ثم إنَّ

---

وأدخلوها عليه و أقام عندها سبعة أيام، ثم وافى داود يوم الثامن، فقال له داود: يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قط أعظم مما كنت فيه، قال داود: اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه فلما طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشاب، ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثم انصرف أسبوعاً آخر ثم أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود، فقال داود صلوات الله عليه: ألسنت حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيام؟ قال: بلى، فقال: قد مضت ثمانية وثمانية وثمانية! قال: يا داود إن الله تعالى رحمه برحمتك له فأخرفي أجله ثلاثين سنة) بحار الأنوار، المجلسي: ٤ / ١١١.

مكان داود عليه السلام كان عليه حراسة شديدة، فلا يمكن اجتيازها؛ لأنه من ضمن الحرس ملائكة الله. ولذا فداود عليه السلام فزع منهم وهم طمئنوه: "قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ". وكون المحراب (مكان الصلاة) هو مكان ظهور الخصمين، يدل على أنهما أتيا من جهة الله سبحانه وتعالى، أي من الغيب فهما ملكان وليسا إنسانين. فتسورهما من الآخرة إلى الدنيا من جهة العبادة (المحراب).

فالسؤال: كيف يدَّعي ملك أنه يملك نعاجاً، ومال الملائكة ومال النعاج؟ ولماذا اختصما وما هي خصومتها؟ إذن، القضية ليست قضية نعاج، كما يتوهم من يسمع قصة الملكين مع داود عليه السلام، فالملائكة معصومون ولا يمكن أن يكون كلامهم فيه كذب، كما أنهم من عالم الملكوت فلا يمكن أن يكونوا رعاة أغنام ويختصمون في نعجة.

والحقيقة، إنَّ الملكين جاءا لامتحان داود عليه السلام كما أمرهم الله سبحانه وتعالى وأحدهما خُلِقَ من تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى، "إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة"<sup>(١)</sup>، فالملائكة خُلِقُوا من أسماء الله، كما قدمت فيما مضى من المتشابهات<sup>(٢)</sup>، وكل اسم جناح: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" فاطر: ١، والثاني خُلِقَ من اسم واحد من أسماء الله غير التسعة والتسعين، وتحت كل من هذين الملكين ملائكة، فهما قادة لملائكة دونهم، فصاحب التسعة والتسعين اسماً يقود تسعة وتسعين نوعاً من الملائكة، لأنه يعرف أسماءهم، ولا أقصد بالاسم هنا اللفظ أو المعنى، بل حقيقة الاسم الممكنة للمخلوق. وهذا الملك طلب من الملك الآخر أن يعلمه ويعرفه حقيقة اسم الملك الذي يقوده هو، وهذا يستلزم معرفة اسم الله الذي خلق منه الملك، وبما انه - أي الملك صاحب التسعة والتسعين اسماً - لم يكن مخلوقاً من هذا الاسم، فهو غير قادر على معرفته؛ لأن فطرته لم يودع فيها هذا الاسم. إذن، فهو غير قادر على قيادة الملك الذي يقوده الملك الثاني والذي خُلِقَ من اسم يجمله الملك الأول.

١- التوحيد - الشيخ الصدوق: ص ١٩٤.

٢- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٦٤.

وقد طلب الملك الأول من الملك الثاني تعريفه الاسم بأمر الله: "لا يَسْقُوتُهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ" الأنبياء: ٢٧. وعبر الملك عن الملائكة التسعة والتسعين وعن الملك الذي يقوده بالنعاج؛ لأن الأغنام هي أكثر الحيوانات المرعية سلاسة في القيادة وطاعة لراعيها وقائدها، كما أن الملائكة سلسو القيادة ولا يعصون قائدهم، وهذا هو أسلوب إيصال العلم من الملكوت إلى هذا العالم الجسماني، وهو عملية التمثل بما هو موجود في هذا العالم، ليسهل فهم المعلومة والخبر الملكوتي، كما هو حال الرؤيا التي يريها الملائكة لإنسان، فهم يستخدمون هذه الأمور النعاج للتعبير عن الرعية والاتباع، والشمس والقمر للتعبير عن الهادي، والشاي للتعبير عن الهم، وهكذا يستخدمون رموزاً من هذا العالم الجسماني لبيان المعاني، فالنعاج ترمز إلى ملائكة يقودهم هذان الملكان.

هذا بالنسبة لكلام الأنبياء والملائكة، أما القرآن فهو كلام الله سبحانه وتعالى والله ليس كمثله شيء، فكلامه سبحانه ليس ككلام البشر ولا تجري عليه قواعد كلام البشر، بل كلامه سبحانه ليس كمثله كلام كما أنه ليس كمثله شيء) انتهى (١).

### داود يختار سليمان وصياً له بأمر الله:

الوصاية عهد من الله، يضعها كل رسول إلهي في موضعها الذي ينص عليه سبحانه دون تدخل من الرسول نفسه، فليس من حق أحد - بما في ذلك رسل الله - أن يختاروا أوصياءهم بأنفسهم، بل أحياناً تكون عاطفة وميل الرسول باتجاه ولد معين من أولاده لكن الله يشاء أن يكون وصيه ابناً آخر، ومثل هذا الأمر حصل مع سليمان، وكانت قضية نفش الغنم التي حكم فيها سليمان كاشفة عن استحقاقه لأن يكون وصياً لداود دون بقية أولاده الآخرين (٢).

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: الجزء الثالث - القسم الثاني، إضاءة "فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه...".

٢- (عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود لرجال مسمين، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن اتخذ وصياً من أهلك فإنه قد سبق في علي أن لا أبعث نبياً إلا وله وصي من أهله وكان لداود عليه السلام أولاد عدة وفهم غلام كانت أمه عند داود وكان لها محباً، فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي فقال لها: إن الله عز وجل أوحى

الملفت في المسألة، أنّ قضية نفش الغنم حكم فيها داود عليه السلام أيضاً، وكلاهما (أي ما حكم به داود وما حكم به سليمان) كان حكم الله <sup>(١)</sup>، لكن الله أمضى حكم سليمان، والسبب أوضحه الإمام الصادق صلوات الله عليه <sup>(٢)</sup>. علماً، أنّ الحادثة لم يرد لها ذكر في نصوص العهد القديم.

فيما يخص رسالة سليمان عليه السلام أيضاً:

ورد أنه اشتغل يوماً بالنظر إلى الخيل حتى غابت الشمس دون أن يصلي صلاة العصر: "وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِثِّيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ \* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ \* رُدُّوَهَا عَلَيَّ قَطْفًا

إلى يأمرني أن أتخذ وصياً من أهلي فقالت له امرأته: فليكن ابني؟ قال: ذلك أريد وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنه سليمان، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: أن لا تعجل دون أن يأتبك أمري فلم يلبث داود عليه السلام أن ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم فأوحى الله عز وجل إلى داود أن أجمع ولدك فمن قضى هذه القضية فأصاب فهو وصيك من بعدك، فجمع داود عليه السلام ولده، فلما أن قص الخصمان قال سليمان عليه السلام: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلاً، قال: قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصو افها في عامك هذا، ثم قال له داود: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوم ذلك علماء بني إسرائيل وكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان: إن الكرم لم يجتث من أصله وإنما اكل حمله وهو عائد في قابل، فأوحى الله عز وجل إلى داود: أن القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به، يا داود أردت أمراً وأردنا أمراً غيره، فدخل داود على امرأته فقال: أردنا أمراً وأراد الله عز وجل أمراً غيره ولم يكن إلا ما أراد الله عز وجل، فقد رضي بنا بأمر الله عز وجل وسلمنا. وكذلك الأوصياء عليهم السلام، ليس لهم أن يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره) الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٩٩.

٢- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عز وجل: "وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث" قلت: حين حكما في الحرث كانت قضية واحدة؟ فقال: إنه كان أوحى الله عز وجل إلى النبيين قبل داود إلى أن بعث الله داود أي غنم نفشت (رعت بدون راع) في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النفش إلا بالليل فإن على صاحب الزرع أن يحفظه بالنهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل فحكم داود عليه السلام بما حكمت به الأنبياء عليهما السلام من قبله وأوحى الله عز وجل إلى سليمان عليه السلام أي غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها وكذلك جرت السنة بعد سليمان عليه السلام وهو قول الله تعالى: "وكلا آتينا حكماً وعلماً" فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل) الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٢.

مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ " ص: ٣٠ - ٣٤.

وبعضهم توهم أنه اشتغل بالنظر إلى الخيل إعجاباً بها<sup>(١)</sup>، وربما إليه يومئ النص في العهد القديم؛ إذ طرح إعجاب سليمان عليه السلام بالخيل ضمن مشهد عظمة ثروته وقوته العسكرية<sup>(٢)</sup>!

لكن الحق أن سليمان لم يشتغل بالنظر للخيول إعجاباً منه بها، وإنما كان بصدد إعداد الخيل وتهيتها للجهاد في سبيل الله.

ففي بيان قوله: "زُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ" ص: ٣٣:

يقول السيد أحمد الحسن: (إنما سليمان عليه السلام طلب من الملائكة الموكلين بالشمس أن يردوها إلى كبد السماء بعد غيابها، بأمر من الله سبحانه وتعالى، ليصلي العصر بعد فواتها، بسبب انشغاله بإعداد الخيل للجهاد) انتهى<sup>(٣)</sup>.

(قال ابن عباس: سألت علياً عليه السلام عن هذه الآية: "زُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ" " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ " إلى قوله: "إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" فقال عليه السلام ما بلغك فيها يا ابن عباس؟ قلت: سمعت كعباً يقول:

١- كقول كعب الأحماس الذي رواه عنه ابن عباس، انظر: فتح الباري، ابن حجر: ٦ / ١٥٥: عمدة القاري، العيني: ٤٣ / ١٥.

٢- (سفر الملوك الأول - إصحاح ١٠): "٢٣ فَتَعَاظَمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْغَنَى وَالْحِكْمَةِ. ٢٤ وَكَانَتْ كُلُّ الْأَرْضِ مُلْتَمِسَةً وَجْهَ سُلَيْمَانَ لِتَسْمَعَ حِكْمَتَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِهِ. ٢٥ وَكَانُوا يَأْتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ بِهَدِيَّتِهِ، بِأَنِيَّةٍ فِضَّةٍ وَأَنِيَّةٍ ذَهَبٍ وَخُلٍّ وَسِلَاحٍ وَأَطْيَابٍ وَخَبَلٍ وَبَغَالٍ سَنَةً فَسَنَةً. ٢٦ وَجَمَعَ سُلَيْمَانُ مَرَاجِبَ وَفَرَسَانًا، فَكَانَ لَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعٌ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ، وَأَثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ، فَأَقَامَهُمْ فِي مَدَنِ الْمَرَاجِبِ وَمَعَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ."

٣- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٣٢.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إن سليمان بن داود عليهما السلام عرض عليه ذات يوم بالعشي الخيل فاشتغل بالنظر إليها حتى توارت الشمس بالحجاب فقال للملائكة: ردوا الشمس علي حتى أصلي صلاتي في وقتها فردوها، فقام فمسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوءهم للصلاة، ثم قام فصلى فلما فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، ...) من لا يحضره الفقيه: ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣.

اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة، فقال: "رُدُّوْهَا عَلَيَّ" - يعني الأفراس - كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف، فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها، فقال علي عليه السلام: كذب كعب، لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم؛ لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها علي، فردت فصلى العصري وقتها، وإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم؛ لأنهم معصومون مطهرون<sup>(١)</sup>.

المفاضلة بين الجهاد في سبيل الله والصلاة هو ما امتحن الله به سليمان عليه السلام: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" ص: ٣٤ - ٣٥.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معنى الآيات: (أي امتحنا سليمان، وهذا الامتحان في المفاضلة بين عبادتين هما الجهاد والصلاة، فقدّم سليمان عليه السلام الجهاد على الصلاة حتى فات وقتها، فتوجه إلى الملائكة فردوا الشمس بإذن الله، فصلى سليمان عليه السلام صلاة العصر بعد أن فاتته وغابت الشمس؛ لأنه كان مشغولاً بالتهيئة للجهاد في سبيل الله.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أنزل على سليمان عليه السلام ملك الفرقان: "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً" ليعرفه الفاضل من المفضل، والمقدم من المؤخر. وهذا الملك هو (كتاب كُتِبَ فيه الحق الذي يريده الله سبحانه وتعالى). فعلم سليمان عليه السلام بعد نزول الفرقان عليه أنه أخطأ بتقديم الجهاد على الصلاة: "ثم أناب"، وطلب المغفرة من الله سبحانه: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ".

وطلب سليمان أن يكون مُلْك بني إسرائيل في ذريته، وكان المُلْك في بني إسرائيل بعد داود عليه السلام قريباً مع النبوة، فطلب سليمان عليه السلام أن يكون من يتحمل نصرة دين الله هم من ذريته ليكون له قدم في نصرة دين الله معهم، وخصوصاً مع قائم آل يعقوب وهو عيسى عليه السلام، فطلب سليمان أن يكون من ذريته، وبالفعل فإنّ مريم

١- بحار الأنوار، المجلسي: ١٤ / ١٠٣؛ فتح الباري، ابن حجر: ٦ / ١٥٥.

أم عيسى هي من ذرية سليمان، ومُلك عيسى عليه السلام هو أعظم مُلك في بني إسرائيل، وكانوا موعودين به وينتظرونه.

فقول سليمان: "وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي": أي مُلك اليهود، أي أن يكون من ذريته وخصوصاً عيسى عليه السلام؛ لأن مُلك عيسى ليس مثله مُلك في اليهود، فهو قائم آل يعقوب المنتظر. فطلب سليمان أن يكون مُلك اليهود عيسى من ذريته، فلا ينبغي أن يكون في ذرية أحد غيره مثل عيسى مُلك اليهود؛ لأنه لا نظير له في بني إسرائيل.

وربما يفهم بعض من غفل عن الحقيقة أن مُلك الله سبحانه وتعالى هو المتحقق في هذه الحياة الدنيا، وهذا باطل؛ لأن مُلك فرعون ونمرود وأمثالهم إنما هو مُلك الشيطان وحاكميته، فملك الله يهبه الله لمن يشاء من عباده الصالحين، وليس ضرورياً أن يحكم، بل هو في الغالب على طول مسيرة هذه الإنسانية المتمردة على خالقها لم يحكم من عيَّنه الله ملكاً، قال تعالى: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا" النساء: ٥٤، مع أن معظم من آتاهم الله الملك من آل إبراهيم لم يملكوا على هذه الأرض، بل ربما قتل بعضهم وقهر وظلم من الطغاة أشد الظلم.

فالملك الذي أراده سليمان عليه السلام هو ملك يهبه الله سبحانه وتعالى له، ثم إنه يكون أعظم وأفضل ملك يهبه الله لليهود من بني إسرائيل، وهو بهذا طلب أن يكون ملك اليهود المنتظر من ذريته وهو عيسى وإن لم يحكم عيسى ولم يملك، ولكنه الملك المعين من الله، وشاء الله له الرفع حتى ينزل مع الإمام المهدي عليه السلام، ويحكم ويملك في دولة الإمام المهدي (انتبه) (١).

تمهيد نبى الله سليمان للرسالة المحمدية ظهر جلياً في دعائه: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ"، فدعاء الرسل مستجاب، والله سبحانه استجاب دعاء سليمان على مرحلتين، فهو طلب من الله أن يجعل الملك العظيم في ذريته، لكن الملك العظيم "الخلافة الإلهية" لا يكون إلا لأعظم خلفاء الله منزلة وهم الرسول

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٣٣.

محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، لذلك كانت استجابة الدعاء بأن جعل الله ملكاً منصّباً منه من ذرية سليمان وهو عيسى صلوات الله عليه، إلا أنّ ظروف رسالته – كما سيتضح – لم تتح له أن يملك على الأرض فعلاً، ورفع الله لأميرتعلق برسالة محمد أيضاً وهو الإبقاء عليه إلى وقت ظهور مهدي آل محمد (أحد أوصياء الرسول محمد) لينزل في زمنه ويعينه في أداء رسالته، ومن هنا جاءت مرحلة استجابة الدعاء الثانية بأن كان لسليمان يد في الملك الإلهي العظيم الذي تحقق لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم؛ إذ كانت السيدة نرجس (أم الإمام المهدي؛ محمد بن الحسن صلوات الله عليه) من ذرية شمعون الصفا (سمعان بطرس؛ وصي عيسى) وشمعون من ذرية سليمان<sup>(١)</sup>، ولا شك أنّ الإمام المهدي والمهديين من ولده هم ثلاثة عشروصياً من أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله (بحسب وصيته المقدسة التي تقدمت أكثر من مرة) وهم قادة دولة العدل الإلهي، وبهذه الطريقة استجاب الله دعاء سليمان، ولاحظنا أنّ نفس الدعاء كان تمهيداً لرسالة محمد العظمى.

سليمان نبي عظيم، ولما حج بيت الله حج معه الجن والإنس والطير والرياح<sup>(٢)</sup>، وبالرغم من عظمة ملكه إلا أنه لم يكن يستنكف أن يسمع رسائل الله من "نملة"<sup>(٣)</sup>!

١- انظر: منتهى الآمال، عباس القمي: ٢/ ٦٩٥؛ وبخصوص رجوع نسب شمعون "سمعان بطرس" إلى سليمان ذكر الباحث المختص بشؤون التاريخ التوراتي "إدوارد روبنسون" ضمن حديث عن مدينة "جش" بالجليل أنّ نسب والد القديس بطرس يعود للنبي لسيمان عليه السلام، انظر: المجلد الثالث من كتاب "البحوث الكتابية في فلسطين" (Biblical Researches in Palestine) للباحث: إدوارد روبنسون، وتحديداً في النسخة الموسعة الصادرة عام ١٨٥٦ م.

٢- (عن زرة، عن أبي جعفر عليه السلام أن سليمان بن داود حج البيت في الجن والإنس والطير والرياح وكسا البيت القباطي) الكافي، الكليني: ٤/ ٢١٣. القباطي: ثياب بيض من كتان يتخذ بمصر.

٣- (عن عبد صالح عليه السلام قال: إن الناس أصابهم قحط شديد على عهد سليمان بن داود عليهما السلام فشكوا ذلك إليه وطلبوا إليه أن يستسقي لهم قال: فقال: لهم إذا صليت الغداة مضيت فلما صلى الغداة مضى ومضوا، فلما أن كان في بعض الطريق إذا هو بنملة رافعة يدها إلى السماء واضعة قدمها إلى الأرض وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكننا بذنوب بني آدم، قال: فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم، قال: فسقوا في ذلك العام ما لم يسقوا مثله قط) الكافي، الكليني: ٨/ ٢٤٦.



سليمان لم يكن آية في نبوته وملكه وحسب، ولكن حتى وفاته كانت آية (١).

وبحسب بعض التواريخ فإنّ سليمان عليه السلام توفي سنة ٩٣١ ق.م (٢).

وبوفاة نبي الله سليمان انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى: مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا، وخلاصة القضية: أنّ شيوخ الأسباط اجتمعوا بعد وفاة سليمان لمبايعة ابنه "رحبعام" وطلبوا منه أن يخفف عنهم الضرائب والعمل الذي فرضه أبوه لبناء الهيكل لكنه رفض، فتمردّ عليه رؤساء ١٠ من أصل ١٢ سبطاً، وأسّسوا مملكة إسرائيل "المملكة الشمالية" وعاصمتها السامرة بقيادة يربعام بن نباط (قائد عسكري)، ولاحقاً سقطت بيد الآشوريين في عام ٧٢٢ ق.م بعد هروب قائدها إلى مصر. في حين بقيت مملكة يهوذا "المملكة الجنوبية، القدس" التي ضمت سبطي يهوذا وبنيامين تحت حكم رحبعام بن سليمان من آل داود، وقد سقطت لاحقاً بيد البابليين بقيادة نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م.

مشيئة الله سبحانه اقتضت بعث رسل إلى كلا المملكتين بهدف إعادة بني إسرائيل المنحرفين في كلا المملكتين إلى جادة الرسل والحق وإنقاذهم من التيه الجديد الذي أوقعوا أنفسهم فيه. فمن الأنبياء الذين بعثهم الله إلى بني إسرائيل في المملكة الشمالية هم: إلياس، اليسع، يونس بن متى الذي بعث فيهم أولاً ثم ذهب إلى أهل نينوى في العراق. ومن الأنبياء الذين بعثوا إلى المملكة الجنوبية هم: أشعيا وإرميا. وبعد زوال المملكتين

١- (عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام أنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها: الخرنوبة، قال: فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة، قال: فولى سليمان مديراً إلى محرابه فقام فيه متكناً على عصاه فقبض روحه من ساعته، قال: فجعلت الجن والإنس يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا وهم يظنون أنه حي لم يمت، يغدون ويروحون وهو قائم ثابت حتى دبّت الأرضة من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وحز سليمان إلى الأرض أفلا تسمع لقوله عز وجل: "فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين") الكافي، الكليني: ٨ / ١٤٤.

٢- انظر: قاموس أكسفورد للكتاب المقدس The Oxford Dictionary of the Bible، وأيضاً: موقع الأنبا تكلا هيمانوت على الرابط التالي:

والسبي الذي حصل لبني إسرائيل من قبل البابليين وانضوائهم تحت حكمهم ثم حكم الفرس بعدهم، بعث الله سبحانه أنبياء لبني إسرائيل أيضاً، ومنهم: حزقيال، وذو الكفل، ودانيال، وعزير عليهم السلام.

وكل هؤلاء الأنبياء سعوا إلى تصحيح الانحراف وإعادة بني إسرائيل إلى دين موسى عليه السلام وشريعته<sup>(١)</sup>.

١- هذه قصص بعض من أنبياء بني إسرائيل بعد سليمان عليه السلام:

- (عن الحسن بن محمد النوفلي فيما احتج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال عليه السلام للجاثليق: فإن اليسع صنع مثل ما صنع عيسى فلم يتخذ أمته رباً، ولقد صنع حزقيال النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة. ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة؟ اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم. ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله، فقال عليه السلام: فمتى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيال، لأنهما قد صنعوا مثل ما صنع عيسى من إحياء الموتى وغيره، إن قوماً من بني إسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحفظوا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية. فأوحى الله عز وجل إليه: أتحب أن أحييهم لك فتندهم؟ قال: نعم يا رب، فأوحى الله إليه: أن نادهم، فقال: أيها العظام البالية قومي بإذن الله عز وجل، فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم) التوحيد، الصدوق: ٤٢٣ - ٤٢٤.

- (عن مفضل بن عمر قال: أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الاذن عليه فسمعنا يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبيكاته، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الاذن عليك فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية فتوهمنا أنه بالسريانية ثم بكيت فبكينا لبيكاته، فقال: نعم ذكرت إلياس النبي عليه السلام وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده) الكافي، الكليني: ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨.

- (عن عبد العظيم الحسني قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن ذي الكفل ما اسمه؟ وهل كان من المرسلين؟ فكتب صلوات الله وسلامه عليه: بعث الله تعالى جل ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبياً، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وإن ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود عليه السلام، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود، ولم يغضب إلا لله عز وجل، وكان اسمه عويديا وهو الذي ذكره الله تعالى جلّت عظمته في كتابه حيث قال: "واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار") بحار الأنوار، المجلسي: ١٣ / ٤٠٥.

والملفت أن رسلاً كثيرين من بين هؤلاء لديهم بشارات تخص الرسول محمد صلى الله عليه وآله ورسالته كما سيأتي عند عرض البشارات الخاصة بهم من العهد القديم.

### يونس بن متى:

قال تعالى: "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ \* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ \* فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ \* فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ \* وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ \* وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ \* فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" الصفات: ١٣٩ - ١٤٨.

قصة نبي الله يونس "يونا" في نصوص العهد القديم تتفق في خطوطها العريضة مع النص القرآني؛ حيث ذكر الإصحاح الأول من "سفر يونا" ركوب يونس البحر ثم عروض العاصفة التي انتهت بإلقائه في البحر وابتلاعه من قبل الحوت. أما الإصحاح الثاني فذكر صلاة يونس وتضرعه وهو في بطن الحوت فقذفه إلى اليابسة، بينما ذكر الإصحاح الثالث ذهاب يونس إلى نينوى ومناداته بالتوبة فاستجاب شعبها بالنهاية، في حين ذكر الإصحاح الرابع خروجه مغاضباً وقصة اليقطينة التي أنبتها الله عليه.

بعث الله سبحانه يونس عليه السلام إلى قرية في "الموصل" من أرض العراق فكذبه أهلها فوعدهم بنزول العذاب عليهم بعد فترة، ولما أظلم العذاب تابوا إلى الله فرحمهم ورفع عنهم العذاب، قال تعالى: "فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَتَنْفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَا أَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" يونس: ٩٨. لكن يونس عليه السلام خرج مغاضباً من قومه بسبب معاصيهم وعدم نزول العذاب عليهم، فركب سفينة مع آخرين فهاجت بهم الأمواج واضطربت السفينة وظنوا أن بينهم عبداً عاصياً ينبغي رميه في البحر لتهدي الأمور أيضاً لتخفيف حمل السفينة، فافترعوا ثلاث مرات وكل مرة تخرج قرعته على يونس فألقى نفسه (١).

١- (عن معمر قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: ان يونس لما أمره الله بما أمره فاعلم قومه فأظلم العذاب ففرقوا بينهم وبين أولادهم وبين البهائم وأولادها، ثم عجزوا إلى الله وضجوا، فكف الله العذاب عنهم فذهب يونس

ثم إنَّ قصة يونس عليه السلام ورد فيها التصريح بنبذ في العراء كما في الآية: "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ"، وأيضاً ورد: "لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" القلم: ٤٩، والسؤال: هل نُبذ يونس بالعراء أم لا؟

الجواب: أوضح السيد أحمد الحسن في كتاب "المتشابهات" <sup>(١)</sup> معنى هذه الآيات وما جرى على نبي الله يونس عليه السلام ببيان مفصّل، وهذه بعض الأمور التي أشار لها:

١- إنَّ يونس عليه السلام مات في بطن الحوت، وروحه نظرت إلى ظلمات جهنم وطبقاتها السفلية، والدليل على موته قوله تعالى: "لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" الصافات: ١٤٤، فالذي يلبث إلى يوم يبعثون يلبث ميتاً، كما أنَّ قوله تعالى: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ

مغاضبها فالتقمه الحوت فطاف به سبعة في البحر، فقلت له: كم بقي في بطن الحوت؟ قال: ثلاثة أيام، ثم لفظه الحوت، وقد ذهب جلده وشعره فأثبت الله عليه شجرة من يقطين فأظلمته، فلما قوى أخذت في اليبس، فقال: يا رب شجرة أظلمتني يبست فأوحى الله إليه: يا يونس تجزع لشجرة أظلمت ولا تجزع لمائة ألف أو يزيدون من العذاب تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٣٧.

- (عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "خرج يونس عليه السلام مغاضباً عن قومه لما رأى من معاصيهم، حتى ركب مع قوم في سفينة في اليم فعرض لهم الحوت ليغرقهم، فساهموا ثلاث مرات، فقال يونس: إياي أراد فاقدفوني) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢٥٢.

- (عن حريز، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "أول من سوهم عليه مريم بنت عمران وهو قول الله عز وجل: "وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم" والسهم ستة، ثم استهموا في يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقعت السفينة في اللجة، فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس عليه السلام إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه، ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه، فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله في صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهم على عبد الله، فزاد عشراً فلم تزل السهم تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلما أن خرجت مائة خرجت السهم على الإبل، فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربي فأعاد السهم ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي فنحرها") من لا يحضره الفقيه، الصديق: ٣ / ٨٩ - ٩١.

- عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث يونس عليه السلام، قال: (وأصبح يونس وهو يظن أنهم هلكوا فوجدهم في عافية فغضب وخرج كما قال الله: "مغاضباً" حتى ركب سفينة فيها رجلان، فاضطربت السفينة فقال الملاح: يا قوم في سفيني مطلوب، فقال يونس: أنا هو، وقام ليلقى نفسه فأبصر السمكة وقد فتحت فاهاً فيهاها، وتعلق به الرجلان، وقالوا له: أنت وحدك ونحن رجلان فساهمهم فوقع السهم عليه، فجرت السنة بأن السهم إذا كانت ثلاث مرات أنها لا تخطأ، فألقى نفسه فالتقمه الحوت) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٢ / ١٣٦.

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٧٤.

يَزِيدُونَ" الصفات: ١٤٧ يؤكد موته أيضاً، فالله سبحانه اعتبر إرساله وبعثه بعد إخراجهم من بطن الحوت حالة إرسال جديدة؛ وذلك لأنه بعث بعد موته، وإلا فلو لم يكن ميتاً لكانت عودة من غيبته وإكمال رسالته الأولى كما هو واضح.

٢- جهنم التي رآها يونس عليه السلام هي جهنم النامية بأعمال الظالمين حتى يكتمل سعيها وتأجج نارها بأعمال الظالمين، كما أنّ الجنة نامية تكتمل بأعمال الصالحين.

٣- لا تناقض بين الآيات: "فَنَبِّذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ"، "لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ"، "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ".

يقول السيد أحمد الحسن: (فالؤكد أنّ الله سبحانه وتعالى لا بد أن يقضي أمراً واحداً كعقوبة توعدها لنبي الله يونس عليه السلام، فأما النبذ في العراء وهو مذموم، وأما أن يلبث في بطنه إلى يوم يبعثون، وإلا لكان هناك تناقض في القرآن؛ لأنه سبحانه وتعالى حكيم وتصدر منه الحكمة التامة، وهي واحدة لا تتعدد. وإن شاء بعضهم التأويل يميناً أو شمالاً بدون علم من آل محمد عليهم السلام فهذا أمر يخصه، ولكني أبين الحقيقة وهي أن يُنبذ جسده بالعراء، وروحه تلبث في طبقات جهنم إلى يوم يبعثون، وكما بيّنتُ هذه "هي جهنم النامية لا التامة" التي تسير الدنيا نحوها سيراً حثيثاً، كسيرها نحو الجنة، ومن هنا يتبين أن لا تناقض بين الآيات) انتهى<sup>(١)</sup>.

٤- بقاء يونس في بطن الحوت كجسد مادي إلى يوم يبعثون أمر غير صحيح؛ لأن البعث يسبقه فناء كل الموجودات وتبدل الأرض: "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" إبراهيم: ٤٨، وبالتالي فهو إن حصل وبقي جسده تاماً إلى يوم البعث فلا يكون إلا بقاء جسد الحوت تاماً إلى يوم البعث أيضاً، ومثل هذا لا يكون إلا بمعجزة، ومعلوم أنها لا تحصل إلا لحكمة وفائدة، ولا فائدة في مثل هكذا معجزة.

٥- الله سبحانه لم يهدد أو يتوعد نبيه يونس، وإنما ربّاه وأنعم عليه لما أراه مصيره فيما إذا خالف الله وأعرض عن الرسالة. وبحسب القرآن والروايات، فإنّ هناك شياً بين

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٧٤.

نبي الله يونس وآدم عليهما السلام، فما صدر من آدم كان سبباً في إبداء سوءته (عريته من التقوى): "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" طه: ١٢١، وكذلك ما صدر من يونس كان سبباً لنبذه بالعراء (عريته من التقوى): "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ"، وكان هذا "العري من التقوى" هو السبب في سقمه، لكنه عليه السلام سبَّح الله واستغفره: "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِجِينَ" كما استغفره آدم عليه السلام، فكان ذلك سبباً في عودة لباس التقوى لهما.

يقول السيد أحمد الحسن: (... ثم كان هذا الاعتراف من يونس عليه السلام بالحق والاستغفار والتسبيح سبباً لعودة لباس التقوى وهو الخضار والدين: "وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ"، تنبت عليه كأنها قطعة منه، وهي لباس التقوى الملازم للمتقين. كما أن آدم عليه السلام سُتِرت عورته بورق الجنة، وهو أيضاً الخضار والدين ولباس التقوى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ" الأعراف: ٢٦.

"فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ": وسقم يونس عليه السلام كان بسبب نزع لباس التقوى عنه بعد أن أعرض وأبى، والابق هو العبد الذي تمرد أو هرب من سيده.

شجرة اليقطين من أشجار الجنة، أي أشجار الدين والتقوى انتهى<sup>(١)</sup>.

إذا عرفنا ما تقدم، يتضح أن نبذ يونس في العراء وهو سقيم: "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ" هو الأمر الذي حصل فعلاً معه بسبب استغفاره وتسبيحه، أما قوله تعالى: "لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" فهي العقوبة المقدرة له "كجسد" في حال عدم الاستغفار إضافة إلى عقوبة الروح التي تبينتنا لنا.

١- انظر: المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٧٤.

## لقمان الحكيم:

من الحكماء الذي تواجدوا بعد بعثة موسى وقبل بعثة عيسى صلوات الله عليهما هو لقمان الحكيم، الذي وصفه أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله بأوصاف تنم عن حكمته وكماله المعرفي والأخلاقي<sup>(١)</sup>.

وكانت لديه مواظب كثيرة قصَّ القرآن الكريم قصماً منها:

قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ \* وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" لقمان: ١٢ - ١٣.

١- (عن حماد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله عز وجل، فقال: أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله، متورعاً في الله، ساكناً، سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبير، لم ينم نهراً قط، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تسره وعموق نظره وتحفظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط مخافة الاثم، ولم يغضب قط، ولم يمازح إنساناً قط، ولم يفرح لشيء إن أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم أكثرهم إفراطاً فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتى تحاجزا، ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنته إلا سأل عن تفسيره وعمن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلطين فيرثي للقضاة مما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلطين لغرتهم بالله وطمانينتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحتريه من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكير، ويداري نفسه بالعبير، وكان لا يظعن إلا فيما يعنيه، فبذلك أوتي الحكمة، ومنح العصمة، وإن الله تبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض، تحكم بين الناس؟ فقال لقمان: إن أمرني ربي بذلك فالسمع والطاعة، لأنه إن فعل بي ذلك أعاني عليه وعلمي وعصمي، وإن هو خيرني قبلت العافية، فقالت الملائكة: يا لقمان لم؟ قال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين، وأكثر فتناً وبلاء ما يخذل ولا يعان، ويغشاه الظلم من كل مكان، وصاحبه منه بين أمرين: إن أصاب فيه الحق فبالحري أن يسلم، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سرياً شريفاً. ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كليهما، تزول هذه ولا تدرك تلك. قال: فتعجبت الملائكة من حكمته، واستحسن الرحمن منطقه، فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهونائمه، وغطاه بالحكمة غطاءً، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه، ..... تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١٦٢/٢ - ١٦٣.

وأما الروايات: فهي كثيرة جداً<sup>(١)</sup>.

١ - منها:

- (عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان لقمان يقول لابنه: يا بني إنّ الدنيا بحر وقد غرق فيها جيل كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وليكن جسرك إيماناً بالله، وليكن شراعها التوكل، لعلك يا بني تنجو وما أظنك ناجياً! يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم ينتقصون في كل يوم، وكيف لا يعد لما يوعده من كان له أجل ينفذ، يا بني خذ من الدنيا بلغة، ولا تدخل فيها دخولا تضر فيها بأخرك، ولا ترفضها فتكون عبداً على الناس، وصم صيماً يقطع شهوتك، ولا تصم صيماً يمنعك من الصلاة، فإن الصلاة أعظم عند الله من الصوم، يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء، أو تماري به السفهاء، أو تراي به في المجالس، ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة، يا بني اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكر الله فاجلس إليهم، فإنك إن تكن عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً، وإن تكن جاهلاً يعلموك، ولعل الله تعالى أن يظلمهم برحمته فيعلمكم معهم. وقال: قيل للقمان: ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيته، ولا أتكلف ما لا يعنيني) قصص الأنبياء: ١٩٢ - ١٩٣.

- (عن حماد بن عيسى، عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما وعظ لقمان ابنه فقال: أنا منذ سقطت إلى الدنيا استدبرت واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت منها متباعد، يا بني لا تطلب من الأمر مدبراً، ولا ترفض منه مقبلاً، فإن ذلك يضل الرأي ويزري بالعقل، يا بني ليكن مما تستظهر به على عدوك الورع عن المحارم، والفضل في دينك، والصيانة لمروتك، والاكرام لنفسك أن تدينسها بمعاصي الرحمن ومساوي الأخلاق وقبيح الافعال، واكتم سرك، وأحسن سريرتك، فإنك إذا فعلت ذلك أمنت بستر الله أن يصيب عدوك منك عورة، أو يقدر منك على زلة، ولا تأمن مكره فيصيب منك غرة في بعض حالاتك، وإذا استمكن منك وثب عليك ولم يقلق عثرة، وليكن مما تتسلح به على عدوك إعلان الرضى عنه، واستصغار الكثير في طلب المنفعة، واستعظم الصغير في ركوب المضرة، يا بني لا تجالس الناس بغير طريقتهم، ولا تحملن عليهم فوق طاقتهم فلا يزال جليساك عنك نافراً، والمحمول عليه فوق طاقتهم مجانباً لك، فإذا أنت فرد لا صاحب لك يؤنسك، ولا أخ لك يعضدك، فإذا بقيت وحيداً كنت مخذولاً وصرت ذليلاً، ولا تعتذر إلى من لا يحب أن يقبل لك عذراً، ولا يرى لك حقاً، ولا تستعن في أمورك إلا بمن يحب أن يتخذ في قضاء حاجتك أجراً، فإنه إذا كان كذلك طلب قضاء حاجتك لك كطليه لنفسه، لأنه بعد نجاحها لك كان ربها في الدنيا الفانية، وحظاً وذخراً له في الدار الباقية، فيجتهد في قضائها لك، وليكن إخوانك وأصحابك الذين تستخلصهم وتستعين بهم على أمورك أهل المروءة والكفاف والثروة والعقل والعفاف، الذين إن نفعهم شكروك، وإن غبت عن جبرتهم ذكروك) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٩٦ - ١٩٧.

- (عن الزهري، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال: قال لقمان: يا بني إن أشد العدم عدم القلب، وإن أعظم المصائب مصيبة الدين، وأسوأ المرزنة مرزنته، وأنفع الغنى غنى القلب، فتلبث في كل ذلك، والزم القناعة والرضى بما قسم الله، وإن السارق إذا سرق حبسه الله من رزقه، وكان عليه إثم، ولو صبر لنال ذلك وجاءه من وجهه، يا بني أخلص طاعة الله حتى لا تخالطها بشيء من المعاصي، ثم زين الطاعة باتباع أهل الحق فإن طاعتهم متصلة بطاعة الله تعالى وزين ذلك بالعلم، وحصن علمك بحلم لا يخالطه حمق، واخزنه بلين لا يخالطه جهل، وشدده بحزم لا يخالطه الضياع وامزج حزمك برفق لا يخالطه العنف) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٩٩.



أما بخصوص نصوص العهد القديم فلم يرد فيها ذكر لشخصية باسم "لقمان الحكيم".

- 
- (عن الحارث بن المغيرة، أو عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما كان في وصية لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله عز وجل خيفة لو جنته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جنته بذنوب الثقلين لرحمك.
- ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٤ / ٣٦٦.
- (عن سفيان رضي الله عنه قال: قال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ما ندمت على الصمت قط وإن كان الكلام من فضة أكن السكوت من ذهب) الدر المنثور، السيوطي: ٥ / ١٦٤.

(٣)

## رسالة عيسى كلمة الله

- أرض البعثة: الشام "بيت المقدس".
- زمان البعثة: الميلاد - ٣٣ م.

"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" البقرة: ٨٧.

"تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" البقرة: ٢٥٣.

## ولادة عيسى (٤) وشيء من سيرته:

"إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" آل عمران: ٤٥.

ولادة عيسى صلوات الله عليه حدث مهم في تاريخ خط الرسالات الإلهي، باعتبار أن نفس عملية الولادة تمثل آية من آيات الله، إضافة إلى منزلة المولود المبارك كأحد رسل أولي العزم الخمسة ومحورية رسالاتهم وأهميتها في مسيرة الدين الإلهي.

ولذا روي أنّ إبليس لعنه الله حُجِبَ عن ثلاث سماوات بعد ولادة عيسى (١).

وسنبدأ رسالته بالتعريف بأُمّه الطاهرة مريم عليها السلام.

## مريم بنت عمران:

والد السيدة مريم هو عمران، أحد أنبياء بني إسرائيل (٢)، ومما أوحى الله إليه: "أني واهب لك ذكراً مباركاً رسولاً":

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكراً سوياً مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي أم مريم، فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلام، فلما وضعتها قالت: "رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى" أي لا يكون البنات رسولاً يقول الله عز وجل: "والله أعلم بما وضعت"، فلما وهب الله تعالى لمريم

---

١ - (عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله حجب عن السبع كلها ...) الأمالي، الصدوق: ٣٦٠.

(أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن عساكر عن وهب بن منبه قال: لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حدث مكانكم فطار حتى جاب خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ثم جاء البحار فلم يقدر على شيء طار أيضاً فوجد عيسى عليه السلام قد ولد عند مدود حمار وإذا الملائكة قد حفت حوله فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فأيسوا ان تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن أتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة) الدر المنثور، السيوطي: ١٩ / ٢.

٢ - (عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن عمران أكان نبيا؟ فقال: نعم كان نبياً مرسلأ إلى قومه، وكانت حنة امرأة عمران وحنانة امرأة زكريا أختين فولد لعمران من حنة مريم وولد لزكريا من حنانة يحيى عليه السلام وولدت مريم عيسى عليه السلام وكان عيسى ابن بنت خالته وكان يحيى عليه السلام ابن خالة مريم وخالة الأم بمنزلة الخالة) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢١٦.

وفي تفسير قوله تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين" آل عمران: ٣٣، قال الرازي: (وأجمعوا على أن المراد بهذا الاصطفاء إنما هو النبوة) تفسير الرازي: ١٣ / ١٩٥.

عيسى كان هو الذي بُشِّر به عمران ووعده إياه، فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك) (١).

قول الإمام الصادق صلوات الله عليه تعقيباً على ولادة مريم: "فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك" يؤشر إلى أنّ نفس طريقة تحقق وعد الله لعمران يمكن أن يتكرر في رسالة محمد صلى الله عليه وآله، بدليل قول الإمام: "فإذا قلنا في الرجل منّا..."، وبالتالي فما حصل مع عمران جزء من التمهيد كما هو واضح.

الله سبحانه اصطفى مريم مرتين: مرة في نسبها ومرة في سيرتها (٢):

"وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" آل عمران: ٤٢ - ٤٣.

وفي الإنجيل وصفت بالعدراء المباركة المنعم عليهما: "٢٦ وفي الشهر السادس أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلَأَكُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ نَبْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. ٢٨ فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلَأَكُ وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكَ أَيُّهَا الْمُتَنَعِّمُ عَلَیْهَا! الرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ»" إنجيل لوقا - إصحاح ١.

كانت مريم سيدة نساء عالمها وأهل زمانها، بينما كانت السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله عليها سيد نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين (٣).

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥٣٥.

٢- (عن الحكم بن عيينة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب "إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاكِ وطهرك واصطفاكِ على نساء العالمين" اصطفاها مرتين والاصطفاء إنما هو مرة واحدة، قال: فقال لي يا حكم إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً، فقلت له: ففسره لنا أبقاك الله، قال: يعني اصطفاها إياها أولاً من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهرها من أن يكون في ولادتها من أبائهما وأمهاً سفاحاً، واصطفاها بهذا في القرآن: "يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي" شكراً لله) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ١٧٣.

٣- وردت بذلك روايات عديدة، منها:

ولذلك روي أنها لما توفيت لم يغسلها أحد غير ولد لها عيسى؛ لأنها صديقة ولا يتولى أمرها إلا صديق كحال فاطمة وعلي صلوات الله عليهما<sup>(١)</sup>!

بلغت عفة مريم عليها السلام أن شهد الله لها بذلك:

"وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ" التحريم: ١٢. وقد لاحظنا وصفها بالعدراء في النص الإنجيلي.

(عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها" قال: أحصنت فرجها قبل أن تلد عيسى عليه السلام، ... قال: فأول من سوهم عليه مريم

- (عن الحسن بن زياد العطار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول رسول الله: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، أسيدة نساء عالمها؟ قال: ذاك مريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين) الأمالي، الصدوق: ١٨٧.

- (إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما سميت فاطمة عليها السلام محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله عز وجل جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة الأولين والآخرين) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ١٨٢.

- (عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة: ..... واختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة) الخصال، الصدوق: ٢٢٥.

- (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) فضائل الصحابة، النسائي: ٧٤.

- (قال النبي صلى الله عليه وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٩.

١- (عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من غسل فاطمة عليها السلام قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فكأنني استعظمت ذلك من قوله، فقال: كأنك ضقت مما أخبرتك به، قلت: قد كان ذلك جعلت فداك، قال: لا تضيق فإنها صديقة لا يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى عليه السلام) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ١٨٤، ومثله في الكافي، الكليني: ٣ / ١٥٩.

**توضيح:** معلوم تاريخياً أن عيسى عليه السلام رفع قبل وفاة أمه مريم، وبالتالي فالغسل والتطهير هنا له معنى خاص ومن غير الصحيح حمله على معناه التقليدي المتعارف.

ابنه عمران نذرت أمها ما في بطنها محرراً للكنيسة، فوضعتها أنثى فشدت (أي: كبرت)، فكانت تخدم العباد تناولهم حتى بلغت، وأمر زكريا أن يتخذ لها حجاباً دون العباد، فكان زكريا يدخل عليها فيرى عندها ثمره الشتاء في الصيف وثمره الصيف في الشتاء، قال يا مريم: إني لك هذا؟ قالت: هو من عند الله<sup>(١)</sup>.

"أن يتخذ لها حجاباً": أي سترًا، وذلك بعد أن كبرت مريم.

قال تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" آل عمران: ٤٤.

قبل أن تولد مريم، مات أبوها وهي لا زالت جنيناً في بطن أمها، ثم توفت أمها وهي في سن مبكرة، ولأن أمها كانت نذرتها للمعبد "الكنيسة" احتاجت إلى من يكفلها ويتدبر شؤونها وهي تقيم فيه؛ لا سيما بعد أن أصبحت يتيمة الأيوين! وهنا اختصم كثير من الإسرئيليين وكل واحد منهم يريد كفالتها، فاقترعوا وشاء الله أن يعهد بهذه المهمة لزوج خالتها النبي زكريا عليه السلام.

ثم إن مسألة نذر حنة لمولودها محرراً "خالصاً لله" وخدمة المعبد، وكذا كفالة زكريا لها في المعبد لم تذكر في الأناجيل الأربعة القانونية (متى، لوقا، مرقس، يوحنا)، واكتفى "إنجيل لوقا" ببيان صلة القرابة الوثيقة بين مريم وزكريا<sup>(٢)</sup>. نعم، ذكرت تفاصيل النذر والكفالة وكذا تفاصيل حياتها وإقامتها في الهيكل في "إنجيل يعقوب التميمي" المكتوب في القرن الثاني لكنه غير معترف به عندهم<sup>(٣)</sup>. علماً، أن عدم تطرق الأناجيل الأربعة

١- قصص الأنبياء، الراوندي: ٢٦٣.

٢- انظر: إنجيل لوقا - إصحاح ١.

٣- ورد نص النذر في الفصل الرابع من إنجيل يعقوب: "وقالت حنة: حيّ هو الرب إلهي، إني إذا ولدتُ، سواء كان ذكراً أم أنثى، فسأقدمه عطية للرب إلهي، ليعلمه كل أيام حياته". وأما نص الكفالة فقد ورد في الفصل السابع منه: "واستقبلها الكاهن (زكريا) وقبّلها وباركها صائحاً: لقد عظّم الرب إلهك اسمك في جميع الأجيال، وبواسطتك سيظهر الرب فداه لبني إسرائيل في آخر الأيام. ثم أجلسها على الدرجة الثالثة من المذبح، فحلّت عليها نعمة الرب". وبحسب إنجيل يعقوب أيضاً فإن زكريا هو كفيل مريم الديني داخل المعبد، بينما يوسف النجار كفيلها وحارسها خارج المعبد.

لطفولة مريم وإقامتها في الهيكل لا يعني أنّ المسيحيين يقطعون بنفي هذه الحقيقة، بل على العكس فمن الناحية التاريخية والتقليدية كثير منهم يعتقدون بذلك؛ استناداً إلى عيد كنسي قديم اسمه: "تقدمة العذراء إلى الهيكل" يحتفل به يوم ٢١ نوفمبر من كل عام يقوم على فكرة أنّ أبويها قدماها للهيكل في سنة الثالثة من عمرها وفاء بنذرهما وبقيت فيه حتى سن الثانية عشرة<sup>(١)</sup>.

### هل مريم هارونية أم داودية؟

مسألة النسب مهمة بالنسبة لليهود والمسيحيين، ولها تأثير في بعض مسائل الدين على المستوى العقائدي والفقي، وعلى مستوى الإسلام أيضاً نجد لها تأثيراً واضحاً في بعض المسائل والأحكام كمسألة دفع الحقوق المالية الواجبة، فمثلاً: لا يجوز دفع الصدقة الواجبة "الزكاة" من قبل غير الهاشمي للهاشمي.

وبخصوص بحثنا: فإنّ جواب السؤال المطروح مهم ومؤثر في رسالة عيسى صلوات الله عليه؛ باعتبار أنّ اليهود يعتقدون بأنّ المخلص والملك المنتظر والموعود به في نصوص التوراة والعهد القديم عموماً منحصر بأن يكون من نسل داود الذي ينحدر من ذرية يهوذا بن يعقوب، فهم سبط "الملك"، ومن النصوص التي تؤكد ذلك: "١ وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ ..... " سفر أشعيا - إصحاح ١١.

ويسى: هو والد النبي داود عليه السلام.

---

١- الكنيسة الأرثوذكسية: يُعد عيد "دخول السيدة العذراء إلى الهيكل" أحد الأعياد الاثني عشر الكبرى (أهم أعياد السنة) ويُحتفل به في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر). وتوجد نصوص صلوات رسمية (ميانين) تعود للقرون الأولى تصف هذا الحدث بدقة. والكنيسة الكاثوليكية: تدرج "دليل الاحتفالات الروحية" الكاثوليكي يوم ٢١ نوفمبر كذكرى رسمية لـ "تقديم مريم العذراء" (Presentation of the Blessed Virgin Mary). وقد ثبتته البابا سيستوس الخامس كعيد رسمي للكنيسة الجامعة في عام ١٥٨٥م. والخلاصة: في المسيحية (الكاثوليكية والأرثوذكسية)، يُعتبر "التقليد المقدس" (Sacred Tradition) مصدراً مساوياً في السلطة للكتاب المقدس. وبما أن هذا العيد أجمعت عليه الكنائس منذ القرون الأولى ووضعت له صلوات رسمية، فهو يُعامل كـ "حقيقة كنسية رسمية".

بينما سبط لاوي بن يعقوب (الذي ينحدر منه هارون وموسى عليهما السلام) فهم سبط "الكهانة" وخدمة المعبد لا الملك.

أيضاً: يعتقد اليهود أنّ الانتساب لداود يجب أن يكون من جهة الأب ولا يكفي انتسابه له من جهة الأم، ولذا لم يعتن علماءهم كثيراً بمسألة التحقيق في نسب مريم (أم عيسى)، ومن يراجع كلماتهم في هذا المجال لا يجد فيها قولاً قطعياً حاسماً بالرغم من أنّ كثيراً منهم يرى انحدرها من ذرية هارون ومن ثمّ سبط لاوي، لمرجحات معينة.

أما المسيحيون الذين فسّروا النص بعيسى واعتبروه الغصن الذي ينحدر من داود، فإنهم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى تصوير انحدر عيسى من داود من جهة الأب، ولما لم يكن لعيسى أب اضطروا إلى إدخال ما أسموه "أبوة التبني، الأبوة القانونية"، بزعم أنّ يوسف النجار كان زوجاً لمريم، وهو لما تبني تربية عيسى فيصبح بهذا اللحاظ (بحسبهم طبعاً) أن يقال إنه أبوه، ويوسف من نسل داود، وهذا كافٍ بنظرهم في انطباق النبوة التوراتية على عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup>!

نحن من جهتنا، لا نعتبر التحقيق في نسب عيسى عليه السلام قضيتنا الأساسية، بل لا مانع - بحسب ما نعتقد - من صدق البشارة على رسولين، فحتى مع افتراض رجوع عيسى إلى داود نسباً وصدق البشارة عليه واعتباره الملك المخلص الموعود به من نسل داود يمكن أن يكون للبشارة مصداق آخر أكمل في زمن آخر، وسيوضح هذا الاعتقاد أكثر في بحث البشارات من الجزء الثالث لكتاب "الرسالة" إن شاء الله.

١- انظر: تفسير الكتاب المقدس - العهد القديم:

- القمص تادرس يعقوب، متاح على الرابط التالي:

<https://tak.la/٥٢msb٩b>

<https://tak.la/٥csg^sv>

- القمص أنطونيوس فكري، متاح على الرابط التالي:

<https://tak.la/ptz٥vhm>

<https://tak.la/n٤٢z٤xv>



ومع هذا، فإنَّ القارئ لبشارة سفارة إشعيا يتردد في انطباق البشارة على عيسى عليه السلام، ليس لمسألة النسب فحسب، ولكن لأن الصفات المذكورة للمخلص في النص لا تنطبق على عيسى، فمثلاً: النص يذكر أنَّ الأرض تمتلئ بمعرفة الرب في زمن المخلص، ومثل هذا الأمر لم يحصل في وقت بعثة عيسى إلى حين رفعه (أو صلبه بحسب عقيدة المسيحيين). وكذلك: النص وصفه بأنه يرفع راية للأمم ويدعو إليه أنصاره من كل الأرض "أطراف الأرض الأربعة"، وأيضاً هو أمر لم يتحقق في زمن رسالة عيسى، وغير ذلك من صفات وخصائص طبعت شخصية المخلص ورسائله وعصره بصفات لا تصدق على عيسى أبداً، وسيأتي في فصل "البشارات" عرض النص التوراتي المشار إليه وبحثه بالتفصيل وإثبات أنَّ المقصود به شخصية أخرى تكون في آخر الزمان ولها صلة برسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

وبالنسبة لنسب السيدة مريم (وعيسى بتبعها)، فاليهود، الذين يفترض بهم أن يكونوا أدق من المسيحيين في بيان هذه المسألة؛ لأنهم أسبق وأمر الأسباط يعنهم أكثر، لكنهم مع هذا لم يحسموا الأمر، ورجح بعضهم أن تكون من نسل هارون ومن ثمَّ سبط لاوي كما ذكرت؛ بحكم العلاقة الوثيقة التي تربط أسرة عمران (والد السيدة مريم) بأسرة النبي زكريا الذي كان يعمل في الكهانة وخدمة المعبد بلا شك<sup>(١)</sup>. وأيضاً: باعتبار أنَّ "أليصابات" (زوجة زكريا، وأخت حنة؛ والدة مريم) من "بنات هارون" قطعاً بحسب نصوص العهد الجديد<sup>(٢)</sup>، وفي العرف اليهودي غالباً ما يتصاهر الأشخاص داخل سبطهم أو الأسباط القريبة، وخصوصاً في السبط الكهنوتي أي ذرية هارون (رجالاً ونساء) الذين ينحدرون من سبط لاوي فقد ورد في (سفر اللاويين – إصحاح ٢١): "١ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: كَلِّمُ الْكَهَنَةَ بَنِي هَارُونَ وَقُلْ لَهُمْ: ..... ٧ إِمْرَأَةً زَانِيَةً أَوْ مُدَنِّسَةً لَا يَأْخُذُوا، وَلَا يَأْخُذُوا امْرَأَةً مُطْلَقَةً مِنْ زَوْجِهَا. لِأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لِلَّهِ. .... ١٠ وَالْكَاهِنُ الْأَعْظَمُ يَنْبَغِي إِخْوَتَهُ .... ١٣ هَذَا يَأْخُذُ

١- بعض شراح الكتاب المقدس صرحوا بعودة نسب النبي زكريا عليه السلام إلى سبط لاوي، منهم: القمص انطونيوس فكري، متاح على:

<https://tak.la/rkxky9m>

٢- ورد في (إنجيل لوقا – إصحاح ١): "٥ كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكْرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَأَمْرُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتٌ". و"بنات هارون": هو المصطلح الفقهي والتاريخي للإشارة إلى النساء من سبط لاوي اللواتي يحق لهن الزواج من الكهنة.

امْرَأَةً عَذْرَاءً. ١٤ أَمَّا الْأَزْمَلَةُ وَالْمُطَلَّقَةُ وَالْمُدْنَسَةُ وَالزَّانِيَةُ فَمِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَأْخُذُ، بَلْ يَتَّخِذُ عَذْرَاءً مِنْ قَوْمِهِ امْرَأَةً".

و أيضاً؛ لولاحظنا نذر حنة (والدة مريم) لوجدنا أنها نذرت مولودها للمعبد: "إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ \* فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" آل عمران: ٣٥ - ٣٧<sup>(١)</sup>. ولا شك أن الكهانة وخدمة المعبد هو اختصاص سبط لاوي والهارونيين كما عرفنا.

ولعل الآية القرآنية التي شهِت مريم العذراء بمريم "أخت هارون" تشعر بذلك أيضاً؛ حيث يقول تعالى حكاية لقول اليهود لمريم العذراء: "فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا" مريم: ٢٧ - ٢٨.

يقول السيد أحمد الحسن: (مرادهم تشبيهها بمريم أخت موسى وهارون عليهما السلام حيث إن مريم أخت هارون صالحة ومقدسة عندهم. وأما لماذا أخت هارون ولم يقولوا أخت موسى؛ وذلك لأن هارون الأكبر فتنسب له، ..... ) انتهى<sup>(٢)</sup>.

ولا مانع من أن التشبيه لا يقف عند القداسة فحسب، ولكن قد يتعدى إلى النسب أيضاً.

١- (عن إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إنَّ المغيرة يزعم أن الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم، فقال: ما له لا وفقه الله أن امرأة عمران قالت: إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا والمحرر للمسجد لا يخرج منه ابداً، فلما وضعت مريم، قالت رب إِنِّي وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، فلما وضعها ادخلها المسجد، فلما بلغت مبلغ النساء أخرجت من المسجد أنى كانت تجد أياماً تقضيها وهي عليها أن تكون الدهري المسجد) علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٥٧٩.

٢- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: ٧ / جواب سؤال ٦٥٢.

## زكريا ويحيى:

قال تعالى: "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" الأنبياء: ٨٩ - ٩٠.

ليس هناك شك في أنّ نبي الله زكريا عليه السلام كان قائماً على خدمة المعبد والهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام، أي أنّ عمله كان في الكهانة، ولذا هو من تكفل مريم عند إقامتها في المعبد، وكانت هذه إحدى حجج من قال بانحداره من سبط لاوي كما تقدم.

الإنجيل نصّ على خدمة زكريا في المعبد وعلى تبشيره بيحيى "يوحنا":

(إنجيل لوقا - إصحاح ١): "هَ كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكْرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَأَمْرَآتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. .... ١١ فَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبُخُورِ. ١٢ فَلَمَّا رَأَهُ زَكْرِيَّا اضْطَرْبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. ١٣ فَقَالَ لَهُ الْمَلَاكُ: «لَا تَخَفْ يَا زَكْرِيَّا، لِأَنَّ طَلِبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَأَمْرُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. ١٤ وَيَكُونُ لَكَ فَرْخٌ وَابْنٌ هَاجٍ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلَادَتِهِ، ١٥ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ".

وفرقة أبيّا: هي واحد من ٢٤ فرقة كاهنة كانت تتبادل الخدمة في الهيكل.

كان زكريا عليه السلام - كجميع الأنبياء والرسل - عارفاً بمقام الرسول محمد وآله الأوصياء صلوات الله عليهم، وبحسب النص الوارد عنهم فإنّ أحد أسباب طلب زكريا الولد من الله هو أن ينذره له سبحانه ويفجع به كما يفجع خير خلق الله (محمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم) بولدهم الحسين "الذبيح"، فتمتّى مواساتهم، كل ذلك بعد أن أخبره الله بتأويل: "كهيعص" <sup>(١)</sup>!

١- ورد في أسئلة أحمد بن إسحاق الرازي للإمام المهدي صلوات الله عليه: (..... فقلت: أخبرني عن تأويل كهيعص. قال: هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريا ثم قصّها على محمد صلى الله عليه وآله، وذلك: أن

وفعلًا، شاء الله أن يرزق زكريا بولده يحيى الذي آتاه الله الحكم صبيًا: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" مريم: ١٢.

عُرف عن يحيى عليه السلام عبادته وزهده بالدنيا <sup>(١)</sup>، وكثرة بكائه خشية من الله منذ صغره، حتى إن أباه زكريا كان يحرص على أن لا يكون يحيى موجوداً في مجلس النصح الذي يبديه لبني إسرائيل؛ شفقة منه عليه <sup>(٢)</sup>!

زكريا عليه السلام سأل ربه: أن يعلمه الأسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همته، وانجلى كرب، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة، ووقعت عليه الهمة. فقال - ذات يوم -: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي. فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال: "كبيص" فالكاف اسم "كربلاء" والهاء "هالك العترة" والياء "يزيد" وهو ظالم الحسين والعين "عطشه" والصاد "صبره"، فلما سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيه الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والتحيب، وكان يرثيه: إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟ إلهي أتزل بلوى هذه الرزية بفنائهم؟ إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثوب هذه المصيبة؟ إلهي تحل كربية هذه المصيبة بساحتهم؟ ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقربه عيني على الكبر، فإذا رزقتني فافتني بحبه، ثم افجعي به كما تفجع محمداً حبيبك بولده. فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين كذلك (الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣).

١- روي: أَنَّ لِبَاسَهُ اللَّيْفَ وَأَكَلَهُ وَرَقَ الشَّجَرِ، انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ١٤ / ١٨٧.

٢- (عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كان من زهد يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه أتى بيت المقدس، فنظر إلى المجتهدين من الأحرار والرهبان، عليهم مدارع الشعور وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا ثراقيمهم، وسلكوا فيها السلاسل، وشدوها إلى سوارى المسجد، فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال: يا أمه، انسجي لي مدرعة من شعور برنسا من صوف حتى آتي بيت المقدس، فأعبد الله مع الأحرار والرهبان. فقالت له أمه: حتى يأتي نبي الله وأوامره في ذلك. فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقاله يحيى، فقال له زكريا: يا بني، ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبي صغير! فقال له: يا أبه، أما رأيت من هو أصغر سناً مني وقد ذاق الموت؟ قال: بلى، ثم قال لأمه: انسجي له مدرعة من شعور برنسا من صوف، ففعلت. فتدرع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس، فأقبل يعبد الله عز وجل مع الأحرار حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى. فأوحى الله عز وجل إليه: يا يحيى، أتبكي مما قد نحل من جسمك! وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار لاطلعة لتدرع مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه، وبدا للناظرين أضراره، فبلغ ذلك أمه، فدخلت عليه، وأقبل زكريا واجتمع الأحرار والرهبان، فأخبروه بذهاب لحم خديه، فقال: ما شعرت بذلك. فقال زكريا: يا بني، ما يدعوك إلى هذا؟ إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقربك عيني. قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه، قال: ومتى ذلك يا بني؟ قال: أُلست القائل: إن بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلا البكاءون من خشية الله؟ قال: بلى، فجد واجتهد وشأنك غير شأني. فقام يحيى، فنفض مدرعته، فأخذته أمه،

عن الإمام الكاظم صلوات الله عليه، قال: (كان يحيى بن زكريا عليهما السلام يبكي ولا يضحك وكان عيسى ابن مريم عليهما السلام يضحك ويبكي وكان الذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذي كان يصنع يحيى عليه السلام) (١).

فقالت: أتأذن لي - يا بني - أن أتخذ لك قطعتي لبود تواربان أضراسك، وتنشفان دموعك؟ فقال لها: شأنك. فاتخذت له قطعتي لبود تواربان أضراسه، وتنشفان دموعه، فبكي حتى ابتلتا من دموع عينيه، فحسرعن ذراعيه، ثم اخذهما فعصرهما، فتحدرت الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموع عينيه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إن هذا ابني، وهذه دموع عينيه، وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً، فإن رأى يحيى عليه السلام لم يذكر جنة ولا ناراً، فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل، وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة، فجلس في غمار الناس، والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم يري يحيى، فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى: أن في جهنم جبلاً يقال له السكران، في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان، يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جب قامته مائة عام، في ذلك الجب توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: وا غفلتاه من السكران، ثم أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على أم يحيى، فقال لها: يا أم يحيى، قومي فاطلي يحيى، فإني قد تخوفت أن لا نراه إلا وقد ذاق الموت. فقامت فخرجت في طلبه حتى مرت بفتيان من بني إسرائيل، فقالوا لها: يا أم يحيى، أين تريدان؟ قالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم، فقالت له: يا راعي، هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا؟ فقال لها: لعلك تطالبين يحيى بن زكريا؟ قالت: نعم، ذاك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فقال: إني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا، ناقعا قدميه في الماء رافعا بصره إلى السماء، يقول: وعزتك مولاي، لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك. وأقبلت أمه، فلما رآته أم يحيى دنت منه، فأخذت برأسه فوضعت بين ثديها، وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل، فانطلق معها حتى أتى المنزل، فقالت له أم يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف، فإنه ألين؟ ففعل، وطبخ له عدس، فأكل واستوفى ونام، فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريا، أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري! فاستيقظ فقام فقال: يا رب أقلني عثرتي، إلهي فوعزتك لا استظل بظل سوى بيت المقدس. وقال لامه: ناوليني مدرعة الشعر، فقد علمت أنكما ستورداني المهالك. فتقدمت أمه فدفعته إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا: يا أم يحيى، دعيه فإن ولدي قد كشف له عن قناع قلبه، ولن ينتفع بالعيش. فقام يحيى فلبس مدرعته، ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس، فجعل يعبد الله عز وجل مع الأخبار، حتى كان من أمره ما كان (الأمالي، الصدوق: ٨٠ - ٨٣).

وعموماً، شاء الله أن يختم حياة يحيى عليه السلام بالشهادة في سبيل الله كحال أبيه زكريا الذي قضى - هو الآخر - شهيداً مظلوماً<sup>(١)</sup>.

وبخصوص يحيى، فقد كانت شهادته على يد طاغية أراد الزواج بامرأة لا تحل له فسأل يحيى عليه السلام ونهاه عن ذلك، بينما أصرت المرأة (البغي) على أن يكون مهرها رأس يحيى بن زكريا فقتله ذبحاً<sup>(٢)</sup>، تماماً كما تمى أبوه زكريا عليه السلام لما أعلمه الله بما يجري على الإمام الحسين صلوات الله عليه، وبعد قتل يحيى احمرت السماء، ولم تحمر لقتل أحد بعده إلا لمقتل الإمام الحسين يوم عاشوراء<sup>(٣)</sup>!

١- بحسب بعض النصوص التاريخية: فإن بعض اليهود اتهموا زكريا بحمل مريم فطلبوه فاقتبأ عنهم في شجرة فنشروها وإياه بالمنشار، وكان ذلك قبل مقتل ابنه يحيى: (فلما علمت اليهود أن مريم ولدت من غير رجل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها) المختصر في أخبار البشر، أبو الفدا: ١ / ٣٤: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي: ١ / ١٥٩.

٢- (عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن ملكاً كان على عهد يحيى بن زكريا لم يكفه ما كان عليه من الطروقة حتى تناول امرأة بغياً، فكانت تأتبه حتى أسنت، فلما أسنت هيأت ابنتها، ثم قالت لها: إني أريد أن آتي بك الملك فإذا وقعك فيسألك ما حاجتك فقولي: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا عليه السلام فلما وقعها سأله عن حاجتها فقالت: قتل يحيى بن زكريا عليه السلام. فقال: ما أنت وهذا إله عن هذا، قالت: ما لي حاجة إلا قتل يحيى، فلما كان في الليلة الثالثة بعث إلى يحيى فجاء به، فدعا بطشت ذهب فذبحه فيها وصبّوه على الأرض فارتفع الدم وعلو الناس يطرحون عليه التراب فيعلو عليه الدم حتى صار تلاً عظيماً ومضى ذلك القرن، فلما كان من أمر بخت نصر ما كان رأى ذلك الدم، فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتى دل على شيخ كبير فسأله، فقال: أخبرني أبي عن جدي أنه كان من قصة يحيى بن زكريا كذا وكذا، وقص عليه القصة والدم دمه فقال بخت نصر: لا جرم لأقتلن عليه حتى يسكن. فقتل عليه سبعين ألفاً، فلما وفي عليه سكن الدم. وفي خبر آخر: إن هذه البغي كانت زوجة ملك جبار قبل هذا الملك وتزوجها هذا بعده، فلما أسنت وكانت لها ابنة من الملك الأول قالت لهذا الملك: تزوج أنت بها، فقال: لا حتى أسأل يحيى بن زكريا عن ذلك فإن أذن فعلت فسأله عنه فقال: لا يجوز فهيأت بنتها وزينتها في حال سكره وعرضتها عليه، فكان من حال قتل يحيى ما ذكر وكان ما كان) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢١٩ - ٢٢٠.

(عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريا عليه السلام ببخت نصر) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢٢٠.

٣- (عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عاقرة ناقة صالح كان أزرق ابن بغي، وكانت ثمود تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وإن قاتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما ابن بغي، وإنه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا، وقال في قوله تعالى جل ذكره: "لم نجعل له من قبل سمياً" قال: يحيى بن زكريا لم يكن له سمي

الإنجيل أيضاً أشار لمقتل يحيى عليه السلام بالتفصيل في: (إنجيل متى - إصحاح ١٤)، وكذلك: (إنجيل مرقس - إصحاح ٦)؛ وخلاصة الرواية الإنجيلية: أن يحيى وبخ الملك هيرودس علانية بسبب زواجه من زوجة أخيه "فيلبس" وهي لا تزال على ذمة أخيه، وكان موقف يحيى يتسم بالرفض، فقام هيرودس بسجنه ثم قتله استجابة لرغبتها على الرغم من اعتقاد بأنه باروقديس!

### بين عيسى ويحيى (ع):

عبادة يحيى عليه السلام وزهده وبكاؤه من خشية الله بلغ حدّاً استوجب سلام الله عليه في الأيام الثلاثة العصبية التي يمر بها كل إنسان: يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث: "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" مريم: ١٥.

لكن بالمقابل، نجد نصّاً قرآنياً آخر يذكر حال عيسى عليه السلام في نفس هذه المواطن الثلاثة، والملفت في الأمر أن عيسى هو من يسلم على نفسه فيها وليس الله: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" مريم: ٣٣!

فما هو الفرق بين الحاليين وإلى م يشير ذلك (١)؟

قبله والحسين بن علي لم يكن له سمي قبله، وبكت السماء عليهما أربعين صباحاً، وكذلك بكت الشمس عليهما، وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وقيل: أي بكى أهل السماء وهم الملائكة.

عن أبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الحسين بن علي صلوات الله عليهما بكى لقتله السماء والأرض واحمرتا ولم تبكيا على أحد قط إلا على يحيى بن زكريا عليه السلام.

عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله في قوله تعالى: "فما بكت عليهم السماء والأرض" قال: لم تبك السماء على أحد قبل قتل يحيى بن زكريا حتى قتل الحسين عليه السلام فبكت عليه) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢٢٢.

١- (ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا وقد سلّم الله عز وجل على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال: "وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً"، وقد سلّم عيسى مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: "والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً") عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٢٣٣.

الجواب: الفرق يكمن في مقام كلٍّ من يحيى وعيسى صلوات الله عليهما، فواضح أنَّ عيسى رسول من أولي العزم وله نصيب من الإمامة ولم يكن يحيى كذلك، وبالتالي فإنَّ مقام عيسى أرفع عند الله أي إنه يمثل الله في الخلق بدرجة أكبر وأرقى، وبالتالي منحه الله صلاحية أن يعطي لنفسه السلام في المواطن الشداد ويكون سلامه سلام الله (وكذلك منحه الله صلاحية الإرسال منه كما سيتضح)، لكن مثل تلك المنزلة والصلاحية لم تُمنح ليحيى عليه السلام!

يقول السيد أحمد الحسن: (..... ومرتبة الإمامة الإلهية مرتبة عالية، لم ينلها كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وهنا سأل إبراهيم عليه السلام الله سبحانه وتعالى هذا السؤال: "وَمِنْ ذُرِّيَّتِي"، أي وهل أنَّ الأنبياء الذين بشرتني بهم فيما مضى هم (أنمة) أيضاً؟ فقال تعالى: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"، أي الظالمين من الأنبياء. وظلم الأنبياء ليس كظلم غيرهم وإنما هو من نوع "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، أي إتيانهم بالعمل ليس على الوجه الأمثل بسبب التمايز بالمعرفة بينهم فكل منهم يعبد سبحانه بحسب معرفته ولذا تتفاوت عبادتهم، فتكون سجدة من محمد صلى الله عليه وآله أفضل من عبادة الثقلين، وضربة من علي عليه السلام بـ "عبادة الثقلين".

وهذا التمايز بين بينهم، وذكره تعالى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" البقرة: ٢٥٣. فنفس العمل لو كُلف به يونس النبي عليه السلام وكُلف به محمد صلى الله عليه وآله لم يكن إتيان يونس به في نفس مستوى إتيان محمد صلى الله عليه وآله، فهذا التقصير من يونس في الإتيان بالعمل نسبةً إلى ما يأتي به محمد صلى الله عليه وآله هو ظلم من يونس عليه السلام؛ لأن هذا التقصير منعه من نيل رتبة عظيمة فطَرَ كإنسان لينالها، وبالتالي فإنَّ هناك مرتبة من هذا النوع من الظلم يجب أن يتجاوزها الأنبياء والمرسلون من ذرية إبراهيم عليه السلام لينالوا مرتبة الإمامة، ولهذا قال تعالى: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" أي لا ينال الإمامة كل الأنبياء من ذريتك يا إبراهيم، إنما ينالها الأنبياء والمرسلون من ذريتك الذين يتجاوزون هذا الظلم، فيرتقون إلى هذه المرتبة: "وَأَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ



يُعَقِّبُ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ \* إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ" النمل: ١٠ - ١١.

وقد أشار تعالى في القرآن لبعض الأئمة من ذرية إبراهيم:

ومنهم: موسى عليه السلام، قال تعالى: "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى" طه: ٢٢، أي خالية من الظلم، فالإنسان يأخذ ويعطي باليد، واليد البيضاء تشير إلى عدالة الإنسان التامة مع الناس ومع الله سبحانه وتعالى، فموسى عليه السلام طهر نفسه من الظلم بمرتبة عالية، كما في الآية: "إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ".

ومنهم: عيسى عليه السلام، قال تعالى مخبراً عن عيسى: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" مريم: ٣٣، أي إن عيسى نال مرتبة الإمامة، فهو يعطي الأمان لنفسه وللناس.

وأشار تعالى إلى من لم ينل مرتبة الإمامة منهم كيحيى عليه السلام، قال تعالى: "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" مريم: ١٥، أي إنه لم يصل إلى مرتبة الإمامة لكي يعطي للناس ولنفسه الأمان، وإنما هو مهّد الطريق لعيسى عليه السلام ووجّه الناس إليه) انتهى (١).

**تنبيهان؛ الأول:** ذكرنا سابقاً (٢) أنّ الإمامة الإلهية (بمعناها الديني) مقام مشكك، أي: ذو مراتب عديدة، ولذا قلنا هناك إنّ إمامة إبراهيم كانت بمستوى أدنى من إمامة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، لكنها - أي إمامة إبراهيم - بمستوى أعلى من إمامة موسى وعيسى صلوات الله عليهما، وبالتالي فالأنا الخفية التي ظهرت من أعماق موسى

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٢٨.

٢- ضمن بحوث إمامة إبراهيم عليه السلام واجتياز الامتحان بكلمات الله، وأيضاً في قصة لقاء موسى بالعبد الصالح ضمن بحوث رسالة موسى عليه السلام.

(وقد تمثلت بصورة اعتراضات ثلاث على أفعال العبد الصالح) حرمة من مستوى أعلى من الإمامة كالتي نالها إبراهيم، وكذا كان حال عيسى صلوات الله عليه.

**الثاني:** لم يذكر كثير من المفسرين أي فرق بين سلام الله على يحيى وسلام عيسى على نفسه، بل جملة منهم صرحوا بعدم الفرق <sup>(١)</sup>، وبعضهم ذكر أن الله هو المسلم على يحيى وأن عيسى هو المسلم على نفسه دون أن يشير إلى وجه السبب <sup>(٢)</sup>، بل بعضهم يصبر على أن الله هو المسلم على يحيى وكذا على عيسى أيضاً <sup>(٣)</sup>، والملفت أن هناك من قلب الأمر رأساً على عقب فاعتبر سلام الله على يحيى أعظم من سلام عيسى على نفسه <sup>(٤)</sup>!

واضح أن الفرق مجهول بالنسبة لهم؛ خصوصاً بعد أن قلب بعضهم المسألة ظهراً لبطن واعتبر السلام في آية يحيى "وسلام عليه..." أعظم من السلام في آية عيسى "والسلام علي..."! يقول هذا في نفس الوقت الذي يعترف بأن عيسى رسول من أولي العزم وأعلى مقاماً من يحيى، وبالتالي فيفترض (بديهياً ومنطقياً ودينياً) أن يكون السلام الذي ينال رسل أولي العزم من الله بدرجة أعظم من السلام الذي ينال غيرهم من الأنبياء بكل تأكيد.

### ولادة عيسى (ع):

قال تعالى: "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا \* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا \* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا \* فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ

١- انظر مثلاً: زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤ / ١٧٦؛ تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ٨ / ٢٢١؛ تفسير مقتنيات الدرر، الطهراني: ٧ / ٢٢؛ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٥ / ١٧٨؛ تفسير النسفي: ٣ / ٣٦؛ تفسير البيضاوي: ٤ / ١٠، ١٥؛ تفسير أبي السعود: ٥ / ٢٦٤.

٢- انظر على سبيل المثال: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٤ / ٤٨؛

٣- انظر على سبيل المثال: تفسير الواحدي: ٢ / ٦٨٠؛ تفسير السمعاني: ٣ / ٢٩١؛ زاد المسير، ابن الجوزي: ٥ / ١٦١؛

٤- انظر على سبيل المثال: تفسير الرازي: ٢١ / ٢١٦؛ أضواء البيان، الشنقيطي: ٣ / ٣٨٢.

النَّخْلَةَ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا \* فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا \* وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا \* فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا \* فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا \* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا \* ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ" مريم: ١٦ - ٣٤.

### تفاصيل الولادة:

- "فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا":

ما هو الحجاب؟ هل هو ستر مخصوص، أو مطلق الستروالحاجز كما فهم كثير من علماء المسلمين<sup>(١)</sup>؟

يقول السيد أحمد الحسن: (حجاب مريم عليها السلام كان محراب العبادة حيث كانت تصلي منفردة عن الناس) انتهى<sup>(٢)</sup>.

- "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا":

أي جبرئيل عليه السلام، وأحد أسباب تمثله لمريم عليها السلام بصورة بشر هو زرع الاطمئنان في نفسها:

١- بعضهم فسّر الحجاب بالجدران أو الستر من الشمس أو عموم الحاجز، انظر مثلاً: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١١٤/٧ - مجمع البيان، الطبرسي: ٤١٠/٦: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣٤/١٤: جامع البيان، الطبري: ١٦/٧٥ - ٧٦: تفسير النسفي: ٣/٣٣: تفسير البيضاوي: ٤/٧. وبعضهم فسّره بالجبل، انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٣٠٩: تفسير السمعاني: ٣/٢٨٣: تفسير البغوي: ٣/١٩١.

٢- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٧٧.

يقول السيد أحمد الحسن: (... أَمَا تَمَثَّلْهُ بِشَرًّا فَأَحَدُ أَسْبَابِهِ الْإِطْمِئْنَانُ) انتهى<sup>(١)</sup>.

- "قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا":

جبرئيل يريد أن يهب مريم غلاماً بأمر الله سبحانه، ولكن ليس بطريقة الولد الذي يأتي عن طريق زواج الرجل بالمرأة كما هو المتعارف، وإنما عن طريق "النفخ"<sup>(٢)</sup>: "وَأَلَّيْ أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ" الأنبياء: ٩١.

وفي بيان حقيقة "النفخ" الذي حصل لمريم عليها السلام، يقول السيد أحمد الحسن:

(النفخ هو إيصال النطفة النفسية المتعلقة بالنفس إلى رحم مريم، وهي غير النطفة المادية، ولا يحتاج إيصالها إلى الزواج، بل هي نطفة لطيفة منها تتشكل صورة الإنسان، ويمكن أن تدخل من أي مكان، من الفم، الأنف، البطن، فهي ليست مادية ليعارض ولوجها المادة).

عيسى عليه السلام ولد من أم ومن غير أب، أي إنه يختلف عن آدم عليه السلام الذي خُلِقَ من غير أب وأم<sup>(٣)</sup>. فعيسى عليه السلام خلقه الله في هذا العالم الجسماني من خلية كاملة أوجدها الله في رحم مريم عليها السلام وبالصورة الطبيعية، أي إنها بويضة وجاءت من المبيض، ولكنها امتازت بأنها كاملة ولا تحتاج التلقيح. فقط تحتاج الاتصال بنطفة

١- نفس المصدر.

٢- علي بن إبراهيم: ("واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" قال: خرجت إلى النخلة اليابسة "فاتخذت من دونهم حجابا" قال: في محرابها "فأرسلنا إليها روحنا" يعني جبرئيل عليه السلام "فتمثل لها بشرا سويا \* قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا" فقال لها جبرئيل: "إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا" فأنكرت ذلك لأنه لم يكن في العادة أن تحمل المرأة من غير فعل، فقالت: "أني يكون لي غلام ولم يمسن بشرو لم أك بغيا" ولم يعلم جبرئيل أيضا كيفية القدرة فقال لها: "كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا" قال: فنفخ في جيبها فحملت بعيسى عليه السلام ...) تفسير القمي: ٢ / ٤٨ - ٤٩.

٣- الكلام هنا عن نفس آدم عليه السلام أي عن خلقه في السماء الأولى وليس عن ولادته في هذا العالم الجسماني والذي تم من خلال أبوين بطبيعة الحال، وقد تقدم في بحوث الجزء الأول من كتاب "الرسالة - بحث خلق آدم والنفس الإنسانية" أن نفس آدم خلقت في السماء الأولى من "الطين المرفوع + نفخ الروح" وليس من أبوين.

نفسية، وقد بيّنتها في أكثر من موضع. والروح جاء بهذه النطفة النفسية وأوصلها إلى الاتصال بالخلية الكاملة التي خُلِقَ منها عيسى عليه السلام.

فالحالة الطبيعية أنّ النطفة المادية الجسمانية متصلة بالنطفة النفسية، والنفس تلحق النطفة النفسية وتتصل بها عند الشهر الرابع من الحمل تقريباً. أما في حالة عيسى عليه السلام فلم تكن هناك نطفة جسمانية؛ ولذا جاء الروح بالنطفة النفسية ليوصلها بالبويضة المتكاملة (التي لا تحتاج التلقيح)؛ ليتسّى بعد ذلك للنفس المتعلقة بهذه النطفة النفسية الاتصال بها، وبالتالي الاتصال بهذا الجسم المخلوق الجديد) انتهى<sup>(١)</sup>.

**ملاحظة:** تقدم في بحوث كتاب "الرسالة" ما يتعلق ببيان النطفة النفسية والفرق بينها وبين النطفة المادية<sup>(٢)</sup>.

هذا، ومن يطالع كلام المفسرين يجده ملفوفاً بالغموض والإجمال كقول بعضهم: (إنّ النفخ يعني الإحياء، أو أن جبرئيل نفخ في جيب درعها فدخل إلى جوفها، أو أنه جريان روح المسيح في مريم)<sup>(٣)</sup> بدون أي توضيح أو شرح!

- "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا":

مدة الحمل كانت طبيعية (تسعة أشهر)<sup>(٤)</sup>. نعم، لم يظهر عليها أثر الحمل إلا في ساعاتها الأخيرة:

يقول السيد أحمد الحسن ضمن كلامه عن ولادة عيسى عليه السلام:

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٧٧.

٢- انظر: الرسالة / الجزء الأول: بحوث رسالة نوح عليه السلام - معنى رفع جسد المعصوم إلى السماء.

٣- انظر مثلاً: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢٧٦/٧؛ تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: ٥٣٧/٢؛ جامع البيان، الطبري: ١١١/١٧؛ تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي: ٢٤٦٦/٨؛ تفسير السمرقندي: ٤٤٠/٢؛ تفسير الثعلبي: ٣٠٥/٦؛ تفسير الواحدي: ٧٢٣/٢؛ تفسير السمعاني: ٤٠٦/٣؛ تفسير النسفي: ٩٠/٣؛ وغيرهم.

٤- لم يكن حمل مريم عليها السلام ستة أشهر؛ فضلاً عن أن يكون بالساعات كما يظهر من بعض النصوص.

(ومدة الحمل تسعة أشهر، ولكن الله جعله حملاً خفيفاً، فلم يكن ظاهراً بوضوح ليميزه الناس إلا في الساعات الأخيرة؛ ولذا خرجت من محرابها ومكان عبادتها وخلوتها بالله سبحانه: "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا") انتهى<sup>(١)</sup>.

ومسألة خفاء الحمل بعيسى تذكرنا بخفاء حمل إبراهيم وموسى صلوات الله عليهما، وجميع هذه الحوادث تمهد لما سيحصل في رسالة محمد من خفاء حمل السيدة نرجس بولدها (الإمام المهدي صلوات الله عليه، كما تقدم)، وهو أحد أوصياء الرسول وجزء من رسالته العظمى، وهذا بلا شك أحد وجوه تمهيد رسالة عيسى للرسالة المحمدية.

- "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا \* فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا":

لماذا قالت مريم: "يا ليتني مت قبل هذا"، هل لخوفها من كلام الناس، أو لسبب آخر؟

يقول السيد أحمد الحسن: (مريم بعد كل هذه المسيرة مع الله والغيب والإعجاز، هل يمكن لعاقل أن يقول: إنها تخاف من الناس؟ ثم ها هي التي يتصور من يجهل الحقيقة أنها تخاف الناس لا تبالي بهم، ولا بكلامهم، بل وتأتي بعيسى عليه السلام وبكل هدوء لتعرضه عليهم، وهم يهاجمونها بقوة: "فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتُ هَازُونِ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا"، وهي لا تكلف نفسها عناء الرد عليهم: "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا".

إذن، مريم عليها السلام لم تكن خائفة، ولكنها خرجت من بيت الله ومن مكان عبادتها ومحرابها وخلوتها مع الله بسبب هذا الحمل: "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا"، والآن هي تلد هذا المولود: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا". إذن، هي الآن أيقنت أنها ستحرم للأبد من مكان عبادتها، ولن تعود إلى محرابها الذي طالما تجلّت لها فيه آيات الله؛ ولذا: "قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا"،

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٧٧.

فطمأنها بأنه ملك بني إسرائيل، وأن في ولادته الفرج وفي الانشغال بتربيته طاعة وعبادة لله: "فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا" (...) انتهى<sup>(١)</sup>.

من جهتهم، أشارت كلمات كثير من علماء المسلمين إلى أن مريم عليها السلام قالت ذلك استحياء من الناس ومخافة كلامهم ولومهم، بل بحسب بعضهم أن جبرئيل عرف جزعها جرأ ذلك وحينئذ نادها: "فناداها من تحتها ..." (٢)!

- "وَهَزِي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا":

مريم عليها السلام كانت تؤتى بطعامها وهي في محراب العبادة، فلماذا الآن تؤمر بهز جذع النخلة وهي حديثة عهد بالولادة؟ لماذا لم يستمر حالها كما كان سابقاً؟!

يقول السيد أحمد الحسن: (مريم عليها السلام امرأة والمرأة عادة يصعب عليها أن تهز شجرة صغيرة فكيف بالنخلة وهي شجرة جذعها متين ويصعب على الرجل هزها فضلاً عن المرأة؟ وأضف إلى هذا: أن مريم حديثة ولادة وبالتالي فهي مجعدة وتحتاج للراحة وأن يهتم بها غيرها ويعد لها ما تحتاج من طعام؛ ولهذا نجد الناس عادة ترحم المرأة حديثة الولادة فيأتي بعض أقاربها من النساء ويلون احتياجاتها، فكيف يرحم الناس نساءهم ولا يرحم الله مريم المنقطعة إليه بالعبادة فيكلفها بهز جذع النخلة؟! ألم يكن بالإمكان أن يُنزل الله الرطب من النخلة لأي سبب يسببه الله، ولماذا لم يستمر ما كان يحصل مع مريم سابقاً عندما كانت في بيت العبادة وكان طعامها يأتيها دون أي عمل وهي الآن مجعدة بدنياً ونفسياً وفي أشد الحاجة أن يأتيها طعامها دون أن تعمل!!!)

الحقيقة، إن سبب أمر الله لمريم أن تهز جذع النخلة هو أنها خرجت من بيت العبادة والانقطاع إلى الله إلى دنيا الناس فعلمها أن تبذل جهداً لتحصل على طعامها، وعليها أن

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٧٧.

٢- انظر مثلاً: التبيين في تفسير القرآن، الطوسي: ١١٧/٧؛ مجمع البيان، الطبرسي: ٤١٧/٦؛ تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ٢١٠/٨؛ التفسير المبين، محمد جواد مغنية: ٣٩٨؛ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٤٢/١٤؛ تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٠/٢؛ جامع البيان، الطبري: ٨٣/١٦؛ تفسير السمعاني: ٢٨٦/٣؛ تفسير البغوي: ١٩٢/٣؛ تفسير البيضاوي: ١١/٤؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٢٣/٣؛ وغيرهم.

تبذل جهداً للحفاظ على خليفة الله عيسى عليه السلام، وعليها أن تبذل جهداً للحفاظ على نفسها، عليها الآن أن تعمل بالأسباب، هذه هي الرسالة التي وصلت لمريم عليها السلام بهزّ جذع النخلة.

أما مسألة هل هي بذلت جهداً في هزّ الجذع؟ ولماذا لم يرحمها الله ويأتيها بالطعام كما كانت سابقاً؟ فجوابها بسيط؛ وهو أن نعرف كيف هزّت مريم جذع النخلة فهي لم تحتج أن تهزّها بقوة بل هي بمجرد أن امتثلت لأمر الله ووضعت يدها على جذع النخلة بدأت النخلة تهتز بقوة وتساقط الرطب، وكان هذا الأمر في غاية الحكمة، فهو إضافة إلى ما تقدّم قد حصل بهذه الصورة ليكون سلساً مقبولاً ولا تفاجأ وتخاف مريم عليها السلام نتيجة هذا الحدث كما حصل مع موسى عليه السلام: "وَأَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ" النمل: ١٠، "وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ" القصص: ٣١، فلو أنّ مريم عليها السلام جلست بقرب نخلة واهترت هذه النخلة بقوة دون معرفتها فهي أكيد تفاجئ وتخاف، أما لو حصل الأمر كما بيّنه الله تعالى فلن يكون مفاجئاً، فمريم أمرت أن تهزّ جذع النخلة وليس فقط تضع يدها على النخلة فالله لم يقل لها ضعي يدك على النخلة واهترت النخلة؛ لأنّ هذا أيضاً سيكون فيه مفاجئة لها وربما خافت، ولكنه قال لها هزي إليك فمسكت النخلة بيديها وهي تعلم أنها تريد أن تهزّ النخلة وأنّ النخلة ستتهز لأنّ الله أراد هذا، وبهذا فهي لن تفاجأ باهتزاز النخلة ولن تخاف أبداً؛ لأنها على علم تام بما تريد أن تفعل وما يريد الله أن يحصل، وبهذا فسبب اهتزاز النخلة سيكون معروفاً عند مريم وأنه من الله، وبهذا سيكون أمراً يزيد اطمئنناها وليس خوفها بل ويكون أيضاً إظهاراً للقوة الإلهية التي كانت تحيط بمريم لمريم، فتعرف مريم أنّ هناك ملائكة تحيطها وتحرسها وتحفظها من كيد الذين سيقولون: "يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا"، وبهذا كان هذا الحدث (هزي إليك بجذع النخلة) حجراً إلهياً حقق أموراً كان يريدّها الله، فعرفت مريم عليها السلام عندما أمرت بهزّ الجذع أنّ عليها من هذا اليوم أن تعتمد الأسباب وتعمل بالأسباب لتربية وتنشئة خليفة الله حتى يحين وقت بعثه، ولم تفاجأ مريم عليها السلام باهتزاز جذع النخلة كما تفاجأ موسى عليه السلام باهتزاز العصا لما تحولت أفعى، فمريم كانت متعبة ومرهقة من الولادة فعاملها الله بغاية الرحمة ولم يشأ أن تفاجأ حتى باهتزاز جذع النخلة، وعلمت مريم من اهتزاز جذع النخلة أنّ هناك قوة عظيمة



تحيطها؛ هذه القوة هزّت جذع النخلة الذي يصعب هزّه، بل وهزته بقوة وأسقطت منه الرطب بكل يسر، وهذا ازداد اطمئنان مريم النفسي وقويت عزيمتها على مواجهة من سيقولون: "يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً"..... انتهى<sup>(١)</sup>.

الحكمة من أمر مريم بهز جذع النخلة التي كشف عنها السيد أحمد الحسن لا نجد لها أثراً في كلام كثير من المفسرين، فبعضهم إما أهمل ذكرها واكتفى ببيان المعنى اللغوي لمفردة "الهز"، وبعضهم أضاف مسألة الإعجاز؛ لأن الوقت لم يكن وقت وجود الرطب أو أن النخلة كانت يابسة<sup>(٢)</sup>!

- "... فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً":

بحسب النصوص: فإن صوم مريم يعني صمتها عن الكلام<sup>(٣)</sup>.

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٦٥١.

٢- انظر مثلاً: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٥ / ١٧٦؛ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٤ / ٤٣؛ جامع البيان، الطبري: ١٦ / ٩٠؛ تفسير السلمي: ١ / ٤٢٤؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣ / ١٢٤؛ تفسير الجلالين، السيوطي: ٣٩٨..

٣- هذه بعضها:

- (عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده إن مريم عليها السلام قالت: "إني نذرت للرحمن صوماً" أي صمتاً فاحفظوا ألسنتكم وعضوا أبصاركم ولا تحاسدوا ولا تنازعوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تاكل النار الحطب) الكافي، الكليني: ٤ / ٨٩.

- (عن محمد بن سليمان الدليمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستة كرهها الله لي فكرهتها للأئمة من ذريتي وكرهها للأئمة لأتباعهم: العبث في الصلاة، والمن في الصدقة، والرفث في الصيام، والضحك بين القبور، والتطلع في الدور، وإتيان المساجد جنياً. قال: قلت: وما الرفث في الصيام؟ قال: ما كره الله لمريم في قوله "إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً" قال: قلت: صمتت من أي شيء؟ قال: من الكذب المحاسن، البرقي: ١ / ١٠.

ومثله ورد في روايات ومصادر سنّية، انظر: فتح الباري، ابن حجر: ٩ / ٣٨٧؛ عمدة القاري، العيني: ١ / ١١٩.

- "فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا \* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا:"

النص يحكي واقعة بني إسرائيل وجرأتهم على المقدس، ولسنا نتكلم عن الفاسدين والمنحرفين منهم، وإنما عن المؤمنين بموسى وبمن تلاه من الرسل وكانوا ينتظرون بعث عيسى ويترقبون مجيئه (بل مجيؤه من آل عمران بالخصوص): بحكم وجود النصوص التي كانت بأيديهم من الرسل السابقين!

وها هنا حقيقة مرة تفاجئنا، هي: إذا كنّا نبحث عن مصداق واضح لعنوان "فشل المنتظرين" فإنه ينطبق على واقعة بني إسرائيل وفشلهم مع عيسى بوضوح تام! وهذا يؤشر إلى إمكانية إعادة نفس التجربة "الفشل" في الأمم التالية التي تنتظر بعثة رسول إلهي، وهذا ما حصل بالضبط عند بعث الرسول محمد صلى الله عليه وآله؛ إذ فشلت الأمم التي كانت تنتظر مجيئه بالرغم من كثرة البشارات التي ذكرته بدقة كما سيتضح لاحقاً، وأيضاً: يعاد نفس المشهد عند بعثة وصيه مهدي آل محمد في الآخرين كما أكدته الروايات المتواترة<sup>(١)</sup>. والحق، إنّ هذا المشهد المؤلم – ولا شك – جزء من تمهيد الرسالة العيسوية وتمهيتها للرسالة المحمدية الكبرى أيضاً.

يقول السيد أحمد الحسن: (..... فجاءت بالمولود إلى من كانوا ينتظرونه والذين يفترض أنهم ينصرونه، هي لم تأت به إلى اليهود المعاندين، بل جاءت به إلى من كانوا

١- هذا مثال لها: (قال أمير المؤمنين عليه السلام لشيعته: كونوا في الناس كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها، ولو يعلم ما في أجوافها لم يفعل بها كما يفعل، خالطوا الناس بأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فإن لكل امرئ ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب، أما إنكم لن تروا ما تحبون وما تأملون – يا معشر الشيعة - حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين. وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كاللحم في العين، أو كالمخ في الطعام، وهو أقل الزاد.....

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: والله لتمحصن والله لتطيرن يمينا وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلا كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه وأيده بروح منه.

وفي رواية أخرى، عنهم عليهم السلام: حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا الأندر فالأندر (الغيبية، النعماني: ٣٣ – ٣٤).

ينتظرون ولادته سابقاً وتفاجأوا بأنّ المولود أنثى وهي مريم عليها السلام، الآن جاءتهم مريم بالمولود الذي ينتظرونه ويترقبون ولادته، بل وكانوا ينتظرون ولادته من والدي مريم بالخصوص؛ أي لم يحصل أي تغيير كبير فقط بدل أن يكون المولود هو مريم أصبح المولود المنتظر هو ابن مريم، فكانت كلماتهم الموجهة لمريم عليها السلام هي أقدر ما يمكن أن تهم به امرأة وهو الفاحشة: "يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً" أي أنّ عيسى عليه السلام شيء مفترى! أي ابن حرام!

هذه هي كلمات المؤمنين المنتظرين الذين كانوا يعتقدون أنّ المخلص المنتظر لهم سيكون من والدي مريم عليها السلام بالخصوص!! فماذا كان ممكناً أن تنتظر مريم من القسم الآخر من اليهود الذين كانوا عبارة عن علماء الهيكل وأتباعهم وهم كانوا قبل هذا الحدث يمتقنون مريم عليها السلام ويتربصون بها الدوائر! فكانت المعجزة التي لا بد منها لتنجو مريم عليها السلام من كيدهم وهي كلام الصبي في المهد، فشاء الله أن يؤمن عدد ممن حصلت هذه المعجزة أمامهم؛ آمنوا لأنهم يؤمنون بالغيب ولم يؤمن من كانوا يريدون معجزة قاهرة فقالوا: "هذا سحر" وقالوا: "نطق على لسانه شيطان من الجن" وقالوا: "أوهام"، وهكذا لم يعدموا حجة ليكفروا به كما هو حال أكثر الناس دائماً للأسف..... انتهى<sup>(١)</sup>.

- "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ..... \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً":

عيسى عليه السلام أثناء نطقه بالمهد كان آية من الله ونبيّاً وحجة على الحاضرين الذين سمعوا كلامه ولكنه نبي غير مرسل من الله، ثم سكوت وعاد لوضعه الطبيعي ليدخل عالم الامتحان "الدنيا" كأبي ممتحن آخر لتتحقق عدالة الله، وبقي الحجة في ذلك الزمان زكريا عليه السلام، ثم بعد وفاته كان الحجة ولده يحيى عليه السلام، وبعد بلوغ عيسى عليه السلام وتكلمه بالنبوة كان الحجة على يحيى وعلى سائر الناس<sup>(٢)</sup>.

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٦٥١.

٢- (عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أكان عيسى ابن مريم عليه السلام حين تكلم في المهد حجة [١] لله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيا حجة [١] لله غير مرسل أما تسمع لقوله حين قال: "إني عبد الله

يكمل السيد أحمد الحسن كلامه المتقدم فيقول: (وعاد عيسى عليه السلام إلى حالته الطبيعية كصبي ليدخل دنيا الامتحان ويحقق نتيجته في الامتحان عن استحقاق ولتتحقق عدالة الله فنسي ما حصل من نطقه في المهد كما نسي حاله في الذر لما حجب بالجسد، وأخذت مريم عيسى وابتعدت عنهم لتربيته وتحافظ عليه حتى يبعثه الله ويؤدي رسالته. وأيضاً في نفس الوقت فإن هذه الحادثة جعلت الانتظار يستمر بين المؤمنين وإن كان عددهم قليلاً فلما بعث عيسى عليه السلام وجد من كانوا ينتظرونه وتهيؤوا في غيبته التي استمرت من ولادته إلى بعثه فقاموا معه ونصروا دين الله. ...) انتهى<sup>(١)</sup>.

وبحسب بعض النصوص، كانت ولادة عيسى عليه السلام في ٢٥ من ذي القعدة<sup>(٢)</sup>.

أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" قلت: فكان يومئذ حجة لله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبّر عنها وكان نبيا حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضيت له سنتان وكان زكريا الحجة لله عز وجل على الناس بعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله عز وجل: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً" فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوما واحداً بغير حجة لله على الناس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض، فقلت: جعلت فداك أكان علي عليه السلام حجة من الله ورسوله على هذه الأمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: نعم يوم أقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته، وكانت طاعة علي عليه السلام واجبة على الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على أمته وعلى علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطاعة من الله ومن رسوله على الناس كلهم لعلي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان علي عليه السلام حكيماً عالماً الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٢ - ٣٨٣.

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٦٥١.

٢- (وروي عن الحسن بن علي الوشاء: قال: كنت مع أبي وأنا غلام فتعشينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمسة وعشرين من ذي القعدة فقال له: ليلة خمسة وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام، وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهراً) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢ / ٨٩.

**ملاحظة:** بخصوص الإنجيل، فإنه اكتفى بذكر حمل مريم عن طريق روح القدس <sup>(١)</sup>، ولم يتطرق لأي تفاصيل إضافية كمدة حملها، وظهور أثر الحمل من عدمه، وكذا مسألة صيامها عن الكلام، وأيضاً: نطق عيسى وهو في المهد، ونحو ذلك.

### مكان الولادة:

بخصوص المكان الذي ولد فيه عيسى عليه السلام، فهو – بحسب الرأي التقليدي المسيحي – مدينة "بيت لحم" التي تقع إلى جنوب القدس وتبعد عنها مسافة ٩ – ١٠ كيلو متر تقريباً، ولاحقاً بُني في الموضع كنيسة سميت "كنيسة المهد" في عام ٣٣٠ م، وهذا الأمر أشارت له بعض نصوص المسلمين <sup>(٢)</sup>.

#### ١- ورد ذلك في إنجيل متى ولوقا:

- (إنجيل متى – إصحاح ١): "٣٤ فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» ٣٥ فَأَجَابَ الْمَلَكُ وَقَالَ لَهَا: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَجِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَطْلِلُكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمُؤَلَّدُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ».

- (إنجيل لوقا – إصحاح ١): "١٨ أَمَّا وَلَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وَجَدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ".

#### ٢- هذه بعض النصوص:

- (عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل في صفة المعراج وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال لي جبرئيل: انزل فصل، فنزلت وصليت، فقال لي: تدري أين صليت؟ فقلت: لا، فقال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله، ثم قال لي: انزل فصل، فنزلت وصليت، فقال لي: أتدري أين صليت؟ فقلت: لا، فقال: صليت في بيت لحم وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ١٤ / ٢٠٨.

ومثله ورد في حديث الإسراء والمعراج، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢ / ٥٢.

- (وأخرج عبد بن حميد من طريق هلال بن خباب عن أبي عبيد الله فأجاءها المخاض إلى جذع نخلة يابسة قد جيء به ليبيي به بيت يقال له بيت لحم فحركته فإذا هونخلة) الدر المنثور، السيوطي: ٤ / ٢٦٧.

- (اليقوي: (وكان مولده بقرية يقال لها بيت لحم من قرى فلسطين، وكان ذلك يوم الثلاثاء لأربعة وعشرين يوماً خلت من كانون الأول) تاريخ اليعقوبي: ١ / ٦٨.

- (أبو الفدا: (وكان الميلاد في ليلة الرابع والعشرين من كانون الأول: وفي الليلة المذكورة ولدت مريم المسيح في قرية بالقرب من القدس تسمى بيت لحم) المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفدا): ١ / ٩٢.

و أيضاً: ورد ذكره في الإنجيل:

- " ١ وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ الْمَلِكِ، ... " إنجيل متى - إصحاح ٢.
- " ٤ فَصَعِدَ يَوْسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، ٥ لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمُخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. ٦ وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. ٧ فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضَجَعَتْهُ فِي الْمَدُودِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ " إنجيل لوقا - إصحاح ٢.

ولما كانت مدينة "بيت لحم" تتصف بمناخ بارد نوعاً ما، أشكل بعض المسيحيين على النص القرآني الذي ذكر ولادة مريم تحت نخلة مثمرة: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا \* فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا \* وَهَرِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" مريم: ٢٣ - ٢٥.

في مقابل ذلك، توجد بعض النصوص التي ذكرت العراق (كربلاء، الكوفة، النجف، الفرات) كمكان ذهبت له مريم عليها السلام عند الولادة<sup>(١)</sup>، وبعض الباحثين رجح ذلك

١- هذه بعض النصوص التي أشارت لذلك:

- (عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله: "فحملته فانتبذت به مكانا قصياً" قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها) تهذيب الأحكام، الطوسي، ٧٣/٦.

- (عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عز وجل: "وأويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين" قال: الربوة: الكوفة، والقرار: المسجد، والمعين: الفرات) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٧٣.

- (عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام إذ أتاه رجل نصراني ..... فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: ..... أما أم مريم فاسمها مرثا وهي وهيبة بالعربية وأما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال وهو اليوم الذي هبط فيه الروح الأمين وليس للمسلمين عيد كان أولى منه، عظمه الله تبارك وتعالى وعظمه محمد صلى الله عليه وآله، فأمر أن يجعله عيداً فهو يوم الجمعة وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء، لأربع ساعات ونصف من النهار والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى عليه السلام هل

بحجة أنّ بلاد الشام (فلسطين / بيت لحم) لا يوجد فيها نخيل ليقال لمريم: "هزي إليك بجذع النخلة!"

**أقول:** بخصوص الروايات التي ذكرت العراق يمكن توجيهها بأنّ المقصود فيها ذهاب روح مريم عليها السلام إلى تلك البقاع المشرقية الطاهرة لتتوسل إلى الله بمقام أصحابها ليعينها وييسر أمرها وينذل أمامها الصعاب التي تنتظرها!

وأما بخصوص إشكال النخيل، فهو إشكال تافه حقيقة، فالنخيل كان ولا يزال موجوداً في فلسطين:

يقول السيد أحمد الحسن: (بالنسبة إلى النصوص التي ذكرت كربلاء مثلاً: ممكن أن تُحمل على أنّ روح مريم عليها السلام طافت في كربلاء، أو أنّ الله كشف لها برؤيا تلك الأماكن، أما مكان الولادة بالواقع فلا إشكال أنها ولدت في بلاد الشام "فلسطين").

أما مسألة النخيل، فمن يقول إنه غير موجود في بلاد الشام؟

تاريخياً، دائماً كان النخيل موجوداً هناك، فصحيح أنّ البلدان المعروفة بزراعة النخيل هي العراق ثم المدينة، لكن هذا لا يعني أنّه غير موجود في الشام.

رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من مكة إلى المدينة قبل ١٤٠٠ سنة وكان النخيل موجوداً فيها ويقتاتون منه، والشام غير بعيدة عن المدينة، فحتى مع فرض عدم وجود النخيل في الشام كان يمكن للناس نقل زراعته لها بكل يسر وسهولة؛ خصوصاً في ظل

---

تعرفه؟ قال: لا، قال: هو الفرات وعليه شجر النخل والكرم وليس يساوي بالفرات شيء للكروم والنخيل، ..... الكافي، الكليني: ٤٧٨/١ - ٤٨٠.

- (عن حفص قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلل بساتين الكوفة فأنتهى إلى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحة ثم استند إلى النخلة فدعا بدعوات، ثم قال: يا [أبا] حفص إنها والله النخلة التي قال الله عز وجل لمريم عليها السلام: "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً") الكافي، الكليني: ١٤٣/٨ - ١٤٤.

**ملاحظة:** ممكن أن تكون النخلة من صنف النخلة التي أمرت مريم عليها السلام بهزها.

وجود ترابط تجاري دائم بين المنطقتين، ولا يفصل زمن عيسى عليه السلام عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله إلا بضعة مئات قليلة من السنين) انتهى<sup>(١)</sup>.

طبعاً، ما تقدم من دفع إشكال النخيل على النص القرآني مبني على فرض التسليم بوقوع الولادة ببيت لحم، لكننا يمكننا أن نفترض – وهو الأرجح – أن تكون الولادة حدثت ببيت المقدس أو نواحيها القريبة منها، وهي منطقة يتوفر فيها النخيل. وبالتالي، فلا إشكال في أن تكون مريم استظلت تحت إحداها أثناء الولادة.

يقول السيد أحمد الحسن: (من المعروف أن زكريا كان كاهناً يخدم قدس الأقداس بالهيكل، وكان كافلاً لمريم التي اتخذ لها مكان خدمة في نفس المكان، فمريم عاشت وتربت فيه وقبل وضعها كانت تخدم فيه وبعد ولادتها جاءت وقدمت مولدها في الهيكل، وبالتالي فوضعها في القدس أقرب).

وأما ما يذكره المسيحيون في موضوع ولادة عيسى فهو مجرد أمور افتراضية على أنها ولدت مولودها في بيت لحم في موضع محدد وأنه لا توجد أشجار نخيل في بيت لحم ... إلخ أيضاً: هم يقولون إنها اتجهت بعد الولادة إلى مصر.

ونحن بناء على هذا يمكننا أن نقول: من الممكن جداً أن تكون مريم موجودة في بيت المقدس أو القدس ولما جاءها المخاض وأحسّت بقرب الولادة تحركت إلى منطقة قريبة من القدس فيها نخيل، بل ممكن أن تكون الولادة حصلت في القدس نفسها، وربما هذا هو المرجح؛ باعتبار أنها كانت تعيش وتخدم هناك قبل ذلك، ثم بعد أن ولدت مولودها وقدمته في بيت المقدس تحركت باتجاه بيت لحم في طريق هجرتها إلى مصر؛ خصوصاً وأنّ الفاصل بين بيت لحم والقدس أقل من ١٠ كيلومتر، وهي مسافة ليست بعيدة.

وعموماً، لا يوجد ما يفرض القطع بأن تكون الولادة في بيت لحم بالخصوص، بل ممكن أن يكون ذهابها لبيت لحم حدث بعد ولادتها لعيسى ثم تحركت من بيت لحم إلى

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.



مصر، لكن أثناء مرورها ببيت لحم صادف أن توقفت في الموضع الذي يعرف الآن بكنيسة المولد وببيدها مولودها الذي ولدته حديثاً وقدمته في الهيكل فقيل بعد ذلك إنه موضع الولادة!

الواقع يقول أنّ اليهود كانوا مسيطرين على هذه المنطقة، والمسيحية لا وجود لها قبل ولادة المسيح أو في وقت ولادته ولم ينقل عن اليهود أن ولادة مريم كانت في بيت لحم، والمسيحيون كانوا افراد قلائل مضطهدين من قبل اليهود على الاقل حتى حدوث الثورة اليهودية وهدم الهيكل عام ٧٠ ميلادي، وبالتالي من أين علموا أنّ مريم أنجبت مولودها في بيت لحم وتحديداً في الموضع الذي بنو عليه كنيسة لاحقاً وأسموها "كنيسة المهد"؟ من أين عرفوا هذه التفاصيل على نحو القطع واليقين خصوصاً أنّ التحديد كان بعد فترة طويلة يدعي بعضهم أنه في القرن الثاني الميلادي تقريباً بينما البناء الذي يمثل التحديد الرسمي كان في القرن الرابع في عهد الامبراطور قسطنطين.

المسيحيون لم يعرفوا شيئاً - بنحو القطع - عن سيرة السيدة مريم؛ أين ولدت، أين عاشت، أين ولدت، أين ذهبت وماتت بعد رسالة عيسى! والسبب في ذلك معروف، فمريم لم يكن أحد يهتم لحالها ووضعها ولم تكن نظرة التبجيل والتقديس التي أحيطت بها لاحقاً موجودة آنذاك وإنما احتاج هذا الأمر إلى مرور أكثر من ثلاثة قرون تقريباً (في عصر قسطنطين) بعد انتشار المسيحية والاعتراف بها ديناً رسمياً) انتهى<sup>(١)</sup>.

إذا عرفنا هذا، فإنّ النصوص الدينية التي تقدمت وربطت بين بيت لحم وولادة عيسى يمكننا أن نفهمها بالنحو الذي ذكره السيد أحمد الحسن الآن، بمعنى أنّ بيت لحم كانت مجرد منطقة مرّت بها مريم وهي حديثة عهد بمولودها، سواء مكثت فيها فترة أو كانت محطة للاستراحة والاجتياز باتجاه مصر كما هو ثابت عند المسيحيين.

---

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

### الوضع العام عند الولادة:

أخفى الله سبحانه ولادة عيسى عليه السلام، وحتى لما جاءت به أمه لقومها كان المجيء فترة محدودة جداً لإقامة الحجّة عليهم لا أكثر، ثم غيّبت نفسها لاحتضان وليدها وتربيته وحفظه من أعين الطواغيت المتسلّطين في ذلك الزمان<sup>(١)</sup> الذين آذوا بني إسرائيل المنتظرين بعث عيسى أذى كبيراً؛ إذ كان بيت المقدس والشام عموماً يقع تحت حكم الإمبراطورية الرومانية بزعامة الامبراطور "أغسطس قيصر" الذي عيّن "هيرودس الكبير" كحاكم محلي على اليهود في بيت المقدس.

لهذا، بعض الروايات التاريخية تذكر أنّ هيرودس لما أحس بالخطر من ولادة طفل "ملك اليهود" أمر بقتل المواليد الجدد في "بيت لحم"، فخرجت مريم بوليدها إلى مصر وبقيت فيها فترة (سنوات قلائل) إلى حين موت هيرودس وتعيين ابنه "أرخيلاوس" خلفاً له، فعادت من مصر إلى الجليل واستقرت في "الناصرة" تحديداً، ولهذا عرف عليه السلام لاحقاً بـ "عيسى الناصري"<sup>(٢)</sup>.

كانت السيدة مريم خلال تنشئة عيسى عليه السلام تتردد على بيت المقدس والهيكل في بعض المناسبات، أما عيسى فلم يذهب ويواجه علماء اليهود والهيكل إلا بعد بعثه

١- (جعفر بن محمد بن عمارة ، عن أبيه قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أخبرني بوفاة موسى بن عمران عليه السلام، فقال: إنه لما أتاه أجله واستوفي مدته وانقطع أكله أتاه ملك الموت عليه السلام ..... فلما ولد المسيح عليه السلام أخفى الله عز وجل ولادته وغيّب شخصه، لأن مريم عليها السلام لما حملته انتبذت به مكاناً قصياً، ثم إن زكريا وخالتها أقبلًا يقصّان أثرها حتى هجما عليها وقد وضعت ما في بطنها وهي تقول: "يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً" فأطلق الله تعالى ذكره لسانه بعذرها وإظهار حجّتها، فلما ظهرت اشتدت البلوى والطلب على بني إسرائيل وأكب الجبابرة والطواغيت عليهم حتى كان من أمر المسيح ما قد أخبر الله عز وجل به واستتر شمعون بن حمون والشيعية حتى أفضى بهم الاستتار إلى جزيرة من جزائر البحر ..... كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٥٨ - ١٥٩.

٢- (علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ..... لم سمي النصارى نصارى؟ قال: لأنهم كانوا من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام، نزلتها مريم ونزلها عيسى عليهما السلام بعد رجوعهما من مصر) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٨٠ - ٨١. وأيضاً: انظر: تاريخ مختصر الدول، ابن العبري: ٦٦.

وإرساله بشكل علني عند بلوغه الثلاثين من عمره. نعم، بحسب النص الإنجيلي فقد ذهب مرة بعمر ١٢ سنة إلى أورشليم برفقة أمه ويوسف النجار وبقي فيها ثلاثة أيام<sup>(١)</sup>.

## زهده وصلاته:

كان عيسى صلوات الله عليه عبداً لله، دائم الذكر والصلاة له، وكيف لا يكون كذلك وقد أوصاه الله بها<sup>(٢)</sup>: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا" مريم: ٣١. وفي الإنجيل: "١٦ وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَغْتَزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي" إنجيل لوقا - إصحاح ٥.

وأيضاً: معروف عنه الزهد بشكل واضح إلى درجة أن كان إدامه الجوع وخادمه يداه ودابته رجلاه<sup>(٣)</sup>! وفي الإنجيل: "٢٢ وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: مِنْ أَجْلِ هَذَا أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا

١- (إنجيل لوقا - إصحاح ٢): "٤٠ وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. ٤١ وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. ٤٢ وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. ٤٣ وَبَعْدَ مَا اكْتَمَلُوا الْأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. ٤٤ وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفُقَةِ، ذَهَبًا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. ٤٥ وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. ٤٦ وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. ٤٧ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ يَعْجَبُونَ مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوَبَتِهِ. ٤٨ فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشُوا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعْذَرِينَ!» ٤٩ فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟» ٥٠ فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. ٥١ ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعًا لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. ٥٢ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ".

٢- (عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عز وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئا بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: "وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا") الكافي، الكليني: ٣ / ٢٦٤.

٣- قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في بعض خطبه: (وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب. وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر. وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم. ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله. دابته رجلاه، وخادمه يداه) نهج البلاغة، خطب الإمام علي.

(عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام في خطبة قام بها في بني إسرائيل: أصبحت فيكم وإدامي الجوع، وطعامي ما تنبت الأرض للوحوش والانعام، وسراجي القمر، وفراشي التراب، ووسادتي الحجر، ليس لي بيت يخرب ولا مال يتلف ولا ولد يموت ولا امرأة تحزن، أصبحت وليس لي شيء وأمست وليس لي شيء، وأنا أغنى ولد آدم) معاني الأخبار، الصدوق: ٢٥٢.

لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَلَا لِلْجَسَدِ بِمَا تَلْبَسُونَ. ٢٣ الْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللَّبَاسِ" إنجيل لوقا - إصحاح ١٢.

كان يصف نفسه لبني إسرائيل فيقول لهم: (خادمي يداي ودابتي رجلاي وفراشي الأرض ووسادي الحجر ودفي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي القمر وإدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وفاكمتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام أبيت وليس معي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني)<sup>(١)</sup>.

وسيتضح عند عرض تفاصيل رسالته لماذا اختار عيسى صلوات الله عليه الزهد بصورة قاسية كنهج عام يطبع سيرته الرسالية بوضوح.

## بعثة عيسى (ع):

بحسب بعض النصوص، فإن الله سبحانه بعث عيسى بعمر ثلاثين سنة، وكان دليله النص والعلم، وتأنيده من قبل الله بآيات ومعاجز كإحياء الموتى وشفاء المرضى كما سيتضح<sup>(٢)</sup>.

١- إرشاد القلوب، الدليمي: ١٥٦/١ - ١٥٧.

٢- (عن ابن عباس، قال: لما مضى لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة، بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل، فلقيه إبليس لعنه الله على عقبة بيت المقدس، وهي عقبة أفيق، فقال له: يا عيسى أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أن تكونت من غير أب؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي كونني، وكذلك كون آدم وحواء. قال إبليس: يا عيسى، فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبيها؟ قال عيسى عليه السلام: يا إبليس، بل العظمة للذي أنطقني في صغري ولو شاء لأبكميني. قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيصير طيرا؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي خلقتي وخلق ما سخر لي. قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تشفي المرضى؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي بإذنه أشفيهم، وإذا شاء أمرضني. قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي بإذنه أحييهم، ولا بد من أن يميت ما أحييت، ويميتني. قال إبليس: يا عيسى، فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبتل قدماك ولا ترسخ فيه؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي ذلله لي ولو شاء أغرقني. قال إبليس: يا عيسى، فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنه سيأتي عليك يوم تكون السماوات والأرض ومن فيهن دونك، وأنت فوق ذلك كله تدبر الأمر وتقسم الأرزاق؟ فأعظم عيسى عليه السلام ذلك من قول

سن الثلاثين أشار له الإنجيل أيضاً: "٢٣ وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً..."  
إنجيل لوقا - إصحاح ٣.

### دليل صدقه:

قانون معرفة الرسل (النص، العلم، الدعوة إلى الله) هو الدليل الأصل في معرفة رسل الله جميعاً ومنهم عيسى صلوات الله عليه، فالنصوص وبشارات الرسل السابقين (كموسى وداود عليهما السلام ومن تلاهما وصولاً إلى جده لأمه نبي الله عمران) كانت واضحة لدى عموم الإسرائيليين، ولهذا كان كثير منهم يترقبون قدومه وينتظرون بعثه بعنوان "ملك اليهود، المخلص" الذي ينجيهم ويخلصهم من العذاب الذي كانوا فيه.

وكمثال: هذه بشارة داود عليه السلام التي يؤمن بها جميع اليهود:

سفر المزامير ٢: ١ "لِمَاذَا اِزْتَجَبَتِ الْأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ ٢ قَامَ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَتَأَمَّرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: ٣ «لِنَقْطَعْ قُبُودَهُمَا، وَلِنَطْرَحَ عَنَّْا رُبُطَهُمَا». ..... ٦ «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي». ٧ إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. ٨ اسْأَلْنِي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَ أَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ".

وأيضاً: يحيى عليه السلام الذي عاصره <sup>(١)</sup> كان يبشّره، وآمن به عند بعثه، ولذا لُقّب بـ "المعمدان"؛ باعتبار أنه كان يمهد الطريق له ويبشّره علانية، وقد آمن به وعمّده عيسى في نهر الأردن عند مجيئه له في بدء بعثته:

---

إبليس الكافر اللعين، فقال عيسى عليه السلام: سبحان الله ملء سماواته وأرضيه ومداد كلماته وزنة عرشه ورضا نفسه. قال: فلما سمع إبليس لعنه الله ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئاً حتى وقع في اللجة الخضراء) الأمالي، الصدوق: ٢٧٢ - ٢٧٣.

١- فارق العمر بينهما قليل بحسب ما ذكر بعض المؤرخين، بل روي التزامن بالحمل: (ف) قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء". فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم فإذا برجل شاب هو جبريل ففزع زكراً منه فقال له "إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله" يعني عيسى بن مريم عليه السلام ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك أنّ أمه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها: يا مريم أحامل أنت؟ فقالت

إنجيل متى - إصحاح ٣: ١ "وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يُكْرِزُ فِي بَرِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلًا: «تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدْ أَقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. ٣ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً». ٤ وَيُوحَنَّا هَذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الْإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا. ٥ حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأُزْدُنِ، ٦ وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الْأُزْدُنِ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ. ٧ فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ، قَالَ لَهُمْ: «يَا أَوْلَادَ الْأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْتَرَبُوا مِنْ الْغَضَبِ الْآتِي؟ ٨ فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ. ٩ وَلَا تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لَأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحَجَارَةِ أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمَ. ١٠ وَالْآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ١١ أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. ١٢ الَّذِي رَفَشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيَنْقِي بَيَدْرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ». ١٣ حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ الْجَلِيلِ إِلَى الْأُزْدُنِ إِلَى يُوحَنَّا لِيُعْتَمِدَ مِنْهُ. ١٤ وَلَكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» ١٥ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الْآنَ، لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نُكْمَلَ كُلُّ بَرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. ١٦ فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، ١٧ وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ».

مسألة النص على عيسى عليه السلام والتبشير به من قبل يحيى ومن سبقه من رسل الله أمر ثابت ومؤكد من قبل أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup>.

لماذا تسأليني؟ قالت: لما أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠.

١- (عن مقاتل بن سليمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا سيد النبيين، ووصي سيد الوصيين، وأوصياؤه سادة الأوصياء، إن آدم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يجعل له وصيا صالحا، فأوحى الله إليه: أني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء. ثم أوحى الله عز وجل إليه: يا آدم، أوص إلى شيث النبي، فأوصى آدم عليه السلام إلى شيث، وهو هبة بن آدم، ..... وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران، وأوصى موسى إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع إلى داود عليه السلام، وأوصى داود

وأما العلم: فيمكن قراءة "الإنجيل" الذي ضمَّ العديد من تعاليمه ووصاياه ونهجه صلوات الله عليه (١)، وفي القرآن أيضاً:

- "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ" المائدة: ١١٠.

- "وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالزَّخْرَف: ٦٣.

وكذا الدعوة إلى الله وحاكميته:

- "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" الصف: ٦.

وبعد توفر قانون معرفة الرسل بفقراته الثلاث لدى عيسى عليه السلام يثبت صدق بعثته وإرساله من الله.

كما أنّ الله سبحانه أيّد وعزّز صدقه بمعاجزو آيات كإحياء الموتى وإبراء المرضى ونحو ذلك:

- "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

---

إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، وأوصى آصف إلى زكريا، ودفعها زكريا إلى عيسى عليه السلام، .....) الأمالي، الطوسي: ٤٤٢ - ٤٤٣.

١- (عن جابر الجعفي عليه السلام في تفسير هذه الآية "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب" قال: إن الاسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً فاحتجب الرب تبارك وتعالى منها بحرف، فمن ثم لا يعلم أحد ما في نفسه عز وجل، أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً، فتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى عيسى، فذلك قول عيسى "تعلم ما في نفسي" يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر، يقول: أنت علمتها فأنت تعلمها، ولا أعلم ما في نفسك، يقول: لأنك احتجبت [من خلقك] بذلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٣٥١ / ١ - ٣٥٢.

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ  
وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ" المائدة: ١١٠.

واضح أنَّ الآيات والمعاجز المادية التي جاء بها عيسى عليه السلام كمؤيد للنص لم تكن قاهرة على الإيمان<sup>(١)</sup>، وإنما أبقت مساحة للإيمان بالغيب وكان فيها التباس وشبهة، ولهذا وصفت من قبل المعاندين بالسحر: "إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ"، ووصفها الفريسون "الأخبار" بأنها تصدر بقوة كبير الشياطين "بعلزبول":

- "٢٢ حِينَئِذٍ أَحْضَرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الْأَعْمَى الْأَخْرَسَ  
تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. ٢٣ فَهَيَّتَ كُلَّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟» ٢٤ أَمَّا  
الْفَرِيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِبَعْلَزْبُولَ رَئِيسِ  
الشَّيَاطِينِ»" إنجيل متى - إصحاح ١٢.

- "٢٢ وَأَمَّا الْكَتَبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا: «إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزْبُولَ! وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ  
الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ»" إنجيل مرقس - إصحاح ٣.

وقد عرفنا سابقاً (ضمن بحوث رسالة موسى عليه السلام) أنَّ سبب عدم كون المعاجز قاهرة هو أنَّ الله سبحانه لا يقبل الإيمان القهري الذي يلغي الغيب تماماً ولا يبقى له أي مساحة، ولهذا رأينا أنَّ الله قبل إيمان السحرة ولم يقبل إيمان فرعون، والأمر هنا كذلك؛ باعتبار أنَّ دين الله واحد. ففي مسألة إحياء الموتى مثلاً: كان عيسى صلوات الله عليه يحيي - غالباً - من كان موتهم قريباً، كما فعل مع صديقه "العاذر" ومع "ابنة

١- (عن أبي الجارود عن أبي جعفر محمد ابن علي عليهما السلام في قوله: "وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وما تدخرون في بيوتكم" فَإِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَإِنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخْتُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، الْأَكْمَهَ هُوَ الْأَعْمَى، قَالُوا: مَا نَرَى الَّذِي تَصْنَعُ إِلَّا سِحْرًا فَأَرْنَا آيَةَ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ "بِمَا تَأْكُلُونَ وما تدخرون" يَقُولُ مَا أَكَلْتُمْ فِي بَيْتِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجُوا وَمَا ذَخَرْتُمُ اللَّيْلَ، تَعْلَمُونَ أَنِّي صَادِقٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَكَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ أَكَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَشَرِبْتَ كَذَا وَكَذَا وَرَفَعْتَ كَذَا وَكَذَا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ فَيُؤْمِنُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْكَرُ فَيَكْفُرُ، وَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١/ ١٠٢.



العاشر" ومع ابن امرأة عجوز مرت جنازته عليه وهو يسير<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الإنجيل بعضاً من هذه المعاجز<sup>(٢)</sup>. والملاحظ في جميع هذه الأمثلة أن الموتى كانوا قريبي عهد بالموت، ولهذا كان كثير من اليهود يقولون عن عيسى: "إنه يحيي من كان قريب عهد بالموت فلعلهم لم يموتوا، بل أصابهم عارض معين ثم أفاقوا بعد زواله!" واضح أنه كان من السهل جداً على أصحاب القلوب المنكرة أن يصفوا فعله بالسحروليس إحياء حقيقياً؛ وقد قص القرآن والإنجيل حالهم كما لاحظنا.

الحقيقة، لا شيء اسمه قهروإلجاء في دنيا الامتحان، فالإيمان القهري يلغي الامتحان وبالتالي لا يمكن أن يتوقع حصوله في عالم الامتحان، وإلا لانتفت حكمة الله وعدالته؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٣)</sup>، والحمد لله الذي اختار الإيمان بالغيب وارتضاه سبيلاً للمؤمنين به وبرسله.

١- (ثم قال عيسى: "وأخي الموتى بإذن الله" فسألوا جالينوس عنه فقال: الميت لا يحيى بالعلاج فإن كان هو يحيى فهو نبي وليس بطبيب فطلبوا أن يحيى الموتى فأحى أربعة أنفُس أحى العاذروكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أذاك العاذريموت فأتاه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال انطلق بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى: اللهم رب السماوات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم أنني أحيى الموتى فأحي العاذرقام العاذرفخرج من قبره وبقي وولد له. وأحي ابن عجوز مرَّبه ميتاً على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله وبقي وولد له. وأحي ابنة العاشر الذي يأخذ العشور قيل له: أحيا وقد ماتت أمس، فدعا الله فعاشت وبقيت وولد لها فقالوا: إنه يحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل أصابهم سكتة ...) تفسير مقتنيات الدرر، الطهراني: ٢٠٢ / ٢.

٢- ورد في: (إنجيل مرقس - إصحاح ٥): "٢١ وَلَمَّا اجْتَازَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضًا إِلَى الْعَبْرِ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ. ٢٢ وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَابُوسُ جَاءَ. وَلَمَّا رَأَهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ، ٢٣ وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا قَائِلًا: «ابْنِي الصَّغِيرَةُ عَلَى اخِرَ نَسَمَةٍ. لَبِثْتُكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيَّ لِتُشْفِيَ فَتَحْيَا!» ٢٤ فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحَمُونَهُ. ....". وأيضاً في (إنجيل لوقا - إصحاح ٧): "١١ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تَدْعَى نَايِينَ، وَدَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ. ١٢ فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مِثْتُ مَحْمُولٌ، ابْنٌ وَجِيدٌ لَأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. ١٣ فَلَمَّا رَأَاهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: «لَا تَبْكِي». ١٤ ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَكَسَ النَّعْشَ، فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!» ١٥ فَجَلَسَ الْمِثْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ".

٣- بحثنا هذا الأمر بالتفصيل عند بيان موقع المعجزة المادية في الدين الإلهي ضمن بحوث رسالة موسى عليه السلام، فراجع.

### دين عيسى (٤):

دين عيسى عليه السلام هو دين الله وهو دين الرسل السابقين على المستويين العقائدي، وكذا التشريعي بالجملة؛ فضلاً عن الأخلاقي والتربوي العام، لكن - كما قلت في رسالة موسى - لا يمكن وصف دين عيسى بالحنيفية (الصفة التي طبعت رسالة إبراهيم)؛ نتيجة كثرة التغيير الذي طرأ على شرائعها بأمر الله.

### على مستوى العقيدة:

دعا عيسى عليه السلام الناس إلى توحيد الله والإقرار بشهادة: "لا إله إلا الله" (١).

وهذه بعض وصاياه في القرآن والإنجيل بتوحيد الله وأنه مرسل منه ودعوته الناس إلى عبادة الله وتقواه:

- "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ" آل عمران: ٥٢.
- "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" المائدة: ١١٢.
- "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا

---

١- (عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ..... ثم بعث الله عيسى عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء به من عند الله وجعل لهم شرعة ومنهاجاً فهدمت السبت الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سبيل عيسى أدخله الله النار وإن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشركوا بالله شيئاً، ثم بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وهو بمكة عشر سنين فلم يمت بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله إلا أدخله الله الجنة بإقراره وهو إيمان التصديق ولم يعذب الله أحداً ممن مات وهو متبع لمحمد صلى الله عليه وآله على ذلك إلا من أشرك بالرحمن) الكافي، الكليني: ٢ / ٢٩ - ٣٠.

- أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" المائدة: ١١٦ - ١١٧.
- "وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" الزخرف: ٦٤.
- "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ" الصف: ٦.
- "يَا أَهْلَهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ" الصف: ١٤.
- "٢٨ فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكُتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «آيَةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» ٢٩ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ" إنجيل مرقس - إصحاح ١٢.
- "٣ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" إنجيل يوحنا - إصحاح ٣.
- "١٠ جِئْنِيذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ»" إنجيل متى - إصحاح ٤.
- "١٨ وَسَأَلَهُ رَئِيسُ قَائِلًا: «أَهْلُهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرْثَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ؟» ١٩ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ" إنجيل لوقا - إصحاح ١٨.

وأيضاً: دعاهم إلى الإيمان به بوصفه مرسلًا من الله، ثم معرفة الله ورسله ورضاه ودينه من خلال رسله <sup>(١)</sup>، وهذا هو جوهر الدين الإلهي وأساسه. أما الاعتقاد بالوهية

١- (عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت: إنا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحق فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال: يا أبا محمد إنما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأجيب وإن رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة، ثم دعا فلم يستجب له فأتى عيسى ابن مريم عليه السلام يشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء قال: فتطهر عيسى وصلى ثم دعا الله عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه يا عيسى إن عبيدي أتاني من غير الباب الذي أوتي منه، إنه دعاني وفي قلبه شك منك فلو دعاني حتى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال: تدعورك وأنت في

عيسى وبدعة الأفانيم الثلاثة فهي عقيدة منحرفة وظهورها كان متأخراً عن زمان بعثة عيسى ورسالته؛ فقد أُقرّت في "مجمع نيقية" بعد رفع عيسى عليه السلام بما يقرب من ثلاث قرون<sup>(١)</sup>!

شك من نبيه؟ فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فادع الله [لي] أن يذهب به عني قال: فدعا له عيسى عليه السلام فتاب الله عليه وقبل منه وصار في حد أهل بيته) الكافي، الكليتي: ٤٠٠ / ٢.

١- يقول السيد أحمد الحسن: (حضر افتتاح المجمع الإمبراطور قسطنطين الأول وبدأ مجمع نيقية جلساته في ٢٠ مايو ٣٢٥، عقد المجمع بناء على تعليمات من الإمبراطور قسطنطين الأول لدراسة الخلافات بين أريوس وأتباعه من جهة وبين كنيسة الإسكندرية ممثلة بالكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) وأتباعه من جهة أخرى، حول طبيعة يسوع هل هي نفس طبيعة الرب أم طبيعة البشر.

أنكر أريوس ألوهية يسوع فاعتقد بأنه كان هناك وقت لم يكن يسوع موجوداً فيه، واعتبره رفيعاً بين مخلوقات الله ومن صنّعه، كما اعتبر أن الروح القدس من صنّع الله أيضاً. بينما أكد الكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) على أنّ طبيعة المسيح هي من نفس طبيعة الله وتغلب رأي الكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) بالاقتراع الذي كان تحت سلطة الإمبراطور قسطنطين المؤيد لبابا الإسكندرية ورفض أريوس واثنين من القساوسة بإصرار التوقيع من ثم تم نفيهم إلى اليرا (حالياً البلقان) وحرق كتب أريوس وسعي مذهبه بدعة أريوس ووصم أتباعه إلى اليوم بلقب أعداء المسيحية.

ونتج عن مجمع نيقية أول أشكال قانون الاعتقاد بالوهية المسيح ألوهية مطلقة وبدأت علاقة الكنيسة بالسلطة بالتشكل بعد أن كانت كياناً دينياً. وبعد ثلاثة قرون من تطور الفكر الكنيسي واختلاطه بالأفكار والأديان المحيطة في كل الاتجاهات ومنها الوثنية الرومانية الديانة السابقة لقسطنطين أصبحت الكنيسة المدعومة من الإمبراطور الروماني هي المرجع والسلطة في تحديد من يدخل في نطاق الإيمان من عدمه).

هذا الكلام تقريباً مطابق لكل ما ورد عن الكنيسة وتاريخياً عن هذا المجمع بتصرف طبعاً، فلا أعتقد أنّ باحثاً منصفاً سيفعل عن إسناد قسطنطين لإلكسندروس وتثبيت عقيدته الوثنية في المسيحية، فبعد أن كان نصف القساوسة المسيحيين يؤيدون أريوس جعلهم الخوف من بطش قسطنطين يتراجعون، ومن لا يعلم من هو قسطنطين وكيف كان جباراً وبيطش بمن خالفه، ولو كان أقرب الناس منه فليراجع تاريخ هذا الطاغية الذي نشر المسيحية المحرفة في أوروبا، والذي لم يتوان عن قتل أرحامه وأقرب الناس منه إن خالفوه. بينما تجد قساوسة اليوم يغضون النظر عن تاريخ قسطنطين الدموي ويصورون قسطنطين بأنه حمل وديع عقد المجمع وأعطى الحرية للجميع من وافقه ومن خالفه، ورغم أنّ نفي واضطهاد أريوس وتحريم اعتقاده بعد المجمع كافٍ للتعرف على الغاية والهدف من عقد هذا المجمع وهما القضاء على أريوس والاعتقاد بأنّ المسيح مجرد مخلوق ونشر الاعتقاد الوثني بالمسيح وإنه هو الله.

وهذا هو ما أقر في مجمع نيقية: (ترجمة النص اليوناني: نؤمن بإله واحد، أبٍ قادر على كل شيء، صانع كل الأشياء المرئية واللامرئية، وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله، مولود الأب الوحيد، أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا

نزل وتجسّد، تألّس، تألّم وقام في اليوم الثالث الذي بواسطته كل الأشياء وُجِدَت، تلك التي في السماء وتلك التي في الأرض [و] صعد إلى السماوات، أت ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس، أما أولئك الذين يقولون: "كان هناك وقتٌ فيه (الكلمة) لم يكن"، و: "قبل أن يكون مولوداً لم يكن" وبأنّه وُجِدَ ممّا هو غير موجود أو يقولون عن كيان ابن الله أنّه من شخص أو جوهر آخر أو (أنه "مخلوق")! أو أنّه متحوّل أو متغيّر، أولئك الكنيسة الجامعة تحرمهم). وقام جميع الأساقفة الحاضرين بالتوقيع على قانون الإيمان هذا فيما عدا اثنين منهم - وربما أكثر - بالإضافة طبعاً إلى أريوس وجماعته.

ويقول بابا الأرثوذكس في مصر شنودة الثالث في كتابه "طبيعة المسيح": (كان أريوس ينكر لاهوت المسيح، ويرى أنه أقل من الآب في الجوهر، وأنه مخلوق، وما زالت جذور الأريوسية قائمة حتى الآن. حتى بعد أن شجّبا مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ م، ظل أريوس والأريوسيون من بعده سبب تعب وشقاق وشك للكنيسة المقدسة).

وطبعاً، شنودة الثالث هنا يعرض بشهود يهوه المذهب المسيحي الذي أخذ بالانتشار بشكل كبير في العالم المسيحي وخصوصاً في الغرب، وشهود يهوه لا يقرون بكثير من ضلالات الكنيسة من أمثال الثالوث وأنّ الكلمة هي الله وغيرها من البدع، ومما يدل على أنّ القول بلاهوت المسيح هو بدعة ثبتت في مجمع نيقية هو أنّ نصف الحاضرين في مجمع نيقية كانوا يؤيدون أريوس أو محايدون وأنّ الاعتقاد بأنّ عيسى عليه السلام (يسوع) مجرد مخلوق كانت هي المنتشرة والسائدة في عهد أريوس، وهذا أمر يعترف به القساوسة في كتبهم وإلى اليوم.

جاء في أبحاث في المجمع المسكونية المسيحية - للمطران بيشوي: (..... ٤- مجمع نيقية: ١ ظروف انعقاده .....  
ب- أما السبب المباشر لعقد المجمع فقد كان بدعة أريوس، لأن الإمبراطورية كادت تنقسم بسبب تلك البدعة .....  
.....

انعقد المجمع المسكوني بأمر الملك قسطنطين خوفاً من الانقسام الحاد الحادث في الإمبراطورية بسبب بدعة أريوس. وكان انعقاده سنة ٣٢٥ م في نيقية بعدد ٣١٨ أسقفاً، كما ذكر القديس أثناسيوس الذي كان شاهداً عياناً وأحد أعضاء المجمع في خطاب له في البداية كان ١٦ أسقفاً مؤيدين لأريوس، و ٢٢ أسقفاً مؤيدين للبابا ألكسندروس، والباقي لم يكن موقفهم قد تحدد بعد. أما بنهاية المجمع فقد ظل أسقفين فقط مؤيدين لأريوس وهما سيكوندوس وثيوناس اللذين رفضا التوقيع على إيمان المجمع مع الكهنة الملتصقين بهما، وفي أيام القديس إبيفانيوس كانت توقيعات الـ ٣١٨ الحاضرين في نيقية لازالت موجودة. هذا كان بفضل شرح القديس أثناسيوس للإيمان ورده على افتراءات أريوس، وفي هذا نرى مدى عظمة الدفاع السكندري في المجمع. ولم يكن الوصول لقرار المجمع بالأمر الهين، بل استدعى الأمر مجهوداً رهيباً .....  
٥- مجمع نيقية: (٢) أريوس وهرطقته .....

مر وقت كاد فيه العالم كله تقريباً أن يصير أريوسياً لولا أثناسيوس. ففي وقت من الأوقات عزل الإمبراطور البابا الروماني وعين آخر مكانه ليوقع على قانون الإيمان الأريوسي، ولما عاد البابا من سجنه إلى كرسيه وقّع على قانون الإيمان الأريوسي الذي كان قد رفض التوقيع عليه من قبل. هذه هي المرحلة التي لم يبق فيها سوى أثناسيوس وأساقفته في مصر وحدهم هم المتمسكون بالإيمان الصحيح. لذلك ليس غريباً أن يقول أسعيا النبي: "مبارك شعبي مصر" (أش ١٩: ٢٥). لكن في أوقات أخرى كثيرة ساند كرسي روما البابا السكندري، مثل الباباوات معاصري البابا أثناسيوس الذين ساندوه.

قال تعالى:

- "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا" النساء: ١٧١.
- "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" الأنعام: ١٠١.
- "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ" المؤمنون: ٩١.

الاعتقاد بأن الله سبحانه واحد أحد (غير مركب) لا تقتصر نصوصه على القرآن الكريم فحسب، ولكنها حقيقة أكدتها نصوص العهدين القديم والجديد أيضاً، ولا شك أنها نصوص يعتقد بها المسيحيون كما يفترض<sup>(١)</sup>.

انهارت المسيحية في العالم كله وخضعت أمام الطغيان الأيوسي ولم يبق سوى كرسي الإسكندرية ممثلاً في البابا السكندري المنفى وأساقفته المصريين. ونحن علينا أن نفتفي آثار خطوات آبائنا ..... (المجامع المسكونية المسيحية - المجامع المسكونية والهرطقات - المطران بيشوي) انتهى، كتاب التوحيد، السيد أحمد الحسن - الهامش.

١- هذه بعض النصوص:

أولاً: من العهد القديم:

- سفر التثنية - إصحاح ٤: ٣٩ "فَاعْلَمْ الْيَوْمَ وَرَدَدْتُ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ إِلَهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ، لَيْسَ سِوَاهُ".
- سفر التثنية - إصحاح ٦: ٤ "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ".
- سفر التثنية - إصحاح ٣٢: ٣٩ "أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلَهٌ مَعِي".
- سفر إشعياء - إصحاح ٤٤: ٦ "أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي".
- سفر إشعياء - إصحاح ٤٤: ٢٤ "أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ نَاشِئُ السَّمَاوَاتِ وَخَدِي. بِأَسِطُّ الْأَرْضِ. مَنْ مَعِيَ؟".
- سفر إشعياء - إصحاح ٤٥: ١١ "أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلَا إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهُ بَارٌّ وَمُخْلِصٌ. لَيْسَ سِوَايَ".
- سفر ملاخي - إصحاح ٢: ١٠ "أَلَيْسَ إِلَهُ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟".

ناقش السيد أحمد الحسن في كتاب "التوحيد" عقيدة الأقانيم الثلاثة التي قال بها المسيحيون، وأثبت بطلانها عقلاً ونقلاً، قال:

(هو الله سبحانه الواحد الأحد وكل من سواه خلقه:

الله سبحانه وتعالى ردَّ في القرآن الكريم على الذين قالوا إنّ لله سبحانه ابناً انفصل عنه أو وُلِدَ منه أو صَدَرَ عنه بمعنى أنه لاهوت مطلق صدر عن لاهوت مطلق، أو الذين يقولون إنّ الإنسان المخلوق يمكن أن يرتقي حتى يكون موصولاً باللاهوت المطلق، أي أن حقيقة هذا الإنسان تكون اللاهوت المطلق؛ لأنه اتحد باللاهوت المطلق، وبهذا حسب تفكيرهم يكون اللاهوت المطلق قد نزل في الناسوت وبالجسد، أو بين الناس في إنسان منهم وهذا الإنسان يكون ابن الله!

والحقيقة مع أن هذا الطرح العقائدي الذي تبناه العلماء غير العاملين باطل، ولكن الله سبحانه وتعالى ولرحمته خاطرهم وكلمهم حتى في تفاصيل التنظير لهذا الاعتقاد، فتجده تعالى يفصل لهم ويبين لهم مواضع الخلل في عقيدتهم، قال تعالى: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" الأنعام: ١٠١.

"أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ": وهذا النقص التام الذي كلمهم الله به لا يمكنهم رده بأي شكل أو صورة؛ حيث إنّ معناه: إنكم تقولون بوجود ولد له سبحانه وتعالى، وهذا الولد هو لاهوت مطلق (أي أنه كامل مطلق وغني مطلق لا يفتقر لغيره)، فإن قلتم إنه صدر منه وحده سبحانه وتعالى، فهذا يعني أنّ الابن مطابق للأب تماماً، وبغض النظر عن أنّ الحقيقة البسيطة المطلقة يستحيل تعددها، فأني معنى وأي حكمة من هذا

---

- سفر الخروج - إصحاح ٢٠: ٢ "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ٣ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي".

ثانياً: من العهد الجديد:

- سفر مرقس - إصحاح ١٢: ٢٣ بِالْحَقِّ قُلْتُ لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ".

- سفر يوحنا - إصحاح ٥: ٤٤ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُ تَطْلُبُونَهُ؟".

الصدور، مع عدم وجود أي تمايز أو اختلاف أو تغاير يمكن تصوره؟! فهل تقولون إن الأب غير حكيم ليصدر أو ليلد ابناً له لا فائدة له سبحانه أو لغيره من صدوره؟!

وإن قلتم بوجود الاختلاف أو التمايز أو التغاير – كما يصرح النصراني اليوم أن الأقانيم متميزة – فهذا يحتم وجود لاهوت ثان "..... صَاحِبَةً....." ليكون الابن صادراً عن الاثنين فلا يطابق أحدهما؛ لأنه صدر عنهما معاً، فهل أنتم تقولون بوجود اللاهوت الثاني (الصاحبة) الذي سبق الابن <sup>(١)</sup>؟!!!!! .....

وقال تعالى: "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ" المؤمنون: ٩١.

أي إن رتبتم ما توهمتموه من وجود الأقانيم الثلاثة (أو الأصول الثلاثة) بهذه الصورة، فقلتم بوجود الأب (الله سبحانه وتعالى)، واللاهوت المطلق الثاني الصاحبة (الابن)، ثم صدر عنهما اللاهوت المطلق الثالث (الاقنوم الثالث) الروح القدس، فالكلام يكون في وجود اللاهوت الثاني ابتداءً مع الله سبحانه وتعالى، فهل يوجد تمايز بينهما أم لا؟ أي أن كليهما واحد؟

فمن يختار أن كليهما واحد يعود عليه النقض السابق؛ لأن الصادر عنهما مطابق لكل واحد منهما، ومن يختار التمايز بينهما ستنقض عنده ألوهية الثاني ألوهية مطلقة؛ لورود النقص عليه، فالتمايز لا يكون إلا بالكمال المطلق: "..... وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ". .....

وأيضاً: نقض الله سبحانه وتعالى عليهم مبدأ تعدد اللاهوت المطلق من أساسه كيفما كان الاعتقاد به، قال تعالى: "قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي

---

١- (وهذا أيضاً أمر فطري وعقلي وهو إن الحقيقة البسيطة المطلقة لا يمكن أن ينفصل عنها شيء مغاير لها أو متميز عنها، ولا يمكن أن يكون فيها أقسام أو أجزاء أو أصول أو أقانيم كما يسمونها متميزة؛ لأن هذا يعني أنها حقيقة مركبة وليست بسيطة، والتركيب دلالة الافتقار وينفي عنها الغنى، وبالتالي لينفصل شيء ما متميز عن الحقيقة البسيطة المطلقة لأد من وجود حقيقة بسيطة مطلقة أخرى، وهذا أمر محال؛ لأن الحقيقة البسيطة المطلقة واحدة ولا يمكن أن تتعدد) كتاب التوحيد، السيد أحمد الحسن.



السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" يونس: ٦٨.

"قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَيْ" ومبدأ هذا النقض على كل من قال بتعدد اللاهوت المطلق - سواء بالبنوة أم بصورة أخرى يتوهمها من ضل عن سواء السبيل - هو أن الله قد أودع في فطرة الإنسان ما يميزه بين الحكمة والسفه: "قَالَهُمْهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" الشمس: ٨، فكل من استعمل هذا الميزان سيحكم بأن القول بتعدد اللاهوت مع عدم وجود مائز هو سفه ولا حكمة فيه. وبالتالي لا يبقى إلا القول بالتمايز، وهذا يُنقض بكلمة واحدة: "سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَيْ"، فالتمايز في اللاهوت لا يكون إلا في الكمال، فيتعين فقر ونقص غيره فينتقض قول إن غيره لاهوت مطلق.

أما بالنسبة لمسألة ارتقاء الإنسان، فإن الله خلق الإنسان وأودع فيه الفطرة التي توهمه إلى الارتقاء حتى يكون أسماء الله وصورة الله وتجلي الله والله في الخلق، ولكنه مهما ارتقى لن يكون لاهوتاً مطلقاً ولا غنياً مطلقاً، بل يبقى مخلوقاً وفقيراً إلى الله سبحانه وتعالى: "يَكَادُ زَيُّهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ" النور: ٣٥، يكاد لا أنه يضيء من نفسه فيكون لاهوتاً مطلقاً، فكل من سواه خلقه وفقراء إليه سبحانه وتعالى: "مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" مريم: ٣٥.

وفي هذا النقض المتقدم الذي جاء في القرآن الكريم كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

أما قولهم إنه واحد أحد مع قولهم بالأقانيم الثلاثة التمايزة المستقلة بذاتها التي يرسل بعضها بعضاً حسب اعتقادهم وقولهم بوجود علاقة بينها كعلاقة البنوة والأبوة .... الخ، فهو قول يعلمون أنه سفه (١)، وإلا كيف تجتمع الوحدة الأحدية مع تعدده وتجزئته وتمايز أجزائه وإن لم يسموها أجزاء!

١- (ولهذا تجدهم دائماً يقولون: إن الثالوث غير معقول ولا يدرك بالعقل، ولكن يجب الإيمان به) كتاب التوحيد، السيد أحمد الحسن.

ولو أعرضنا عن كل ما تقدم فبيان باطلهم يكفيه هذا البيان إن كانوا يعقلون، وهو:

إنَّ الله نور لا ظلمة فيه، وكل عوالم الخلق هي نور مختلط بالظلمة وموجودات ظهرت بتجلي نوره سبحانه في الظلمات، ولذا فلا يمكن اعتبار أنَّ الله قد حلَّ في مخلوق أو ظهر في مخلوق ظهوراً تاماً في عوالم الخلق كما يدعون بعيسى وروح القدس؛ لأن معنى هذا أنها لا تبقى بل تفتي ولا يبقى إلا نور لا ظلمة فيه، أي لا يبقى خلق بل فقط الله سبحانه وهو نور لا ظلمة فيه، ..... انتهى<sup>(١)</sup>.

وأيضاً: لا شك أنَّ "الجهل" نقص وينقض الألوهية المطلقة لمن يتصف به، وعيسى صلوات الله عليه يعترف بجهله بالساعة، إذن فهو ليس لاهوتاً مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

أما وصف عيسى بـ "الكلمة" أو "الابن" في بعض النصوص فهو لا يعني أنه لاهوت مطلق، وإنما يعني أنه خليفة لله وحجته على خلقه، والوصف ليس منحصراً به بل يشمل جميع حجج الله، وقد تقدم سابقاً معرفتنا بمعنى "الكلمات" التي تاب الله بها على آدم عليه السلام: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" البقرة: ٣٧. وهي نفسها "الكلمات" التي امتحن الله بها خليله إبراهيم وبعد اجتياز الامتحان بها جعله الله إماماً: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" البقرة: ١٢٤، وعرفنا هناك أنَّ المقصود بها: هم سادة خلفاء الله أعني الرسول محمد وأله الأوصياء صلوات الله عليهم. علماً، أنَّ وصف الحجج الإلهيين (الأئمة، الرسل) بأنهم "كلمات الله" هي لغة الكتب الإلهية عموماً؛ سواء القرآن الكريم أو الكتب الإلهية التي سبقته كما رأينا.

١- كتاب التوحيد، السيد أحمد الحسن: بحث "هو الله سبحانه الواحد الأحد وكل من سواه خلقه".

٢- ورد في إنجيل مرقس - إصحاح ١٣: ٣٢ «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهَمَّا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْابْنُ، إِلَّا الْآبُ. ٣٣ أَنْظَرُوا! اسْهَرُوا وَصَلُّوا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ. ٣٤ كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى الْبُيُوتَ أَنْ يَسْهَرُوا. ٣٥ اسْهَرُوا إِذَا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ يَصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صَبَاحَ الْيَوْمِ، أَمْ صَبَاحًا. ٣٦ لِفَلَا يَأْتِي بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا! ٣٧ وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسْهَرُوا».

وكذا الحال في وصف عيسى عليه السلام بـ "الابن"، فهو وصف يشير لنفس الحقيقة أي أنه حجة الله وخليفة من خلفائه في أرضه، يقول السيد أحمد الحسن:

(في التوراة والإنجيل: "أبي، أبوكم، الابن، الأب، أبناء الله" <sup>(١)</sup> .....).

هذه الكلمات التي جاءت في التوراة أو الإنجيل واشتهت في موارد على جاهلها وتأولها العلماء غير العاملين – ليدعوا بنوة إنسان لله سبحانه أو ليدعوا الألوهية المطلقة لإنسان – لا تعني بأي شكل من الأشكال ألوهية إنسان ألوهية مطلقة، بل هي بمجموعها تنفي البنوة الحقيقية لأي إنسان <sup>(٢)</sup>، وإذا التفت إليها الإنسان بقلب مفتوح طالباً معرفة الحقيقة كما أرادها الله سبحانه وتعالى الذي خلقه، لراى أن عيسى عليه السلام يحمد

١- أشار السيد أحمد الحسن للنصوص التالية في كلامه:

- سفر ملاخي – إصحاح ١: ٤..... هكذا قال رب الجنود: هم يبنون وأنا أهدم. ويدعونهم تخوم الشر، والشعب الذي غضب عليه الرب إلى الأبد. ٥ فترى أغنيكم وتقولون: ليتعظم الرب من عند نخم إسرائيل. ٦ «الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أباً، فأين كرامتي؟ وإن كنت سيّداً، فأين هيبتي؟ قال لكم رب الجنود. أيها الكهنة المخترقون اسمي".

- إنجيل لوقا – إصحاح ١٠: ٢١ وفي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال: «أحمدك أيها الأب، رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الأب، لأن هكذا صارت المسرة أمامك». ٢٢ والتفت إلى تلاميذه وقال: «كل شيء قد دفع إليّ من أبي. وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الأب. ولا من هو الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له». ٢٣ والتفت إلى تلاميذه على انفراد وقال: «طوبى للعيون التي تنظرونه! ٢٤ لأنّي أقول لكم: إنّ أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا".

- سفر المزمير – مزمور ٢٩: ١ «قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب مجداً وعزّاً. ٢ قدموا للرب مجد اسمه. اسجدوا للرب في زينة مقدسة".

- إنجيل متى – إصحاح ٥: ١ «ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدّم إليه تلاميذه. ٢ ففتح فاه وعلمهم قائلاً: ٣ «طوبى للمساكين بالروح، لأنّ لهم ملكوت السماوات. ٤ طوبى للحرّ ائى، لأنهم يتعزّون. ٥ طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض. ٦ طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنهم يشبعون. ٧ طوبى للرحماء، لأنهم يرحّمون. ٨ طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يُعانيون الله. ٩ طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون. ١٠ طوبى للمطرودين من أجل البرّ، لأنّ لهم ملكوت السماوات. ١١ طوبى لكم إذا عيّرَوكم وطردَوكم وقالوا عليكم كلّ كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين. ١٢ افرحوا وتهلّلوا، لأنّ أجركم عظيم في السماوات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم".

٢- (لأن بعضها تسجي جماعة بأنهم أبناء الله فهل يكونون أبناء حقيقيين لله والهة على مبنى من اعتبار أن ذكر عيسى في الإنجيل بأنه ابن الله يدل على ألوهيته وبنوته الحقيقية لله؟ تعالى الله) كتاب التوحيد، السيد أحمد الحسن.

الله ويثني عليه قبل أن ينطق بهذه الكلمات، ولو نظر الإنسان بعين الإنصاف لعرف أنّ هذه الكلمات منطبقة على كل الأنبياء والمرسلين والأوصياء الذين كانوا حجج الله على خلقه وخلفاءه في أرضه، فكل حجة من حجج الله هو أعرف أهل زمانه بالله فيصدق عليه أنه من يعرف الله دون من سواه من أهل زمانه، وأيضاً: يصدق أنه لا يعرف خليفة الله وحجة الله حق معرفته إلا الله الذي خلقه: "وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الأب ولا من هو الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له".....) انتهى<sup>(١)</sup>.

### على مستوى الشريعة:

وأما على مستوى الشريعة التي بعث بها عيسى صلوات الله عليه، فهي بالجملة تشبه شريعة الرسل الذين سبقوه من صلاة وصيام وحج وزكاة ... إلخ: "وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا" مريم: ٣١. وبالنسبة لحجّه، فقد ذكرت بعض النصوص حجّه وتلييته وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

نصوص الإنجيل أشارت إلى شريعة عيسى عليه السلام، كالصلاة والصيام والزكاة مثلاً: "٣" وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُعْرِفُ شِمَاكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، ٤ لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلَانِيَةً. ٥ «وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلَا تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشُّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! ٦ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مَخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ

١- كتاب التوحيد، السيد أحمد الحسن: بحث "بعض الكلمات في التوراة والإنجيل التي توهم بعضهم أنها تعني أنّ اللاهوت المطلق يحل في عوالم الخلق بإنسان وبيان حقيقتها".

٢- (عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ موسى النبي عليه السلام بصفائح الروحاء على جبل أحمر خطامه من ليف عليه عبايتان قطو انيتان وهو يقول: "لبيك يا كريم لبيك"، ومرّ يونس بن متى عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: "لبيك كشاف الكرب العظام لبيك"، ومرّ عيسى بن مريم عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: "لبيك عبدك وابن أمتك لبيك"، ومرّ محمد صلى الله عليه وآله بصفائح الروحاء وهو يقول: "لبيك ذا المعارج لبيك") علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٤١٩، ومثله في الكافي، الكليني: ٤ / ٢١٣.

عَلَانِيَةً..... ١٦ «وَمَتَى صُئْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ» إنجيل متى - إصحاح ٦.

(عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى بن مريم عليه السلام أربعمائة سنة، وكان شريعة عيسى أنه بعث بالتوحيد والإخلاص وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى، وأنزل عليه الإنجيل وأخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين وشرع له في الكتاب أقام الصلاة مع الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وتحريم الحرام، وتحليل الحلال، وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال [وحدود] ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة، وهو قول الله في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: "ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم"، وأمر عيسى من معه ممن اتبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل)<sup>(١)</sup>.

### من وحي الله لعيسى:

أوحى الله سبحانه لعبده ورسوله عيسى عليه السلام كما أوحى إلى الرسل السابقين، والوحي تضمن كل التعاليم المتعلقة برسالته<sup>(٢)</sup>.

١- تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ١٧٥.

٢- هذا مثال للنصوص التي ذكرت بعض مضامين وحي الله لعيسى عليه السلام: (عن علي بن أسباط عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك، اسمي واحد وأنا الأحد المتفرد بخلق كل شيء وكل شيء من صنعي وكل إليّ راجعون. يا عيسى أنت المسيح بأمرى وأنت تخلق من الطين كهينة الطير بإذني وأنت تحيي الموتى بكلامي فكن إليّ راغباً ومني راغباً ولن تجد مني ملجأ إلا إليّ. يا عيسى أوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة حتى حققت لك مني الولاية بتحريك مني المسرة فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت، اشهد أنك عبدي، ابن أمتي أنزلني من نفسك كهملك واجعل ذكرى لمعادك وتقرب إليّ بالنوافل وتوكل عليّ أكفك ولا توكل على غيري فأخذ لك. يا عيسى اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن كمسرتي فيك فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى. يا عيسى أحي ذكرى بلسانك وليكن ودي في قلبك. يا عيسى تيقظ في ساعات الغفلة واحكم لي لطيف الحكمة. يا عيسى كن راغباً راغباً وأمت قلبك بالخشية. يا عيسى راع الليل لتحري مسرتي واطمأّن بهارك ليوم حاجتك عندي. يا عيسى نافس في الخير جهدك تعرف بالخير حيثما توجهت. يا عيسى احكم في عبادي بنصحي وقم فمهم بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء لما في الصدور من مرض الشيطان. يا عيسى لا تكن جليسا لكل مفتون. يا

عيسى حقا أقول: ما أمنت بي خليفة إلا خشعت لي ولا خشعت لي إلا رجت ثوابي فأشهد أنها آمنة من عقابي ما لم تبدل أو تغير سنتي. يا عيسى ابن البكر البتول ابك على نفسك بكاء من ودع الأهل وقل الدنيا وتركها لأهلها وصارت رغبته فيما عند إلهه. يا عيسى كن مع ذلك تلين الكلام وتفشي السلام، يقظان إذا نامت عيون الأبرار، حذرا للمعاد والزلازل الشداد وأهوال يوم القيامة حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال. يا عيسى اكحل عينك بميل الحزن إذا ضحك البطالون. يا عيسى كن خاشعا صابرا، فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون. يا عيسى رج من الدنيا يوما فيوما وذق لما قد ذهب طعمه، فحقا أقول: ما أنت إلا بساعتك ويومك، فرح من الدنيا ببلغة وليكيفك الخشن الجشِب فقد رأيت إلى ما تصير ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت. يا عيسى إنك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتي إياك ولا تقهر اليتيم. يا عيسى ابك على نفسك في الخلوات وانقل قدميك إلى مواقيت الصلوات واسمعي لذاذة نطقك بذكري فإن صنيعي إليك حسن. يا عيسى كم من أمة قد أهلكها بسالف ذنوب قد عصمتك منها. يا عيسى ارفق بالضعيف وارفع طرفك الكلil إلى السماء وادعني فإني منك قريب ولا تدعني إلا متضرعا إليّ وهمك هما واحدا فإنك متى تدعني كذلك أجبك. يا عيسى إني لم أرض بالدنيا ثوابا لمن كان قبلك ولا عقابا لمن انتقمته منه. يا عيسى إنك تفني وأنا أبقي ومني رزقك وعندي ميقات أجلك وإليّ إياك وعليّ حسابك فسلي ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة. يا عيسى ما أكثر البشر وأقل عدد من صبر. الأشجار كثيرة وطيبها قليل، فلا يغرنك حسن شجرة حتى تذوق ثمرها. يا عيسى لا يغرنك المتمرد عليّ بالعصيان يأكل رزقي ويعيد غيري ثم يدعوني عند الكرب فأجيبه ثم يرجع إلى ما كان عليه فعلي يتمرد أم بسخطي يتعرض، في حلفت لأخذنه أخذة ليس له منها منجا ولا دوني ملجأ، أين يهرب من سمائي وأرضي. يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم، فإني آليت أن أجيب من دعائي وأن أجعل إجابتي إياهم لعنا عليهم حتى يتفرقوا. يا عيسى كم أظيل النظر وأحسن الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون، تخرج الكلمة من أفواههم، لا تعما قلوبهم، يتعرضون لمقتي ويتحببون بقربي إلى المؤمنين. يا عيسى ليكن في السر والعلانية واحدا وكذلك فليكن قلبك وبصرك واطو قلبك ولسانك عن المحارم وكف بصرك عما لا خير فيه فكم من ناظر نظرة قد زرعت في قلبه شهوة ووردت به موارد حياض الهلكة. يا عيسى كن رحيما مترحما وكن كما تشاء أن يكون العباد لك وأكثر ذكر [ك] الموت ومفارقة الالهين ولا تله فإن الله يفسد صاحبه ولا تغفل فإن الغافل مني بعيد واذكري بالصالحات حتى أذكرك. يا عيسى تب إليّ بعد الذنب وذكر بي الأوابين وأمن بي وتقرب بي إلى المؤمنين ومرهم يدعوني معك وإياك ودعوة المظلوم فإني آليت على نفسي أن أفتح لها بابا من السماء بالقبول وإن أجيبه ولو بعد حين. يا عيسى اعلم أن صاحب السوء يعدي وقرين السوء يردي، واعلم من تقارن واختل لنفسك إخوانا من المؤمنين. يا عيسى تب إليّ فإني لا يتعاضمني ذنب أن أغفره وأنا أرحم الراحمين اعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك وابدني ليوم كآلف سنة مما تعدون فيه أجزى بالحسنة أضعافها وإن السيئة توبق صاحبها فامهد لنفسك في مهلة وناقس في العمل الصالح، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار. يا عيسى أزهدي في الفاني المنقطع وطأ رسوم منازل من كان قبلك فادعهم وناجهم هل تحس منهم من أحد وخذ موعظتك منهم، واعلم أنك ستلقهم في اللاحقين. يا عيسى قل لمن تمرد عليّ بالعصيان وعمل بالادهاان ليتوقع عقوبتي وينتظر إهلاكه إياه سيصطلم مع الهالكين طوبى لك يا ابن مريم، ثم طوبى لك إن أخذت بأدب إلهك الذي يتحنن عليك ترحما وبدأ النعم منه تكرما وكان لك في الشدائد. لا تعصيه يا عيسى فإنه لا يحل لك عصيانه قد عهدت إليكم ما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من الشاهدين. يا عيسى ما أكرمت خليفة بمثل ديني ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي. يا عيسى اغسل بالماء منك ما ظهر وداو بالحسنات منك ما بطن فإنك إليّ راجع. يا عيسى أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضيا من غير

تكدير وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها لتكون من الهالكين. يا عيسى تزين بالدين وحب المساكين وامش على الأرض هونا وصل على البقاع فكلها طاهر. يا عيسى شمر فكل ما هو آت قريب و اقرأ كتابي وأنت طاهر واسمعي منك صوتاً حزينا. يا عيسى لا خير في لذاذة لا تدوم وعيش من صاحبه يزول، يا ابن مريم لورأت عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيبون ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون، دار لا يتغير فيها النعيم ولا يزول عن أهلها. يا ابن مريم نافس فيها مع المتنافسين فإنها أمنية المتمنين، حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين مع أبائك آدم وإبراهيم في جنات ونعيم لا تبغي لها بدلاً ولا تحويلاً كذلك أفعّل بالمتقين. يا عيسى اهرب إلي مع من يهرب من نار ذات لهب ونار ذات أغلال وأنكال لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غم أبداً، قطع قطع الليل المظلم من ينج منها يفزولن ينجو منها من كان من الهالكين، هي دار الجبارين والعتاة الظالمين وكل فظ غليظ وكل مختال فخور. يا عيسى بثست الدار لمن ركن إليها وبثس القرار دار الظالمين إني أحذرك نفسك فكن بي خبيراً. يا عيسى كن حيث ما كنت مرأباً لي واشهد على أي خلقتك وأنت عبدي وأني صورتك وإلى الأرض أهبطتك. يا عيسى لا يصلح لسانان في فم واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان. يا عيسى لا تستيقظن عاصيا ولا تستنهن لاهيا وأقطم نفسك عن الشهوات الموبقات وكل شهوة تباعدك مني فاهجرها، واعلم أنك مني بمكان الرسول الأمين فكن مني على حذر واعلم أن دنياك مؤديتك إليّ وأني أخذك بعلمي فكن ذليل النفس عند ذكري، خاشع القلب حين تذكرني، يقظانا عند نوم الغافلين. يا عيسى هذه نصيحتي إياك وموعظتي لك فخذها مني وإني رب العالمين. يا عيسى إذا صبر عبدي في جني كان ثواب عمله علي وكنت عنده حين يدعوني وكفا بي منتقما ممن عصاني، أين يهرب مني الظالمون. يا عيسى أطب الكلام وكن حيثما كنت عالماً متعلماً. يا عيسى أفض بالحسنات إلي حتى يكون لك ذكرها عندي وتمسك بوصيتي فإن فيها شفاء للقلوب. يا عيسى لا تأمن إذا مكرت مكري ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكري. يا عيسى حاسب نفسك بالرجوع إلي حتى تتنجز ثواب ما عمله العالمون أولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتمين. يا عيسى كنت خلقاً بكلامي ولدتك مريم بأمرى المرسل إليها روي جبرئيل الأمين من ملائكتي حتى قمت على الأرض حيا تمشي، كل ذلك في سابق علمي. يا عيسى زكراً بمنزلة أبيك وكفيل أمك إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقا ونظيرك يحيى من خلقي وهبته لاهمه بعد الكبر من غير قوة بها أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني ويظهر فيك قدرتي، أحبك إلي أطوعمكم لي وأشدكم خوفاً مني. يا عيسى تيقظ ولا تيأس من روي وسبحني مع من يسبحني وبطيب الكلام فقدسني. يا عيسى كيف يكفر العباد بي ونواصهم في قبضتي وتقلهم في أرضي، يجهلون نعمتي ويتولون عدوي وكذلك هلك الكافرون. يا عيسى إن الدنيا سجن منتن الريح وحسن فيها ما قد ترى مما قد تذابح عليه الجبارون وإياك والدنيا فكل نعيمها يزول وما نعيمها إلا قليل. يا عيسى ابغي عند وسادك تجدني وادعني وأنت لي محب فإنني أسمع السامعين أستجيب للداعين إذا دعوني. يا عيسى خفي وخوف بي عبادي، لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون. يا عيسى أرهبي رهبتك من السبع والموت الذي أنت لاقية فكل هذا أنا خلقتة فأياي فارهبون. يا عيسى إن الملك لي وبيدي وأنا الملك فإن تطعني أدخلتك جنتي في جوار الصالحين. يا عيسى إني إذا غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضى عنك وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين. يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملكك أذكرك في ملاء خير من ملاء الأدميين. يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث. يا عيسى لا تحلف بي كاذباً فيهتز عرشي غضباً، الدنيا قصيرة العمر طويلة الأمل وعندي دار خير مما تجمعون. يا عيسى كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسر أئرف قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين. يا عيسى قل لظلمة بني

### عيسى (ع) وقومه:

كما كانت رسالة موسى عامة، كذلك الحال بالنسبة لرسالة عيسى، لكنه بالتأكيد سيبدأ بدعوة قومه (بني إسرائيل) ثم يدعو غيرهم للحق الذي أرسل به، إلا أنّ ما واجهه به اليهود من رفض وأذى وعداوة انتهت بتصميمهم على قتله حال دون إمكانية نشره لرسالته خارج حدود القدس وما جاورها من مدن أثناء وجوده<sup>(١)</sup>.

إسرائيل غسّلت وجوهكم وودّست قلوبكم، أبي تغفرون أم علي تجفرون، تطيبون بالطيب لأهل الدنيا وأجو أفكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنكم أقوام ميتون. يا عيسى قل لهم: قلموا أظفاركم من كسب الحرام وأصموا أسماعكم عن ذكر الخنا وأقبلوا علي بقلوبكم فإنني لست أريد صوركم. يا عيسى افرح بالحسنة فإنها لي رضى وابك على السيئة فإنها شين وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك وإن لطم خدك الأيمن فأعطه الأيسر وتقرّب إليّ بالمودة جهدك وأعرض عن الجاهلين. يا عيسى ذل لأهل الحسنة وشاركهم فيها وكن عليهم شهيدا وقل لظلمة بني إسرائيل: يا أجدان السوء والجلساء عليه إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير. يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل: الحكمة تبكي فرقا مني وأنتم بالضحك تهجرون، أنتم براءتي أم لديكم أمان من عذابي أم تعرضون لعقوبي، في حلفت لأترككم مثلا للغابرين..... يا عيسى كلما يقربك مني فقد دلتك عليه وكلما يبعدك مني فقد نهيتك عنه فارتد لنفسك. يا عيسى إن الدنيا حلوة وإنما استعملتك فيها فجانب منها ما حذرتك وخذ منها ما أعطيتك عفوا. يا عيسى انظر في عملك نظر العبد المذنب الخاطئ ولا تنظر في عمل غيرك بمنزلة الرب، كن فيها زاهدا ولا ترغب فيها فتعطب. يا عيسى أعقل وتفكروا انظروا في نواحي الأرض كيف كان عاقبة الظالمين. يا عيسى كل وصفي لك نصيحة وكل قولي لك حق وأنا الحق المبين فحقا أقول: لأن أنت عصيتني بعد أن أنبأتك، ما لك من دوني ولي ولا نصير. يا عيسى أذل قلبك بالخشية وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك واعلم أن رأس كل خطيئة وذنب هو حب الدنيا فلا تحبها فإنني لا أحبها. يا عيسى أطب لي قلبك وأكثر ذكرى في الخلوات واعلم أن سروري أن تبصّبص إلي، كن في ذلك حيا ولا تكن ميتا. يا عيسى لا تشرك بي شيئا وكن مني على حذر ولا تغتر بالصحة وتغبط نفسك فإن الدنيا كفيء زائل وما أقبل منها كما أدبر، فنافس في الصالحات جهدك وكن مع الحق حيثما كان وإن قطعت وأحرقت بالنار، فلا تكفر بي بعد المعرفة فلا تكون من الجاهلين، فإن الشيء يكون مع الشيء. يا عيسى صب لي الدموع من عينيك واخشع لي بقلبك. يا عيسى استغث بي في حالات الشدة فإنني أغيث المكروبين وأجيب المضطرين وأنا أرحم الراحمين) الكافي، الكليني: ١٣١/٨ - ١٤١.

عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام: يا عيسى هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشوع، واكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطالون، وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرقيق لعلك تأخذ موعظتك منهم، وقل: إني لاحق بهم في اللاحقين) الأمالي، المفيد: ٢٣٦ - ٢٣٧.

١- (عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: ..... ثم إنّ الله عز وجل أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصة فكانت نبوّته ببيت المقدس وكان من بعده الحواريون اثنا عشر) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٢٠.



نصوص الإنجيل ذكرت موقف اليهود العدائي من دعوة عيسى عليه السلام، فصمموا على قتله مبكراً بسبب قيامه بشفاء رجل يوم السبت؛ الأمر الذي اعتبروه مخالفاً لشريعتهم، بل تبادوا ليعتبروا تغييره حكم السبت يعني انه ساوى نفسه بالله سبحانه وتعالى <sup>(١)</sup>. وأيضاً: حاول اليهود رجمه بالحجارة مرات عدة <sup>(٢)</sup>، وكذا حاولوا التخلص منه بعد إحيائه لميت؛ خوفاً من اتباع الناس له <sup>(٣)</sup>، وأخيراً: ختمت محاولاتهم بمؤامرتهم التي حاكوها بتجنيد يهوذا الاسخريوطي التي انتهت برفعه (أو صلبه بحسب المعتقد المسيحي) <sup>(٤)</sup>.

لكن بعد رفع عيسى عليه السلام تمكّن أوصياؤه وحواريوه و أتباعه من نشر رسالته في مناطق عديدة من العالم كأوروبا مثلاً.

١- ورد في (إنجيل متى - إصحاح ١٢): "١٠ وَإِذَا إِنْسَانٌ يُدْهُ يَابِسَةً، فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «هَلْ يَجِلُّ الْإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. ١١ فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ حُرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السُّبُوتِ فِي حُفْرَةٍ، أَفَمَا يُمَسِّكُهُ وَيَقْبِضُهُ؟ ١٢ فَإِلَّا إِنْسَانٌ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحُرُوفِ! إِذَا يَجِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ!» ١٣ ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالْأُخْرَى. ١٤ فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ». ومثله ورد في (إنجيل مرقس - إصحاح ٣).

وفي: (إنجيل يوحنا - إصحاح ٥): "١٦ وَلِهَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لِأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبُوتٍ. ١٧ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». ١٨ فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ، مُعَادِلًا نَفْسَهُ بِاللَّهِ".

٢- ورد في (إنجيل يوحنا - إصحاح ٨): "٥٩ فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا". وفي (إصحاح ١٠): "٢٧ خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي. ٢٨ وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. ٢٩ أَبِي الَّذِي أُعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطِفَ مِنْ يَدِ أَبِي. ٣٠ أَنَا وَالْأَبُ وَاحِدٌ». ٣١ فَتَنَاولَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ".

مع أن قصده بالوحدة واضح؛ فإن إرادة الرسول الإلهي هي إرادة الله لا غير، ولذا صارت طاعة الرسل طاعة الله ومخالفتهم مخالفة الله، وهذا أمر جاري في جميع الحجج الإلهيين.

٣- ورد في (إنجيل يوحنا - إصحاح ١١): "٤٧ فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. ٤٨ إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأَمْتَنَا». ..... ٥٣ فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ".

٤- ورد في: (إنجيل متى - إصحاح ٢٦): "٣ جِيئَ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَيْسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيْافَا، ٤ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمَسِّكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ".

## مزايا دعوة عيسى (ع):

امتازت دعوة عيسى صلوات الله عليه بعدة من المزايا، منها:

- ١- الزهد في الدنيا.
- ٢- الإخلاص في عبادة الله سبحانه.
- ٣- العدل والرحمة.

بالنسبة للزهد: فقد بالغ عيسى عليه السلام في التخلُّق به وإظهاره، وبالتأكيد فإن وراء تصرفه غاية وحكمة تقتضيها رسالته الإلهية:

يقول السيد أحمد الحسن في بيانها: (وكان أبرز مصداق لهذا الزهد هو عيسى عليه السلام وحواريه الاثنا عشر، وكان هذا الزهد الذي بالغ عيسى عليه السلام في إظهاره إلى الناس علاجاً لحالة الترف المستشرية في علماء بني إسرائيل الذين أنسوا الحياة تحت سلطة الكفار الرومان، وأمسوا كالحيوانات في المعالف لا يهمهم إلا التقمم والاكتراش. وبهذا أظهر عيسى عليه السلام وحواريوه لبني إسرائيل واليهود، بل وللناس جميعاً، ما يجب أن يكون عليه حال العالم الرباني العامل المخلص لله من الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، وخصوصاً في المجتمعات الإنسانية التي أنهكها تسلط الطاغوتي ولم يبقَ فيها للفقراء رغيف يقتاتون به بكرامة، كما ولم يبقَ لهم منهج فكري سليم يستضيئون به بعد أن أغرقهم في الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

ومن هنا كان زهد عيسى وحواريه فضيحة أخزت علماء بني إسرائيل وأظهرت للناس الصراط المستقيم والمنهج القويم الذي يجب أن يسلكه العالم الرباني والقائد الإلهي ليكون نوراً يستضيء به الناس ويقتدون به، ومخلصاً لهم من سلطة الطاغوت، وقائداً إلى الله الواحد القهار) انتهى<sup>(١)</sup>.

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: إضاءة من دعوة عيسى عليه السلام.

وأما الإخلاص لله سبحانه: فقد ركّز عليه عيسى عليه السلام ودعا قومه له؛ لأنهم كانوا ممتحنين بتسلط جهتين عليهم: سلطات الرومان من جهة، وسلطة علماء اليهود الضالين من جهة أخرى، ولا شك أنّ طاعة الاثنين انحراف عن توحيد الله الحق!

يقول السيد أحمد الحسن: (اليهود لم يكونوا يعبدون الأصنام عندما بُعث عيسى، ولكنهم كانوا يدفعون الجزية لقيصر، وكانوا يتابعون علماءهم في كل ما يشرعون لهم ويقلدونهم تقليداً أعمى: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" التوبة: ٣١.

وهذه الأعمال هي شرك بالله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>، فهم لم يكتفوا بترك الجهاد ورفض تواجد قوات الرومان الكافرة على الأرض المقدسة، أرض الموحدين، بل عملوا على تقوية دولة المحتل والطاغوت وتثبيت سلطانه بدفع الجزية لقيصر الروم، ليمسوا بهذا العمل عبدة طاغوت لا موحدين يعبدون الله وإن ادعوا ذلك. ثم إنهم تابعوا علماءهم عندما خالفوا شريعة الأنبياء والأوصياء، وهذا العمل عبادة للعلماء الضالين من دون الله سبحانه، لأن العلماء الضالين يضعون رأيهم مقابل تشريع الله سبحانه، ويطالبون الناس باتباعهم، ويوهمون الناس أنّ طاعتهم هي طاعة الله، بينما في مثل هذه الحالة تكون طاعتهم طاعة للشيطان لعنه الله وأخزاه.

ولهذا انبرى عيسى عليه السلام يعلم الناس ويبيّن لهم هذه الحقائق الإلهية ويدعوهم للإخلاص في عبادة الله سبحانه وتعالى مرة، وللکفر بالطاغوت ومجاريته وهم أركان دولته الاقتصادية والعسكرية والإعلامية مرة أخرى. يدعو عيسى عليه السلام الناس للتمزّد على علماء بني إسرائيل الذين نصبوا أنفسهم للتشريع مقابل الله سبحانه

---

١- (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله" فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون) الكافي، الكليني: ١/ ٥٣.

وتعالى ودعوا الناس لطاعتهم و اقتفاء آثارهم، فأضلوا الناس بعد أن كانوا هم أنفسهم ضالين؛ حيث جعلوا أنفسهم أرباباً تعبد من دون الله سبحانه وتعالى) انتهى<sup>(١)</sup>.

وأما العدل والرحمة: فقد أشاع عيسى عليه السلام العدل؛ لأن علماء اليهود ضيّعوه بعد أن ألتهم الدنيا وحب الشهوات، وأشاع الرحمة؛ لأن قومه فقدوها في ظل سلطة رومانية متجبرة وظالمة!

يقول السيد أحمد الحسن: (بدون عدل ورحمة تسمي الحياة مظلمة ليس فيها إلا الحيف والجور والقسوة والألم، والطاغوت بلا عدل ولا رحمة، فبالجور والغلبة والقسوة يبقى فرعون ونمرود وقيصر وأمثالهم على كرسي الحكم ويسيطرون على دفة القيادة الشيطانية ليقودوا أتباعهم ومن سار في ركبهم إلى هاوية جهنم، ومن يتوقع من طاغية شيئاً من الرحمة والعدل يكون كمن يريد أن يشم من جيفة أو نجاسة ريحاً طيبة. ولهذا كان السلاح القوي بيد الأنبياء عليهم السلام هو العدل والرحمة، وهكذا انطلق عيسى عليه السلام ينشر ويدعو للعدل والرحمة في المجتمع؛ العدل الذي ضيّعه علماء بني إسرائيل عندما استأثروا بأموال الصدقات وأخذوا يشرعون وفق أهوائهم وتخرباتهم العقلية الخرقاء، والرحمة التي لم يعرفها الناس في ظل الطاغوت.

وشملت رحمة عيسى عليه السلام حتى جباة الضرائب الذين يعملون لقيصر بشكل مباشر، فحاول استنقاذهم وتخليصهم من النهاية السوداء المظلمة التي تنتظرهم إذا استمروا يسيرون في ركب قيصر) انتهى<sup>(٢)</sup>.

### عيسى<sup>(ع)</sup> وحواريّوه:

قال تعالى في ذكر حواريي عيسى عليه السلام:

١- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن: إضاءة من دعوة عيسى عليه السلام.

٢- نفس المصدر.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" الصف: ١٤.

"وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ \* إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ \* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" المائدة: ١١١ - ١١٥.

- "وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ": الوحي بالرؤيا والإلهام<sup>(١)</sup>.
- "هل يستطيع ربك": روي قراءتها بالتاء أي "تستطيع"، والمعنى: هل تستطيع سؤال ربك<sup>(٢)</sup>.
- "قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا": روي أَنَّ المائدة لما نزلت عليهم من السماء قال عيسى للحواريين: "لا تأكلوا منها حتى أذن لكم"<sup>(٣)</sup>.

١- (يوسف الصنعاني عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام "إِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ" قال: ألهموا) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ٣٥٠.

٢- (عن يحيى الحلبي في قوله "هل يستطيع ربك" قال قرأتها هل يستطيع ربك يعني هل يستطيع أن تدعورك) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ٣٥٠. ومثله روى الحاكم النيسابوري بسنده: (عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال سألت معاذ بن جبل رضي الله عنه عن قول الحواريين هل يستطيع ربك أو هل يستطيع ربك فقال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله هل يستطيع بالتاء. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) المستدرک على الصحيحين: ٢ / ٢٣٨.

٣- (عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما أنزلت المائدة على عيسى قال للحواريين: لا تأكلوا منها حتى أذن لكم، فأكل منها رجل منهم، فقال بعض الحواريين: يا روح الله أكل منها فلان، فقال له عيسى: أكلت منها؟ قال له: لا، فقال الحواريون: بلى والله يا روح الله، لقد أكل منها، فقال له عيسى: صدق أخاك وكذب بصرك) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ٣٥٠.

أما سبب تسميتهم بالحواريين: فلأنهم أخلصوا لله في أنفسهم وأخلصوا لغيرهم بالوعظ والتذكر<sup>(١)</sup>. وأما عددهم: فكان اثني عشر حوارياً<sup>(٢)</sup>، وهو نفس العدد المذكور في الإنجيل أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وعموماً، سعى عيسى صلوات الله عليه لتربية حواريه تربية خاصة؛ لحرصه على رقيهم من جهة، وعلمه بأنهم سيكونون السبيل لنشر دين الله بعد رفعه من جهة ثانية، فكان لا ينهاهم عن فعل الذنب وحسب، وإنما ينهاهم عن التفكير فيه من الأساس<sup>(٤)</sup>، وأحياناً يعلمهم الكمال بطريق عملي، فمثلاً: أقدم على غسل أقدامهم ليعلمهم التواضع وخدمة الناس<sup>(٥)</sup>!

١- (علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لم سمي الحواريون الحواريين، قال: أما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا: فسمى الحواريون: الحوار، لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم، ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكر) علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٨٠ - ٨١.

وروى الطبري بسنده: (عن سعيد بن جبير، قال: إنما سموا الحواريين ببياض ثيابهم) جامع البيان: ٣ / ٣٩٠.

٢- وروى الصدوق: (عن النوفلي في خبر طويل يذكر فيه احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال: قال الجاثليقي: أخبرني عن حوارى عيسى بن مريم كم كان عدتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ قال الرضا عليه السلام: على الخير سقطت، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم ألوقا. وأما علماء النصراني فكانوا ثلاثة رجال: يوحنا الأكبر بأج، ويوحنا بقرقيسياء، ويوحنا الديلمي بزجان وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر أهل بيته وأمته وهو الذي بشر أمة عيسى وبني إسرائيل به) التوحيد: ٤٢١.

٣- (إنجيل لوقا - إصحاح ٦): "١٣ وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا رُسُلًا".

٤- (عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلم الخير أرشدنا، فقال لهم: إِنَّ موسى كليم الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله تعالى كاذبين وأنا أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا: يا روح الله زدنا، فقال: إِنَّ موسى نبي الله عليه السلام أمركم أن لا تزنا وأنا أمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنا، فإن من حدث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوق فأفسد التزويق الدخان وإن لم يحترق البيت) الكافي، الكليني: ٥ / ٥٤٢.

٥- (عن محمد بن سنان، رفعه قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله! فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل) الكافي، الكليني: ١ / ٣٧.

وفي الإنجيل: "٢٩ تَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ" إنجيل متى - إصحاح ١١.

وأيضاً: أمرهم بمجالسة من يذكّرهم بالله رؤيته ويزيد في علمهم منطقته ويرغبهم بالآخرة عمله <sup>(١)</sup>. كان يوصيهم بالرحمة والرفق بالناس ودعوتهم بالخلق اللين <sup>(٢)</sup>، بل ويدّخروا حتى للحيوان من رحمتهم نصيب <sup>(٣)</sup>!

وأيضاً: ينهاهم عن الغضب والكبر واحتقار الناس <sup>(٤)</sup>، ويعلمهم أنّ الدنيا قنطرة فلا تستحق أن تعمّر، بل عليهم أن يهربوا منها <sup>(٥)</sup>!

١- (عن الفضل ابن أبي قرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ قال من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقته، ويرغبكم في الآخرة عمله) الكافي، الكليني: ٣٩ / ١.

٢- (يعقوب بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام لبعض أصحابه: ما لا تحب أن يفعل بك فلا تفعله بأحد، وإن لطم أحد خدك الأيمن فأعط الأيسر) الأمالي، الصدوق: ٤٤٨. وفي الإنجيل: "١٦ هَا أَنَا أَرْسَلُكُمْ كَفْتَمَ فِي وَسْطِ دَنَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسْطَاءَ كَالْحَمَامِ" إنجيل متى - إصحاح ١٠. "٤٤ أَجِبُوا أَغْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ" إنجيل متى - إصحاح ٥.

٣- (عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام لما أن مر على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في الماء فقال له بعض الحواريين: يا روح الله وكلمته، لم فعلت هذا وإنما هو من قوتك؟ قال: فقال فعلت هذا لدابة تأكله من دواب الماء وثوابه عند الله عظيم) الكافي، الكليني: ٩ / ٤.

٤- (عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا معلم الخير أعلمنا أي الأشياء أشد؟ فقال: أشد الأشياء غضب الله عز وجل، قالوا: فبم يتقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس) الخصال، الصدوق: ٦.

٥- (عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: قال المسيح [عيسى] عليه السلام للحواريين: إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها) الخصال، الصدوق: ٦٥.

(عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: كان عيسى بن مريم عليه السلام، يقول لأصحابه: يا بني آدم، اهربوا من الدنيا إلى الله، وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنكم لا تصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخداعة الفجاعة، المغرور من اغتربها، المغبون من اطمأن إليها، الهالك من أحيا وأرادها، فتنبوا إلى بارتكم، واتقوا ربكم، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً. أين أبواكم، أين أمهاتكم، أين إخوانكم، أين أولادكم؟ دعوا فأجابوا، واستودعوا الثرى، وجاوروا الموتى، وصاروا في الهلكى، وخرجوا عن الدنيا، وفارقوا الأحبة، واحتاجوا إلى ما قدموا، واستغنوا عما خلفوا، فكم توعظون، وكم تزجرون، وأنتم لاهون ساهون! مثلكم في الدنيا مثل الهائم، همتمكم بطونكم وفروجكم، أما تستحيون ممن خلقكم؟! وقد وعد من عصاه النار ولستم ممن يقوى على النار، ووعد من أطاعه الجنة ومجاورته في الفردوس الأعلى، فتنافسوا فيه وكونوا من أهله، وأنصفوا من أنفسكم، وتعطفوا على ضعفائكم وأهل الحاجة

كان ينههم على أن العبرة بالخواتيم والمنتهى وهي الأساس<sup>(١)</sup>، وكلمته الحكيمة لهم ذاع ذكرها؛ إذ قال في إحدى مواعظه لهم: "يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة"<sup>(٢)</sup>.

منكم، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وكونوا عبيداً أبراراً، ولا تكونوا ملوكاً جبابة ولا من العتاة الفراعنة المتمردين على من قهرهم بالموت، جبار الجبابرة رب السماوات ورب الأرضين، وإله الأولين والآخرين، مالك يوم الدين، شديد العقاب، أليم العذاب، لا ينجو منه ظالم، ولا يفوته شيء، ولا يعزب عنه شيء، ولا يتوارى منه شيء، أحصى كل شيء علمه، وأنزله منزلته في جنة أنوار. ابن آدم الضعيف، أين تهرب ممن يطلبك في سواد ليلك وبياض نهارك وفي كل حال من حالاتك، قد أبلغ من وعظ، وأفلح من اتعظ) الأمالي، الصدوق: ٦٥٠.

١- (أحمد بن سهل الأزدي العابد، قال: سمعت أبا فروة الأنصاري - وكان من السائحين - يقول: قال عيسى ابن مريم: يا معشر الحوارين بحق أقول لكم إن الناس يقولون إن البناء بأساسه وأنا لا أقول لكم كذلك. قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟ قال: بحق أقول لكم إن آخر حجر يضعه العامل هو الأساس. قال أبو فروة: إنما أراد خاتمة الأمر) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٤٨.

وفي الإنجيل: "١٣ وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَبِذَا يَخْلُصُ" إنجيل متى - إصحاح ٢٤.

٢- (عن مهاجر الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال مرّ عيسى ابن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال: أما إنهم لم يموتوا إلا بسخطة ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته! ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنيها، فدعا عيسى عليه السلام ربه فنودي من الجو: أن نادهم، فقام عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته، فقال: وبحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب فقال: كيف كان حبكم للدنيا؟ قال: كحب الصبي لأمه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا، قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت قال: الطاعة لأهل المعاصي قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية، فقال: وما الهاوية؟ فقال: سجين، قال: وما سجين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة، قال: فما قلتم وما قيل لكم؟ قال: قلنا ردنا إلى الدنيا فنزه فيها، قيل لنا: كذبتم، قال: ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله إنهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد وإني كنت فهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عني معهم فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها، فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحوارين فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة) الكافي، الكليني: ٣١٨ / ٢ - ٣١٩.



ثم إنَّ الحواريين كفاهم الله أمر المعاش، وهذا الأمر ساهم في تطهيرهم أكثر على يد رسول الله عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup>.

علماً، ليس عيسى عليه السلام فقط من كان لديه حواريون يختصّون به، فحواريو عيسى يعني شيعته، وكذا كان للرسول محمد وأوصيائه صلوات الله عليهم شيعة وحواريون يختصّون بهم أيضاً، بل ربما فاقت منزلتهم منزلة حواربي عيسى<sup>(٢)</sup>.

### بعض تعاليمه ووصاياهم للمؤمنين به:

تمتع عيسى صلوات الله عليه بأسلوب حكيم في التنبيه والإرشاد، بل كان ينصح قومه بأنَّ للحكمة حقاً ومن حقها أن لا يُحدّث بها الجهّال، وأن يكونوا بمثابة الطبيب الذي يضع العلاج في موضعه وإلا فالإمساك أولى<sup>(٣)</sup>.

---

١- (عن القاسم بن محمد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: ما بال أصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: إنَّ أصحاب عيسى عليه السلام كفوا المعاش وإن هؤلاء ابتلوا بالمعاش) الكافي، الكليني: ٧١ / ٥.

ورد في الإنجيل: "٢٥ «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللَّبَاسِ؟ ٢٦ أَنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَآبَاؤُكُمْ السَّمَاوِيُّ يُفْقَهُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟...." إنجيل متى - إصحاح ٦.

٢- (عن أبي يحيى كوكب الدم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ حواربي عيسى عليه السلام كانوا شيعته وإنَّ شيعتنا حواربونا وما كان حواربي عيسى بأطوع له من حواربنا لنا، وإنما قال عيسى عليه السلام للحواريين: "من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله" فلا والله ما نصره من اليهود ولا قاتلوه من دونه وشيعتنا والله لم يزلوا منذ قبض الله عزَّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله ينصروننا ويقاثلون دوننا ويُحرقون ويعذبون ويُشردون في البلدان، جزاهم الله عنا خيراً) الكافي، الكليني: ٢٦٨ / ٨.

٣- (عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: إن التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجراحه لا محالة وذلك أنَّ الجراح أراد فساد المجروح والتارك لإشفائه لم يشأ صلاحه فإذا لم يشأ صلاحه فقد شاء فساده اضطراراً، فكذلك لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا ولا تمنعوها أهلها فتأثموا وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوي إن رأى موضعاً لدوائه وإلا أمسك) الكافي، الكليني: ٣٤٥ / ٨.

وأيضاً: كان يحثهم على ترك إعانة الظالم والاحتياط لدين الله من خلال تقسيم الأمور إلى ثلاثة لا غير: أمر بين الرشد فيتبع، وأمر بين الغي فيجتنب، وأمر مشتبه فيرد إلى الله (١).

ومن شواهد حكمته: أنه جاءه رجل يعترف بارتكابه الفاحشة وطلب منه أن يطهره، فأمر عيسى أن ينادى في الناس فاجتمعوا، ولما صار الرجل في الحفرة طلب أن يحده من لم يفعل ما يوجب الحد، فانصرفوا ولم يبق إلا عيسى ويحيى عليهما السلام، والملاحظ أن عيسى وافق على طلب الرجل ولم يردّه (٢)!

كان من شرائع عيسى عليه السلام السيح في البلاد، فرافقه أحد أصحابه الملازمين له في أحد أسفاره، ولما رأى نفسه يمشي على الماء كما يمشي عيسى أصابه العجب فرمس

١- (عن جميل بن صالح، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ..... إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تَحْدُثُوا بِالْحِكْمَةِ الْجَهْلَ فَتُظَلِّمُوها، وَلَا تَمْنَعُوها أَهْلِها فَتُظَلِّمُوهم، وَلَا تَعِينُوا الظَّالِمَ عَلَى ظُلْمِهِ فَيُبْطِلَ فَضْلَكُمْ، الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ رَشْدُهُ فَاتَّبِعْهُ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ غَيِّهِ فَاجْتَنِبْهُ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ فَرُدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) الأمالي، الصدوق: ٣٨٢. وفي الإنجيل: "١٤ سَأَلَهُ عَسْكَرِيُّونَ أَيْضًا قَائِلِينَ: وَمَاذَا نَفْعُ نَحْنُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَطْلُمُوا أَحَدًا، وَلَا تَشُوا بِأَحَدٍ" أنجيل لوقا - إصحاح ٣. بل كان يصب الولايات على الفريسيين الذين يظلمون الفقراء: "١٤ وَإِلَّكُمْ أَهْمًا الْكَتَبَةُ وَالْفَرَسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ! لَأَنْتُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الْأَرَامِلِ" إنجيل متى - إصحاح ٢٣.

٢- (قال الصادق عليه السلام: "إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: يَا رُوحَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي فَأَمَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ ينادى في الناس لا يبقى أحد إلا خرج لتطهير فلان، فلما اجتمع واجتمعوا وصار الرجل في الحفرة نادى لرجل لا يحدثني من الله في جنبه حد، فانصرف الناس كلهم إلا يحيى وعيسى عليهما السلام فدنا منه يحيى عليه السلام فقال له: يا مذنب عظمي فقال له: لا تخلين بين نفسك وبين هواها فتزدريك، قال: زدني قال: لا تعيرن خاطنا خطيئة قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: حسي") من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣٣/٤ - ٣٤.

وورد في الإنجيل قصة مشابهة بحق امرأة: "٤ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمِسَكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفَلْعِلِ، هُوَ مُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانًا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» ٦ قَالُوا هَذَا يُجَرِّئُوهُ، لَكِنْ يَكُونُ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلٍ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. ٧ وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ٨ ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلٍ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ. ٩ وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبْكِيهِمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الْآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَخَدَةُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةً فِي الْوَسْطِ. ١٠ فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانِكَ أَحَدٌ؟» ١١ فَقَالَتْ: «لَا أَحَدٌ، يَا سَيِّدُ!» فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تَخْطِئِي أَيْضًا.» إنجيل يوحنا - إصحاح ٨.

في الماء فاستغاث بعيسى فأنجاه وبعد معرفته بالسبب نصحه ونهاه أن يضع نفسه في موضع يمقته الله فيه. وعموماً، عيسى عليه السلام يعتبر مسألة العجب بالنفس من الحمق الذي لا دواء له<sup>(١)</sup>. في مقابل ذلك، كان يحث على الصمت والاعتبار وتذكر الخطايا والبكاء<sup>(٢)</sup>، وينهى عن سوء الخلق وكثرة الكلام والجدال<sup>(٣)</sup>.

١- (عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إن عيسى بن مريم كان من شر أئمة السيج في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام. فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحة يقين منه قمشي على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام: جازه بسم الله بصحة يقين منه قمشي على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله علي، قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عز وجل مما قلت، قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً) الكافي، الكليني: ٣٠٦/٢ - ٣٠٧.

(عن أبي الربيع الشامي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أعجب بنفسه هلك، ومن أعجب برأيه هلك، وإن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيهم بإذن الله وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه، فقيل يا روح الله وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كله له لا عليه ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقاً فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته) الاختصاص، المفيد: ٢٢١.

وفي الإنجيل ضرب عيسى هذا المثل للمعجبين بأنفسهم: "٩ وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أُبْرَأُوا، وَخَتَمُوا الْآخَرِينَ هَذَا الْمَثَلُ: ١٠ «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاجِدَا قِرْسِيَّ وَالْآخَرَ عَشَارًا. ١١ أَمَّا الْقِرْسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِئِينَ الظَّالِمِينَ الرَّثَاةَ، وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَارِ. ١٢ أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأَعِشِرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. ١٣ وَأَمَّا الْعَشَارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ فَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ. ١٤ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ»" إنجيل لوقا - إصحاح ١٨.

٢- (عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: طوبى لمن كان صمته فكراً، ونظره عبثاً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه) الخصال، الصدوق: ٢٩٥.

وفي الإنجيل: "٣٦ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا جِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. ٣٧ لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَنْبَرِّزُ وَيَكَلِّمُكَ تَدَانُ" إنجيل متى - إصحاح ١٢.

٣- (عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: لا تمزح فيذهب نورك، ولا تكذب فيذهب بهاؤك وإياك وخصلتين: الضجر، والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً، قال:

**تنبيه:** اتصاف عيسى عليه السلام بالسياحة لنشر دين الله أمر ورد ذكره في الإنجيل: "٣٥ وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ" إنجيل متى - إصحاح ٩.

وصف السياحة ذكر لمهدي آل محمد وقائهم أيضاً، وهو مشهد واضح من مشاهد تمهيد عيسى لرسالة محمد؛ باعتبار أن المهدي جزء منها:

(عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: في القائم سنة من موسى، وسنة من يوسف، وسنة من عيسى، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله: فأما سنة موسى فخائف يترقب، وأما سنة يوسف فإن إخوته كانوا يبائعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه، وأما سنة عيسى فالسياحة، وأما سنة محمد صلى الله عليه وآله فالسيف) (١).

### عيسى والرسول محمد وآله (ص):

أهم ما في مسألة الارتباط بين الرسولين الكريمين هو أن رسالة عيسى هيأت لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله كما سيتضح.

فمن أساسيات دين عيسى عليه السلام ورسالته هو معرفته وإقراره بعظم مقام ومنزلة الرسول محمد وآله صلوات الله عليهم، فالعلاقة بين رسل أولي العزم (ومنهم عيسى) وبين الرسول محمد وآله حتمية وأكيدة في الدين الإلهي؛ لأن انفرادهم بخصوصية "أولي العزم" كما له صلة بإخلاصهم لله له صلة - أيضاً - بمعرفتهم بمقام

---

وكان المسيح عليه السلام يقول: من كثر همته سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر كذبه ذهب بهأوه، ومن لاحى الرجال (نازعهم وجادلهم) ذهب مروءته (الأمالى، الصدوق: ٦٣٦).

وفي الإنجيل: "١٨ وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنْ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَلِكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، ١٩ لِأَنَّ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شَرِيرَةٌ: قَتْلٌ، زَنَى، فسقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ. ٢٠ هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ. وَأَمَّا الْأَكْلُ بِأَيِّ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ" إنجيل متى - إصحاح ١٥. وكان يقول: "٦ لَا تُعْطُوا الْمُقَدَّسَ لِلْكَلابِ، وَلَا تَطْرَحُوا دُرُكُمُ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِنَلَأْ تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فْتُمَزِّقَكُم" إنجيل متى - إصحاح ٧.

ومنزلة الرسول محمد وآله الأوصياء كما تقدم أكثر من مرة<sup>(١)</sup>. هذا فضلاً عن أنَّ الأنبياء كلهم ما بعثوا إلا بعد الإقرار بهم وبفضلهم<sup>(٢)</sup>. بل شدة معرفة عيسى عليه السلام بهم بلغت حدًّا أنه لما ضاقت عليه الأمور وأراد اليهود قتله دعا الله بحقهم ليدفع عنه القتل فدفعه عنه ورفع له إليه<sup>(٣)</sup>!

وأيضاً: كان من وصايا الله سبحانه لرسوله عيسى عليه السلام أن أوصاه بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وبين له عظيم مقامه وجليل صفاته (تماماً كما فعل مع الرسل السابقين ابتداءً بآدم عليه السلام)، وطلب منه أن يوضح ذلك لأتباعه ومن آمن به ليذكروه ويهيؤوا أنفسهم لبعثه وانتظاره<sup>(٤)</sup>.

١- عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً" قال: (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سمي أولوا العزم أولي العزم: لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم على أنَّ ذلك كذلك والإقرار به) الكافي، الكليني: ٤١٦/١.

٢- الإمام الصادق عليه السلام: (ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها)، (ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا) الكافي، الكليني: ٤٣٧/١.

٣- (عن الرضا صلوات الله عليه قال: لما أشرف نوح صلوات الله عليه على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رُمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل النار عليه برداً وسلاماً، وأنَّ موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وأنَّ عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا نجي من القتل فرفعه إليه) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٠٩ - ١١٠.

٤- (عن علي بن أسباط عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام: ..... ثم أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحبيبي فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأحمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس الحي المتكرم، فإنه رحمة للعالمين وسيد ولد آدم يوم يلقاني، أكرم السابقين علي وأقرب المرسلين مني، العربي الأمين، الديان بديني، الصابر في ذاتي، المجاهد المشركين بيده عن ديني أن تخبر به بني إسرائيل وتأمروهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتبعون وأن ينصروه. قال عيسى عليه السلام: إلهي من هو حتى أرضيه؟ فلك الرضا قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة أقرهم مني منزلة وأحضرهم شفاعة، طوبى له من نبي وطوبى لأمته إن هم لقوني على سبيله، يحمد الله أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون طيب مطيب، خير الباقيين عندي، يكون في آخر الزمان إذا خرج أرخت السماء عزالها وأخرجت الأرض زهرتها حتى يروا البركة وأبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الأزواج، قليل الأولاد، يسكن بكة موضع أساس إبراهيم. يا عيسى دينه الحنيفية وقبلته يمانية وهو من حزبي وأنا معه فطوبى له ثم طوبى له، له الكوثر والمقام الأكبر في جنات عدن يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم، فيه أنية مثل

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" الصف: ٦.

سيأتي بحث هذه البشارة مفصلاً، لكن ما يهمنا الآن هو معرفتنا بقيام عيسى عليه السلام بمهمة تعريف أُمته بالرسول محمد وآله الأوصياء على أتم وجه حتى إن بعض الرهبان (كيوحنا الديلمي مثلاً) الذين جاءوا بعده بمنات السنين كانوا يبشرون المسيحيين بالرسول محمد وبأهل بيته صلوات الله عليهم <sup>(١)</sup>، وبالتأكيد ما كان ذلك ليحصل لولا التعاليم والوصايا التي بثها عيسى عليه السلام في أُمته وتوارثوها جيلاً بعد جيل، بل لشدة وضوح النصوص والبشارات بالرسول محمد صلى الله عليه وآله جاء النصراني (وكذا اليهود) إلى يثرب واستوطنوها؛ لأنهم كانوا يعلمون بأنها (أي يثرب) مهاجرة، وسيتضح ذلك لاحقاً.

نجوم السماء وأكواب مثل مدر الأرض عذب فيه من كل شراب وطعم كل ثمار في الجنة، من شرب منه شربة لم يظلم أبداً وذلك من قسسي له وتفضيلي إياه على فترة بينك وبينه، يو افق سره علانيته وقوله فعله، لا يأمر الناس إلا بما يبدأهم به، دينه الجهاد في عسرويسر تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الروم على دين إبراهيم يسى عند الطعام ويفشي السلام ويصلي والناس نيام، له كل يوم خمس صلوات متواليات، ينادي إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار ويفتح بالتكبير ويختتم بالتسليم ويصف قدميه في الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها ويخشع لي قلبه ورأسه، النور في صدره والحق على لسانه وهو على الحق حيثما كان أصله يتيم ضال برهة من زمانه عما يراد به، تنام عيناه ولا ينام قلبه له الشفاعة وعلى أُمته تقوم الساعة، ويدي فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه أوفيت له بالجنة، فمر ظلمة بني إسرائيل ألا يدرسوا كتبه ولا يحرقوا سننّه وأن يقرؤوه السلام فإن له في المقام شأنًا من الشأن) الكافي، الكليني: ٨ / ١٣٩ - ١٤٠.

ومسألة تعريف عيسى لحوارييه وقومه بالرسول محمد صلى الله عليه وآله أمر روي في مصادر سنية أيضاً، منها: (عن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم: يا روح الله! فهل بعدنا من أمة؟ قال: نعم أمة محمد) عمدة القاري، العيني: ١٦ / ٩٦.

١- (عن الحسن بن محمد النوفلي في خبر طويل يذكر فيه احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال: قال الجاثليقي: أخبرني عن حواري عيسى بن مريم كم كان عدتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ قال الرضا عليه السلام: على الخير سقطت، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم ألوقا. وأما علماء النصراني فكانوا ثلاثة رجال: يوحنا الأكبر بآج، ويوحنا بقرقيسياء ويوحنا الديلمي بزجان وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر أهل بيته وأُمته وهو الذي بشر أمة عيسى وبني إسرائيل به) التوحيد، الصدوق: ٤٢١.

قال تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا دُعِيَ النَّاسُ لَهَا فَعَزَّوْهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الأعراف: ١٥٧).

(عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: ..... فلم تزل الأنبياء عليهم السلام تبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله وذلك قول: "يجدونه" يعني اليهود والنصارى "مكتوباً" يعني صفة محمد واسمه "عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر" وهو قول الله عز وجل يحكي عن عيسى بن مريم "ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، فبشّر موسى وعيسى عليهما السلام بمحمد صلى الله عليه وآله كما بشّرت الأنبياء بعضهم بعضاً حتى بلغت محمداً صلى الله عليه وآله (١). والنصوص في ذلك كثيرة، وسيأتي بحث البشارات لاحقاً إن شاء الله تعالى (٢).

#### ١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢١٧.

٢- منها على سبيل المثال: (عن عبد الله بن سليمان، وكان قارئاً للكتب، قال: قرأت في الإنجيل: يا عيسى، جد في أمري ولا تهزل، واسمع وأطع، يا بن الطاهرة الطهر البكر البتول، أتيت من غير فعل، أنا خلقتك آية للعالمين، فيأيام فاعبد، وعلي فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل سوريا السريانية، وبلغ من بين يديك أني أنا الله الدائم الذي لا أزول، صدقوا النبي صلى الله عليه وآله الأُمِّي صاحب الجمل والمدرعة والتاج - وهي العمامة - والنعلين والهرارة - وهي القضيب - الأنجل العينين، الصلّت الجبين، الواضح الخدين، الأقيّ الانف، المفلج الثنايا، كأن عنقه إبريق فضة، كأن الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من صدره إلى سرتة، ليس على بطنه ولا على صدره شعر، أسمر اللون، دقيق المسربة، شثن الكف والقدم، إذا التفت التفت جميعاً، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخرة وينحدر من صبيب، وإذا جاء مع القوم بذهم، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفع منه، لم يرقيله مثله ولا بعده، طيب الريح، نكاح النساء ذو النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها في آخر الزمان كما كفل زكريا أملك، لها فرخان مستشهدان، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه، وشهد أيامه، وسمع كلامه. قال عيسى عليه السلام: يا رب، وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة، أنا غرستها، تظل الجنان، أصلها من رضوان، ماؤها من تسنيم، برده برد الكافور، وطعمه طعم الرزجيل، من يشرب من تلك العين شربة لا يظلمها بعدها أبداً. فقال عيسى عليه السلام: اللهم اسقني منها. قال: حرام - يا عيسى - على البشر أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي، وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى تشرب أمة ذلك النبي، أرفعك إليّ ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب، ولتعينهم على اللعين الدجال، أهبطك في وقت الصلاة لتصلي معهم إنهم أمة مرحومة) الأمالي، الصدوق: ٣٤٥ - ٣٤٧.

### عيسى والحسين:

عن ابن عباس، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في حديث يذكر فيه مرور عيسى والحواريين معه على أرض كربلاء وبكائه على الحسين، قال:

(..... فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى. فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا. قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، ...).

ثم قال أمير المؤمنين بأعلى صوته: (يا رب عيسى بن مريم، لا تبارك في قتلته والمعين عليه والخاذل له، ثم بكى بكاء طويلاً وبكىنا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثم أفاق، .....<sup>(١)</sup>).

### عيسى والمهدي:

بحسب النص الديني، كما عرفنا، فإنَّ وصف رسول ما بأنه من أولي العزم من الرسل له علاقة بمحمد وآله صلوات الله عليهم عموماً وبالمهدي منهم بالخصوص، وهذا يعني معرفة عيسى عليه السلام به وبأنه الذخيرة الإلهي الذي أعدّه الله لإقامة دولته العادلة في آخر الزمان. ولهذا تضمّن "الإنجيل" ذكر العديد من النصوص الخاصة بآخر الزمان ومجيء المنقذ والمخلص الإلهي (مهدي آل محمد) سواء ما يتعلق به وبصفاته أو بأصحابه أو علامات ظهوره وبعثه وغير ذلك، وكذا ما يتعلق بدولته الإلهية العادلة ... إلخ، وسيتم عرض بعض بشارات الأنبياء والرسل (ومنهم عيسى عليه السلام) بالرسول محمد وآله صلوات الله عليهم في قادم بحوث كتاب "الرسالة" إن شاء الله.



صلة عيسى عليه السلام بالمهدي صلوات الله عليه واضحة وجليّة في نصوص المسلمين أيضاً، فنزول عيسى وصلاته خلف مهدي آل محمد صلوات الله عليه أمر متواتر ذكره في الروايات ومصادر المسلمين<sup>(١)</sup>.

انتماء عيسى عليه السلام (وهو أحد رسل أولى العزم) بالمهدي صلوات الله عليه يؤكد أفضلية أوصياء الرسول محمد صلى الله عليه وآله على من سواهم من حجج الله، فالمهدي أحد أوصياء الرسول محمد واسمه مذكور ضمن أسماء الأوصياء الذين ذكرهم الرسول في وصيته ليلة وفاته كما تقدم، ومسألة أفضلية آل محمد صلوات الله عليهم على سائر حجج الله حقيقة تأكدت لمن طالع البحوث السابقة. والحق، إنّ صلة عيسى برسالة المهدي هي حلقة من حلقات التمهيد والتهيئة التي مارسها عيسى عليه السلام لرسالة محمد بعد معرفتنا بأنّ المهدي جزء من رسالة جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

---

١- هذا مثال لها من المصادر السنية، وإلا ففي مصادر الشيعة المسألة قطعية ويقينية:

(عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة) صحيح مسلم: ١ / ٩٥.

(عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) صحيح البخاري: ٤ / ١٤٣؛ صحيح مسلم: ١ / ٩٤.

ابن حجر العسقلاني: (وقال أبو الحسن الخسعي الأبدى في مناقب الشافعي: تواترت الاخبار بأنّ المهدي من هذه الأمة وأنّ عيسى يصلي خلفه، ذكر ذلك ردّاً للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه ولا مهدي الا عيسى) فتح الباري، ابن حجر: ٦ / ٣٥٨.

المنأوي: (٨٢٦٢-٨) (منا) أهل البيت (الذي) أي الرجل الذي (يصلي عيسى ابن مريم) روح الله عند نزوله من السماء في آخر الزمان عند ظهور الدجال (خلفه) فإنه يتزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيحسن به فيتأخر ليتقدم فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه، فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأمة) فيض القدير، المناوي: ٦ / ٢٣.

## رفع عيسى (ع) وما جرى بعده:

قال تعالى: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" آل عمران: ٥٥.

"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا \* وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا" النساء: ١٥٧ - ١٥٩.

## رفع عيسى (ع) وأثره في التمهيد لرسالة محمد (ص):

عيسى صلوات الله عليه لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفعه الله إليه. ولا أريد هنا توضيح معنى الرفع؛ لأنه أمر تقدم بيانه في مباحث كتاب "الرسالة" (١)، لكني أريد التركيز على أثر رفع عيسى في التمهيد لرسالة محمد صلى الله عليه وآله.

قلت سابقاً: إن أهم ما في مسألة الارتباط بين الرسولين الكريمين هو أن رسالة عيسى هيأت لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله بشكل واضح، فالنص الديني وصف بعثة عيسى بـ "طلعة الله في ساعير" بينما وصف بعثة محمد بـ "ظهور الله في فاران":

ورد في دعاء السمات عن الأئمة عليهم السلام: (.... وأسألك اللهم .....)، وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء، فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام، وبطلعتك في ساعير، وظهورك في فاران (...). (٢).

١- انظر: كتاب الرسالة: الجزء الأول - بحث: "بيان معنى الرفع" ضمن مباحث الإعداد الإلهي للمشروع الرسالي.

٢- مصباح المتعبد، الطوسي: ٤١٦.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان معناه:

(..... وطلعة الله في ساعير بعيسى عليه السلام، وظهور الله في فاران بمحمد صلى الله عليه وآله. ولابد من الالتفات إلى أنّ عبارات الدعاء مرتبة تصاعدياً، فمن نبي "كلمه الله" وهو موسى عليه السلام، إلى نبي مثل "طلعة الله" وهو عيسى عليه السلام، إلى نبي مثل "ظهور الله" وهو محمد صلى الله عليه وآله.

والفرق بين الطلعة والظهور؛ هو أنّ الطلعة هي الإطلاة والظهور الجزئي، أي إنّ الطلعة هي تجلّي بمرتبة أدنى من الظهور<sup>(١)</sup>، فكلاهما أي عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله مثلاً الله سبحانه في الخلق، ولكن عيسى عليه السلام بمرتبة أدنى من محمد صلى الله عليه وآله. وبعثُ عيسى عليه السلام كان ضرورياً للتمهيد لظهور وبعث محمد صلى الله عليه وآله الذي مثل الله في الخلق، فكان محمد صلى الله عليه وآله خليفة الله حقاً. ....) انتهى<sup>(٢)</sup>.

كون الرسول محمد صلى الله عليه وآله خليفة الله الحقيقي والكامل يتضح من خلاله معرفتنا بحقيقة علوم منزلته التي فاق بها جميع رسل الله، وهو أمر ثابت بالنصوص القطعية التي يعتقدها جميع المسلمين<sup>(٣)</sup>. وأيضاً: يتضح من خلال تمهيد جميع رسل الله السابقين عليه لرسالته كما رأيناه بوضوح في بحوث "الرسالة" التي تقدمت.

١- قال الجوهري: (الطلعة: الرؤية) الصحاح: ٣ / ١٢٥٤، وقال ابن منظور: (طلع فلان علينا من بعيد، وطلعته: رؤيته. يقال: حيا الله طلعتك) لسان العرب: ٨ / ٢٣٦. وقال الجوهري: (وظهر الشيء بالفتح ظهوراً: تبين ... وأظهرت الشيء: بينته) الصحاح: ٢ / ٧٣٢.

٢- النبوة الخاتمة، السيد أحمد الحسن: ٤١٦ بحث "محمد (ص) ظهور الله في فاران".

٣- هذه الحقيقة متواترة في روايات المسلمين، لذا سأكتفي ببعض الأمثلة:

- (عن الحسين بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله سيد ولد آدم؟ فقال: كان والله سيد من خلق الله، وما برأ الله بريّة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله.

... قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما برأ الله نسمة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله.

... عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين

وبخصوص عيسى صلوات الله عليه: فإنّ تمهيدَه للرسول محمد صلى الله عليه وآله يمكننا ملاحظته من عدة جهات:

١- ما تقدم قبل قليل، من أنّ عيسى مثل "طلعة الله" وأنّ الرسول محمد مثل "ظهور الله"، والطلعة تبيّن للظهور بوضوح؛ لأنها بالأساس ظهور جزئي كما عرفنا، ولهذا نرى قرب زمان بعثة عيسى من زمان بعثة محمد حيث إنّ الفاصل بين البعثتين يتراوح بين ٥٠٠ - ٦٠٠ عام لا أكثر، وهو زمن قصير جداً بحساب التاريخ الرسالي على الأرض الذي انطلق قبل ما يزيد على العشرين ألف عام كما سبق بيانه، وهذا القصر الزمني يشير في أحد مدلولاته إلى التمهيد بشكل يفوق بكثير تمهيد بقية الرسل السابقين؛ خصوصاً مع اقترانه بكثرة البشارات التي تضمّنها "الإنجيل" برسالة الرسول محمد وأوصيائه صلوات الله عليهم كما سنرى عند عرضها.

٢- التمهيد أيضاً يمكننا ملاحظته في مسألة السنن التي جرت على عيسى عليه السلام فإنّ بعضها يشبه السنن التي ستجري على الرسول محمد أو أحد أوصيائه الذين هم جزء من رسالته، كما رأيناه مثلاً في سنّة "السياحة" التي وصف بها عيسى والمهدي صلوات الله عليهما<sup>(١)</sup>.

---

"وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتم بالإقرار بالله) الكافي، الكليني: ١ / ٤٤٠ - ٤٤١.

- (عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته) مسند أحمد: ١ / ٣٧٩.

- (عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيد لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ....") سنن الترمذي: ٤ / ٣٧٠؛ مسند أحمد: ١ / ٢٨١.

- (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع) مسند أحمد: ٢ / ٥٤٠؛ صحيح مسلم: ٧ / ٥٩.

١- (عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: في القائم سنة من موسى، وسنة من يوسف، وسنة من عيسى، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله: فأما سنة موسى فخائف يترقب، وأما سنة يوسف فإن إخوته كانوا

٣- بل نفس رفع عيسى وما جرى بعده يمكننا أن نجد فيها سبل تمهيد واضحة لرسالة محمد صلى الله عليه وآله، وسأقتصر على بيان أمرين يتعلّقان بذلك:

**الأول:** شاء الله سبحانه لعيسى أن يُرفع، وكذلك الحال بالنسبة لأحد أوصياء الرسول محمد وهو الإمام المهدي محمد بن الحسن صلوات الله عليه، فالنصوص أيضاً أكدت رفعه بعد ولادته <sup>(١)</sup>، وليس لأحد يؤمن بالله ورسوله ويصدق كتبه أن يستنكر أو يستغرب حصول ذلك في رسالة الإسلام بعد أن حصل نظيره في رسالة عيسى عليه السلام، وبهذا نعرف سبباً من سبل تمهيد الرسالة العيسوية للرسالة المحمدية. علماً، أنّ هذا السبيل من سبل التمهيد لا يقف عند هذا الحد، وإنما رفع عيسى له علاقة برسالة المهدي صلوات الله عليه في آخر الزمان بالخصوص، وقد استعرضنا سابقاً بعض النصوص التي تؤكد ذلك وتؤكد نزوله وصلاته خلفه.

**الثاني:** إنّ عيسى قام بإرسال رسل بعد رفعه، وهذا الأمر منصوص عليه:

---

يباعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه، وأما سنة عيسى فالسياحة، وأما سنة محمد صلى الله عليه وآله فالسيف) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٨.

١- فمثلاً: ورد في رواية السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام التي قصت فيها حضورها عند ابن أخيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليلة ولادته ابنه الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه، والرواية طويلة إلى أن تقول: (..... فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال: يا عمّة تناوليه وهاتيه، فتناولته وأتيت به نحوه، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني [والطير ترفرف على رأسه] وتناولته لسانه فشرب منه، ثم قال: امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي قالت: فتناولته أمه فأرضعته، فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له: أحمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً، فتناوله الطير وطار به في جو السماء وأتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: "أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى" فيكت نرجس فقال لها: اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه وذلك قول الله عز وجل: "فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن". قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ قال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوقهم ويسددهم ويربهم بالعلم. ....) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٥٤ - ٤٥٨.

قوله: "فصاح بطير منها فقال له: أحمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً":

الطير يعني ملائكة، وهذا يؤكد أنّ الإمام المهدي مرفوع، وأنّ رفعه كان بعد ولادته، علماً أنّ الرفع لا ينافي التكليف وأداء المهام، كما حصل من نبي الله عيسى مع الحواريين بعد حادثة رفعه: الأمر الذي نحن بصدد بحثه الآن.

ففي الإنجيل: "١٩ وَمَا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأُسْبُوعِ، وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، ... ٢١ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «سَلَامٌ لَكُمْ! كَمَا أُرْسَلَنِي الْآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا»" إنجيل يوحنا - إصحاح ٢٠.

وفي القرآن، قال تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" يس: ١٣ - ١٤.

(عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية فقال: بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكية فجاءهم بما لا يعرفون فغلظوا عليهما فأخذوهما وحبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثالث فدخل المدينة فقال: ارشدوني إلى باب الملك، قال: فلما وقف على باب الملك قال: أنا رجل كنت أعبد في فلاة من الأرض وقد أحببت أن أعبد إله الملك فأبلغوا كلامه الملك، فقال: أدخلوه إلى بيت الآلهة فأدخلوه فمكث سنة مع صاحبيه، فقال بهذا ينقل قوم من دين إلى دين بالحنق أفلا رفقتما ثم قال لهما: لا تفران بمعرفتي ثم أدخل على الملك، فقال له الملك بلغني أنك كنت تعبد إليّ فلم أزل وأنت أخي فاسألني حاجتك! قال: ما لي حاجة أيها الملك ولكن رأيت رجلين في بيت الآلهة فما بالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتيا بيطلان ديني ويدعوانني إلى إله سماوي، فقال: أيها الملك فمناظرة جميلة فإن يكن الحق لهما أتبعنهما وإن يكن الحق لنا دخلا معنا في ديننا، فكان لهما ما لنا وما عليهما ما علينا، قال: فبعث الملك إليهما فلما دخلا إليه قال لهما صاحبيهما: ما الذي جئتما به؟ قالوا: جئنا ندعو إلى عبادة الله الذي خلق السماوات والأرض ويخلق في الأرحام ما يشاء ويصور كيف يشاء وأنبت الأشجار والأثمار وأنزل القطر من السماء. قال: فقال لهما: أإلهكما هذا الذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئنا بأعنى يقدر أن يرده صحيحاً؟ قالوا: إن سألناه أن يفعل فعل إن شاء، قال: أيها الملك عليّ بأعنى لم يبصر قط قال فأتي به، فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يرد بصر هذا، فقاما وصليا ركعتين فإذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر إلى السماء، فقال: أيها الملك عليّ بأعنى آخر، قال: فأتي به قال: فسجد سجدة ثم رفع رأسه فإذا الأعنى الآخر بصير، فقال: أيها الملك حجة بحجة عليّ بمقعد، فأتي به فقال لهما مثل ذلك فصليا ودعوا الله فإذا المقعد قد أطلقت رجلاه وقام يمشي، فقال: أيها الملك عليّ بمقعد آخر فأتي به فصنع به كما صنع أول مرة فانطلق المقعد، فقال: أيها الملك قد أوتينا بحجتين وأتينا بمثله ولكن بقي شيء

واحد فإن هما فعلاه دخلت معهما في دينهما ثم قال: أيها الملك بلغني أنه كان للملك ابن واحد ومات فإن أحياء إلهيما دخلت معهما في دينهما، فقال له الملك: وأنا أيضاً معك، ثم قال لهما قد بقيت هذه الخصلة الواحدة قد مات ابن الملك فادعوا إلهكما فيحييه، قال: فخرنا إلى الأرض ساجدين لله وأطالا السجود ثم رفعنا رأسيهما وقالوا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء الله، قال: فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب، قال: فأتي به الملك فعرف أنه ابنه، فقال له: ما حالك يا بني؟ قال: كنت ميتاً فرأيت رجلين من بين يدي ربي الساعة ساجدين يسألانه أن يحييني فأحياني، قال: تعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم، قال: فأخرج الناس جملة إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل فيقول له أبوه انظر فيقول: لا، لا، ثم مروا عليه بأحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما وأشار بيده إليه، ثم مروا أيضاً بقوم كثيرين حتى رأى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر، قال: فقال النبي صاحب الرجلين: أما أنا فقد آمنت بإلهكما وعلمت أن ما جئتما به هو الحق، قال: فقال الملك: وأنا أيضاً آمنت بإلهكما ذلك وآمن أهل مملكته كلهم<sup>(١)</sup>.

واضح أن الآية تحكي قصة ثلاث رسل بعثهم عيسى عليه السلام إلى مدينة أنطاكية، ومعلوم أن بعثته لهم كان بعد رفعه، أما قبل رفعه فلم تتح له الظروف نشر رسالته خارج القدس إطلاقاً؛ نتيجة التضيق الشديد عليه من قبل السلطتين الدينية والسياسية في ذلك الوقت كما سيتضح. فالمرفوع لا يعني انقطاع صلته بهذا العالم، وهذا أحد الفوارق المهمة بين الرفع والموت، فالموت يقطع صلة الميت بهذا العالم بخلاف الرفع.

وبحسب بعض النصوص فإن الرسول الثالث الذي بعثه عيسى لاستنقاذ الرسولين المكذّبين هو وصيه شمعون الصفا: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ". وعموماً، إرسال عيسى لثلاث رسل وأنهم المعنيون بالآية أمر ذكره عموم المفسرين كما هو واضح لمن راجع كلامهم<sup>(٢)</sup>.

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢/ ٢١٢ - ٢١٤.

٢- قال الطبرسي عن الآيات من سورة يس: (القصة: قالوا: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة، رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب صاحب يس، فسألما عليه، فقال الشيخ لهما: من

وحتى نتضح لنا حقيقة ما قام به عيسى عليه السلام في قضية إرسال رسل منه وكيف أنّ هذا الفعل يمهد لرسالة الرسول محمد، ينبغي علينا بحث مسألة "الإرسال من الرسل" ولو باختصار: إذ سيأتي بحثها التفصيلي في رسالة محمد صلى الله عليه وآله، فأقول:

أنتما؟ قال: رسولاً عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن. فقال: أمعكما أية؟ قال: نعم، نحن نشفي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله. فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين. قال: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله. فذهب بهما، فمسحا ابنه، فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً. ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. وكان لهم ملك يعبد الأصنام، فأنهي الخبر إليه، فدعاهما فقال لهما: من أنتما؟ قال: رسولاً عيسى، جننا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر. فقال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا؟ قال: نعم، من أوجدك وآلهتك. قال: قوما حتى أنظر في أمركما. فأخذهما الناس في السوق، وضربوهما. قال وهب بن منبه: بعث عيسى هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها، وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم، فكبرا وذكر الله، فغضب الملك وأمر بحبسهما، وجلد كل واحد منهما مئة جلدة. فلما كذب الرسولان، وضربا، بعث عيسى شمعون الصفا، رأس الحواريين، على أثرهما، لينصرهما. فدخل شمعون البلدة متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك، حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عشرته، وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن، وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل سمعت قولهما؟ قال الملك: حال الغضب بيبي وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما. فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قال: الله الذي خلق كل شيء، لا شريك له. قال: وما آيتكما؟ قال: ما تتمناه. فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين، وموضع عينيه كالجمجمة. فما زال يدعو الله حتى انشق موضع البصر، فأخذاً بندقيتين من الطين، فوضعا في حديقته، فصارتا مقلتين يبصر بهما. فتعجب الملك. فقال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا، فيكون لك وإلهك شرفاً؟ فقال الملك: ليس لي عنك سرا، إن إلهنا الذي نعبد، لا يضر ولا ينفع. ثم قال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمناً به وبكما. قال: إلهنا قادر على كل شيء. فقال الملك: إن ها هنا ميتاً منذ سبعة أيام لم تدفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائباً، فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح، فجعل يدعوهم ربهما علانية، وجعل شمعون يدعوه سرا، فقام الميت، وقال لهم: إني قد مت منذ سبعة أيام، وأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فأمنوا بالله فتعجب الملك. فلما علم شمعون أن قوله أثّر في الملك، دعاه إلى الله، فأمن وأمن من أهل مملكته قوم، وكفر آخرون. وقد روى مثل ذلك العياشي بإسناده عن الثمالي، وغيره، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام، إلا أن في بعض الروايات: بعث الله الرسولين إلى أهل أنطاكية، ثم بعث الثالث، وفي بعضها: أن عيسى أوحى الله إليه أن يبعثهما، ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما، وأن الميت الذي أحياه الله تعالى بدعاهما، كان ابن الملك، وأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه، فقال له: يا بني! ما حالك؟ قال: كنت ميتاً، فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحييني. قال: يا بني فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم. فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل، فمر أحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما، ثم مر الآخر فعرّفهما، وأشار بيده إليهما، فأمن الملك، وأهل مملكته) مجمع البيان: ٨ / ٢٦٥ - ٢٦٦.



أمر استجد في رسالة عيسى لم يكن له سابقة في عموم الخط الرسالي الإلهي منذ انطلاقة ببعث آدم عليه السلام، وهو أن يقوم رسول إلهي بإرسال رسل من قبله بحيث يكون إرساله لهم إرسال الله، فلو لاحظنا الآية من سورة "يس" تقول: "أرسلنا" في حين أن المرسل لهم حقيقة هو عيسى كما عرفنا، لكن الله اعتبر فعل عيسى فعله، فقال: "أرسلنا"!

بالتأكيد، لم يكن لمثل هذا الفعل نظير في الرسائل السابقة، ولنأتي من الأخير (كما يقال) للاختصار، فمثلاً: لو نظرنا إلى رسالة موسى الكليم (وهو رسول من أولي العزم بلا شك)، فإنه لما احتاج إلى وزير يعضده في رسالته دعا الله أن يشد أزره بإرسال أخيه هارون فاستجاب الله دعاءه وأرسل هارون معه: "قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ \* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ" الشعراء: ١٢-١٣، فالمرسل لهارون هو الله وليس موسى؛ لأنه لم يكن من حقه أن يرسل أحد ولم تمنح له هكذا صلاحية، بينما منحت مثل تلك الصلاحية لعيسى بحدود تناسب كونه "طلعة الله".

أما من مثل "ظهور الله" أعني الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فقد منح الله له تلك الصلاحية (الإرسال منه) بالتأكيد، بل وبدرجة أكبر وأتم من التي مُنحت لعيسى، ونحن نتناسب مع مقامه الذي لا يدانيه فيه أحد كما عرفنا. ولأجل أن تتوضح مسألة الإرسال من الرسول محمد صلى الله عليه وآله، ينبغي أن نعرف - أولاً - أن الغاية التي خلق الله سبحانه الخلق لأجلها تتمثل بالعبادة وهي المعرفة، قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات: ٥٦. أي: يعرفون<sup>(١)</sup>.

---

١- (عن سلمة ابن عطا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبده فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله بأي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته) علل الشرائع، الصدوق: ٩/ ١.

و أيضاً: تفسير العبادة بالمعرفة في الآية قال به كثير من علماء السنة أيضاً، انظر على سبيل المثال: عمدة القاري، العيني: ٢٥/ ٩؛ جامع البيان وفضله، ابن عبد البر: ٤٤/ ٢؛ كشف الخفاء، العجلوني: ١٣٢/ ٢؛ تفسير السلمي: ٢ / ٢٧٨؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١ / ٦٦٠؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤ / ٢٥٥؛ وغيرهم. يقول أبو السعود: (... ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي أول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق

ثم إنَّ الواقع أكد أنَّ الغالبية العظمى من الخلق لا تتم لهم المعرفة، التي خلقوا لأجلها، إلا عن طريق خلفاء الله (أنبياء، رسل، أئمة)، ولهذا صار الاستخلاف (تنصيب خليفة إلهي من قبل الله) أصل الدين وأساسه منذ يوم الخليفة الأول<sup>(١)</sup>. لكن خلفاء الله ليسوا كلهم بمنزلة واحدة. قال تعالى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ" البقرة: ٢٥٣، وهذا يعني أنَّ معرفة الله التي تظهر على أيدي الرسل تتفاوت بتفاوت درجاتهم ومنازلهم من الله، ولما كان القدر المتيقن لدى جميع المسلمين أنَّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله هو أكرم الخلق وأشرفهم وأقربهم لله على الإطلاق، فهذا يعني أنَّ أقصى درجات المعرفة بالله التي خلق الخلق لأجلها تتم على يديه، ولهذا تكرر منَّا القول بأنَّ الهدف الحقيقي الذي تصبو إليه الرسالة الإلهية منذ انطلاقتها في يومها الأول على هذه الأرض ببعث آدم هو بلوغها بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله؛ وقد توضح لنا سبب ذلك الآن! والسبب ببساطة: أنَّ الرسول محمد لما كان أقرب الخلق لله سبحانه فهو إذن مثله الأعلى الذي استطاع (لشدة إخلاصه لله) أن يتخلَّق ويتصف بأسماء الله بحيث أصبح مرآة صافية تعكس الكمالات الإلهية بأتم ما يكون، فمثلاً: من

على ما نطق به عز وجل "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف). تفسير أبي السعود: ٢ / ١٢٩.

١- قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" البقرة: ٣٠.

وعن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (إنَّ الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرف الله ومن أنكره أنكره الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه وحدوده وشرايعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بأنَّ معرفة الرجال دين الله والمعرفة على وجهه معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفة الله) بصائر الدرجات، الصفار: ٥٤٩. وبمضمونه وردت روايات سننية بين فيها الرسول أنَّ الفرقة الناجية هي ما عليه هو وأصحابه، هذا مثال لها: (تَفَتَرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هِيَ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِي مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي).

يقول السيد أحمد الحسن: (الرسول صلى الله عليه وآله قد حدَّدَ صفةَ الفرقةِ الناجيةِ بأنها الفرقةُ التي يكونُ فيها قائدٌ منصَّبٌ من الله، كما كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ومؤمنون بهذه القيادة الإلهية المُعَرِّفَةُ بالله وبأمر الله، كما كانَ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله. فالحقُّ إذن كما حدَّدَهُ ووصفَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بدقة، هو الفرقةُ التي فيها العلاقةُ المُوَافِقةُ للعلاقةِ التي بيَّنه وبين أصحابه، أي الإيمان بالاستخلاف، فهناك خليفةٌ إلهي منصب من الله، وهناك مؤمنون بهذا الخليفة وبهذا الأصل الذي هو أصل الدين الإلهي) عقائد الإسلام: بحث "أصل الدين".

أراد أن يعرف رحمة الله فليُنظر إلى رحمة محمد صلى الله عليه وآله وهكذا، وبهذا فإن المعرفة بالله (التي خلق الخلق لأجلها) التي تظهر على يديه لا تظهر على يد أي رسول إلهي آخر، وأن أي معرفة يبيها الرسل الآخرون تبقى ناقصة - وبالتالي لا تتحقق الغاية من الخلق بالصورة المثلى - إذا ما قيسست بالمعرفة التي يبيها محمد صلى الله عليه وآله، وليس هذا فحسب ولكن معرفة الخلق بالله صارت تدور مدار معرفتهم بمحمد صلوات الله عليه وآله، ولهذا ما بعث الله نبياً ولا رسولاً إلا بمعرفته والإقرار بفضله كما تقدم سابقاً.

الرسول محمد - والحال هذه - هو خليفة الله الحقيقي والرسول الحقيقي الذي يُراد لرسالة الله أن تبلغ يوم بعثه وإرساله؛ لأن إرساله من الله يعني بعث وإرسال الإنسان والخليفة الإلهي الكامل الذي بلغ مقاماً ما بلغه غيره قط، أما باقي خلفاء الله من أنبياء ورسل وأئمة فكل واحد منهم يمثل صورة منه؛ وكل بحسبه، وبالتأكيد يتقدم آله وأوصياؤه "حماة رسالته" على جميع الخلفاء والرسل في هذا التمثيل والمقام الرفيع، ولهذا فليس غريباً أن نجد أن عيسى وهو رسول من أولي العزم يصلي خلف أحد أوصياء الرسول محمد وهو "المهدي" عند نزوله في آخر الزمان<sup>(١)</sup>!

إرسال الإنسان والخليفة الإلهي الكامل (محمد صلى الله عليه وآله) من قبل الله يعني بلوغ المشروع الإلهي الرسالي ذروته التي لا يعلو عليها إرسال سابق أو لاحق إطلاقاً، ولهذا ختم ببعثه باب الإرسال من الله، لكن (في نفس الوقت) فتح باب جديد للإرسال وهو الإرسال من محمد؛ لأن إرساله يعني إرسال الله بعد كونه مثل الله الأعلى وخليفته الأكمل، وبالتالي فمن يرسله محمد هو أيضاً رسول مبعوث من الله لكن بتوسط محمد صلى الله عليه وآله، ولهذا ورد النص بوصف الإمام علي صلوات الله عليه (وصي الرسول) بأنه "رسول رسول الله"<sup>(٢)</sup>، ووصف بعث المهدي (في آخر الزمان) بأنه مبعوث من الله<sup>(٣)</sup>.

١- نقلت عدة روايات من مصادر عموم المسلمين تؤكد ذلك سابقاً، فراجع.

٢- انظر: الكافي، الكليني: ٨ / ٨٥.

٣- (عن زر عن عبد الله [بن مسعود] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني أو من أهلي أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) سنن أبي داود: ٢ / ٣٠٩: المعجم الكبير، الطبراني: ١٠ / ١٣٣.

وصف الرسول محمد لبعث ولده المهدي بأنه بعث من الله: "يبعث الله رجلاً مني؛ باعتباراه مرسلًا ومبعوثاً منه، وبعث الرسول محمد يعني بعث الله كما بينا.

وكما لاحظنا، فإنّ مسألة الإرسال من الرسل، لا تقتصر على الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وإنما سبقها الإرسال من عيسى عليه السلام، فحال رسل عيسى كحال رسل محمد من حيث الأصل<sup>(١)</sup>، لكن بالتأكيد كان إرسال عيسى بدرجة أدنى من إرسال محمد صلى الله عليه وآله، ولهذا لم يُختم البعث والإرسال من الله ببعث عيسى لكنه خُتم ببعث محمد؛ بعد أن بلغ المشروع الرسالي الذروة والقمة التي لا يعلوها شيء، وفتُح باب البعث والإرسال منه صلى الله عليه وآله، ولهذا ورد في وصفه: "الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل"<sup>(٢)</sup>.

١- (عبد الله بن أبي يعقوب، قال: قلت لزيد بن علي بن الحسين: إنّ الناس قد اختلفوا في أمركم، فأخبرني بذلك بشيء أعلمه من كتاب الله عز وجل. قال: أما تقرأ من سورة ياسين: "إذ أرسلنا إلهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث". قلت: نعم. قال: مثلهم في هذه الأمة مثل علي والحسن والحسين عليهم السلام والرابع بعدهم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، قال يا قوم اتبعوا المرسلين، وهو المنتظر من آل محمد، يدعو إلى ما دعوا إليه) شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٢ / ٤٩٦.

٢- هذه بعض مصادر الوصف المذكور في روايات المسلمين:

- في زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الصادق عليه السلام: (....) وتقول: السلام من الله على محمد أمين الله على رسالته وعزائم أمره ومعدن الوحي والتنزيل، الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كله، الشاهد على الخلق، السراج المنير، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢ / ٥٨٨، تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٢٥.

- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (....) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يؤدي الإسلام ذاكها ويؤمن من العذاب يوم الحساب ذاكها، وأشهد أنّ محمداً عبده الخاتم لما سبق من الرسالة وفاخرها، ورسوله الفاتح لما استقبل من الدعوة وناشرها (... ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٢٠٦، إلزام الناصب، الحائري: ٢ / ١٥٧).

- (سلامة بن الكندي قال: كان علي رضي الله عنه يعلم الناس الصلاة على نبي الله يقول: اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافع تحيتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفتاح لما أغلق والمعلوم الحق بالحق .....) المعجم الأوسط، الطبراني: ٩ / ٤٣.

- (عن أيوب عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب مر برجل يقرأ كتاباً سمعه ساعة فاستحسنه، فقال للرجل: أنكتب من هذا الكتاب؟ قال: نعم، فاشتري أديماً لنفسه ثم جاء به إليه، فنسخه في بطنه، وظهره، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأه عليه، وجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلون، فضرب رجل من الأنصار

والحق، أنّ ما عرفناه الآن هو المعنى الصحيح لمسألة "ختم النبوة والإرسال" التي خاض فيها علماء المسلمين ولم يهتدوا فيها لقول فصل وصحيح، بينما أحكمها السيد أحمد الحسن في كتاب "النبوة الخاتمة" بشكل لم يسبقه إليه أحد، وسنقف على كلامه وتفصيل المسألة أكثر عند عرض مسألة "الإرسال من الرسول محمد" في قادم بحوث "الرسالة" إن شاء الله.

ما يهمنا الآن هو أن نعرف أنّ الإرسال الذي قام به عيسى صلوات الله عليه قد مهّد بشكل واضح لرسالة محمد التي تقوم على حقيقة "الإرسال من الرسل؛ وبالتحديد الإرسال من محمد صلى الله عليه وآله"، فكل أوصياء الرسول محمد هم رسل منه، وإرساله وبعثه لهم هو إرسال الله. لكن - كما قلت - الإرسال الذي قام به عيسى يتناسب مع مقامه وكونه "طلعة الله" بينما الإرسال الذي قام به محمد يتناسب مع مقامه الذي لا يدانيه فيه أحد من كونه "ظهور الله"، ولهذا فإنّ عدد أوصيائه الذين أرسلوا وسيُرسَلون في هذه الدنيا هم أربعة وعشرون حجة ورسولاً إلهياً (الاثنا عشر إماماً والاثنا عشر مهدياً)، بينما قام عيسى بإرسال ثلاثة رسل بحسب النص الديني.

فتلخص بما تقدم: أنّ عيسى صلوات الله عليه مهّد لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله بمسألة الإرسال التي قام بها، وأنّ الإرسال منه لم يكن متاحاً له لولا أنّ الله رفعه، فالرفع الذي حصل لعيسى - والحال هذه - هيّاً لرسالة محمد العظمى بشكل واضح.

يقول السيد أحمد الحسن: (عيسى أرسل رسل بعد رفعه، ومسألة الإرسال من الرسل مهمة جداً؛ لأنها مهّدت لرسالة محمد التي تقوم على قضية الإرسال من الرسول. إذن، مسألة الرفع في رسالة عيسى في غاية الأهمية؛ لبيان الفائدة المستقبلية وهي تهيئة المؤمنين بالله لتقبّل ما يمكن أن يحدث في مستقبل الرسالة الإلهية، وإذا كانت كل

---

بيده الكتاب، وقال: تكلّتك أمك، يا ابن الخطاب! ألا ترى إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اليوم، وأنت تقرأ هذا الكتاب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: إنما بعثت فاتحاً وخاتماً، وأعطيت جوامع الكلم، وفواتحه، واختصر لي الحديث اختصاراً، فلا يهلككم المتوكون) المصنف، الصنعاني: ٦ / ١١٢ - ١١٣: شعب الإيمان، البيهقي: ٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨: الجامع الصغير، السيوطي: ١ / ٣٩٣.

الرسالات تصبُّ في رسالة الإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وتربّي لها ولمحمد وأوصيائه فهذا يعني أنّ الرفع - باعتباره محوراً مفصلياً وأساسياً في رسالة عيسى - يصبُّ في رسالة محمد وفي التهيئة له ولأوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين) انتهى<sup>(١)</sup>.

### تأمر كهنة اليهود مع الروم لقتل عيسى:

رفع عيسى عليه السلام كحدث جاء كنتيجة لتأمر اليهود مع السلطات الحاكمة لقتله والتخلّص منه؛ والقصة بدأت بعد بعث عيسى صلوات الله عليه وقيامه بتبليغ رسالته لبني إسرائيل، ولما كانت دعوته تقوم على أساس تصحيح انحراف علماء اليهود عن دين الله وفضح سيرتهم البعيدة عن سيرة رسل الله، فخشية منهم على موقعهم ومكتسباتهم الدنيوية سعوا للقضاء عليه وإسكات صوته؛ لأن انتشار رسالته يعني القضاء عليهم وزوال دنياهم والأموال التي كانت تدر عليهم من الأتباع على مدى سنين طويلة بحكم موقعهم القيادي الديني!

السلطة السياسية الحاكمة المتمثلة بببلاطس (ممثّل الامبراطور الروماني قيصر) كانت وظيفته الرئيسية هي الحفاظ على الأمن وجبي الضرائب ولم يكن يعنىها أمر الاختلاف الديني بين اليهود أنفسهم، لذلك فمسألة لصق تهمة دينية بعيسى من قبل علماء اليهود (كاتهم بالتجديف والتحريف) أمر لا يعنى ببلاطس من الأساس، من ثمّ حرص الكهنة على إضافة تهمة سياسية لعيسى بأنه رجل متمرّد يسعى لقلب نظام الحكم بوصفه ملكاً لليهود!

في ذلك الوقت، لم يكن بيد اليهود غير مجلس ديني (سنيدين) يختص بالشؤون الدينية ومحاكمة المنحرفين (بنظرهم)، لكن ليس من حقهم الحكم على أحد بالإعدام والقتل، فهو أمر من اختصاص الحاكم (ببلاطس) حصراً، وقد وجد نفسه بين نارين؛ نار الحكم على عيسى بالقتل لكنه لم يجد المبرر الكافي للقيام بذلك، ونار الخشية من وقوع

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

فتنة وثورة شعبية يفتعلها الكهنة وأتباعهم في حال أصرَّ على رفض طلب الكهنة القاضي بضرورة التخلص من عيسى عليه السلام!

حاول بيلاطس إبعاد نفسه عن قتل عيسى ما أمكن، فاستغل عيد الفصح ليقوم بإطلاق أحد سجينين؛ أحدهما مجرم قاتل لص اسمه باراباس والآخر هو عيسى، وكان يظن أنَّ الناس (كهنة اليهود وأتباعهم) ستختار إطلاق سراح عيسى لما خيرهم، لكنهم للأسف (وبتحرير من علمائهم الضالين) اختاروا إطلاق باراباس!

(إنجيل متى - إصحاح ٢٧): "١١ فَوَقَّفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». ١٢ وَيَبْنِمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَسْتَكُونُ عَلَيْهِ لَمْ يَجِبْ بِشَيْءٍ. ١٣ فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمَا يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» ١٤ فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جَدًّا. ١٥ وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَادًا فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلَقَ لِلْجَمْعِ أَسِيرًا وَاحِدًا، مَنْ أَرَادُوهُ. ١٦ وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاسَ. ١٧ فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسُ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» ١٨ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. ١٩ وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوَلَايَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَمْرًا أَنَّهُ قَائِلَةٌ: «إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَ، لِأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». ٢٠ وَلَكِنْ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ حَرَضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. ٢١ فَأَجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الْاِثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟» فَقَالُوا: «بَارَابَاسُ!» ٢٢ قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبَ!» ٢٣ فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرِّ عَمَلٍ؟» فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صَرَخًا قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبَ!» ٢٤ فَلَمَّا رَأَى بِيلاطُسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلَ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلًا: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارَ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!» ٢٥ فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا». ٢٦ حِينَئِذٍ أُطْلِقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ".

ثم إنَّ الكهنة الضالين لما رأوا تردد بيلاطس في الحكم على عيسى بالقتل هددوه بمخاطبة قيصر نفسه واستخدام ورقة "عيسى يقول إنه ملك اليهود" كذريعة تهدد ملك قيصر نفسه، وإنَّ إحجام بيلاطس عن قتله يعني اتهامه بالخيانة العظمى لقيصر، إضافة إلى أنَّ الوضع كان ينذر بثورة أو شغب عارم يقوم به الكهنة الضالين وأتباعهم، وأخيرًا

استسلم بيلاطس الظالم لرغبتهم فأمر بجلد المسيح ابتداءً ثم وضعه تحت تصرف الجنود الرومان لينفذوا رغبة علماء اليهود ويصلبوه!

### من هو المصلوب؟

اليهود (وكذا جنود بيلاطس) لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه وإنما شبّه لهم بنص القرآن الكريم، لكن هذا لا يعني أنّ حادثة الصلب لم تحصل! بلى، حصلت لكن مع رجل إلهي ألقى الله عليه شبه عيسى في اللحظات الحرجة (قبل إلقاء القبض عليه بقليل)، وتحمل الصلب بدلاً من عيسى.

السيد أحمد الحسن في كتابه "المتشابهات" بيّن الأمر بتفصيل واضح يغطي أهم جوانب المسألة، وقد جمع فيه النص القرآني والروائي ونصوص العهدين (الجديد منهما بالخصوص)، وجميعها تلتقي في رافد واحد يتمثل بـ "بيان حقيقة المصلوب!"

وهذا بعض الإشارات التي وردت في كلامه:

١- النص القرآني والروائي أكد وجود شبهة لعيسى عليه السلام تحمل معاناة الصلب عنه.

٢- عدد الحوارين: إذ عرفنا سابقاً أنّ عددهم اثنا عشر حوارياً، لكن أحدهم (يهودا الإسخريوطي) خانه واتفق مع اليهود بأن يوصلهم إلى مكانه <sup>(١)</sup>. هذا، ولكن النص الديني – كما سنرى – يؤكد على أنّ عددهم عند رفع عيسى ما زال اثنا عشر، أي: أنّ هناك شخصاً أضيف لهم، والسؤال: من هو هذا الحواري الثالث عشر الذي أكمل عدة الحوارين وأبقاهم "اثني عشر" بالرغم من انسحاب الإسخريوطي وخيانتته؟

١- إنجيل متى – إصحاح ٢٦: ٤٥ ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الْآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. ٤٦ قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدْ اقْتَرَبَ!» ٤٧ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. ٤٨ وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلَامَةً قَائِلاً: «الَّذِي أَقْبَلَهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ».



٣- نصوص العهد الجديد: حيث أوضحت أنّ الحاكم الروماني أو علماء اليهود لما سألوهم: "أنت ملك اليهود" لم يكن يجيبهم: "نعم" ليكون هو عيسى، وإنما كان يقول لهم: "أنت تقول" أو "أنتم تقولون"، والسبب في ذلك أنه لم يكن عيسى نفسه!

٤- وأيضاً: نصوص العهد الجديد أكدت أنّ عيسى عليه السلام سأل الله أن ينجي عنه كأس الصلب والقتل، ولا شك أنّ دعوة الرسول الإلهي مستجابة!

٥- في نصوص العهد الجديد أيضاً ورد جواب المصلوب: "مملكتي ليست من هذا العالم"، أو "ليست مملكتي من هنا"، أو "أتيت إلى العالم لأشهد للحق"! أي: إنه لم يكن زمان الصلب زمانه وإنما جاء لمهمة إلهية محددة ينجزها ويعود إلى الله، ولهذا قيد إلى الصلب صامتاً!

٦- صمت المصلوب وهو يقاد إلى الصلب يؤكد أنّ مهمته محصورة بالفداء (فداء عيسى) وأنّ زمانه لم يكن بعد، وإلا فكل الأنبياء والحجج تكلموا وبيّنوا، إلا هو! ثم إنّ قبوله بأن يتحمّل الكأس الذي دعا عيسى ربه أن ينحّيه عنه يعني بالضرورة أنّ مقامه أرقى وأعظم من مقام عيسى، وأنهما لو قدر لهما الله وتواجدا في زمان واحد لكان عيسى مؤتماً به، وهذا يعني أنّ دعوة عيسى عليه السلام على صلة وثيقة بدعوة المصلوب لما يحين وقته، لهذا اختير بالخصوص ليفديه ويلقى عليه شبهه ويتحمّل الصلب عنه، والنص الديني واضح في التأكيد على ارتباط مجيء عيسى ونزوله بدعوة مهدي آل محمد وقائهم كما توضّح سابقاً.

أمور وإفادات أخرى هامة تخص الموضوع وردت في كلام السيد أحمد الحسن الذي بيّن فيه الحقيقة التي غابت عن الجميع، وهذا نص كلامه الذي جاء إجابة لسؤال ورده بهذا الخصوص:

يقول: (عيسى عليه السلام في الليلة التي رفع فيها واعد حواريه، فحضره عنده إلا بهذا الذي دلّ علماء اليهود على عيسى عليه السلام، فقد ذهب إلى المرجع الأعلى لليهود وقايسه على تسليم عيسى لهم. وكان بعد منتصف الليل أن نام الحواريون، وبقي عيسى عليه السلام فرفعه الله، وأنزل (شبيهه الذي صُلب وقتل)، فكان درعاً له وفداءً، وهذا

الشبيه هو من الأوصياء من آل محمد عليهم السلام، صُلب وقُتل وتحمل العذاب لأجل قضية الإمام المهدي عليه السلام.

وعيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقتل، بل رُفِعَ فنجاه الله من أيدي اليهود وعلمائهم الضالين المضلين لعنهم الله، قال تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" النساء: ١٥٧.

وفي الرواية في تفسير علي بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا عند المساء، وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفذ رأسه من الماء فقال: إن الله رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود فأياكم يلقي عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ قال شاب منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هُوَ ذا ... ثم قال عليه السلام: إن اليهود جاءت في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم ... وأخذوا الشاب الذي أُلقي عليه شبح عيسى عليه السلام فقتل وصلب"<sup>(١)</sup>.

فالإمام الباقر عليه السلام يقول: "اجتمع اثنا عشر"، بينما الذين جاؤوا من الحواريين هم "أحد عشر"، فبهذا لم يأت، بل ذهب إلى علماء اليهود ليُسَلِّمَ عيسى عليه السلام، وهذا من المتواترات التي لا تنكر، فالثاني عشر الذي جاء أو قل الذي نزل من السماء، هو الوصي من آل محمد عليهم السلام، الذي صُلبَ وقُتلَ بعد أن شُبِّهَ بصورة عيسى عليه السلام.

وكانت آخر كلمات هذا الوصي عند صلبه هي: "إيليا، إيليا لما شبقني"، وفي إنجيل متى (إصحاح ٢٧): "٤٦ ... صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيُّ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ ٤٧ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّأ». ..... ٤٩ وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اَثْرُكُ. لِمَ تَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّأُ يُخَلِّصُهُ»! ٥٠ فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً

١- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١/ ١٠٣.

بَصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. ٥١ وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلٍ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالْأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، ... " انتهى.

والحقيقة، إِنَّ ترجمة الكلمات التي قالها هكذا: "يا علي يا علي لماذا أنزلتني"، والنصاري يترجمونها هكذا: "إلهي، إلهي لماذا تركتني" كما تبين لك من النص السابق من الإنجيل. والإنزال أو الإلقاء في الأرض من السماء قريب من الترك.

ولم يقل هذا الوصي هذه الكلمات جهلاً منه بسبب الإنزال، أو اعتراضاً على أمر الله سبحانه وتعالى، بل هي سؤال يستبطن جوابه، وجّهه إلى الناس: أي افهموا واعرفوا لماذا نزلت ولماذا صُلبت، ولماذا قُتلت، لكي لا تفسلوا في الامتحان مرة أخرى إذا أُعيد نفس السؤال، فإذا رأيت الرومان (أو أشباههم) يحتلون الأرض، وعلماء اليهود (أو أشباههم) يداهنونهم، فسأكون في تلك الأرض فهذه سنة الله التي تتكرر، فخذوا عبرتكم وانصروني إذا جنّت ولا تشاركوا مرة أخرى في صليبي وقتلي!

كان يريد أن يقول في جواب السؤال البيّن لكل عاقل نقي الفطرة: صُلبت وتحملت العذاب وإهانات علماء اليهود، وقُتلت لأجل القيامة الصغرى، قيامة الإمام المهدي عليه السلام، ودولة الحق والعدل الإلهي على هذه الأرض.

وهذا الوصي عندما سأله علماء اليهود والحاكم الروماني: هل أنت ملك اليهود؟ كان يجيب: أنت قلت، أو هم يقولون، أو أنتم تقولون، ولم يقل نعم! جواب غريب على من يجهل الحقيقة، ولكنه الآن توضح. فلم يقل: نعم؛ لأنه ليس هو ملك اليهود، بل عيسى عليه السلام الذي رفعه الله، وهو الشبيه الذي نزل ليُصلب ويُقتل بدلاً عن عيسى.

وهذا نص جوابه – بعد أن أُلقي عليه القبض – من الإنجيل:

- "٦٣... فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَخْلِفُكَ بِاللّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» ٦٤ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ!» متى: ٢٦.
- "١١ فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلاً: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ» متى: ٢٧.
- "٢ فَسَأَلَهُ بِيلاطُسُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ تَقُولُ» مرقس: ١٥.

- ٧٠. فَقَالَ الْجَمِيعُ: «أَفَأَنْتَ الْمَسِيحُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ» لَوْحًا: ٢٢.

- ٣٣. ثُمَّ دَخَلَ بِيَلَاطُسُ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» ٣٤ أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هَذَا، أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» ٣٥ أَجَابَهُ بِيَلَاطُسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أَمَتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسَلَمُوكَ إِلَيَّ، مَاذَا فَعَلْتَ؟» ٣٦ أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيِّ لَا أَسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنْ الْآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». ٣٧ فَقَالَ لَهُ بِيَلَاطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذَا مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ" يوحنا: ١٨.

وفي هذا النص الأخير بين الوصي أنه ليس من أهل الأرض في ذلك الزمان، بل نزل إليها لإنجاز مهمة وهي فداء عيسى عليه السلام، حيث ترى أن هذا الوصي يقول: "مملكتي ليست من هذا العالم"، "ولكن الآن ليست مملكتي من هنا"، "ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق".

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "قال ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند انفجار الصبح ما بين مهرودين وهما ثوبان أصفران من الزعفران، أبيض الجسم، أصهب الرأس، أفرق الشعر، كأن رأسه يقطر دهنًا، بيده حربة، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويهلك الدجال ويقبض أموال القائم ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه، ويبسط في المغرب والمشرق الأمن من كرامة الحجة بن الحسن عليه السلام" (١).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "... ويعود دار الملك إلى الزوراء وتصير الأمور شورى من غلب على شيء فعله، فعند ذلك خروج السفيناني فيركب في الأرض تسعة أشهر يسومهم سوء العذاب فويل لمصروويل للزوراء وويل للكوفة والويل لواسط كأني انظر إلى واسط وما فيها مخبر يخبر وعند ذلك خروج السفيناني ويقل الطعام ويقحط

الناس ويقل المطر فلا أرض تنبت ولا سماء تنزل، ثم يخرج المهدي الهادي المهتدي الذي يأخذ الراية من يد عيسى بن مريم..."<sup>(١)</sup>.

وتوجد أحاديث كثيرة تدل على أنّ عيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقتل، بل الذي صلب وقتل هو شبيهه عيسى عليه السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "رفع عيسى ابن مريم عليه السلام بمدرعة من صوف من غزل مريم عليها السلام ومن خياطة مريم، فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى بن مريم ألق عنك زينة الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

وعن الرضا عليه السلام، قال: "ما شُبهَ أحد من أنبياء الله وحججه عليهم السلام للناس إلا أمر عيسى بن مريم عليه السلام وحده، لأنه رفع من الأرض حياً وقُبض روحه بين السماء والأرض ثم رفع إلى السماء وردّ إليه روحه وذلك قوله عز وجل: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّلْبَ وَارْتَقِ الصَّالِيبَ" آل عمران: ٥٥"<sup>(٣)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله، قال: "عيسى عليه السلام لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة"<sup>(٤)</sup>.

والتفت إلى أنّ عيسى نبي مرسل وقد طلب من الله سبحانه وتعالى أن يُعفى ويُصرف عنه الصلب والعذاب والقتل، والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء نبي مرسل، فالله استجاب له ورفع له وأنزل الوصي الذي صُلب وقُتل بدلاً عنه، وفي الإنجيل عدة نصوص فيها دعاء عيسى عليه السلام بأن يُصرف عنه الصلب والقتل، وهي:

- "٣٩ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أُمِكنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، ...» متى: ٢٦.

١- الملاحم والفتن، ابن طاووس الحسني: ١٣٤.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ١٤ / ٣٣٨.

٣- قصص الأنبياء، الجزائري: ٤٧٤، نقلاً عن عيون الأخبار.

٤- بحار الأنوار، المجلسي: ١٤ / ٣٤٤.

- " ٣٥ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمَكَنَ. ٣٦ وَقَالَ: «يَا أَبَا الْأَبْ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ" مرقس: ١٤.
- " ٤١ وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَرَمِيَّةَ حَجَرٍ وَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ٤٢ قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ" لوقا: ٢٢.
- وفي التوراة - سفر إشعيا، وفي الإنجيل - أعمال الرسل: الإصحاح الثامن هذا النص: "مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبِيحِ، وَمِثْلَ خُرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجْزُهُ هَكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ!"

وكل الأنبياء والأوصياء المرسلين تكلموا، لم يذهب أحد منهم صامتاً إلى الذبيح، بل هم أرسلوا ليتكلموا ويُبكتوا ويعظوا الناس، وعيسى عليه السلام بالخصوص كم بَكَتَ العلماء والناس، وكم وعظهم فلا يَصِدِّقُ عليه أنه ذهب إلى الذبيح صامتاً، بل هذا الذي ذهب إلى الذبيح صامتاً هو الوصي (شبيه عيسى) الذي صُلب وقُتل دون أن يتكلم، أو يطلب من الله أن يُصرف عنه العذاب والصلب والقتل، ودون أن يتكلم مع الناس، بل إذا أَلْحَوْا عليه وسألوه بالبحاح: من أنت، هل أنت المسيح؟ لم يكن يجيبهم إلا بكلمة: "أنت قلت!" وهكذا ذهب إلى العذاب والصلب والقتل صامتاً راضياً بأمر الله، منفذاً لما أنزل له، وهو أن يُصلب ويُقتل بدلاً من عيسى عليه السلام.

ولأنه أصلاً لم يكن وقته قد حان ليُرسل ويُبلغ الناس ويتكلم معهم، ذهب هكذا مثل شاة سيق إلى الذبيح، مثل خروف صامت أمام الذي يجزره هكذا لم يفتح فاه!

أرجو أن يستفيد كل مؤمن يريد معرفة الحقيقة من هذا الموقف، فهذا الإنسان نزل إلى الأرض، وصُلب وقُتل ولا أحد يعرف، لم يطلب أن يُذكر أو أن يُعرف، نزل صامتاً، وصُلب صامتاً، وقُتل صامتاً، وصعد إلى ربه صامتاً، هكذا إن أردتم أن تكونوا فكونوا) انتهى<sup>(١)</sup>.

وروي: أن رفع عيسى حدث في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان<sup>(٢)</sup>.

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ١٧٩.

٢- (عن حبيب بن عمرو قال: لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسن عليه السلام خطيباً على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم عليه السلام،

وأيضاً: روي أنَّ عمره عند رفعه كان ٣٣ عاماً، وإذا عرفنا أنَّ بعثته وإرساله كان بعمر الثلاثين فهذا يعني أنَّ دعوته ورسالته استمرت ثلاث سنين لا غير<sup>(١)</sup>.

وهو نفس الزمن الذي حدده الإنجيل لعيسى أيضاً؛ باعتبار أنَّ يوحنا ذكر في إنجيله حضور عيسى لعيد الفصح السنوي ثلاث مرات فقط<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أنَّ رسالته كانت ثلاث سنين، وإذا ما عرفنا أنَّ لوقا ذكر في إنجيله (إصحاح ٣) بدء عيسى برسالته بعمر الثلاثين: "٢٣ وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً"، يكون عمر عيسى عند رفعه ٣٣ عاماً.

### ليلة إلقاء القبض على الشبيه:

نعود لمعرفة بعض مجريات ليلة رفع عيسى وإلقاء القبض على شبيهه المصلوب!

عندما داهم الرومان واليهود مكان اجتماع عيسى بحواريه سيطرت على الحواريين حالة من الذعر والخوف بحيث إنه لما خاطبهم قائلاً: "أَيْكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَحِي فَيُقْتَل وَيُصَلَّب وَيَكُون مَعِي فِي دَرَجَتِي؟"<sup>(٣)</sup> لم يجبه أحد من الحواريين الأحد عشر المعروفين، وإنما أجابه المصلوب: "قال شاب منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هُوَ ذَا!"

---

وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (الأُمالي، الصدوق: ٣٩٧).

١- (عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال الحسن بن علي عليه السلام فيما ناظر به ملك الروم: كان عمر عيسى عليه السلام في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثم رفعه الله إلى السماء، ومهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١.

٢- المرة الأولى ذكرها في إصحاح ٢، والمرة الثانية ذكرها في إصحاح ٦، والمرة الثالثة والأخيرة ذكرها في إصحاح ١١ و١٢ و١٣.

٣- النص هو مقطع من رواية للإمام الباقر صلوات الله عليه التي تقدمت، وأيضاً نفس الأمر ورد في مصادر سنّية، منها: (عن القاسم بن أبي بزة: أن عيسى ابن مريم قال: أَيْكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَحِي فَيُقْتَل مَكَانِي؟ فقال رجل من أصحابه: أنا يا رسول الله. فألقي عليه شبيهه، فقتلوه، فذلك قوله: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم) جامع البيان، الطبري: ١٩ / ٦ - ٢٠.

وأيضاً: (عن ابن عباس قال لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء قال فقال إن منكم من سيكفرائني عشرة مرة من بعد أن آمن بي قال ثم قال أَيْكُمْ

بل إن عيسى أخبرهم في العشاء الأخير قبل رفعه بأنهم سيشكون فيه، وفعلًا حدث ما أخبر به حتى إن أحد أفضل حواربي عيسى عليه السلام وهو وصيه "بطرس = شمعون" أنكر معرفته به! إذ لما اقتيد الشبيه (الذي يظن بطرس أنه عيسى) إلى بيت قيافا (كبير كهنة اليهود) وكان بطرس يتبعه متخفياً، رآه جماعة وادعوا أنه من أتباع عيسى وتلاميذه، فأنكر بطرس معرفته به وفي المرة الثالثة حلف على عدم معرفته به فصاح الديك، فتذكر بطرس حينها نبوءة عيسى التي أخبره فيها أنه سينكره ثلاث مرات عند صياح الديك <sup>(١)</sup>!

يلقى عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا قال فقال عيسى اجلس ثم أعاد عليهم قال فقام الشاب فقال أنا فقال نعم أنت ذاك فالقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من ورزنة في البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفروا بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ... تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٧ / ٤٧٥.

١- إنجيل متى - إصحاح ٢٦: ٣١ "حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كُلُّكُمْ تَشْكُونُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِي فَتَتَّبِعُهُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ..... ٣٣ فَأَجَابَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشْكُ أَبَدًا». ٣٤ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». ٣٥ قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «وَلَوْ اضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أَنْكِرُكَ!» هَكَذَا قَالَ أَيْضًا جَمِيعُ التَّلَامِيذِ..... ٤٥ ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الْآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الْخَطَاةِ. ٤٦ قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدْ اقْتَرَبَ!» ٤٧ وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا هُوَذَا أَحَدُ الْاِثْنَيْنِ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعَصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ..... ٥٥ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجَمُوعِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِسِي خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعَصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلُّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أَعْلِمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمَسِّكُونِي. ٥٦ وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِي! تُكْمَلُ كُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ». حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلَامِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا. ٥٧ وَالَّذِينَ أُمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قِيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكُتَنَةُ وَالشُّيُوخُ. ٥٨ وَأَمَّا بَطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ. ٥٩ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ رُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِيُقْتُلُوهُ،..... ٦٣ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَخْلِفُكَ بِاللَّهِ الْخَلِيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» ٦٤ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». ٦٥ فَمَرَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلًا: «قَدْ جَدَفْتُ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدَ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْنَاهُ تَجْدِيفَةً! ٦٦ مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ». ٦٧ حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ ٦٨ قَائِلِينَ: «تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟» ٦٩ أَمَّا بَطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ!» ٧٠ فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلًا: «لَسْتُ أَذْرِي مَا تَقُولِينَ!» ٧١ ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدِّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهَذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» ٧٢ فَأَنْكَرَ أَيْضًا بِقَسَمٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» ٧٣ وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبَطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لَعْنَتَكَ تُظْهِرُكَ!» ٧٤ فَأَبْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَخْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ. ٧٥ فَتَذَكَّرَ بَطْرُسُ كَلَامَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بَكَاءً مُرًّا".



ولهذا فضّل آل محمد صلوات الله عليهم بعض شيعتهم المقربين (حواريهم) على حواري عيسى عليه السلام:

عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، قال: (إنّ حواري عيسى عليه السلام كانوا شيعته وإنّ شيعتنا حواريونا وما كان حواري عيسى بأطوع له من حواريونا لنا، وإنما قال عيسى عليه السلام للحواريين: "من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله" فلا والله ما نصره من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله ينصروننا ويقاتلون دوننا ويُحرقون ويعذبون ويُشردون في البلدان، جزاهم الله عنّا خيراً<sup>(١)</sup>).

### بعد يوم الخمسين:

اضطر الحواريون بعد رفع عيسى صلوات الله عليه إلى الاختباء عن أعين اليهود وغلب عليهم طابع الحزن والألم والحيرة في الأيام الأولى، لكن الله سبحانه شاء أن يجعل مع كل عسر يسراً، فبعد مرور اليوم الخمسين لحادثة الصلب انكسر لدى الحواريين حاجز الخوف فقرروا (بتوجيه من عيسى عليه السلام بعد رفعه) الخروج إلى العلن دون مبالاة بالموت، خرجوا من مخبئهم إلى الهيكل وساحات المدينة العامة بقيادة بطرس "شمعون، وصي عيسى" وحينها خطب أول خطبة علنية أمام جماهير اليهود الذين كانوا قد تجمّعوا في عيد لهم، وأعلن عن معتقده وحملهم مسؤولية ما حدث من صلب وعذاب طال معلّمهم!

تزامن مع ذلك تأييد الله للحواريين ولشمعون بالخصوص بالمعاجز (مثل شفاء المرضى والمقعدين) حيث تسببت بإيمان كثيرين والتفافهم حول الحواريين، مما صعب من عملية قتلهم والقضاء عليهم من قبل كهنة اليهود وجعلها شبه مستحيلة!

---

ومثل ذلك ورد في إنجيل مرقس - إصحاح ١٤، وإنجيل لوقا - إصحاح ٢٢، وإنجيل يوحنا - إصحاح ١٨.

صمود الحواريين أدى إلى نشوء الجماعة المؤمنة الأولى كما أنّ شيوخ أخلاق الرسل بينهم دفع باتجاه استقطاب أناس كثر لدعوة عيسى؛ خصوصاً عند مقارنة ما يشاهدونه بواقع كهنة اليهود الفاسد والغاص بالانحراف والشذوذ بمختلف وجوهه، لكن هذا لا يعني أنّ الكهنة (بمعونة الرومان) وقفوا متفرجين على ما يحصل، فعمدوا إلى استعمال أساليب الاضطهاد تجاه الحواريين والمؤمنين، فاضطروا إلى ترك القدس، ولم يدر بخلد هامات الكهنة العفنة أن يكون هذا الإبعاد والتشتيت القسري لحملة الحق سبباً رئيسياً في انتشار المسيحية في ربوع الأرض!

في هذا الوقت، وكما لاحظناه في النص القرآني المتقدم، قام عيسى (بعد رفعه وبأمر الله) بإرسال رسولين إلى مدينة أنطاكية ولما كذبوها وكادوا يقضون عليهما عزّزهم برسول ثالث وهو وصيه سمعان بطرس "شمعون": "وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" يس: ١٣ - ١٤.

رسل أنطاكية ورد ذكرهم في الإنجيل أيضاً: "١٩ أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّنُوا مِنْ جَزَاءِ الضِّيقِ الَّذِي حَصَلَ بِسَبَبِ اسْتِفَانُوسَ فَاجْتَاذُوا إِلَى فِينِيقِيَّةَ وَقُيُوسَ وَأَنْطَاكِيَّةَ، وَهُمْ لَا يُكَلِّمُونَ أَحَدًا بِالْكَلِمَةِ إِلَّا الْيَهُودَ فَقَطْ. ٢٠ وَلَكِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ، وَهُمْ رِجَالٌ قُبُورِيُّونَ وَقَبْرَوَانِيُّونَ، الَّذِينَ لَمَّا دَخَلُوا أَنْطَاكِيَّةَ كَانُوا يُخَاطَبُونَ الْيُونَانِيِّينَ مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ. ٢١ وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ، فَأَمَنَ عَدَدٌ كَثِيرٌ وَرَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ" سفر أعمال الرسل - إصحاح ١١.

وبحسب الإنجيل أيضاً، فإنّ أول تسمية "المسيحيين" أطلقت على رسل أنطاكية: "٢٦ وَدُعِيَ التَّلَامِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي أَنْطَاكِيَّةَ أَوَّلًا" سفر أعمال الرسل - إصحاح ١١.

ثم إنّ إرسال الرسول الثالث - بحسب النص القرآني - ساهم بإيمان أغلب أهل القرية كما لاحظناه في النصوص التي تقدمت.

وعموماً، فبدلاً من أن تكون صفة الحواريين العامة سابقاً "تلاميذ" أصبحوا الآن - بحكم الظروف القاسية الجديدة وبتوجيه من عيسى عليه السلام - رسلاً فانتشروا في

مدن عديدة كبيرة كدمشق والإسكندرية وروما إضافة إلى أنطاكية كما عرفنا؛ مبشرين بدعوة الله بشكل سري سواء بصورة شفوية أو من خلال الرسائل المكتوبة<sup>(١)</sup>.

فمثلاً: كان لبولس دور أساسي في نشر المسيحية في أجزاء من آسيا وكذا اليونان وأوروبا من خلال الرحلات التي قام بها إلى تلك الأماكن، وقد ساعدهم في ذلك شبكة الطرق الممهدة التي تربط أطراف الإمبراطورية الرومانية وكذا وحدة اللغة حيث كانت اليونانية هي اللغة المشتركة التي تحكم أغلب الأقاليم، وهكذا شيئاً فشيئاً وبفضل جهود رسل عيسى "الحواريين" وأتباعهم انتشر الدين المسيحي في أنحاء العالم.

١- (عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق عليه السلام قال: إِنَّ عيسى عليه السلام لما أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق ونهاهم عن الجبابة، فوجه اثنين إلى أنطاكية، فدخلوا في يوم عيد لهم، فوجداهم قد كشفوا عن الأصنام وهم يعبدونها، فعجلاً عليهم بالتعنيف، فشدوا بالحديد وطرحوا في السجن، فلما علم شمعون بذلك أتى أنطاكية حتى دخل عليهما في السجن، وقال: ألم أنهما عن الجبابة، ثم خرج من عندهما وجلس مع الناس مع الضعفاء، فأقبل فطرح كلامه الشيء بعد الشيء، فأقبل الضعيف يدفع كلامه إلى من هو أقوى منه، وأخفوا كلامه خفاءً شديداً، فلم يزل يتراقى الكلام حتى انتهى إلى الملك، فقال: منذ متى هذا الرجل في مملكتي؟ فقالوا: منذ شهرين، فقال: عليّ به، فأتوه، فلما نظر إليه وقعت عليه محبته، فقال: لا اجلس إلا وهو معي. فرأى في منامه شيئاً أفزعته، فسأل شمعون عنه، فأجاب بجواب حسن فرح به، ثم ألقى عليه في المنام ما أهاله، فأولها له بما ازداد به سروراً، فلم يزل يحادثه حتى استولى عليه. ثم قال: ان في حبسك رجلين عابا عليك؟ قال: نعم، قال: فعلي بهما، فلما أتى بهما قال: ما إليكما الذي تعبدان؟ قالوا: الله قال يسمعكما إذا سألتماه ويحببكما إذا دعوتماه؟ قالوا: نعم، قال شمعون: فانا أريد أن استبرئ ذلك منكما، قالوا: قل: قال هل يشفى لكما الأبرص؟ قالوا: نعم، قال: فأتني بأبرص، فقال، سلاه ان يشفي هذا، قال فمسحاه فبرئ، قال: وانا افعل مثل ما فعلتما، قال: فأتني بآخر فمسحه شمعون فبرئ. قال: بقيت خصلة ان أجيتماني إليها أمنت بإلهكما قالوا: وما هي؟ قال: ميت تحييناه؟ قالوا: نعم، فأقبل على الملك وقال: ميت يعينك امره؟ قال: نعم ابي قال: اذهب بنا إلى قبره، فإنهما قد أمكنناك من أنفسهما، فتوجهوا إلى قبره، فبسطا أيديهما فبسط شمعون يديه، فما كان بأسرع من أن صدع القبر وقيام الفتى، فأقبل على أبيه، فقال أبوه: ما حالك؟ قال: كنت ميتاً ففرغت فزعة، فإذا ثلاثة قيام بين يدي الله باسطوا أيديهم يدعون الله ان يحييني وهما هذان وهذا، فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين، فقال الملك: أنا بالذي أمنت به يا شمعون من المؤمنين، وقال وزراء الملك: ونحن بالذي آمن به سيدنا من المؤمنين فلم يزل الضعيف يتبع القوي، فلم يبق بأنطاكية أحد إلا آمن به) قصص الأنبياء، الراوندي: ٢٧٣ - ٢٧٤.

## لماذا استثنيت مكة من رسل عيسى؟

الملفت في مسألة رسل عيسى عليه السلام، أنّ الإرسال كان إلى مدن عديدة متفرقة بلغت أوربا وشرق آسيا، لكنه استثنى - بشكل ملفت ويبدو أنه متعمّد - منطقة الحجاز ومكة بالتحديد بالرغم من قربها المكاني قياساً بمدينة روما مثلاً وغيرها من المدن التي بلغت دعوة السيد المسيح عليه السلام، فما السبب في ذلك؟

الجواب: معرفتنا بما انتهينا إليه في خاتمة رسالة إبراهيم يمكن أن يلقي بظلاله هنا ويُجيب هذا التساؤل الهام بوضوح، فقد ذكرنا هناك قضية تفرّع الخط الرسالي بعد وفاة إبراهيم إلى اتجاهين بأمر من الله وبإشراف وتوصية من إبراهيم نفسه قبل وفاته: حيث أوصى إلى كل من ولديه: إسحاق وإسماعيل، فانشعب الخط الرسالي منذ ذلك الحين إلى اتجاهين؛ اتجاه استمرار الرسالة الإلهية في إسحاق وذريته، واتجاه استمرارها في إسماعيل وذريته، وكل من الخطين هو خط رسالي إلهي يتعاقب عليه أوصياء ورسل إلهيون. وبالنسبة لمكة ومنطقة الحجاز فالمعني بها أولاً وبالذات هو اتجاه إسماعيل الذي يُراد له أن يمتد بشكل مباشر لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وفعلاً بلغ أوصياء إسماعيل بالمخطط الإلهي الغاية المراد بلوغها منه وكان آخر الحجج المبعوثين في هذا الاتجاه هو عبد المطلب "جد الرسول محمد" ثم وصيه أبو طالب "عم الرسول" الذي دفع وصايا رسل هذا الاتجاه إلى ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله كما لاحظناه في النصوص التي تقدمت.

هذا هو السبب المنطقي الوحيد الذي يفسّر تجنّب الرسل من اتجاه إسحاق الإرسال إلى منطقة الحجاز ومكة، فهم استثنوها بأمر الله؛ لأنهم كانوا يعلمون بالمخطط الإلهي بوحى من الله وبإخبار يُعلم به كل رسول الرسول الذي يليه، ولهذا لم يُنقل أنّ موسى أو عيسى أو وصياً من أوصيائهم بعث أحداً من طرفه لهذه المنطقة ليقوم بدعوة أهلها وتبليغهم برسالة موسى أو عيسى، والسبب كما عرفنا الآن هو: أنّ "مكة" يُراد لها - وفق الخطة الإلهية - أن تبقى دائماً على الحنيفية الإبراهيمية إلى وقت بعثة الرسول محمد، وهو ما حصل بالفعل، وسيتضح أكثر في البحوث القادمة عند دراسة طبيعة المجتمع المكي والدين الذي كان يتدين به أغلب المكّيين قبل وأثناء بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

أما الخط الرسالي من اتجاه إسحاق، فهو الأخرى بل بالمخطط الإلهي غايته، وكان آخر الحجج والرسائل الإلهيين المبعوثين فيه هونبي الله "بردة" الذي قام بدفع الوصية للرسول محمد بحسب النص الديني<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح أنّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله ملتقى الخطين الرساليين، ومجمع وصايا رسل الله جميعاً، والمصيّب الرئيس الذي تلتقي عنده روافد الرسالة الإلهية بكل اتجاهاتها، بحيث لا رسالة - بعد بعثه - إلا رسالته حتى يوم الإنسانية الأخير على هذه الأرض<sup>(٢)</sup>، وتلك هي إرادة الله في عبده ورسوله محمد بن عبد الله.

### رسالة الله بعد عيسى (ع):

قلنا: إنّ الرفع لا يعني انقطاع صلة المرفوع بهذا العالم، وبخصوص رفع عيسى: علينا أن نعرف أنّ الاعتقاد برفعه (كما دلّت عليه نصوص القرآن والروايات) لا يعني أنه لا يباشر أي أعمال أو مهام معينة على هذه الأرض بأمر الله تتعلق برسالة الله.

وأيضاً: عيسى عليه السلام قبل رفعه حدّد وصيه من بعده بأمر الله وهو سمعان بطرس (شمعون الصفا)، وبالتالي تكفل هذا الوصي مهمة رسالة الله وقام بما طلب منه ووزع المهام والأدوار على بقية الحواريين.

---

١- عن الإمام الصادق صلوات الله عليه في حديث ذكر فيه تعاقب الأوصياء والرسائل بعد آدم عليه السلام، إلى أن يقول: (.....) وأوصى عيسى إلى شمعون ابن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إليّ بردة وأنا أدفعها إليك يا علي وأنت تدفعها إلى وصيك ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك، واحداً بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرن بك الأمة ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار، والنار مثوى للكافرين) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢١٣.

ملاحظة: يحيى بن زكريا المذكور في الحديث هو أحد حواربي عيسى "يوحنا اللاهوتي"، وليس ابن زكريا النبي الذي تكفل مريم عليها السلام: فزكريا وابنه يحيى قتلا قبل رفع عيسى عليه السلام، كما هو معلوم.

٢- (عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يحيى غيره) الكافي، الكليني: ٥٨/١.

وعموماً، استمرار دعوة عيسى عليه السلام بعد رفعه كانت بالحواريين وتوجيهات وصيه "شمعون" عليه السلام:

(عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عز وجل أرسل محمداً إلى الجن والإنس وجعل من بعده اثني عشر وصياً منهم من سبق ومنهم من بقي، وكل وصي جرت به سنة، والأوصياء الذين من بعد محمد صلى الله عليه وآله على سنة أوصياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنة المسيح عليه السلام)<sup>(١)</sup>.

"وكانوا اثني عشر": هم الحواريون، ولم يكن كلهم أوصياء لعيسى، وإنما كان اثنان منهم أوصياء له لا غير، هما: سمعان بطرس "شمعون الصفا"، ويوحنا "يحيى" صاحب الرؤيا "وصي سمعان بطرس وكان في وقت وجود عيسى شاباً صغيراً"<sup>(٢)</sup>:

(عن مقاتل بن سليمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ..... ودفعها زكريا عليه السلام إلى عيسى بن مريم عليه السلام، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إليّ بردة، وأنا أدفعها إليك يا علي، .....)<sup>(٣)</sup>.

"وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا": المقصود به يوحنا اللاهوتي "صاحب الرؤيا" وليس يوحنا المعمدان "يحيى بن زكريا؛ ابن خالة مريم العذراء" الذي توفي قبل عيسى عليه السلام.

و أيضاً: لم يذكر الرسول صلى الله عليه وآله جميع الأوصياء الذين توسّطوا بينه وبين عيسى (من جهة إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام)، وإنما ذكر بعضهم؛ لأنه أصلاً لم يكن

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٥٩.

٢- هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص معه بهذا الصدد.

٣- الأمالي، الصدوق: ٤٨٦ - ٤٨٨.

بصدد الإحصاء بقدر ما كان بصدد بيان اتصال الوصية المعروفة بالأوصياء وأنّ الزمان لا يخلو من حجة لله منصوب عليه، وهذا نهج واضح في الرواية ككل التي ابتدأت بآدم وختمت بالرسول محمد وأوصيائه صلوات الله عليهم. وتقدم نظير هذه المسألة في بحوث رسالة نوح عليه السلام عند بيان وصايا آدم عليه السلام به ضمن بحوث الجزء الأول من كتاب "الرسالة".

وأيضاً: ذكرت النصوص الدينية أسماء بعض أوصياء عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup>.

الفترة الزمنية الواقعة بين عيسى عليه السلام والرسول محمد صلى الله عليه وآله كانت بضع مئات من السنين، يمكننا تقسيمها إلى مقطعين؛ شهد الأول منهما رسالاً ظاهرين بخلاف المقطع الثاني الذي شهد رسالاً مستترين<sup>(٢)</sup>.

الفصل الزمني الواقع بين عيسى والرسول محمد صلى الله عليه وآله وصف في النص الديني بـ "الفترة"، قال تعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" المائدة: ١٩.

---

١- (عن محمد ابن أبي عمير، عن حدثه من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان آخر أوصياء عيسى عليه السلام رجل يقال له: "بالط") كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٦٦٤.

(عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي تناهت إليه وصية عيسى بن مريم عليه السلام رجل يقال له: "أبي") نفس المصدر.

٢- هذا الأمر أكدته روايات عديدة، منها:

- (عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بقي الناس بعد عيسى بن مريم عليه السلام خمسين ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ١٦١.

- (عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين عيسى وبين محمد عليهما السلام خمسمائة عام منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين، ثم قال عليه السلام: ولا يكون الأرض إلا وفيها عالم) نفس المصدر.

رسل الله يدور حالهم بين العلى (مستعلنين) والخباء (مستخفين) بحسب حال الناس ومدى تقبلهم لرسالة الله، والبال هذا ليس مختصاً بالفترة التي كانت بين عيسى والرسول محمد صلى الله عليه وآله، وإنما هو شامل لما قبل وما بعد<sup>(١)</sup>. وسيتضح معنى "الفترة" وسبب حدوثها في تاريخ الرسالات الإلهية. علماً، أن الفترة تشمل كلا خطي الرسالة بعد إبراهيم صلوات الله عليه؛ أعني: خط إسماعيل عليه السلام وخط إسحاق عليه السلام، كما سيأتي بيانه بالتفصيل.

### متى دَوّن الإنجيل وكيف؟

ما ذكرناه في تدوين التوراة من أن الأمر تمّ عبر مراحل تراكمية انتهت إلى ظهورها بالشكل الذي هي عليه اليوم، يأتي في قضية تدوين الإنجيل أيضاً.

أولى مراحل تدوين الإنجيل تمثلت بالنقل الشفوي له؛ حيث اعتمد أتباع عيسى عليه السلام الأوائل على نقل أفعاله وأقواله شفهيّاً من خلال الوعظ والتعليم، ثم أعقبها مرحلة التدوين الأولى التي حصلت بعد رفع عيسى عليه السلام بالتأكيد؛ خصوصاً بعد اتساع رقعة المؤمنين وموت شهود العيان والسامعين المباشرين؛ إذ بدت الحاجة ملحة إلى البدء بالتدوين.

---

١- (عن عبد الحميد ابن أبي الديلم قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: يا عبد الحميد إنّ لله رسلاً مستعلنين ورسلاً مستخفين فإذا سألته بحق المستعلنين فسله بحق المستخفين. وتصديق ذلك من الكتاب قوله تعالى: "ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً"..... فلما كان وقت وفاة موسى عليه السلام كان له أوصياء حججاً لله كذلك مستعلنين ومستخفين إلى وقت ظهور عيسى عليه السلام، فظهر عيسى عليه السلام في ولادته، معلناً لدلائله، مظهراً لشخصه، شاهراً لإبراهيمه، غير مخفٍ لنفسه؛ لأن زمانه كان زمان إمكان ظهور الحجة كذلك. ثم كان له من بعده أوصياء حججاً لله عز وجل كذلك مستعلنين ومستخفين إلى وقت ظهور نبينا صلى الله عليه وآله فقال الله عز وجل له في الكتاب: "ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك" ثم قال عز وجل: "سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا" فكان مما قيل له ولزم من سنته على إيجاب سنن من تقدمه من الرسل إقامة الأوصياء له كإقامة من تقدمه لأوصيائهم، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله أوصياء كذلك وأخبر بكون المهدي خاتم الأنمة عليهم السلام، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، نقلت الأمة ذلك بأجمعها عنه، وأنّ عيسى عليه السلام ينزل في وقت ظهوره فيصلي خلفه .....) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢١ - ٢٢.



وبخصوص الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) فقد امتد تاريخ تدوينها بين عامي: ٦٥ - ١١٠ م، ويعتبر إنجيل مرقس أقدمها كتابة إذ دُون بحدود سنة ٧٠ م أو قبله بقليل، ثم إنجيل متى ولوقا اللذان دَوّنا بين عامي: ٨٠ - ٩٠ م، ثم إنجيل يوحنا الذي كتب بين عامي: ٩٠ - ١١٠ م، ويعد الأحدث بينها<sup>(١)</sup>.

إنجيل متى ويوحنا (وفق الرواية التقليدية) ينسبان إلى اثنين من حواربي عيسى عليه السلام هما: متى ويوحنا، بينما لم يكن مرقس واحداً من الحواربيين وإنما كان رفيقاً للرسول بطرس "شمعون"، وكذا لوقا الذي كان رفيقاً للرسول بولس.

أما لغة الأناجيل الأربعة فهي اليونانية (اللغة العالمية آنذاك) وليست الآرامية التي كان يتحدث بها عيسى عليه السلام.

قبل توحيدها بكتاب واحد، كانت الأناجيل عبارة عن مخطوطات منتشرة في الكنائس، فالكنيسة في فلسطين كانت تعتمد إنجيل متى، وتعتمد روما على إنجيل مرقس، وفي أنطاكية إنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا في أفسس. ثم بحلول عام ١٧٠ م كانت هناك محاولة لدمج الأناجيل الأربعة بكتاب ونص واحد متصل لكن لم يحصل الدمج بشكل قانوني. نعم، حصل اعتراف قانوني بالأناجيل الأربعة في قائمة "موراتوري" التي صمّمت معظم أسفار العهد الجديد<sup>(٢)</sup>. أما كتدوين موحد وبإجماع كنسي فلم يحصل إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م وكذا مجمع قرطاج عام ٣٩٧ م حيث اعتمدت فيهما الأناجيل الأربعة

---

١- بخصوص التواريخ المذكورة يمكن مراجعة كتاب "قراءة الكتاب المقدس كأدب" ٢٠٢٢ م، متاح على الرابط التالي:

<https://minnstate.pressbooks.pub/bible/chapter/the-synoptics-matthew-mark-and-luke>

<https://minnstate.pressbooks.pub/bible/part/the-gospels>

٢- يعتبر القانون الموراتوري من أهم الوثائق المتعلقة بالتاريخ المبكر لقانون العهد الجديد. يتكون من خمسة وثمانين سطراً مكتوبة بلغة لاتينية. سُميت الوثيقة نسبة لمكتشفها المؤرخ واللاهوتي الإيطالي لودوفيكو أنطونيو موراتوري، الذي نشرها في عام ١٧٤٠ م.

واستبعدت مئات النصوص من غيرها، وفي القرن الرابع الميلادي أيضاً ظهرت أولى النسخ للإنجيل ككتاب واحد<sup>(١)</sup>.

العهد الجديد كما هو معروف يضم ٢٧ سفرًا، إضافة إلى الأناجيل الأربعة يضم: (أعمال الرسل، رسائل بولس، الرسائل العامة، رؤيا يوحنا)، وهذه الأسفار تم كتابتها ثم إلحاقها بالأناجيل الأربعة في مسار تاريخي طويل<sup>(٢)</sup>:

- رسائل الرسول بولس: دوّنت بين عامي: ٥٠ - ٦٧ م، وكانت عبارة عن رسائل تعليمية أرسلها بولس إلى الكنائس الفتية، ثم جُمعت في كتاب واحد لاحقاً، وظهر اسمها في قائمة "موراتوري" في عام ١٧٠ م إلى جنب الأناجيل الأربعة.
- أعمال الرسل: كتبه لوقا الطبيب بين عامي: ٦٢ - ٩٠ م ليحي تاريخ انتشار المسيحية بعد رفع عيسى عليه السلام وتأسيس الكنيسة الأولى.
- الرسائل العامة: تعود لمجموعة من الحوارين الذين كانوا يوجهون رسائل للمؤمنين بهدف رفع معنوياتهم وثباتهم، كتبت بين عامي: ٦٠ - ١٠٠ م.
- رؤيا يوحنا: كتبها يوحنا اللاهوتي عام ٩٥ م، وهي تخص أحداث آخر الزمان كما هو معلوم.

وفي القرن الثالث الميلادي حدثت نقاشات حول إمكانية إضافة الأسفار الصغيرة (مثل: رؤيا يوحنا، رسالة العبرانيين) لأسفار العهد الجديد فرفضت بعض الكنائس إلحاقها قبل أن يحصل الإجماع الكنسي لاحقاً على إلحاقها.

وأما تحديد عدد الأسفار بـ ٢٧ سفرًا كما هي اليوم، فهو أمر حصل في القرن الرابع (تحديداً سنة ٣٦٧ م) حيث تضمّنتها رسالة الأسقف "اثناسيوس الرسولي" وثبتت في

١- انظر: من قام بتجميع الكتاب المقدس ومتى؟ متاح على الرابط التالي:

<https://www.catholic.com/qa/who-compiled-the-bible-and-when>

٢- للاطلاع على تواريخ كتابة أسفار العهد الجديد (وكذا القديم) يمكن مراجعة "تاريخ الكتاب المقدس: متى كتب كل سفر من أسفار الكتاب المقدس؟"، متاح على الرابط التالي:

<https://www.biblegateway.com/learn/bible-١٠١/about-the-bible/when-was-the-bible-written>

المجامع الكنسية مثل: مجمع "هيبو" سنة ٣٩٣ م ومجمع "قرطاج" سنة ٣٩٧ م، ومُنعت بعد ذلك أي محاولة للإضافة أو الحذف (١).

في مسألة إضافة وإلحاق هذه الأسفار بالعهد الجديد، يعتبر المسيحيون (الخط الرسمي) أنّ المعيار في إلحاقها هو أنها ذات أصل رسولي أي: إنّ الكاتب لها إما رسول أو رفيق له، وهناك شروط أخرى أيضاً مثل: أن يكون الكتاب قد قُرئ واستخدم في العبادة بشكل واسع في الكنائس لفترة طويلة.

أما تقسيم أسفار العهد الجديد إلى فصول (إصحاحات) فقد حصل في سنة ٢٢٠ م على يد الشماس "أمونيوس" مع زميله "أوسابيوس"، ثم قام المؤرخ "يوسابيوس القيصري" (٢٦٤ - ٣٤٠ م) بتقسيم الأناجيل إلى فقرات وأعطى كل فقرة رقمها الخاص بها، وهكذا وصولاً إلى الفترة (١٥٥٣ - ١٥٥٩ م) حيث قام "روبرت أسطفان" بتقسيم فصول العهد الجديد إلى أعداد (آيات) كما هو المعمول به اليوم (٢).

ومهما يكن الأمر، فإنّ قضية تدوين العهد الجديد وما يتصل بها - كمسألة عدد أسفاره القانونية مثلاً - هي أمر اجتهادي كما لاحظنا، خضع لآراء علماء الكنيسة

---

١- انظر: الرسالة الفصحية رقم ٣٩، حيث ورد فيها: "هذه هي يتابع الخلاص ... لا يجزؤ أحد أن يضيف إليها شيئاً ولا يحذف منها شيئاً"، وسرد الأسفار الـ ٢٧ كما هي في العهد الجديد اليوم.

وهذه بعض الكتب المعتمدة في الدراسات الجامعية العالمية بخصوص موضوع أسفار العهد الجديد:

- كتاب قانون العهد الجديد؛ أصله وتطوره وأهميته "The Canon of the New Testament" للباحث بروس ميتزجر (Bruce Metzger): وهو المرجع الأهم الذي يفصل تاريخ نشوء القائمة، ويوثق دور رسالة أثناسيوس ومجامع القرن الرابع.

- القانون الكتابي "The Biblical Canon" للباحث لي مارتن ماكدونالد (Lee Martin McDonald): يقدم تحليلاً نقدياً لكيفية استقرار القائمة عند رقم ٢٧ في نهاية القرن الرابع.

٢- انظر: موقع الأنبا تكلا هيمانوت: ٦٨- متى تم تقسيم أسفار العهد الجديد إلى فصول (إصحاحات)؟ ومتى تم التقسيم إلى أعداد (آيات)؟ متاح على الرابط التالي:

المتأخرين عن عصر عيسى عليه السلام وحوارييه، تماماً كما هو الحال بالنسبة إلى قضية تدوين العهد القديم.

## حال أمة عيسى بعده:

حال أمة عيسى عليه السلام بعد رفعه كحال سائر أمم الرسل والأوصياء الماضين والتالين، فما أن يموت الرسول ويخلفه وصيه إلا واختلفت أمتة عليه:

(عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أنزل الله تبارك وتعالى: "وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم" والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد [قومه] على الوفاء لولده شيث فما وفي له، ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومته على الوفاء لوصيه سام فما وفته أمتة، ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومته على الوفاء لوصيه إسماعيل فما وفته أمتة، ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومته على الوفاء لوصيه يوشع بن نون فما وفته أمتة، ولقد رفع عيسى ابن مريم إلى السماء وقد عاهد قومته على الوفاء لوصيه شمعون بن حمون الصفا فما وفته أمتة، وإني مفارقكم عن قريب وخارج من بين أظهركم وقد عهدت إلى أمتي في علي بن أبي طالب وإنها [1] لراكبة سنن من قبلها من الأمم في مخالفة وصي وعصيانه، ألا وإني مجدد عليكم عهدي في علي، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله فسيؤتيه أجراً عظيماً<sup>(١)</sup>).

اختلاف أمم الرسل على أوصيائهم يؤدي بمرور الوقت إلى نشوء فرق واتجاهات مختلفة ومتنافرة بطبيعة الحال، بل ربما بعضها لا يبقى لديه من نهج الرسول الإلهي سوى الاسم فقط<sup>(٢)</sup>!

١- معاني الأخبار، الصدوق: ٣٧٢.

٢- (عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ..... وتفرقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنين وسبعين فرقة، فرقة منها في الجنة وإحدى وسبعون في النار.....) الكافي، الكليني: ٨ / ٢٢٤.

(عن سليمان بن مهران، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن أمة موسى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وسبعون في النار، وافتترقت أمة عيسى عليه السلام بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها

فمثلاً: بعد أن كاد عيسى صلوات الله عليه يفني نفسه في دعوة الناس إلى الله وتوحيده، نرى الكثيرين ممن يحسبون أنفسهم على أمته وأتباعه، بعد قرون قليلة، يؤلّهونه! ولا شك أنه موقف منحرف وليس من نهج عيسى في شيء إطلاقاً!

قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" المائدة: ١١٦ - ١١٨.

في مطلع القرن الرابع الميلادي بلغت المسيحية حدّاً اضطر معه الامبراطور الروماني قسطنطين الأول الذي حكم بين عامي: (٣٠٦ - ٣٣٧ م) إلى إصدار "مرسوم ميلانو" في سنة ٣١٣ م حيث دعا إلى التسامح الديني وإنهاء حقبة الاضطهاد للمسيحيين، ولكن الدين المسيحي لم ينل بعدُ صفة الدين الرسمي بالرغم من هيمنته على أرجاء الإمبراطورية. لكن في عام ٣٨١ م أصبحت المسيحية الدين الرسمي بموجب مرسوم "ثيسالونيكي" الذي أصدره الامبراطور "ثيودوسيوس الأول"، والملفت أنّ المرسوم حدّد النسخة المعترف بها للدين المسيحي من خلال ضبط قانون الإيمان بما يلي: "سنؤمن بألوهية واحدة للأب والابن والروح القدس، وفقاً لمفهوم الجلال المتساوي والثالوث الأقدس" (١)!

ناجية وإحدى وسيعون في النار، وإن أمتي ستفرق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنان وسبعون في النار) الخصال، الصدوق: ٥٨٥. والحديث روته مصادر سنّية أيضاً، انظر مثلاً: سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣٢٢؛ مسند أحمد: ٢ / ٣٣٢.

١- انظر: "٢٢-٣٨٠ ميلادي - المرسوم الذي جعل يسوع إلهاً رسمياً وجعل المسيحية دين الدولة"، منشور بتاريخ: ٢٠٢٥/٨/١٨ م، متاح على الرابط التالي:

<https://thatsjesuschannel.podbean.com/e/٣٨٠-ad-the-edict-that-made-jesus-officially-god-and-made-christianity-the-state-religion>

المرسوم - كما هو واضح - قد أنهى جدلاً استمر عقوداً من الزمن حول هوية السيد المسيح عليه السلام؛ هل هو بشر أم إله، وبالتأكيد تنفّس القساوسة المؤيدون لألوهية المسيح الصعداء بعد أن حظي موقفهم بدعم امبراطوري وحكومي واضح، بينما قبل الآخرون (القائلون ببشرية المسيح) بالقمع والتنكيل المادي والمعنوي كما حصل لأريوس ومؤيديه في "مجمع نيقية" الشهير!

لا شك أنّ الانحراف العقائدي في المسيحية الذي بلغ حد تأليه عبد الله ورسوله "عيسى عليه السلام" لم نلاحظ مثله في موقف اليهود في تعاملهم مع شخصية موسى عليه السلام، والسبب في ذلك يعود إلى دخول السياسة على الخط، فما أن يحصل اصطفاف السلطتين الدينية والسياسية حيال أمر معين بعد رحيل الرسول الإلهي إلا وكانت النتيجة فاجعة وانحراف أليم، وفي قضية تأليه عيسى لاحظنا مدى النفوذ الذي مارسه الامبراطور الروماني لصياغة قانون الإيمان بالثالوث، وبالتأكيد ما كان لهذا الأمر أن يحصل لولا التواطؤ والتأييد من بعض رجال الكنيسة الطامحين بالانفراد بالزعامة وإسكات جميع الأصوات المنافسة من خلال الاستقواء بموقف السلطة الحاكمة!

### في ختام رسالة عيسى:

رسالة عيسى صلوات الله عليه فيها أحداث وتفاصيل كثيرة، لم يتعرض لها البحث بالتأكيد؛ لأنه بالأساس يتحرى المهم الذي يناسب غرضه؛ وهو التمهيد لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقد رأينا ذلك بوضوح في مفاصل كثيرة من رسالته وتعاليمه والسنن التي جرت عليه، وخصوصاً ما حصل بعد رفعه من قضية إرساله الرسل منه بأمر من الله، ولا شك أنه المحور الذي تركز عليه رسالة محمد صلى الله عليه وآله كما عرفناه في كلام السيد أحمد الحسن المتقدم.



## المصادر

### أولاً: الكتب المقدسة:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الكتاب المقدس - العهد القديم
- ٣- الكتاب المقدس - العهد الجديد

### ثانياً: كتب السيد أحمد الحسن:

- ٤- إضاءات من دعوات المرسلين، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ٥- بريد الصفحة، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد. ط ١.
- ٦- تفسير آية من سورة يونس، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ٧- التوحيد، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد. ط ١.
- ٨- الجهاد باب الجنة، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ٩- الجواب المنير عبر الأثير، أجوبة السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ١٠- رحلة موسى إلى مجمع البحرين، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ١١- كتاب العجل، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ١٢- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد، ط ١، ١٦، ٢٠.
- ١٣- مع العبد الصالح، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ١٤- النبوة الخاتمة، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ١٥- المتشابهات، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد.
- ١٦- وهم الإلحاد، أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح - بغداد، ط ٢، ١٧، ٢٠.

### ثالثاً: تفسير القرآن وعلومه:

- ١٧- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أي بكر، تحقيق: سعيد أيوب، دار الفكر، لبنان - بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.



- ١٨- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
- ١٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٢٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير البيضاوي"، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢١- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، قم.
- ٢٢- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن "الطوسي"، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط ١.
- ٢٣- تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٤- تفسير الإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، المطبعة: مهر- قم المقدسة، ربيع الأول ١٤٠٩ هـ.
- ٢٥- تفسير البحر المحیط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ٢٦- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- ٢٧- تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: الدكتور محمود مطر جي، دار الفكر - بيروت.
- ٢٨- تفسير السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٢٩- تفسير العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: السيد هاشم المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
- ٣٠- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم، تحقيق: محمد كاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط ١، ١٩٩٠ م.

- ٣١- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطبيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٢- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تقديم: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٢ م.
- ٣٣- تفسير القمي، علي بن إبراهيم، تعليق: السيد طيب الموسوي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم، ط٣، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٤- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين - بيروت، ط٣، ١٩٨١ م.
- ٣٥- التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.
- ٣٦- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م.
- ٣٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي.
- ٣٨- جامع البيان عن آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تخريج صدق جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
- ٣٩- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٩٨٥ م.
- ٤٠- جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الشيخ الطبرسي، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، ١٤١٨ هـ.
- ٤١- حقائق التفسير "تفسير السلمي"، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠١ م.
- ٤٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- ٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

- ٤٤- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
- ٤٥- زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ٤٦- فقه القرآن، قطب الدين الراوندي، مكتبة النجفي المرعشي - قم، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٤٧- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، محمود بن عمر الزمخشري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦ م.
- ٤٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن "تفسير الثعلبي"، الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ٤٩- كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، نشر مؤسسة الطبع والنشر - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط ١، ١٩٩٠ م.
- ٥٠- متشابه القرآن ومختلفه، محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني، مطبعة سهام، ١٣٢٨ هـ.
- ٥١- مجمع البيان، الفضل بن الحسن "الطبرسي"، تعليق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين، منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات - بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٥٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل "تفسير النسفي"، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- ٥٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي"، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٥٤- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٨ م.
- ٥٥- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، محمد بن عمر "الفخر الرازي"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

- ٥٦- مقتنيات الدرر، ميرسيد علي الحائري الطهراني، مطبعة الحيدري - طهران، الناشر: الشيخ محمد الآخوندي.
- ٥٧- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن أحمد بن محمد "الراغب الأصفهاني"، دفتر نشر الكتاب، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
- ٥٨- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- ٥٩- الوسيط في تفسير القرآن المجيد "تفسير الواحدي"، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٤ م.

#### رابعاً: كتب الحديث وشروحه:

- ٦٠- الاحتجاج، أحمد بن علي "الطبرسي"، تعليق: السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
- ٦١- الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن النعمان، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط٢، ١٩٩٣ م.
- ٦٢- الأمالي، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: السيد هاشم الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٦٣- الأمالي، محمد بن الحسن "الطوسي"، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٧.
- ٦٤- الأمالي، محمد بن النعمان "المفيد"، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط٢، ١٩٩٣ م.
- ٦٥- أمثال الحديث المروية عن النبي، أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.
- ٦٦- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.
- ٦٧- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تعليق: ميرزا محسن كوجه باغي، منشورات الأعلي طهران، ١٤٠٤ هـ.

- ٦٨- التمهيد، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧.
- ٦٩- تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن "الطوسي"، تعليق: السيد حسن الموسوي الخرساني، دار الكتب الإسلامية - طهران.
- ٧٠- التوحيد، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: السيد هاشم الحسيني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- ٧١- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، منشورات الرضي - قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.
- ٧٢- جامع البيان وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمي - بيروت، ١٣٩٨.
- ٧٣- الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١، ١٩٨١ م.
- ٧٤- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحّد الأبّطحي، ط ١، ذي الحجة ١٤٠٩.
- ٧٥- الخصال، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٦- الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- ٧٧- دعائم الإسلام، النعمان بن محمد القاضي المغربي، تحقيق: آصف فيضي، دار المعارف - مصر، ١٩٦٣.
- ٧٨- الدعوات (سلوة الحزين)، سعيد بن هبة الله "قطب الدين الراوندي"، تحقيق: مدرسة الإمام الهادي - قم، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ٧٩- الديباج على صحيح مسلم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان للطباعة والنشر - الخبر، ط ١، ١٩٩٦ م.

- ٨٠- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، تقديم: محمد مهدي حسن الخرسان، منشورات الرضي - قم.
- ٨١- الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي، تحقيق: غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية - قم، ١٣٩٩ هـ.
- ٨٢- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.
- ٨٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٨٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٨٣ م.
- ٨٥- سنن الدارمي، عبد الله بن الرحمن الدارمي، مطبعة الاعتدال - دمشق، ١٣٤٩ هـ.
- ٨٦- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الفكر- بيروت.
- ٨٧- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤١٤ هـ.
- ٨٨- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعرائي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ٨٩- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.
- ٩٠- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل "البخاري"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.
- ٩١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر - بيروت.
- ٩٢- عدة الداعي، أحمد بن فهد الحلبي، تحقيق: أحمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني - قم.
- ٩٣- علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٩٦٦.

- ٩٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٩٥- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي بن إبراهيم "ابن أبي جمهور الأحسائي"، تحقيق: مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء - قم، ط١، ١٩٨٣.
- ٩٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٠ م.
- ٩٧- عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط١، ١٩٨٤ م.
- ٩٨- الغيبة، محمد بن الحسن "الطوسي"، تحقيق: عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ط١، ١٤١١ هـ.
- ٩٩- الغيبة، محمد بن إبراهيم "النعماني"، تحقيق: فارس حسون، منشورات أنوار الهدى - قم، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- ١٠٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، ط٢.
- ١٠١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٤ م.
- ١٠٢- قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث - قم، ط١، ١٤١٣ هـ.
- ١٠٣- الكافي، محمد بن يعقوب "الكليني"، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط٣.
- ١٠٤- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧ هـ.
- ١٠٥- كشف الخفاء، العجلوني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، ١٩٨٨ م.
- ١٠٦- كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤٠٥ هـ.

- ١٠٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٩ م.
- ١٠٨- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٠٩- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد "البرقي"، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ١، ١٣٧٠ هـ.
- ١١٠- المحتضر، حسن بن سليمان الحلبي، تحقيق: سيد علي أشرف، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- ١١١- مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلبي، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط ١، ١٩٥٠ م.
- ١١٢- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ١١٣- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٩ هـ.
- ١١٤- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- ١١٥- مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧.
- ١١٦- مسند الإمام علي، حسن القبانجي، تحقيق: طاهر السلامي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ١١٧- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر - بيروت.
- ١١٨- مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م.
- ١١٩- المصباح، إبراهيم الكفعمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.



- ١٢٠- مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٢١- المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.
- ١٢٢- معارج نهج البلاغة، علي بن زيد البهقي، تحقيق: محمد تقي دانش بجوه، مكتبة المرعشي النجفي - قم، ط ١، ١٤٠٩.
- ١٢٣- معاني الأخبار، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ هـ.
- ١٢٤- معجم أحاديث الإمام المهدي، علي الكوراني، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ١٢٥- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
- ١٢٦- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢.
- ١٢٧- مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات الشريف الرضي، ط ٦، ١٩٧٢ م.
- ١٢٨- التشريف بالمتن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن)، علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس الحسني، نشر مؤسسة صاحب الأمر - أصفهان، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ١٢٩- من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.
- ١٣٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ط ٤، ١٣٦٤ ش.
- ١٣١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي، تحقيق: د صبحي الصالح.
- ١٣٢- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

### خامساً: كتب العقيدة والفقه:

- ١٣٣- الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان "المفيد"، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، دارالمفيد للطبع والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- ١٣٤- الاعتقادات في دين الإمامية، محمد بن علي بن بابويه "الصدوق"، تحقيق: عصام عبد السيد، دارالمفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- ١٣٥- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، الشيخ علي اليزدي الحائري، تحقيق: السيد علي عاشور.
- ١٣٦- تصحيح اعتقاد الإمامية، محمد بن محمد بن النعمان "المفيد"، تحقيق: حسين دركاهي، دارالمفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- ١٣٧- جلاء الأفهام، محمد بن أبي بكر "ابن قيم الجوزية"، تحقيق: الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ١٣٨- دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- ١٣٩- غاية المرام وحجة الخصام، السيد هاشم البحراني، تحقيق: علي عاشور.
- ١٤٠- مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية الحراني، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.
- ١٤١- المغني، عبد الله بن أحمد بن محمود بن قدامة، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٤٢- الموطأ، مالك بن أنس، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٨٥ م.
- ١٤٣- نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم، مؤسسة الإمام المهدي، ط ١، ١٤١٠ هـ.

### سادساً: كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

- ١٤٤- إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي - ٢٠١٤ م.
- ١٤٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م.

- ١٤٦- إمتاع الأسماع، أحمد بن عبد القادر المقرئ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٩ م.
- ١٤٧- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٩٦٨ م.
- ١٤٨- البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.
- ١٤٩- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات - بيروت.
- ١٥٠- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملقط ابن العبري، دار الميسرة - بيروت.
- ١٥١- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن "ابن عساكر"، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ١٥٢- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت، مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت - قم.
- ١٥٣- تاريخ يوسفوس اليهودي، المكتبة العمومية لسليم ابراهيم صادر في بيروت.
- ١٥٤- الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، شاذان بن جبرئيل القمي "ابن شاذان"، تحقيق: علي الشكرجي، مركز الأمير، ١٤٢٣ هـ.
- ١٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر "ابن قيم الجوزية"، تحقيق: عبد القادر وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢٧، ١٩٩٤ م.
- ١٥٦- السير والمغازي "سيرة ابن إسحاق"، محمد بن إسحاق الملقط، تحقيق: محمد حميد الله، نشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.
- ١٥٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥٨- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر - بيروت.
- ١٥٩- قصص الأنبياء، سعيد بن هبة الله "الراوندي"، تحقيق: الميرزا غلام رضا اليزدي، مؤسسة الهادي، ط١، ١٤١٨ هـ.
- ١٦٠- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم "ابن الأثير"، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٦٥ م.

- ١٦١- المختصر في تاريخ البشر "تاريخ أبي الفدا"، إسماعيل أبي الفدا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ١٦٢- مدخل ليوم الحسين، علاء السالم، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد، ط ١، ٢٠٢٥ م.
- ١٦٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، منشورات دار الهجرة - قم، ط ٢، ١٩٨٤.
- ١٦٤- المعارف، عبد الله بن مسلم "ابن قتيبة الدينوري"، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٩ م.
- ١٦٥- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أبو الحسن علي بن محمد الواسطي "ابن المغازلي"، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع - اليمن، ط ١، ٢٠٠٣.
- ١٦٦- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.
- ١٦٧- مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ١٦٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م.
- ١٦٩- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، نعمة الله الجزائري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ١٧٠- ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ١٧١- يوم الحسين، د. علاء السالم، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد، ط ١، ٢٠٢٤ م.

### سابعاً: كتب عامة:

- ١٧٢- إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي، منشورات الرضي، قم - إيران.
- ١٧٣- أساس البلاغة، الزمخشري، أساس البلاغة، دار ومطابع الشعب - القاهرة، ١٩٦٠.

- ١٧٤- أمل الأمل، محمد بن الحسن "الحر العاملي"، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب - النجف.
- ١٧٥- ترجمة متن التلمود (المشنا)، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، مقدمة المترجم.
- ١٧٦- الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة، جورج آدم سميث، نشر: Hodder and Stoughton, London.
- ١٧٧- الجغرافيا، بطليموس، تحقيق ونشر: جامعة برينستون، ٢٠٠٠ م.
- ١٧٨- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت.
- ١٧٩- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات - بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م.
- ١٨٠- السومريون؛ تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، صموئيل نوح كريم، ترجمة: د. فيصل الوائلي، مكتبة الحضارات - بيروت، ط ١.
- ١٨١- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٩٨٧ م.
- ١٨٢- ضد أبيون، فلافيوس: ١٢، ترجمة: مصطفى القماش.
- ١٨٣- الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ١٨٤- لسان العرب، محمد بن مكرم "ابن منظور"، نشر أدب الحوزة - قم، ١٤٠٥ هـ.
- ١٨٥- مسكن الفؤاد، علي بن أحمد الجبعي العاملي (الشهيد الثاني)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ١٨٦- المفردات الأعجمية في القرآن (The Foreign Vocabulary of the Qur'an)، آرثر جيفري، مدرسة الدراسات الشرقية، القاهرة - ١٩٣٨ م.
- ١٨٧- قراءة الكتاب المقدس كأدب "٢٠٢٢ م، مجموعة باحثين، متاح على هذا الرابط:

- ١٨٨- التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها؛ رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، د. إسرائيل فنكلشتاين ونيل إشرسيلبرمان، ترجمة: سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر.
- ١٨٩- تأليف التوراة: تجديد فرضية المصادر The Composition of the Pentateuch، جويل بادن Joel S. Baden، مطبعة جامعة ييل ٢٠١٢ م.
- ١٩٠- قانون العهد الجديد: أصله وتطوره وأهميته The Canon of the New Testament، بروس أم. ميتزجر، إعداد محمد شاهين التاعب، متاح على الرابط التالي:  
<https://alta3b.com/١٠/٠٦/٢٠٢٥/canon-nt-٢>
- ١٩١- القانون الكتابي: أصله ونقله وسلطته The Biblical Canon، لي مارتن ماكدونالد Lee Martin McDonald، متاح على الرابط التالي:  
<https://www.perlego.com/ereader/٢٠٥٠٩٦٩>
- ١٩٢- المسالك والممالك، الاصطخري، طبعة دارصادر.
- ١٩٣- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٧٩ م.
- ١٩٤- من كتب الكتاب المقدس Who Wrote the Bible؟، ريتشارد إليوت فريدمان، ترجمة: عمرو زكريا، دار البيان للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣ م.

### ثامناً: موسوعات ومكتبات وقواميس:

- ١٩٥- البحوث الكتابية في فلسطين" (Biblical Researches in Palestine)، الباحث: إدوارد روبنسون.
- ١٩٦- دفاتر البحوث العلمية، متاح على هذا الرابط:  
<https://asjp.cerist.dz/en/article>
- ١٩٧- الموسوعة التاريخية البريطانية Britannica.
- ١٩٨- موسوعة ويستمنستر Westminster.
- ١٩٩- المكتبة اليهودية، متاحة على هذا الرابط:  
<https://www.jewishvirtuallibrary.org/paran>

٢٠٠ - قاموس شيكاغو للغة الآشورية (The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of

the University of Chicago CAD).

٢٠١ - قاموس هوليداي للعبرية والآرامية (A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the

Old Testament).

٢٠٢ - قاموس أكسفورد للكتاب المقدس (The Oxford Dictionary of the Bible).

### تاسعاً: مواقع على الانترنت:

٢٠٣ - موقع الأنبا تكلا هيمانوت: <https://st-takla.org>

٢٠٤- <https://www.ias.edu>

٢٠٥- <https://www.drghaly.com>

٢٠٦- <https://www.alarabiya.net>

٢٠٧- <https://www.drghaly.com>

٢٠٨- <https://www.britannica.com>

٢٠٩- <https://armstronginstitute.org>

٢١٠- <https://www.drghaly.com>

٢١١- <https://minnstate.pressbooks.pub/bible/part/the-gospels>

٢١٢- <https://www.catholic.com>

٢١٣- <https://www.biblegateway.com>

٢١٤- <https://thatsjesuschannel.podbean.com>

## الفهرست

|                                                 |    |
|-------------------------------------------------|----|
| تمهيد:                                          | ٥  |
| (١) رسالة إبراهيم الخليل                        | ١٣ |
| إبراهيم (ع)؛ الولادة والنشأة:                   | ١٥ |
| ولادة إبراهيم:                                  | ١٥ |
| مكان ولادته:                                    | ١٩ |
| من هو أزر؟                                      | ٢٢ |
| أخلاقه وبعض كمالاته:                            | ٢٧ |
| ورعه وعبادته:                                   | ٣٠ |
| أعراق الثرى:                                    | ٣٢ |
| إبراهيم في نصوص أهل الكتاب الدينية والتاريخية:  | ٣٣ |
| تعقيب وملاحظات عشر:                             | ٣٨ |
| دعوة إبراهيم (ع) في العراق:                     | ٥٠ |
| دليل صدق إبراهيم في رسالته وبعثه:               | ٥٠ |
| دين إبراهيم وشريعته:                            | ٥٤ |
| حادثة الكواكب وطلب إحياء الموتى:                | ٥٦ |
| هل عبد إبراهيم (ع) الكواكب؟                     | ٥٦ |
| طلب إحياء الموتى:                               | ٦٤ |
| دعوة قومه ومواجهة نمروود:                       | ٦٨ |
| إبراهيم أمة وحده!                               | ٦٨ |
| دعوة إبراهيم لقومه ونمرود ومحاجتهم بحسب النصوص: | ٧٠ |
| قراءة في نصوص الأحداث:                          | ٧٤ |
| نجاة إبراهيم (ع) من المحرقة:                    | ٧٩ |
| اتخاذ الله إبراهيم خليلاً:                      | ٨٥ |
| الإبعاد إلى الشام:                              | ٨٨ |
| نزول إبراهيم (ع) في الشام:                      | ٨٩ |
| هلاك نمروود:                                    | ٩١ |
| إبراهيم (ع) في مسجدي الكوفة والسهلة:            | ٩٢ |



- معرفة إبراهيم (ع) بالرسول محمد وآله (ص): ..... ٩٣
- العراق؛ بين إبراهيم الخليل ومهدي آل محمد: ..... ٩٩
- دعوة إبراهيم (ع) خارج العراق: ..... ١٠١
- زواج إبراهيم (ع) من هاجر: ..... ١٠٢
- البشرى بإسماعيل وإسحاق وهلاك قوم لوط: ..... ١٠٣
- نقل هاجر وإسماعيل إلى مكة وبناء البيت: ..... ١١١
- سبب الانتقال: ..... ١١٥
- الحج الإبراهيمي: ..... ١١٩
- تعليم إبراهيم وإسماعيل الحج وبناء الكعبة: ..... ١١٩
- إبراهيم (ع) يؤذن في الناس بالحج: ..... ١٢٥
- علة أفعال الحج: ..... ١٢٦
- تحديد هوية الذبيح ورمزية ذبح الهدي: ..... ١٣١
- من هو الذبيح؟ ..... ١٣١
- شعيرة ذبح الهدي ورمزيتها: ..... ١٣٥
- ذبح إسماعيل المفدى والذبيح الحقيقي: ..... ١٤٢
- إبراهيم وإسماعيل يؤسسان للتواصل بين مكة والشام: ..... ١٤٧
- إمامة إبراهيم (ع) ووفاته: ..... ١٥٠
- النبوة والرسالة والإمامة: ..... ١٥١
- توضيح في معنى الإمامة: ..... ١٥٨
- الإمامة كما بيّنها الإمام الرضا (ع): ..... ١٦٢
- الكلمات التي تسبّبت بإمامة إبراهيم (ع): ..... ١٦٦
- الرسول محمد وآله ودعوة إبراهيم: ..... ١٧٢
- وفاة إبراهيم (ع): ..... ١٨٤
- خطان للوصاية بعد إبراهيم (ع): ..... ١٨٦
- خط إسماعيل: ..... ١٨٦
- خط إسحاق: ..... ١٩٢
- نبوة يعقوب ويوسف (ع): ..... ١٩٥
- قصة يعقوب ويوسف بحسب النصوص: ..... ١٩٦
- سبب بلاء يعقوب: ..... ١٩٦
- يوسف (ع) في الجب: ..... ٢٠٠

- يوسف والسجن: ..... ٢٠٢
- حزن يعقوب وبكاؤه وصبره: ..... ٢١٠
- رؤيا ملك مصر: ..... ٢١١
- يوسف أيها الصديق! ..... ٢١٤
- اجتماع بني إسرائيل في مصر: ..... ٢١٦
- إضاءات من رسالة يوسف: ..... ٢٢٢
- هل اختار يوسف (٤) السجن، ولماذا؟ ..... ٢٢٢
- اذكرني عند ربك: ..... ٢٢٦
- ما سرق إخوة يوسف وما كذب يوسف! ..... ٢٢٨
- لماذا لم تكن النبوة في عقب يوسف؟ ..... ٢٣٠
- سرعة وتأخير الاستغفار بين يوسف ويعقوب: ..... ٢٣١
- سجود يعقوب وأبنائه ليوسف عبادة لله: ..... ٢٣٢
- بين يوسف آل يعقوب وقائمه آل محمد: ..... ٢٣٧
- إخوة يوسف نموذج للتحول بين حالين: ..... ٢٤١
- رسالة يوسف في مصر، لماذا؟ ..... ٢٤٣
- ما سرق ميص يوسف؟ ..... ٢٤٥
- وفاة يعقوب ويوسف: ..... ٢٤٧
- وفاة يعقوب: ..... ٢٤٨
- وصية يوسف وتبشيريه بموسى الكليم: ..... ٢٤٩
- نقل رفات يوسف من مصر إلى بيت المقدس: ..... ٢٥٠
- هل ينفي العلم بعثة يوسف بمصر؟ ..... ٢٥١
- أنبياء بعد إبراهيم (٤): ..... ٢٥٦
- أيوب (٤): ..... ٢٥٦
- ذو القرنين (٤): ..... ٢٦٣
- شعيب (٤): ..... ٢٦٦
- (٢) رسالة موسى الكليم ..... ٢٧٣**
- موسى (٤) وليداً ونبيّاً ورسولاً: ..... ٢٧٤
- ولادة موسى (٤): ..... ٢٧٤
- نبوة موسى ورسالته: ..... ٢٨٥
- دليل صدق موسى (٤): ..... ٢٩٥

- ٢٩٨..... قتل القبطي وخروج موسى (ع) من مصر:
- ٣٠٣..... مؤمن آل فرعون:
- ٣٠٦..... موسى (ع) في مدين:
- ٣٠٨..... بعث موسى (ع) وإرساله:
- ٣٠٨..... حادثة الاصطفاء:
- ٣٢٠..... من هم الكروبيون أو الشاروبيم؟
- ٣٢٥..... إرسال موسى (ع):
- ٣٢٥..... إرسال موسى لبني إسرائيل واتخاذ هارون وزيراً:
- ٣٣٤..... إرسال موسى إلى فرعون وقومه:
- ٣٣٧..... مواجهة موسى (ع) لفرعون وإيمان السحرة قرآنياً:
- ٣٤٠..... ملاحظات هامة تتعلق بإرسال موسى لفرعون:
- ١- الدعوة بالحكمة واللين: ..... ٣٤١
- ٢- عناية الله بالرسول والرسالة: ..... ٣٤٢
- ٣- وقفة مع جواب فرعون وقومه لموسى: ..... ٣٤٢
- ٤- آيات موسى (ع) لفرعون وإيمان السحرة: ..... ٣٤٦
- ٥- موقع المعجزة المادية في دين الله: ..... ٣٥٤
- ٦- آيتا العصا واليد: ..... ٣٥٩
- ٧- حال الملأ: ..... ٣٦٣
- ٨- بين موسى وإبراهيم: ..... ٣٦٤
- ٩- زوجة فرعون: ..... ٣٦٥
- ١٠- موسى يبني مسجداً ويسد الأبواب إلا باب هارون: ..... ٣٦٧
- موسى (ع) وبنو إسرائيل: ..... ٣٧٠
- تلاقي الفنتين وهلاك فرعون: ..... ٣٧١
- جهة الحق: بين يقين موسى وتردد بعض أصحابه! ..... ٣٧٢
- يوم التلاقي والأبدال: ..... ٣٧٥
- هلاك فرعون: ..... ٣٧٦
- بنو إسرائيل وسني التيه: ..... ٣٧٩
- تيه بني إسرائيل لرفضهم دخول الأرض المقدسة: ..... ٣٧٩
- فتنة العجل: ..... ٣٨٧
- استخلاف موسى لهارون في غيبته: ..... ٣٩٧

- ألواح موسى: ..... ٤٠٣
- ١- هل الألواح والصحف شيء واحد؟ ..... ٤٠٣
- ٢- ماذا كان في الألواح ومَن كتبها؟ ..... ٤٠٥
- ٣- لماذا كانت الألواح حجرية؟ ..... ٤٠٦
- ٤- تابوت العهد أو السكينة: ..... ٤٠٨
- ٥- لماذا ألقى موسى الألواح وتكسرت؟ ..... ٤١٠
- ٦- التوراة؛ هل هي الألواح أم الصحف أم المجموع منهما؟ ..... ٤١٥
- ٧- مصير الألواح: ..... ٤١٥
- ٨- متى وكيف دَوِّنت التوراة؟ ..... ٤١٦
- ٩- بعض ما في التوراة: ..... ٤١٩
- ١٠- موارِيث الأنبياء: ..... ٤٢١
- طلب موسى <sup>(٤)</sup> الرؤية القلبية: ..... ٤٣٣
- الطور الذي كَلَّمَ الله موسى عليه: ..... ٤٣٦
- ذبح البقرة: ..... ٤٣٨
- دين موسى ومعرفته بالرسول محمد وآله: ..... ٤٤٠
- دين موسى <sup>(٤)</sup> وشريعته: ..... ٤٤٠
- من وحي الله لموسى <sup>(٤)</sup>: ..... ٤٤٤
- معرفة موسى بالرسول محمد وآله: ..... ٤٤٨
- بين موسى وقائمه آل محمد: ..... ٤٥٣
- لقاء موسى بالعبد الصالح: ..... ٤٥٧
- وفاة موسى <sup>(٤)</sup> وبعثة الأنبياء بعده: ..... ٤٧٨
- وفاة موسى: ..... ٤٧٨
- قيام يوشع بالأمر ودخوله الأرض المقدسة: ..... ٤٧٩
- بعثة داود وسليمان: ..... ٤٨١
- النبي إسماعيل والقائد طالوت وإخلاص داود: ..... ٤٨٣
- داود يختار سليمان وصياً له بأمر الله: ..... ٤٩٠
- يونس بن متى: ..... ٤٩٨
- لقمان الحكيم: ..... ٥٠٢

### ٥٠٥ ..... (٣) رسالة عيسى كلمة الله

- ٥٠٥ ..... ولادة عيسى (ع) وشيء من سيرته: .....  
 ٥٠٦ ..... مريم بنت عمران: .....  
 ٥١٠ ..... هل مريم هارونية أم داودية؟ .....  
 ٥١٤ ..... زكريا ويحيى: .....  
 ٥١٨ ..... بين عيسى ويحيى (ع): .....  
 ٥٢١ ..... ولادة عيسى (ع): .....  
 ٥٢٢ ..... تفاصيل الولادة: .....  
 ٥٣٢ ..... مكان الولادة: .....  
 ٥٣٧ ..... الوضع العام عند الولادة: .....  
 ٥٣٨ ..... زهده وصلاته: .....  
 ٥٣٩ ..... بعثة عيسى (ع): .....  
 ٥٤٠ ..... دليل صدقه: .....  
 ٥٤٥ ..... دين عيسى (ع): .....  
 ٥٤٥ ..... على مستوى العقيدة: .....  
 ٥٥٥ ..... على مستوى الشريعة: .....  
 ٥٥٦ ..... من وحي الله لعيسى: .....  
 ٥٥٩ ..... عيسى (ع) وقومه: .....  
 ٥٦١ ..... مز ايا دعوة عيسى (ع): .....  
 ٥٦٣ ..... عيسى (ع) وحوارته: .....  
 ٥٦٨ ..... بعض تعاليمه ووصاياهم للمؤمنين به: .....  
 ٥٧١ ..... عيسى والرسول محمد وآله (ص): .....  
 ٥٧٥ ..... عيسى والحسين: .....  
 ٥٧٥ ..... عيسى والمهدي: .....  
 ٥٧٧ ..... رفع عيسى (ع) وما جرى بعده: .....  
 ٥٧٧ ..... رفع عيسى (ع) وأثره في التمهيد لرسالة محمد (ص): .....  
 ٥٨٩ ..... تأمر كهنة اليهود مع الروم لقتل عيسى: .....  
 ٥٩١ ..... من هو المصلوب؟ .....  
 ٥٩٨ ..... ليلة إلقاء القبض على الشبيه: .....  
 ٦٠٠ ..... بعد يوم الخميس: .....

- ٦٠٣..... لماذا استئنيت مكة من رسل عيسى؟
- ٦٠٤..... رسالة الله بعد عيسى (ع):
- ٦٠٧..... متى دَوّن الإنجيل وكيف؟
- ٦١١..... حال أمة عيسى بعده:
- ٦١٥..... المصادر:
- ٦٣١..... الفهرست

كتاب "الرسالة" مخصّص بالأصل لعرض رسالة وسيرة سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنه قوام الرسالة وعمادها وهدفها الحقيقي المراد بلوغه، لكن لما كان كل من سبقه من الرسل مهّدوا له، فإنصافاً لتضحياتهم وتقديراً لجهودهم نعرض رسالات أولي العزم منهم وبعض الأنبياء المتصلين بهم كحد أدنى، لذا سيغطي الجزء الثاني من سلسلة "الرسالة" بعثات ورسالات أولي العزم، وهم: إبراهيم، موسى، عيسى "صلوات الله عليهم، وما رافقها من أحداث مهمة، وتناولها بالبحث والتدقيق الذي ينصب بالأساس على الجانب العقائدي لا التاريخي الصرف كما هو المعهود في مثل هذه البحوث، وهذا ما يميز كتاب الرسالة عنها

الشيخ علاء السالم

منشورات شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع  
بغداد/ كرادة داخل / هاتف +964781564368  
البريد الإلكتروني: [contact@najmatalsabah.com](mailto:contact@najmatalsabah.com)

